الفتوحات الوهبية

بشرح الاربعين حديثا النووية

تأليف العالم العلامة الحبر البحر الفهامة

الشيخ ابراهيم بن مرعى بن عطية

الشرخيتي المالكي نفعنا

الله به آمين

( )

بهامشه كتاب المجالس السنية في الكلام على الاربعين النووية

للشيخ الامام العالم العلامة والبحر الفهامة سيدنا ومولانا الشيخ أحمد

ابن الشيخ حجازي الفشني تغمدهما الله بالرحمة والرضوان آمين

طبع بالمطبعة بجوار الازهر بشارع رقعة الجن رقم ٦ بجوار الازهر الشريف بمصر

على نفقة أصحابها

ورثة المرحوم فضيلة الشيخ محمد عبد الخالق المهدي

(الطبعة الثانية)

(سنة ١٣٤٧ هـ — سنة ١٩٢٩ م)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذي وفقنا لاداء أفضل العبادات * وأوقفنا على كيفية اكتساب أكمل السعادات * وأشهد أن لا اله الى الله وحده لاشريك له رب الارضين والسموات * وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المؤيد بافضل الآيات والمعجزات * صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه بحسب تعاقب الاوقات والساعات ﴿وبعد﴾ فيقول العبد الفقير الى رحمة ربه المفتي أحمد بن مصطفى المراغي الفشني غفر الله تعالى له ذنوبه وستر في الدارين عيوبه هذه مجالس سنيه في الكلام على الاربعين النوويه وضمتها لتكون تذكرة لنفسي وللقاصرين مثلي من ابناء جنسي ضاما اليها من الفوائد الظريفة والمواعظ الشريفة والنكت اللطيفة والنوادر والحكايات ماتقر به أعين اولى الرغبات خاتما لها بما يحتاج اليه قارىء المعاد وتشتاق اليه العين وتشتاق اليه الفؤاد من مجلس يتعلق بالختام ليكون كفاية

الحمد لله الذي وفق لحمل الحديث من اصطفاه من الانام * ومن على من ارتضاه لفهم ما فيه من الاحكام وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له الملك العلام * وأشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي أوتي جوامع الكلم وبدائع الحكم العظام * صلى الله عليه وعلى آله وصحابته الكرام صلاة متتابعة مترادفة على ممر الشهور والاعوام وسلم تسليما ﴿وبعد﴾ فيقول العبد الفقير الضعيف الملتجىء الى مولاه القوي اللطيف ابراهيم بن مرعي بن عطية الشرخيتي الشافعي ستر الله عيوبه وغفر ذنوبه وبلغه في الدارين مطلوبه إن أولى ما أفنيت فيه نفائس الاعمار وصرفت اليه جواهر الافكار واستعملت فيه الاسماع والابصار حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. كانت الاربعون التي الفها ولي الله العلامة محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النواوي من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم المشتملة على أبلغ المعاني وأحكم المباني حتى وصف أكثرها بان عليه مدار الاسلام وابتناء الاحكام فلذا عن لي أن أكتب عليه شرحا متمثلا بقول القائل

أسير خلف ركاب النجب ذا عرج * مؤملا جبر ما لاقيت من عوج
فان لحقت بهم من بعد ما سبقوا * فكم لرب السما في الناس من فرج
وان ظلمت بقفر الارض منقطعا * فما على عرج في ذاك من حرج

جعله الله خالصا لوجهه الكريم محصلا للفوز بجنات النعيم ونفع به في الحياة وبعد الممات انه قريب مجيب الدعوات * وسميته ﴿الفتوحات الوهبية بشرح الاربعين النوويه﴾ ثم ان ينبغي أن ينبه على المصنف بالتعريف بذكر نسبه وبعض مآثره على وجه لطيف لانه كان علما بين اقرانه فريدا في عصره وأوانه * فنقول هو يحيى بن شرف الدين بن مري بضم الميم وكسر الراء كما وجد مضبوطا بخطه ابن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام بكسر الحاء المهملة وبالزاي المعجمة

الواعظ في الرقائق والواعظ وأرجو من الله تعالى ان يكون خالصا لوجهه الكريم وسببا للفوز بالنعيم الابدي المقيم فانه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير آمين ﴿ المجلس الاول في الحديث الاول ﴾ الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب على كل جارحة بما اجترحت المطلع على ضمائر القلوب اذا انجست الحسيب على الخواطر اذا اختلجت (ح) الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والارض تحركت او سكنت المحاسب على النقير والقطمير والقليل والكثير من الافعال وان خفيت المتفضل بقبول طاعات العبادات وان صغرت المتطول بالعفو عن معاصيهم وان كثرت وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له إله لا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الارضون والسموات وهو الى العبيد أقرب من حبل الوريد وهو على كل شيء شهيد وأشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي رفعت رتبته في سماء نبوته وأسرعت الخوارق الى جنابه حين دعاها لاظهار معجزته ودعا الناس الى الله سبحانه وتعالى فاستجابت الخلائق لدعوته وتوافقت القلوب على صدق محبته والتذ الخلق بسماع حديثه وأخباره الواردة عنه في غيبته شوقا الى رؤيته صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاما دائمين بدوام ملكه آمين ﴿ وبعد ﴾ فان أحسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار (قوله بسم الله الرحمن الرحيم) * عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما الاعمال بالنية وفي رواية بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى

الحزامي النواوي ثم الدمشقي والاروى نسبة للنوى والنسبة اليها بحذف الالف على الاصل ويجوز كتبها بالالف على العادة وقد أقام الشيخ بدمشق نحو اثنين وثمانية وعشرين سنة باستدن ابن المبارك بقول من قال من أقام بباد أربع سنين نسب اليها * ولد في العشر الاول من المحرم سنة احدى وثلاثين وستمائة وقيل في العشر الاوسط منه سنة ثلاثين وستمائة وهذا هو المعتمد ونوى قرية من قرى دمشق ونشأ بها وقرأ بها القرآن ولله در القائل حيث قال

لقيت بنوى يا نوي * ووقيت من ألم النوى * فلقد نشا بك عالم
لله أخلص ما نوى * وعلا علاه وفضله * فضل الحبوب على النوى

فلما بلغ سبع سنين وكانت ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان نام جنب والده فانتبه نحو نصف الليل وأيقظه وقال يا أبت ما هذا النور الذي قد ملأ الدار فاستيقظ أهله جميعا فلم يروا شيئا فعرف والده أنها ليلة القدر فلما بلغ عشر سنين وكان بنوى الشيخ يس بن يوسف المراكشي من أولياء الله تعالى فرأى الصبيان يكرهونه على اللعب معهم وهو يهرب منهم ويبكي لاكراههم ويقرأ القرآن في تلك الحال قال فرق لذلك محبته وحمله أبوه وكان يشتغل بالبيع والشراء عن القرآن قال الشيخ يس فاتيت الذي يقرئه القرآن فوصيته به وقلت له هذا الصبي يرجى ان يكون أعلم اهل زمانه وأزهدهم وينتفع الناس به فقال أمنجم أنت فقلت لا وانما انطقني الله الذي انطق كل شيء بذلك فذكر ذلك لوالده فحرص عليه الى ان ختم القرآن وقد ناهز الاحتلام فقال الشيخ فلما كان عمري تسع عشرة سنة قدم بي والدي الى دمشق سنة تسع وأربعين يعني وستمائة فسكنت المدرسة الرواحية وبقيت نحو سنتين لم أضع جنبي الى الارض وكان قوتي بها اجرابة المدرسة لا غير * قال بعضهم وكان يتصدق منها أيضا ومن قوته يقيته ملازمته لحلقة عظيمة في بيته بالرواحية ويراها كل ليلة تخرج اليه ويقدم لها البابا تاكله حتى ان بعضهم رآه في غفلة وهو يطعمها الاباب فقال له يا سيدي ما هذه وحاف فقال له هذه خلق من خلق الله لا تضر ولا تنفع أسألك بالله ان تكتم ما رأيت ولا تحدث أحدا * قال وحفظت التنبيه في أربعة أشهر ونصف وبقية المهذب في باقي السنة قال فلما كانت سنة احدى وخمسين حججت مع والدي وكانت الوقفة بالجمعة وكانت رحلتنا من أول رجب فقمت بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم نحو من شهر ونصف قال والده ولما توجهنا الى الرحبل من نوى اخذته الحمى الى يوم عرفة ولم يتجاوزه قط فلما عدنا الى نوى ونزل الى دمشق صب عليه العلم صبا قال الشيخ ومرضت بالمدرسة الرواحية فبينا أنا في بعض الليالي في الصفة الشرقية منها والدي واخوتي وجماعة من اقاربي نائمون الى جنبي اذ نشطني الله تعالى وعافاني من ألمي فاشتاقت نفسي الى الذكر فجعلت اسبح فبينما أنا كذلك بين النوم واليقظة اذا بشيخ حسن الصورة جميل المنظر يتوضأ على حافة البركة وقت نصف الليل او قريب منه فلما فرغ من وضوئه أتاني وقال لي يا ولدي لا تذكر الله تشوش على والدك واخوانك ومن في هذه المدرسة فقلت له يا شيخ من أنت فقال

دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها وفي رواية ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه وهو امام المحدثين أبو عبد الله محمد بن اسمعيل بن ابراهيم ابن المغيرة بن بردزبة البخاري الجعفي وأبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري رضي الله عنهما اللذين هما أصح الكتب الصنفة * اعلموا اخواني (ع) رفقني الله وإياكم لطاعته أن بسم الله الرحمن الرحيم كلمة من حققها بقلبه جزيل النوال ومن ذكرها بلغ نهاية الآمال ومن لازمها خلعت عليه خلع الاقبال ألبس قلبه جمال الاتصال وأفرد روحه بشهود الجمال واستخلص سره بكشف الجلال فهي كلمة توسل بها نوح عليه السلام في الزمن القديم وعادت بركتها على الهدهد فكفي تائها من الهيم العليم وقالت يا قيس يا أيها الملأ اني ألقي الى كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ولم يقرأها سليمان الا خضع له كل شيء وأمره الله عز وجل يوم أنزلت عليه ان ينادي في اسباط بني اسرائيل ألا من احب منكم ان يحضر امان الله فليحضر الى سليمان في محراب داود فانه يريد ان يقسم خطيبا فلم يبق محبوس في العبادة ولا سائح حتى هرول اليه حتى اجتمعت عليه الاحبار والعباد والزهاد والاسباط كلهم عنده فقام فرق منبر ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم ثم تلا عليه أمانة الامان بسم الرحمن الرحيم * قال النسفي رحمه الله قائما في تفسيره قيل ان الكتب المنزلة من السماء الى الارض مائة واربعة صحف شيث منها خمسون وصحف ابراهيم ثلاثون وصحف موسى قبل التوراة عشرة والتوراة والانجيل والزبور والفرقان ومعاني كل الكتب مجموعة في القرآن ومعاني القرآن مجموعة في الفاتحة ومعاني الفاتحة مجموعة في البسملة ومعاني البسملة مجموعة في بائها ومعناها بي كان ما كان وبي يكون ما يكون

أنا فاصبح للشارد عني فوقع في نفسي انه ابليس فقلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وبرفعت صوتي بالتسبيح فاعرض عني ومشى الى ناحية باب المدرسة فتبعته فوجدته مقفلا وفتشتها فلم أجد فيها أحدا غيره من كان فيها فقال والذي ما خبرك فاخبرته فجعلوا يتعجبون وقمنا كلنا نسبح ونذكر قال ابن العطار واخبرني الشيخ القدوة ولي الدين أبو الحسين قال مرضت فعادني الشيخ محيي الدين فلما جلس عندي جعل يتكلم في الصبر فلما تكلم بطل الالم بذهاب قليلا قليلا حتى زال فعرفت انه ببركته وكان شديدا الورع ولزمه صبيا براعي خشونة العيش حتى ان رجلا من أصحابنا قصد زيارة ليطعمه اياها فامتنع من أكلها وقال أخشى ان ترطب جسمي وتجلب النوم وكان لا يدخل الحمام وقلع ثوبه فقلاه بعض الطلبة وكان فيه قمل فنهاه وقال دعه وكان تاركا لجميع الملاذ الدنيا ولم يتزوج ولا يأكل في اليوم والليلة الا أكلة واحدة بعد العشاء ولا يؤتى به من عند أبويه ولا يشرب الا شربة واحدة عند السحر ولا يشرب البرد أي الذي فيه الثلج بل لا يجمع بين أدمين بل لا يأكل اللحم الا عند ما يتوجه الى نوى وكان يلبس ثوب قطن وعمامة سنجابية ولم يتناول فواكه دمشق اشبهة فيها قال ابن العطار فسألته عن ذلك فقال دمشق كثيرة الاوقاف وأملاك من هو تحت الحجر والتصرف وهي لا تجوز الا على وجه الغبطة والناس لا يفعلونها وقال الشيخ تقي الدين السبكي ما اجتمع بعد التابعين الجمع الذي اجتمع في النووي ووجد في مجموع بخط الشيخ شمس الدين النووي ان بواب الرواحية حكى وقال ذهب الشيخ في الليل فدبيته فانفتح الباب بغير مفتاح فخرج ومشيت معه مقطوعا فاذا نحن بمكة فاحرم الشيخ وطاف وسعى ثم طاف وسعى ثم طاف الى ثلث الليل ورجع فمشيت خلفه فاذا نحن بالرواحية * قال الذهبي وتولى مشيخة دار الحديث الاشرفية بعد موت ابن شامة سنة خمس وستين وفي البلد من هو اسن منه وأعلى سندا فلم يلتفتوا معلومهم اشبابا الى ان مات ولما مرض مرض الموت اشتهى التفاح فجيء له به فلما كلمه لما اشتراه بعض أهله فقال ما فعل الله بك فقال اكرم نزلي وتقبل عملي وأول إبرتي جاءني التفاح * وتوفي يوم الاربعاء رابع عشري رجب سنة ست وسبعين وستمائة ودفن ببلده طيب الله مضجعه وروي انه أنشد بيتا عند الوفاة منها هذا البيت وزيد ما بعدها

تباشر قلبي في قدومي عليهم * وبالسير روحي يوم تسري اليهم
وفي رحلتي بصفو مفاتحي وجهدا * مقام به حط الرحال لديهم
ولا زادني الا يقيني بانهم * لهم كرم يغني الوفود عليهم

واشتهر ان الخضر عليه السلام كان يجتمع به قال بعض الاخيار انه رأى فيما يرى النائم رؤيا كثيرة قال وسمعت نوبة تضرب فتعجبت من ذلك فقلت ما هذا فقيل لي الليلة قطب يحيى النووي فاستيقظت من منامي ولم أكن اعرف الشيخ ولا سمعت به قبل ذلك واتفق اني دخلت المدينة يعني في سياحة فذكرت ذلك لشخص فقال الشيخ في دار الحديث في الاشرفية وهو الآن جالس فيها للسماع فاستدللت عليها ودخلتها فوجدته جالسا فيها وحوله جماعة فوقع بصره علي فنهض

زاد بعضهم ومعاني الباء في نقطتها اي في ذلك اشارة الى الوحدة وهي عدم التعدد وهو الواحد الذي لا نظير له وعدد حروف البسملة الرسمية تسعة عشر حرفا وعدد خزنة النار تسعة عشر خازنا كما قال الله تعالى فيها تسعة عشر * قال ابن مسعود فمن اراد ان يجيبه الله تعالى من الزبانية فليقلها ليجعل الله لكل حرف جنة اي وقاية من (٥) كل واحد منهم فيتقوى بها

قائما الى جهة الجماعة ومشى الى طرفه ابوائها ولم يتركي اكله وقال اكتم ما رأيت ولا تحدث به احدا ثم رجع الى موضعه ولما لم ير رأيته قبلها ولا اجتمع به بعدها * وحكى اليافعي في آخر الحكاية الثانية والثلاثين من روض الرياحين فيما بينه ان الشيخ خطف سارق عمامته وهرب فتبعه الشيخ بعد وخلفه ويقول ملكتك اياها قل قبلت والسارق ما عنده خبر من ذلك وقد افتتح رحمه الله كتبه بقوله ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ اقتداء بالكتاب العزيز وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم كل امر ذي بال أي شان يهتم به شرعا لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر وفي رواية اقطع وفي رواية اجذم بالجيم والذال المعجمة وفي بعض الروايات بحمد الله وهو من التشبيه البليغ في الحذف ومعنى الجميع انه ناقص وقليل البركة أو مقطوع عنها وان توكل حسا فلا يرد ما قيل انا نرى كثيرا من الامور التي يبدأ فيها ببسم الله لم تتم ونرى امورا بالعكس وخرج بذي البال المحرم والمكروه * وفي وصف الامر بذي البال ﴿ثالثة الاثافي﴾ الاولى رعاية اسم الله حيث يبتدأ به في الامور التي لها بال وشان وخطر والثانية التيسير على الناس في عدم طلبها في محقرات الامور وأوردان البسملة أمر ذو بال فتحتاج الى سبق مثلها ويتسلسل * وأجيب بان المراد الامر الذي يقصد لذاته بحيث لا يكون وسيلة لغيره وأورد عليه طلبها في الوضوء مع انه غير مقصود لذاته بدون الصلاة مع كونها مقصودة لذاتها والاولى ان يقال انها كما تحصل البركة لغيرها تحصل من ذلك لنفسها ايضا كالشاة من اربعين تزكي نفسها وغيرها والباء للاستعانة متعلقة بمضمر يحتمل ان يكون اسما وان يكون فعلا عاما او خاصا مقدما او مؤخرا والاولى ان يكون فعلا وان يكون خاصا وان يكون مؤخرا اما اولوية الفعل فلان العمل للافعال بالاصالة واما اولوية كونه خاصا فلان التالي لها في كل محل يعين العامل المحذوف ولذا يضمر كل قارئ ما تجعل التسمية مبدأ له * قال الشيخ سعد الدين لاخفاء ان العامل المضمر هو الفعل العمومي والتسمية انما جعلت مبدأ للفعل الخصوصي في الكلام حذف فيه مضاف أي انظم ما جعلت التسمية مبدأ له اه أي فيضمر المسافر أسافر والآكل آكل وأما أولوية المؤخر فلان المقصود الاهم البداءة باسمه تعالى ردا على الكفار في ابتدائهم باسماء آلهتهم ولانه أدل على الاختصاص * وأورد على ان التقديم للاختصاص قوله تعالى اقرأ باسم ربك فانه لو كان التقديم مفيدا لذلك لوجب ان يؤخر الفعل ويقدم باسم ربك لان كلام الله تعالى أحق برعاية ما يجب رعايته * وأجيب بان الاهم فيه القراءة لانها أول ما نزل الى ما لم يعلم فكان الامر بالقراءة أهم باعتبار هذا العارض وان كان ذكر الله أهم في نفسه وبان باسم ربك متعلق باقرأ الثاني ومعنى اقرأ الاول أوجد القراءة من غير اعتبار تعديته الى مقروء كما في فلان يعطي والجواب الاول للزمخشري والثاني للسكاكي قال ابن عادل وفي الثاني نظر لان الظاهر على هذا الجواب ان يكون اقرأ الثاني توكيدا للاول فيكون قد فصل بمعمول المؤكد بينه وبين ما أكده مع الفصل بكلام طويل اه وأجيب عن ذلك بانه لا يمتنع الفصل بين المؤكد

استطاعوا (وقال ابو بكر الوراق) رحمه الله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم روضة من رياض الجنة لكل حرف منها تفسير على حدته وروى الطبراني انه لا يدخل احد الجنة الا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله تعالى لفلان بن فلان ادخلوه جنة عالية قطوفها دانية * وروي انه اذا دخل اهل الجنة الجنة يقولون بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين واذا دخل اهل النار النار يقولون بسم الله الرحمن الرحيم ما ظلمنا ربنا ولكن ظلمنا انفسنا (وفي الاخبار) عن النبي المختار انه صلى الله عليه وسلم قال ليلة اسري بي الى السماء عرض علي جميع الجنان فرايت فيها اربعة انهار نهر من ماء غير آسن ونهر من لبن لم يتغير طعمه ونهر من خمر لذة للشاربين ونهر من عسل مصفى كما قال الله تعالى في القرآن فيها انهار من ماء الآية * فقلت لجبريل من اين تجيء والى اين تذهب قال اذهب الى حوض الكوثر ولا ادري من اين نجيء فاسأل من الله ان يريك ذلك فقدما ربه فجاء ملك فسلم عليه ثم قال يا محمد غمض عينيك قال فغمضت عيني ثم قال لي افتح عينيك ففتحت عيني فاذا انا عند شجرة ورأيت قبة من درة بيضاء ولها باب من ذهب احمر وقيل من زمرد اخضر لو ان جميع ما في الدنيا من الجن والانس وقفوا على تلك القبة لكانوا امثل

حتى أرجع إلى على بجبل أو كوة ألقيت في البحر فرأيت هذه الأنهار الأربعة تجري من تحت هذه القبة فلما أردت أن أرجع قال لي الملك ألا تدخل القبة فقلت كيف أدخلها وعلى بابها أقفل من ذهب وكيف أفتحه قال لي في يدك مفتاحه فقلت أين مفتاحه قال مفتاحه بسم الله الرحمن الرحيم فلما دنوت من (٢) القبل قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانفتح القفل فدخلت القبة فرأيت هذه الأنهار تخرج من أربعة أركان القبة فلما أردت الخروج من القبة قال لي ذلك الملك هل رأيت يا محمد فقلت رأيت قال انظر ثانيا فلما نظرت رأيت مكتوبا على أربعة أركان القبة بسم الله الرحمن الرحيم ورأيت نهر الماء يجري من ميم بسم الله ونهر اللبن يجري من ها الله ونهر الخمر يجري من ميم الرحمن ونهر العسل يجري من ميم الرحيم فقلت ان اصل هذه الأنهار الاربعة من البسملة فقال الله تعالى يا محمد من ذكرني بهذه الاسماء من أمتك وقال بقلب خالص بسم الله الرحمن الرحيم سقيته من هذه الأنهار الأربعة * ومن فوائدها ايضا ان بسم كلمات والذنوب اربعة ذنوب بالليل وذنوب بالنهار وذنوب بالسر وذنوب بالعلانية فمن ذكرها على الاخلاص واصفاء غفر الله تعالى له الذنوب اجمعها وقضائها كثيرة أوردتها بمجلس مستقل في كتاب تحفة الاخوان وفي هذا القدر كفاية (وقال بعضهم) مدار الاسلام على حديث انما الاعمال بالنيات وحديث الحلال بين والحرام بين * وحديث من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد * وحديث من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه فكل واحد منها ربع الاسلام (وقال بعضهم) لو صنفت مائة كتاب لبدأت في أول كل كتاب بهذا الحديث أي انما الاعمال بالنيات وهو حديث عظيم كان السلف الصالح يحبون افتتاح مصنفاتهم به تنبيها للطالب على حسن النية واهتمامه بذلك

والمؤكد لو جيء بالآخر بان قيل كالذي تركيبا لتوهم أن قيدا كالذي لا يحسن فيه الفصل يقال بل يحسن فيه الفصل ليتبين ويتحقق في هذا الجواب بان التأكيد تابع متبوع وما نحن فيه لفظي ومعنوي فجاز في الأول الفصل دون الثاني لانه لما كان التأكيد اللفظي موافقا للأول في لفظه ومعناه فالفصل بينهما كالفصل بين أجزاء الكلمة ولا كذلك المعنوي وبان الثاني لا يصلح ان يكون توكيدا لان الأول عام والثاني خاص اذ الأول أمر بايجاد القراءة مطلقا والثاني بقراءة مقيدة ونظيره الذي خلق خلق الانسان من علق وكسرت الباء من حق الحروف المفردة أن تفتح قال البيضاوي لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر اه قال بعضهم مبنيا للتعليل الذكور لاختصاصها من بين حروف الجر بمجموع أمرين كونها لازمة للحرفية وكونها لازمة للجر لا توجد بهذين في كل منهما مناسبة للكسر أما الجر فلمشاركة الياء وأما الحرفية فلاقتضاء ها السكون الذي هو عدم الحركة وكون الكسر بمنزلة العدم لقلته حيث لا يوجد في الافعال ولا في غير المتصرف من الاسماء ولا في الحروف الا نادرا كجير وانما جعلنا المقتضي للعدول الى الكسر اختصاصها بمجموع الامرين ولم يجعل كل واحد منهما مقتضيا على حدته لئلا ينتقض لزوم الحرفية واو العطف وفائه فانهما لازمان للحرفية ولزوم الجر بكاف التشبيه اذهي لازمة وان انفكت عن الحرفية * فان قيل فكل من واو القسم وتاء لازم للحرفية وأحدهما ليس مبنيا على الكسر فلينتقض بهما * أجيب بان هذه ليست علة حقيقية وانما هي مناسبات وحكم لا يلزم اطرادها ولا انعكاسها وقال بعضهم ان عملهم لم يكن بطريق الاصالة بل بطريق النيابة عن الباء لحملهما عليها وحذفت الالف من بسم الله لكثرة الاستعمال ولئلا تحذف من اقرأ باسم ربك وغيره وطولت الباء عوضا عنها ولانهم أرادوا أن لا يفتتح كلام الله تعالى الا بحرف معظم مطول * والاسم عند البصريين من أصله سمو بضم أوله او بكسره فهو من الاسماء التي حذفت اواخرها لكثرة الاستعمال وبنيت او ائلها على السكون وادخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل لان من رأيهم أن يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن واشتقاقه من السمو أي بضم السين وكسرها وهو العلو وأما عند الكوفيين فاصله وسم بفتح الواو وحذفت الواو وعوض عنها همزة الوصل واشتقاقه عندهم من السمة وهي العلامة ورأيه مذهب البصريين بان الحذف من الاواخر اولى قال ابو العباس بن عطاء الباء بره للابرار وباح أنبيائه بالمام الرسالة والنبوة والسين سره بين أهل المعرفة بالمام القدرة والانس والميم منته على المؤمنين بدوام النظر اليهم بعين الشفقة والرحمة وقال ابو بكر بن طاهر الباء بره للعارفين والسين سلامه عليهم والميم محبته لهم وقال جعفر بن محمد الباء بهاؤه والسين سناؤه والميم ملكه واضافته للجلالة من اضافة العام للخاص والله علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد وأصله عند البصريين إله فدخلت عليه أل فاجتمع همزتان بينهما ساكن غير حصين وهو اللام فصار كانه اجتمع همزتان فحذفت الثانية ونقلت حركتها اللام الساكنة قبلها فاجتمع لامان متحركان فاسكنت الاولى لانه حقها وادغمت في الثانية وفخم

ولانها من اجل اعمال القلوب والطاعة المتعلقة بها وعليها مدارها (وقال ابو عبيدة) ليس شيء من اخبار النبي صلى الله عليه وسلم اجمع واغنى واكثر فائدة من هذا الحديث * وقيل الكلام عليه تكلم على نكبة تتعلق بترجمة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فانه سمع هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم * فنقول ليس في الصحابة من (٧) اسمه عمر بن الخطاب الا هو وهو

وانما لم تحذف الهمزة الاولى لانها مجتلبة لسكون اللام وعند الكوفيين لا تدخل عليها الالف واللام وأدغم وتم وأصل لاه لو تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت الفا وهي أعرف المعارف * وحكى ابن جني أن سيبويه روى بعضهم وته في اللهم فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر الله لي بذكري اياه ذكرا كراهة عظيمة فقيل له انهم يقولون ان اسم الله تعالى اعرف المعارف وهو يقيد قول النحاة أعرف المعارف الضمير والمختار انه ليس بمشتق وروى الخليل بن أحمد بعد موته فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي بقولي في اسمه انه غير مشتق وقيل انه مشتق من آله يأله كعلم يعلم اذا تحير وقيل اذا تحير لان العقول تتحير في معرفته وفي عظمته وقيل غير ذلك قال بعضهم وحيث ذكر الاشتقاق في اسماء الله فالمراد به ان المعنى ملحوظ في ذلك الاسم والا فشرط المشتق أن يكون مسبوقا بالمشتق منه واسماء الله تعالى قديمة لانها من كلامه على أن الاختلاف انما هو في لفظة الله لا في الجلالة والرحمن الرحيم صفتان مشبهتان بنيتا للمبالغة وفعله رحم بالكسر كغضبان من غضب وهو متعد كرحمك الله والصفة المشبهة انما تبنى من اللازم كطريف وشريف من ظرف وشرف لتنزيل رحم المتعدي منزلة اللازم أو بجعله لازما بنقله الى فعل بالضم والفرق بين ما نزل منزلة اللازم وبين ما جعل لازما ان الاول مقيد المفعول لكن بقطع النظر عن مفعوله لفظا وتقديرا كفلان يعطي ومنه قوله تعالى واذا رأيت ثم رأيت نعيما فرأيت الاول لازم أي أوجدت الرؤية بخلاف ما يجعل لازما فانه يصير غير متعد ولا مفعول له أصلا والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والاحسان وهذا المعنى محال في حقه تعالى فهي في حقه بمعنى الانعام أو ارادته فهي صفة فعل على الاول وصفة ذات على الثاني والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطع بتخفيف احدهما وتشديد الآخر وذلك انما يؤخذ تارة باعتبار الكمية أي الافراد وأخرى باعتبار الكيفية أي الصفات ففي الاول قيل يا رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لانه يخص المؤمن وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها جسام وأما النعم الدنيوية فجليلة ودقيقة ونقض كون زيادة البناء دالة على زيادة المعنى بحذر فانه أبلغ من حاذر * وأجيب بان ذلك اكثري لا كلي وبان ذلك عند اتحاد نوع المشتقات قال الزمخشري ومما طعن على اذقى انهم يسمعون مركبا من حروفهم بالشقدف وهو مركب خفيف ليس فيه ثقل فجاء اهل العراق فقلت في طريق الطائف لرجل منهم ما اسم هذا الجمل اردت الجمل العراقي فقال أليس اسمه الشقدف * قلت بلى قال فهذا اسمه الشقداف فزادوا في بنائه الاسم لزيادة المسمى وانما قدم الرحمن والقياس يقتضي الترقي لتقدم رحمة الدنيا لانه صار كالعلم فلا يوصف به غيره تعالى بل قيل انه علم وأما قول الشاعر * وانت غيث الورى لا زلت رحمانا فاجاب عنه الزمخشري بان ذلك من شدة تمنتهم في كفرهم * قال التاج السبكي وهو غير سديد لانه لا يفيد جوابا بل ذكر السبب الحامل لهم على الاطلاق * والجواب السديد ان المختص به تعالى هو المعرف باللام دون غيره * ﴿ تنبيهات * الاول ﴾ قال أبو بكر

أول من سمي بامير المؤمنين عدي بن حاتم وليد بن ربيعة حين وفد اليه من العراق وقيل سماه بذلك المغيرة بن شعبة وقيل انه رضي الله تعالى عنه قال للناس انتم المؤمنون وانا اميركم فسمي بامير المؤمنين وكان قبل ذلك يقال له يا خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قصروا عن تلك العبارة لطولها وكناه النبي صلى الله عليه وسلم بابي حفص والحفص الاسد * وكان سبب ذلك ما رآه فيه من الشدة كما رواه زيد بن اسلم عن ابيه انه قال رايت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمسك اذن فرسه باحدى يديه ويمسك بالاخرى اذنه ثم يثب حتى يعتدل عليه وكان مولده رضي الله عنه بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة وعاش ثلثا وستين سنة (قال عبد الله ابن مسعود) ما كنا نقدر على ان نصلي عند الكعبة حتى اسلم عمر بن الخطاب

فلما اسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه وكان سبب اسلامه ان اخته بنت الخطاب رضي الله عنها زوجة سعيد بن زيد احد العشرة كانت قد اسلمت هي وزوجها فسمع عمر بذلك فقصدها فلما قرأت عليه القرآن فوقع الله في قلبه الاسلام فاسلم ثم جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار عند الصفا فاظهر اسلامه فكبر المسلمون فرحا باسلامه ثم خرج الى مجامع قريش فنادي باسلامه (قال عبد الله بن مسعود) كان اسلام عمر فتحا وهجرته

نصرا و أمارته رحمة المسلمين و لقبا بالفاروق أيضا لقول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه وهو الفاروق فرق بين الحق والباطل وكان من أشراف قريش في الجاهلية والاسلام وبه أعز الله الاسلام لقول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم أعز الاسلام بأحب الرجلين (٨) اليك عمر بن الخطاب او عمرو بن هشام يعني أبا جهل وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها وكان شديدا على الكافرين والمنافقين وهو أحد العشرة الذين شهد لهم بالجنة وأحد الخلفاء الراشدين وأحد أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد كبراء علماء الصحابة روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة وتسعة وثلاثون حديثا وأجمعوا على كثرة علمه ووفور عقله وفهمه وزهده وتواضعه ورفقه بالمسلمين وانصافه ووقوفه مع الحق وتعظيمه آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته وجلالته له واهتمامه بمصالح المسلمين واكرامه أهل الفضل والخير ومناقبه كثيرة منها قصة سارية الجبل المشهورة * ومنها ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال اتت زلزلة عظيمة في زمن عمر حتى كادت الجبال ان تقع على وجه الارض وذلك عقب الفصل الذي يسمونه فصل عموا س فضرب عمر الارض بدرته وقال لها اسكني اذا عدل ان لم اكن اذا عدلا فويل لعمر فسكنت ولم يات بعدها مثلها * ومنها انه كتب لنيل مصر لما كتب اليه عمرو بن العاص ان الى النيل لا يزيد زيادته المعتادة الا ان تلقي فيه امرأة بكرا مرة أن يلقي فيه كتابه بدل المرأة ومن جملة ما هو مكتوب فيه انك ان كنت تطلع من عند الله فاطلع وان كنت تطلع من عند نفسك فلا حاجة لنا بك فطلع ولم تلق فيه بعد ذلك امرأة * ومنها ما فاته ابن عباس رضي الله عنهما ايضا كانت تاتي نار كل عام الى المدينة الشريفة فشكا المسلمون ذلك

ابن عبد الله المزني الرحمن بهم الذي امن المال والاهل والولد والرحيم بهم الذي من المعرفة والايمان والشهادة وقال جعفر بن محمد الصادق الرحمن للمرادين والرحيم للمريدين وقيل الرحمن بنعمه الباطنة والرحيم بنعمه الظاهرة وقيل الرحمن بالدفع والرحيم بالنفع الثاني نقل الدماميني في حاشية البخاري عن بعض المتاخرين أنه قال صفات الله تعالى على صيغة المبالغة كرحيم وغفور كلها مجاز اذ هي موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها لان المبالغة هي ان تثبت الشيء اكثر مما له وانما يكون ذلك فيما يقبل الزيادة والنقص وصفاته تعالى منزهة عن ذلك قال وهي فائدة حسنة اه ولا شك ان هذا انما يتاتى تفريعا على ان هذه الاسماء صفات فان قلنا انها اعلام فلا يرد ذلك لان العلم لا يقصد منه الا الاصل من مبالغة ولا غيرها الثالث الرحمن الرحيم فيهما سبعة أوجه جائزة رفعهما ونصبهما وخفضهما ورفع الاول مع نصب الثاني وعكسه وخفض الاول مع رفع الثاني او نصبه ووجهان ممتنعان رفع الاول ونصبه مع خفض الثاني لامتناع الاتباع سد القطع ﴿فائدة﴾ روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لمن قال تعس الشيطان لا تقل ذلك فانه يتعاظم عنده ولكن قل بسم الله الرحمن الرحيم فانه يصغر حتى يصير أقل من الذباب وروي ان موسى عليه الصلاة والسلام مرض واشتد وجع بطنه فشكا الى الله تعالى فدله على عشب في المفازة فاكله فبرئ باذن الله ثم عاوده ذلك المرض في وقت آخر فاكل ذلك العشب فازداد مرضه فكلم ربه فقال يا رب أكلته أولا فانتفعت به واكلته ثانيا فاضرني فقال له لانك في المرة الاولى ذهبت مني الى الكلا لتحصل له الشفاء وفي المرة الثانية ذهبت مني الى الكلا أما علمت ان الدنيا سم قاتل وتريانها اسمي ﴿الحمد لله﴾ مصدر حمد وهو لغة الوصف بالجميل على الفعل الجميل الاختياري على وجه التعظيم سواء كان في مقابلة نعمة أولا وسواء تعلق بالفضائل اي الصفات التي لا يتعدى أثرها للغير كالعلم والشجاعة أم بالفواضل أي الصفات المتعدي أثرها اليه كالانعام والتعظيم والشجاعة عرفت من قولنا الوصف انه لا يكون الا بالكلام لان الوصف قول الواصف فهو رده اي محله خاص ومتعلقه اي السبب الباعث اليه عام ولا حاجة لزيادة على وجه التعظيم لان من أثنيت عليه بجميل صفاته فقد عظمته ولا حجة في قوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم لخروج ذلك بالجميل اذ لم تكن صفة الكافر اذ ذاك العز والكرم بل ضدهما وهو الذل والاهانة * وأورد على قيد الاختياري وصفه تعالى بصفاته الذاتية كالعلم والقدرة والارادة لان تلك الصفات ليست بافعال ولا بوصف ثبوتها بالاختيار * وأجيب بانها لما كانت مبدأ لافعال اختيارية كان الحمد عليها باعتبار تلك الافعال * وأما الحمد عرفا فهو فعل ينبيء عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما سواء كان ذلك الفعل قولا باللسان بان يثني عليه به او اعتقادا بالقلب بان يعتقد اتصافه بصفات الكمال او عملا وخدمة بالاركان والجوارح بان يجتهد نفسه في طاعته فمورده عام وهو اللسان وغيره ومتعلقه خاص وهو النعمة وهذا هو الشكر لغة وأما اصطلاحا فهو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من السمع والبصر وغيرهما الى ما خلق لاجله من الطاعات كان يصرف البصر

لسيدنا عمر فقال لغلامه خذ هذا الرداء فاذا جاءت النار فاردده فيّ وجبهك وقيل يا نار هذا رداء عمر بن الخطاب فهي ترجع لرقتها فلما جاءت النار ضجت المسلمون فأخذ الغلام الرداء وخرج به الى ظاهر المدينة وفرده على وجهه كما أمره سيده وقال يا نار ارجعي هذا رداء عمر بن الخطاب فرجعت في الحال ولم تحد ومناقبه (٩) لا تحصى وفضائله لا تستقصى رضي

الى الاطلاع على ما في مصنوعاته من دقائق الصنع العجيب والحكمة الانيقة ويصرف اللب الى التفكر فيها والاستدلال بها على وجود الصانع وصفاته بان يستدل بوجود الاثر على وجود المؤثر وباتقان الاثر وإحكامه على علم المؤثر وقدرته وكان يصرف السمع الى تلقي ما ينبغي عن مرضاته من الاوامر والنواهي وقس على ذلك سائر النعم الظاهرة والباطنة ولعزة هذا المقام قال تعالى وقليل من عبادي الشكور وأل في الحمد للاستغراق وقيل للجنس * وحكى عن الشيخ أبي العباس المرسي نفعنا الله به أنه قال قلت لابن النحاس النحوي ما تقول في الالف واللام من الحمد لله أجنسية هي أم عهدية فقال ياسيدي قالوا انها جنسية فقلت له الذي أقول انها عهدية وذلك ان الله تعالى لما علم عجز خلقه عن كنه حمده حمد نفسه بنفسه من الازل نيابة عن خلقه قبل أن يحمدوه ثم أمرهم أن يحمدوه بذلك الحمد فقال ياسيدي أشهدك أنها عهدية وهو معنى حسن وقدم الحمد على الجلالة لاقتضاء المقام مزيد اهتمام به وان كان ذكر الله أهم في نفسه كما مر في اقرأ باسم ربك واختار المصنف الجملة الاسمية لانها مفتتح الكتاب العزيز ولانها تدل على الدوام والثبوت * فان قيل حمد العباد حادث والله تعالى قديم ولا يجوز قيام الحادث بالقديم فما معنى حمد العباد لله تعالى * فالجواب ان المراد به تعلق الحمد ولا يلزم من التعلق القيام كتعلق العلم بالمعلوم وجمع بين الابتداء بالبسملة والحمدلة عملا بالروايتين السابقتين واشارة الى انه لا تعارض بينهما اذ الابتداء حقيقي واضافي فالحقيقي حصل بالبسملة والاضافي بالحمدلة وقدم البسملة عملا بالكتاب والاجماع ﴿ تنبيهات * الاول ﴾ اختلف في الفاضل من الحمد فقيل الحمد لله بجميع محامده كلها ما علمت منها وما لم أعلم على جميع نعمه كلها ما علمت منها وما لم أعلم زاد بعضهم عدد خلقه كلهم ما علمت منهم وما لم أعلم وقيل اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقيل الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافيء مزيده وفي رواية الحمد لله رب العالمين حمدا يوافي نعمه وقيل ليس كمثله شيء ويبتني على ذلك فرع وهو ما اذا حلف المكلف ليحمدن الله بافضل المحامد ومن أراد أن يخرج من الخلاف فليحمدن الله بجميعها وسياتي في الحديث الثالث والعشرين شيء من هذا أيضا ولو حلف ليثنين على الله أحسن الثناء يقول لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وزاد بعضهم لك الحمد حتى ترضى * الثاني قال ابن ناجي الحمد لله ثمانية أحرف وأبواب الجنة ثمانية فمن قالها فتحت له أبواب الجنة الثمانية الثالث قال ابن عطية اختلف العلماء هل الافضل قول العبد الحمد لله رب العالمين أو قوله لا إله إلا الله فذهبت طائفة الى الاول لان في ضمنه التوحيد ففي قوله الحمد لله توحيد وحمد وفي قوله لا إله إلا الله توحيد فقط واحتجوا بما روى من حديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال لا إله الا الله كتب له عشرون حسنة وحط عنه عشرون سيئة ومن قال الحمد لله رب العالمين كتب له ثلاثون حسنة وحط عنه ثلاثون سيئة وذهبت طائفة الى الثاني لانها تنفي الكفر وعليها يقاتل الخلق واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم

الله عنه (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول) اي سمعت كلامه لان الذات لا تسمع (انما الاعمال بالنيات) قال جماهير العلماء لفظة انما موضوعة للحصر تثبت المذكور وتنفي ما سواه فتقدير الحديث ان الاعمال انما تحسب اذا كانت بنية ولا تحسب اذا كانت بغير نية فلا عمل الا بالنية فقوله انما الاعمال أي الشرعية البدنية أقولها وأفعالها الصادرة من المؤمنين بالنيات جمع النية وان كانت مصدرا قصد النوع اذ المصدر لا يجمع الا باعتبار الانواع وهنا لما قابلت الاعمال وكان كل عمل له نية جمعت باعتبار عمل العاملين ومقاصد الناوين ومعناها لغة القصد وشرعا قصد الشيء مقترنا بفعله فان تراخى عنه سمي عزما والكلام على أحكامها مبسوط في كتب الفقه ثم اعلم ان الحصر فيها ذكر أكثري لا كلي اذ قد يصح العمل بلا نية كالاذان والقراءة

﴿ ٢ - شيخنا ﴾ كما يصح ترك العمل بدونها كترك الزنا وان افتقر حصول الثواب فيه الى النية بان يقصد ترك الزنا امتثالا للشرع وإزالة النجاسة من قبيل الترك والعلماء في هذا المحل كلام طويل وانما غرضنا الفائدة والتقريب للافهام (قوله صلى الله عليه وسلم وانما لكل امرىء ما نوى) أي جزاؤه ان خيرا فخير وان شرا فشر فنية المؤمن خير من عمله واخلاص النية لله تعالى لم يزل شرعا عاما لمن قبلنا ثم لنا من بعدهم قال الله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا * قال أبو العالية

وصامهم بالاخلاص لله تعالى وعبادته لا شريك له وينبغي ان اراد فعل شيء من الطاعات أن يستحضر النية فينوي بوجه الله تعالى فالنية رأس الاعمال كلها وهي الاساس وعلى الاساس قواعد البنيان فمن فتح على نفسه بابا حسنة فتح الله عليه سبعين بابا الى التوفيق ومن فتح على نفسه باب سيئة فتح الله عليه سبعين بابا الى الخذلان فباب الحسنة من حسن النية وباب السيئة من سوء النية فاذا نوى العبد خيرا أثيب عليه وان لم يفعله كما في مسند أبي يعلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى للحفظة يوم القيامة اكتبوا لعبدي كذا وكذا من الاجر فيقولون يا ربنا لم نحفظ ذلك ولا هو في صحيفته فيقول الله تعالى انه نواه * وحكي عن أخوين كان أحدهما عابدا والآخر مسرفا على نفسه وكان العابد يتمنى ان يرى ابليس قال فظهر له ابليس يوما وقال له وا أسفاه عليك ضيعت عمرك اربعين سنة في حصر نفسك وانعاب بدنك وقد بقي من عمرك مثل ما مضى فاطلق نفسك في شهواتها فقال العابد في نفسه لعلي أنزل الى اخي في اسفل الدار وأوافقه على الاكل والشرب واللذات عشرين سنة ثم اتوب وأعبد الله في العشرين التي تبقى من عمري فنزل على نية ذلك وأما أخوه المسرف فانه استيقظ من سكره فوجد نفسه في حالة رديئة قد دال على ثيابه وهو مطروح على التراب وفي الظلام فقال في نفسه قد افنيت عمري في المعاصي واخي يتلذذ بطاعة الله تعالى ومناجاته فيدخل الجنة بطاعته وانا بالمعاصي ادخل النار ثم عقد التوبة ونوى الخير والعبادة وطلع يوافق أخاه على عبادة الله تعالى فطلع على نية الطاعة ونزل اخوه على نية المعصية فزلت رجله فسقط على اخيه فوقعا ميتين فحشر العابد على نية المعصية وحشر العاصي على نية التوبة والطاعة فينبغي للعبد

مفتاح الجنة لا اله الا الله قال ابن عطية بعد ان اختار هذا واحتكم بذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم افضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك له (رب) يحتمل معاني ثلاثة الاول كونه اسم فاعل وأصله رابب أدغمت احدى الباءين في الاخرى وحذفت ألفه لكثرة الاستعمال ورد خلاف الاصل الثاني صفة مشبهة واصله رب على وزن فعل الثالث كونه مصدرا بمعنى أصل التربية وهي تبليغ الشيء شيأ فشيأ الى الحد الذي اراده المربي ثم سمي به السيد المطاع ومنه قوله تعالى اذكرني عند ربك أي عند سيدك والمعبود ومنه ربنا الله والمالك ومنه قوله تعالى رب السموات والارض وقوله صلى الله عليه وسلم لرجل أرب ابل أنت أم رب غنم فقال من كل آتاني الله فاكثر وأطيب وقول صفوان لابي سفيان لان يربني رجل من قريش أحب الي من ان يربني رجل من هوازن والمعبود ومنه قول الشاعر

أرب يبول الثعلبان برأسه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب

والثابت ومنه قولهم رب بالمكان وأرب به أي اقام والمربي ومنهم الربانيون سموا بذلك لتمسكهم بالرب اولانهم يربون المتعلمين بصغار العلم قبل كباره أي بالتدريج ولما مات ابن عباس قال محمد بن الحنفية مات رباني هذه الامة والمصلح ومنه الحديث ألك نعمة تربيها أي تصلحها وقيل سمي الربانيون بذلك لقيامهم بالكتب واصلاحهم لها ويصح اطلاقه بالمعاني الخمسة على الله تعالى الا انه بالثلاثة الاول من صفات الذات وبالباقي من صفات الفعل ويطلق على الصاحب ومنه قوله تعالى حكاية عن سيدنا يوسف انه ربي أحسن مثواي وذكر الحسن بن الفضل ان في الرب قولا شاذا وهو ان الرب بمعنى الثابت من قولهم رب بالمكان وأرب به وأرب به وفي الحديث أنه كان يعوذ بالله من فقر مرب أو مرب قال * رب بارض ما خطاها غنم * واعلم ان وجوه تربيته تعالى لخلقه لا يحيط بها غيره سبحانه وتعالى فمنها تربيته النطفة اذا وقعت في الرحم حتى تصير علقة ثم تصير مضغة ثم يصير منها عظاما وغضاضير ورباطات وأوتارا وأوردة وشرايين ثم يتصل بعضها ببعض ثم يصير في كل قوة خاصة كالبصر والسمع والنطق كذا في ابن حجر وقوله غضاضير بالضاد المعجمة جمع غضروف وهو أين من العظم وأصلب من غيره أي سائر الاعضاء ومنفعته ايصال العظام بالاعضاء اللينة لئلا يعاذي اللين بجاورة الصلب بلا واسطة ويليه العصب وهو جسم أبيض لدن اين صعب الانفصال لدنه سهل الانعطاف لينه ومنفعته اتمام الحس والحركة للاعضاء والرباطات جمع رباط وهو جسم يشبه العصب لا حس له والاوتار جمع وتر وهو جسم ينبت من اطراف اللحم شبه المفصل وعبارة القانون شبه العصب يصل بين العظام اذ لا يمكن اتصالها بالعصب للطفه وصلابتها ولا بهم الرباط لعدم زيادة حجمه بزيادة تبلغ ذلك والاوردة جمع وريد وهي العروق غير الضوارب ونباتها من الكبد ومنفعتها توزيع الدم على الاعضاء والشرايين جمع شريان بكسر المعجمة وسكون الراء وتحتية ونباتها من القلب ومنفعتها ترويح القلب ونفض البخار عنه وهي العروق

ان يحسن نيته * وقد حكى أيضا ان العبد يؤتى به يوم القيامة ومعه حسنات كامثال الجبال فينادى منادٍ من كان له عند فلان حق فليأت له وليأخذ حقه منه فيأتي الناس فيأخذون حسناته حتى لم يبق له حسنة فيبقى حيران فيقول الله تعالى له عبدي ان لك عندي كنزا لم يطلع عليه أحد من خلقي فيقول يارب وما هو فيقول تيك التي كنت تنوي بها الخير كنيتها لك عندي سبعين ضعفا * وحكى ايضا أنه يؤتى بالعبد يوم القيامة فيدفع له كتاب فيأخذه بيمينه فيجد فيه حسنا وجهادا وصدقة ما فعلها فيقول يارب ليس هذا كتابي فاني ما فعلت شيئا من ذلك فيقول الله تعالى هذا كتابك لانك عشت عمرا طويلا وأنت تقول لو كان لي مال حج حججت منه لو كان لي مال تصدقت منه فعرفت ذلك من صدق نيتك وأعطيت ثواب ذلك كله * فيا اخواني من نوى شيئا حصل له فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم نية المؤمن خير من عمله * يقال انه ورد عن سبب وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم وعد بثواب على حفر بئر فنوى عثمان رضي الله عنه ان يحفرها فسبق اليها كافر فحفرها فقال النبي صلى الله عليه وسلم نية المؤمن يعني عثمان خير من عمله يعني الكافر ويقال ان النية المجردة من المؤمن خير من عمله المجرد عن النية

العروق الضوارب اه ملخصا من شرح النقاية للجلال السيوطي ويختص الحي بال دون المضاف بالله تعالى وقول الجاهلية للملك من الناس الرب من كفرهم قال القرطبي في تفسير سورة الفاتحة متى دخلت الالف واللام على رب اختص بالله تعالى لانها للعهد وان حذفتا صار مشتركا بين الله تعالى وبين عباده اه وهو مخالف لقول البيضاوي ولا يطلق على غيره الا مقيدا كقوله ارجع الى ربك فان قضية الاول أن الممنوع منه انما هو المعرف فقط وأما المنكر فلا مانع منه وان لم يكن مقيدا وقضية الثاني منع المنكر أيضا حيث لم يقيد وهو الذي يصار اليه قال بعضهم وفي الفطرب خصوصية لا توجد في غيره من اسمائه تعالى وهي انك اذا قرأته طردا كان من اسماء الله تعالى واذا قلبته كان من اسمائه تعالى وهو بر بفتح الباء بمعنى محسن ﴿العالمين﴾ جمع عالم بفتح اللام اسم لما يعلم به غيره وهو مشتق من العلم فيختص بذوي ما يأتي أو العلامة لانه علامة على موجده وانه متصف بصفات الكمال وانما جمع لتحقق شموله لكل جنس مما سمي به * واختلف في العالمين فقال قتادة والحسن ومجاهد هم جميع المخلوقات وقال الفراء وأبو عبيدة هم عبارة عما يعقل وهم أربع امم الانس والجن والملائكة والشياطين ولا يقال للبهائم عالم وقال مقاتل هم ثمانون الف عالم نصفها في البر ونصفها في البحر وقال الضحاك ثمانية وستون عالما يابسون الثياب وقال ابن المسيب لله عز وجل الف عالم سبعمائة في البحر وأربعمائة في البر وقال وهب ثمانية عشر الف عالم الدنيا عالم منها وما العمران في الخراب الا كفسطاط ضرب في الصحراء وقال أبو سعيد الخدري ان لله تعالى اربعين الف عالم الدنيا من شرقها الى غربها عالم واحد ونقل أيضا عن أبي أنه قال العالمين هم الملائكة وهم ثمانية عشر الف ملك منهم أربعة آلاف وخمسمائة ملك بالمشرق وأربعة آلاف وخمسمائة ملك بالمغرب وأربعة آلاف وخمسمائة بالكنف الثالث من الدنيا وأربعة آلاف وخمسمائة بالكنف الرابع من الدنيا مع كل ملك من الاعوان ما لا يعلم عددهم الا الله تعالى ومن ورائهم أرض بيضاء كالرخام عرضها مسيرة الشمس أربعين يوما طولها لا يعلمه الا الله تعالى مملوءة ملائكة يقال لهم الروحانيون لهم زجل بالتسبيح والتهليل لو كشف عن صوت أحدهم لهلك أهل الارض من هول صوته منتهاهم الى حملة العرش وقال معاذ النحوي هم بنو آدم فقط وقال أبو الهيثم خالد بن يزيدهم الجن والانس لقوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا ورواه ابن جبير عن ابن عباس وقال أبو عمرو بن العلاء هم الروحانيون وهو معنى قول ابن عباس كل ذي روح دب على وجه الارض لكن قال الشارح الهيتمي تخصيصه بذي الروح أو بالناس أو بالثقلين والملائكة أو بالثلاثة مع الشياطين أو ببني آدم أو باهل الجنة والنار أو بالروحانيين يحتاج لدليل وقال كعب الاحبار لا يحصى عدد العالمين أحد الا الله سبحانه وتعالى قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وأل في العالمين للاستغراق ومنع ابن مالك كون العالمين جمعا لعالم وقال لي هو اسم جمع له لانه لا يلزم أن المفرد أعم من جمعه لاختصاص العالمين بالعقلاء وشمول العالم لهم ولغيرهم فهو نظير قول سيبويه ليس اعراب لكونه لا يطلق الا على البشر جمعا

* وذكر بعضهم ان العمل بالنية تحته فردان عمل ونية فالقصد وقع لاحد الفردين لان في كل منهما أجرا وأجر النية أكثر من اجر العمل الواقع بلا نية * وقال بعضهم ان نية المؤمن تبلغ الى حيث لا يبلغ العمل لان نيته ان يعيد الله تعالى ولو عاش الف سنة وعمله لا يبلغ ذلك وهذا الحديث رواه الطبراني في المعجم (قوله صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته الى الله ورسوله) أي نية وقصدا (فهجرته الى الله ورسوله) حكما وشرعا (قوله ومن كانت هجرته الى دنيا) بضم الدال وبالقصر بلا

تنوين هي هذه الدار التي نحن فيها سميت بذلك لدنائها وسبقها الآخرة فهي دار الهموم والاحزان والاكدار والتعب والنصب
ترفع الجاهل وتضع العالم كما قال بعضهم منيت على الدنيا فرقة جاهل * ومنقصة لا بد عنها استحقرا
بنو الجهل أبنائي لهذا رفعتهم * (٢٢) وأهل التقى أبناء شرقي الاخرى أترك الاولى يمرون ضيما * وارضى لها ذلا لدار الآخرة
وفي حقيقة الدنيا قولان للمتكلمين أحدهما ما على وجه الارض من الهواء والجو وثانيهما كل المخلوقات من الجواهر والاعراض الموجودة قبل الدار الآخرة (قوله يصيبها) أي يحصلها اشبه تحصيل الدنيا باصابة الغرض بالسهم بجامع حصول المقصود وقوله (أو امرأة ينكحها) أي يتزوجها كما في رواية وخصت بالذكر مع دخولها في دنيا لانها فتنة عظيمة ففي الحديث ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء * ولان سبب ورود هذا الحديث ان رجلا هاجر الى المدينة بنية ان يتزوج بامرأة يقال لها أم قيس فسمي مهاجر أم قيس وقد خرج في الظاهر للهجرة وفي الباطن لاجل المرأة فلما ابطن خلاف ما اظهر استحق العتاب واللوم ويقاس به من فعل مثله وقوله (فهجرته الى ما هاجر اليه) جواب لقوله من والهجرة فعلة من الهجر وهو لغة الترك والمراد هنا ترك الوطن الى غيره

لان المقصود الهجرة من مكة الى المدينة وبالجملة فحكم الهجرة من دار الكفر الى دار الاسلام مستمر على التفصيل المذكور في كتب الفقه وقد تطلق الهجرة على هجر ما نهي الله عنه فقد ثبت في الحديث المجاهد من جاهد نفسه والمهاجر من هجر ما نهي الله عنه فيهجر الانسان الارض التي يغلب على أهلها أكل الحرام ويهجر البلد التي يسب فيها العلماء والصلحاء * وأما هجر المسلم

أمثاله فوق ثلاثة أيام فحرام الا من عذر وللزوج جبرزوجته في مضجعها اذا لحقق نشوزها فظن أنه يؤثر فيه الاشتغال عليه هذا الحديث من المحاسن وقد رواه اماما المحدثين ابو عبد الله محمد بن اسمعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه بياء مفتوحة وراء ساكنة ودال مهملة مكسورة وزاي ساكنة وباء مفتوحة وهما البخاري ومسلم رضي الله تعالى عنه عنهما في صحيحيهما اللذين هما أصح الكتب المصنفة ومناقبهما كثيرة شهيرة لا تطويل بها ومن كلام المشايخ

اغتنم في الفراغ فضل ركوع
فعسى أن يكون موتك بغته
كم صحيح مات من غير سقم
ذهبت نفسه الصحيحة فلته

(خاتمة المجلس) اخرج ابن حبان من كان عاملا ويصلح انه ميت فليصم يرضى في الدنيا بالقوت فيها يسير ذلك ويشتغل بعمل الآخرة فان الآخرة هي دار القرار والدنيا دار الفناء قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قد ارتحلت الدنيا مدبرة والآخرة مقبلة فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان جالسا في المسجد اذ دخل عليه رجل أبيض اللون حسن الشعر عليه ثياب بيض فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام ثم سأله عن الدنيا فقال الدنيا كلم الناعم وأهلها مجاورون ومعاقبون فقال فما الآخرة فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم الآية فريق في الجنة وفريق في السعير فقال يا رسول الله ما الجنة فقال ان تترك الدنيا لطالب نعيمها أبدا قال فما خير هذه الأمة قال الذي يعمل بطاعة الله قال فكيف يكون فيها الرجل قال مشمرا كطالب القافلة قال فكم القرار فيها قال كالمختلف عن القافلة قال فكم بين الدنيا والآخرة قال غمضة عين قال فذهب الرجل فلم يره أحد

سبع أقاليم خروج عن الطاهر لغير دليل ولا وجه لتحمل شعر ياخذه فلما بخلافه مطباق الارض قائما تابعة ملكا وغصبا وفي حديث البيهقي اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الارضين السبع وما أقللن وانما أفردت في القرآن لاتحاد جنسها وهو التراب وذكر بعضهم ان الحكمة في افرادها في القرآن ثقل جمعها لفظا وخص السموات والارضين بالذكر لان المقر والمنكر يعترف بهما لقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله * فان قلت ما الحكمة في خلق المياه بغير عمد وما الحكمة في خلقها قبل الارض * فالجواب كما قال النيسابوري خلقها قبل الارض ليعلم ان فعله خلاف أفعال الخلق لانه خلق أولا السقف ثم الاساس ورفعها على غير عمد ليدل على قدرته وجعل لها سبعة أبواب باب المطر وباب الرزق وباب التدبير وباب تنزل منه الملائكة والروح وباب صعود الاعمال وباب تنزل منه الملائكة بالبشارة كما قال تعالى تتنزل عليهم الملائكة وباب الرحمة * فان قيل لم جعلها خضراء ومن أي شيء خضرتها * قيل انما جعلها خضراء لتكون أقوى للبصر لان الاطباء يامرون بادمان النظر الى الخضرة ليكون قوة للبصر قال الغزالي رحمه الله تعالى وفي النظر الى السماء عشرة فوائد منها انه يعرفه ويذهب السواد ويقوي البصر وزينة للناظرين وعندك من الاشراج بقدر ما في يدك من السماء وأما خضرتها فقيل من جبل قاف لانه من زمرد أخضر وهو خلف مغيب الشمس بسنة وخضرة السماء منه وقيل خضرتها من الصخرة التي تحت الارض السفلى تحت النون المشار له بقوله تعالى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الارض يات بها الله وجعل الله الشمس طباخة للثمار والفواكه ولولا الشمس ما نبت زرع ولا خربت فواكه وجعلها تطبخ من فوق والناس يطبخون بالنار من تحت وجعل القمر طباخا لسائر أنواع الفواكه وجعل الله في الشمس من الحواص انها تقبل الورد وتجفف القصب والورق وتجمد الملح وترطب بدن الانسان اذا نام في الشمس وتجعل الماء حارا والبطيخ باردا وتبيض الثياب وتسود وجوه القصارين (تنبيه) الارض العليا أفضل مما تحتها لاستقرار ذرية آدم فيها ولانتفاعها بها ودفن الانبياء بها وهي مهبط الوحي وغيره من الملائكة قاله في كشف الاسرار ونقل عن بعضهم ان السماء الدنيا أفضل مما سواها لقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح قال الجلال السيوطي قلت ورد الاثر بخلافه أخرج عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب الرد على الجهمية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال سيد السموات السماء التي فيها العرش وسيد الارضين التي نحن عليها * وقد رفع للعلامة السيوطي رحمه الله تعالى سؤال صورته

يا عالم العصر لازالت أنامله * تهمي وجودكم نام هذا الزمن
فقد سمعت خصاما بين طائفة * من الافاضل أهل العلم واللسن
في الارض قد خلقت قبل السماء وهل * بالعكس جا أم يا نزهة الزمن
فمنهم قال ان الارض منشاة * بالخلق قبل السما قد جا في السنن

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم هذا جبريل اتاكم يعلمكم في الدنيا * قال ابن عباس رضي الله عنهما ما رؤي بالدنيا يوم القيامة على صورته جبريل قط انما اتاهم في صورة دحية الكلبي وانما قال لهم هذا جبريل لتعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من هذه فيقال لهم هذه الدنيا التي تنافستم فيها (٦٤) وتقاتلتم عليها (ومن كتاب المنجيات) لاتحبوا الدنيا فانها ليست بدار المؤمنين ولا تصاحبوا الشيطان فانه ليس برفيق المؤمنين ولا تزرعوا لغدا فليس ذلك بحرفة المؤمنين فيأمن بين يديه أهوال الحساب والصراط يا قليل الوفاء يا كثير الغدر يا بساط يا مكاسلا في طاعة مولاه وفي لذاته هواه في نشاط يا مبارزا مولاه بالمعاصي أسرفت في الافراط يا ضعيفا عن حمل أثرابه كيف تقوى على حمل السياط فارفع يديك وقل إلهي بحق كرمك استعملنا من جميع الطاعات ووفقنا للتحب وترضى في جميع الاوقات واغفر لنا بجودك يا ذا الجود جميع الزلات وأيقظنا بجاه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم من سنة الغفلات وارزقنا التيقظ فيما ينجي والتذكر لما قد فات وسلمنا في الدارين من الآفات آمين آمين آمين والحمد لله رب العالمين

﴿ المجلس الثاني في الحديث الثاني ﴾

الحمد لله الذي بعث نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للانام واختصه بشريعة سمحة مشتملة على الحكم والاحكام واشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك القدوس السلام

وأشهد ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله أفضل الانام ومصباح الظلام ورسول الملك العلام صلى الله عليه وعلى آله واصحابه السادة الكرام وسلم تسليما كثيرا دائما الى يوم الدين آمين عن * عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا

ومنهم من أتى بالحكم مستقلا * الى كلام امام ماهر فطن
أوضح لنا ما خفي من مشكل وأبن * بجاله ربك من وزر ومن محن
ثم الصلاة على المختار من مضر * ماحي الضلالة هادي الخلق للسنن

﴿ فاجاب رحمه الله تعالى بما صورته ﴾

الحمد لله ذي الافضال والمنن * ثم الصلاة على المبعوث بالسنن
الارض قد خلقت قبل السماء كما * قد قصه الله في محكم فاستبن
ولا ينافيه ما في النازعات أتى * فدحوها غير ذاك الخلق للفطن
فابن عباس أعني ابن عباس أجاب بذا * لما أتاه به قوم ذوو السنن
وابن السيوطي قد خط الجواب لكي * ينجو من النار والآثام والفتن

قال القاضي عياض وليس في غلظ الارض وطبقاتها وما بينها حديث ثابت * ثم ان الارض وردت في القرآن لمعان الاول أرض الجنة كقوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض يعني أرض الجنة والثاني الارض المقدسة بالشام كقوله تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها يعني الارض المقدسة الثالث أرض المدينة خاصة لقوله تعالى في العنكبوت يا عبادي الذين آمنوا أن أرضي واسعة فاياي فاعبدون يعني أرض المدينة الرابع أرض مكة خاصة كقوله تعالى في الرعد أولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من أطرافها قال بعضهم يعني ذهاب العلماء الخامس ارض مصر كقوله تعالى في يوسف اجعلني على خزائن الارض وكذا قوله وكذلك مكنا ليوسف في الارض يعني أرض مصر السادس أرض العرب كقوله تعالى في المائدة أو ينفوا من الارض وكقوله تعالى في الكهف ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض يعني أرض العرب السابع جميع الارضين كلها كقوله تعالى في هود وما من دابة في الارض الا على الله رزقها

﴿ مدبر ﴾ أمور ﴿ الخلائق ﴾ جمع خليقة بمعنى مخلوقة وترد بمعنى الخلق والطبيعة ومنه * وان لك قدسا أن منا خليقة * البيت وبمعنى الجديرة قال الشاعر * خليقته بكل مدح خليقة * أي طبيعته بكل مدح جديرة والمراد الاول أي مصرفه أمور الخلق بقدرته على وفق مشيئته من ايجاد واعدام واعطاء ومنع وغير ذلك على ما تقتضيه حكمته البالغة ولا يحسن ان يقال مدبر الخلائق على حسب ما تقتضيه المصلحة لان في الخلق من عاقبتهم النار وهم الكفار الا أن يراد تدبير الخلائق في الدنيا فيصح لان عموم رحمته تعالى اقتضت افاضة المصالح الدنيوية على المؤمن والكافر وأما حمل الخلائق على انه جمع خليقة بمعنى الخلق والطبيعة فهو خلاف الظاهر * والتدبير في صفاته البشر التفكر في عواقب الامور قال الله عز وجل أفلا يتدبرون القرآن ومعناه أفلا يتفكرون في معانيه يقال تدبرت الامور اذا تفكرت في عواقبها ولا يوصف الا الله سبحانه وتعالى بالتفكر في الامور فانه لم يزل عالما بها قبل وقوعها * واختلفوا

أحد منهم يجلس الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام أن تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت فعجبنا له يسأله ويصدقه (١٥) قال فاخبرني عن الايمان قال ان تؤمن

في تأويل قوله عز وجل في صفة الملائكة فالمدبرات أمرا فمنهم من قال معناه انها تأتي بالخير من عند الله عز وجل ومنهم من قال معناه انهم يحدثون بالوحي من الله عز وجل قال أبو عبيد يقال دبرت الحديث أي حدثت به عن غيري فالمدبرات أمرا المحدثون عن الله عز وجل بأمره ونهيه واخباره وفي الحديث أما سمعت عن معاذين يجعل تدبيره من رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما جمع الخلائق ليعلم ان التدبير اليه في العالم العلوي والسفلي من أعلى العرش الى ما تحت الثرى لا يشغله شأن عن شأن قال الله عز وجل يدبر الامر من السماء الى الارض فمن قيل اذا كان تدبير الآلهة ما هذا في السماء والارض وما بينهما انتهى التدبير الى الارض فالذكر فالجواب ان الى بمعنى مع كما في قوله تعالى الى المرافق وفي قوله من انصاري الى الله فهو من باب دخول أحد في الحد وهو المدبر للارض والسماء وما بينهما ﴿أجمعين﴾ تأكيد الص على شمول تدبيره سبحانه وتعالى لكل مخلوق اوافي به للتسجيع ﴿باعث﴾ أي مرسل لطفا منه وفضلا منه تعالى لا وجوبا خلافا للمعتزلة مشتق من البعث وهو الارسال كما في قوله تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا وقوله ثم بعثناهم من بعده رسلا ويطلق بمعنى النشر والاحياء بعد الموت ومنه قوله عز وجل فاماته الله مائة عام ثم بعثه وقوله ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون وكذلك البعث من النوم أي الايقاظ ومنه قوله عز وجل في أصحاب الكهف وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم ويطلق بمعنى الاثارة والانهاض يقال منه بعث فلان بعيره فانبعث أي اثاره فثار وانهض ﴿الرسل﴾ جمع رسول وهو من البشر انسان حر ذكر اكمل معاصريه غير الانبياء عقلا وفطنة وقوة رأي ورجاحا بالفتح وعمدة موسى عليه الصلاة والسلام ازيلت بدعوته عند الارسال كما في الآية معصوم ولو من صغيرة سهوا ولو قبل النبوة على الاصح سليم من دناءة أب وخنا أم وان عليا ومن منفركمي وبرص وجذام ولا يرد بلاء ايوب وعمي يعقوب بناء على انه حقيق لطروه بعد الانباء والكلام فيما قارنه والفرق ان هذا منفر بخلافه فيمن استقرت نبوته ومرقلة مروءة كأكل بطريق ومن دناءة صنعة كحجامة أوحي اليه بشرع وأمر بتبليغه وان لم يكلف كتاب ولا نسخ كيوشع فان لم يؤمر فبي فقط فبينهما عموم وخصوص مطلق وهو أفضل من النبي اجماعا لتميزه بالرسالة التي على الاصح هي افضل من النبوة خلافا لابن عبد السلام ووجه تفضيل الرسالة على النبوة كما قال القرافي ان الرسالة تتضمن هداية الامة والنبوة قاصرة على النبي فنسبتها الى النبوة كنسبة العالم الى العابد ثم ان حل الخلاف فيهما مع اتحاد محلهما وقيامهما معا بشخص واحد أما مع تعدد المحل فلا خلاف في افضلية الرسالة على النبوة فقط ضرورة جمع الرسالة لها مع زيادة ولما كانت الصلاة على الانبياء مطلوبة اذا ذكروا لقوله صلى الله عليه وسلم صلوا على النبيين اذا ذكرتموهم فانهم بشروا كما بعثت رواه ابن عساكر قال ﴿صلاة﴾ أي رحمته المقرونة بتعظيم وخص افضلهم بهم تعظيما لهم وتمييز الرتبتهم على غيرهم وتنظير بعض الشراح في تفسيرهم لها بالرحمة لانها عطفت عليها في اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ولانها مستحيلة

بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت قال فاخبرني عن الاحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال فاخبرني عن الساعة قال ما المسؤل عنها باعلم من السائل قال فاخبرني عن أماراتها قال ان تلد الامة ربتها وان ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان ثم انطلق فلبث مليا ثم قال يا عمر اتدري من السائل قلت الله ورسوله أعلم قال فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم رواه مسلم * اعلموا اخواني وفقني الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم رواه الامام مسلم بهذا اللفظ والبخاري عن أبي هريرة بمعناه وهو عظيم الموقع والجلالة وقد اشتمل على جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة (قوله قال بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد) يستفاد من طلوعه على تلك الهيئة الحسنة استحباب التجمل لطالب العلم والقدوم على الخير وهو كذلك قال ابو العالية كان المسلمون اذا تزاوروا تجملوا وقال النبي صلى الله عليه وسلم أحسن ما زرتم به الله في قبوركم ومساجدكم البياض وقال ابن عبد السلام لا بأس بلباس شعار العلماء ليعرفوا بذلك فيسئلوا فاني كنت محرما فانكرت على جماعة محرمين لا يعرفوني ما اخلوا به من آداب

الطواف فلم يقبلوا فلما ايست ثياب الفتى ولم تكن عليهم ذلك سبيلا أطاعوا فاذا لبسها مثل ذلك كان فيها أيسر لانه سبب لامتثال أمر الله به الا ترى انه عليه الصلاة والسلام لما علم ان الحسن الشباب الحسنة انما عرض له شرعي قبل ابا الحسن جلسه فرقا فاخذ بكمانه وقال لعله فرق يا فرق يا ابن ام فروة (٢٦) ان البرانس كما ليس هذا الكساء انما البرنس قوق في الصدور وصدقه الحمل (قوله حتى يجلس) أي جاء حتى جلس غير جاث عليه وقوله (الى النبي صلى الله عليه وسلم) لم اقف بين يديه قبل لان حاله يدل على انه لم يجيء متعلما وانما جاء معلما وقوله (فاسند ركبتيه الى ركبتيه) ظاهره انه جلس بين يديه وهو كذلك اذ لو جلس الى جانبه لما امكنه الاسناد ركبة واحدة وهو غير جلوس المتعلم بين يدي شيخه التام وانما فعل ذلك جبريل عليه السلام للتنبيه على ما ينبغي للسائل من قوة النفس وعدم الاستحياء عند السؤال وان كان المسؤل ممن يحترمه ويهابه وعلى ما ينبغي للمسؤل من التواضع والصبر عن السائل وان تعدى ما ينبغي من الاحترام للمسؤل والادب معه (قوله ووضع كفيه على فخذيه) أي وضع الرجل كفيه على فخذيه صلى الله عليه وسلم وفعل ذلك الاستئناس باعتبار ما بينهما من الانس في الاصل

في حقه تعالى وتصوير بانها انفعال غير مناسب لانها انما تخص من مطلق الرحمة وعطف العام على الخاص مما لا يخفى ولان الرحمة بها كما سبق في حقه تعالى غايتها كسائر الصفات المستحيل ظاهرها عليه تعالى كذا في شرح الهيتمي نعم يرد ان الرحمة فعلها متعد والصلاة فعلها قاصر ولا يحسن تفسير القاصر بالمتعدي كذا قيل وقيد بحث وفي بعض النسخ صلواته بالجمع ﴿ وسلامه ﴾ اسم مصدر بمعنى تسليمه أي تحيته أو تسليمه اياهم من كل آفة ونقيصة ﴿ عليهم ﴾ كلمة على مستعملة مجردة عن الاضرة كما في قوله تعالى فتوكل على الله فلا يريد ان الصلاة بمعنى الدعاء واذا استعمل الدعاء مع كلمة على يكون للاضرر ثم اعلم انه يمكن الفرق بين صلى عليه ودعا عليه ﴿ الى ﴾ متعلق ببعث ﴿ المكلفين ﴾ جميع مكلف وهو البالغ العاقل من الانس والجن بالنسبة لنبينا صلى الله عليه وسلم اذ هو مرسل اليهم اجماعا خلافا لمن وهم فيه كما بينه السبكي في فتاويه وأما بقية الرسل فلم يرسل أحد منهم اليهم كما قاله الكلبي وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وأما حكم سليمان فيهم واطاعتهم له فليس عن جهة رسالته بل لكونه ولي عليهم فكان له عليهم تسلط بالملك وايمانهم بالتوراة كما دل عليه قوله تعالى يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى لا يدل على انهم كانوا مكلفين بالجواز ايمانهم به تبعا منهم وليس منهم رسول عن الله تعالى عند جماهير العلماء وأما قوله تعالى ألم يأتكم رسل منكم فالمراد به من أحدكم وهو الاكثر على حد قوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وجعل القمر فيهن نورا وكذا الملائكة بالنسبة لنبينا ايضا لانه مرسل اليهم على الاصح عند جمع من المحققين كما يدل عليه خبر مسلم وأرسلت الى الخلق كافة زاد السبكي أنه مرسل الى جميع الانبياء والامم السابقة وان قوله بعثت الى الناس كافة شامل لهم من لدن آدم الى قيام الساعة بل أخذ بعض المحققين بعمومه حتى للجمادات واستدل له بشهادة الحجر والشجر له صلى الله عليه وسلم قال الحافظ السيوطي وأزيد من ذلك انه مرسل الى نفسه وقول الرازي في تفسيره ليكون للعالمين نذيرا الشامل لهم أجمعنا على ان المراد الانس والجن دون الملائكة مردود ومؤول بان مراده اجمعنا يعني الخصمين اذ أجمعنا انما يقال لذلك غالبا لا اجماع كل الامة على ان هذا لا يؤخذ من مثل الرازي بل من مثل ابن المنذر وابن جرير وأما غير نبينا فغير مرسل اليهم قطعا ومعنى ارساله للملائكة وهم معصومون انهم كلفوا بتعظيمه والايمان به واشتهار ذكره والعبادات انه ركب فيها ادراكات لتؤمن به وتخضع له وان من شيء الا يسبح بحمده أي حقيقة بلسان المقال كما قاله الحافظ ابن عبد البر والقاضي عياض والسهيلي في الروض الانف في غزوة أحد وابن المنير والسيوطي في حاشية الموطأ وغيرهم وهو المعول عليه لا بلسان الحال خلافا للبيضاوي في سورة الاسراء اذا تقرر هذا فاطلاق المصنف بعث الرسل الى المكلفين ليس المراد به عمومه كما عرفت * فان قلت تكليف الملائكة من أصله مختلف فيه فالجواب كما قال الشارح الهيتمي ان الحق تكليفهم بالطاعات العملية قال الله تعالى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون بخلاف نحو الايمان لانه ضروري فيهم فالتكليف به تحصيل الحاصل وهو محال ﴿ تنبيهات الاول ﴾ ذكر ابن

حبان بانيه الوحي وقد جاء مصرحا بهذا في رواية النسائي من حديث أبي هريرة وأبي ذر حيث قال الحق وضع

جماعة

يديه على ركبتي النبي صلى الله عليه وسلم (قوله وقال يا محمد) ناداه باسمه كما تناديه الاعراب مع انه حرام لان حاله يدل على انه لم يجيء متعلما وانما جاء معلما كما قدمناه أو قبل العلم تحريمه قال بعضهم وبما تقرر علم ان نداءه غيره ممن يستحق التوقير باسمه غير حرام وانما هو خلاف الاولى الا ان يتأذى به فيتجه تحريمه (قوله أخبرني عن الاسلام) أي عن حقيقته (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) مجيبا له

الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله) اى تعلم ان لا اله معبود بحق فى الوجود الا الله الواجب الوجود (وان محمدا رسول الله) اى وان تشهد أن محمدا رسول الله وتصدق بذلك (قوله وتقيم الصلاة) أي بان تاتي بها باركانها وشروطها وتراظب عليها فى اوقاتها (وتؤتى الزكاة) اى تؤدى بها على وجهها الشرعى (وتصوم رمضان) سمى بذلك لاشتداد حر الرمضاء فيه حين وضع له هذا الاسم

جماعة ان المكلفين ثلاثة أقسام قسم مكلف من أول الفطرة قطعا وهم الملائكة وآدم وحواء وقسم لم يكلف من أول الفطرة قطعا وهم أولاد آدم وقسم فيه نزاع والظاهر انهم مكلفون من أول الفطرة وهم الجن الثانى قال فى شرح الترغيب والترهيب ما نصه سئل الذرى هل يأجوج وما جوج من ولد حواء عليها السلام وكم ثبت انه يعيش ثلثمائة سنة منهم فاجابه هم ولد حواء وآدم عليهما السلام عند أكثر العلماء وقيل انهم من ولد آدم من غير حواء فيكونون اخوة لنا من الاب أى انهم خلقوا من منى خرج من آدم فى غير حال الجماع ووقع فى الارض وخلقوا منه ولم يثبت فى قدر أعمارهم شىء ونقل ابن عبد البر الاجماع على انهم من ولد يافث بن نوح وان النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن يأجوج وما جوج هل بلغتهم دعوتك يا رسول الله فقال جزت ليلة أسرى فى قدعوتهم فلم يجيبوا فهم من أهل النار وصرح بان الصحيح انه لم يرسل اليهم وانهم من ذرية آدم بدليل حديث ان الله تعالى يقول يوم القيامة يا آدم اخرج بعث النار الحديث وروى الطبرانى انه صلى الله عليه وسلم قال ياجوج لها اربعمائة أمير وكذلك ماجوج لا يموت أحدهم حتى ينظر الى الف فارس من ولده ما تنهى المراد منه وانظر على هذا الصحيح من انه لم يبعث اليهم لم عذبوا وقد قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ودعوى انه أرسل اليهم غير مخالف لما يظهر من كلام الجماعة وكيف يدعوهم مع انه لم يرسل اليهم ﴿هدايتهم﴾ مصدر مضاف للفاعل أو المفعول أى لاجل ارشادهم ودلالتهم اياهم على سلوك سبيل الهدى وتجنب طريق الردى قال المولى سعد الدين التفتازانى فى شرح العقائد والمشهور ان الهداية عند المعتزلة هى الدلالة الموصلة الى المطلوب وعندنا الدلالة على طريق توصل الى المطلوب سواء حصل الوصول والاهتداء او لم يحصل اه وكل من القولين منقوض أما الاول فمنقوض بقوله تعالى وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وأما الثانى فمنقوض بقوله تعالى انك لا تهدى من أحببت واحتمال التجوز مشترك والهداية من كل شىء اوله وما يتقدم منه ولهذا قيل أقبلت هوادى الخيل اذا مدت أعناقها وأما الذى روى عنه انه عليه السلام خرج فى مرضه يهادى بين اثنين فمعناه انه يميل بينهما ويعتمد عليهما من ضعفه وكل من فعل ذلك يا حد فهو يهاديه وتهادت المرأة فى مشيها اذا تمايلت وفى أمثال العرب فى معنى الهداية قولهم أهدى من الانسان الى فيه وأهدى من بد الى فم وأهدى من قطاة وأهدى من حمامة لان القطا والحمامة يسيران من وكريهما ومنهليهما مسافة أيام كثيرة ثم يهتديان اليهما واللام فى كلام المصنف لبيان حكمة الارسال وغايته لا للعلة الباعثة عليه لان أفعاله تعالى لا تعلل بالاغراض لما يلزم على ذلك الذى ذهب اليه المعتزلة قبحهم الله مما هو مقرر فى محله والهدى يتعدى بنفسه وبحرف الجر يقال هداه الطريق والى الطريق دله عليه ﴿وبيان﴾ البيان والتبيين عبارة عن الظهور بعد الخفاء وذلك لانهما مشتقان من البينونة والابانة وهى عبارة عن التفريق بين أمرين متصلين فاذا حصل فى القلب اشتباه صورة ثم انفصلت احداهما عن الاخرى فقد حصلت البينونة فلهذا سمى بيانا وتبيينا ﴿شرائع﴾ جمع شريعة فعيلة بمعنى مفعولة وهى لغة مشرعة الماء اى مورده الذى للشارب

بدون شهر انه لا يكره ذكره بدون شهر كما يأتى أيضا زيادة على ما هنا (قوله وتحج البيت اى تقصد بيت الله الحرام لنسك بافعال مخصوصة (ان استطعت اليه سبيلا) والمراد بالاستطاعة هنا وجود الزاد والراحلة وغيرهما وقيد الحج بالاستطاعة دون المذكورات قبله مع انها مشروطة فيها أيضا لوجود عظم المشقة فيه دونها ﴿تنبيه﴾ ظاهر الحديث انه لا بد فى حصول الاسلام من مجموع الشهادتين حتى لو اقتصر على احدهما لم يكف وهو كذلك وقدم الكلام على الشهادتين لان بهما حصول الايمان الذى هو ملاك الامر وأصله اذ الباقى مبنى عليه مشروط به وبه النجاة فى الدارين ثم الصلاة لانها عماد الدين وبين العبد والكفر ترك الصلاة ولشدة الحاجة اليها واتكررها كل يوم خمس مرات ثم الزكاة

﴿٢ - شرح حقيق﴾ لانها قرينة الصلاة فى أكثر المواضع ولوجوبها فى مال المكلف وغيره عند أكثر العلماء ثم صوم رمضان لتكرره فى كل سنة ولكثرة افرادها عليه بخلاف الحج ثم الحج للنصوص الواردة فيه من نحو قوله تعالى ومن كفر فان الله غنى عن العالمين ونحو قوله صلى الله عليه وسلم فليمت ان شاء يهودا وان شاء نصرانيا وسنذكر ان شاء الله تعالى فى المجالس الآتى بعد هذا زيادات على ما هنا (قوله قال) يعنى السائل للنبى صلى الله عليه وسلم (صدقت) أى فيما أجبت به قال عمر رضى الله عنه (فعجبنا منه يسأله

ويصدقه) أي لان تصديقه يقتضي ان لا علم بهذه الاشياء وهو لا يعلم الا من قبله صلى الله عليه وسلم وليس هو بمعروف السماع منه أو من حيث ان سؤاله مؤذن بعدم علمه بمسائل عنه وتصديقه فيه مؤذن بانه عالم به فظاهر حاله أنه عالم به غير عالم به ثم زاد تعجبهم بقوله بعد هذا جبريل (١٨) جاءكم يعلمكم دينكم فظهر أنه كان عالما في صورة متعلم تعليما لهم وتنبيها (قوله قال فاخبرني عن الايمان قال أن تؤمن بالله) اى ان تؤمن بوجوده وصفاته التي لا تتم الالوهية الا بها قال العلماء رضي الله تعالى عنهم الايمان بالله جل جلاله يتضمن معنيين الاول الايمان بذاته والثاني الايمان بوحدانيته فاما الايمان بذاته الكريمة فهو أن تعلم ان ذاته تعالى لا تشبه الذوات كما أن صفاته لا تشبه الصفات وكل ما تصورته في ذهنك أو توهمته في وهمك فالله تعالى بخلافه لانك مخلوق وكل ما تصورته أو توهمته فهو مخلوق مثلك لان الله جل جلاله تقدس وتنزه عن أن يحل في مخلوق أو يحل فيه مخلوق وأنت جسم وجوهر وعرض والله تعالى بخلاف ذلك وانك جنس ونوع والله تعالى لا جنس ولا نوع له (فائدة) قال ابو اسحق الاسفرايني جمع أهل الحق جميع ما قيل في التوحيد في كلمتين * احداهما ان كل ما تصور في الاذهام فالله تعالى بخلافه * الثانية اعتقاد ان ذاته ليست مشبهة بذات ولا معطلة عن الصفات وقد أكد ذلك سبحانه وتعالى بقوله ولم يكن له كفوا أحد وهذا في غاية الجودة والايجاز ويرحم الله القائل كل ما ترتقي اليه بوهم * من جلال وقدرة وثناء فالذي أبدع البرية أعلى * منه سبحان مبدع الاشياء وحكي عن امامنا الشافعي رضي الله عنه انه قال من انتهض لطلب مدبر فانتهى الى موجود ينتهي اليه فكره فهو مشبه وان اطمأن الى العدم الصرف فهو معطل أو الى موجود واعترف

كخبر

واصطلاحا شرعا الله لعباده من الاحكام من شرح بمعنى بين وبمعنى من ومنه قوله تعالى شرع لكم من الدين أي من ﴿الدين﴾ هو لغة يطلق على أمور منها الطاعة ومنه قول زهير

لئن سلمت بواد في بني أسد * في دين عمرو وحالت بيننا فدك

أراد في طاعة عمرو والجزاء ومنه قوله تعالى يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق اي جزاءهم الحق الذي وعدوا به وقوله تعالى ان الدين لواقع اي الجزاء لواقع يوم القيامة والحساب ومنه قوله تعالى ذلك الدين القيم أي الحساب الصحيح وقوله تعالى انا لمدينون أي لمجزيون وقال لبيد

حصادك يوما ما زرعت وانما * يدان الفتى يوما كما هو دائن

ومن كلام العرب كما تدين تدان أي كما تجازي تجازى والتوحيد ومنه قوله تعالى الا لله الدين الخالص أي التوحيد ومعنى الملة ومنه قوله تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا ويعبر به عن دا من أدواء القلب ومنه قول الشاعر * يا دين قلبك من سلمى وقد وجعا * والعادة في العمل ومنه قوله

اذا أدرتها وضبي * فهذا دينها أبدا وديني

والوضين الهودج بمنزلة البطان للقتب والحزام للسرج والسياسة ومنه قول ذي الاصبع

* ولا أنت ديباني فتخزيني * والخال ومنه قول النضر بن شميل سألت اعرابيا عن شيء فقال لو لقيني على دين غير هذا لاخبرتك أي على حال غير هذا والقهر والخضوع ومنه قول العرب دنته فدان أي قهرته فخضع واصطلاحا وضع الهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود الى ما هو خير لهم بالذات فخرج بقوله الهي الاوضاع الصناعية وبقوله سائق الوضع الالهي غير السائق كانبات الارض وامطار السماء وقوله لذوي العقول الحيوانات المختصة بالاختيار وبقوله باختيارهم الاوضاع السائقة لا بالاختيار كالوجدانيات وبقوله المحمود الكفر وقوله بالذات متعلق بسائق أي ان الوضع الالهي بذاته سائق لا انه ما وضع الا كذلك ويمكن تعلقه بالخير ومعناه ان ذلك الخير وهو ما وضعه الكريم بذاته خير والاضافة في شرائع الدين بيانية لان ما شرعه الله تعالى لعباده من الاحكام وهو الدين ويصح ان تكون على معنى اللام بان يراد بالشرائع الاحكام وبالدين الملة والاسلام وفي الياته الشرائع للدين استعارة تخييلية ويصح ان تكون من اضافة المشبه به الى المشبه فيكون تشبيها مؤكدا أي وبيان الدين الذي هو لمذوبته كالشريعة كما قال الشاعر

والريح تلعب بالغصون وقد جرى * ذهب الاصيل على لجين الماء

﴿بالدلائل﴾ متعلق ببيان جمع دلالة بتثليث الدال بمعنى الدليل قال ابن قاسم في الآيات البينات الدليل بزنة فعيل وفعيل جمعه على فعائل غير مقيس وأجيب بانه يحتمل ان يراد بالدلائل جمع دلالة والدلالة تصدق على الدليل كما قال المحلي وجمعه على دلائل حينئذ مقيس والدليل في اللغة المرشد الى المطلوب وفي اصطلاح أهل الميزان ما يلزم من العلم به العلم بشيء آخر وفي اصطلاح أهل الاصول ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى علم أو ظن فالاول كالنصوص المثبتة للبعث والحساب والثاني

سبحانه وتعالى بقوله ولم يكن له كفوا أحد وهذا في غاية الجودة والايجاز ويرحم الله القائل كل ما ترتقي اليه بوهم * من جلال وقدرة وثناء فالذي أبدع البرية أعلى * منه سبحان مبدع الاشياء وحكي عن امامنا الشافعي رضي الله عنه انه قال من انتهض لطلب مدبر فانتهى الى موجود ينتهي اليه فكره فهو مشبه وان اطمأن الى العدم الصرف فهو معطل أو الى موجود واعترف

بالعجز عن ادراكه فهو موجود فالعجز عن درك الادراك ادراك كما قاله الصديق الاكبر رضي الله تبارك وتعالى عنه * وقال بعض العارفين سبحان من رضي في معرفته بالعجز عن معرفته * وقال الجنيد والله ما عرف الله الا الله وانما الايمان بوحدانيته تبارك وتعالى هو أن تعلم أنه متفرد بالملك والتدبير واحد في ذاته واحد في صفاته واحد في أفعاله (١٩) واحد في أقواله سبحانه وتعالى

كخبر انما الاعمال بالنيات وذهب أكثر المتكلمين الى أنه لا يستعمل الدليل الا فيما يؤدي الى العلم وأما ما يؤدي الى الظن فليس بدليل ثم هو كما قال الزركشي في البحر ثلاثة أقسام سمعي وعقلي ووضعي فالسمعي كالكتاب والسنة والاجماع والعقلي ما دل بنفسه كدلالة الحدوث على المحدث والوضعي دل باستناده كالعبارة على المعاني ووصفها بقوله (القطعية) هو من الادلة المؤدية للعلم ليخرج الدلائل الظنية ووصفت المؤدية للعلم بالقطعية لانها تقطع معارضة الخصم أو القطع بمقدماتها نحو كل انسان جسم وكل جسم مركب فكل انسان مركب قال الشارح الفيومي فان قلت أكثر أدلة الشريعة ظنية لان مقدماتها كذلك نحو الظاهر بينة وركن في الصلاة وكل ركن واجب والوضوء عبادة وكل عبادة يشترط لها النية فكان ينبغي لمحذف القطعية * قلت انما صارت ظنية بالنسبة الينا بخلافها لمن سمعها من النبي صلى الله عليه وسلم فانها بالنسبة اليه قطعية والكلام انما هو في بيان الرسل للشرائع وذلك جميعه قطعي ويصح ان يراد بدلائلهم معجزاتهم الدالة على صدقهم وكلها قطعية لاستفادتها من دليل مؤلف من مقدمتين قطعيتين نحو الرسل جاؤنا بالمعجزات وكل من جاء بالمعجزات صادق فالرسل صادقون أما الصغرى فضرورية حسية والكبرى ضرورية عقلية اذ المعجزة خارقة للعادة وخرقها لا يقدر عليه الا الله سبحانه وتعالى وهو لا يؤيد بذلك كذابا وقد أيدهم بها فلم يكونوا كاذبين بل صادقين ﴿واضحات البراهين﴾ هو من اضافة الصفة الموصوف اي البراهين الواضحة التي لا اشكال فيها جمع برهان وهو لغة الحجة وايضاحها من البرهنة وهي البيضاء من الجواري واصطلاحا ما تركب من تصديقين متى سلما لزمهما لذاتهما قول ثالث كالعالم متغير وكل متغير حادث ينتج العالم حادث من وعطفه على ما قبله من عطف المغاير لان البرهان لا يكون الا مركبا والدليل بخلافه ﴿أحده﴾ اي أصفه بجميع صفاته الجميلة * وذكر الحمد مرتين للجمع بين نوعيه الواقع في مقابلة صفاته تعالى والواقع في مقابلة نعمه وخص الاول بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت والاستمرار والثاني بالجملة الفعلية الدالة على التجدد والتعاقب لقدم الصفات ودوام استمرارها وتجدد النعم وتعاقبها ﴿على جميع نعمه﴾ جمع نعمة بكسر النون يعني المنعم به واما بفتح النون فهي التنعم قال تعالى ونعمة كانوا فيها فاكهين وبضمها السرور * وجعل بعض المحققين النعمة في كلام المصنف بمعنى الانعام لا بمعنى المنعم به لان الاول وهو فعله قائم بذاته تعالى دائم مستمر والثاني أثره * والحمد على الانعام الذي هو من أوصاف المنعم أبلغ منه على أثره الواصل الينا * وفي الحديث ان الله يحب ان يرى أثر نعمته على عبده * واختلف الناس في ذلك فمذهب الصوفية أثر النعمة في الاعطاء للخلق وان عري هو وجاع ومذهب الفقهاء حسن اللبس والنعمة هي المنفعة الخالية من الضرر * ولذا اختلف هل لله نعمة على كافر في الدنيا فقيل نعم وعليه القاضي الباقلاني وصوبه الرازي لقوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وذكر آيات كثيرة فيها دلالة لذلك وقيل لا وعزى للاشعري لانه وان وصل اليه نعم لكنها قليلة حقيرة لا اعتداد بها بالنسبة الى الضرر الدائم في الآخرة ومن ثم قال الله تعالى ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا

(قوله صلى الله عليه وسلم وملائكته) جمع ملك وهم أجسام علوية مشكلة بما شاؤا من الاشكال ومعنى الايمان بهم التصديق بوجودهم وبانهم كما وصفهم الله تعالى بقوله عباد مكرمون * واعلموا ان ملائكة الرحمن عليهم السلام خلقهم الله جل جلاله وعز سلطانه من النور بقوله كن ولا يحصي عددهم الا الله سبحانه وتعالى وهم انواع متفرقة ذكران من اعجب ما خلق الله فيهم ملكا نصفه من نار ونصفه من ثلج فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفيء النار وهو يسبح الله تعالى ويقدسه ويمجده ويوحده ويقول في كلامه اللهم من ألف بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك المؤمنين وهو أكثر الملائكة نصيحا لاهل الارض * نكتة قسم الله تعالى الخلائق ثلاثة أقسام قسم خلقوا بعقل بغير شهوة وهم الملائكة وقسم خلقوا بشهوة بغير عقل وهم الدواب وقسم خلقوا بعقل وشهوة وهم بنو آدم فمن غلب عقله على شهوته كان مع الملائكة ومن غلب شهوته على عقله كان مع الدواب (قوله وكتبه) معنى الايمان بالكتب التصديق بانها كلام الله المنزل على رسله عليهم الصلاة والسلام وكل ما تضمنته فهو حق ﴿فائدة﴾ عدد ما أنزل الله على رسله مائة صحيفة وأربعة كتب واختار من الجميع أربعة كتب واختار من الاربعة القرآن واختار من القرآن سورة الفاتحة فهي خيار من خيار من خيار وهي الفاتحة والشافية والكافية والراقية والواقية والكنز

والاساس وهما ملاكون اسماء لكثرة الخاصة تدل على شرف المسمى (قوله ورسله) معنى الايمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام التصديق بما جاؤا به عن الله تعالى وقدمت الملائكة على الرسل اتباعا للترتيب الوجودي فان الملائكة مقدمة في الخلق أو للترتيب الواقع في تحقيق معنى الرسالة فان الله (ص ٢٠) تعالى أرسل الملائكة الى الرسل * واعلم ان انبياء الله ورسله خير الخلق اصطفاهم واختارهم وعصمهم وارتضاهم وجعلهم امناء على دينه ووحيه وجعلهم مباركة وامناء خلقه في ارضه وجعلهم شفعاء مرضيين مقبولي الشفاعة وهم الرحمة وبهم ترحم اهل الارض صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وعددهم مائة الف نبي واربعة وعشرون الف نبي وورد غير ذلك اولهم آدم وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم * واولو العزم منهم خمسة نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقد نظم اسمائهم بعض الفضلاء على ترتيبهم في الفضل فقال

محمد ابراهيم موسى كليمه
فعيسى فنوح هم أولوا
العزم فاعلم

(قوله واليوم الآخر) هو يوم القيامة ومعنى الايمان به التصديق بوجوده وبجميع ما اشتمل عليه ومعنى آخرا لانه آخر أيام الدنيا وآخر الازمنة المحدودة وسيأتي الكلام عليه ان شاء الله تعالى في الختام (قوله وتؤمن بالقدر خيره وشره) ومعنى الايمان به ان

انما الآن قال بعض المحققين واختلاف اللفظ لا اختلاف في وصول نعم اليهم انما النزاع في انها اذا وصل عقبها ذلك الضرر الابدي هل تسمى حينئذ في العرف نعما أم لا فهو نزاع في مجرد التسمية واستبعاده بعضهم وقد اختلف ايضا هل هو متفق عليه في الآخرة أو لا فذهب الى الاول المعتزلة رائين ان من عذاب الا وفي قدرة الله ما هو اشد منه لكن لا يقال انه في نعمة وذهب غيرهم الى الثاني * قال بعضهم وأول نعمة انعم الله بها على العبد المؤمن من النعم الدنيوية الحياة التي توصل بها الى ادراك اللذة التي لا يعقبها ضرر لا جلها خلافا للمعتزلة في أن اولها الحياة في الجنة ويلزمهم ان اصحاب النار المقيمين فيها منعمون والاجماع على خلافه وأعظم النعم الدنيوية الايمان خلافا للمعتزلة في انه ليس من النعم البتة لانه سبب للخلود في الجنة دون سائر الاعمال فوجب كونه اعظمها واعظم النعم الاخروية مشاهدة الذات العلية في جنة عالية قطوفها دانية (قوله سؤال) من السؤال وهو كما قال الراغب استدعاء معرفة أو ما يؤدي الى معرفة واستدعاء مال أو ما يؤدي الى مال فاستدعاء المعرفة جوابه على اللسان واليد خليفته بالكتابة أو الاشارة واستدعاء المال جوابه على اليد واللسان خليفة لها أما بوعد او برد والسؤال اذا كان بصيغة تعدي للمفعول الثاني تارة بنفسه وتارة بالجار نحو سألته كذا وسألته عن كذا وبعن اكثر نحو ويسألونك عن الروح واذا كان السؤال لاستدعاء مال فانه يتعدى بنفسه أو بمن نحو واذا سألتموهن متاعا فاسألوا الله من فضله اه * والسؤال من الادنى للاعلى دعاء وعكسه امر ومن المساوي التماس * وقال بعضهم السؤال والدعاء مترادفان وليس بينهما وبين الامر والالتماس فرق من جهة الصيغة التي تدل على طلب الفعل دلالة وضعية وانما يحصل الفرق بالقرائن وذلك لانه ان قارنت لاستعلاء فهي امر وان قارنت التساوي فهي التماس وان قارنت الخضوع فهي سؤال ودعاء فالسؤال ما دل على طلب الفعل دلالة وضعية مقارنة للخضوع وهكذا (قوله المزيد) اللام عوض عن المضاف اليه اي مزيد النعم (قوله من فضله) هو لغة ضد النقص واصطلاحا العطاء عن اختيار لا عن ايجاب كما تقول الحكماء ولا عن وجوب كما تقول المعتزلة اه ومعنى لا عن ايجاب انه تعالى تصدر عنه افعاله باختيار لا بغيره كما تقول الحكماء فانهم يجعلونه علة وطبيعة تحصل آثارها من غير اختيار كالنار والمعلول هو الطبيعة ومطبوعها ومعنى قوله ولا عن وجوب انه لا يجب عليه تعالى ذلك خلافا للمعتزلة القائلين بانه يجب عليه فعل الصلاح والاصلح ورد بانه لو وجب عليه لما وقعت محنة دنيا واخرى ولا تكليف بامر او نهي وعلى هذا فمن للتعدية وتصح كونها للتعليل أي من اجل اتصافه بالفضل وسائر صفات الكمال اذ لا يسئل حقيقة الا من هو كذلك (قوله وكرمه) فيه الوجهان المذكوران وهو بذل اي اعطاء الكثير لغير علة اي دنيوية أو اخروية وضده اللؤم ويطلق الكرم بمعنى ايثار الصفح عن الجاني ومن عجيب ما يقال كل عيب يغطيه الكرم الا عيب الدين * وحكي اليافعي في روض الرياحين ان شخصا انشد ليحيى بن خالد هذين البيتين فاعطاه بكل حرف من الحروف الف درهم وهما

سألت الندى هل انت حر فقال لا * ولكنني عبد ليحيى بن خالد

فقلت

تعتقد ان الله تعالى قدر الخير والشر قبل خلق الخلق وان جميع الكائنات بقضاء الله تعالى وقدره وهو مريدها ويكفي اعتقاد جازم بذلك من غير نصب برهان (نكتة) كان السلف الصالح رضي الله عنهم يجيبون من سألهم عن القضاء والقدر بان يقولوا ان تعلم أن

ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك وقد سأل سائل الامام عليا رضي الله عنه عن القضاء والقدر فمرض عنه ثم سأله فاعرض عنه الى ان سأله الرابعة فاقبل عليه فقال ان الله تعالى خلق خلقا كيف يشاء أم كيف شاء فقال بل كيف يشاء قال فيحييك كيف يشاء أم كيف شاء قال بل كيف يشاء قال فيميتك كيف يشاء أم كيف شاء قال بل كيف يشاء قال فيبعثك كيف يشاء أم كيف شاء قال بل كيف يشاء قال فيحاسبك كيف يشاء أم كيف شاء قال بل كيف يشاء قال فيعذبك يوم القيامة كيف يشاء أم كيف شاء قال بل كيف يشاء قال فيدخل الجنة كيف يشاء أم كيف شاء قال بل كيف يشاء قال فيدخل النار كيف يشاء أم كيف شاء قال بل كيف يشاء قال فاذهب فليس لك من الامر شيء ﴿ ومعنى خير القدر وشره ان الايمان والطاعة وجميع الافعال الصالحة من خير القدر وان الكفر والمعصية والمخالفة وجميع أفعال الناس من شر القدر وفي رواية سلوه ومروه فخلوا القدر الا خير الطيبة وبواطن النفس كالعلم والمعرفة بجميع الملائكة كالمعافاة والاكل والشرب والنكاح وسائر النفس جميع ما تقتضيه الطبع وخالفه كالآلام والاسقام والامراض والاوجاع والجوع والعطش والخوف فكل ما ذكر يجب الايمان به ﴿ وفيه ﴾ جاء في رواية الترمذي تقديم السؤال عن الايمان على السؤال عن الاسلام قال بعضهم وسؤالي عما هنا اذا استفهمنا الكتاب الله عز وجل فالاولى بالتقديم الايمان لموافقته لكتاب الله عز وجل بدليل قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون قدم فيها الايمان على الاسلام وغير ذلك من الآيات كقوله عز وجل فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات اذ فيه تقديم التوحيد الذي هو من قبيل الايمان على الاستغفار الذي هو من قبيل الاسلام (قوله قال صدقت) تقدم الكلام عليها (قوله قال فاخبرني عن الاحسان) يعني به الاخلاص لانه فسره بما معناه

فقالت شراء قال لا بل وراثة * توارثني من والد بعد والد

﴿ وأشهد ﴾ اي أعلم وأتحقق وأذعن فلا يكفي العلم من غير اذعان كما هو شان كثير من أهل الكتاب الذين كانوا في زمنه صلى الله عليه وسلم ﴿ ان لا اله ﴾ أي لا معبود بحق موجود في الوجود ﴿ الا الله ﴾ بالرفع على البدلية من الضمير المستتر في الخبر المقدر العائد على اسم لا على المختار عند أبي حيان وهو الاشهر وقيل على البدلية من لا اله لان محل لا مع اسمها رفع بالابتداء ويجوز نصبه على الاستثناء لا على البدل من اسم لا لانا نعمل في نكرة منفية ولفظ الله معرفة فتبين وأتى بالشهادة لما رواه أبو داود وغيره عنه صلى الله عليه وسلم انه قال كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء ﴿ الواحد ﴾ في ذاته فلا يقبض ولا يجزأ وصفاته وأفعاله بمعنى عدم مشاركة غيره له فيها فهو النفي على الاطلاق الذي لا يحتاج الى غيره قال بعض المحققين فان قلت نطق القرآن بالواحد والاحد فقال تعالى وإلهكم اله واحد وقال تعالى قل هو الله أحد فهل بينهما فرق من جهة المعنى * قلت من الناس من يفرق بينهما معنى وهو الحق ومنهم من قال الوحدة راجعة الى الذات والاحدية راجعة الى الصفات أي واحد في ذاته واحد في صفاته ومنهم من عكس ومنهم من قال الوحدة راجعة الى نفي المثل والاحدية الى نفي الجزء ومنهم من عكس كذا في شرح الرسالة القشيرية لشيخ الاسلام الانصاري ﴿ القهار ﴾ من القهر لانه ما من موجود الا وهو مقهور تحت قدرته مسخر بقضائه أو النمر قهر الجبابرة في الدنيا بالدمار وقهر جميع اعدائه في الآخرة بالبوار ﴿ الكريم ﴾ المنعم المتفضل الذي يعطي من غير مسئلة ولا وسيلة أو المتجاوز الذي يقيل العثرات ويضاعف الاجر على الحسنات أو الذي يعطي ولا يكدر عطاءه بالمن والاذى أو السيد الذي يمتنع عن أن ينال بامتهان من قولهم أكرمك نفسك عن الهوان وقد سمى الله عز وجل القرآن كريما لامتناعه عن أن يعارض بمثله والكريم يطلق على الله تعالى بخلاف السخي لعدم وروده ولا شعاره بجواز الشح ﴿ الغفار ﴾ من الغفر وهو ستر الشيء وتغطيته أي ستار القبائح والذنوب باسبال الستر عليها في الدنيا وترك المؤاخذة بها في العقبى ويقال لجنة الرأس مغفر لانه يغفر الرأس اي يغطيه والعرب تقول اصبغ ثوبك فانه أغفر للوسخ واعلم ان الغفور أبلغ من الغافر لان فعولا موضوع للمبالغة والغفار أبلغ من غفور لانه للتكثير بغير حصر فاذا ستر الله على عبده مرة فهو غافر له وان ستر عليه مرارا فهو غفور وان أدام الستر عليه فهو الغفار له فاذا ستر على عبده في الدنيا وعفا عن عقوبته في الآخرة ولم يفضحه بذنبه فهو غفار له وقيل من غفر له بعض ذنوبه في الآخرة وعاقبه على الباقي فهو غافر له وان غفر له اكثر ذنوبه وعاقبه على القليل فهو غفور له وان غفر له جميع ذنوبه فهو غفار له وبين الغفار والقهار طباق معنوي لاشعار الاول بالقهر واستحضاره يبعث على الخوف والثاني بالرحمة واستحضارها يبعث على الرجاء ﴿ واشهد ان محمدا ﴾ علم منقول لامر تجول من اسم مفعول المضعف مشتق من الحمد الذي هو ضد الذم سماه به جده عبد المطلب بالهام من الله ليكون على وفق تسمية الله تعالى له به قبل الخلق بالفي عام على ما ورد عند أبي نعيم وليطابق اسمه صفته لكثرة خصاله

ذلك ويجوز أن يعني به إجادة العمل من أحسن في كذا اذا أجاد نظمه وهذا التفسير أخص من الأول وهو السؤال عن الحقيقة كالذي قبله لبعلمه الحاضرون (قوله قال ابن سيد الله كالذي قبله وان لم تكن تراه فانه يراك) هذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم لانه شمل مقام المشاهدة ومقام المراقبة بيان ذلك (٢٢) وايضاحه ان للعبد بين يدي ربه ثلاث مقامات الأول ان يفعلها على الوجه الذي يستطاعه الطلب بان تكون مستوفية للشروط والأركان الثاني ان يفعلها كذلك وقد استغرق في بحار المكاشفة حتى كانه يرى الله تعالى وهذا مقامه صلى الله عليه وسلم كما قال جعلت قرة عيني في الصلاة الثالث ان يفعلها كذلك وقد غلب عليه ان الله تعالى يشاهده وهذا هو مقام المراقبة فقوله فان لم تكن تراه نزول عن مقام المكاشفة الى مقام المراقبة اي ان لم تعبده وأنت من أهل الرقية فاعبده وأنت بحيث تعتقد أنه يراك فكل من المقامات الثلاثة احسان لان الاحسان الذي هو شرط في صحة العبادة انما هو الأول لان الاحسان في الاخيرين من صفة الخواص ويتعذر من كثير وهنا نكتة لطيفة * حكي عن بعض أهل الطريق أنه ذكر هذا الحديث يوما فقال اعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه ثم وقف وهي اشارة صوفية أي انك ان افنيت نفسك ولم تر هاشيا شاهدت ربك لانها حجاب دونه فاذا ألقيت الحجاب شاهدت الجناب وهذا يشبه ما حكي عن بعضهم انه قال رايت رب العزة في المنام فقلت يارب كيف الطريق اليك قال خل نفسك وتعال * قيل أوحى الله تعالى الى بعض الصديقين عاد نفسك فليس في المملكة من ينازعني غيرها (قوله قال فاخبرني عن الساعة) أي عن وقت القيامة وسميت بذلك لسرعة قيامها أو لانها عند الله تعالى كساعة وليس السؤال عن وقت مجيئها ليعلمه الحاضرون كالسؤل عنه

المحمودة وبجاه ان عبد اهل السموات والارض وقد حقق الله رجاءه وبلغه من شهوده باختيار فعليهما ان تصاروا الاسمان في عبده الذي وقف اذا لاول من الثلاثي المضعف والثاني المجرد وذكر المصنف هذا الاسم دون غيره لانه أشهر أسمائه ولذكره في القرآن مضافا دون غيره ولشرفه اشهود مشتق من اسمه تعالى كما قال حسان رضي الله عنه

وشق لها من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

وروى ابن عساكر عن كعب الاحبار أن آدم رأى مكتوبا على ساق العرش في السموات وعلى كل قصر وغرفة في الجنة وعلى نحور الحور العين وعلى ورق شجرة طوبى وسدرة المنتهى واطراف الحجب وبين أعين الملائكة ولم يسم به أحد قبله لكن لما قرب زمنه صلى الله عليه وسلم نشر أهل الكتاب فيه وشاع قبل ظهوره للوجود فلا ارجى أن نبيا بعث اسمه محمد سمي قبل من العرب أولادهم به رجاء النبوة لهم والله أعلم حيث يجعل رسالته ومنع الله كلا منهم ان يدعي النبوة او يدعيها له احد أو يظهر عليه سبب يشكك احدا في امره وعدتهم اما خمسة او ستة او اربعة عشر او خمسة عشر او سبعة عشر والذي اقتصر عليه الشارح المليتي انهم خمسة عشر كما بينه بعض المحققين قال شيخ الاسلام وأما أحمد فلم يتسم به احد قبله فيما اعلم (قوله عبده) قدمه امتثالا لما في الحديث الصحيح ولكن قولوا عبد الله ورسوله للرد على اليهود والنصارى حيث زعمت الاولى ان عزيرا ابن الله والثانية المسيح ابن الله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا * وانظر ان أول مقال المسيح لما طلبت منه امه اجابة القوم عنها هي اني عبد الله ولان العبودية أشرف اوصافه عليه الصلاة والسلام ولذلك وصف بها في أشرف المقامات فذكره في انزال القرآن عليه في مما نزلنا على عبدنا انزل عبده الكتاب انزل الفرقان على عبده وفي مقام الدعوة عليه وأنه لما قام عبد الله يدعوه وفي مقام الاسراء والوحي في اسرى بعبده فاوحى الى عبده ما اوحى فلو كان له وصف اشرف منه لذكره به في تلك المقامات العلية وليس للمؤمن صفة اتم ولا اشرف من العبودية ولقد احسن القاضي عياض حيث قال

ومما زادني شرفا وتيها * وكدت باخمصي اطأ الثريا
دخولي تحت قولك عبادي * وان صيرت لي تيجانا

وعن احمد اخي الغزالي ان القاري لما قرأ عنده يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم فقال شرفهم بياء الاضافة الى نفسه بقوله يا عبادي ثم انشد

وهان علي اليوم في حب سيدي * وقول الاعادي انه لي مليم
أصم اذا نودي بيا سمي وانني * اذا قيل لي يا عبدها لسميع

وقد خيره الله تعالى بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار الثاني ومن ثم لم يقل لشيء فعله خادمه أف قط ولا ضرب عبدا ولا امة وهذا شيء لا يسعه الطوق البشري الا بتاييد الهي (قوله ورسوله) الواو فيه للعطف فعول بمعنى مفعول وهو لغة المرسل واصطلاحا تفسيره كالنبي وآثر ذكره اشارة الى الرد على ابن

فى الاسئلة السابقة انهم مقطوع بانه تعالى مخصوص به بل ليتوجهوا عن السؤال عنها فانهم اكثروا منه كما قال الله تعالى يسالونك عن الساعة ايان مرساها فلما وقع الجواب بانه لا يعلمها الا الله تعالى كفوا عن ذلك (قوله قال ما المسؤل عنها) اى عن وقتها (باعلم من السائل) اى انت لا تعلمها وانا لا اعلمها فالمراد التساوى فى نفى العلم بوقتها لا التساوى (٢٣) فى العلم بوقتها (قوله قال فاخبرنى عن امارتها) بفتح الهمزة اى علاماتها وربما روى امارتها بالجمع وأما الامارة بالكسر فالولاية والمراد علاماتها السابقة عليها ومقدماتها لانها ملازمة لها كطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة فلذا قال (ان تلد الامة ربتها) وفى رواية ربها واختلف فى معناه على اقوال اصحها انه اخبار عن كثرة السراري وأولادهن وان ولدها من سيدها بمنزلة سيدها لان مال الانسان صائر الى ولده وقد يتصرف فيه فى اطفال تصرف الملاك لكن اما بالاذن أو بقرينة اطفال أو عرف الاستعمال وعن بعضهم بان يستولى المسلمون على بلاد الكفار فتكثر السراري فيكون ولد الامة من سيدها بمنزلة سيدها لشرفه بابيه تاييها ان معناه ان الاماء تلد الملوك فتكون أمه من جملة رعيته اذ هو سيدها تاشيها ان معناه ان تفسد احوال الناس فيكثر بيع امهات الاولاد فى آخر الزمان فيكثر تردادها فى ايدى المشترين حتى يشتريها ابنها من غير علم انها امه ومن ذلك ان يكثر العقوق فى الاولاد فيعامل الولد امه معاملة السيد امته من الاهانة والسب ويشهد لذلك حديث ابى هريرة المرأة مكان الامة وحديث لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا وقيل هو كناية عن رفع الاسافل لان الامة اذا ولدت من سيدها ارتفعت منزلتها ويشهد لهذا المعنى حديث لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع وقيل غير ذلك (قوله وان ترى الحفاة) بالمهملة جمع

عليه السلام من تفضيل النبوة على الرسالة وقد سلف رده اه والاضافة فيه وفيما قبله للتشريف ﴿وحبيبه﴾ فعيل بمعنى الفاعل وحبيب ياتى بمعنى محب كاليم بمعنى مؤلم قال الشاعر

انى تودكم نفسى وامنحكم * حبى وقرب حبيب غير محبوب

وقيل بمعنى المفعول أى محبوبه الاعظم ما نفوس البشر هى خالص كل شى وقيل من حبيب الاسنان وهو صفاء بياضها ونضارتها فمعنى صفاه المودة وقيل من الحباب وعليه فهى غليان القلب وثورانه عند التعلق الى لقاء المحبوب ﴿وخليله الاعظم﴾ فعيل بمعنى مفاعل وهو الذى يخالك اى يوافقك فى خلالك أى خصالك أو يسايرك فى طريقك وادخل الفقير فى الرجل أو يسد خلالك أو يدخل خلال منزله أو الذى تخالط المحب شغاف قلبه من الخلة بالفتح وهى الحاجة لا قطاعه الى ربه وقصر حاجته عليه ولذا وصف بها ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما قصر حاجته على ربه حين جاءه جبريل عليهما الصلاة والسلام وهو فى المنجنيق يفتح الميم وكسرها ليرمى به فى النار فقال له الك حاجة فقال أما اليك فلا أو من الخلة بالضم وهى صفاء المودة وتخللها فى القلب فلا يدع فيه محلا الا ملأته وهى توجب الاختصاص بالاسرار قال ابو العلاء المعرى

والخل كالماء يبدى لى ضمائره * ويستر العيب الا انه يصف

أو من الخلة بالكسر وهى نبت تستحليه الابل ومن اسمائهم الخلة خبز الابل والحمص فاكهتهم الثانى هو المختار كما قال الواحدى لان الله تعالى خليل محمد وحمد خليل الله ولا يجوز ان يقال الله تعالى خليل محمد من الخلة بالفتح التى هى الحاجة واختلف هل درجة المحبة ارفع أو الخلة قوال ثانيهما سواء والصحيح الاول بخبر البيهقى انه تعالى قال ليلة الاسراء يا محمد سل تعط فقال يارب انك اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما فقال له ما اعطاك خيرا من هذا الى قوله واتخذتك حبيبا أو ما فى معناه وبان الحبيب وصل بالواسطة بخلاف الخليل قال الله تعالى فى حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فكان قاب قوسين أو ادنى وقال فى حق ابراهيم عليه السلام وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض والخليل قال ولا تخزنى والحبيب قيل له يوم لا يخزى الله النبى والخليل قال فى الجنة حسبى الله والحبيب قيل له يا ايها النبى حسبك الله والخليل قال واجعل لى لسان صدق فى الآخرين والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك اعطى بلا سؤال والخليل قال واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام والحبيب قيل له انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت وربح الزركشى تبعا لابن القيم وغيره الثانى لان المصطفى صلى الله عليه وسلم اخبر ان الله اتخذه خليلا ونفى ان يكون له خليل غير ربه مع اخباره بحبه لعائشة وابيها وفاطمة وبنيها ولعمر بن الخطاب وكثير من الصحابة واهل بيته قال ابن القيم وظن ان المحبة ارفع وان ابراهيم خليل ومحمد حبيب غلط وجهل واما ما احتج به الاولون مما مر فانه يقتضى تفضيل ذات محمد على ذات ابراهيم عليهما الصلاة والسلام مع قطع النظر عن وصف المحبة والخلة وهذا لا نزاع فيه انما النزاع فى الافضلية المستند فى احد الوصفين والذى قامت عليه الادلة استنادها الى وصف

سائر من لا نسل له ذكر وحمل (قوله الشياة) جمع شاء وهو من لا شيء على جسمه (قوله العالة) بفتح اللام المخففة جمع عائل وهو الفقير والبيهقي الفقير (قوله عجاف الشاء) بكسر الراء والله جمع رعاع وأصل الرعي الحفظ والشاء والغنم وخصهم بالذكر لانهم أهل البادية (قوله يتطاولون في البنيان) أي يتباهون (٢) في آداب تقاعد والقصد من الحديث الاخبار عن تبدل الحال وتغيره بان يسود أهل البادية والثياثة الذين هذه صفاتهم ويصيرون ملوكا بعد ان كانوا رعاة الشاء ويتسلطون على الناس والقصد بذلك تكاثر أموالهم وتوسيع في أحكامهم وتصرف همتهم الى تشييد البنيان وقد جاء في الحديث مثل ذلك وهو ان الساعة لا تقوم حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع كناية عن اللؤم وجاء اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظروا الساعة وهذا مشاهد في زماننا وفيه دلالة على كراهية مالا ندعو الحاجة اليه من تطاول البناء وتشييده وجاء في الحديث ما يؤجر ابن آدم على كل شيء الا ما يضعه في هذا التراب وبات النبي صلى الله عليه وسلم واضع حجرا على حجر ولا لبنة على لبنة (قوله ثم انطلق) أي الرجل السائل عما ذكر (قلت) أي النبي صلى الله عليه وسلم) أي استمر ساكتا عن الكلام في هذه القضية (مليا) بتشديد الياء اي زمانا كثيرا وجاء في رواية فلبثت بتاء مضمومة فيكون عمر هو المخبر عن ذلك بنفسه وكان ذلك الزمن بعد ثلاث كما جاء في رواية أبي داود والترمذي وغيرهما (قوله ثم قال يا عمر أتدري من السائل قلت الله ورسوله أعلم قال فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم) أي قواعد دينكم ففيه اشارة الى ان الدين اسم للثلاثة الاسلام والايمان والاحسان وفهم منه انه يستحب للمعلم تنبيه تلامذته وللرئيس تنبيه أتباعه على قواعد العلم وغرائب الوقائع طلبا لتفهمهم وفائدتهم ﴿تنبيه﴾ ظاهر هذا الحديث مخالف لحديث ابي هريرة رضي الله عنه فاذا بر الرجل فقال عليه

الجلالة الذين هم خلق كل منهما أفضل من جميعهم لاختصاصهما بما لم يوجد في غيرهما السابق فيهما الكل من غير نقيصة ولا ابتداء والكبر وهذا الفرق في نبينا أكثر منه في ابراهيم كانت خلته أرفع من خلة ابراهيم صلى الله عليهما وسلم اه وفيه دلالة على ثبوت وصف الخلة والمحبة لكل منهما الذي فضلة كل نبي بما أتصف به من محبته (أفضل المخلوقين) كلهم من الجن والانس والملائكة حتى أمين الوحي جبريل أما أكرم الاولين والآخرين على الله ولا فخر وفي رواية أنا أكرمكم على ربي وقوله أنا سيد الناس يوم القيامة وقوله أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي آدم فمن سواه الا تحت لوائي ومن آخر هذا رصريح الاولين علمت أفضليته على آدم وقوله أنا سيد ولد آدم اما تأدب مع آدم اذ أن علم فضل بعض بنيه عليه كابراهيم فاذا فضل نبينا الافضل من آدم فقد فضل آدم بالاولى ولفظ ولد في الحديث يطلق على الواحد والجماعة فيهم كما قال النلمساني فاندفع ما قيل انه لا يقتضي العموم الا لو قال اولاد وأما التفضيل بين باقي الانبياء والملائكة ففيه طرق سيأتي ذكرها ولا ينافي التفضيل بين الانبياء عليهم الصلاة والسلام قوله تعالى لا نفرق بين أحد منهم ولا قوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني وفي رواية لا تخيروني على الانبياء ولا قوله أيضا لا تفضلوا بين الانبياء ولا قوله لا تخيروني على موسى ولا قوله ما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى فقد كذب وذلك لان عدم التفرقة بينهم انما هو في الايمان بهم وبما جاؤا به وأما النهي فانما هو عن تفضيل في نفس النبوة او الرسالة فان الانبياء كلهم مشتركون في ذلك من غير تفاوت او عن تفضيل يؤدي الى تنقيص المفضول او يؤدي الى الخصومة والفتنة او قاله صلى الله عليه وسلم تواضعا واحتراما لاخوانه الانبياء او قاله قبل ان يعلمه الله تعالى بتفضيله عليهم وان أستبعد بانه رواه ابو هريرة وما أسلم الا سنة سبع فيبعد انه لم يعلمه الله بتفضيله عليهم الا بعد هذا وأجاب جمع كمالك وامام الحرمين عن خبر يونس بما حاصله نفي توهم التفاوت بينهما في القرب لاختلاف محلهما الصوري برفع نبينا صلى الله عليه وسلم الى قاب قوسين ونزول يونس الى قعر البحر اي لا تتوهموا من هذا التفاوت تفاوتا في القرب والبعد من الله تعالى بل نسبة كل اليه واحدة وان تفاوت مكانهما لتعاليه عن الجهة والمكان وحكى السهيلي عن شيخه القاضي ابي بكر بن العربي عن شيخه أبي المعالي ان سائلا من العوام سأل أبا المعالي في مجلسه عن الدليل على أن الله تعالى لا يوصف بالجهة ولا يحدودها فقال نعم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني عن يونس بن متى فقال الرجل انا أريد ان أعرف وجه الدليل فقال ضاقني الليلة ضيفه لعلي الف دينار وقد شغلت بالي فلو قضيت عني قلته فقام رجلان من التجار فقالا في ذمتنا فقال ابو المعالي لو كان رجل واحد ضمنها لكان أحب الي فقال احد الرجلين او غيرهما هي في ذمتي فقال نعم ان الله سبحانه وتعالى أسرى بعبده الى فوق سبع سموات حتى سمع صرير الاقلام فلم يكن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في علو مكانه بأقرب الى الله من يونس في بعد مكانه فان الله تعالى لا يقرب اليه بالاجرام والاجسام وانما يقرب اليه باحسن الاعمال ﴿المكرم﴾ على غيره من سائر الرسل ﴿بالقرآن﴾ العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من

خلقه وهو الكلام المنزل عليه صلى الله عليه وسلم للاعجاز بسورة منه المتعبد بتلاوته مصدر قرأ اذا جمع جمعه السور المخلقة وعلوم الاولين والآخرين والمقرآن الحوض اذا جمع فيه الماء وسميت القرية قرية لجمعها اهلها وقيل مصدر قرأ اذا ألف لحسن نظمه وتاليفه ﴿العزيز﴾ من عز الشيء يعز بكسر العين في الماضي وضمها في المضارع اذا لم يكن له نظير فهو البالغ من العزة المنتهية الغاية التي لا ترقى او بمعنى الغالب من قولهم عزه فلان يعز بضم العين اذا غلبه ومنه قوله تعالى وعزني في الخطاب أي غلبني وقيل المتعزز من عز يزأى من غلب سلب لانه غلب فصحاء العرب وبلغاءهم واعجزهم أو بمعنى المنيع والعزة المنعة ومنه قوله تعالى يبتغون عندهم العزة أي المنعة لامتناعه لرصانة مبانيه وصحة معانيه من ان يطعن فيه ﴿المعجزة﴾ اسم فاعل حذفت منه التاء للمقابلة بالقدرة * وهي من حيث هي كما قال الرازي امر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة قال السعد انما قال أمر ليتناول الفعل كانقلاب الماء من بين الاصابع الشريفة وعدمه كعدم احراق النار لابراهيم عليه الصلاة والسلام ومن اقتصر على الفعل جعل المعجزة ههنا كون النار بردا وسلاما وبقاء الجسم على ما كان عليه من غير احتراق واحترز بقوله المقرون بالتحدي عن الخارق الواقع من غير تحد فيسمي كرامة والخارق المتقدم على التحدي كتسليم الحجر عليه صلى الله عليه وسلم وكاظلال الغمام له فانه لم يقل له صلى الله عليه وسلم الا قبل النبوة فلا قائل ان وقع فيه فيسمي ارهاصا أي تاسيسا للنبوة من ارهصت الحائط اذا أسسته والمتاخر عنه نحو ما روى بعد وفاته من نطق بعض الموتى بالشهادتين وشبهه مما تواترت به الاخبار فيسمي كرامة * والتحدي دعوى الرسالة وقيل طلب المعارضة لشاهد الدعوى والراجح الاول ولا يشترط في صدق الدعوى تعيين الخارق بل لو قال أنا آتي بخارق لا يقدر عليه غيري كفى والمتبادر من السياق ان ذلك الخارق موافق للدعوي فيخرج الخارق الكذب للمتحدي به كما وقع لمسيلمة اللعين انه تفل في بئر ليكثر ماؤها فغارت دعا لشخص أعور فعميت عينه الصحيحة فيسمي استدراجا وذلا لا واهانة ويخرج به ايضا ما اذا قال معجزتي نطق هذا الحجر فنطق بانه كذاب بخلاف ما اذا قال احيا هذا الميت فنطق انه كاذب لان المعجزة في احيائه وهو بعد مختار قدم الكفر على الايمان وقد يظهر الخارق على يدعي تخليصه له من فتنة وسمي معونة واحترز بقيد عدم المعارضة عن السحر والشعبذة فانه يمكن معارضتهما بتعليمهما ثم ان قيد التحدي لا بد منه لكن يشترط عند كل معجزة لان اكثر معجزاته صلى الله عليه وسلم صدر من غير تحد بل قيل لم يتحد بغير القرآن وتبقى الموت وانما الشرط وقوعها أي المعجزة ممن سبق منه دعوى التحدي فتامل ذلك ليندفع به ما أطال به النقاش في تفسيره من ابطال اشتراط ذلك وتزييفه ولا يرد ما سيقع على يد الدجال من الخوارق العجيبة لانه مدع الربوبية لا الرسالة وقد دلت القواطع على كذبه وان خلق ذلك على يديه لمحض الفتنة لا غير * وقد علم مما سبق اشمال التعريف بالعناية على القيود السبعة التي اعتبرها المحققون في المعجزة اولها ان تكون فعلا لله تعالى او ما يقوم مقامه كالترك ليتصور كونه تصديقا منه تعالى للاتي به وثانيها أن تكون خارقا للعادة اذ الاعجاز دونه وثالثها أن يكون ظهوره

جبريل يتمثل لنبينا صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي وفي رواية ما جاء في جبريل في صورة لم اعرفه فيها الا في هذه المرة قال ابن عادل رحمه الله يروي ان جبريل عليه السلام نزل على آدم عليه السلام اثنتي عشرة مرة وعلى ادريس اربع مرات وعلى نوح خمس مرات وعلى ابراهيم اثنتين واربعين مرة وعلى موسى اربعمائة مرة وعلى عيسى عشر مرات وعلى محمد صلى الله عليه وسلم اربعا وعشرين ألف مرة وقد وصف الله سبحانه وتعالى جبريل عليه السلام بالقوة فقال علمه شديد القوى وكان من قوته انه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الاسود وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وكان من قوته ان صاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين خامدين وكان هبوطه من السماء على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وصعوده اليها في أسرع من طرفة عين ويقال لدالناموس كما في البخاري

﴿ ٤ ـ شبر خبتي ﴾ ومسلم ولقد حكى بعض العلماء في تصانيفه له ان الله تبارك وتعالى اوحى الى جبريل عليه السلام ان اهبط الى البلاد الفلانية فاقلب عاليها سافلها فانه قد اشتد غضبي عليهم في هذه الليلة فقال جبريل سبحانك يارب وأي ذنب فعلوا قال انه قد ركب فيهم في هذه الليلة سبعون ألف ذكر سبعين ألف فرج زنا قال فذهب الى تلك القرى وكانت سبعة مدائن فرفعها على حافة من جناحه حتى وصل بها الى عنان السماء وأراد ان يقلبها وكان لامرأة منهم عجين فقامت اليه وظا طفل نائم في المهد فلما ان وضعت يدها في العجين استيقظ

الطفل من مهده وصاح هاربت امرأة في أمرها وإذا تفعل ربها ماذا يعجبني فقالت من عظم ما ترى فتنا على ولدها
يا ولدي ان ربي سبحانه وتعالى من كرمه عظيم لا يعجل بالعقوبة على من عصاه * قال فلما تكلمت المرأة بالثالثة سكن غضب الله
عز وجل وقال لجبريل ضع القرى (٢٦) مكانها فانه قد سكن غضبي بما جاء هذه المرأة لولدها فاني عظيم لا أعجل بالعقوبة
على من عصاني فكان الطفل

سبب الشفاعة فيمن استحقوا
العذاب وهم لا يعلمون
اللهم ارض عنا ولا تغضب
علينا آمين آمين يا ارحم
الراحمين والحمد لله رب
العالمين وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

﴿ المجلس الثالث في
الحديث الثالث ﴾

الحمد لله الواحد الاحد
الفرد الصمد الذي لم يلد
ولم يولد ولم يكن له كفوا
أحد وأشهد أن لا اله الا
الله وحده لا شريك له
شهادة تكون سبب النعيم
المؤبد وأشهد ان سيدنا
ونبينا محمدا صلى الله عليه وسلم
عبده ورسوله النبي المفضل
المشرف المؤيد فهو محامد
ومحمود وأحمد ومحمد صلى الله
عليه وسلم وعلى آله وأصحابه
ما ركع راكع وسجد آمين

﴿عن أبي عبد الرحمن عبد
الله بن عمر بن الخطاب
رضي الله عنهما قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول بني الاسلام
على خمس شهادة أن لا اله
الا الله وان محمدا رسول
الله وإقام الصلاة وايتاء
الزكاة وحج البيت وصوم رمضان رواه البخاري ومسلم﴾

موسى

اعلموا اخواني وفقني الله وإياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم رواه الامام البخاري في الايمان والتفسير والامام مسلم في
الايمان والحج وقد اشتمل على أركان الاسلام فهو من قواعد الدين العظيمة (قوله صلى الله عليه وسلم بني الاسلام) أي أسس
وأصل البناء أن يكون في المحسوسات دون المعاني فاستعماله في المعاني من باب المجاز وقد جاء في غاية الحسن والبلاغة اذ جعل

على يد مدعي النبوة ليسلم أو تصديق له * ورابعها ان يكون مقارنا للدعوى خلقة أو سمعا ان
تراخى المتحدي عن زمان الخارق قريبا يسيرا بحيث لا يعده العرف منفصلا منه * وخامسها أن
يكون موافقا للدعوى فاذا خالف لا يعد تصديقا كفتق الجبل عند دعوى مدعي الرسالة ان معجزته
فلق البحر بحيث عبر الخارق * وسادسها ان لا يكون مكذبا له ان كان من جنس تكذيبه كقوله
معجزتي نطق هذا الجماد فنطق بانه مفتر كذاب فانه يدل على كذبه بخلاف ما اذا قال معجزتي
نطق هذا الانسان الميت أو الحيوان الحي وشهد انه مفتر كذاب لانه لا يدل على كذبه لان المعجزة
انما هي نطقه أو احيائه وبعد ذلك هو مكلف مختار فربما اختار الكفر على الايمان كالمنافقين وسابعها
ان تتعذر معارضته الا من نبي مثله فان هذا هو حقيقة الاعجاز وزاد بعضهم ثامنا وهو أن لا يكون
الخارق واقعا في زمان نقض العادات فلا يتم عند قيام الساعة وفيها لا يبعد محمد قائم ان هذه الشروط
جميعها موجودة في القرآن فكان معجزة لانه صلى الله عليه وسلم دعا الى معارضته بالاتيان بمثله
فعجزوا ثم بعشر سور فعجزوا ثم بالاتيان بمثل أقصر سورة منه فعجزوا ثم ادى ذلك على تدريج البلغاء
والفصحاء من العرب العرباء مع كثرتهم كثرة تزيل الدهناء وهم سحبان البطحاء وشهرتهم بانهم فرسان
الفصاحة وشجعان البلاغة وافراطهم في العصبية وحمية الجاهلية فعجزوا حتى أنهم آثروا مقارعة
السيوف على معارضة الالفاظ والحروف * ووجه اعجازه كما قال الجمهور كونه في الطبقة العليا من الفصاحة
والدرجة القصوى من البلاغة على ما يعرفه فصحاء العرب قال بعض علمائهم وعلماء العرب بعلوم تهم في
فن البيان واحاطتهم باساليب الكلام هذا مع اشتماله على الاخبار عن المغيبات الماضية والآتية وعلى
دقائق العلوم الالهية واحوال المبدأ والمعاد ومكارم الاخلاق والارشاد الى فنون الحكمة العلمية
والعملية والنصائح الدينية والدنيوية على ما يظهر المتدبرين ويتجلى على قلوب المتفكرين وهذا
يدل على ان فصحاء العرب انما قاعدوا عنه ظهر وبدا في فصاحته وبلاغته عن طاقتهم أنهم كانوا
اذا سمعوه تعجبوا من حسن نظمه وبلاغته وفصاحته وسلامته وجزالته ويرقصون رؤوسهم
عند سماعه حتى ان اعرابيا سجد عند سماع قوله تعالى فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين
وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام وقالت جارية خماسية أو سداسية من فصحاء العرب الاصمعي
ما رأيته تعجب من فصاحة حديث أو بعد هذا فصاحة بعد قوله تعالى وأوحينا الى أم موسى ان أرضعيه
الآية فقد جمع فيها بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين وقال بعض بطارقة الروم بعد اسلامه
لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ان آية من القرآن جمعت كل ما أنزل على عيسى من أحوال
الدنيا والآخرة وهي ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الآية وستأتي هذه تامة من هذا
في شرح قوله بجوامع الكلم ﴿المستمرة﴾ أي الدائمة وفي بعض النسخ المستمر وصفاته باعتبار
لفظه ﴿على تعاقب﴾ أي توالي ﴿السنين﴾ تشهد بصدق دعواه فيما جاء به وترشد الى الايمان
به في كل زمان وأما من قبله من الانبياء فخصه الله تعالى من المعجزات بما ثبت به دعواه
بحسب زمانه فاذا انقضى زمانه انقضت معجزته كقلب العصا حية واخراج اليد بيضاء في زمن

للاسلام قواعد وأركانا محسوسة وبعض الاسلام مبنيا عليها (قوله على خمس) أي خمس دعائم أي قواعد هي حاصل ما سيذكر (قوله شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) هذا هو الركن الاول من اركان الاسلام ولما كان الايمان هو تصديق القلب بكل ما علم بالضرورة أنه من دين محمد صلى الله عليه وسلم وكان تصديق القلب أمرا باطنا لا اطلاع لنا عليه

موسى لان الغلبة به كانت بالسحر فأتاهم بما فوق ذلك وفي زمن سليمان بالملك فأتاهم بملك لم ينله غيره وفي زمن عيسى بالطب فأتاهم بما هو أبهر منه أعني إحياء الموتى وفي حديث البخاري ما من نبي الا أعطي ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله تعالى الي وفي معناه قولان غير متنافيين برجع حاصلهما الى ان معجزات الانبياء انقرضت بانقراض أعصارهم مع كونها محسية تشاهد بالابصار كعصى موسى وانقلاب عصاه لم يشاهدها الا من حضرها ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة فيشاهدها كل من جاء بعد الاول وانما كانت أكثر معجزات الامم السالفة حسية لبلادتهم وأكثر معجزات هذه الامة عقلية لفرط ذكائهم ﴿والتمسك بالسنن﴾ جمع سنة فعله بمعنى مفعولة * وهي لغة الطريق القويمة يقال فلان على السنة أي على طريق الاستواء لا يميل الى شيء من الاهواء * واصطلاحا أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وأحواله والمراد بها هنا ما سنه أو شرعه صلى الله عليه وسلم من الاحكام فرضا كان أو نفلا من سن الماء يسنه اذا أرسل صبه فكان اجراؤه على نهج واحد أو من سننت النصل اذا أحددته أو من سن من الابل اذا أحسن رعيها وتطلق السنن أيضا على العلم قال بعضهم

ما عاين الناس من فضل كفضلهم * ولا رأوا مثلهم في سالف السنن

ونازع الزجاج في ذلك وقال في المعنى أهل السنن فحذف المضاف ﴿المستنيرة﴾ اي ذات النور المكنى به عما تضمنته واشتملت عليه هداية العالمين وإيقاظ الغافلين بخلاف غير المستنيرة كالبدع فانها تشبه بالظلمات لما يتخيل فيها من سواد وظلام أو هو الاتضاح تشبيها لها بالوضوح بها واهتداء الناس بها وظهور أحكامها بذات النور لما يتخيل فيها من بياض واشراق ثم ان استنارتها وان ظهرت لكل أحد الا أنها لا تتضح كمال الاتضاح الا ﴿للمسترشدين﴾ جمع مسترشد وهو طالب الرشاد ضد الغي ﴿المخصوص﴾ من الله تعالى عن سائر الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ﴿بجوامع الكلم﴾ من إضافة الصفة للموصوف اي الكلم الجوامع كما في خبر مسلم أوتيت جوامع الكلم وفي خبر الصحيحين بعثت بجوامع الكلم وفي خبر أحمد أوتيت فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه وتخصيص الهروي جوامع الكلم بالقرآن مردود وجوامع واحدها جامعة والمراد انه يجمع القليل من كلامه ما يغني عن الكثير من كلام غيره كقوله فيما سيأتي انما الاعمال بالنيات وقوله أن تعبد الله كأنك تراه وقوله لمن سأله الوصية لا تغضب وقوله اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وقوله كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وقوله ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه وقوله الناس كأسنان المشط والمرء كثير بأخيه والمرء مع من أحب ولا خير في صحبة من لا يرى لك مثل ما يرى لنفسه الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ما لك آخر وقد عرف قدره رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم جبلت القلوب على حب من أحسن اليها الخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل ليس الخبر كالمعاينة اليد العليا خير من اليد السفلى ما قل وكفى خير مما كثر وألهى البلاء موكل بالمنطق * وزعم ابن الجوزي وضعه مردود جمال الرجل فصاحة لسانه الحياء خير كله الدال على الخير كفاعله كل معروف

جعله الشارع منوطا بالشهادتين قال تعالى قولوا آمنا بالله وقال عليه الصلاة والسلام أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وان محمدا رسول الله رواه الشيخان وسيأتي ان شاء الله تعالى الكلام على معنى ذلك وعلى شيء من فضل لا إله إلا الله في محله ﴿تنبيه﴾ هل النطق بالشهادتين شرط لاجراء أحكام المؤمنين في الدنيا من الصلاة عليه والتوارث والمناكحة وغيرها غير داخل في مسمى الايمان أو جزء داخل في مسماه قولان ذهب جمهور المحققين الى أولهما وعليه من صدق بقلبه ولم يقر بلسانه مع تمكنه من الاقرار فهو مؤمن عند الله وهذا أوفق باللغة والعرف وذهب كثير من الفقهاء الى ثانيهما والزموهم الاولون بان من صدق بقلبه فاختر مته المنية قبل انساع وقت الاقرار بلسانه يكون كافرا وهو خلاف الاجماع على ما نقله الامام الرازي وغيره لكن يعارض دعوى الاجماع قول الشفاء الصحيح انه مؤمن مستوجب الجنة حيث أثبت قبه خلافا (قوله وإقام الصلاة) هذا هو الركن الثاني من أركان الاسلام * والصلاة لغة الدعاء بخير وشرعا أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم بشرائط مخصوصة وهي خمس في كل يوم وليلة معلومة من الدين بالضرورة * والاصل فيها قبل الاجماع آيات كقوله تعالى وأقيموا الصلاة أي حافظوا عليها دائما بأكمل وأجمعها وسننها وقوله تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا

موقوتا أي محتمة مؤقتة وأخبار كثيرة صلى الله عليه وسلم فرض الله على أمتي ليلة الاسراء خمسين صلاة فلم أزل أراجعه وأسأله التخفيف حتى جعلها خمسا في كل يوم وليلة وقوله تلا هذه الآية حين قال ما قال لا لان تطوع وقوله لما علمه بعد السائل الذي أخبره بان الله فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم (٧٨) وليلة * وأما وجوب قيام الليل فسيأتي الكلام عليه وعلى ما يتبع في محله صلى الله عليه وسلم أكثر

الاصحاب لا والصحيح نعم هو اختلاف في اشتقاق اسم الصلاة فقيل من الدعاء كما مر وقيل سميت بذلك من الرحمة وقيل من الاستقامة لقولهم صليت العود على النار اذا قومته فالصلاة تقيم العبد على طاعة الله تعالى وخدمته وتنهاه عن خلافه وقيل لانها صلة بين العبد وبين ربه وقيل غير ذلك قال الرافعي في شرح المسند ان الصبح كانت صلاة آدم والظهر كانت صلاة داود والعصر كانت صلاة سليمان والمغرب كانت صلاة يعقوب والعشاء كانت صلاة يونس وأورد في ذلك خبرا فجمع الله سبحانه وتعالى جميع ذلك لنبينا عليه وعليهم افضل الصلاة والسلام ولامته تعظيما له ولكثرة الاجور له ولامته وقد قال عليه الصلاة والسلام خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن فلم يضيع منهن شيأ استخفافا بحقهن كان له عهد عند الله ان يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء أدخله الجنة وقال صلى الله عليه وسلم اعلم الايمان الصلاة وقال صلى الله عليه وسلم انما العمل مثل الصلاة كمثل نهر عذب غمر بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون هل يبقي ذلك من درنه شيأ قالوا لا قال فان الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن وقال عليه الصلاة والسلام ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء عند المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط وقال صلى الله عليه وسلم

صدقة عبك الشرير يسمي وبهم ليس بموضوع بل حسن خصلة ان يتم فيه ما جمع شيء الا شيء أحسن من علم الى علم زرعا تردد حبا النفاع مال لا يغد وكنز لا يفني الاقتصاد في النفقة نصف الديشة والتودد الى الناس نصف العقل وحسن السؤال نصف العلم التأني حبائل الشيطان الغاضب ظلمات يوم القيامة * وجوز ابن حبيب أن يكون المراد بجوامع الكلم ما جاء انه صلى الله عليه وسلم كان يتكلم كل قبيلة بلسانها وان لم يكن لها قبل وصحح ابن العربي الى غير ذلك فقال اعلم ان آدم عليه الصلاة والسلام حاز الاسماء وعلمه صلى الله عليه وسلم حاز جميع ما في تلك الاسماء التي علمها آدم وهي المراد بحديث أوتيت جوامع الكلم ثم قال فعلم ان من حصل الذرات فالاسماء تحت حكمه وليس كل من حصل الاسماء يكون المسمى تحت صلاحيته وبذلك فضلت الصحابة عليا لانهم حصلوا الذات وحصلنا نحن الاسم ولسنا نعني الاسم مرادفا للذات بل نعني به ما يتعلق بالذات فالاسماء التي علمها الاول * ومن القرآن قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي زاد الحسن لم تترك هذه الآية خيرا الا أمرت به ولا شرا الا نهت عنه وذكر ان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بينما هو نائم في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فاذا رجل من بطارقة الروم عند رأسه وهو يقول أشهد أن لا إله الا الله وأشهد محمدا رسول الله فقال له عمر ما شانك قال أسلمت لله قال مهل لذلك سبب قال نعم اني قرأت التوراة والانجيل والزبور وكثيرا من كتب الانبياء فسمعت أسيرا يقرأ آية من السر آرجع فيها كل ما في الكتب المتقدمة علمت انه من عند الله فأسلمت قال ما هذه الآية قال قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الآية قال عمر رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم أوتيت جوامع الكلم ولبعضهم

وجوامع الكلم التي فضلت * سعيدنا طها البلغاء والاقلام أي خضعت

(و سماحة الدين) لقوله صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحاء أي السهلة فخلوها عن التكاليف الشاقة التي كانت على اليهود كتعين القصاص في القتل عمدا كان أو خطأ ولا يجزي الدية وقطع الاعضاء الخاطئة في العين وفي النظر الى ما لا يحل وقتل النفس في التوبة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب وربع المال في الزكاة واسترقاق السارق المسروق منه وتحريم الغنائم وبجاسة الحائض ونحو ذلك وقولنا ومضاجعتها بالاشتمال يوم السبت واذا أذنب أحدهم حرم عليه أكل الطيب بتشديد المثناة التحتية من الطعام أصبح ذنبه مكتوبا على بابه فيحد وخلوها عن التفريط المفرط المفوت لمحاسن الآداب الذي كان في النصرانية من نحو مخامرة النجاسة وجماع الحائض وتعيين العفو عن القود والمراد بالحنيفية ملة الابراهيمية مقتبسا من قوله تعالى ملة ابراهيم حنيفا والحنيف عند العرب من كان على ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام ثم سموا من اختتن وحج البيت حنيفا والحنيف المائل عن الباطل الى الحق سمي ابراهيم عليه السلام حنيفا لانه مال عن عبادة الاوثان والسمحاء في الحديث صفة الحنيفية ومعناها السهلة والملة السمحاء هي الملة التي لا حرج فيها ولا تضييق على الناس وهي ملة الاسلام وجمع كونها حنيفية وكونها سمحة فهي حنيفية في التوحيد سهلة في

يا أبا هريرة مر أهلك بالصلاة فان الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب وأنشد ألا في الصلاة الطهر والفضل أجمع ✻
لآن بها الارقاب لله تخضع وأول فرض في شريعة ديننا ✻ وآخر باقي اذ الدين يرفع فرقا للتكبير لا قد رحمة ✻
وكان كعبد باب مولاه يقرع وكان لعرش حين صلاته ✻ نجيا فطوبى له حين يخشع (٢٩) ✻قالت عائشة رضي الله

الفصل ✻ في الصلاة على جميع الرسل عموما أحادها عليه صلى الله عليه وسلم خصوصا ثم على الانبياء والرسل عموما فنقول ﴿ صلوات الله وسلامه عليه ﴾ اظهارا لعظمته وأداء لبعض ما يجب له صلى الله عليه وسلم اذ هو الواسطة بين الله وبين العباد وجميع النعم الواصلة اليهم التي أعظمها الهداية للاسلام انما هي ببركته صلى الله عليه وسلم وعلى يديه وامتثالا لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما واغتناما للثواب الوارد في قوله صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له وفي رواية تصلي عليه ما دام اسمي في ذلك الكتاب قال الشيخ أحمد زروق في عمدته ان يكون المراد كتب وهو أظهر أو قرأ الصلاة المكتوبة وهو أو سمع وأرجى اه وذكر بعض شيوخنا ان صوره أربع وان الفضل المذكور يحصل لمن كتب ذلك أو قرأه ان كان مكتوبا وأما من صلى عليه باللفظ في كتاب ولم يكتبه ولم يكن مكتوبا فيه فانه لا يحصل له الفضل المذكور وهو ظاهر ويدل له قوله ما دام اسمي الخ اذ هو في هذه الحالة لم يذكر اسمه في ذلك الكتاب فتامله وبهم ما ذكرانه لو جمع بين الكتابة والصلاة لفظا يحصل له الفضل المذكور بالاولى ✻ فان قيل لم أكد سلموا دون صلوا في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ✻ قيل لما كيدها بان ولتقدم ذكر الصلاة من الله والملائكة اولا ولان الصلاة من الله رحمة ومن الملائكة استغفار وذلك واقع منهم بلا تردد وأما البشر فلما صدر من بعضهم ما صدر من أذيتهم وتنقيصهم أمروا مع الصلاة بالتسليم من النقائص والانقياد وأكد لوقوع الانكار ✻ والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم واجبة في العمر مرة كالشهادتين الذي يظهر ان حكم السلام في الوجوب في العمر مرة حكم الصلاة كما قاله أبو عبد الله محمد الرصاع ﴿ تنبيه ﴾ قال ابن الجوزي في مفتاح الحصن وأما الجمع بين الصلاة والسلام فهو الاولى والاكمل والافضل لقوله تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما ولو اقتصر على أحدهما جاز من غير كراهة فقد جرى عليه جمع منهم مسلم في صحيحه وهلم جرا حتى الامام الشاطبي في قصيدته اللامية والرائية قال وقول النووي وقد نص العلماء على كراهة الاقتصار على الصلاة عليه من غير تسليم اه لا أعلم أحدا نص على ذلك من العلماء ولا من غيرهم وذكر شيخنا أبو الفضل بن الخطيب ان الشافعي اقتصر على الصلاة دون التسليم في خطبة الرسالة وكذا الشيخ أبو اسحق الشيرازي في تنبيهه وكذا النووي في خطبة عقيدته اه من أذكار الشامي وقال الخطاب في شرح خطبة المختصر شاع في كلام كثير من العلماء كراهة افراد الصلاة عن السلام وعكسه وممن صرح بالكراهة المؤلف قال السخاوي في القول البديع وتوقف شيخنا يعني الحافظ ابن حجر في اطلاق الكراهة وقال فيه نظر نعم يكره ان يفرد الصلاة ولا يسلم أصلا أما لو صلى في وقت وسلم في وقت فانه ممتثل اه وبما كد بمعنى خطبة مسلم والتنبيه وغيرها من مصنفات أئمة السنة من الاقتصار على الصلاة فقط وقال قبله استدل بحديث كعب وغيره على ان افراد الصلاة عن السلام لا يكره وكذا العكس لان تسليم السلام تقدم قبل تعليم الصلاة اه المراد منه وقال بعض شيوخنا وقع في كتب اهل المذهب للمتقدمين وقوعا شائعا ذكر السلام دون الصلاة عليه حتى أخبرني

تعالى عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ويحدثنه فلما حضرت الصلاة قام كأنه لم يعرفنا ولم نعرفه ✻ هذا أجمع الطابع في ترتيب السلطان ألط طب من ربه الخود الحسان حافظ على صلواتك وحافظ بالفوائل تنل في غرفك أعلى المراتب والمنازل فقد قال عليه الصلاة والسلام من سلم يسجد لله تعالى سجدة الا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة ✻ وروى ابن حبان في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر مرفوعا ان العبد اذا قام يصلي أتي بذنوبه فوضعت على رأسه أو على عاتقه وكلما ركع أو سجد تساقطت حتى لا يبقى منها شيء ان شاء الله تعالى والاحاديث عنه في فضل الصلاة أكثر من أن تحصى وسيأتي ان شاء الله تعالى في المجالس الآتية زيادات على ما يذكر هنا ✻ قيل كانت رابعة العدوية تصلي في

اليوم والليلة الف ركعة وتقول ما أريد بها ثوابا ولكن لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الانبياء انظروا الى امر أمتي هذا عملها في اليوم والليلة (قوله وإيتاء الزكاة) هذا هو الركن الثالث من أركان الاسلام ✻ والزكاة في اللغة هي النمو والبركة وزيادة الخير وفي الشرع اسم لقدر مخصوص من مال مخصوص يصرف لاصناف مخصوصة بشرائط مخصوصة وسميت بذلك لان المال ينمو ببركة اخراجها ودعاء الآخذ ولانها تطهر مخرجها من الاثم وتمدحه حتى تشهد له بصحة الايمان ✻ والاصل في

وهو بها قبل الاجماع قوله تعالى وآتوا الزكاة فخصص امر الاطم منه وأخبار كثيرة منها هذا الخبر فيكفر جاحد ان الزكاة المجمع عليها دون نحو الخارج لكن ذكر ابن الصلاح ان الاصح ان الزكاة كذلك وقاتل الصحابة على منعها ولقوله تعالى منه ﴿وفرضت في السنة الثانية من الهجرة (٣٠) سبعة اشياء من الابل والبقر والغنم والنقد والعروض والزروع والنخل والكرم ونصابها معروف لسائل كتب الفقه ولهذا وجبت لثمانية أصناف من طبقات الناس وهم الذين ذكرهم الله تعالى بقوله انما الصدقات للفقراء والمساكين الآية وجاء في الزكاة أخبار وآثار كثيرة سيأتي بعضها في غير هذا المجلس (قوله وحج البيت) هذا هو الركن الرابع * والحج في اللغة القصد وفي الشرع قصد الكعبة للنسك وهو فرض على المستطيع لقوله تعالى ولله على الناس حج البيت الآية ولهذا الخبر ولقوله صلى الله عليه وسلم حجوا قيل أن لا تحجوا قالوا كيف نحج قبل ان لا نحج قال ان تقعد العرب على بطون الاودية يمنعون الناس السبيل وهو معلوم من الدين بالضرورة يكفر جاحده الا أن يكون قريب عهد بالاسلام أو نشأ ببادية بعيدة عن العلماء وهو من الشرائع القديمة * روي ان آدم عليه السلام لما حج قال له جبريل ان الملائكة كانوا يطوفون بالبيت قبلك بسبعة آلاف عام وقال صاحب التعجيز ان اول من حج آدم عليه السلام وانه حج اربعين سنة من الهند ماشيا وقيل ما من نبي الا حجه وقال ابو اسحق لم يبعث الله نبيا قط ابراهيم الا وقد حج البيت * وادعى بعض من ألف في المناسك انه لم يجب الا على هذه الامة * واختلفوا متى فرض فقيل قبل الهجرة حكاه في النهاية والمشهور انه بعدها وعليه قيل انه فرض في السنة الخامسة وقيل في السادسة وقيل في السابعة وقيل في الثامنة وقيل في

الصلاح

من اورثني به أنوار نسمة من انتقى بخط الباجي ذكر فيما جرى بين آدم عليه السلام وبين ربه ما نصه ذكر محمد بن كرام في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم بدأ على صدم كراهة ان يبدأ السلام من الصلاة خطأ واذا كان لا يكره ان يبدأ السلام فان يبدأ الصلاة اولى لان الصلاة واجبة فتطلب بحرى خلاف السلام وتقدم في كلام المختار ان الاصح مسلم وصاحب التنبيه وغيرهما على كتابة الصلاة فقط بدليل عدم كراهة الافراد على سائر ﴿بين﴾ بمعنى اقتى كما قال الازهري وغيره وقال القاضي عياض الوجه والمعنى في الدين ابن دقيق العيد وابن الصلاح من البيان وهو بقية الماء وهو الشيء فيها الذي عليه الكدر والمختلفون اعلم هو الباقي مطلقا قل أو كثر أو الباقي الاكثر ثالثها الاول من الاول ومن الصحيحين ومعنى الجميع كما قاله الجوهري والجلوا البقية وابن برى من سور الله بقوله هو ما لا تحيط طبعها او عليه قول الشاعر

ألزم الظالمون سجل طرا * فهو فرض على سائر الانبين

﴿النبيين﴾ جمع نبي بالهمز من النبأ وهو الخبر لانه يخبر فتجمع الباء عن الله تعالى بما يوحى اليه او بغير توبكسرها على ما قاله بعضهم لانه يخبر عن نفسه بذلك او لقول بعضهم انه يجب عليه أن يخبر غيره بنبوته وان نظر فيه وترك الهمز وهو الاكثر اما مخففا من المهموز بقلب همزته ياء وأما من النبوة وهي الرفعة لانه مرفوع الرتبة على غيره من الخلق وبعضهم يجمع هذا ﴿والمرسلين﴾ وأسماء الانبياء كلها أعجمية الا اربعة عربي شعيب وهود وصالح قال الصفائي في شرح الرسالة القيروانية وزاد ابن ناجي اسمعيل وفيه نظر اذ لفظ اسمعيل أعجمي نعم الانبياء كلهم عجم الا خمسة محمد واسمعيل وهود وصالح وشعيب * والحاصل ان محمدا وهودا وصالحا وشعيبا ذواتهم عربية وكذا اسماؤهم وأما اسمعيل فذاته عربية واسمه أعجمي ﴿وآل﴾ أصله أهل ابدلت الهاء همزة ثم والت همزتان فقلبت الثانية ألفا وبدل لتصغيره على أهيل كذا قيل وهو غير متجه اذ يجوز ان يكون أهيل تصغير أهل لا تصغير آل وقيل أصله اول بفتح الواو وتحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا ولا يضاف الا لشرف من العقلاء الذكور فلا يقال آل الاسكاف ولا آل مكة ولا آل فاطمة وأما قوله تعالى ادخلوا آل فرعون الآية فلشرفه الدنيوي كذا قيل والحق ان القيود كلها اغلبية لقولهم آل الله وآل البيت وقول عبد المطلب

وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

والصحيح جواز اضافته للمضمر ومنه حديث اللهم صل على محمد وعلى آله وقول عبد المطلب المتقدم ﴿وكل﴾ أي كل واحد من النبيين بحذف المضاف اليه لدلالة السياق عليه والذي اختاره الامام مالك والازهري ووجهه القرطبي في شرح مسلم ان آله صلى الله عليه وسلم أتباعه وهم امة الاجابة وهي اللائق بمقام الدعاء لكن قيده القاضي حسين وغيره بالاتقياء منهم ويؤيده قوله تعالى ان اولياؤه الا المتقون قيل فيحمل كلام من اطلق عليه وقيل يبقى على اطلاقه بان يراد بالصلاة الرحمة المطلقة وخير آل محمد كل نبي سنده واه جدا وروى عن جابر من قوله بسند ضعيف وجزى فيه خلاف في باقي الزكاة والنبي والمشهور من مذهبنا اختصاصهم فيهما باقاربه المؤمنين من بني هاشم وزاد الشافعية والمطلب ﴿وسائر الصالحين﴾ وهم القائمون بحقوق الله تعالى وحقوق العباد فدخل الصحابة كلهم لثبوت وصف

الصلاح والصلاة عليهم وعلى غيرهم ممن انتسب بذلك جعلنا الله تعالى منهم آمين كذا في الشارح الفيومي رأيتها الصحابة داخلون في آله سواء فسرناه بمطلق أتباعه أو بالاتقياء منهم ﴿تنبيه﴾ في حكم الصلاة على غير الأنبياء والملائكة استقلالا وذكرنا حكمها خلاف الأولى خلافا والأصح الكراهة وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى نحو من مقصاته وإنما تبعا كما هنا فجائزة إجماعا ﴿أما بعد﴾ أي بعد البسملة والحمد لقوله والصلاة والسلام على من تقدم رأيتها ناسيا يا صلى الله عليه وسلم لأنه كان يأتي بها في خطبه وكتبه وهي يؤتى بها للانتقال من أسلوب الى آخر وأصلها مهما يكن من شيء بعد البسملة والحمدلة وما شابههما فاقبل قد رويناها في فوقت كلمة أما وقع اسم هو المبتدأ وفعل هو الشرط وتضمنت معناها فلتضمنها معنى الشرط لزمتها الفاء اللازمة للشرط غالبا ولتضمنها معنى الابتداء لزمها تصوق الاسم اللازم للمبتدأ بعضها طرق ما كان وإيقاعه بقدر الامكان قاله في المطول وقوله غالبا قيد لقوله اللازمة للشرط لا لقوله لزمتها الفاء لان لزوم الفاء لأما كلي افلا تحذف من جزائها الا في ضرورة الشعر كقوله

* فاما القتال لا قتال لديكم * وقوله للاسم الموصوف الاسم يرد عليه قوله تعالى فاما ان كان من المقربين الآية والجواب ان في الكلام حذف مضاف أي فاما القول ان كان الخ كما اختاره صاحب الكشاف * وأما الجواب بان الرضي وصاحب المفتي جوزا وقوع الشرطية بعدها فلا يتم * وأما هذه حرف شرط وتوكيد دائما وتفصيل غالبا ويجاب بظرف مهمل في الغالب كثيره من الظروف المتطرفة عن الاضافة لمشابهة الحرف لاحتياجه الى معمول ذلك المحذوف وانما بنيت على حركة تنبيها على ان لها عروضا في الاعراب وعلى الضم جبرا بالقوي الحركات لاطلاقها من الوهن بحذف ما يحتاج اليه وليكمل لها جميع الحركات لا تنافي الاعراب كانت اما مجرورة بمن أو منصوبة على الظرفية أو الحالية حركة بنائها حركة إعرابها * واختلف في أول من تكلم بها فقيل داود عليه الصلاة والسلام وهو الاشهر وهي فصل الخطاب الذي أوتيه لانها تفصل بين المقدمات والمقاصد والخطب والاوامر عظيم وقيل أول من تكلم بها يعقوب وقيل أيوب وقيل سليمان وقيل قس بن ساعدة الايادي وقيل كعب بن لؤي وقيل يعرب بن قحطان وقيل سحبان بن وائل وعليها فصل الخطاب الذي أوتيه داود البينة على المدعي واليمين على من أنكر لكن القول بان أول من تكلم بها سحبان فيه نظر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبه وهو قبل سحبان احداها اذ سحبان كان في زمن معاوية * وأجيب بان المراد أول من قالها بعد النبي صلى الله عليه وسلم وصحة هذا الجواب تتوقف على انها لم تصدر من اصحابه بعده ولا من غيرهم الى زمن سحبان والظن يخلاف ذلك لما علم من كمال محافظتهم على الاقتداء به في نحو ذلك والاولى في الجواب انه أول من تكلم بها في الشعر كقوله

لقد علم القوم اليمانون انني * اذا قلت أما بعد اني خطيبها

وبعد ظرف زمان باعتبار النطق ومكان باعتبار الرقم فقد رويناها قد للتحقيق وأتى بنون العظمة لاظهار نعمة التلبس بالعلم المأكد تعظيم أهله امتثالا لقوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث مع الامن من الاعجاب ونحوه والا كان مذموما وأيضا العرب تؤكد فعل الواحد فتجعله بلفظ الجمع

هذا الباب أم لا بد قال لا بد * وأما عليه البيق الامر بالحج لكل خطوة أميال فحمول على الندب لقوله صلى الله عليه وسلم من حج حجة أدى فرضه ومن حج ثانية دان ربه ومن حج الثالثة حجج عرم الله شعره وبشره من النار وقد يجب الحج أكثر من مرة لعارض كنذر وقضاء عن افساد التطوع والعمرة فرض في الاظهر لقوله تعالى وأتموا الحج والعمرة لله اي ائتوا بهما تامين وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت يا رسول الله هل على النساء جهاد قال نعم جهاد لا قتال فيه الحج والعمرة ولا يجب في العمر الا مرة واحدة فيأثم الموافي من لم يحج منهم من الحج مرض قاطع او سلطان جائر ومات ولم يحج فلا يبالي مات يهوديا او نصرانيا وقال عمر رضي الله تعالى عنه هممت ان اكتب الى الامصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه سبيلا * وعن سعيد بن ابراهيم النخعي وعجاهد وطاوس لو علمت رجلا غنيا يجب عليه الحج ثم مات قبل ان يحج ما صليت عليه وقد فعله بعض السلف في جارله موسر مات فلم يصل عليه وكان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يقول من مات ولم يترك ولم يحج سأل الرجعة الى الدنيا وكان يفسر قوله تعالى رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا وكان يقول هذه الآية من أشد شيء على أهل التوحيد * وقد جاء في فضل الحج والعمرة أخبار كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته حاجا او معتمرا ومات أجرى الله له أجر الحاج

في المحشر والبعث يوم القيامة ومنها قوله صلى الله عليه وسلم ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة * ومنها قوله صلى الله عليه وسلم أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله لم يغفر له وهو أول يوم في الدنيا * ومنها قوله صلى الله عليه وسلم ان الحجر ياقوتة من يواقيت الجنة وانه يبعث يوم القيامة وله عينان ولسان ينطق به ويشهد لمن استلمه بحق وصدق وقال مجاهد ان الحجاج اذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الابل وصافحوا ركبان الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقا ومن الخبر ان الله قد وعد هذا البيت أن يحجه كل سنة ستمائة ألف فان نقصوا كملهم الله من الملائكة وان الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة فكل من حجها يتعلق بأستارها ويسعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها * ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه * ومنها قوله صلى الله عليه وسلم العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة * ومنها قوله صلى الله عليه وسلم عمرة في رمضان تعدل حجة (حكاية) حكي عن محمد بن المنكدر أنه حج ثلاثا وثلاثين حجة فلما كان في آخر حجة حجها قال وهو بعرفات اللهم انك تعلم اني وقفت بموقفي هذا ثلاثا وثلاثين وقفة فواحدة عن فرضي والثانية عن أبي والثالثة عن أمي وأشهدك يارب اني قد وهبت الثلاثين لمن وقف بموقفي هذا ولم يتقبل منه فلما دفع من عرفات نودي يا ابن المنكدر أتتكرم على من خلق الكرم والجود وعزتي وجلالي اني لقد غفرت لمن وقف بعرفات قبل ان أخلق عرفات بألفي عام (قوله وصوم رمضان) هذا هو الركن الخامس من أركان الاسلام وجاء في رواية تقديمه على الحج وهو رواية الاكثر ووجهه أن الصوم في كل عام ووجه ماهنا مافيه من تنشيط

لكن أتى بواو كمن قد يقال النون ليست للعظمة بل للمتكلم مع غيره اشارة الى أن هذا الحديث قد تداوله الرواة الذين هو منهم طبقة بعد طبقة وأنه متعارف مشهور بينهم لا تختص روايته به والرواية الاخبار عن أمر عام لا ترافع فيه الى الحكام وروينا بفتح أوله مع تخفيف الواو المفتوحة عند الاكثر من روى يروي اذا نقل عن غيره وقال بعضهم بضم الراء وكسر الواو مشددة أي من مشيوخنا رواتهم باجازتهم لنا (عن علي) أول من أسلم من الصبيان وله سبع سنين أو ثمان أو تسع أو عشر وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى تبوك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في أهله فقال يارسول الله تخلفني في النساء والصبيان قال أما ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى غير أنه لا نبي بعدي * وعنه أنه قال انطلقت أنا والنبي صلى الله عليه وسلم حتى أتينا الكعبة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلس وصعد على منكبي فذهبت لانهض به فرأى مني ضعفا فنزل وجلس لي نبي الله صلى الله عليه وسلم وقال اصعد على منكبي قال فصعدت على منكبيه قال فنهض بي فانه يخيل الي أني لو شئت لنلت أفق السماء حتى صعدت على البيت وعليه تمثال من صفر أو نحاس فجعلت أزاوله عن يمينه وشماله و بين يديه ومن خلفه حتى اذا استمكنت منه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اقذف به فقذفت به فتكسر كما تتكسر القوارير ثم نزلت فانطلقت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم نستبق حتى توارينا بالبيوت من خشية ان يلقانا أحد * وعن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر لأعطين هذه الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله و يحبه الله ورسوله قال فبات الناس يدوكون أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها فقال أين علي بن أبي طالب فقيل له يارسول الله انه يشتكي عينيه قال فأرسلوا اليه فأتي به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فبرئ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية فقال علي يارسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن تكون لك حمر النعم * وكان له من الولد أربعة عشر ذكرا وتسعة عشر أنثى * وعن الارقم انه قال رأيت عليا وهو يبيع سيفا له في السوق و يقول من يشتري مني هذا السيف فوالذي فلق الحبة لطالما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان عندي ثمن ازار ما بعته * وجاء رجل من مراد اليه وهو يصلي في المسجد فقال احترس فان أناسا من مراد يريدون قتلك فقال ان مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر فاذا جاء القدر خليا بينه وبينه فان الاجل جنة حصينة * واستشهد غداة الجمعة سنة أربعين من ضربة عبد الرحمن بن ملجم المرادي لسبع بقين من رمضان وقيل فيه لثلاث عشرة بقين منه وقيل ليلة احدى وعشرين وقيل يوم الاحد وله ثلاث وستون سنة * وغسله ابناه وعبد الله بن جعفر وصلى عليه ابنه الحسن ودفن في الصحراء عند مسجد الجماعة في الرحبة مما يلي أبواب كندة قال الصغاني أو في قصر الامارة عند المسجد الجامع وغيب قبره ومدة خلافته

النفس وارضائها بما فيه من المشقة وبذل المال والصوم في اللغة الامساك ومنه قوله تعالى حكاية عن مريم اني نذرت للرحمن صوما اي امساكا عن الكلام وفي الشرع امساك عن المفطر على وجه مخصوص مع النية والاصل في وجوبه قبل الاجماع قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم اي من الامم (٣٣) الناصية قيل ما من امة الا اوجب الله عليهم رمضان الا انهم ضلوا عنه واخبار كهذا الخبر وهو قوله صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس وفرض في شعبان في السنة الثانية من الهجرة * وأركانه ثلاثة صائم ونية وامساك عن المفطرات ويجب صوم رمضان باحد أمرين باكمال شعبان ثلاثين يوما او رؤية الهلال ليلة الثلاثين من شعبان ويجوب به معلوم من الدين بالضرورة فمن جحد وجوبه فهو كافر الا ان يكون قريب عهد بالاسلام او نشأ ببعد عن العلماء ومن ترك صومه غير جاحد من غير عذر كمرض وسفر كان قال الصوم واجب علي ولكن لا اصوم حبس ومنع الطعام والشراب نهارا ليحصل له صورة الصوم بذلك وقد قيل ان الصوم عموم وخصوص وخصوص الخصوص فصوم العموم هو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة وصوم الخصوص هو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام وصوم خصوص الخصوص هو صون القلب عن الهمم الدنية وكفه عما سوى الله تعالى بالكلية * وقد جاء في فضل رمضان أخبار كثيرة شهيرة * قال صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس ما في رمضان من اليمن والبركة لتمنوا أن يكون حولا كاملا * وقال صلى الله عليه وسلم من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وفي رواية وما تأخر وقال صلى الله عليه وسلم من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم

﴿ ٥ - شيرخيتي ﴾

خلافته خمس سنين الا ثلاثة أشهر ونقش خاتمه الملك لله وكنيته أبو الحسن وأبو تراب كناه بذلك النبي صلى الله عليه وسلم لما رجده نائما في المسجد وقد علق التراب بجسمه فأيقظه وقال له قم أبا تراب ولقب أيضا بحيدرة * ومروياته خمسة وستون حديثا ﴿ ابن أبي طالب ﴾ واسمه عبد مناف بن عبد المطلب ﴿ وعبد الله بن مسعود ﴾ الهذلي صاحب سواك رسول الله صلى الله عليه وسلم وطهوره وتعليه * توفي بالمدينة سنة اثنين وثلاثين ودفن بالبقيع وهو ابن بضع وستين او سبعين سنة ومروياته ثمانمائة وثمانية وأربعون وسياتي عند ذكر شيء من مناقبه ﴿ معاذ ﴾ ضم الميم وفتح المهملة وبالمعجمة ﴿ ابن جبل ﴾ بالجيم بك ضد السهل الانصاري شهد مع اذ بدرا وما بعدها وبعث الى اليمن قاضيا ومعلما بها توفي طاعون عمواس بالاردن سنة ثمان عشرة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة * ومروياته سبعة وخمسون وسياتي عند ذكر شيء من مآثره ﴿ وأبي الدرداء ﴾ بفتح المهملتين وسكون الراء عويمر ابن زيد وقيل ابن عامر الانصاري الخزرجي كان فقيها عابدا زاهدا شهد المشاهد كلها وهو حكيم هذه الامة باخبار المصطفى صلى الله عليه وسلم وسكن الشام وولاه عمر بن الخطاب القضاء بدمشق وكان أبو الدرداء يقول اطلبوا العلم فان عجزتم فاحبوا اهله فان لم تحبوهم فلا تبغضوهم * وعنه ايضا رضي الله عنه تفكر ساعة خير من قيام ليلة وكتب الى مسلمة بن مخلد الانصاري أما بعد فان العبد اذا عمل بطاعة الله أحبه الله فاذا أحبه الله حببه الى خلقه واذا عمل بمعصية الله ابغضه الله فاذا أبغضه الله بغضه الى خلقه وعنه أيضا استيقظوا بالله من خشوع النفاق قيل وما خشوع النفاق قال ان يرى الجسد خاشعا والقلب ليس بخاشع وقيل له لم لا تقول الشعر فانه ليس رجل له بيت في الانصار الا وقد قال شعرا قال وأنا قد قلته فاسمعوا فقال رضي الله عنه

يريد المرء أن يعطى مناه * ويأبى الله الا ما أرادا
يقول المرء فائدتي ومالي * وتقوى الله أفضل ما استفادا

* وعنه ايضا ادركت الناس ورقا لا شوك فيه فاصبحوا شوكا لا ورق فيه ان فقدتهم فقدونك وان تركتهم لا يتركونك قالوا فكيف نصنع قال تقرضهم من عرضك ليوم فقرك * ولما اشتكى دخل عليه أصحابه فقالوا ما تشتكي قال ذنوبي قالوا فما تشتهي قال الجنة قالوا افلا ندعو لك طبيبا قال هو الذي أضجعني * ومات بدمشق سنة اثنين وثلاثين وقيل سنة احدى وثلاثين في خلافة عثمان ومروياته مائة وتسعة وعشرون ﴿ و ﴾ عبد الله ﴿ بن عمر بن الخطاب ﴾ الرجل الصالح بشهادة المصطفى صلى الله عليه وسلم وكان ألزم الناس متابعة للنبي صلى الله عليه وسلم في أفعاله وآدابه توفي بمكة سنة ثلاث او أربع وسبعين ومروياته ألفان وسبعمائة وثلاثون وسياتي عند ذكر شيء من مآثره (و) عبد الله ﴿ بن عباس ﴾ حبر الامة وعالمها وترجمان القرآن ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل ومات بالطائف سنة ثمان وستين وهو ابن سبعين سنة * ومروياته ألف وستمائة وثمانية وستون وسياتي عند ذكر شيء مما يتعلق به ﴿ و ﴾ أبو حمزة ﴿ أنس بن مالك ﴾ الانصاري خادمه النبي

من ذنبه * وفسر واقيامه بصلاة التراويح وقال صلى الله عليه وسلم الصائم في رمضان اذا أفطر فرح بفطره اذا لقي ربه ففرح بصومه وكان
الصائم لا ترد دعوته وقال بعضهم في المعنى

وربان نور أبصرت قوما تابعت * عزائمهم حتى تقد بفجرها الليلا
لا بصرت قوما صابروا اللوم وارتدوا (٢٤) باردية السهاد والزموا السهدا وصاموا نهارا دائما واعتاروا *

صلى الله عليه وسلم بقوله يا ذا الاذنين وخرج من رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر وانما لبعض البدريين لانه لم يكن في من قاتل بات بالبصرة بعد ان عمر أكثر من مائة سنة وهو آخر من مات من الصحابة بها وبات سنة احدى أو اثنين أو ثلاث وستين * وعمر به مائتا حديث وستة وثمانون حديثا وسيأتي عند ذكره ابراهيم ما يتعلق به * (وأبي هريرة) عبد الرحمن صخر الدوسي على الاصح في اسمه واسم أبيه قال الشافعي أحفظ من روى الحديث في دهره أبو هريرة وكان صاحب قيام وصيام يسبح في اليوم اثني عشر ألف تسبيحة ولي امارة المدينة ومات بها سنة سبع أو تسع وخمسين وله ثمان وسبعون سنة وأحاديثه المرفوعة خمسة آلاف وثمانمائة وستون حديثا وسيأتي عند ذكر شيء من أموره (وأبي سعيد الخدري) لهملة نسبة الى خدرة قبيلة من الانصار * مات سنة أربع وسبعين ولد أربع وتسعون سنة ودفن بالبقيع * ومروياته ألف وسبعمائة وسبعون وسيأتي عند ذكر مرضه شيء مما يتعلق به (من طرق كثيرات بروايات متنوعات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من) اسم شرط جازم (حفظ) أي نقل وان لم يحفظ اللفظ ولا عرف المعنى اذ به يحصل الانتفاع للمسلمين بخلاف حفظ ما لم ينقل اليهم قاله المصنف * واعترض تفسيره الحفظ بما ذكر بان البست في زمرة الفقهاء والعلماء يستدعي معرفة المعاني ادلا يسمى فقيها عالما الا به * وأجيب بان حفاظ الاربعين مختلف درجاتهم فمنهم مقتصر على الرواية دون الدراية فهذا يحشر في زمرة الفقهاء والعلماء لقوله صلى الله عليه وسلم من تشبه بقوم فهو منهم فمن تشبه بالعلماء يكرم كما يكرمون وان لم يكن منهم حقيقة ومنهم من ضم الى الرواية الدراية بان نقل الاحاديث وفهم ظواهر معانيها وفهمها لغيره فهذا يكتب في زمرة العلماء ويحشر مع الشهداء ومنهم من فيه أهلية التخريج واستنباط الاحكام كالبخاري ومسلم وشبههما فذا فقيه عالم حقيقة فيبعث يوم القيامة على ما مات عليه وأما جواب الشارح الهيتمي بان بعث الحافظ في زمرتهم لا يستدعي انه مساولهم بل يكفي انه منسوب لهم نسبة ما الخ فهو غير ظاهر لان قوله في بعض طرق الحديث كتب في زمرة العلماء يأباه فالكتابة في قوم تقتضي انه منهم ولا يعترض على المصنف بانهم فسروا الاحصاء في حديث ان لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها كلها دخل الجنة بمن حفظها مستظهرا وينبغي الاستظهار بان المراد قراءتها كلمة كلمة على سبيل الترتيل أو علمها وتدبر معانيها أو القيام بحقها والعمل بمقتضاها وجعلوا الاول للعوام والثاني للعلماء والثالث للاولياء لان القصد تم التعبد باللفظ وهنا النفع المتعدي وهو لا يحصل بمجرد اللفظ بل بالنقل * وصرح جمع منهم العلامة نجم الدين الطوفي بعدم الاكتفاء بالكتابة ولو مرارا وحينئذ فمن حفظها بقلبه ولم ينقلها لهم يشمله الوعد وان كتبها في عشرين كتابا ونظر فيه الهيتمي بان كتابتها نقل لها * والحفظ ضبط الشيء ومنعه من الضياع والانصاف انه لا يدخل في الوعد الا من حدث بأربعين لهم رواية أو نقلها لهم عن أحد دواوين المسلمين المعروفة المعول عليها والمرجوع لها (على أمتي) الامة في الاصل الجماعة قال الاخفش هي في اللفظ واحد وفي المعنى جمع وكل جنس من الحيوان أمة وفي الخبر لولا أن الكلاب أمة من الامم لامرت بقتلها والمراد بها هنا أمة الاجابة (أربعين

عملي بلغ الاقوات
واستعملوا الكدا
أولئك قوم أحسن الله
فعلهم
وأبدلهم من محسن فعلهم
الخلدا

وقال صلى الله عليه وسلم
من قام ليلة القدر ايمانا
واحتسابا غفر له ما تقدم
من ذنبه وهي في رمضان
في العشر الاخير منه
وعن ابن مسعود
الغفاري انه سمع النبي
صلى الله عليه وسلم يقول
ما من عبد يصوم يوما من
رمضان الا زوج زوجة
من الحور العين في خيمة
من درة مجوفة مما ئة
الله حور مقصورات
في الخيام على كل امرأة
منهن سبعون حلة ليس
منها حلة على لون الاخرى
ويعطى سبعين لونا من
الطيب ليس منهن ريح
لون على ريح الآخر
لكل امرأة منهن
سبعون سريرا من ياقوتة
حمراء موشحة بالدر
على كل سرير سبعون
فراشا على كل فراش أربعة

لكل امرأة منهن سبعون ألف وصيفة لحاجتها وسبعون ألف وصيف مع كل وصيف صحفة من ذهب فيها لون من حديثا
طعام تجد لآخر لقمة منها لذة لم تجدها لاولها ويعطى زوجها مثل ذلك على سرير من ياقوت احمر عليه سوار ان من ذهب موشح بياقوت
لكل يوم صامه من شهر رمضان سوى ما عمل من الحسنات رواه الترمذي الحكيم * وقال وكيع في تفسير قوله تعالى كلوا واشربوا
هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية انها ايام الصوم تركوا فيها الاكل والشرب * وفي صحيح النسائي اذا جاء رمضان فتحت ابواب الجنة

وغلقت ابواب جهنم وسلسلت الشياطين وروي الزهري أن تسبيحة واحدة في شهر رمضان أفضل من ألف تسبيحة في غيره (تكملة عظيمة) عن ثابت رضي الله عنه انه قال كان ابي من القوامين شتى سواد الليل قال رايت ذات ليلة في منامي امرأة لا اشبه النساء فقلت لها من انت فقالت حوراء أدخرت لابن عمك فقلت لها زوجيني نفسك فقالت اخطبني من عند ربك (٥٠٢) واسهر في قبلت وما مهرك فقالت طول التهجد وأنشدوا في المعنى

يا طالب الحور اء في
مخدرها

وطالبا ذا لك على قدرها
انهض بجد لا تكن وانيا
وجاهد النفس على صبرها
وجانب الناس وارفضهم
والزم الوحدة في وكرها
وقم اذا الليل بدا وجهه
وصم نهارا فهو من مهرها
فلو رأت عيناك اقبالها
وقد بدت رمانتا صدرها
وهي تماشي بين اترابها
وعقدها يشرق في نحرها
لهان في نفسك هذا الذي
تراه في دنياك من مهرها

* واعلم ان وجه الحصر في اركان الاسلام الخمسة المذكورة في الحديث ان العبادة اما قولية وهي الشهادة أو غير قولية وهي اما ترك وهو الصوم او فعل وهو اما بدني وهو الصلاة أو مالي وهو الزكاة أو مركب منهما وهو الحج فان قيل لم يذكر مع الخمس الجهاد فالجواب انه لم ان يكن فرض او كان فرضه فرض كفاية بخلاف الخمس فانها فرائض اعيان فهذه اركان الاسلام ﴿خاتمة المجلس﴾ جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اراد الله بعبد خيرا سلك في قلبه اليقين والتصديق واذا اراد به شرا سلك في قلبه الريبة قال الله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا وقد اتفق اهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على ان المؤمن الذي يحكم بانه من اهل القبلة ولا يخلد في النار لا يكون الا من اعتقد بقلبه دين الاسلام اعتقادا جازما

﴿حديثا﴾ تنبيه على التحسين رخصي هذا العدد دون غيره لانه أقل عدد له ربع عشر صحيح وفي الحديث أدوا ربع عشر أموالكم وكل أربعين درهما درهم أي بشرط بلوغ السراهم مائتي درهم إذ لا وجوب في أقل من ذلك فضل حديث الزكاة على تطهير ربع العشر فانها في كذلك المعمل بربع عشر الاربعين حديثا يخرج باقيها عن كونه غير معمول به ولذا قال بشر الحافي يا أهل الحديث اعملوا من كل اربعين حديثا بحديث ﴿من﴾ تبعيضية ﴿أمر﴾ أي شأن ﴿دينها﴾ احترز به عن المتعلق بامر دنياها فلا يكتفي بهذه المثابة ﴿بعثه الله في زمرة﴾ الزمرة الجماعة من الناس ﴿الفقهاء﴾ العارفين بالفروع الفقهية من الفقه وهو لغة الفهم ﴿والعلماء﴾ هو أعم مما قبله لانه يشمل المفسرين والمحدثين والفقهاء العلم وهو صفة توجب تمييزا بين الاشياء لا يحتمل النقيض ومن ثم قال النسفي استفدت أبا الحسن الكيا الطبري فيمن اوصى بثلث ماله للعلماء والفقهاء هل يدخل فيهم كتبة الحديث فكتب نعم كيف لا تدخل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من حفظ على أمتي أربعين حديثا من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فقيها عالما وأسند ابو الحسن القابسي الى علي بن الجعد بجاور جل الى سفيان الثوري فقال حلفت بالطلاق اني عالم فقال ان كان مستندك علم فلان رأي فلان فقد حنثت وان كان عندك اربعون حديثا من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فانت لم تحنث ولما كان البحث في زمرة الفقهاء والعلماء لا يستلزم ان يكون منهم بين المراد بذكر الرواية الثانية بقوله ﴿وفي رواية﴾ ذكرها ابو نعيم في الحلية ﴿بعثه الله فقيها عالما وفي رواية لابي الدرداء وكنت له يوم﴾ ليوم الشرعي من طلوع الفجر الى الغروب وليس مرادا انما المراد منه القطعة من الزمان ومنه قول الشاعر

فيوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر

﴿القيامة﴾ مصدر قام يقوم ودخلها التاء للمبالغة وسميت بذلك لقيام الخلق من قبورهم وقيل غير ذلك ﴿شافعا﴾ من الشفاعة وهو سؤال الخير للغير والمراد هنا سؤال التجاوز عن الذنوب والجرائم ﴿وشهيدا﴾ وفي رواية ابن مسعود قيل له ادخل من اي ابواب الجنة شئت وفي رواية ابن عمر وكتب في زمرة العلماء﴾ هذه الرواية مغايرة للرواية السابقة وهي بعثه الله في زمرة الفقهاء والعلماء ﴿وحشر في زمرة الشهداء﴾ جمع شهيد وهو فعيل بمعنى مفعول كقتيل سمي شهيدا لان الله وملائكته يشهدون له بالجنة يوم القيامة أو الشهادة ملائكة الرحمة له أو لشهادة حاله بصدق نيته أو لشهادته الحساب ولا يحاسب أو لان معه شاهدا وهو الدم لانه يبعث وجرحه ينفث دما أو لاستقوطه على الشهادة وهي الارض أو لانه يستشهد به يوم القيامة على الكفار وهي غير متباينة يمكن اجتماعها الا ان الشهادة لا تختص بالقتل في المعترك ﴿واتفق الحفاظ﴾ اي اكثرهم ﴿على انه﴾ اي الحديث المذكور ﴿حديث ضعيف﴾ قال ابن حجر وجمعت طرقه في جزء ليس فيها طريق تسلم من علة قادحة واما ذكر ابن الجوزي له في الموضوعات فهو تساهل منه والصواب أنه ضعيف لا موضوع * فان قلت سلمنا عدم وضعه لكنه شديد الضعف والحديث اذا اشتد ضعفه لا يعمل به ولا في الفضائل كما قاله ابن السبكي وغيره وحينئذ فكيف عمل به جمع من الائمة أئمة أقسمهم في تخريج الاربعينيات اعتمادا عليه * قلت لا نسلم انه شديد

سخا ليا من الشك ينطق بشهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله * وحكى عن عبد الواحد بن زيد قال مررت في بعض الجبال بشيخ أعمى أصم مقطوع اليدين من الرجلين ضربه الفالج يصيح في كل وقت والزنابير تنهش من لحمه والدم يتقاطر من جنبيه وهو يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به (٣٦) كثير من خلقه قال فقدمت اليه وقلت له أخبرني بأخبرك قال فقلت له ما أرجو

البلايا الا محيطة بك قال فرفع طرفه الي وقال لي يا بطال اليك عني فانه عافاني اذ أطلق لي لسانا يحمده وقلبا يعرفه وفي كل لحظة يذكره وأنشد

حدث الله ربي اذ هداني الى الاسلام والدين الحنيف
فيذكره لساني كل وقت ويعرفه فؤادي باللطيف
اللهم اختم لنا منك بخير في عافية بلا محنة آمين والحمد لله رب العالمين

﴿ المجلس الرابع في الحديث الرابع ﴾

الحمد لله الذي أتقن المصنوعات وقطر الموجودات وأمات الاحياء واحيا الاموات ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له رب الارضين والسموات وأشهد أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله سيد السادات ومعدن السعادات صاحب الآيات البينات والمعجزات الظاهرات الشفيع فيمن يصلي عليه يوم الحسرات صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه اهل الفضل والكرامات ﴿ عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان احدكم يجمع خلقه في بطن أمه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر باربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي او سعيد فوالذي لا اله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى

الضعف لا ندري الذي لا يعلم طريق من طرقه من كذاب او متهم بالكذب وهذا ليس كذلك كما دل عليه كلام الائمة الذين سلفنا ذلك فهم لم يعتمدوا في ذلك عليه بل على ما سيذكره المصنف من الاحاديث الصحيحة وأما خبر من حفظ من أمتي حديثا واحدا كان له كاجر أحد وسبعين نبيا صديقا فهو موضوع قاله الشارح الهيتمي ﴿ وقد صنف العلماء رضي الله عنهم في هذا الباب ما لا يحصى من المصنفات ﴾ أي ولله بهم أسوة ﴿ فاول من ﴾ علمته ﴿ صنف فيه ﴾ أبو عبد الرحمن ﴿ عبد الله بن المبارك ﴾ بن واضح الحنظلي التميمي من تابعي التابعين أحد الائمة الاعلام * قال ابن مهدي الائمة أربعة سفيان ومالك وحماد بن زيد وابن المبارك وقال أحمد لم يكن في زمن ابن المبارك اطلب للعلم منه وكان صاحب حديث حافظا وقال ابن معين ما رأيت من يحدث لله الا استفدت منهم ابن المبارك وكان ثقة عالما متقنا صحيح الحديث وكان كتبه التي حدث بها عشرين الفا * ولد سنة تسع عشرة ومائة وقيل سنة ثمان * وتوفي منصرفا من الجهاد سنة احدى وثمانين ومائة وله ثلاث وستون سنة * وكان أبوه مملوكا لرجل من همدان ﴿ ثم محمد ﴾ بن أسلم بن سالم بن زيد ﴿ الطوسي ﴾ بضم الطاء نسبة الى قرية من قرى بخارى ﴿ العالم الرباني ﴾ وصفه بذلك لقول ابن خزيمة هو رباني هذه الامة لم ترعيني مثله * والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون للدلالة على كمال الصفة وهو شديد التمسك بدين الله وطاعته وعن المبرد انه منسوب الى رباني الذي يربي الناس بالتعليم واصلاحهم وقال الصوفية انه الكامل من كل الوجوه في جميع المعاني * وفي البخاري هو الذي يربي صغار العلم قبل كباره * وقال الشارح الهيتمي هو من أفيضت عليه المعارف الالهية فعرف بها ربه وعرف الناس بعلمه انه صنف المسند وجوده وكان من الثقات الحفاظ والاولياء الابدال وأقدام شيوخ المضر بن شميل وكان شديدا على احمد بن حنبل توفي في المحرم سنة اثنتين وأربعين ومائتين ﴿ ثم ﴾ محدث خراسان ﴿ الحسن ﴾ رحل البلدان وسمع وصنف وكان له كرامات كثيرة * وتوفي سنة ثلاث وثلاثمائة ﴿ ابن سفيان ﴾ بتثليث السين ﴿ النسوي ﴾ بفتح النون نسبة الى نساء مدينة بخراسان صاحب المسند ﴿ وأبو بكر ﴾ محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي صاحب كتاب الشريعة والاربعين وله تصانيف كثيرة كان عالما ثقة دينا حدث ببغداد ثم انتقل الى مكة واستوطنها وقال اللهم أحيني في هذه البلدة ولو سنة فسمع هاتفا يقول له لسنة ولكل ثلاثين سنة فلما كملت قيل له وفينا بالعهد فمات بمكة في المحرم سنة ستين وثلثمائة ﴿ الآجري ﴾ بهمزة مفتوحة ممدودة ﴿ وأبو بكر محمد بن ابراهيم ﴾ بن علي كان ثقة يملي من حفظه ﴿ الاصفهاني ﴾ بكسر الهمزة وفتحها والفاء لا بالباء كذا في الهيتمي وقال السعد بالباء والفاء مع كسر الهمزة وفتحها والفتح أفصح وقال ابن رسلان نسبة الى أصفهان بلدة من بلاد فارس توفي في صفر باصبهان سنة ست وستين وأربعمائة ﴿ ﴾ ابو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي صاحب السنن والعلل والافراد وغير ذلك ﴿ الدارقطني ﴾ بفتح الراء نسبة الى دار القطن محلة كبيرة ببغداد قال الحاكم كان أوحد عصره في الحفظ والفهم والورع امام القراء والمحدثين لم يخلق على أديم الارض مثله وقال الخطيب كان فريد عصره وامام وقته وانتهى اليه علم الاثر والمعرفة بالعلل واسماء الرجال مع الصدق والثقة وصحة الاعتقاد قال رجاء بن محمد المعدل

قلت

مايكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى مايكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها رواه البخاري ومسلم ﴿اعلموا اشفاني الله وايا كم اطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم خرج من بين شفتي النبي الكريم عليه افضل الصلاة وزكى التسليم تا بعي

قلت للدارقطني هل رأيت مثل نفسك فقال قال الله تعالى فلا تزكوا أنفسكم فاحجمت عليه فقال لم أر أحدا جمع مثل ماجمعت وقال أبو ذر الحافظ قلت للحاكم هل رأيت مثل الدارقطني فقال هو لم ير مثل نفسه فكيف أنا وكان عبد الغني اذا رأى الدارقطني قال أستاذي وقال القاضي أبو الطيب الدارقطني أمير المؤمنين في الحديث وقال البرقاني أملى علي كتاب العلل من حفظه ولد في ذي القعدة سنة خمس أو ست وثلثمائة * ومات لثمان مخلون من ذي القعدة سنة خمس وثمانين فسنه سبع وسبعون سنة (و) أبو عبد الله ﴿الحاكم﴾ محمد بن عبد الله بن محمد بن رزبة بن نعيم الضبي النيسابوري صاحب المستدرك والتاريخ وعلوم الحديث والمدخل والاكليل ومناقب الشافعي وغير ذلك ولد سنة احدى وعشرين وثلثمائة في ربيع الاول وكان يعرف بابن البيع رحل وسمع من نحو ألفي شيخ قال عبد الرحمن السلمي سألت الدارقطني أيهما أحفظ ابن منده او ابن البيع فقال ابن البيع آتي حفظا * وقال ابن الطاهر قلت لسعد بن علي أربعة من الحفاظ تعاصروا يهم أحفظ قال من قلت الدارقطني ببغداد وعبد الغني بمصر وابن منده باصبهان والحاكم بنيسابور فسكت فالححت عليه * فقال أما الدارقطني فاعلمهم بالعلل وعبد الغني بالانساب * وأما ابن منده فاكثرهم حديثا مع معرفة تامة * وأما الحاكم فاحسنهم تصنيفا * دخل الحاكم الحمام بنيسابور ثم خرج فقال آه وقبض وهو متزر ولم يلبس ثم صعد وذلك في صفر سنة خمس وأربعمائة ﴿وأبو نعيم﴾ أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحق بن موسى بن مهران الاصبهاني أجاز له مشايخ الدنيا وله ست سنين قال الخطيب لم أر أحدا أطلق عليه اسم الحافظ غير أبي نعيم وأبي حازم وقال ابن مردويه لم يكن في آفاق أحفظ منه ولما اشتد صنف الحلية والمستدرك على البخاري والمستخرج على مسلم ودلائل النبوة ومعرفة الصحابة وتاريخ اصبهان وفضائل الصحابة وصنف في الطب وغيره * ولد في رجب سنة ست أو سبع وثلاثين وثلثمائة * ومات بكرة يوم الاثنين لعشرين من المحرم سنة ثلاثين وأربعمائة ﴿أبو عبد الرحمن﴾ محمد بن الحسين صاحب الحقائق وطبقات الاولياء كان عدلا ثقة أستاذ أبي القاسم القشيري وشيخ أبي سعيد بن الخير وأثنى عليه الشيخ عبد الله الانصاري كثيرا وقد طعن فيه ابن الجوزي كما هو دأبه في شان الائمة ﴿السلمي﴾ بضم السين وفتح اللام نسبة الى سليم بن منصور قبيلة مشهورة * توفي يوم الاحد ثالث شعبان سنة اثنتي عشرة وأربعمائة ودفن بنيسابور ﴿أبو سعيد﴾ صوابه كما قال ابن الاثير السمعاني ابو سعد محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن حفص كان ثقة متقنا صنف وحدث ورحل الى مصر فمات بها في شوال سنة اثنتي عشرة وأربعمائة ﴿اللالبي﴾ بفتح اللام وكسر اللام ثم بتحتية ثم نون نسبة الى مالين قرى مجتمعة من اعمال هراة يقال لجميعها مالين واهل هراة يقولون مالان ﴿وأبو عثمان﴾ اسمعيل ﴿الصابوني﴾ نسبة الى عمله ﴿وعبد الله بن محمد الانصاري﴾ الهروي منسوب الى الانصار وهم الاوس والخزرج * ولد سنة خمس وتسعين وثلثمائة وكان كثير السهر قويا في نصرة الدين حدث وصنف وتوفي بهراة يوم الجمعة من ذي الحجة سنة احدى وثمانين وأربعمائة ﴿وأبو بكر﴾

محمد رضي الله عنهما (حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم) اي انشا لنا خبرا حادثا (وهو الصادق) في خبره (المصدوق) فيه اي الذي يأتيه خبره بالصدق فهو صلى الله عليه وسلم صادق في قوله وفيما يأتيه من الوحي مصدوق فيما يوحي به اليه وعنده به (قوله ان أحدكم) يعني واحدكم وقوله (يجمع) بالبناء للمفعول (خلقه) اي يضم بعضه الى بعض (في بطن امه اربعين يوما نطفة) اي يضم ويحفظ ماء ظهره وهو الماء الذي يخلق منه في ذلك الزمن (ثم يكون) بعد ان كان نطفة (علقة) وهي قطعة دم جامد (ثم يكون مضغة) وهي قطعة لحم صغيرة بقدر ما يمضغ (مثل ذلك) المذكر وفيها يصورها الله تعالى ويجعل لها قلبا وسمعا وبصرا واعضاء وغير ذلك من الاعضاء ثم اذا تمت وصار ابن مائة وعشرين يوما (يرسل الملك) بالبناء للمفعول اي الموكل بالرحم كما ذكره في حديث انس ﴿فائدة﴾ افتى ابن يونس وغيره انه لا يحل للمراة ان تستعمل دواء يمنع الحبل ذكره في الحجة (قوله ينفخ فيه الروح) قال جمهور المتكلمين الروح جسم لطيف مشتبك بالبدن اشتباك الماء بالعود الاخضر وقال قوم منهم هي عرض وهي الحياة التي بصير البدن موجودا حيا وهي باقية لا تفنى عند اهل السنة (قوله ويؤمر) بالبناء للمفعول (باربع كلمات) اي بكتبها وذلك بينها صلى الله عليه وسلم بقوله (بكتب) بالباء الموحدة

(رزقه) ومعه ما يتناوله الانسان من مأكول ومليوس وغيرهما قليلا أو كثيرا حلالا أو حراما (وأجله) وهو الزمن الذي يعلم الله ان الشخص يموت فيه أو مدة حياته (وعمله) من خير أو شر (وشقي) وسيأتي انه فاز أو سعيد) ظاهره وهو ظاهر تعين على الخبر فليتنبه لتحذيره اذ التقدير وهو شقي أو سعيد (٣٨) (قوله لما فرغ) أي تم يعني انه لما كتبه بالقلم قال له اجر فجرى

تعالى من أربع من الخلق والأجل والرزق والخلق بفتح الخاء اشارة الى الذكورة والانوثة وبضمها الى السعادة والشقاوة وظاهر ما تقدم من أمر الملك بالكتابة انه من قبل سؤاله فيها فقد جاء في الاحاديث الصحيحة المروية عن ابن مسعود وابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان النطفة اذا استقرت في الرحم أخذها الملك بكفه فقال أي رب ذكر أو أنثى شقي أم سعيد ما الاجل ما الاثر بأي أرض يموت فيقال له انطلق الى أم الكتاب فانك تجد قصة هذه النطفة فينطلق فيجد قصتها في أم الكتاب فتأكل رزقها وتطأ أثرها فاذا جاء أجلها قبضت فدفنت في المكان الذي قدرها * وفي رواية من حديث ابن مسعود ان الملك يقول يا رب مخلقة أم غير مخلقة فان قال غير مخلقة قذفتها في الارحام دما وان قال مخلقة قال أي رب ذكر أو أنثى الى آخر ما تقدم وجاء مرفوعا اذا مات الجسد دفن من حيث أخذ ذلك التراب وقال

أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (البيهقي) نسبة الى بيهق قرية من ناحية نيسابور وعلى عشرين فرسخا منها قال امام الحرمين كل شافعي في الدنيا مدين للشافعي غير البيهقي فانه مدين للشافعي ثلثة ولد في شعبان سنة أربع وسبعين وقيل أربع وثمانين وثلثمائة أنف شعب الايمان * ومات في جمادى الاولى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة بنيسابور ونقل الى بيهق مسيرة يومين وأورد المصنف لفظ كل من الاولين لعلمه بالتأخر الزماني فيهما بخلاف الباقين ولما خصص المشاهير بالذكر منهم فقال (وخلائق لا يحصون من المتقدمين والمتأخرين) ولما كانت الاستخارة مطلوبة في جميع الامور لقوله صلى الله عليه وسلم * ما خاب من استخار ربه ولا ندم من استشار أي من نصحه ولا عال من اقتصد أي ولا افتقر من استعمل الاقتصاد في نفقة عياله قدمها المصنف على هذا التأليف لتعود بركتها عليه فقال (وقد استخرت الله) لانه يطلب من كل قادم على أمر يجهل عاقبته أن يستخير الله تعالى في الاقدام والاحجام وقد كان صلى الله عليه وسلم يعلم الناس دعاء الاستخارة كما يعلمهم السورة من القرآن وكان يأمرهم بذلك رواه الحديث الذي رواه ابن السني عن أنس رضي الله تعالى عنه اذا هممت بامر فاستخر ربك فيه سبع مرات ثم انظر الى الذي يسبق الى قلبك فان الخير فيه وصفتها أن يصلي ركعتين يقرأ بعد الفاتحة في الركعة الاولى وربك يخلق ما يشاء ويختار الى قوله يعلنون وقيل قل يا أيها الكافرون الى آخرها في الركعة الثانية وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الى قوله مبين وقيل قل هو الله أحد الى آخرها ثم يدعو بعد السلام من الركعتين بان يقول اللهم اني أستخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري او قال عاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه وان كنت تعلم أن هذا الامر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به اه قال ويسمي حاجته قال الشيخ خليل في منسكه ثم امض بعد الاستخارة لما انشرح له نفسه قال ابن حجر ينبغي التفطن لدقيقة يغفل عنها ولم أر من نبه عليها وهي ان الوارد في المتعاطفات التي يصدر على بابها والتي يصدر على معنى أولان المطلوب تيسيره لا بد ان يكون كل من احواله المذكورة من الدين والدنيا والعاجل والآجل وغيرها خيرية والمطلوب صرفه يكفي فيه أن يكون بعض احواله المذكورة شرا وفي ابقاء الوارد على حاله ابهام أنه لا يطلب صرفه الا اذا كانت جميع احواله لا بعضها شرا وليس مرادا كما هو ظاهر قال النووي والظاهر ان صلاة الاستخارة تحصل بركعتين من الرواتب وبتحية المسجد وغيرهما من النوافل * واعترض طلب الاستخارة هنا اذ لا يستخار الا في الامور المبهمة وأما هذه فطاعة لا شك فيها * والجواب انه انما استخار في هذه مخافة من عدم اخلاص النية فيها أولان غيرها من الطاعات قد يكون اولى منها لكونها أهم * واعلم ان الاستخارة لا تكون في واجب ولا محرم ولا مكروه ولا في فعل مندوب وترك واجب تطلب في الجائز وفي تقديم بعض المندوبات على بعض (في جمع أربعين حديثا اقتداء بهؤلاء الائمة الاعلام) جمع علم بفتحتين وهو ما يهتدي

به

صلى الله عليه وسلم اذا قضى الله لعبد أن يموت بارض جعل له اليها حاجة او قال بها حاجة وقيل في معناه اذا ما حام المرء كان ببلدة * دعته اليها حاجة فيطير وروى الترمذي الحكيم في نوادر الاصول عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف فتعرض نواحي المدينة فاذا بقبر محفور فاقبل حتى وقف عليه فقال لمن هذا قيل لرجل من الحبشة فقال لا اله الا الله

سبق من ارتفاعه وبهائه حتى دفن في الأرض الى منكبيه ثم قال ان سليمان بن داود عليه السلام دعا بي يوما على سليمان بن داود عليهما السلام فجعل يطيل نظره ويحد بصره الى رجل من ندمائه ثم خرج فقال ذلك الندمان يا نبي الله ما لك أطلت النظر اليه أخافه انه يريد قبض روحي فخلصني من يده (٢٩) فقال وكيف اخلصك فقال تأمر الريح ان تحملني الى بلاد الهند فافعل فضل عني ولا يجدني فامر سليمان عليه السلام الريح ان تحمله في الساعة الى اقصى بلاد الهند فحملته في الوقت والحال فقبض روحه وعاد ذلك الملك ودخل على سليمان عليه السلام فقال له سليمان لاي سبب كنت تطيل النظر الى ذلك الرجل قال كنت اتعجب منه لاني امرت بقبض روحه بارض الهند وهو بعيد عنها الى ان اتفق وحملته الريح الى هناك كما قدر الله تعالى فقبضت روحه هناك ﴿ تنبيه ﴾ ياهذا انظر الى قدرة مولاك كيف انشاك وسواك وفي التوراة مكتوب يا ابن آدم جعلت لك قرارا في بطن امك وغشيت وجهك بغشاء لئلا تفزع من الرحم وجعلت وجهك الى ظهر امك لئلا يؤذيك رائحة الطعام وجعلت لك متكأ عن يمينك ومتكأ عن شمالك فاما الذي عن يمينك فالكبد واما الذي عن شمالك فالطحال والمثانة والقيام والقعود في بطن امك فهل يقدر على ذلك احد غيري فاما ان تمت مدة حملك أوحيت الى الملك الموكل بالارحام ان يخرجك فاخرجك على ريشة من جناحه لئلا تسن يقطع ولا يد تبطش ولا قدم تسعى بها وانبت لك عرقين رقيقين في صدر امك يجريان لبنا خالصا حارا في الشتاء باردا في الصيف واقيمت محبتك في قلب ابويك فلا يشبعان حتى تشبع ولا يرقدان حتى ترقد فلما قوى ظهرك واشتد ازرك بارزتني به الى الطريق وطلق العلم على الجبل لانه لا يهتدى به كما قالت الحكماء

وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار

وفي قولها وان صخرا وهو اسم أخيها لطيفة اتفاقية لمناسبة الجبل ويسمى العالم علما لانه يهتدى الناس بعلمه كما يقال فلان جبل في العلم أو لعلو قدره واشتهاره ﴿ ومحافظة الاسلام ﴾ فائدة قال السيوطي رويناعن البخاري في آداب طالب الحديث أثرا لطيفا أخبرني أبو الفضل الازهري وغيره سماعا ان أبا القاسم القدسي قال أخبرتنا عائشة بنت علي ان أبا عيسى بن علاق قال أخبرتنا فاطمة بنت سعد الخير أن أبا نصر اليوناني سمع أبا محمد الحسن بن أحمد السمرقندي يقول سمعت أبا بكر محمد بن أحمد ابن محمد بن صالح بن خلف يقول سمعت أبا ذر عمار بن محمد بن مخلد التميمي يقول سمعت أبا المظفر محمد بن احمد بن حامد البخاري قال لما عزل ابو العباس الوليد بن ابراهيم بن زيد الهمداني عن قضاء الري ورد بخارى فحملني معلمي ابو ابراهيم الحنبلي اليه وقال اسالك ان تحدث هذا الصبي بما سمعت من مشايخنا فقال له مالي سماع فقال وكيف انت يفيه قال لاني لما بلغت مبلغ الرجال اقمت نفسي الى طلب الحديث فقصدت محمد بن اسمعيل البخاري واعلمته مرادي فقال لي يا بني لا تدخل في امر الا بعد معرفته ودوام الوقوف على مقاديره * واعلم ان لرجل لا يصير محدثا كاملا الى بحديثه الا بعد ان يكتب اربعة امم اربع كاربع مثل اربع في اربع عن اربع بار بع على اربع عن اربع لا بد وكل هذه الرباعيات لا تتم الا بار بع مع اربع فان تمت له كلها هان عليه اربع وابتلى باربع فاذا صبر على ذلك أكرمه الله في الدنيا باربع وانا به في الآخرة باربع * فقلت له فمرني رحمن الله ما ذكرت من اجمال هذه الرباعيات قال نعم أما الاربع التي يحتاج الى كتبها هي اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم وشرائعه والصحابة ومقاديرهم والتابعين واحوالهم وسائر العلماء وتواريخهم مع اسمائهم وانسابهم وحكمهم وامكنتهم وازمنتهم كالتحميد مع الخطبة والدعاء مع التوسل والبسملة مع السورة والتكبير مع الصلوات مثل المسندات والمرسلات والموقوفات والمقطوعات في صغره وفي ادراكه وفي شبابه وفي كهولته عند شغله وعند فراغه وعند فقره وعند غناه بالجبال والبحار والبلدان والبراري على الاحجار والاصداف والجلود والاكتاف الى الوقت الذي يمكنه نقلها الى الاوراق عمن هو فوقه ومن هو مثله وعمن هو دونه وعن كتاب ابيه الذي يتيقن انه بخط ابيه دون غيره لوجه الله تعالى طالبا لمرضاته والعمل بما وافق كتاب الله منها ونشرها بين طالبيها والتاليف في احياء ذكره بعده ثم لا تتم هذه الاشياء الاربع هي من كسب العبد معرفة الكتاب واللغة والصرف والنحو مع اربع هي من اعطاه الله تعالى الصحة والقدرة والحرص والحفظ فان صحت له هذه الاشياء هان عليه اربع الاهل والولد والمال والوطن وابتلى باربع شماتة الاعداء وملالة الاصدقاء وطعن الجهلة وحسد العلماء فاذا صبر على هذه المحن اكرمه الله في الدنيا باربع بعز القناعة وهيبة اليقين ولذة العلم وبحسن الادب واثابه الله في الآخرة باربع بالشفاعة لمن اراد من اخوانه وبظل العرش حيث لا ظل الا ظله ويسقي من اراد من حوض محمد صلى الله عليه وسلم وبجوار النبيين في أعلى عليين في الجنة

عن شمالك فالطحال والمثانة والقيام والقعود في بطن امك فهل يقدر على ذلك احد غيري فاما ان تمت مدة حملك أوحيت الى الملك الموكل بالارحام ان يخرجك فاخرجك على ريشة من جناحه لئلا تسن يقطع ولا يد تبطش ولا قدم تسعى بها وانبت لك عرقين رقيقين في صدر امك يجريان لبنا خالصا حارا في الشتاء باردا في الصيف واقيمت محبتك في قلب ابويك فلا يشبعان حتى تشبع ولا يرقدان حتى ترقد فلما قوى ظهرك واشتد ازرك بارزتني

فقد أعطيتك يا بني جملة ما كنت سمعته من مشايخي متفرقا في هذا الباب فاقبل الآن على ما قصدتك لبيانه ومن هذا نقل العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الاعمال (في ذكر الاتفاق فقط لان ابن العربي قال ان الحديث الضعيف لا يعمل به مطلقا قال المؤلف في الاذكار ذهب الفقهاء والمحدثون انه يجوز ويستحب العمل في الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف ما لم يكن موضوعا واما الاحكام كالحلال والحرام والمعاملات فلا يعمل فيها الا بالحديث الصحيح والحسن الا أن يكون في احتياط في شيء من ذلك كما اذا ورد حديث ضعيف بكراهة بيع الينوع او الاجارة فان المستحب أن ينزه عن ذلك ولكن لا يجب اه وعلل كونه لا يعمل بالضعيف في الاحكام ما لم يكن تلقته الناس بالقبول فان كان كذلك تعين وصار حجة يعمل به في الاحكام وغيرها كما قال الامام الشافعي ومن ذلك ما نقله الحافظ جلال الدين السيوطي في اخطأ فيه الصغرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وطئ عقبه صخرا الا وأثر فيه وعزاه للحافظ زين العبدري اه وقد اعتمد هذا الحديث بشواهد كثيرة قال السخاوي في كتابه القول البديع سمعت شيخنا ابن حجر رحمه الله مرارا يقول شرائط العمل بالحديث الضعيف ثلاثة الاول متفق عليه وهو ان يكون الضعف غير شديد والشديد الضعف هو الذي لا يخلو طريق من طرقه من كذاب أو متهم بالكذب والثاني أن يكون مندرجا تحت أصل عام فيخرج ما يخترع بحيث لا يكون له أصل أصلا والثالث ان لا يعتقد عند العمل به ثبوته لئلا ينسب الى النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يقله والاشعر ان عن ابن عبد السلام وابن دقيق العيد والاول نقل العلائي لاتفاق عليه وعن أحمد أنه يعمل به اذا لم يوجد غيره وفي رواية عنه ضعف الحديث احب الينا من رأي الرجال وذكر ابن حزم الاجماع على ان مذهب أبي حنيفة ان ضعيف الحديث أولى عنده من الرأي والقياس اذا لم يوجد في الباب غيره وقد تحصل ان في العمل بالحديث الضعيف ثلاثة مذاهب الاول لا يعمل به مطلقا الثاني يعمل به مطلقا الثالث يعمل به في الفضائل بشروطه (ومع هذا) الذي ذكرته من جواز العمل بالحديث الضعيف في الفضائل (فليس اعتمادي على هذا الحديث) وحده (بل على قوله صلى الله عليه وسلم في الاحاديث الصحيحة ليبلغ الشاهد) السامع ما أقول (منكم الغائب) عنه بالنصب على المفعولية وهذا تحريض على التعلم والتعلم فانه لولاه لانقطع العلم بين الناس كذا في بعض النسخ وفي بعضها تقديم حديث نضر الله أمرأ على هذا الحديث (وقوله) صلى الله عليه وسلم (نضر الله) بفتح الضاد المعجمة روي مخففا ومشددا قال بعضهم اكثر الشيوخ يشددون واهل الادب يخففون قال في البحر وهو افصح من النضارة وهو حسن الوجه وبريقه ومعناه البسه الله النضرة وخلوص اللون يعني جمله الله وزينه أو معناه اوأصله الى نضرة الجنة وهو نعيمها قال تعرف في وجوههم نضرة النعيم وجوه يومئذ ناضرة ولقاهم نضرة وسرورا وقال جرير

طرب الحمام بذكرهن فشاقني * لازلت في قنن وانك ناضر

أي ورق غض ومن ثم قال سفيان بن عيينة الى لاري في وجوه اهل الحديث نضرة وحبا لاهل هذا الحديث

بقوله قلوب الطائفين بين اصبعين من اصابع الله عز وجل يقلبها كيف يشاء فالموفق من

الحديث

يدعى عمله بالسعادة وختم له بها والمخذول عكسه وكذا من يدعى عمله بالخير وختم له بالشر والعياذ بالله تعالى لا عكسه (فنكته) من لطف الله تعالى ان انقلاب الناس من الخير الى الشر نادر والكثير عكسه (تنبيه) ماذكر في هذا الحديث جامع لجميع احوال الشخص اذ فيه بيان حال المبدأ وهي خلقه والمعاد وهي السعادة والشقاوة وما بينهما وهو الاجل وما يتصرف

فيه وهو الرزق وفيه دلالة على ان التوبة هادمة لما سلف وأن جميع الامور بقضاء الله وقدره ﴿مهمة﴾ المكلفون على أربعة أقسام القسم الاول قوم خلقهم الله تعالى لخدمته ولجنته وهم الانبياء والاولياء والمؤمنون والصالحون والقسم الثاني قوم خلقهم الله تعالى لجنته دون خدمته وهم الذين عاشوا كفارا ثم ختم لهم بالايمان أو في طوايدة حياتهم (٤٢) وانهمكوا في المعاصي ثم تاب الله عليهم عند الخاتمة فماتوا على حسن الخاتمة والتوبة والاحسان كسحرة فرعون والقسم الثالث قوم خلقهم الله تعالى لا لخدمته ولا لجنته وهم الكفار الذين يموتون على الكفر حرموا في الدنيا نعيم الايمان وفي الآخرة يتقلبون بالعذاب والهوان والقسم الرابع قوم خلقهم الله تعالى لخدمته دون جنته وهم الذين كانوا عاملين بطاعة الله ثم مكر بهم فطردوا عن باب الله وماتوا على الكفر نسأل الله السلامة بمنه وكرمه واعلموا أن أشد ما يهيج خوف القلوب خوف السابقة والخاتمة فان العبد لا يدري هل سبقت له في علم الله السعادة او الشقاوة والخاتمة تجري على ما جرت عليه السابقة فمن سبقت له في علم الله السعادة ختم له بخاتمة الايمان ومن سبقت له في علم الله تعالى الشقاوة ختم له بخاتمة الكفر والخذلان والعياذ بالله

الحديث يعني لانها دعوة أجيبت وخص حامل السنة بالدعاء لانه سعى في نضرتها وتجديدها فجازاه الله في دعائه له بما يناسب حاله * وذكر سيدي محمد الشاذلي في كتابه البيان ما نصه اختص أهل الحديث من دون سائر العلماء بانهم لا تزال وجوههم نضرة لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم لهم لقوله نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه رواه الترمذي وحسنه عن زيد بن ثابت والنضرة الحسن والرونق * والحق خصه الله بالبهجة والسرور لانه سعى في نضارة العلم وتجويد السنة فجازاه في دعائه بما يناسب حاله في المعاملة ومن نظم الحافظ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى في فن الحديث

من كان من أهل الحديث فانه * ذو نضرة في وجهه نور يسطع
ان النبي دعا بنضرة وجه من * أدى الحديث كما تحمل واتبع

ومن نظمه أيضا رحمه الله تعالى

أهل الحديث هم منا وان ظهروا * وهم نجوم في البرية زاهره
في أي مصر قد تلوا تلقاهم * حقا لاعداء الشريعة قاهره
بالنور قد ملئت منشأة صدرهم * فكذا وجوههم تراها ناضره

وقيل معنى الحديث حسن الله وجهه في الناس أي جاهه وقدره فهو مثل قوله صلى الله عليه وسلم اطلبوا الحوائج الى حسان الوجوه يعني الوجوه من الناس وذوي الاقدار الا أن هذا بعيد لانه مخالف للظاهر من غير حامل عليه وليس نظير اطلبوا الحوائج الخ لذكر الوجوه فيه المحتمل لان يراد بها جمع وجه من الوجاهة وهي التقدم وعلو القدر * وحكى ابن العربي عن ابن بشكوال أنه بالصاد المهملة وهو شاذ وقوله نضر الله يحتمل الخبر والدعاء وعلى كل حال فيحتمل كما قال الحافظ العراقي كونه في الدنيا وكونه في الآخرة وكونه فيهما ﴿امرأ سمع مقالتي فوعاها فاداها كما سمعها﴾ اى من غير زيادة ولا نقص فمن زاد أو نقص فهو مغير لا مؤد فيكون الدعاء مصروفا عنه وليس في قوله كما سمعها منع لرواية الحديث بالمعنى خلافا لمن زعمه لان المراد أدى محكما الا لفظها * وقد رأى بعض العلماء المصطفى صلى الله عليه وسلم في المنام فقال له أنت قلت نضر الله امرأ الخ قال نعم ووجهه يتهلل بالسرور أنا قلته وكرره ثلاثا وفي الحديث من أدى الى أمتي حديثا واحدا يقيم به سنة أو يرد به بدعة فله الجنة رواه الحاكم في الاربعين ﴿فائدة﴾ اختلفوا هل ثواب قارىء الحديث كثواب قارىء القرآن أم لا * قال الجلال السيوطي في ألفية الحديث له

وهل ثواب قارىء الاخبار * كقارىء القرآن خلف جاري

وانظر هل ثواب مستمعه كثواب مستمع القرآن وقد عد من يؤتى أجره مرتين أم لا ﴿ثم من العلماء من جمع الاربعين في أصول الدين﴾ الاصول جمع أصل كفلوس جمع فلس * وهو في اللغة الاساس وفي الاصطلاح ما يبنى عليه غيره وان شئت قلت ما يتفرع عليه غيره والمراد بها هنا الالهيات والنبوات والحشر والنشر ﴿وبعضهم﴾ جمعها ﴿في الفروع﴾ اى المسائل الفقهية ﴿وبعضهم في﴾ فضل

﴿٦ - شبر خيتي﴾ وأكثر ما يمكر عند الموت بارباب البدع واصحاب الآفات الباطنة والظلمة والمجاهرين بالمعاصي فمن كان في ظاهره الصلاح ومكر به فلآفات باطنية * ذكر أن فتى من اصحاب الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى مات فرآه الفضيل بن عياض في المنام فسأله عن حاله فاخبره ان الله مكر به ومات يهوديا والعياذ بالله تعالى فقال له ذلك فقال اني كنت اظن اني أفضل من اصحابك فكنت أتكبر عليهم وكانت علة باطنية فوصف لي شرب الخمر فكنت أشرب قدحا في كل

سنة وقال سهل بن عبد الله مخوف العبد يقين حتى يأمن كل خطرة وكل سكرة وكان سفيان الثوري كثير البكاء والجزع فقيل له يا أبا عبد الله عليك بالرجاء فان عفو الله أعظم من ذنوبك فقال أو على ذنوبي أبكي لو علمت اني أموت على التوحيد لما بالت بي الجبال من الخطايا * ومرض بعض العارفين (٤٢) فقال لبعض اخوانه اقعد عند رأسي حتى أموت فاذا مت على الاسلام فاشتر

﴿والجهاد بعضهم في﴾ فضل ﴿الزهد وبعضهم في الآداب﴾ بالمد جمع أدب كأسباب جمع سبب وهو استعمال ما يحمد قولا وفعلا أي بحسن الاخبار والاخلاق واجتماع الخصال الحميدة من بسط الوجه وحسن اللقاء وحسن التناول والاخذ وبذل المجهود وترك السفه وقال ابن عطاء الله الادب الوقوف مع المستحسنات وقيل الاخذ بمكارم الاخلاق وقيل هو تعظيم من فوقه والرفق بمن دونه وقيل غير ذلك وينقسم كما قال بعضهم الى قسمين طبيعي كالكرم والشجاعة وكسبي كمعرفة النحو واللغة والشعر وأضاف بعضهم الى ذلك معرفة الكتاب والسنة وعلومهما وتصوف وهو ضبط الحواس ومراعاة الانفاس اه زاد بعضهم وشرعي وهو امتثال المأمورات واجتناب المنهيات ولبعضهم

وما كل وقت تري مسعفا * فكن حافظا لطريق الادب
ترى الله يكشف ما قد دهى * فتحظى بأجر ونيل الرتب

قال بعض المتقدمين كما أن قوة الاجساد بالاطعمة المصنوعة كذا قوة العقل بالآداب المسموعة ﴿وبعضهم في الخطب﴾ جمع خطبة وهي كلام بليغ يلين القلوب القاسية ويرغب الطبائع النافرة مشتق من الخطب لانهم كانوا اذا أهمهم خطب خطبوا له ليجتمعوا ويحتالوا في دفعه والمراد الخطب التي كان يخطب بها النبي صلى الله عليه وسلم في نحو جمعة وعيد واستسقاء وكسوف وبعرفة وعند نزول الامور المهمة وقدوم الوفود عليه ونحو ذلك وقوله في الخطب كالاربعين الودعانية وبعضهم في التصوف ﴿وكلها مقاصد﴾ جمع مقصد بكسر الصاد ﴿صالحة﴾ لشمول الاحاديث السابقة لجميعها ﴿رضي الله عن قاصديها وقد رأيت﴾ من الرأي ﴿جمع أربعين أهم من هذا كله وهي أربعون حديثا مشتملة على ذلك﴾ أي على جميع أصول الشريعة وفروعها والجهاد في سبيل الله والزهد في الدنيا والتخلق بالآداب الحسنة وغير ذلك ولا يرد على قوله وقد رأيت جمع أربعين زيادته حديثين لان مفهوم العدد لا يفيد حصرا على الصحيح أو ان ذكر القليل لا ينفي الكثير كما قيل به في رواية صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بخمس وعشرين مع رواية سبع وعشرين أو انه هنا كان عزمه على الاقتصار على الاربعين وعند فراغها عن له زيادة الحديثين الآخرين لما فيهما من المناسبة لان أحدهما فيه الوعظ بمخالفة الهوي والثاني فيهما من باب الرجاء فكان ختم الكتاب بهما مناسبا ﴿وكل حديث منها قاعدة من قواعد الدين﴾ القاعدة من القعود بمعني الثبات وهي لغة الاساس والعمد وحشيات يركب الهودج فيها واصطلاحا امر كلي يتعرف منه أحكام جزئيات موضوعها كالامر للوجوب فانه دليل اجمالي ومن جزئياته اقيموا الصلاة والنهي للتحريم دليل اجمالي ومن جزئياته لا تقربوا الزنا وكيفية استفادة الحكم من ذلك أن يجعل الدليل التفصيلي مقدمة صغري والدليل الاجمالي مقدمة كبري فينشأ عنهما نتيجة هي الحكم كان يقال أقيموا الصلاة أمر والامر للوجوب فينتج ان الصلاة واجبة وبهذا يعلم ان القاعدة بهذا المعنى ليست مرادة المصنف لان تلك الاحاديث كلها من باب الاحكام التفصيلية دون القواعد الاجمالية وانما أراد بالقاعدة العمدة والاصل الذي ترجع اليه الاحكام او كثير منها ﴿وقد وصفه العلماء

بقصة برصيصا العابد ففيها اعظم عبرة ﴾ حكي انه كان له ستون الفا من التلامذة وكانوا يمشون بان
في الهواء ببركته فمات كافرا نعوذ بالله من ذلك وكان يعبد الله تعالى حتى تعجبت الملائكة من عبادته فقال الله تعالى لهم لماذا تعجبون منه اني اعلم مالا تعلمون في علمي انه يكفر ويدخل النار ابد الآبدين فسمع ذلك ابليس وعلم ان هلاكه على يده فجاء الى صومعته على شبه عابد قد لبس المسح فناداه فقال له برصيصا من انت وماتريد فقال انا عابد اكون عونا لك علي عبادة

يجمع ما ملكه لوزا وسكرا وفرقه على صبيان البلد وقل هذا عرس فلان وان لم يبن كذلك فاعلم الناس حتى لا يشتروا بجنازتي فقد عند رأسه حتى مات على الايمان فاشتري لوزا وسكرا وفرقه على صبيان البلد هذا كان خائفا فسلم فمن لم يخف من سلب الايمان فهو علي خطر وكان حبيب العجمي يقول من ختم له بلا اله الا الله دخل الجنة ثم يبكي ويقول من لي بان يختم لي بلا اله الا الله وقال الحسن البصري رحمه الله دخل بعض الفقراء الى بلاد الروم فراى جارية فافتتن بها فخطبها فابوا أن يزوجوه بها حتى يتنصر فاجابهم الى ذلك فاحضروا له القسيسين وتنصر فخرجت الجارية وبصقت في وجهه وقالت ويحك تركت دين الحق لشهوة فكيف لا اتركك انا دين الباطل لنعيم الابد أنا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ﴿ولنختم مجلسنا هذا

الله تعالى فقال له برصيصا من أراد عبادة الله تعالى فان الله يكفيه صاعبا فقام ابليس لعنه الله يعبد الله ثلاثة ايام ثم نام ولم يأكل ولم يشرب فقال برصيصا أنا أفطر واأنام وآكل وأشرب وأنت لا تأكل وأنى عبدت الله تعالى مائتين وعشرين سنة ولا أقدر على ترك الاكل والشرب فاحيلك حتى أصيرمثلك قال اذهب فاعص الله تعالى ثم تب فانه (٢٤) رحيم حتى تجد حلاوة الطاعة قال كيف أعصيه بهذا ن عبادته كذا وكذا سنة فقال ابليس الانسان اذا أذنب يحتاج الى المغفرة والمغفرة فقال فاي ذنب تشير على قال الزنا قال لا افعل قال تقتل مؤمنا قال لا افعل قال اشرب مسكرا فانه أهون وخصمك الله وحده قال اين أجده قال اذهب الى قرية كذا فذهب فرأى امرأة جميلة فاشترى منها خمر فشرب وسكر وزنى بها فدخل عليه زوجها فقتله ثم ان ابليس تمثل في صورة انسان وسعى به الى السلطان فاخذه وجلده للخمر ثمانين جلدة وللزنا مائة جلدة وأمر بصلبه لاجل الدم فلما صلب جاء اليه ابليس في تلك الصورة فقال كيف ترى حالك قال من اطاع قرين السوء فحاله كذا فقال ابليس كنت في عبادتك مائتين وعشرين سنة حتى صلبتك فلو أردت أنزلتك قال ما تريد واعطيك ماتريد قال اسجد لي سجدة قال كيف اسجد على الخشب قال بالايماء فاومأ برأسه ساجدا فكفر نعوذ بالله من ذلك فلما كفر قال الشيطان اني بريء منك اني أخاف الله رب العالمين * اللهم اجعل الايمان لنا سراجا ولا تجعله استدراجا آمين آمين والحمد لله رب العالمين

﴿ المجلس الخامس في الحديث الخامس ﴾ الحمد لله الذي اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة بها النفوس مطمئنة وهي لقائلها من النار جنة واشهد ان محمدا عبده ورسوله افضل

بان مدار ﴿ غالب أحكام ﴾ الاسلام عليه ﴿ كحديث ان الحلال بين والدين النصيحة قال ابن رسلان كحديث من رأى منكم منكرا فليغيره بيده لان اعمال الشريعة امامور وفيها يجب الامر به أو منكر يجب النهي عنه فهو نصف بهذا الاعتبار ﴿ أو هو نصف الاسلام أو ثلثه ﴾ كحديث انما الاعمال بالنيات قال أبو داود قال انه نصف الاسلام والشافعي قال انه ثلثه قال ابن رسلان لان كسب العبد بقلبه وجوارحه ولسانه والنية أحد الثلاث ﴿ أو نحو ذلك ﴾ كالربع كحديث لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه ﴿ ثم الترم في هذه الاربعين أن تكون صحيحة ﴾ ايصل بها في الفضائل وغيرها والمراد بالصحيحة غير الضعيفة فتتناول الحسنة ﴿ ومعظمها ﴾ أي غالبها ﴿ في صحيحي ﴾ شيخ الحديث وطبيب علله في القديم والحديث * أبو عبد الله محمد بن اسمعيل بن ابراهيم بن المغيرة الجعفي ﴿ البخاري ﴾ قال الشيخ تاج الدين السبكي في طبقاته كان البخاري امام المسلمين وقدوة المؤمنين وشيخ الموحدين والمعول عليه في أحاديث سيد المرسلين وقال ابن كثير كان امام الحديث في زمانه والمقتدى به في أوانه والمقدم على سائر أقرانه قال محمد بن عبد الرحمن كتب أهل بغداد الى محمد بن اسمعيل

كتبا بانيه المسلمون بخير ما بقيت لهم * وليس بمدلك خير حين تفتقد

قيل انه كان يحفظ وهو صبي سبعين ألف حديث سردا وكان اذا نظر في الكتاب مرة واحدة حفظ ما فيه وقال رضي الله عنه أحفظ مائة ألف حديث صحيح وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح وكان يختم في رمضان كل يوم ختمة ويقوم بعد التراويح كل ثلاث ليال بختمة وكان يصلي وقت السحر ثلاث عشرة ركعة وقال دخلت بلخ فسألوني أن أملي لهم لكل من كتبت عنه فاملیت ألف حديث عن ألف شيخ ومن أعجب العجب ماروا ه البغدادي الخطيب انه قدم بغداد فسمع به اصحاب الحديث فاجتمعوا وعمدوا الى مائة حديث فقلبوا متونها واسانيدها وجعلوا متن هذا الاسناد لاسناد آخر واسناد هذا المتن لمتن آخر ودفعوها الى عشرة أنفس فدفعوا لكم رجل عشرة أحاديث وامروهم اذا حضروا المجلس ان يلقوا ذلك على البخاري واخذوا الموعد للمجلس فحضر المجلس جماعة أصحاب الحديث من الغرباء من اهل خراسان وغيرهم ومن البغداديين فلما اطمان المجلس باهله انتدب اليه رجل من العشرة فساله عن حديث من تلك الاحاديث فقال البخاري لا اعرفه فما زال يلقي عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول لا اعرفه فكان الفهماء يلتفت بعضهم الى بعض ويقولون فهم الرجل ومن كان فهم منهم غير ذلك يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم ثم انتدب اليه رجل آخر من العشرة فساله عن حديث من تلك الاحاديث المقلوبة فقال البخاري لا أعرفه فساله عن آخر فقال لا اعرفه فلم يزل يلقي عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول لا أعرفه ثم انتدب اليه الثالث والرابع الى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من الاحاديث المقلوبة والبخاري يقول لا أعرفه فلما علم البخاري انهم قد فرغوا التفت الى الاول منهم فقال له أما حديثك الاول فهو كذا وصوابه كذا والثاني والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة فرد كل متن الى أصله اي الى اسناده وكل

من رفع الفرض والسنة وشرع الامر وفسخه وصرف في طاعته بعمره وسنته وصرف في طاعته بعمره وسنته صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه الذين أماتوا البدع واحيوا السنة آمين (عن ام المؤمنين ام عبد الله عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد رواه (٤٤) البخاري ومسلم وهو في رواية لمسلم من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد) اعلموا اخواني وفقني الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الاسلام وهو من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم فانه صريح في دفع البدع والمخترعات وهو مما ينبغي ان يعتني بحفظه واستحضاره في ابطال المنكرات وهو من الاحاديث التي عليها مدار الاسلام وقبل الشروع فيه نتكلم على شيء من فضائل عائشة رضي الله عنها نبر كابها * فنقول هي الصديقة بنت الصديق رضي الله عنه وهي ام المؤمنين في الاحترام والتعظيم لا في السفر والخلوة والنظر وما اشبهها وكذا يقال في سائر ازواجه صلى الله عليه وسلم ويقال ام عبد الله كناها به النبي صلى الله عليه وسلم لما سالته ان يكنيها بابن اختها اسماء وهو عبد الله ابن الزبير والاصح انها لم تلد قط وقيل الفت سقطا ولم يثبت وهي زوج النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة روى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خطبها من ابي بكر قال له يا رسول الله انها صغيرة لا تصلح لك ولكن انا ارسلها اليك فان كانت تصلح لك فهي السعادة الكاملة فقال ان قال جبريل اتاني بصورتها على ورقة من الجنة وقال ان الله زوجك بهذه قال ثم ذهب ابو بكر الى منزله وملا طبقا من تمر وغطاه وقال يا عائشة اذهبي بهذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقولي له يا رسول الله هذا الذي ذكرته لابي ان كان يصلح فمبارك عليك وكان سن عائشة اذ ذاك ست سنين قال فمضت عائشة بالطبق وهي تظن ان ابا بكر يعني عن

اسناد الى منته وفضل بالآخرين كذلك من يرسون الاحاديث كلها الى اسانيدها واسانيدها الى متونها فاقرا الناس لها حفظ واذعنوا له بالفضل وهذا تخضع للبخاري الرقاب فما العجب من زلة الخطا الى الصواب بل العجب من حفظه للخطا القليل العائد على ترتيبه القوي عليه ولا عجب لانه قوي سريع الحفظ طويل الباع وهو امام الحفاظ والنقاد بلا نزاع وما اخرج من بغداد حتى حصول الخمنة فيها بمسئلة خلق القرآن وارادة الذهاب الى سمرقند فلما بلغ مقرتك بفتح الخاء المعجمة وفتح المثناة وسكون النون وهي قرية على فرسخين من سمرقند بلغه انها فتنت اهل سمرقند في دخوله فقوم يريدون دخوله وقوم يكرهون ذلك فاقام بها حتى انجلى الامر فصحر ليلة فدعا وقد فرغ من صلاة الليل اللهم قد ضاقت علي الارض بما رحبت فاقبضني اليك فما تمت من ذلك الشهر فان قلت كيف انه دعا بالموت وقد خرج في صحيحه لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به فالجواب ان المراد بالضر الدنيوي واما اذا نزل به ضرر ديني فانه يجوز تمنيه خوفا من تطرق الخلل للدين وقال عبد الله بن حماد وهو شيخ البخاري وددت اني شمرة في صدر محمد بن اسمعيل البخاري وقال ابو يزيد المروزي وهو من كبار الشافعية وأجل من روى البخاري عن الفربري كنت نائما بين الركن والمقام فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا ابا يزيد الى متى تدرس في كتاب الشافعي ولا تدرس كتابي فقلت يا رسول الله وما كتابك قال جامع محمد بن اسمعيل البخاري يعني هذا الصحيح وقال محمد بن يوسف الفربري سمعت ابا جعفر محمد بن ابي حاتم الوراق يقول رايت محمد بن اسمعيل البخاري في النوم خلف النبي صلى الله عليه وسلم وكلما رفع النبي صلى الله عليه وسلم قدمه وضع البخاري قدمه موضعه وقال الفربري رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي أين تريد قلت اريد محمد بن اسمعيل البخاري فقال اقرئه مني السلام وحكى عنه انه كان يوما في المسجد وحوله اصحابه للدرس في العلم فرأى بعضهم على لحيته قشة فرماها عن لحيته في المسجد فاخذها الامام البخاري رضي الله عنه وصرها في خرقة واخرجها ورماها خارج المسجد وقال للذي رماها عن لحيته انت ما رضيت ان تكون هذه القشة على لحيتي وانا عبد الله وابن آدم فكيف ارضى ان ارميها في بيت ربي وفي مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رضي الله عنه ما وضعت في كتابي حديثا حتى استخرت الله تعالى وتيقنت صحته وقال ما كتبت في كتابي الصحيح حديثا الا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين بين الروضة والمنبر وقرأته على النبي صلى الله عليه وسلم ثم اضطجعت فيا تيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقول يا رسول الله بلغني عنك انك قلت كذا وكذا وأقرأ عليه ذلك الحديث فيقول نعم صحيح ذلك قال وارجو ان يبارك الله فيه للمسلمين فحقق الله ظنه ورجاءه وكان اذا فرغ من التحديث او التصنيف قام فركع وروي انه كان يحضر مجلسه اكثر من عشرين الفا يأخذون عنه ومن كلامه رضي الله عنه

اغتنم في الفراغ فضل ركوع * فعسى ان يكون موتك بغته

كم صحيح رايت من غير سقم * ذهبت نفسه الصحيحة فلته

الثمر قالت عائشة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بنعيه الرسالة فقال فيما يا عائشة فيما وجدت فقالت فخرجت اليه مغضبة ودخلت على أبي بكر وأخبرته بما وقع فقال يا بنتي لا تعطي يا رسول الله ظن سوء ان الله قد زوجك به من قريش سيجيء ابوك فزوجتك اياه في الارض قالت عائشة رضي الله عنها فوقعت عني ما أشد من قرحي بقول (ص ٤) أبي بكر زوجك من رسول الله

قال المؤلف اتفقوا على أن البخاري رحمه الله توفي ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة عيد الفطر وقيل بعد الظهر بمرتنك وهي قرية من قرى سمرقند على فرسخين منها سنة ست وخمسين ومائتين وله من العمر اثنان وستون سنة الا ثلاثة عشر يوما قاله في تهذيب الاسماء واللغات وما أحسن قول الكمال بن أبي شريف ولد في صدق ومات في نور ولما مات فاز في تراب قلوب بمدرا أحمده الغالية أطيب من المسك واستمرت الباقية كثيرة فمن تأثرت عند جميع أهل البلاد وسيأتي أيضا شيء مما يتعلق به عند ذكره في استخراج الحديث الاول ﴿و﴾ أبو الحسين ﴿مسلم﴾ بن الحجاج بن مسلم القشيري ﴿او ذكرها عند وفاة الاسانيد﴾ جمع اسناد وهو حكاية طريق المتن والسند الطريق او وصلا الى المتن فقولك أخبرنا ان اعم اسناد ونفس الرجال سند وقال البدر بن جماعة الاسناد هو الاخبار عن طريق المتن والسند هو رفع الحديث الى قائله قال والمحدثون يستعملونهما اشيء واحد وفيه نظر واخذه واما من السند وهو ما ارتفع وعلا من سنح الجبل لان المسند يرفعه الى قائله أو من قولهم فلان سند أي معتمد سمي بذلك لاعتماد الحفاظ فيه في صحة الحديث وضعفه عليه ولذا قال النووي المسند سلاح المؤمن فاذا لم يكن معه سلاح فبم يقاتل وقال بعضهم انه كالسيف للمقاتل وقال بعضهم مشيرا اليها نه كالسلم يصعد عليه وقال ابن عيينة حدث الزهري بحديث فقلت له هاته بلا اسناد فقال ترقى السطح بلا سلم وفي اول صحيح مسلم عن عبد الله بن المبارك الاسناد من الدين ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه الذي يطلب الحديث بلا سند كحاطب ليل يتحمل الحطب وفيه افاعي وهو لا يدري قال ابو علي الجياني خص الله هذه الامة بثلاثة اشياء لم يعطها من قبلها الاسناد والانساب والاعراب ومن ادلة ذلك ما رواه الحاكم وغيره عن مطر الوراق في قوله تعالى أو اثارة من علم فقال اسناد الحديث وأما المتن فهو القائل الحديث التي تقوم بها المعاني قاله الطيبي وقال ابن جماعة هو ما ينتهي اليه غاية السند واخذه اما من العنانة وهي السحابة في الغاية لان المتن غاية السند او من متنت الكبش اذا شققت جلدة بيضته واستخرجتها فكان المسند استخرج المتن بسنده او من المتن وهو ما صلب وارتفع من الارض لان المسند يقويه بالسند ويرفعه الى قائله او من تمتين القوس اي شدها بالعصب لان المسند يقوي الحديث بسنده ﴿ليسهل حفظها﴾ لفاظها واذا سهل حفظها كثرت حفاظها فيعم الانتفاع بها ولذا قال ﴿ويعم الانتفاع بها ان شاء الله تعالى﴾ لانه ولي كل شيء والقادر عليه وقد حقق الله ما اراده وانما بالمشيئة للتبرك امتثالا لامره تعالى اشرف خلقه بالاتيان بها لذلك لقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ومن ثم سنت في الامور المستقبلة دون الماضية كما استفيد من الآية فلا يقال فعلت كذا امس ان شاء الله والاسناد لفعل الغير كهو لفعل النفس ومفعول شاء الله محذوف اي ان شاء الله تعالى ذلك وقد قيل في تفسير قوله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم ليس لاهل الحديث منقبة اشرف من ذلك لانه لا امام لهم غيره صلى الله عليه وسلم لان سائر العلوم الشرعية محتاجة اليه اما الفقه فواضح واما التفسير فلان اول ما فسر به كلام الله تعالى ما ثبت عن نبيه صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم

صلى الله عليه وسلم ويقال أن أول حب وقع في الاسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها فكانت أحب الناس اليه (وفضائلها كثيرة) * منها ان الوحي لم يأت النبي صلى الله عليه وسلم في فراش امرأة من نسائه الا هي * ومنها ان جبريل اقرأها السلام عن الله دون غيرها من صواحباتها وهي أفضل نساء النبي صلى الله عليه وسلم روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الف حديث ومائتي حديث وعشرة أحاديث وفي هذا كفاية ونرجع الى الكلام على الحديث فنقول (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احدث) أي اتى شيئا لم يكن موجودا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو لنسمي بالبدعة (قوله في أمرنا) أي في ديننا وشرعنا ويطلق على الشان ومنه وما أمر فرعون برشيد (قوله هذا) اشارة الى ما ذكر من دين النبي صلى الله عليه وسلم وشانه (قوله ما ليس منه) اي بان يناقيه اولا يستند الى شيء من ادلة الشرع (قوله فهو رد) اى مردود ومعناه انه باطل لا يعتد به (رواه البخاري ومسلم وفي رواية لمسلم من عمل عملا) اى احدثه هو او غيره (ليس عليه امرنا) اي لا يرجع الى دليل شرعنا (فهو رد) اي مردود كما مر وفي هذه الرواية رد على من فعل سوأ قائلا انه لم يحدث ما فعله وان غيره سبقه به وفيه بيان انه لا فرق بين ان يكون محدثا

لما فعله او مصوبا له اذ كل فعل لم يكن على أمر الشرع فقد عابه أثم اقول صلى الله عليه وسلم من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والحديث دخل فيما تناوله الحديث السفير والفاسد والحكم بالجهل والخبر ونحو ذلك مما لا يوافق الشرع ﴿ فائدة ﴾ قسم ابن عبد السلام الحوادث الى الاحكام الخمسة فقال البدعة ان لم يسبق لها مثال في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة كتعلم النحو وغريب الكتاب والسنة ونحوها مما يتوقف فهم الشريعة عليه ومحرمة كمذهب القدرية والجبرية والمجسمة ومندوبة كاحداث الربط والمدارس وبناء القناطر وكل احسان لم يعهد في العصر الاول ومكروهة كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف ومباحة كالمصافحة عقب صلاة الصبح والعصر والتوسع في المآكل والمشرب والملبس وغير ذلك واعلم ان في هذا الحديث الحث على الاتباع والتحذير من الابتداع وقيل أوحى الله الى موسى عليه السلام لا تجالس أهل الهوى فيحدثوا في قلبك ما لم يكن وقال سهل بن عبد الله من داهن مبتدعا سلبه الله حلاوة السنن وقال الدقاق من استهان بادب من آداب الاسلام عوقب بحرمان السنة ومن ترك سنة عوقب بحرمان الفريضة ومن استهان بالفرائض قبض الله له مبتدعا يذكر عنده باطلا فيوقع في قلبه شبهة * وفي الحديث من أحب سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة وفي تفسير قوله تعالى ويعلمهم الكتاب والحكمة ان الحكمة هي السنة * يحكى عن أحمد بن حنبل رضي الله عنه قال كنت يوما مع جماعة يتجردون ويدخلون الماء فاستعملت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر فلم أتجرد فرايت تلك الليلة في المنام قائلا يقول لي أبشر يا احمد فان الله قد غفر لك باستعمال السنة فقلت من انت فقال جبريل

﴿ ثم أتبعها بما يرضي ربنا عني ألفاظها ﴾ من اضافة الصفة الموصوف أي ألفاظها اللطيفة ﴿ ويغني لكل ناظر في ﴾ حل ﴿ أبوابه ﴾ الآخرة ﴿ ما يريد في مبدئه ومعاده ﴾ من الاحاديث المشتملة عليه من المهمات ﴿ ومحتوى ﴾ أي جامع ﴿ عليه من التنبيه ﴾ أي الايقاظ والتفهيم ﴿ على جميع الطاعات ﴾ ولو ظاهرا لمن تدبره ﴿ التدبير التفكر وهو انتقال الذهن من التصديقات الحاضرة الى التصديقات المستحضرة ﴿ وعلى الله ﴾ لا على غيره كما أفاده تقديم المعمول ﴿ اعتمادي ﴾ في هذا الجمع وغيره ولا يرد على الحصر الذي أفاده تقديم المعمول ان الاعتماد كثيرا ما يقع على غيره لان المراد الاعتماد عليه في تحصيل الاسباب وتيسيرها والتحصيل والتيسير مختصان به تعالى وفيه اشارة الى محض التوحيد الذي هو أقصى مراتب العلم بالمبدإ ﴿ واليه ﴾ لا الى غيره ﴿ تفويضي ﴾ التفويض الى الله هو رد الامر كله اليه ﴿ و ﴾ اليه ﴿ استنادي ﴾ أي التجائي فيما يتعلق بتاليف العلم وغيره ﴿ وله ﴾ دون غيره ﴿ الحمد ﴾ على كل واحد قابل لاختصاصها ﴿ والنعمة ﴾ ايجادا وايصالا الى خلقه بسائر أنواعها كالعلم وغيره وان وجد له حمد أو نعمة فانما هو باعتبار الصورة دون الحقيقة ﴿ وبه ﴾ لا بغيره وفي بعض النسخ وبيده اي وبقدرته ﴿ التوفيق ﴾ وهو لغة جعل الامر موافقا للآخر واصطلاحا قال الاشعري خلق قدرة الطاعة في العبد واعترضه امام الحرمين بانه يشمل الكافر والفاسق اذ كل منهما خلق فيه قدرة الطاعة فلا بد من زيادة قيد في التعريف وهو الداعية اليها وردده الدواني لان القدرة عند الاشعري هي العرض المقارن للفعل فلا توجد قدرة الايمان الا مع وجوده ولا توجد قدرة الطاعة الا مع فعلها ﴿ والعصمة ﴾ بالكسر وهي لغة المنع قال الله تعالى لا عاصم اليوم من أمر الله اي لا مانع ويقال عصمه الطعام اذا منعه الجوع أبو عاصم كنية السويقي واصطلاحا قال الاشعري خلق القدرة على المعصية وهو منقوض بالصبي والميت ومن منعه من المعصية مانع والاحسن تعريفها بانها ملكة نفسانية تمنع من الفجور والخيانة ويجوز الدعاء بها مطلقة ومقيدة على المعتمد وأنكر بعضهم جواز الدعاء بها مطلقة لانها انما هي للانبياء والملائكة وأجيب بانها في حق الانبياء والملائكة واجبة وفي حق غيرهم جائزة وسؤال الجائز جائز وان الذي اختص به الانبياء والملائكة وقوعها لهم لا طلبها ﴿ الحديث ﴾ ويرادفه الخبر على الصحيح هو لغة ضد القديم وقد استعمل في قليل الخبر وكثيره لانه يحدث شيئا فشيئا واصطلاحا ما أضيف الى النبي صلى الله عليه وسلم قولا او فعلا أو تقريرا او صفة حتى الحركات والسكنات اليقظة أو منامات ازاد بعضهم أو هما أو إياها ويسمى عن هذا علم الحديث رواية ويحد بانه علم يعرف به أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله واحواله وموضوعه ذات رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث انه رسول الله وغايته الفوز بسعادة الدارين وأما علم الحديث دراية فهو علم يعرف به حال الراوي والمروي من حيث القبول والرد وموضوعه الراوي والمروي من حيث ذلك وغايته معرفة ما يقبل وما يرد من ذلك وقال ابن حجر في شرح النخبة الخبر عند علماء الفن مرادف للحديث فيطلقان على المرفوع وعلى الموقوف والمقطوع * وقيل الحديث ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم * والخبر ما جاء عن غيره * ومن ثم قيل لمن يشتغل بالسنة محدث وبالتواريخ ونحوها

وقد جعلك الله اماما يقتدى بك (ويحكى) عن بعضهم ايضا انه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له يا رسول الله عسى ان تشفع لى فقال لى قد شفعت لك قلت متى قال من الموت الذى انت فيه ميت وقد كانت اصيبت قال ابن عباس رضى الله عنهما ما اتى على الناس عام الا احدثوا فيه بدعة واماتوا فيه سنة حتى تحيى البدع وتموت السنة وفى (٤٧) الحديث من مشى الى صاحب بدعة فقد أعان على هدم الاسلام فيجب على من من الله عليه بالاتباع ان يجتنب سبيل ذوى الابتداع وان يقف مع الكتاب والسنة والاجماع ﴿خاتمة المجلس﴾ حكى النابلسي في شرحه أن هرون الرشيد وجه الى ابي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي رحمه الله فاستحقه ليرخص له في نكاح الجارية التي تركها اخوه موسى الهادي وكان قد استحقه أنه متى افضت الخلافة اليه لا يقر بها فخالف له هرون أيمانا كثيرة منها المشي الى بيت الله الحرام حافيا على قدميه والقضية مشهورة عند اهل التاريخ فلما مات اخوه موسى الهادي طلب هرون رخصة في نكاحها فلم يسعفه الشافعي فتوعده وهدده فانصرف عنه وقد خامره بعض رعب فما زال يصلى حتى غلب عليه النوم في مصلاه فراى كانه قائم بين يدي

ونحوها أشهر وقيل بينهما عموم وخصوص مطلق فكل حديث غير ولا عكس وقيل لا يطلق الحديث على غير المرفوع الا بشرط التقييد وقد ذكر المؤلف أن المحدثين يسمون المرفوع والموقوف بالاثر وان فقهاء خراسان يسمون الموقوف بالاثر والمرفوع بالخبر ﴿الاول﴾ المشهور ان أصله أوأل على وزن أفعل فقلبت الهمزة الثانية واوا وادغمت فيها الاول وهو اسم اما بمعنى قبل فيكون منصرفا ومنه قولهم اول الاشياء أو بمعنى أسبق فيكون غير منصرف للوزن والوصف وعلى الانصراف بهذا الحديث كالبخاري لان السلف الصالح كانوا يستحبون تقديمه امام كل شيء يبتدأ من أمور الدين لعموم الحاجة اليه ولتنبيه الطالب على مزيد الاعتناء والاهتمام بحسن النية والاخلاص بالاعمال فانه روحها الذي به قوامها وبفقده تصير هباء منثورا وقد قال الحافظ عبد الرحمن بن مهدي من أراد أن يصنف كتابا فليبدأ بهذا الحديث وقال لو صنفت كتابا لبدأت في كل باب منه بهذا الحديث ﴿عن أمير المؤمنين﴾ هو أول من لقب بهذا العموم ومن الخلفاء لاستغنائهم خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقبه بذلك عدى بن حاتم وليبد بن ربيعة حين وفدا عليه من العراق وقيل لقبه المغيرة بن شعبة وقيل أنه قال للناس أنتم المؤمنون وأنا أميركم لانه أول من لقب بهذا اللقب وقد لقب به عبد الله بن جحش حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في سرية اثني عشر رجلا وقيل ثمانية في اول مقدمه المدينة وكتب له كتابا وامره ان لا ينظر اليه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره به ولا يستكره احدا من اصحابه فلما سار يومين فتح الكتاب فاذا فيه اذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل بنخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشا وتعلم لنا أخبارهم فقال عبد الله واضعا به سمعا وطاعة وقالوا لهم من ندعوك فقال انتم المؤمنون وانا اميركم قالوا انت اذا امير المؤمنين ثم مضوا ولقوا عير القريش فقتلوا عمرو بن الحضرمي في اول يوم من رجب كافرا واسروا اثنين وغنموا ما كان معهم فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام فانزل الله قوله تعالى يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه الآيتين وما وصفه بامير المؤمنين لما نقله في شرح مسلم عن المطرزي وابن خالويه وغيرهما ان كل من ملك المسلمين يقال له أمير المؤمنين ومن ملك الروم قيصر ومن ملك الفرس كسرى ومن ملك الترك خاقان ومن ملك القبط فرعون ومن ملك مصر العزيز ومن ملك الحبشة النجاشي ومن ملك اليمن تبع ومن ملك حمير القيل بفتح القاف ثم ان حديث النية هذا فرد غريب باعتبار اوله مشهور باعتبار آخره وليس بمتواتر خلافا لما زعمه بعضهم لان شرطه ان توجد عدة التواتر في جميع طبقاته فان الصحيح انه لم يروه عن النبي صلى الله عليه وسلم الا عمر ولم يروه عن عمر الا علقمة بن وقاص الليثي ولم يروه عن علقمة الا محمد بن ابراهيم التيمي ولم يروه عن محمد الا يحيى بن سعيد الانصاري ومنه اشتهر فرواه عن يحيى بن سعيدا كثر من ثلثمائة نفس وقيل سبعمائة الا ان يحمل على التواتر المعنوي فيصح اذ طلب النية في العمل ثابت في عدة احاديث غيره منها خبر البيهقي لا عمل لمن لا نية له وخبر غيره ليس المرء من عمله الا ما نواه وخبر ابن ماجه انما بعثت الناس على نياتهم ﴿ابو حفص﴾ الفقيه الاسدي وكان سبب ذلك ما كان عليه من الشدة كما رواه يزيد بن اسلم عن ابيه

الله تعالى فنودي يا محمد ثبت على دين محمد واياك اياك ان تحيد فتضل وتضل الستة بامام القوم لاوجل عليك منه اقرا انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون قال فاستيقظت وانا اقرؤها فلما كان وقت صلاة الصبح صليت الفريضة ثم وجدت في نفسي كسلا فقيل لي هرون الرشيد توجه عندك فلا تخف ما دمت شيا واقرا في نفسك اذا مشيت اليه دعاء الطائف فانك لا ترى منه الا خيرا فانتبهت وجعلت اقول اللهم اني اشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا ارحم الراحمين

انت رب المستضعفين وانت ربي الى من تكلني الى عدو يتجهمني ام الى صديق قريب ملكته امري ان لم يكن بك علي غضب فلا ابالي ولكن عافيتك اوسع لي اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت به الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والآخرة من ان ينزل بي غضبك ويحل على سخطك لك الحمد حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك قال فما اكملت قراءته حتى سمعت قرع الباب فخرجت فوجدته الربيع بن وتره فقال ياسيدي الخليفة يأمرك بالوصول اليه فمشيت معه فلما وصلت القربة قام الي فرحب بي وبدأ بالسلام وقال نعم المسلم انت ونعم الامام مثلك لا تأخذه في الله لومة لائم اعلم يا فقيه اني عوتبت الليلة في حقك فانصرف راشدا فانت الملحوظ والمحفوظ وامر له بعشرة آلاف دينار فقبلها بين يديه وانصرف رضي الله عنه وهذا كله ببركة التمسك بسنة سيد المرسلين امانا الله عليها آمين والحمد لله رب العالمين

المجلس السادس

الحديث السادس الحمد لله ذلك المتعال المنزه عن الشركاء والامثال الذي بين لعباده الحرام من الحلال واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تصلح القلب واللسان من فساد الافعال واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي طهره الله ظاهرا وباطنا ووصفه

انه قال رأيت عمر رضي الله عنه يمسك أذن فرسه باحدى يديه ويمسك بالاخرى أذنه ثم يثب حتى يركب (عمر بن الخطاب) بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بكسر الراء وفتح الياء آخر الحروف ابن عبد الله بن قرط بضم القاف وبالطاء المهملة ابن رزاح بفتح الراء أوله ثم زاي مفتوحة أيضا ابن عدي بن كعب بن لؤي العدوي القرشي يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في كعب الاب الثامن وأمه حنتمة بالحاء المهملة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب وكونها بنت هاشم هو الصحيح وقيل بنت هشام وعلى الاول فهي بنت عم أبي جهل وعلى الثاني فهي أخته فيكون أبو جهل خاله أسلم سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس بعد أربعين رجلا وعشر نسوة كما قاله سعيد بن المسيب أو بعد ستة وأربعين رجلا واحدى عشرة امرأة كما قاله عبد الله بن ثعلب أو بعد تسعة وثلاثين رجلا كما قاله غيرهما وكان ذلك بدعوة المصطفى صلى الله عليه وسلم لما قال عليه أفضل الصلاة والسلام اللهم أعز الاسلام بأحب الرجلين اليك بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام فكان أحبهما اليه عمر بن الخطاب قال أنس بن مالك خرج عمر متقلدا سيفه فلقيه رجل من بني زهرة فقال اين تعمد يا عمر فقال أريد ان أقتل محمدا فقال وكيف تأمن في بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمدا فقال له عمر ما أراك الا قد صبوت وتركت دينك الذي أنت عليه قال أفلا أدلك على العجب يا عمر ان أختك وختنك سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة قد أسلما فمشى مغضبا حتى أتاهما وعندهما رجل من المهاجرين يقال له خباب فلما سمع خباب حس عمر توارى في البيت فدخل عليهما فقال ما هذه الهينمة التي سمعتها عندكم قال وكانوا يقرؤن طه فقال ما عدا حديثا تحدثناه بيننا قال فلعلكما قد صبوتما فقال له ختنه أرأيت يا عمر ان كان الحق في غير دينك فوثب عمر على ختنه فوطئه وطأ شديدا فجاءت أخته فدفعته عن زوجها فضرب رأسها فدماه فقالت وهي غضبى كان ذلك على رغم أنفك أشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فلما يئس عمر قال اعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فاقرؤه وكان عمر يقرأ الكتب فقالت له أخته انك رجس ولا يمسه الا المطهرون فقم فاغتسل أو توضأ فقام فتوضأ ثم اخذ الكتاب فقرأ طه حتى انتهى الى قوله انني انا الله لا اله الا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري فقال عمر دلوني على محمد وفي رواية أخرى انه وجد في الكتاب سورة الحديد فقرأ حتى بلغ قوله تعالى آمنوا بالله ورسوله فقال دلوني على محمد فلما سمع خباب قول عمر خرج من البيت فقال ابشر يا عمر فاني ارجو ان تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الخميس اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام فان والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الدار التي أسفل الصفا فانطلق عمر حتى أتى الدار فقال وعلى الباب حمزة وطلحة وناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى حمزة وجل القوم من عمر قال حمزة نعم هذا عمر فان يرد الله بعمر خيرا يسلم ويتبع النبي صلى الله عليه وسلم وان يكن غير ذلك يكن قتله علينا هينا قال والنبي صلى الله عليه وسلم داخل يوحى اليه فخرج اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اتى عمر فاخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف وقال اما انت منتهيا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما انزل بالوليد بن المغيرة

فوق ما يقال فهو النبي المصطفى والحبيب المجتبى والهادي من الضلال صلى الله عليه وعلى آله واصحابه بالغدو والآصال اللهم آمين (عن ابي عبد الله النعمان بن بشير رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الحلال بين وان الحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه الا وان لكل ملك حمى الا وان حمى الله محارمه الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد

كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب رواه البخاري ومسلم ﴾ اعلموا اخواني رفقني الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم وهو احد الاحاديث التي عليها مدار الاسلام قال جماعة هو ثلث الاسلام اذ الاسلام يدور عليه وعلى حديث انما الاعمال بالنيات وحديث من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه وقال ابو داود يدور على اربع ماذكر وقوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه وحديث ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس وقد جمعها بعضهم بقوله

عمدة الدين عندنا كلمات
اربع من كلام خير البريه
اتق الشبهات وازهد
ودع ما
ليس يعنيك واعملن بنيه

(قوله ان الحلال بين) اى ظاهر منكشف قد انفت عن ذاته الصفات المحرمة وخلا عن شائبة مايطرق اليه من ذلك وهو عند امامنا الشافعي رحمه الله تعالى مالم يرد دليل بتحريمه فهو مالم يمنع منه شرعا سواء أورد بحله دليل او سكت عنه بدليل قوله صلى الله عليه وسلم فيما ياتي به في الحديث الثلاثين وسكت اى الله عن اشياء رحمة لكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها لانها لو كانت حراما لبينها ﴿ وعن ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه ماورد دليل بحله فهو اخص من قول الشافعي فخروج

اللهم هذا عمر بن الخطاب اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب فقال عمر أشهد أنك رسول الله ولابن عباس أنه قال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فكبر اهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد ثم قال يارسول الله ألسنا على الحق ان متنا وان حيينا قال بلى والذي نفسي بيده انكم على الحق ان متم وان حييتم قال ففيم الاختفاء والذي بعثك بالحق لتخرجن فخرج في صفين حمزة في أحدهما وعمر في الآخر حتى دخلوا المسجد فنظرت قريش الى حمزة والى عمر فاصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها فلقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بالفاروق وفي رواية انما ظهر اسلامه صاروا يضربونه ويضربهم حتى أعياه فقال فما زلت أضرب وأضرب حتى أعز الله الاسلام وصح أنه لما أسلم نزل جبريل وقال يامحمد قد استبشر أهل السماء باسلام عمر وان المشركين قالوا قد انتصف القوم اليوم منا وأنزل الله على المصطفى ياأيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وروى شريح بن عبيد عنه أنه قال خرجت أتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته قد سبقني الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أعجب من تاليف القرآن قال فقلت هذا والله شاعر كما قالت قريش قال فقرأ انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون قال قلت كاهن فقرأ ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين الى آخر السورة فوقع الاسلام في قلبي قال ابن مسعود ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر وقال أيضا كان اسلامه فتحا وهجرته نصرا وامامته رحمة والله ما قدرنا ان نصلي عند البيت حتى أسلم فما لهم حتى تركونا وسيبلنا وقال صهيب لما أسلم عمر جلسنا حول البيت وحلقنا وطفنا واتصفنا ممن غلظ علينا وحكمه الله في العناصر الاربعة الريح والتراب والماء والنار بدليل قصة سارية فانه وجه جيشا وأمر عليهم ساريه فبينما هو يخطب اذ نادى ياسارية الجبل الجبل من سرى الذئب ظلم فاستند الجيش الى الجبل فنصرهم الله وما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال اتت زلزلة عظيمة في زمن عمر كادت الجبال ان تقع من على وجه الارض وذلك عقب الفصل الذي يسمونه فصل عمواس فضرب عمر الارض بدرته وقال لها اسكني أنا عدل فويل لعمر فسكنت ولم تأت بعدها مثلها وما كتبه لنيل مصر لما كتب له عمرو بن العاص ان النيل لا يزيد زيادته المعتادة الا ان ألقي فيه امرأة بكر فامر ان يلقى فيه كتابه يدل المرأة وما هو مكتوب فيه انك كنت ان تطلع من عند الله فاطلع وان كنت تطلع من عند نفسك فلا حاجة لنا بك فلم يلق فيه بعد ذلك امرأة وما قاله ابن عباس ايضا كانت تاتي النار كل عام الى المدينة المشرفة فشكا المسلمون ذلك لعمر فقال لغلامه خذ هذا الرداء فاذا جاءت النار فافرده في وجهها وقل يا نار هذا رداء عمر بن الخطاب فهي ترجع فوقعها فلما جاءت النار ضج المسلمون فاخذ الغلام الرداء وخرج به الى ظاهر المدينة وفرده على وجهها كما امره سيده وقال يا نار ارجعي هذا رداء عمر بن الخطاب فرجعت في الحال ولم تعد ﴿ رضي الله عنه ﴾ اى حفظه من سخطه اذ الرضا والرضوان ضد السخط ﴿ قال سمعت رسول الله ﴾ مفعول سمعت اي كلامه لان السمع لا يتعلق بالذات والسمع في الاصل مصدر يطلق على الواحد وعلى الجمع قال الله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ﴿ صلى الله

﴿ ٧ — شرخيتي ﴾ المسكوت عنه وعلينا لورأينا نباتا ولم نعلم أمضر هو أم لا او حيوانا لم تعرفه العرب فالاشبه كما قال الامام الرافعي وغيره بمذهب الامام الشافعي الحل لسكوت الشارع عن تحريمه وبمذهب أبي حنيفة التحريم لعدم ورود نص بحله (قوله وان الحرام) اى وهو مامنع من تعاطيه دليل على مذهب الامام الشافعي ومالم يرد دليل يحله على مذهب الامام ابي حنيفة (قوله بين) اى يعرفه كل احد لم ينكشف عن ذاته صفة محرمة فهو مامنع منه شرعا اتفاقا اما لصفة في ذاته ظاهرة كالسم والمنتج

وغيرها أو غير ظاهرة كتعريض بعض الحيوان وإدخاله في خصيه كالمغصوب وبيع الغرر والربا (قوله وبينهما مشتبهات لا يعلمن كثير من الناس) اي لخفاء حكمهن عليهم وعلمهن العلماء بنص أو قياس او استصحاب او نحو ذلك (قوله فمن اتقى)
اي ترك (الشبهات) جمع شبهة (د ٥) وهو ما يخيل للناظر انه حجة وليس كذلك (قوله استبرأ) الهمزة وقد تخفف
اي طلب البراءة (لدينه)
أي صان ذم الشرع
(وعرضه) بكسر العين
أي صانه عن كلام الناس
فيه والمراد به النفس اذ هي
محل المدح والذم وقد جاء
في الاثر من وقف موقف
تهمة فلا يلومن من أساء
الظن به وقال صلى الله
عليه وسلم لرجلين مرا
عليه ومعه زوجته صفية
أسرعا فانها صفية حوفا
عليهما ان يهلكا فقالا
سبحان الله فقال ان الشيطان
يجري من ابن آدم مجرى
الدم وقد خشيت ان
يقذف في قلوبكما شرا
﴿فائدة﴾ اختلف العلماء
في معنى الشبهة المذكورة
في الحديث فمنهم من قال
انها الحرام محملا بقوله
فمن اتقى الشبهات فقد
استبرأ لدينه وعرضه ومنهم
من قال انها الحلال عملا
بقوله كالراعي يرعى حول
الحمى يوشك ان يقع فيه فانه
دال على ان ذلك حلال وان
تركه ورع وهو الصواب
(قوله ومن وقع الشبهات)
اي بان لم يترك فعلها (وقع في الحرام) الحض أو قارب ان يقع فيه معناه ان من كثرت عليه الشبهات صادف الحرام معظم
وان لم يتعمده وقد يأثم بذلك ان نسب الى تقصير ومعناه ان يعتاد التساهل ويجسر على شبهة ثم شبهة أغلظ منها ثم أخرى أغلظ وهكذا
حتى يقع في الحرام عمدا وقد دلت الاحاديث ان المعاصي تسوق الى الكفر والعياذ بالله تعالى ومن ذلك قوله تعالى تلك حدود الله
فلا تقربوها فنهى عن المقاربة حذرا من المواقعة وقوله تعالى ويقتلون النبيين بغير حق ذلك بما عصوا اى تدرجوا بالمعاصي

عليه وسلم يقول ﴾ جملة يقول من الفعل والفاعل محلها النصب على الحال من رسول الله أي قائلا وهي حال مبينة لا يجوز حذفها هذا عليه الجمهور واختار الفارسي انها بدل سمعت ان كان مما يسمع كسمعت القرآن تعدته الى مفعول واحد والا كما تعدت الى مفعولين فجملة يقول على هذا مفعول ثان ﴿ انما ﴾ للحصر باتفاق المحققين وهو اثبات الحكم المذكور ونفيه عما عداه وانما اختلفوا في وجه الحصر فقيل بالمنطوق وقيل بالمفهوم بدليل انه يقال انما زيد قائم لاقاعد بخلاف ما زيد الا قائم لا قاعدا لانه لو كان الحصر بالمنطوق لكان قوله لا قاعدا تكرارا ودعوى أن ان للاثبات وما للنفي كما زعمه الرازي وان الاثبات للمذكور والنفي لما عداه غير ظاهر لان القاعدة ان ما يلي حرف النفي منفي ولا نه لو كانت ما للنفي لصدرت مع كون ان لها الصدر فيلزم اجتماع المتصدرين على صدر واحد وأيضا فيه اجتماع حرفي الاثبات والنفي بلا فاصل فيلزم اجتماع الضدين وأيضا يلزم عليه جواز نصب زيد في انما زيد قائم لانها انما اقترنت بما يجوز اعمالها وان كان نادرا والاولى ان تجعل ما زائدة لتأكيد الاثبات وتضاعف الاثبات يفيد الحصر ﴿ الاعمال ﴾ جمع عمل وهو حركة البدن فيشمل القول لانه عمل اللسان كما قاله ابن دقيق العيد خلافا لمن أخرجه وأورد على من سمى القول عملا بان من حلف لا يعمل عملا فقال قولا لا يحنث * وأجيب بان مرجع اليمين الى العرف والقول لا يسمى عملا في العرف وقد يجوز بانا لعمل عن حركة النفس * فان قلت النية أيضا عمل لانها من أعمال القلب فاذا احتاج كل عمل الى نية فالنية أيضا تحتاج الى نية وهلم جرا * فالجواب ان المراد بالعمل عمل الجوارح نحو الوضوء والصلاة * وأما النية فهي خارجة عنه بقرينة العقل دفعا للتسلسل أو لان العرف لا يطلق العامل على الناوي على ان صاحب القاموس ذكر انه حركة المهنة فلا يتناول توجه القلب وآثر ذكر الاعمال على ذكر الافعال لان لفظ العمل أخص من لفظ الفعل لان الفعل ينسب الى البهائم والجمادات كما ينسب الى ذوي العقول بخلاف العمل لانه يعتبر فيه القصد قال بعض الادباء قلب لفظ العمل من لفظ العلم تنبيها على انه من مقتضاه قال الراغب ولم يستعمل العمل في الحيوان الا في قولهم البقر والابل العوامل وأما الصنع فهو أخص من العمل لانه لا يقال الا لما كان من الانسان بقصد واختيار بخلاف فكر وتصور وألف فيها للجنس أو العهد الذهني اى غير العادية لعدم توقف صحتها على نية أو الاستغراق وهو ما حكي عن جمهور المتقدمين ولا يرد عليه نحو الاكل من العاديات لان من أراد الثواب عليه احتاج لنية كما يأتي لا مطلقا لحصول المقصود بوجود صورته ﴿ بالنيات ﴾ جمع نية بتشديد الياء من نوى بمعنى قصد والاصل نوية قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء وتخفيفها لغة من ولي يلي اذا أبطلا نه يحتاج في تصحيحها الى نوع ابطاء والالف واللام بدل من الضمير اى بنياتها فيدل على اعتبار نية العمل من الصلاة وغيرها الفرضية والنفلية والتعيين من ظهر أو عصر وانما لم يجب تعيين العدد لان تعين العبادة لا ينفك عنه والنية محلها القلب لا الدماغ وهي لغة القصد وشرعا توجه القلب نحو الفعل ابتغاء وجه الله تعالى وامتثالا لامره وجمعت الاشارة الى انها تتنوع كما تتنوع الاعمال لان المصدر اذا اختلفت أنواعه جمع كالعلوم وفي

الى قتلهم وقوله صلى الله عليه وسلم لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده أي يتدرج بها الى نصاب السرقة فتقطع يده ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم نظر لما ذكره بقوله (كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه) أي كالراعي يرعى الماشية بحول الحمى أي الحمي وهو المكان من الارض المباحة الممنوع من الرعى فيه (٥١) يوشك بكسر الشين اي يسرع ويقرب ان يرتع فيه معناه اكل الماشية من الرعى واقامتها به وكفى بهذا دليلا على ذمه الفاسد وجلب المصالح بالتباعد عما يخاف منه وان ظن السلامة في مقاربته (قوله الا وان لكل ملك حمى) وهو ما يحجزه لرعى خيله وغيره من مصالحه ويمنع غيره منه (قوله الا وان حمى الله محارمه) أي ان نتهك وهذا ضرب مثل محسوس لتكون النفس متيقظة أشد تيقظ فتتأدب بما نهى الله تعالى كما تتأدب مع الاكابر اذ كل ملك بكسر اللام له حمى يحميه عن الناس ويمنعهم من دخوله فمن خالفه ودخله عاقبه فالرب جل جلاله حمى محارمه التي حرمها وقد حرم ابراهيم عليه السلام مكة ونبينا صلى الله عليه وسلم المدينة فاحذر يا اخي أن تقع في محارم الله تعالى فيعاقبك (قوله الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب) اعلم ارشدني الله وايالك ان القلب عضو باطن في الجسد وعليه مدار حال الانسان وبه العقل وهو اشرف اعضائه وسمي قلبا لسرعة الخواطر فيه وترددها عليه وتقلبه كما قيل وما سمي الانسان الا لنسيه * ولا القلب الا انه يتقلب وقد يعبر عنه بنفس العقل لقوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أي عقل وانما كان صلاح البدن وفساده تابعا لصلاح القلب وفساده لانه مبدأ الحركات البدنية والارادات النفسانية فاذا صدرت عنه ارادة صالحة لسلامته من الامراض

معظم الروايات بالنية مفردا لانها مصدر ولان محلها القلب وهو متحد فناسب إفرادها بخلاف الاعمال فانها متعلقة بالظواهر فناسب جمعها ولان النية ترجع الى الاخلاص وهو واحد للواحد الذي لا شريك له وأيضا هو مفرد محلى بالالف واللام فيعم وفي صحيح ابن حبان الاعمال بالنيات بحذف انما وعند البخاري في النكاح العمل بالنية وكل من رواية ابن حبان والبخاري في النكاح يفيد الحصر لعموم المبتدا او خصوص الخبر على حد صديقي زيد فان قلت النيات جمع قلة كالاعمال وهي العشرة فادونها مع انه لا بد لكل عمل من النية سواء كان قليلا او كثيرا فالجواب ان القلة والكثرة انما يعتبران في نكرات الجمع اما في المعارف فلا فرق بينهما قال البيضاوي فالنية في الحديث محمولة على المعنى اللغوي ليحسن تطبيقه على ما بعده وتقسيمه لقوله فمن كانت الخ فانه تفصيل لما أجمله اه وفيه شيء اذ لو حمل على الشرع لكان أنسب واولى لانه مبين للشرع ويحسن التطبيق ثانيا اذ المعنى كل عمل شرعي فهو محسوب بالنية الشرعية وما ليس كذلك كالهجرة الى الدنيا لا يعتد به شرعا على ان قوله فمن كانت الخ تفصيل لقوله وانما لكل امرىء ما نوى وهذا الحديث متروك الظاهر لان الذوات غير منتفية اذ نقدير انما الاعمال بالنيات لا عمل الا بالنية والفرض ان ذات العمل الخالي عن النية موجودة فالمراد نفي أحكامها المتعلقة بوجودها كالصحة والكمال والحمل على الصحة اولى لانها اكثر ولانها للحقيقة وما كان الرم للشيء كان اقرب خطورا بالبال عند اطلاق اللفظ فلا يصح عمل كالوضوء عند الثلاثة خلافا لابي حنيفة رضي الله عنه ولا نسلم ان الماء مطهر بطبعه وكالتيمم خلافا للاوزاعي وصوم رمضان في الحضر خلافا لعطاء الا بنية وخروج بعض الاعمال عن اعتبار النية فيه إما بدليل آخر كالعتق والوقف فهو من باب تخصيص العموم او استحالة ونحوها كالنية ومعرفة الله تعالى أما النية فلما سبق وأما معرفة الله تعالى فلانها لو توقفت على النية مع ان النية قصد المنوي بالقلب ولا قصد الا لما يعرف فيلزم ان يكون الانسان عارفا بالله تعالى قبل معرفته له فيكون عارفا به غير عارف به في حالة واحدة وهذا يقتضي ان معرفة الله لا ثواب فيها لان الثواب يتبع النية وقد صرح بذلك القرافي وابن جماعة في شرح بدء الامالي وهو خلاف ما ذكره الغزالي وانما لم نشترط النية في ازالة الخبث لانه من قبيل التروك كالزنا فتاركه الزنا من حيث اسقاط العقاب لا يحتاجها ومن حيث تحصيل الثواب على الترك يحتاجها وكذا ازالة الخبث لا يحتاج فيه اليها من حيث التطهير ويحتاجها من حيث الثواب على امتثال أمر الشارع وشرعت تمييزا للعبادة عن العادة كالغسل يكون تنظيفا وعبادة او لترتب العبادة بعضها عن بعض كالتيمم يكون للجنابة والحدث وصورتهما واحدة والصلاة تكون فرضا ونفلا والغسل يكون فرضا وسنة ومستحبا وقد جمع بعضهم أحكامها وهي سبعة بقوله

سبع شرائط أنت في نية * تكفي لمن حازها بلا وسن
حقيقة حكم محل وزمن * كيفية شرط ومقصود حسن

حقيقتها لغة القصد وشرعا قصد الشيء مقترنا بفعله وحكمها الوجوب ومحلها القلب وزمنها اول العبادة

الباطنية كالجسد والشيخ والقلب والكبير أو قاعدة العلم سلامته سلامة الجوارح كلها فان تحرك اليدين بتلك الحركة فهو كالملك والجسد وأعضائه كالرعية ولا شك ان الرعية تصلح بصلاح الملك وتفسد بفساده وأيضا فهو كالابن والجسد كالزرع فان عذب ماء العين عذب الزرع أو ملح ملح وأيضا فهو كالارض والجسد كالبناء المبني عليها (٥٧) كالنبات قال تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا

﴿تنبيه﴾ قد شق عن قلبه صلى الله عليه وسلم واستخرج منه علقة سوداء وقيل هذه حظ الشيطان منك ثم طهر فطاب قلبه فصار فردا قيل وصلاح القلب في ستة أشياء قراءة القرآن بالتدبر وامتلاء البطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين وأكل الحلال وهو رأسها وقد قيل اذا صمت فافطر على طعام من تنظر فان الرجل ليأكل الاكلة فتشمل قلبه كالسم فلا ينتفع أبدا وقال بعضهم وأحسن وأجاد الطعام بذر الافعال ان دخل حلالا خرج حلالا وان دخل حراما خرج حراما وان دخل شبهة خرج شبهة

﴿روى﴾ عن بعضهم انه قال استسقيت جندبا فسقاني شربة فصارت قساوة في قلبي اربعين صباحا وأنشد وافي معنى ما قدمناه

دواء قلبك خمس عند قسوته
فدم عليها تفز بالخير والظفر
خلاء بطن وقرآن تدبره * كذا تضرع بالك ساعة السحر كذا قيامك جنح الليل اوسطه * فاخبر

وان تجالس اهل الخير والخير واعلم أن هذا الحديث اصل في الورع ايضا وهو ترك الشبهة والعدول الى غيرها * قال الحسن البصري ادركنا قوما يتركون سبعين بابا من الحلال خشية الوقوع في الحرام وثبت عن الصديق رضي الله عنه انه اكل ما فيه شبهة غير عالم بها فلما علم بها أدخل يده في فيه فتقايأها وقال ابو درغام التقوى ان يتقي الله العبد بترك بعض الحلال مخافة ان يكون حراما

وكيفيتها تختلف بحسب المنوي وشرطها اسلام الناوي وتمييزه وتحقق الوجوب أو ظنه وان يكون المنوي من مكتسبات الناوي أو يكون نائبا لمكتسبه كنية فرضية الظهر أو نفلية الضحى فان الفرضية والنفلية تابعان للافعال التي يأتي بها الشخص والمقصود من النية تمييز العبادة عن العادة كالغسل فانه يكون عبادة وعادة للتنظيف أو تمييز رتب العبادة بعضها عن بعض كالغسل فانه يكون واجبا كغسل الجنابة وسنة كغسل الجمعة ومستحبا كغسل اليدين والفاه للصائم أو الاستعانة وقال ابن فرحون للسببية أي انما الاعمال ثابت ثوابها بسبب النيات ثم ان هذا الحديث تواتر النقل عن الائمة بعظيم موقعه وكثرة فوائده وانه أصل عظيم من أصول الدين ومن ثم خطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في رواية البخاري فقال يا أيها الناس انما الاعمال بالنيات وخطب به عمر رضي الله تعالى عنه على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أخرجه أيضا ولذلك قال أبو عبيد ليس في الاحاديث أجمع وأغنى وأكثر فائدة منه ومن ثم قال بعضهم انه نصف العلم ووجهه انه أبعد اعمال القلب والطاعة المتعلقة به وعليه مدارها فهو قاعدة الدين ومن ثم كان أصلا في الاخلاص أيضا وأعمال القلب تقابل أعمال الجوارح بل ثلث أجل وافضل بل هي الاصل فكان نصفا بل أعظم النصفين كما تقرر وقيل لان النية عبودية القلب والعمل عبودية القالب بفتح اللام أولان الدين اما ظاهر وهو العمل او باطن وهو النية وقال كثيرون منهم الشافعي وأحمد رضي الله تعالى عنهما انه ثلث العلم لان الاحكام تدور عليه وعلى حديث من احدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد والحلال بين والحرام بين ووجه البيهقي كونه ثلثا بان كسب العبد اما بقلبه أو بلسانه أو بجوارحه فالنية أحدها وأرجحها لانها تابعان لها صحة وفسادا وثوابا وحراما ولا يطرق اليها رياء ونحوه بخلافهما ومن ثم ورد نية المؤمن خير من عمله أي نية بلا عمل خير من عمل بلا نية وهذا على معنى الاتساع لان كل عمل بلا نية لا خير فيه أصلا وفي رواية أبلغ من عمله اذ هي قطب عمله ومداره لان بها يرتهن أو يتضح على قدر ما هي عليه من صحة أو سقم وهو ضعيف لا موضوع خلافا لمن زعمه وفي أخرى زيادة وان الله ليعطي لنية العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله قال بعضهم وانما كانت خيرا من العمل لانها تحتمل التعدد والتكثر في العمل الواحد فيتضاعف أجر العمل بقدر النيات فيه ولا يأتي ذلك في العمل كما اذا جلس في المسجد بنية الاعتكاف وانتظار الصلاة والخلوة عن شواغل القالب والعزلة والذكر وقراءة القرآن ونية حفظ السمع والبصر واللسان عما لا يعنيه وعمارة المسجد بالذكر فانه لا يكون كمن جلس لاحدها فقط وقال بعضهم انما كانت خيرا من العمل لانه لا يتعبد الا بطاقته ووسعه كما اذا نوى ان يعتق عبدا أو يتصدق بمال كثير وهو لا يملك شيئا في الحال وهذا على تقدير رجوع الضمير للمؤمن كما هو ظاهر وقد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم وعد بثواب على حفر بئر فنوى عثمان ان يحفرها فسبق اليها كافر فحفرها فقال صلى الله عليه وسلم نية المؤمن يعني عثمان خير من عمله يعني الكافر وفي رواية أخرى ان رجلا من الصحابة نوى بناء قنطرة في موضع مهم فسبقه يهودي لبنائها

وقيل لابراهيم بن ادهم ألا تشرب من ماء زمزم فقال لو كان لي دلو لشربت اشارة الى ان الدلو من مال السلطان فكان شبهة وقال زيد ابن ثابت لاشيء اسهل من الورع اذا رابك شيء فدعه وهذا اسهل على من سهله الله عليه صعب على كثير من الناس اثقل من الجبال * ومن محاسن الحديث ايضا الحث على قبول الحلال واجتناب الحرام والامساك عن الشبهات والاحتياط للدين والعرض وعدم تعاطي الامور الموجبة لسوء الظن والوقوع في المحظور ومنها تعظيم القلب والسعي فيما يصلحه وان الجوارح مع العقل كالحجاب مع الملك وكالرعية له وان العقوبة من جنس الجناية وفيه ضرب الامثال للمعاني الشرعية وأن الاعمال القلبية أفضل من الاعمال البدنية وانها لا تصلح الا بالقلب ﴿خاتمة المجلس﴾ في قوله تعالى ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الآية قال ابن مسعود رضي الله عنه عاتبنا الله بهذه الآية بعد اسلامنا بسبع سنين * وروى ان بعض الناس اصابتهم فترة في قلوبهم فانزل الله تعالى هذه الآية وقال بعض اهل المعاني هذا كلام يشبه الاستبطاء ومعناه اما حان وقت الخشوع أما آن أوان الرجوع اما حق على المفرط اسبال الدموع اما هذا وقت التذلل والخضوع وفي ذكر

فاخبر بذلك جماعة منهم عمر فتاسف ذلك الرجل وافتعل فقال عمر تسلية له نية المؤمن خير من عمله أي من عمل ذلك الكافر لكن يخدشه ما ذكره أبو زرعة في البستان من أن هذا القول صادر عن صدر النبوة ثم صار مثلا من الامثال السائرة وقال أبو داود مدار الدين على أربعة أحاديث وقد نظمها طاهر بن معوذ رضي الله تعالى عنه فقال

عمدة الدين عندنا كلمات * أربع من كلام خير البريه
إتق الشبهات وازهد ودع ما * ليس يعنيك واعملن بنيه

لكن المعروف عن أبي داود عد ما يهتكم عنه فاجتنبوه الحديث بدل ازهد فيما في أيدي الناس وذكر أبو بكر بن فراسة بدل حديث الزهد حديث لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يرضى لاخيه ما يرضى لنفسه ﴿وانما لكل﴾ اسم موضوع لاستغراق افراد المنكر نحو كل نفس ذائقة الموت ولاستغراق أجزاء المعرف نحو أكلت كل الرغيف وحينئذ يقال كل رمان مأكول ولا يقال كل الرمان مأكول ﴿امرئ﴾ أي رجل وفيه لغتان امرؤ بحوز برج ومر بفتح الميم نحو فلبس وحكى الضم ولا جمع له من لفظه وعينه تابعة الامة في الحركات الثلاث قال الله تعالى ان امرؤ هلك ما كان أبوك امرأ سوء لكل امرئ وفي مؤنثه أيضا لغات امرأة ومرأة ومرة لكن في الحديث أطلقه على كلام النوعين بدليل قوله بعد فمن الدال على العموم الخ بل قال الحراني انه يشترك فيه الرجل والمرأة على انه يمكن ان يقال على الاول انما خصصه بالذكر لشرفه واصالته وغلبة دوران الاحكام عليه ﴿ما﴾ اسم موصول بمعنى الذي ﴿نوى﴾ صلته والعائد محذوف أي ما نواه من خير اوشر ويجوز أن تكون مصدرية أي جزاء نيته * فان قلت ما فائدة هذه الجملة بعد قوله انما قوله انما الاعمال بالنيات * فالجواب من وجوه الاول ان هذه الجملة تاكيد للجملة الاولى فذكر الحكم بالاولى وأكده بالثانية تنبيها على شرف الاخلاص وتحذيرا من الرياء المانع من الاخلاص لكنه يرد عليه ان الافادة خير من الاعادة الثاني قال المصنف في شرح مسلم قال الخطابي ان الجملة الثانية افادت اشتراط تعيين المنوي فاذا كان على الانسان صلاة فائتة لا يكفيه ان ينوي الصلاة الفائتة بل يشترط ان ينوي كونها ظهرا اوعصرا أو غيرهما مما له مالم تنحصر الفائتة ولولا هذه الجملة الثانية لاقتضت الاولى الصحة بلا تعيين او اوهمت ذلك وكانه استنبطه من ما الموصولة لانها من المعارف المفيدة للتعيين وفيه بحث لان اللام في قوة الاضافة المفيدة للتعيين لانها موضوعة للعهد كما اختاره صاحب المفتاح الثالث قال ابن عبد السلام ان الاولى لبيان ما يعتبر من الاعمال في سقوط الطلب والثانية لبيان ما يترتب عليها من الثواب والعقاب وهذا في العبادة التي لا تتميز بنفسها واما ما يتميز بنفسه فانه ينصرف بقوله الى ما وضع له كالاذكار والاذان والتلاوة الرابع ان الثانية افادت مع الاستنابة في النية اذا نوى واحد عن غيره لصدق عليه انه عمل بنية افادت الثانية منعه الا في مسائل كنية الحاكم في الزكاة اذا اخذها كرها واحرام الولي عن الصبي في الحج ونحو ذلك ادرك بخصها الخامس قال السمعاني في اماليه ان هذه الجملة دلت على ان الاعمال العادية التي لا تتوقف على النية قد تفيد الايمان في اول الآية تعريف بالمنة واشارة الى استبطاء ثم رد هذا الايمان وثمرته ان تخشع قلوبكم بهذا الايمان وثمرته ان تبكوا على ما سلف من ذنوبكم * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله أواني ألا وهي القلوب واقربها الى الله ما رق وصفا وصلب قال ابو عبد الله الترمذي الرقة خشية الله تعالى والصفاء للاخوان في الله والصلابة في دين الله ويقال شبه القلوب بالآنية فقلب الكافر اناء مكسور مقلوب لا يدخله شيء من الخير وقلب المنافق اناء مكسور ما أتى من اعلاه نزل من اسفله وقلب المؤمن اناء صحيح معتدل يأتي

فيه الخير فيصل ويقال قسوة القلب انما تكون لاختصاص الله تعالى من مواقبة الرب وقيل انما تحصل القسوة من متابعة دواعي الشهوة فان الشهوة والصفو لا يجتمعان وأول ما يتغير في القلب عقله فان بقيه الله بالاحمارت بخطرة فان ردها انتبه والاحمارت فكرة فان صرفها الله تعالى والاحمارت عزمة (٥٤) فان حماه الله والا وقعت المعصية فان انقذه الله بالتوبة والاحمارت توفان

الا نبا الله والاحمارت
عليها وربما قال الله تعالى
كلا بل ران على قلوبهم
ما كانوا يكسبون * قال
ابراهيم بن ادهم قلب
المؤمن مثل كالمرآة فلا يأتيه
الشيطان شيء الا ابصره
فاذا اذنب ذنبا راجعه
التي الله في قلبه نكتة
سوداء فاذا تاب الله عليه
محيت فان عاد الى المعصية
ولم يتب تتابعت النكت
حتى يسود القلب فما
اقل ما تنفع فيه الموعظة
وقال الحسن البصري
الذنب على الذنب يظلم
على القلب حتى يسود
وقال الترمذي سياتي
القلوب الايمان وموتها
الكفر وصحتها الطاعة
ومرضها الاصرار على
المعصية ورقدتها الذكر
ونومها الغفلة وفي الخبر
لا تكثروا الكلام بغير ذكر
الله فتقسو قلوبكم فيا اخواننا
الدار الدار فالعمر طيار
انما هذه الدنيا متاع
فالمغرور المغرور من يصطفيها
ماضي فات والمؤمل غيب
ولك الساعة التي انت فيها

الثواب اذا نوى بها القربة كالاكل والشرب اذا نوى بهما التقوي على الطاعة والنوم اذا قصد به تروح البدن للعبادة والوطء اذا أريد به التعفف عن الفاحشة والتطيب اذا قصد به اقامة السنة والتنظف اذا قصد به نفي الروائح المؤذية عن عباد الله لا استيفاء اللذات والتودد الى النسوان السادس ان الحالة الثانية دلت على ان من نوى شيئا يحصل له ثوابه وان لم يعمله اذ نية شرعي كريض تخلف عن الجماعة وقد ورد في مسند أبي يعلى الموصلي مرفوعا يقول الله سبحانه وتعالى للحفظة يوم القيامة اكتبوا لعبدي كذا وكذا من الخير فيقولون ربنا لم نعمل ذلك منه ولا هو في صحفنا فيقول انه نواه وفي عند الديرواني الاتي انه حصل في بني اسرائيل قحط وغلاء فخرج بعضهم الى الصحراء فمر على كثيب رمل فقال وددت لو كان هذا ذهبا لتصدقت به أو لو كان طعاما لقسمته بين الناس فاوحى الله تعالى الى نبي زمانه ان قل لفلان اني قبلت صدقتك ولم يتصدق بشيء ولكن صحت منه النية اه ومن الدقائق ما في التعبير للقشيري ان بعضهم رؤي في المنام بعد موته فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي ورفع درجاتي فقيل له بماذا فقال بمشينا يسابقون بالهود لا بالركوع والسجود ويعطون بالنية لا بالخدمة ويغفر لهم بالفضل لا بالعمل وحكي عن بعض فضلاء الصوفية انه كان مريضا فدخل عليه بعض اخوانه يعوده فقال لهم انورونا سجادا نورونا بنار باطلا وعدد لهم أنواعا من البر فقال له كيف رأيت على هذه الحالة فقال ان عشنا رفيقا وان متنا حصل لنا اجر النية وقيل لبعض النساك كيف الناس عندكم فقال على قدر نياتهم وحكي عن أخوين كان أحدهما عابدا والآخر مسرفا على نفسه وكان العابد يتمنى ان يرى ابليس قال فظهر له ابليس يوما وقال له أسفا عليك ضيعت من عمرك أربعين سنة في تحصيل نفسك وانا تعاب بذلك وقد بقي من عمرك مثل ما مضى فاطلق نفسك في شهواتها فقال العابد في نفسه لعلي أنزل الى أخي فأسأل الدار وأوافقه على الاكل والشرب واللذات عشرين سنة ثم أتوب وأعبد الله في العشرين التي تبقى من عمري فنزل على نية ذلك وأما أخوه المسرف فانه استيقظ من سكره فوجد نفسه في حالة رديئة فقال على تباب وهو مطروح على التراب وفي الظلام فقال في نفسه قد افنيت عمري في المعاصي وأخي بلذة بطاعة الله تعالى ومناجاته فيدخل الجنة بطاعته وانا بالمعاصي ادخل النار ثم عقد التوبة ونوى الخير والعبادة وطلع يوافق أخاه على عبادة الله تعالى فصعد على نية الطاعة ونزل أخوه على نية المعصية فوافت رجله فسقط على اخيه فوقعا ميتين فيحشر العابد على نية المعصية ويحشر العاصي على نية التوبة وصح عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال كانت قريتان صالحة وظالمة فخرج رجل من الظالمة يريد الصالحة فاتاه الموت حيث شاء الله تعالى فاختصم فيه الملك والشيطان فقال الشيطان والله ما عصاني قط وقال الملك انه خرج يريد التوبة فقضى الله بينهما ان ينظر الى ايهما اقرب فوجده أقرب الى القرية الصالحة واخرج الشيخان انه كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسال عن اعلم اهل الارض فدل على راهب فاتاه فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سال عن اعلم اهل الارض فدلوه على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة

كان بعض السلف الصالح يوقد المصباح ولا يزال يبكي الى الصباح كلما فقال
راي النار ذكر النار وكان بعضهم يوقد النار ويقرب يده منها كلما احس بالحرارة يقول يا ويلك لم فعلت كذا وكذا اللهم وفقنا
كما وفقتهم آمين والحمد لله رب العالمين ﴿المجلس السابع في الحديث السابع﴾ الحمد لله الذي سبقت رحمته غضبه وعفوه
بذلك كتاب كتبه كتب ربكم على نفسه الرحمة واسبغ على خلقه النعمة واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له إله لا يخيب

من توجه اليه أو أمه وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله نبي الرحمة ومصباح الظلمة الذي خصه الله بالمعجزات الباهرات صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم فانكشف عنه الغمة آمين (ع) عن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الدين النصيحة قلنا لمن يارسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم رواه مسلم (اعلموا

فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا هو جاء في الطبراني ان اسم الارض نصرة فان بها ناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق حتى اذا بلغ نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فاتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه حكما بينهم وقال قيسوا ما بين الارضين فالى ايهما أدنى كان له فقاسوا فوجدوه أدنى الى الارض التي اراد فقبضته ملائكة الرحمة وفي رواية لها فكان الى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من أهلها وفي أخرى لهما فاوحى الله تعالى الى هذه ان تباعدي والى هذه ان تقتربي وقال قيسوا بينهما فوجدوه الى هذه اقرب بشبر فغفر الله تعالى له * وللطبراني انهم وجدوه أقرب الى دار المتوابين بأنملة * وحكي ان رجلا عبد الله سبحانه وتعالى سبعين سنة فبينما هو في معبده ذات ليلة فوقعت امرأة جميلة فسألته أن يفتح لها وكانت ليلة شاتية فلم يلتفت اليها وأقبل على عبادته فولت المرأة فنظر اليها فعجبته وملكت قلبه وسلبت لبه فترك العبادة وتبعها فقال الى اين فقالت الى حيث اريد فقال هيهات هيهات صار المراد مريدا والاحرار عبيدا ثم جذبها فادخلها مكانه فاقامت عنده سبعة أيام فعند ذلك تفكر فيما كان فيه من العبادة وكيف باع عبادة سبعين سنة بمعصية سبعة أيام فبكى حتى غشي عليه فلما أفاق قالت له يا هذا أنت ما عصيت الله مع غيرك وانا ما عصيت الله مع غيري وانا اراني في وجهك أثر الصلاح فيالله عليك اذا صادفك مولاك فاذكرني فخرج صارخا على وجهه فآواه الليل الى خربة فيها عشرة عميان وكان بالقرب منهم راهب يبعث لهم في كل ليلة عشرة أرغفة فجاء غلام الراهب بالخبز على عادته فمد ذلك الرجل العاصي يده فاخذ رغيفا فبقي رجل منهم لم يأخذ شيئا فقال اين رغيفي فقال قد فرقت عليكم العشرة فقال أبيت طاويا فبكى الرجل العاصي وناول الرغيف لصاحبه وقال لنفسه أنا أحق أن أبيت طاويا لاني عاص وهذا مطيع فنام واشتد به الجوع حتى أشرف على الهلاك فامر الله ملك الموت بقبض روحه فاختلفت فيه ملائكة العذاب وملائكة الرحمة فقالت ملائكة الرحمة انه فر من ذنبه وجاء تائبا وقالت ملائكة العذاب بل مات عاصيا فاوحى الله اليهم ان زنوا عبادة السبعين سنة بمعصية السبعة أيام فوزنوها فرجحت المعصية على السبعين سنة فاوحى الله اليهم ان زنوا معصية السبع ليال بالرغيف الذي آثر به على نفسه فرجح الرغيف فوقعته ملائكة الرحمة وقبل توبته وهو ربه الى ربه ونقل الاستاذ أبو القاسم ان زبيدة رؤيت في المنام فقيل لها ما فعل الله بك فقالت غفر لي فقيل لها بكثرة عمارتك الآبار والبرك والمصانع في طريق مكة والقائك فيها فقالت هيهات هيهات ذهب ذلك كله لا رياء وانما نجتنا منه النيات فغفر لها * وحكي أيضا انه يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقام له كتاب فياخذه بيمينه فيجد فيه حجا وجهادا وصدقة ما فعلها فيقول هذا ليس بكتابي فاني ما عملت شيا من ذلك فيقول الله تعالى هذا كتابك لانك عشت عمرا طويلا وأنت تقول لو كان لي مال حججت منه لو كان لي مال تصدقت منه فعرفت ذلك من صدق نيتك واعطيتك ثواب ذلك كله (فان كانت هجرته) الفاء رابطة للجواب وهي واقعة في جواب شرط

احواني وفقني الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث عظيم الشان وعليه مدار الاسلام لا يجاوزه لكثرة معانيه بل قالوا ليس في كلام العرب كلمة مفردة يستوفي بها العبارة غير النصيحة (قوله الدين) هو ما سبق في حديث جبريل من انه الاسلام والايمان والاحسان وعبر عنه بعضهم بقوله ما شرعه الله تعالى لعباده من الاحكام (قوله النصيحة) ماخوذ من نصح الرجل ثوبه اذا خاطه فشبهوا فعل الناصح فيما يجبره من صلاح المنصوح بما يسده من خلل الثوب وقيل ماخوذة من نصحت العسل اذا صفيته من الشمع وهي كلمة جامعة معناها حيازة الحظ المنصوح له بما يقوم دينه وعماده النصيحة فهي كقولهم الحج عرفة والقائل ان يقول الدين محصور فيها فان من جملتها طاعة الله ورسوله والايمان والعمل بما قلاه من كتاب وسنة وليس وراء ذلك سوى الدين كما سلف في حديث جبريل (قوله قلنا يارسول الله لمن قال لله) بمعنى الايمان به وطاعته بالقلب والبدن ونحو ذلك وما ذكره في الحقيقة راجع الى العبد من نصح نفسه اذ هو سبحانه وتعالى غني عن ذلك (قوله ولكتابه) بمعنى تعظيمه والايمان به والعمل بما فيه وما أشبه ذلك (قوله ولرسوله) بمعنى تصديقه فيما جاء به واعانته على امره به قولا وعملا واعتقادا (قوله ولائمة المسلمين) اي ولاة امورهم بمعنى الوفاء

لهم بعيدهم من تنبيههم على ما فيه رشدهم بالأشباه والنظائر والدعاء لهم بالتوفيق قال بعضهم وقد يقال المراد بهم هنا علماء الدين ومن نصيحتهم قبول ما رووه وتقليدهم في الاحكام واحسان الظن بهم الى غير ذلك (قوله وعامتهم) أي بان يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه ونحو ذلك ولم يعد فيهم اللام لانهم نبين لا تمتهم ﴿تكملة﴾ قال الاسنوي رحمه الله في بعض مؤلفاته في الحديث اذا أراد الله بالعبد خيرا ساق اليه من يذكره اذا غفل واذا أراد به شرا ساق اليه جليس سوء ينهاه عن الاخذ بالموعظة * ولما تولى هرون الرشيد جلس للناس مجلسا عاما فدخل عليه مجنون فقال له يا أمير المؤمنين احذر جلساء السوء واعتمد جليسا صالحا يذكرك بمصالح خلقه اذا غفلت والنظر فيهم اذا لهوت فان هذا أنفع لك وللناس وأكثر في الاجر مما تأتي به من صوم وصلاة وقراءة وحج ان الرجل كان يأتي الكلمة عند ذي السلطان فيعمل بها فيملأ الارض فسادا * وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالا فيهوي بها في النار سبعين خريفا ولا تكن يا أمير المؤمنين كمن قال الله تعالى في حقه واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد فقال له زدني فقال يا أمير المؤمنين ان الله تعالى قد أقالك الناس وجعل أمرك فيهم مطاعا وكلمتك فيهم نافذة وأمرك فيهم ماضيا ان

مقدر أي واذا كان لكل امرئ ما نوى فمن الخ وهو من عطف المفصل على المجمل الا ان هذا تفصيل لما سبق والهجرة بكسر الهاء في اللغة الترك وفي الاصطلاح مفارقة دار الكفر الى دار الاسلام خوف الفتنة وطلب اقامة الدين وفي الحقيقة مفارقة ما يكرهه الله تعالى الى ما يحبه وقد وقعت في الاسلام على وجهين الاول الانتقال من دار الخوف الى دار الامن كما في هجرة الحبشة وابتداء الهجرة من مكة الى المدينة الثاني الهجرة من دار الكفر الى دار الايمان وذلك بعد ان استقر صلى الله عليه وسلم بالمدينة هاجر اليه من أمكنه ذلك من المسلمين فكانت الهجرة اليها واجبة اذ ذاك لتكثير عدد المسلمين والفرار بالدين من الفتن الى أن فتحت مكة كما رواه ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية لكن روى أبو داود والنسائي من حديث معاوية عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ووفق الخطابي بينهما بان الهجرة كانت في أول الاسلام فرضا ثم صارت بعد الفتح مندوبة على انه ورد في الحديث الآخر ما يدل على ان المراد بالهجرة الباقية هجرة السيآت ﴿الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله﴾ * فان قلت القاعدة تغاير الشرط والجزاء لان الشرط سبب للجزاء والسبب غير المسبب فلا يقال مثلا من اطاع اطاع ومن عصى عصى وانما يقال من أطاع نجا ومن عصى عوقب وقد اتحدا في هذا الحديث * فالجواب أن التغاير يقع تارة باللفظ وهو الاكثر وتارة بالمعنى كما هنا * فالمعنى فمن كانت نيته في الهجرة التقرب الى الله ورسوله فهجرته مقبولة عنده فالجزاء كناية عن قبول الهجرة وقال بعضهم الجزاء محذوف تقديره فله ثواب الهجرة الى الله ورسوله والمذكور مستلزم له دال عليه فاقيم السبب مقام المسبب وقدر أبو الفتح القشيري فمن كانت هجرته الى الله ورسوله نية وقصدا فهجرته الى الله ورسوله حكما وشرعا وقدر غيره ثوابا وأجرا بدل قوله حكما وشرعا * فان قلت فما فائدة الاتيان بهما بالاتحاد * فالجواب أن الاتحاد هنا المبالغة في التعظيم على انه قد يقصد بجواب الشرط بيان الشهرة وعدم التغير فيتحد بفعله لفظا نحو من قصدني فقد قصدني أي فقد قصد من عرف بانجاح قاصده ويجري مثل ذلك في المبتدا والخبر كقول الشاعر

خليلي خليلي دون ريب وربما * ألان امرؤ قولا فظن خليلا

وقوله * أنا ابو النجم وشعري شعري * أي خليلي من لا أشك في صحة خلته ولا يتغير في حضوره وغيبته وشعري على ما ثبت في النفوس من جزالته والتوصل به من المراد الى غايته وقد يقصد به التحقير نحو قوله الآتي فهجرته الى ما هاجر اليه قال الصفوي وبالحقيقة الاشكال مدفوع من أصله لان الهجرة هي الانتقال وهو أمر يقتضي ما ينتقل اليه ويسمى مهاجرا اليه وما يبعث على الانتقال هو المهاجر له والفقرتان لبيان أن العبرة بالباعث وذلك انما يظهر اذا كانت الى في جملتي الشرط بمعنى اللام فاذا تركت في الجزاء على معناها الوضعي الحقيقي فلا اتحاد والمعنى من هاجرته ولرسوله أي لاتباع أمرهما وابتغاء مرضاتهما فقد هاجر اليهما حقيقة وان كان ظاهرا منتقلا الى الدنيا ونعيمها ومن هاجر لغيرها فالمهاجر اليه ذلك وان انتقل الى النبي ظاهرا وقوله الى الله ورسوله اشارة لتعظيم الهجرة والمهاجر اليه ثم

وما ذلك الا لتحملهم على الاتيان بأمر الله والانتهاء عما نهى الله عنه وتعطى من هذا المال الارملة واليتيم والشيخ الكبير وابن السبيل يا أمير المؤمنين أخبرني فلان عن فلان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان يوم القيامة وجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد أحضر الملوك وغيرهم من ولاة أمور الناس فيقول لهم ألم أمكنكم من بلادي واطع نكم عبادي لاجمع

الأموال وحشد الرجال بل أسمعوهم على طاعتي وتنفذوا فيهم أمري ونهي وتحولوا أوليائي وتذلوا أعدائي وتنصروا المظلومين من الظالمين ياهرون تفكر كيف يكون جوابك عما تسأل عنه من أمور العباد في ذلك الموقف اذا حضرت بيداك مقاولتان الى عنقك وجهنم بين يديك والزبانية محيطة بك تنظر ما يؤمر بك قال فبكى هرون بكاء شديدا (٥٧) فقال له بعض الحاضرين كدرت على أمير المؤمنين مجلسه فقال لهم هرون قاتلكم الله ان المغرور من غررتموه والسعيد من بعدتم عنه ثم خرج من عنده فانظر يا أخي الى هذه النصيحة ما أعظمها ﴿ فائدة ﴾ شاردة في تفسير قوله تعالى قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون قال ابن عطاء تكلمت النملة بكلام جمعت فيه عشرة أجناس من الكلام فنادت ونبهت ورحمت وأمرت ونصحت وحذرت وخصصت وعممت وأشارت وأعذرت فاما النداء فيا وأما التنبيه فقولها النمل وأما الرحمة فقولها ادخلوا وأما الأمر فقولها ادخلوا وأما النصيحة فقولها مساكنكم وأما الحذر فقولها لا يحطمنكم وأما التخصيص فقولها سليمان وأما التعميم فقولها وجنوده وأما الاشارة فقولها وهم وأما الاعذار فقولها لا يشعرون قال ابن عطاء قضت النملة خمسة حقوق فحقا لله وحقا لسليمان وحقا لها وحقا للنمل وحقا لكم فاما الحق الذي لله عز وجل فانها كانت استرعيت على النمل فانزعتهم وأما الحق الذي لسليمان فانها نبهت على حق النمل وأما الحق الذي لها فانها أسقطت حق الله تعالى عنها بنصيحتها له وأما الحق الذي للنمل فقولها ادخلوا مساكنكم وهي النصيحة وأما الحق الذي لكم فانها قد نصته بفعلها حقا قضته وحقا لله أدته * قال ابن عطاء وذلك انه ما ضحك سليمان الا مرتين المرة التي ظفر بالضحاك فيها والمرة التي أشرف فيها على

ان أصل الهجرة الانتقال من محل الى محل كما تقرر لكن كثيرا ما يستعمل في الاشخاص والاعيان والمعاني وذلك في حقه تعالى اما على التشبيه البليغ اي كأنه هاجر اليه أو هو على حذف مضاف اي محل رضاه وثوابه ورحمته او يقال الانتقال الى الشيء عبارة عن الانتقال الى محل يجده فيه ويجد ان كل احد على ما يليق به فالمراد من الانتقال الى محل قربه المعنوي وما يليق به ألا ترى الى ما اشتهر على ألسنة القوم من السير الى الله تعالى ونحو ذلك او يقال ان ذكر الله للتعظيم والتبرك ومثله غير عزيز الا ترى الى ما قرروه في ان الذين يبايعونك الآية ان المعاملة مع حبيب الله كالمعاملة مع الله فيده يده وبيعته بيعته والهجرة اليه هجرة اليه وأمثال هذه المسامحات في كلام الشارع كثيرة وأيما تولوا فثم وجه الله * والحاصل أنه اريد بالهجرة هنا مطلق الانتقال والتجاوز من شيء الى شيء صوريا او معنويا وانما قال الى الله ورسوله ولم يقل اليهما مع ان المحل للاضمار تبركا وتلذذا بذكر الله ورسوله وللايجمع بينهما في ضمير واحد ولذا قال للخطيب حين قال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى بئس خطيب القوم أنت قل ومن يعص الله ورسوله فان قيل قد ورد في حديث ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم جمع بينهما في الضمير حيث قال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فانه لا يضر الا نفسه ولا يضر الله شيئا * والجواب انما كان انكاره على الخطيب لانه لم يكن عنده من المعرفة بتعظيم الله وجلاله والوقوف على دقائق الكلام ما كان يعلمه عليه الصلاة والسلام من عظمته وجلاله ﴿ ومن كانت هجرته لدنيا ﴾ بضم الدال على الاشهر على وزن فعلى مقصورة غير منونة اذهي غير منصرفة للوصفية ولزوم ألف التانيث * وحكى ابن قتيبة وغيره كسر الدال من الدنو وهو القرب لسبقها الآخرة او لدنوها الى الزوال او من الدناءة اي الخسة قال الشاعر

أعاذل دنيا تسعى من دناءتها * دنيا لا من مكروهها الدانى

واللام فيها للتعليل او بمعنى الى لما بانه بقوله فهجرته الى ما هاجر اليه * قال بعضهم والاول اشبه وحقيقتها جميع المخلوقات الموجودة قبل الآخرة وقيل الارض مع الهواء والجو * قال النووي والاول اظهر * واستشكل استعمالها منكرة لانها في الاصل مؤنث أدنى وأدنى افعل تفضيل فحقها ان تستعمل بالام نحو الكبرى والحسنى * واجيب بان دنيا خلعت عن الوصفية واجريت مجرى ما لم يكن وصفا مما وزنه فعلى اسما كرجعى وبهمى ومن ورودها منكرة مؤنثة قول الفرزدق

لا تعجبنك دنيا انت تاركها * كم نالها من أناس ثم قد ذهبوا

﴿ يصيبها ﴾ حال مقدرة اى مقدرا اصابتها اي تحصيلها ﴿ فائدة ﴾ اكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هذا هو المقصود بالذات من بيان الشرائع كيف وهي عدوة لله انعلمها طريق الوصلة اليه ولذلك لم ينظر اليها منذ خلقها وعدوة لاوليائه لانها تزينت لهم بزينتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها وعدوة لاعدائه لانها استدرجتهم بمكرها

وادي النمل لما سمع النملة تقول ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فيما لهذا نا كم في القرآن العظيم من آية تدل على النصيحة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصي أصحابه وينصحهم بوصايا نفعتهم ونفعت من بعدهم فمن وصاياه صلى الله عليه وسلم ما ورد عن أنس رضي الله (٥٨) عنه قال أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي أسبغ الوضوء يزد في عمرك وسلم على من لقيت تكثر حسناتك واذا دخلت على أهل بيتك فسلم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الاوابين قبلك وارحم الصغير ووقر الكبير تكن من رفقائي يوم القيامة ومن وصاياه صلى الله عليه وسلم لابي ذر أحكم السفينة فان البحر عميق واستكثر الزاد فان السفر طويل وخفف ظهرك فان العقبة كؤود وأخلص العمل فان الناقد بصير ومن وصاياه صلى الله عليه وسلم لبعض أهله لا تشرك بالله شيا وان قطعت أو حرقت ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمدا فان من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله واياك والمعصية فبالمعصية يحل سخط الله ووصاياه ونصائحه صلى الله عليه وسلم لا تحصى ﴿خاتمة المجلس﴾ عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال لبعض اخوانه أوصيك بستة اشياء ان أردت ان تقع في أحد وتذمه فذم نفسك فانك لا تعلم أحدا أكثر عيوبا منها وان اردت ان تعادي أحدا فعاد البطن فليس لك عدو أعدى منها وان اردت ان تحمد أحدا فاحمد الله فليس أحد أكثر منه منة عليك وألطف بك منه وان أردت أن تترك شيا فاترك الدنيا فانك ان تركتها فانك محمود والا تركتك وأنت مذموم وان أردت ان تستعد لشيء فاستعد للموت فانك ان لم تستعد له حل بك الخسران والندمة وان أردت ان تطلب شيا فاطلب الآخرة فلست تنالها الا بان تطلبها وفي المجلس كفاية ونسال الله تعالى لنا العافية والعناية آمين

واقتصصتهم شيبكم حتى يرتدوا بها فخذ لتهم أخرج ما كانوا اليها وروى جماعة في قصة ثعلبة بن أبي حاطب الذي انزل الله فيه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الآيات أنه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو له بان الله يرزقه مالا فقال له قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فاعاد السؤال فقال صلى الله عليه وسلم أما لك في اسوة اما ترضى ان تكون مثل نبي الله والذي نفسي بيده لو شئت ان تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت لكن هذا غير صحيح كما قال اهل التفسير وقال الضحاك ان الآية نزلت في رجال من المنافقين الا ان قوله فاعقبهم نفاقا في قلوبهم يدل على ان الذي عاهد لم يكن منافقا الا ان يكون المعني زادهم نفاقا تابتوا عليه الى الممات وهو قوله تعالى الى يوم يلقونه وصح انه صلى الله عليه وسلم راى شاة ميتة فقال والذي نفسي بيده لله ادنيا اهون على الله من هذه الشاة على اهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وفي الخبر الحسن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله تعالى وما والاه وعالم او متعلم وصح ان أبا بكر رضي الله عنه دعا بشراب فشى بماء وعسل فبكى حتى ابكى اصحابه ثم بكى ثم مسح عينه فسالوه فقال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرايته يدفع عن نفسه شيئا ولم ار معه احدا فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك فقال هذه الدنيا مثلت لي فقلت لها اليك عني ثم رجعت فقالت انك ان افلت مني لم يفلت مني من بعدك وصح من جملة الحديث المشهور فوالله ما الفقر اخشى عليكم ولكن اخشى عليكم ان تسلط عليكم الدنيا كما سلطت على من قبلكم فتنافسوا فيها كما تنافسوها وتهلككم كما اهلكتهم * وقال بعضهم نظما

ارى طالب الدنيا وان طال عمره * وان من الدنيا سرورا وانها
كبان بنى بنيانه فاقامه * فلما استوى ما قد بناه تهدما

﴿وقال آخر﴾

ان لله عبادا فطنا * طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا * نظروا فيها فلما علموا
انها ليست لحي وطنا * جعلوها لجة واتخذوا * صالح الاعمال فيها سفنا

﴿او امرأة﴾ وفي رواية او الى امراة ﴿ينكحها﴾ اي يتزوجها كما جاء في رواية البخاري فان قيل لم ذم الدنيا والتزوج وهما مباحات لا ذم فيهما * فالجواب انه لم يخرج في الظاهر لطلب الدنيا ولا للتزوج بل خرج في صورة طالب الهجرة فابطن خلاف ما اظهر فلذلك ذم * فان قيل ما فائدة التنصيص على المراة مع كونها داخلة في مسمى الدنيا لقوله صلى الله عليه وسلم انما الدنيا متاع وليس من متاع الدنيا شيء افضل من المراة الصالحة فالجواب من وجوه الاول ان دنيا نكرة في سياق الاثبات فلا تعم فلا يلزم دخولها فيها ورد ذلك بانها واقعة في سياق الشرط فتعم الثاني انه للتنبيه على زيادة التحذير فيكون من باب ذكر الخاص بعد العام كما في قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال الآية لكن يعكر عليه قول ابن

والحمد لله رب العالمين ﴿ المجلس الثامن في الحديث الثامن ﴾ الحمد لله الذي لا يبعد حقي في الوجود الا ياه الكريم الذي من توكل عليه كفاه ومن آمن به هداه ومن سأله أعطاه ما تمناه ﴿ واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا ضد لله ولا ولد لله ولا والد لله واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله سيد خلقه وخاتم انبياه المخصوص بالمقام المحمود (٥٩) الذي لم يقم فيه سواه صلى

ابن مالك في شرح العمدة ان عطف الخاص على العام مخصص بالواو ونحوه للشيخ خالد وأجيب بان الدماميني أشار الى جواز عطف الخاص على العام وعكسه بأو وذهب بعضهم الى ان الاجود جعل أو للتقسيم وجعلها قسيما لما للدنيا ايذانا بشدة فتنتها وكذلك روي اسامة بن زيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما تركت في الناس بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء وقال بعض العارفين ما أيس الشيطان من انسان قط الا وأتاه من قبل النساء وقال سفيان قال ابليس سهمي الذي اذا رميت بهم أخطي والنساء وكذا في غير أحد النظر الى محاسن المرأة من سهام ابليس ومن ثم جعلن في القرآن عين الشهوات قال تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه أيها الناس لا تطيعوا للنساء أمرا ولا تدعوهن يدبرون أمر عيش فانهن ان تركن وما يردن افسدن الملك وعصين المالك وجدناهن لا دين لهن في خلواتهن ولا ورع لهن عند شهواتهن اللذة بهن يسيرة والحيرة بهن كثيرة فاما صواحبهن فاجرات وأما طوالحهن فماهرات وأما المعصومات فهن المعدومات فيهن ثلاث من خصال اليهود يتظلمن وهن الظالمات ويتمتعن وهن الراغبات ويحلفن وهن الكاذبات فاستعيذوا بالله من شرارهن وكونوا على حذر من خيارهن والسلام الثالث ان الحديث ورد على سبب وهو انه لما امر بالهجرة من مكة الى المدينة تخلف جماعة عنها فذمهم الله تعالى بقوله الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم الآية ولم يهاجر جماعة لفقد استطاعهم فعذرهم واستثناهم بقوله الا المستضعفين من الرجال الآية وهاجر جماعة فمدحهم الله في غير موضع من كتابه وكان في المهاجرين رجل أراد ان يتزوج امرأة يقال لها أم قيس واسمها آمنة وقيل جذامة وقال ابن دحية قيلة بفتح القاف وسكون المثناة التحتية فابت أن تتزوجه حتى يهاجر فهاجر لاجلها فعرض به تنبيرا عن مثل قصده وذكر الدنيا معها من باب زيادة النص على السبب كما أنه لما سئل عن طهورية ماء البحر قال هو الطهور ماؤه الحل ميتته فزاد قوله الحل ميتته تمهيدا لقاعدة اخرى ويحتمل ان يكون هاجر لهما معا نكاحها ويحتمل انه كان يطلب نكاحها وغيره من الناس هاجر لتحصيل دنيا من جهة فعرض بهما ﴿ فهجرته الى ما هاجر اليه ﴾ من الدنيا او المرأة وان كانت صورته صورة الهجرة لله ورسوله وترك الاتيان بالظاهر في هذه الجملة حثا على الاعراض عن الدنيا والنساء وعدم الاحتفال بشانهما وتنبيها على ان العدول عن ذكرها بلغ في الزجر عن قصدهما ﴿ رواه إماما المحدثين ﴾ علما واتقانا وتحريرا وورعا وزهدا واجتهادا واستنباطا ﴿ ابو عبد الله محمد بن اسمعيل ﴾ كان من خيار الناس واخذ عن مالك وحماد بن زيد وصحب ابن المبارك وروي عنه جماعة منهم مسلم صاحب الصحيح ﴿ ابن ابراهيم بن المغيرة ﴾ بضم الميم ويجوز كسرها قاله المصنف في شرحه على البخاري ﴿ ابن بردزبه ﴾ بموحدة مفتوحة فراء ساكنة فدال مهملة مكسورة فزاي ساكنة فموحدة مفتوحة ومعناه باسان أهل بخاري الزراع ﴿ البخاري ﴾ بضم الباء الموحدة وفتح الخاء المعجمة وبالراء بعد الالف نسبة

صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه وازواجه وذريته صلاة وسلاما دائمين متلازمين الى يوم لقاه آمين ﴿ عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امرت أن اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله تعالى رواه البخاري ومسلم ﴾ اعلموا اخواني وفقني الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث عظيم قاعدة من قواعد الدين (قوله صلى الله عليه وسلم امرت) ببنائه للمفعول اى امرني ربي لا نه لا آمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا هو (قوله ان اقاتل الناس) اى بان اقاتل الناس المراد بهم الانس فقط وان كان لفظ الناس قد يعم الجن بالحقيقة او الغلبة اذ لم يرد انه قاتل الجن وان اسلم على يده جن نصيبين وكانت رسالته صلى الله عليه وسلم عامة قيل والمراد من الانس عبدة الاوثان ونحوهم دون اهل الكتاب لسقوط القتال عنهم بقبول الجزية قال بعضهم يحتمل ان يكون قبولها منهم كان بعد هذا الامر المتناول لقتالهم ايضا (قوله حتى يشهدوا ان لا إله الا الله وان محمدا رسول الله) وفي رواية حتى يقولوا لا اله الا الله اكتفاء بها عن اختها مع ارادتها اي حتى يؤمنوا بان الله واحد لا شريك له وان محمدا رسوله (قوله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة) اى بشروطهما واركانهما

كما مر ولم يذكروا في هذا الحديث الصوم والحج اما لكونهما لم يفرضا اذ ذاك واما لكونهما لم يقاتل على تركهما من حيث ان تارك الصوم يحبس حتى يموت الطعام والشراب كما تقدم وان الحج على التراخي ولهذا لم يذكرهما لمعاذ حين بعثه الى اليمن (قوله عند ذلك) أي ما تقدم (عصموا) أي منعوا (٥٠٣) (دماءهم واموالهم) وهي الاعيان من المواشي والنقد وغيرهما (قوله الا بحق الاسلام) أي كالقصاص والزنا لكن القاتل والزاني لا يباح ماله بخلاف الكافر فكأنه جاء على طريق التغليب (قوله وحسابهم على الله تعالى) اي امر سرائرهم اليه وانا نحن فنحاملهم بمقتضى ظاهر اقوالهم واقعالهم فرب عاص في الظاهر مطيع في الباطن فيصادف عند الله خيرا وعكسه وقدمنا الكلام في حكم التلفظ بالشهادتين في غير هذا المجلس فليراجع

﴿تنبيه﴾ قال شيخ الاسلام العسقلاني وردت الاحاديث في ذلك زائدا بعضها على بعض ففي حديث ابي هريرة الاقتصار على قوله لا اله الا الله وفي حديث من وجه آخر حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وفي حديث ابن عمر زيادة إقام الصلاة وايتاء الزكاة وفي حديث انس فاذا صلوا واستقبلوا واكلوا ذبيحتنا قال القرطبي وغيره

الى بخارى بلدة معروفة وراء النهر حمي في صغره وهو ابن سنتين وكانت له والدة قد كانت تدعو الله كثيرا أن يرد اليه بصره فرأت ابراهيم الخليل عليه نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام في المنام فقال لها ان الله تعالى قد رد بصر ابنك عليه بكثرة دعائك وبكائك فاصبح وقد رد الله عليه بصره قال أبو جعفر محمد بن أبي حاتم الوراق قلت لابي عبد الله محمد بن اسمعيل البخاري كيف كان بدء أمرك في طلب الحديث فقال الهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب * قلت وكم أتى عليك اذ ذاك قال عشر سنين ثم خرجت من الكتاب بعد العشر فجعلت اختلف الى الداخلي وغيره قال فلما طعنت في سنة عشر سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع وعرفت كلام هؤلاء ثم خرجت مع أمي وأخي احمد الى مكة فلما حججنا رجع أخي وتخلفت بها في طلب الحديث فلما طعنت في ثماني عشرة سنة جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم وصنفت كتاب التاريخ اذ ذاك عند قبر الرسول صلى الله عليه وسلم في الليالي المقمرة وقال قل اسم في التاريخ الا له عندي قصة الا اني كرهت تطويل الكتاب وعن الحسن بن الحسن الوزان زاهين قال رأيت محمد بن اسمعيل البخاري نحيف الجسم ليس بالطويل ولا بالقصير * وروي عن البخاري أنه قال ما خرجت هذا الكتاب يعني الصحيح من زهاء ستمائة الف حديث وزهاء الشيء بضم الزاي ممدودا مقدره تقريبا لا تحقيقا من زهوته بكذا اي حزرته حكاه الصاغاني وصنفه في ست عشرة سنة وقال محمد بن بشار بندار حفاظ الدنيا اربعة أبو زرعة بالري ومسلم بنيسابور وعبد الله الدارمي بسمرقند والبخاري ببخارى اه وكتب عن زهاء اي قدر الف عالم وكتب عنه المحدثون وما في وجهه من شعرة وكان يحضر مجلسه زهاء عشرين الفا وسمع منه الصحيح سبعون الفا * وروي عنه رجال كثير نحو مائة الف او يزيدون او ينقصون وروى عنه مسلم خارج الصحيح وكان يقول له دعني اقبل رجليك يا طبيب الحديث في علله ويا أستاذ المحدثين ويا سيد الحفاظ ومناقبه كثيرة افردت بالتاليف منها ان كتابه لم يقرأ في كرب الا فرج ولا راكب فرسه فعثر والسبب في تصنيفه لما رواه عنه ابراهيم بن معقل النسفي قال كنا عند اسحق بن راهويه فقال لو جمعتم كتابا مختصر الصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوقع ذلك في قلبي فاخذت في جمع الجامع الصحيح وعنه أيضا قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وكأني واقف بين يديه وبيدي مروحة اذب بها عنه فسألت بعض المعبرين فقال لي انت تذب عنه الكذب فهو الذي حملني على اخراج الجامع الصحيح قال والفقه في بضع عشرة سنة وكان في سعة من الدنيا قد ورث مالا كثيرا من ابيه وكان يتصدق به وربما كان يمضي النهار ولا يأكل الا لوزتين او ثلاثا دخل بغداد مرات وله معهم المحكاية المشهورة في امتحانهم له بقلب الاسانيد والمتون فصححها كلها في الساعة والمارجع من بغداد الى بخارى تلقاه اهلها في محفل عظيم وبقي مدة يحدثهم في مسجده فارسل اليه امير البلد خالد بن محمد الذهلي يلتطف به ويسأله ان يحمل له الصحيح ويحدثه في قصره فامتنع البخاري من ذلك وقال لا أذل العلم ولا أحمله الى ابواب الناس فحصلت وحشة بينهما فامره خالد بالخروج من البلد فيقال ان البخاري

اما الاول فقاله في حالة قتال اهل الاوثان الذين لا يقرون بالتوحيد واما الثاني فقاله في حالة قتال اهل الكتاب الذين يقرون بالتوحيد ويجحدون نبوته عموما وخصوصا واما الثالث ففيه اشارة الى ان من دخل في الاسلام وشهد بالتوحيد والنبوة ولم يعمل بالطاعات حكمهم ان يقاتلوا حتى يذعنوا الى ذلك فاقتصر في الاول على قوله لا اله الا الله ولم يذكر الرسالة وهي مرادة كما تقول قرأت الحمد لله وتريد السورة كلها وقيل غير ذلك

﴿ فصل في الكلام على لا اله الا الله وبعض فضائلها ﴾

اعلم ان الله سبحانه وتعالى أمر عباده أن يعتقدوها ويقولوها فقال بسبحانه فاعلم انه لا اله الا الله وذم مشركي العرب بقولهم انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون وقال صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب قل لا اله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة فقال لولا أن تعيرني قريش لاقررت بها عينك فلا اله الا الله كلمة التقوى كما فسرها صلى الله عليه وسلم وقد (١) حديث عثمان رضي الله عنه قال سمعت

دعا عليه فلم يمض شهر حتى ورد امر الخليفة بان ينادي عليه في البلد فنودي عليه وهو على اتان وحبس حتى مات ولما خرج من بخارى كتب اليه أهل سمرقند يطلبونه الى بلدهم فسار اليهم فلما كان بخرتنك بلغه انهم وقع بينهم بسببه فتنة فقوم يريدون دخوله وقوم يكرهونه فاقام حتى ينجلي الامر ودعا وقال اللهم قد ضاقت على الارض بما رحبت فاقبضني اليك فمات في ذلك الشهر وتقدم في الخطبة باتساق بولده وسنه ووفاته ﴿الجعفي﴾ نسبة الى اليمان بن أخنس الجعفي لانه أسلم على يديه ﴿وابو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري﴾ بضم القاف مصغرا نسبة الى قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة قبيلة كبيرة ينسب اليها جماعة من الصحابة والتابعين وخلق من العلماء ومن نسبه من الشراح الى قشير بطن من اسلم منهم سلمة بن الاكوع فقدوهم ﴿النيسابوري﴾ بفتح النون وسكون المثناة التحتية نسبة الى نيسابور أحسن مدن خراسان وأجمعها للخيرات سميت به لان سابور ذا الاكتاف لما رأى موضعها وكان قصبا قال يصلح ان يكون هنا مدينة فقطع القصب وبناها فقيل نيسابور والذي اقتصب صنف مسلم صحيحه من ثلثمائة الف حديث كما في تاريخ ابن عساكر ولد سنة أربع ومائتين وتوفي عشية الاحد لخمس بقين من رجب ودفن يوم الاثنين سنة احدى وستين ومائتين وهو ابن خمس وخمسين سنة وقيل ستون وقيل قاربها ويؤيد أن المعروف ان مولده سنة اربع ومائتين وذكر الحاكم أن سبب موته انه ذكر له حديث فلم يعرفه فاوقد له السراج وقال لمن بداره لا يدخل منكم احد فقالوا الحديث لنا سألة تمر فقدموها فكان يطالب الحديث ويأخذ تمرة تمرة فاصبح وقد فني التمر ووجد الحديث ﴿في صحيحها اللذين﴾ بالامين ليتميز عن الذين جمع فانه بلام واحدة ﴿هما أصح الكتب﴾ والاول ارجع من الثاني وقول الشافعي ما أعلم على الارض كتابا أكثر صوابا من كتاب مالك وفي لفظ عنه ما بعد كتاب الله اصح من الموطا كان قبل وجودهما واستشكل بعض الائمة اطلاق اصحية كتاب البخاري على الموطا مع اشتراكهما في اشتراط الصحة والمبالغة في التحري والتثبت وكون البخاري اكثر حديثا لا يلزم منه افضلية الصحة * والجواب عن ذلك انه محمول على اصل اشتراط الصحة فالامام مالك لا يرى الانقطاع في الاسناد قادحا فلذلك يخرج في المراسيل والمنقطعات والبلاغيات في اصل موضوع كتابه والبخاري يرى ان الانقطاع علة فلا يخرج ما هذا سبيله الا في غير اصل موضوع كتابه كالتعليقات والتراجم ولا شك ان المنقطع وان كان عند قوم من قبيل ما يحتج به فالمتصل منه اذا اشترط لكل من رواته في العدالة والحفظ ﴿الحديث الثاني﴾ عن ابي حفص ﴿عمر﴾ بضم رضي الله عنه ﴿روى البخاري وغيره انه استاذن النبي صلى الله عليه وسلم في العمرة فقال له يا اخي اشركنا في صالح دعائك ولا تنسانا واخي ضبط بضم الهمزة مصغرا له صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك وقال ان الله تعالى يجعل الحق على لسان عمر وقلبه وانه ما نزل بالناس امر قط فقالوا وقال الا نزل القرآن على نحو ما قال * وروى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني لاعلم كلمة لا يقولها عبد حقا من قلبه الا حرمه الله تعالى على النار فقال عمر رضي الله عنه أنا أحدثكم ما هي هي كلمة الاخلاص التي الزمها محمد و أصحابه قال سهل التستري ليس القول لا اله الا الله ثواب الا النظر الى وجه الله عز وجل والجنة ثواب الاعمال وقيل ان كلمة التوحيد اذا قالها الكافر تنسي عنه ظلمة الكفر وتثبت في قلبه نور التوحيد واذا قالها المؤمن في كل يوم الف مرة ففي كل مرة تنفي عنه شيا لم تنفه المرة الاولى وهي أفضل الذكر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم وهي دأب الناسكين وعمدة السالكين وعدة السائرين وتحفة السابقين ومفتاح الجنة ومفتاح العلوم والمعارف وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال يفتح الله تعالى ابواب الجنة وينادي مناد من تحت العرش ايتها الجنة وكل ما فيك من النعم لمن انت فتنادي الجنة وكل ما فيها لمن لا اله الا الله ولا يطلب الا اهل لا اله الا الله ولا يدخل علينا الا اهل لا اله الا الله ونحن محرمون على من اهل لا اله الا الله وعند هذا تقول النار وما فيها من العذاب لا يدخلني الا من انكر لا اله الا الله ولا اطلب الا من كذب بلا اله الا الله وانا حرام عسلي من قال لا اله الا الله ولا امتسلي الا بمن جحد لا اله الا الله وليس غيظي وزفيري الا على من انكر لا اله الا الله ثم قال فتجيء رحمة الله ومغفرته فتقول انا لا اهل لا اله الا الله

وأنا صرة قلبي قال لا إله إلا الله وحبسة لمن قال لا إله إلا الله والجنة مباحة لمن قال لا إله إلا الله والنار محرمة على من قال لا إله إلا الله والمغفرة من ربي لكل ذنب لأهل لا إله إلا الله والرحمة والمغفرة غير محجوبة عن أهل لا إله إلا الله. وقال بعضهم الحكمة في قوله تعالى إذا الشمس كورت (٢) التكوير أي يوم القيامة يتجلى نور كلمة لا إله إلا الله فيضمحل في ذلك نور الشمس والقمر لأن أنوار

نلا أنوار مجازية ونور لا إله إلا الله نور حقيقي ذاتي واجب الوجود لذاته تعالى والمجاز يبطل في مقابلة الحقيقة وجاء في الآثار أن العبد إذا قال لا إله إلا الله أعطاه الله من الثواب بعدد كل كافر وكافرة قيل والسبب أنه لما قال هذه الكلمة فكأنه قدر على كل كافر وكافرة فلا جرم يستحق الثواب بعددهم وسئل بعض العلماء عن معنى قوله تعالى وبئر معطلة وقصر مشيد فقال البئر المعطلة قلب الكافر معطل من قول لا إله إلا الله والقصر المشيد قلب المؤمن معمور بشهادة أن لا إله إلا الله وقيل في قوله تعالى اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يعني قولوا لا إله إلا الله وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمشي في الطريق ويقول قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وقال سفيان بن عيينة ما أنعم الله على العباد نعمة أفضل من أن عرفهم لا إله إلا الله وأن لا إله إلا الله لهم في الآخرة كالماء في الدنيا * وقال سفيان الثوري رحمه الله أن

لذاذة قول لا إله إلا الله في الآخرة كلذة شرب الماء البارد في الدنيا * وذكر مجاهد في تفسير قوله تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة أن لا إله إلا الله وقيل أن كل كلمة يصعد الملك بها الا قول لا إله إلا الله فإنها تصعد بنفسها إلى الله قوله تعالى إليه يصعد الكلم الطيب أي قول لا إله إلا الله والعمل الصالح يرفعه أي الملك يرفعه إلى الله تعالى حكاه الرازي * وحكي أيضا أنه إذا كان آخر

بينما أنا نائم إذ رأيت لبنا حتى أنظر إلى الري يجري في أظفاري ثم ناولته عمر قالوا فما أولته يا رسول الله قال العلم رواه أبو داود وعليه قميص يجر وقالوا فما أولته يا رسول الله قال الدين * وقال صلى الله عليه وسلم رأيت كأني على قليب أستقي الناس منه فجاء أبو بكر فأخذ الدلو مني ليريحني فنزع ذنوبا أو ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم جاء عمر فأخذها من أبي بكر فاستحالت غربا أي دلوا كبيرة جدا فلم أر عبقريا يفري فريه حتى ضرب الناس بعطن أي أناخوا وأراحوا ركابهم ذنوبا أو ذنوبين بفتح الذال فيهما والذنوب الدلو العظيم وقيل لا يسمى بذلك إلا إذا كان فيه ماء وقوله عبقريا قال أبو عبيدة العبقري من الرجال الذي ليس فوقه شيء ويطلق على السيد والكبير والقوي وقيل هو منسوب إلى عبقر موضع بالبادية يسكنه الجن فأطلقت العرب على كل من كان عظيما في نفسه فائقا في جنسه وقوله حتى ضرب الناس بعطن أي بركوا وأراحوا ركابهم فأقاموا على الماء ومنه أعطان الإبل أي مواضع إقامتها على الماء وكان ذلك منزلا على لسان أبي بكر في الخلافة ثم عمر والضعف ليس من أبي بكر ولكن من الوقت لأجل الفتن التي اتفقت في زمانه من قتال أهل الردة وقتل مسيلمة وفي استخلاف عمر راقت وصفت واتسعت الفتوح والأموال وكثر خير الله وطاب وركب رضي الله تعالى عنه فرسا في بعض الأيام فانكشفت خفة فرأى نصراني نجران على فخذه شامة سوداء فقالوا هذا الذي نجد في كتابنا أنه يخرجنا من أرضنا وكان كذلك فإنه أجلاهم من بلدتهم بعد ذلك وكان أول كلام تكلم به بعد خلافته حين صعد المنبر قال اللهم إني شديد فليني وإني ضعيف فقوني وإني بخيل فسخني * وعن الأوزاعي أن عمر بن الخطاب خرج في سواد الليل فرأى طلحة فدخل بيتا ثم دخل بيتا آخر فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا بعجوز عمياء مقعدة فقال لها ما بال هذا الرجل يأتيك فقالت إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا بما يصلحني ويخرج عني الأذى فقال طلحة ثكلتك أمك يا طلحة أعورات عمر تتبع وعنه أيضا أنه قال قدمت رفقة من التجار فنزلوا بالمصلى فقال عمر لعبد الرحمن هل لك أن تحرسهم الليلة من السرق فباتا يحرسانهم ويصليان ما كتب الله لهما فسمع عمر بكاء صبي فتوجه نحوه فقال لأمه اتقي الله وأحسني إلى صبيك ثم عاد إلى مكانه فسمع بكاءه فعاد إلى أمه فقال لها مثل ذلك ثم عاد إلى مكانه فلما كان آخر الليل سمع بكاءه فأتى أمه وقال ويحك إني لأراك أم سوء ما لي أرى ابنك لا يقر منذ الليلة قالت يا عبد الله قد أبرمتني منذ الليلة إني أريده لأجل الفطام فيأبى قال ولم قالت لأن عمر لا يفرض إلا للفطيم قال وكم له قالت كذا وكذا أشهرا قال لها ويحك لا تعجليه فصلى الفجر وما يستبين الناس قراءته من غلبة بكائه فلما سلم قال يا بؤسا لعمر كم قتل من أولاد المسلمين ثم أمر مناديا فنادى أن لا تعجلوا على أولادكم بالفطام فإنا نفرض لكل مولود في الإسلام وكتب بذلك إلى الآفاق وكان لا يجمع في سماط بين إدامين وقدمت إليه حفصة مرقا باردا وصبت عليه زيتا فقال أدمان في إناء لا آكله حتى ألقى الله عز وجل وعن الحسن أنه خطب للناس وعليه إزار فيه ثنتا عشرة رقعة وعنه أيضا

الزمان شيء ليس شيء من الطاعات افضل من الصلاة ليس شيء افضل لا اله الا الله لان صلاتهم وصيامهم يشوبهما الرياء والسمعة ويصاقونهم يشوبها الحرام ولا اخلاص في شيء منها اما كلمة لا اله الا الله فهي ذكر الله والمؤمن لا يذكرها الا من مخلص قلبه وفي الخبر يقول الله تعالى لا اله الا الله حصني فمن دخل حصني امن من عذابي ويقال لا اله الا الله محمد رسول الله سبع كلمات وللعبد سبعة أعضاء وللنار سبعة أبواب فكل كلمة من هذه الكلمات السبع تغلق بابا من أبواب النار السبعة عن كل عضو من الاعضاء السبعة حكى الامام الرازي رحمه الله ان رجلا كان واقفا بعرفات وكان في يده سبعة احجار فقال يا ايتها الاحجار اشهدوا لي اني اشهد ان لا اله الا الله وأشهد ان محمدا رسول الله فنام فرأى في المنام كان القيامة قد قامت وحوسب ذلك الرجل فوجبت له النار فلما ساقوا به الى باب من أبواب جهنم جاء حجر من تلك الاحجار السبعة والقى نفسه على ذلك الباب فاجتمعت ملائكة العذاب على رفعه فما قدروا ثم سيق الى الباب الثاني فكان الامر كذلك وهكذا الابواب الستة فسيق به الى العرش فقال الله سبحانه عبدي اشهدت الاحجار فلم تضيع حقك وانا شاهد على شهادتك على توحيدي ادخل الجنة فلما قرب من ابواب الجنان فاذا ابوابها مغلقة

انه كان بين كتفي عمر ثلاث رقاع وقال الشعراني في الطبقات وكان في قميصه اربع رقاع بين كتفيه وكان ازاره مرقوعا بقطعة من سراب وعدوا في قميصه مرة أربعة عشر رقعة احداها من أدم احمر وكان رضي الله عنه يشتهي الشهوة فيمتنع منها ترغم فيؤخرها ستة كاملة اه وعن مصعب بن سعدان عنه قالت امرية أمير المؤمنين لو لبست ثوبا هو ألين من ثوبك واكلت طعاما هو أطيب من طعامك فقد وسع الله عليك من الرزق واكثر عليك من الخير فقال اني ساخاصمك الى نفسك اما تذكرين ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى من شدة العيش فما زال يذكرها حتى أبكاها فقال لها اما والله لاشاركنه في مثل عيشه الشديد لعلي ادرك عيشه الرخي ومن ابن عباس انه كان للعباس ميزاب على طريق عمر فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة وقد كان ذبح للعباس فرخان فلما وافى الميزاب صب ماء بدم الفرخين فاصاب عمر فامر عمر بقلعه ثم رجع عمر فطرح ثيابه ولبس ثيابا غير ثيابه ثم جاء فصلى بالناس فاتاه العباس فقال والله انه للموضع الذي وضعه النبي صلى الله عليه وسلم فيه فقال عمر للعباس وانا اعزم عليك الا صعدت على ظهري حتى تضعه في الموضع الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ففعل ذلك العباس وعن عبد الله بن عمر انه قال رايت والدي اخذ تبنة من الارض فقال ليتني كنت هذه التبنة ليتني لم اخلق ليت امي لم تلدني ليتني لم اكن شيأ مذكورا ليتني كنت نسيا منسيا وعن الاحنف انه قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا احنف من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به ومن اكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه قتله ابو لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة بن شعبة في المدينة بعد رجوعه من الحج آخر ذي الحجة لاربع ليال بقين من سنة ثلاث وعشرين وروي انه لما طعن ودخل بيته دعا بقدح من لبن فشربه فنزل من جراحته فعلم انه يموت لا محالة فدخل عليه عبد الرحمن فقال الصلاة يا أمير المؤمنين فقال نعم ولا حظ في الاسلام لمن ترك الصلاة فقام وصلى وجرحه يشخب اي يقطر دما فلما توفي وجيء به وكان على الروضة قفل فبينما عبد الله يريد ان يستاذن اووهو يستاذن اذ سمعوا انفتاح القفل من غير ان يفتحه احد وقائلا يقول الروضة ادخلوه قدفن وكانت عائشة رضي الله عنها ارات في المنام كان ثلاثة اقمار سقطن في حجرتها فقصتها على ابي بكر فقال لها خيرا رايت وخيرا يكون ساخبرك بها وبكى فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفن في حجرتها قال لها اي بنية هذا احد اقمارك وهو خيرها فلما احتضر هو قال لها وهذا الثاني والذي بعده اثرها فكان عمر رضي الله تعالى عنهم اجمعين ودفن يوم الاحد صبيحة هلال المحرم وعمره ثلاث وستون سنة على الصحيح وغسله ابنه عبد الله وصلى عليه صهيب ودفن عند النبي صلى الله عليه وسلم ولما غسل وكفن وحمل على سرير قال علي رضي الله تعالى عنه والله ما على وجه الارض رجل أحب الي ان القى الله بصحيفته من هذه المسجى بالثوب وقال حذيفة لما اسلم عمر كان الاسلام كالرجل المقبل لا يزداد الا قوة

فجاءت شهادة ان لا اله الا الله وفتحت الابواب ودخل الرجل وروي القرطبي مسندا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حضر ملك الموت عليه السلام رجلا فنظر في كل عضو من أعضائه فلم يجد فيه حسنة ثم شق عن قلبه فلم يجد فيه شيأ ثم فتش عن لحيته فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا اله الا الله فقال وجبت لك الجنة بقول كلمة الاخلاص يعني لا اله الا الله وفي الحديث من كان آخر كلامه من الدنيا لا اله الا الله دخل الجنة * وفيه ايضا ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في

ولا في نشورهم وفاتي باهل لا اله الا الله ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن والاحاديث والآثار في فضلها كثيرة شهيرة وفي هذا القدر كفاية ولنختم مجلسنا هذا بما رواه البيهقي عن بكر بن عبد الله المزني رحمه الله أن ملكا من الملوك كان مصرا على ربه (ع ٦) عز وجل ففراه قومه فاخذوه وسلما فقالوا اباي قتلة نقتله فاجمعوا امرهم على ان

يجذوا قمقما من نحاس عظيما يحملوه فيه ويحشوا النار تحته ولا يقتلوه ليذيقوه طعم العذاب ففعلوا ذلك فجاؤا يحشون تحته النار وهو يدعو آلهته واصنامه واحدا بعد واحد يا فلان الم اكن اعبدك واصلي لك وامسح وجهك وافعل بك كذا وكذا فانقذني مما انا فيه فلما رآهم لا يغنون عنه شيأ رفع راسه الى السماء فقال لا اله الا الله وبا حول الى الله وهو يقول لا اله الا الله ويكررها فصب الله عليه غيثا من السماء فاطفا تلك النار وجاءت ريح فاحتملت الدخان فجعل يدور بين السماء والارض وهو يقول لا اله الا الله فتداركه الله تعالى الى قوم لا يعرفون الله وهم يقولون لا اله الا الله فاخرجوه فقالوا ويحك مالك فقال انا فلان كان من امري كذا وكان من امرى كذا فآمنوا كلهم بالله وقالوا باجمعهم لا اله الا الله والله اعلم

﴿المجلس التاسع في الحديث﴾ الحمد لله الذي جعل لنا اليه طريقا وسبيلا واقام لنا على معرفته برهانا واضحا ودليلا وبعث الينا محمد بن عبد الله زينة معلما ورسولا صلى الله عليه وعلى آله واصحابه بكرة واصيلا ﴿عن ابي هريرة عبد الرحمن بن صخر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم فانما اهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على انبيائهم رواه البخاري ومسلم﴾ اعلموا اخواني وفقني الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث

فلما قتل كان الاسلام كالرجل المدبر لا يزداد الا ضعفا وكان العباس خليلا له فلما اصيب بمصابه عمل يدعو ربه ان يريه اياه فرآه يدعو ليلا وهو يمسح العرق عن وجهه فقال ما فعلت قال هذا أوان فرغت من الحساب ان كاد عرشي ليهد لولا اني لقيت زفر فارحما ﴿قال﴾ اي عمر ﴿بينما﴾ أصله بين فزيدت عليه ما لتكفها عن عملها وهو الخفض ويجوز ايضا بينا بلا ميم وهو ظرف زمان بمعنى المفاجاة ففيه اشارة الى ان ذلك لم يكن عندهما ولا استعدادا ﴿نحن﴾ ضمير المتكلم مع غيره بدليل قوله في آخره أتاكم يعلمكم دينكم فلا اتجاه لجعله ضمير المتكلم المعظم نفسه ﴿جلوس﴾ جمع جالس كشهود جمع شاهد أو مصدر بمعنى جالسين ونحوه يبتدأ وجلوس خبره ﴿عند﴾ بتثليث العين ظرف مكان ومعناه القرب اما حسا كما هنا واما معنى كما في قوله تعالى وعنده أم الكتاب ولا يدخل عليه حرف جر غير من ﴿رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم﴾ جمعه أيام وأصلها يوام فادغمت وأريد عليه ان ذات مؤنثة لانها تانيث ذو بمعنى صاحب ويوم مذكر فكيف أضيف المؤنث الى المذكور وأجيب بان الكلام فيه حذف والتقدير في ساعة ذات مدة من يوم فحذف ذلك لظهور المراد ولما كان بينا ظرفا متضمنا معنى الشرط وهو يحتاج الى جواب يتم به أشار بقوله ﴿اذ طلع﴾ لم يقل دخل اشعارا بعظيمه ورفعة قدره وفيه استعارة تبعية لانه شبه ظهوره في نباهة القدر وارتفاع الشان بطلوع الشمس ثم اشتق منه الفعل فوقعت الاستعارة في المصدر أصلية وفي الفعل تبعية أو شبهه بالشمس استعارة مكنية ثم أثبت له الطلوع تخييلا ﴿علينا رجل﴾ أي ملك في صورة رجل والتنوين فيه للتعظيم وفي رواية للبخاري اذ أتاه رجل يمشي واقاده مسلم في رواية عمارة بن القعقاع سبب ورود هذا الحديث فعنده في أوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوني فهابوا ان يسالوه فقال فجاء رجل الخ اي لانهم كانوا أولا اكثروا المسائل على النبي صلى الله عليه وسلم فزجرهم كراهية لما قد يقع من سؤال تعنت ونحوه فلما امتثلوا قال لهم سالوني فهابوه وحجموا عن المسئلة فجاءهم من تعلموا سؤاله قال السبكي نقلا عن ابن العربي للملك ان يتصور في اي صورة شاء وتجري عليه أحكامها وحينئذ فلا يتكلم الا بما يليق بتلك الصورة ومثل ذلك الجني فاذا تمثل تلك الصورة التي ظهر بها مات معها بخلاف الانسان فانه اذا تمثل بصورة لا تحكم عليه فاذا تكلم من تلك الصورة تكلم باي لغة شاء واذا قتل بها لا يموت اه وبما تقرر من ان الملك أن يتصور في اي صورة شاء يندفع تردد امام الحرمين في تمثل الملك هل معناه ان الله في الزائد او ازاله عنه ثم اعاده اليه وجزم ابن عبد السلام بالازالة دون الفناء وقول ابن جني الظاهر ان الزائد لا يزول ولا يفنى بل يخفى عن الرائي وقول البلقيني بالقبض والبسط وذلك انه يجوز ان يكون اتى بشكله الاصلي من غير فناء ولا ازالة الا انه انضم فصار على قدر هيئة الرجل واذا ترك ذلك عاد الى هيئته كالقطن اذا جمع بعد ان كان منتفشا ﴿شديد بياض الثياب﴾ فيه دليل على استحباب البياض من الثياب عند لقاء الرؤساء والجلوس في المحافل لان مرجع جميع الالوان اليه وهذا في غير العيد واما فيه فالجديد ولو من غير البياض افضل من غيره للقادر عليه لانه يوم

عظيم رواه البخاري وكذا مسلم مطولا وزاد في أوله خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل أكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ثم قال ذروني ما تركتكم فانما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم (٦٥) واختلافهم على أنبيائهم فاذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فدعوه فقوله (ما تهيتكم) اي منعتكم عنه (فاجتنبوه) وفي رواية فدعوه يعني جميعه اذ لا امتثال الا باجتناب الجميع (قوله وما أمرتكم به) يعني ايجابا وندبا (قوله فأتوا منه) وفي رواية فأتوا منه (ما استطعتم) اى ما أطقتم اذ الاستطاعة الا طاقة * واعلم ان هذا الحديث من جوامع الكلم التي أوتيها صلى الله عليه وسلم وقاعدة عظيمة من قواعد الدين ولهذا الحديث دخل في كثير من الاحكام كالصلاة بانواعها فانه اذا عجز عن بعض أركانها أو بعض شروطها أو عن غسل بعض أعضاء الوضوء أو وجد بعض ما يكفيه من الماء لطهارته او لغسل نجاسة أو وجبت عليه ازالة منكرات أو فطرة جماعة وأمكنه البعض أو وجد بعض ما يستر بعض عورته أو حفظ بعض الفاتحة أتى الممكن في جميع ذلك وأشباهه لانه مستطاع

زينة في اظهار الفضة وفيه دليل على ان السنة النظافة بل ان الله نظيف يحب النظافة وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الثوب النظيف ويكره الثوب الوسخ ﴿شديد سواد الشعر﴾ فيه تنبيه على استحباب تحسين الشعر بالتسريح والدهن وغيرهما عند الدخول على الاكابر وقوله الشعر أي شعر اللحية كما وقع مصرحا به في رواية ابن حبان وفيه اشارة الى ان زمان طلب العلم زمن الشباب فانه اذا صرف أول عمره في طلب العلم يصرف باقيه في العمل بما علم وقدم البياض على السواد لانه غير الالوان وفي رواية النسائي أحسن الناس وجها وأطيب الناس ريحا كان ثيابه لا يمسها دنس وفيه استحباب تحسين الهيئة وتنظيف الثياب وتطييب الرائحة سيما للعالم والمتعلم لانه معلم بدليل أنا كم علمكم ديتكم ومتعلم بقاله وحاله وقد قال ابن عبد السلام لا باس بلباس شعار العلماء ليعرفوا بذلك فيسئلوا فاني كنت محرما فانكرت على جماعة محرمين لا يعرفونني ما أخذوا به من أدب الطواف فلم يقبلوا فلما لبست ثياب الفقهاء وأنكرت عليهم ذلك سمعوا وأطاعوا وفيه رد على من آثر رثاثة الهيئة في اللباس ﴿لا يرى﴾ بضم المثناة تحت مبنيا للمفعول ﴿عليه أثر﴾ أي علامة ﴿السفر﴾ من نحو غبرة وشعوثة ولسانيا التيمي ليس عليه سيما سفر وليس من البلد والسحنا بفتح السين والحاء المهملتين الهيئة ﴿ولا يعرفه منا﴾ أي معشر الصحابة وقدمه للاهتمام ﴿أحد﴾ لا ينافي انه كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي رضي الله عنه لان ذلك كان غالبا لا دائما وأيضا زاد في التعمية عليهم حيث جاء ماشيا في هيئة مقيم وما وقع في رواية النسائي من طريق أبي فروة في آخر الحديث انه جبريل نزل في صورة دحية وهم لان دحية معروف عندهم وانما لم يقل ولم يعرفه الثلاثة عمر انه صلى الله عليه وسلم لا يعرفه وليس كذلك وهذا صريح في أنهم رأوه وما وقع في رواية أحمد عن غير عمر من أنهم سمعوا كلامه ولم يروه يحمل على ان بعض القوم كان جالسا عنده وبعضهم كان خارجا عن ذلك فسمعوه من وراء نحو جدار جمعا بين الحديثين الصحيحين كذا قرره بعضهم ولا حاجة اليه لان المالك اذا حضر بمجلس قد يراه بعض اهل المجلس دون بعض بحسب حال الرائي في الصفاء والاستعداد وغير ذلك وقدم لفظ منا للاهتمام والجملة نعت صفة رجل او حال منه لانه تخصص بالوصفين فان قيل كيف عرف عمر انه لم يعرفه منهم احد * فالجواب انه يحتمل انه استدفيه الى ظنه او الى صريح قول الحاضرين قال الحافظ ابو الفضل ابن حجر ويعين الثاني انه قد جاء كذلك في رواية عثمان بن غياث فنظر القوم بعضهم الى بعض وقالوا ما نعرف هذا ﴿حتى جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم﴾ قال الطيبي حتى جلس متعلق بمحذوف يدل عليه طلع اى استأذن ودنا حتى جلس الخ اه أي ويه يندفع ما قيل انه ليس في الكلام ما هذا غايته ثم ان هذا التعبير بالى يرد عليه انها لانتهاء الغاية وهو انما يكون في ممتد كالسفر دون الجلوس اذ لا امتداد فيه فليتأمل بمعنى

﴿٩ - شبرخيتي﴾ واشباه هذا غير منحصرة وعده في كتب الفقه والمقصود هنا التنبيه على أصل ذلك ﴿تنبيه﴾ مصداق ما ذكر في هذا الحديث قول الله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم الذين قوله تعالى في الآية الاخرى اتقوا الله حق تقاته اذ حق تقاته هو امتثال امره واجتناب نهيه ولما مر سبحانه وتعالى الا بالاستطاعة لقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقوله تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴿نكتة لطيفة﴾ يرحم الله الابوصيري حيث قال

صباح لا تأس ان ضعفت عن الطلب * ساعات واستأثرت بها الاقوياء
فابق في المرج عند منقلب الذو * دفني الورد تسبق الصرحاء
وانث بالاستطاع عن عمل البر (٦٦) * فقد يسقط الثمار الاناء

ان الله رحمة وأحق النا * س منه بالرحمة الضعفاء
لا تقل حاسد الشريك هذا * اثمرت نخله وتخلى حفاء

قال بعض شراح قصيدته رحمه الله انه يتردد من نفسه شخصان اتاه وأمره فقال لا تحزن ان ضعفت قواك عن كثرة الطاعة التي هي أعمال الخير فتاز بكثرتها ذوالقوة فانه تعالى ذو رحمة واسعة تعم القوي والضعيف والدني والشريف لكن أحق الناس بالرحمة الضعفاء لانكسار خواطرهم بتخلفهم عن مرادهم بواسطة العجز الناشئ عن الضعف فقد يحصل لهم من فيض الرحمة مالا يحصل للاقوياء لقوله تعالى أنا عند المنكسرة قلوبهم فلهذا امر بقاء في المرج الذين هم الضعفاء لانهم أقوى نية وأصلح سريرة وأبعد عن الرياء قال ابن الفارض قدس الله من له بعارض
وسرمنا وانهض كسيرا فظل الا
بطالقا أخرت عزما لصحة
فربما بسبب ذلك سبقوا الاقوياء الى النعيم المقيم الى مقام كريم كان الشاة العرجاء من الذود المتخلفة عن السوابق منه اذا رجع الذود الى ربه تصير اما مهم فتسبقهم الى الوصول وتفوز قبل بقية الذود بالمطلوب والمامول ثم نهاه عن مقارفة الحسد بان يقول هذا القوي حصلت له بواسطة قوته الاعمال وبلغ منها الآمال ما لم يحصل لفلاني مثله بسبب ضعفه فان الضعيف قد يحصل له بسبب ضعفه مالا يحصل للقوي الناظر الى قوي نفسه كما انه يحصل من صغار النخل ثمرة لا تحصل من كبارها ان الله لا ينظر الى صوركم بل ينظر الى قلوبكم فتامل هذا المعنى البديع (قوله فانما اهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم) اي التي لغير ضرورة (واختلافهم على انبيائهم) اذ الاختلاف يؤدي الى التفريق ومقصود

عند أو مع (فاسند) أي الصق (ركبتيه الى ركبتيه) لان الجلوس كذلك أقرب للتواضع والادب وأبلغ في الاصغاء وحضور القلب والاستئناس وهو صريح في أنه جلس بين يديه لانه لو جلس بجنبه لم يمكنه الا اسناد ركبة واحدة وفيه اشارة الى أنه ينبغي للمتعلم الجلوس بين يدي شيخه لا عن يمينه ولا عن يساره ولا خلفه حيث كان الموضع واسعا لكن لا يبالغ في القرب منه بحيث يسند ركبتيه اليه كما هنا لانه انما فعل ذلك مهاجرا على ما بينها قبل من مزيد الود والانس حين يلقي عليه الوحي (ووضع كفيه) تثنية كف وهي الراحة مع الاصابع سميت به لانها تكف الاذى عن البدن (على فخذيه) بكسر الخاء أي فخذي النبي صلى الله عليه وسلم كما سند ابن عباس وأبي عامر الاشعري وأبي هريرة وأبي ذر حيث قال ووضع يديه على ركبتي النبي صلى الله عليه وسلم خلافا لما جزم به النووي ووافقه عليه الدميري شارح المصابيح أن الضمير راجع الى الرجل قال القرطبي وأراد بذلك المبالغة في تعمية أمره ليقوى الظن أنه من جفاة الاعراب فصنع صنيعهم لان الصحابة رضي الله عنهم استنكروا هيئته وجلوسه كما ذكر اه ورده بعضهم بانه لا يكون صنيعه المذكور كصنع جفاة الاعراب الا ان لم يفعله باذن وهو قد أذن له مرارا اه وفيه نظر فان قربه وان كان ماذونا له فيه لكن وضعه كفيه على فخذي النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن باذن فصح قول القرطبي انه صنع صنيع جفاة الاعراب وفي رواية ابي داود وغيره انه صلى الله عليه وسلم كان يجلس بين اصحابه فيجيء الغريب فلا يدري ايهم هو حتى يسال فبنيت له مصطبة من طين يجلس عليها فجاءه جبريل وهو عليها فقال السلام عليك يا محمد فرد عليه السلام فقال ادن يا محمد قال ادن فلم يزل يقول ادن ادن مرارا وهو يقول ادن ادن واستنبط منه بعضهم استحباب ابتداء الداخل بالسلام واقباله على رأس القوم وجلوس العالم بمكان يختص به ويكون مرتفعا اذا احتاج الى ذلك لضرورة تعليم ونحوه والاستئذان في القرب من الامام مرارا وان كان الامام في موضع ماذون في دخوله وترك الاكتفاء في الاستئذان مرة أو مرتين على جهة التعظيم والاحترام ووقع للشارح المحيتمي انه عزى لرواية النسائي انه خاطبه بقوله السلام عليكم يا محمد بلفظ الجمع ثم قال فيه ندب السلام على الواحد بصيغة الجمع وهو زلل فان رواية النسائي ليس فيها عليكم بلفظ الجمع وانما وقع ذلك في رواية القرطبي ثم استنبط منه انه يسن للداخل أن يسلم بالسلام ثم يخصص من يريد تخصيصه وتعقبه خاتمة الحفاظ ابن حجر بان الذي وقف عليه من الروايات انما فيها الافراد وهو السلام عليك يا محمد (وقال يا محمد) علم منقول من اسم مفعول الفعل المضعف اي المكرر العين سمي به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالهام من الله تعالى فالا بان يكثر حمد الخلق له لكثرة خصاله الجميلة وياتي لذلك مزيد بيان وخاطبه بمحمد مع انه يحرم نداؤه صلى الله عليه وسلم باسمه لقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا اما لانه كان قبل التحريم واما لان الحرمة مختصة بالآدميين دون الملائكة لان الخطاب في الآية للآدميين فلا يشمل الملائكة الا بدليل واما جريا على عادة العرب من النداء

الشارع صلى الله عليه وسلم الاجتماع ومن ثم يروى ان أبي بن كعب وزيد بن ثابت وغيرهما من أفاضل الصحابة كان اذا سئل عن مسئلة يقول أو قمت هذه فان قيل ثم قال فيها بلسانه أو أحال على غيره * وان قيل لا قال قد عوا حتى تقع ﴿ تنبيه ﴾ الاختلاف المذكور في الحديث قال الامام النووي في نكته هو بضم الهاء لا بكسرها عطفا على كثرة لا على

نسائهم أي أهلكهم كثرة مسائلهم وأهلكهم اختلافهم فهو ابلغ لان الهلاك ناشئ عن الاختلاف ﴿ تنبيه آخر ﴾ اذكره للمناسبة قال المفسرون في تفسير قوله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة الآية لو انهم عمدوا الى ادنى بقرة فذبحوها لاجزأت عنهم ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم قال الله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون أي من شدة اضطرابهم واختلافهم فيها ﴿ ولنتكلم على قصتها تماما للمجلس فنقول ﴾ القصة في ذلك على ما ذكره الامام البغوي وغيره انه كان في بني اسرائيل رجل غني وله ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله الى قرية أخرى فالقاه بفنائهم ثم أصبح يطلب ثاره وجاء بناس الى موسى عليه السلام قال الكلبي وذلك قبل نزول القسامة في التوراة فسألوا موسى ان يدعو الله ليبين لهم بدعائه أمر القتيل فامرهم

النداء بالاسم غالبا لقصد التعمية عليهم وفهم منه جواز نداء العالم والرئيس باسمه ولو من المتعلم ان لم تعلم كراهته لذلك ولا كان على سبيل التواضع من قدره لانه أقرب الى التواضع وأولى بالصدق والانيقابه أو كنيته توقيرا له وتعظيما واما خاطبه بهذا الاسم دون غيره من بقية الاسماء لان هذا هو أشهرها ﴿ أخبرني عن الاسلام ﴾ اللام فيه للحقيقة والماهية الشرعية وكذا في نظائره ولذا وقع في رواية أبي هريرة ما الاسلام هنا وما الايمان فيما يأتي وهي تدل على انه انما سئل عن شرح ماهيتهما لا عن شرح لفظهما لغة والا لم يجب بما يأتي ولا عن حكمهما لان ما في أصلها انما يسئل بها عن الحقائق والماهيات وقد سأل رجل آخر عن الله فقال له ان تسأل عن اسمه فالعزيز الحكيم وان تسأل عن صفته فالرحمن الرحيم وان تسأل عن فعله فخالق المخلوقين وان تسأل عن ماهيته فلا ماهية له نعرفها ولما أقام موسى وهارون بباب فرعون سنة ولم يؤذن لهما في الدخول عليه ثم دخل عليه البواب فقال ههنا انسان يزعم أنه رسول رب العالمين فقال فرعون ائذن له لعلنا نضحك عليه فدخلا عليه وأديا الرسالة قال فرعون وما رب العالمين وما يستفهم بها عن الاجناس ولا يجنس الله تعالى لان الاجناس محدثة فاجابه موسى بالصفات الدالة على خلوقاته التي لا يشاركه فيها مخلوق بقوله رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال فرعون لمن حوله ألا تستمعون فزاده موسى بالبيان كقوله ربكم ورب آبائكم الاولين قال فرعون ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون قال موسى رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون * واعلم انه بدأ في رواية مسلم هذه بالسؤال عن الاسلام لانه الامر الظاهر واشعر بان أول واجب على المكلف النطق بكلمة الشهادة عند القدرة كما حققه الدواني وثني بالايمان لانه الامر الباطن ورجه عكسه الواقع في رواية البخاري ان الايمان هو الاصل فبدأ به وثني بالاسلام لانه يظهر به مصداق الدعوى وثلث بالاحسان لانه متعلق بهما ورجح الطيبي الاول لما فيه من الترقي فبدأ بالاظاهر وترقى الى الاعلى والاخفى والثاني لان السنة بيان للكتاب فاولاها بالتقديم أوفقها له وقد قدم فيه الايمان على الاسلام في آيات كثيرة هذا محصل ما وجهوا به الترتيب الواقع في الروايتين وبدأ في رواية مطر الوراق بالاسلام وثني بالاحسان وثلث بالايمان ويمكن توجيهها بان الاحسان هو الاخلاص فمكانه القلب بذكر ذلك في القلب أي الوسط واحق كما قال ابن حجر وغيره ان التقديم والتاخير من الرواة لان القصة واحدة اختلفت الرواة في تاديتها وفيه دليل على ان الاسم غير المسمى لان جبريل سأل ما الاسلام ما الايمان ما الاحسان فاتى باسمائها وأجابه النبي صلى الله عليه وسلم بمعانيها ولو كان الاسم هو المسمى لم يحتج الى السؤال عنه ولما أجابه النبي صلى الله عليه وسلم به بل كان يقول له انك عالم بمسمي ما سألت عنه ﴿ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾ مجيبا له عن ماهية الاسلام وحقيقته ﴿ الاسلام ﴾ هو لغة الدخول في السلم أي الانقياد والاذعان ومنه قوله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا وشرعا الانقياد الى الاعمال الواجبة الظاهرة كما

يذبح بقرة فقال لهم ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا أي استهزي بنا ممن نسأله عن أمر القتيل ونأمرنا بذبح البقرة فقال موسى أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين أي من المستهزئين بالمؤمنين وقيل من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال فلما علم الناس ان ذبح البقرة عزم من الله تعالى استوصفوه وكان تحته حكمة عظيمة وذلك انه كان في بني اسرائيل رجل صالح له ابن طفل وله عجلة أتى بها الى غيضة وقال اللهم اني استودعتك هذه العجلة لابني حتى يكبر ومات الرجل فصارت

الصبوة في الفيضة أعوام كانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن كان بارا بوالدته وكان يقسم الليل ثلاثة أثلاث يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس امه ثلثا فاذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتي به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل بقيته ويعطي والدته ثلثه فقالت له أمه

يا مار أبك ورثك عجلة استودعها الله بني غيضة كذا فانطلق فادع إله ابراهيم واسمعيل واسحق ان يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت اليها تخيل لك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها فاتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال أعزم عليك بالله ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب فاقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها يقودها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت ايها الفتى البار بوالدته اركبني فان ذلك اهون عليك فقال الفتى ان امي لم تامرني بذلك ولكن قالت خذ بعنقها فقالت البقرة بالله يا بني اسرائيل لو ركبني ما كنت تقدر علي ابدا فانطلق فانك لو امرت الجبل ان ينقطع من أصله وينطلق معك لفعل ابرك بامك فسار الفتى بها الى امه فقالت له انك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة قال بكم ابيعها قالت بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتي وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير فانطلق بها الى السوق فبعث الله ملكا ليرى خلقه قدرته من

وليختبر الفتى كيف بره بامه وكل الله به ملكا ليرى خلقه قدرته من

بين ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله ﴿ان﴾ مصدرية ﴿نشهد﴾ منصوب بها وباقي الافعال الآتية من قوله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج معطوف عليها والشهادة الاخبار عن امر متيقن قطعا أي نعلم ونحقق ﴿أن﴾ بفتح الهمزة مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان محذوف أي انه أي الشان ﴿لا اله﴾ أي لا معبود بحق موجود أو في الوجود ﴿الا الله﴾ ولا نافية للجنس وإله اسمها مبني على الفتح والخبر محذوف تقديره موجود أو في الوجود كما مر فان قلت نفي الوجود لا يستلزم نفي الامكان بخلاف العكس فالجواب من ثلاثة أوجه الاول انه انما قدر الوجود لانه الذي ادعاه المشركون فانهم اوجدوا آلهة متعددة وقوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله نفي للدعوى الثاني ان لا لنفي الجنس وهي موضوعة لنفي الوجود لا لنفي الامكان الثالث ان نفي الوجود هو المحصل للتوحيد صريحا لانه لو قدر ممكن لزم ان يثبت ان الا اله هو الامكان فلا يحصل التوحيد بالصراحة فلذلك اختير تقدير الوجود دون غيره والا اداة استثناء والاسم المكرم الواقع بعدها مرفوع على انه بدل من الضمير المستتر في الخبر المقدر وهو الاصح وقيل انه بدل من محل لا مع اسمها لان محلهما الرفع على الابتداء وقيل غير ذلك ﴿وان محمدا رسول الله﴾ محمد علم منقول من اسم مفعول حمد بتشديد العين سمي به نبينا صلى الله عليه وسلم لكثرة خصاله الحميدة أي سماه به جده عبد المطلب تفاؤلا بان يكثر حمد الخلق له كما روي في السير انه قيل لجده عبد المطلب وقد سماه في سابع ولادته لموت أبيه قبلها على الصحيح لم سميت ابنك أي ابن ابنك بمحمد وليس من أسماء آبائك ولا قومك قال رجوت ان يحمد في السماء والارض وقد حقق الله تعالى رجاءه قال حسان رضي الله عنه

وشق له من اسمه ليجله ✻ فذو العرش محمود وهذا محمد

ولرؤيا آمنة ان سلسلة من فضة خرجت من ظهره فاطرفت بالمشرق وطرف بالمغرب ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور وأهل المشرق والمغرب يتعلقون بها فصبرت بمولودها أهلها ويحمده أهل السماء والارض قال بعض أهل المعاني الميم الاولى محق الكفر بالايمان أو محو سيآت من اتبعه أو منعة الله تعالى على المؤمنين به والحاء حكمة بين الخلق بحكمه تعالى والميم الثانية ملكه الذي اعطاه الله تعالى له ولم يعط لاحد قبله وذلك انه قرن اسمه مع اسمه في المشرق والمغرب والدال دليل الخلق في الدنيا لانه الداعي الى الله تعالى ودليلهم في الآخرة الى الجنة ويقال ان مما اكرم به الآدمي أن كانت صورته على ترتيب اسمه عليه الصلاة والسلام فالميم الاولى بمنزلة رأس الانسان والحاء بمنزلة اليدين والميم الثانية بمنزلة السرة والدال بمنزلة رجلين قيل ولا يدخل النار من يستحق دخولها أعاذنا الله منها الا ممسوخ الصورة اكراما لصورة اللفظ ولا يشترط مع الاتيان بالشهادتين البراءة من كل ما يخالف دين الاسلام على الاصح الا أن يكون منسوبا لاعتقادهم اختصاص رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم بالعرب ﴿وتقيم الصلاة﴾ اقامة الصلاة تعديل اركانها وحفظها من الزيغ

من ستة دنانير على ان استأمرها فقال الملك فاني أعطيك اثني عشر دينارا فأتى الفتى ووجم الى أمه فأخبرها بذلك فقالت ان الذي يأتيك ملك يأتيك في صورة آدمي ليختبرك فاذا أتاك فقل له لا تأمرنا ان نبيع هذه البقرة أم لا نفعل فقال له الملك اذهب الى أمك وقل لها أمسكي هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منكم لقتيل يقتل من بني اسرائيل (٦٩) فلا تبيعوها الا بملء مسكها دنانير

فامسكوها وقد راقبه تعالى على بني اسرائيل فذبح لك البقرة بعيتها فما زالوا يستكثرون حتى وصفت لهم تلك البقرة بمكانها له على بره بوالدته تفضلا منه ورحمة فذلك قوله تعالى ادع لنا ربك يبين لنا ما هي الى آخر الآيات فطلبوها لم يجدوها بكمال صفتها الا مع الفتى فاشتروها بملء مسكها ذهبا فذبحوها وضربوا القتيل ببعض منها كما أمر الله تعالى فقام القتيل حيا باذن الله تعالى وأوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان ثم سقط ومات مكانه فحرم قاتله الميراث وفي الطبراني ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة قال الله تعالى كذلك يحيي الله الموتى كما أحيا عاميل وبريكم آياته لعلكم تعقلون قيل تمنعون انفسكم عن المعاصي فسبحان من فاوت بين الخلق قيل لابراهيم عليه السلام اذبح ولدك لله للجبين وقيل لبني اسرائيل اذبحوا بقرة فذبحوها

من أقام العود وقومه أو الدوام والمحافظة من قامت السوق أي نفقت أو الشعر لا دائها من قام في الامر أو أداؤها كذا في الكشاف ولا يخفى أنه على الاول استعارة تبعية شبه تعديل أركانها بتقويم الرجل العود واستعير له الاقامة ثم اشتق منه الفعل وعلى الثاني كناية عن الدوام وعلى الثالث مجاز في الاسناد بمعنى نجسلها قائمة فيفيد التشمير وعلى الرابع كذلك اذ المعنى توجد قياما بها فيكون من باب اطلاق بعض الشيء على كله وانه لو حمل على الثاني فقط كان أولى لدلالته على جميع المعاني وايراده من زعم ان المراد بالاقامة أخت الاذان وأصل الصلاة في اللغة الدعاء قال تعالى ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول أي دعواته وقال تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم أي ادع لهم ان صلواتك سكن لهم أي دعواتك طمأنينة لهم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاءه الناس بصدقاتهم يدعو لهم وقال صلى الله عليه وسلم من كان صائما فليصل أي فليدع وقال الاعشى

تقول بنتي وقد قربت مرتحلا * يارب جنب أبي الاوصاب والوجعا

عليك مثل الذي صليت فاغتمضي * نوما فان لجنب المرء مضطجعا

اي دعوت وادعى السهيلي انه لا يصح ان يكون معناها الدعاء لانه يستعمل في الخير والشر بل هي راجعة الى معنى الحنو والانطاف وتستعمل بمعنى البركة ومنه عند بعضهم اللهم صل على آل بني أوفى وبمعنى الاستغفار قال صلى الله عليه وسلم بعثت لاهل البقيع لاصلي عليهم وفي رواية لاستغفر لهم وفي الشرع قال ابن عرفة قربة فعلية ذات احرام وتسليم أو سجود فقط فيدخل سجود التلاوة وصلاة الجنازة اه واختلفوا في اشتقاقها فقال النووي الاظهر الاشهر انها من الصلوين بفتح الصاد واللام وهما عرقان في الردف عن يمين الذنب وشماله ينحنيان في الركوع والسجود ولذلك كتب الصلاة في المصحف بالواو قيل انها مأخوذة من قولهم صليت العود اذا قومته لان الصلاة تحمل الانسان على الاستقامة وتنهاه عن المعصية قال الله عز وجل ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وروي انه قال كاد فتى من الانصار يصلي الصلوات مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيئا من الفواحش الا ارتكبه فوصف لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان صلاته تنهاه يوما فلم يلبث ان تاب وحسنت توبته وقيل انها ماخوذة من الصلة لانها تصل بين العبد وخالقه بمعنى انها قربة من رحمته وتوصله الى كرامته وجنته وحكمة مشروعيتها التذلل والخضوع بين يدي الله تعالى وعناجاته بالقراءة والذكر والدعاء وتعميم القلب بذكره واستعمال الجوارح في خدمته وفرضت في السماء ليلة المعراج بخلاف غيرها من الشرائع قال بعضهم والحكمة في وقوع فرض الصلاة ليلة المعراج انه صلى الله عليه وسلم لما قدس ظاهرا وباطنا حين غسل بماء زمزم وملئ بالايمان والحكمة ومن شرط الصلاة ان يتقدمها الطهور ناسب ذلك ان تفرض الصلاة في هذه الحالة والاصح انه لم يفرض عليه قبلها صلاة وقيل كان الواجب قبلها ركعتين بالغداة وركعتين

وما كادوا يفعلون وخرج ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه عن جميع ماله وبخل نعلبة بالزكاة وجاد حاتم في حضره وايثاره وبخل الحباحب بضوء ناره اللهم وفقنا اجمعين يارب العالمين ﴿ المجلس العاشر في الحديث العاشر ﴾ الحمد لله الذي انشأ العالم واخترعه وابتدأ شكله وابتدعه واتقن كل شيء صنعه واحكم متفرقه ومجتمعه احمده على ما وهب من احسانه حمد معترف بالتقصير عن شكر امتنانه واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة معلن بلسانه عما في ضميره رجاء ان

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله بعثه بالبينات ومرشد الهدى الى الايمان مؤيدا بمعجزات القرآن وأظهر دينه على سائر الاديان صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه في كل وقت وأوان آمين ﴿ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا وان (٧٥) الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه الى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك رواه مسلم ﴾

اعلموا اخواني رفقني الله وإياكم لطاعته ان هذا الحديث من الاحاديث التي عليها قواعد الاسلام ومباني الاحكام وفيه فوائد نذكرها (قوله ان الله تعالى طيب) اي منزه عن النقص والخبث ويكون بمعنى القدوس وقيل طيب الثناء وعلى هذا فهو من اسمائه الحسنى المأخوذة من الصفة كالجليل على القول بصحته (قوله لا يقبل الا طيبا) اى لا يقبل من الاعمال ولا من الاموال الا طيبا والطيب من الاموال في الاصل ما يستلذ به ومنه فانكحوا ما طاب لكم من النساء ويطلق ايضا بمعنى الطاهر ومنه صعيدا طيبا والله تعالى طيب بهذا المعنى اي منزه كما مر فلا يقبل من الاعمال الا طاهرا من المفسدات كالرياء والعجب ونحوهما ثلاثين

ولا يقبل من الاموال الا خالصا من شوائب الحرام اذ الطيب ما طيبه الشرع لا ما كان طيبا في الذوق اذ هو من غير مباح ويل على متعاطيه وعذاب أليم وفي الخبر من عمل عملا صالحا اشرك فيه غيري تركته وشركه وفي الخبر ايضا كل لحم نبت من حرام فالنار اولى به وتكره الصدقة بالردي كدرهم مغشوش وحب مسوس او عتق ما فيه شبهة (قوله وان الله تعالى) اي لما خلق

بالحجاز بمكة تسع سنين ثم فرضت الخمس ليلة الاسراء واختلفوا في كيفية فرضها فروت عائشة رضي الله عنها أنها فرضت ركعتين ركعتين ثم أكملت صلاة الحضر أربعا قال الحسن البصري وجماعة وكان الاكمال بالمدينة وقال ابن عباس وغيره فرضت أربعا الا المغرب فثلاثا والا الصبح فاثنين وهو طريق الجمهور وأول صلاة صلاها جبريل عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر وبذلك سميت لانها أول صلاة ظهرت وبذلك تسمى الاولى ﴿ وتؤتي الزكاة ﴾ أي تعطي المستحقين لها أو الامام ليقسمها لهم فحذف المفعول الاول لان الايتاء يعدي لمفعولين أولهما فاعل في المعنى وأولاها الصلاة موافقة للقرآن ﴿ وهي لغة النمو والزيادة يقال زكا المال اذا نما وطاب لانها تنمي المال بالبركة أو يسبب في نموه وزيادته ومنه قول النابغة

وما أخرت من دنياك تنفص ✻ وما قدمت عاد لك الزكاه

أي الزيادة والتطهير لانها تطهر المال من الخباثث الحسية والمعنوية ونفس المزكي من رذيلة البخل وغيره والمدح يقال زكى نفسه تزكية مدحها والذم يقال زكا الرجل يزكو اذا تنعم وكان في خصب والتصديق يقال زكى اذا تصدق واللائق بالشيء يقال هذا الامر يزكو لفلان اى يليق به وشرعا جزء من المال شرط وجوبه لمستحقه بلوغ المال نصابا وتسمى صدقة لقوله تعالى خذ من أموالهم صدقة من التصديق الذي هو الايمان اذ دافعها يصدق بوجوبها وحكمة وجوبها مواساة الفقراء ﴿ وتصوم رمضان ﴾ الصوم في اللغة الامساك والكف عن الشيء ومنه قوله تعالى اني نذرت للرحمن صوما أي صمتا وامساكا عن الكلام كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقولهم صام النهار اذا انتصف لبطء مشي الشمس في وسط النهار فكانها غير متحركة وصام الفرس قام من غير اعتلاف وشرعا قال القرافي امساك عن شهوتي الفم والفرج او ما يقوم مقامهما كتافة للهوى في طاعة المولى في جميع اجزاء النهار بنية قبل الفجر او فيه ان امكن سلامته من الحيض والنفاس وايام الاعياد اه وضمير التثنية في قوله يقوم مقامهما يعود على الفم والفرج ويقوم مقام الفم الانف ونحوه فان الواصل منه للجوف او للحلق مفطر ويقوم مقام الفرج اللمس الموجب للغسل وأخره عن الزكاة وان كان أنسب بالصلاة لكونه بدنيا لان اهتمام الشارع بالصلاة والزكاة اكثر ولهذا كررهما في القرآن كثيرا أو لانهما اذا وجبا لا يسقطان عن المكلف اصلا والصوم يسقط بنحو الفدية ذكره الكرماني رمضان كما قاله الخليل ماخوذ من الرمض اى بالتحريك وهو مطر يأتي في ايام الخريف سمي هذا الشهر به لانه يغسل الابدان من الآثام ويطهر قلوبهم وقيل سمي به لانه يرمض الذنوب اى يحرقها وقيل من الارتماض لانه يأخذ فيه اى في رمضان من حرارة الموعظة والفكر في امر الآخرة كما يأخذ الرمل والحجارة من حر الشمس وقيل لانهم لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق ابتداء الصوم زمنا حارا فسمي به قال السيوطي في حاشيته على البخاري قال بعضهم تاب آدم من اكل الشجرة تاخر قبول توبته الا بقي في جسده من تلك الاكلة ثلاثين يوما فلما صفا جسده منها تيب عليه ففرض على ذريته صيام

لعباده ما في الارض جميعا وأباحه لهم سوى ما حرم عليهم (أمر المؤمنين) منهم (بما أمر به المرسلين) أي سوى بينهم في الخطاب بأمره اياهم بان يجمعوا أكل الحلال وتعاطي الاعمال الصالحة لان الجميع عباده ومأمورون بعبادته لا باقامة الدليل على تخصيصهم بعضون أممهم فقال تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ثم قال يا أيها الذين آمنوا كلوا (٧٦) من طيبات ما رزقناكم أمر المؤمنين ان يجمعوا أكل الحلال كما ذكر وان يقوموا بحقوقه تعالى فقال واشكروا لله أي على ما أحل لكم ان كنتم اياه تعبدون أي ان صح انكم تخصونه بالعبادة فان عبادتكم لا تتم الا بالشكر ﴿تنبيه﴾ الخطاب بالنداء لجميع الانبياء لا على انهم خوطبوا به دفعة واحدة اذ هم كانوا في أزمنة وخص الرسل بالذكر تعظيما لهم وفيه تنبيه على ان اباحة الطيبات لهم شرع قديم ورد للرهبانية في رفض الطيبات وان الشخص يثاب اذا أكل طيبا قصد به القوة على الطاعة واحياء نفسه بخلاف ما اذا أكل تشهيا وتنعما * واعلم ان أفضل ما كانت منه كسبك من زراعة لانها أقرب الى التوكل ثم من صناعة لان الكسب فيها يحصل بكد اليمين ثم من تجارة لان الصحابة رضي الله عنهم كانوا يكتسبون بها ويحرم ما يضر بالبدن والعقل كالحجر والتراب والزجاج والدم كالافيون وهو ابن الخشخاش ويحرم اكل الحشيشة التي تاكلها الحرافيش ويسن ترك التبسط في الطعام المباح لانه ليس من اخلاق السلف هذا اذا لم تدع اليه حاجة كقرى الضيف وأوقات التوسعة على العيال كيوم عاشوراء ويوم العيد ولم يقصد بذلك التفاخر والتكاثر بل تطييب خاطر الضيف والعيال وقضاء وطرهم مما يشتهونه * قال علماؤنا وفي اعطاء النفس شهواتها المباحة مذاهب حكاها الماوردي منعها وقهرها كيلا تطغى واعطاؤها تحيلا على نشاطها وبعث الروح على طاعتها قال والاشبه التوسط بين الامرين

ثلاثين وكان فرضه في السنة الثانية من الهجرة * قال القرطبي فيه جواز اسمعيل لغير رمضان الى شوال وهو مذهب البخاري والمحققين لخبر اذا دخل رمضان فتحت ابواب الجنة وقيل يكره استقباله بلا اضافة لشهر ونقله عياض وغيره وقيل يجوز بقرينة كصمنا رمضان وبكره بدونها كجاء رمضان لما قيل انه من أسماء الله والمذهبان الاخيران فاسدان كما قاله الزركشي ولا يصح أن يكون من أسمائه تعالى فقد صنف جماعة لا يحصون في أسماء الله تعالى فلم يذكروه وما روي فيه من الحديث ضعيف وأول ما فرض رمضان خير بينه وبين الطعام لقوله تعالى وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ثم نسخ ذلك بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه وكان يباح للمكلف الاكل والشرب والجماع بعد الغروب الى ان ينام أو يصلي العشاء فيحرم عليه ذلك حتى وقع لقيس بن صرمة بكسر الصاد المهملة وسكون الراء انه طلب من امرأته ما يفطر عليه فذهبت اتاتي به فغلبته عينه فوجدته قد نام فلم يأكل ولم يشرب وأصبح صائما وكان يعمل في حائط فلم يتصبر النهار حتى غشي عليه وأراد عمر وطء زوجته فذكرت أنها نامت فكذبها ووطئها ثم غدا على النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فذكره جماعة من الصحابة عن أنفسهم فنزل قوله تعالى علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم الآية وحكمة مشروعيته مخالفة النفس وكسرها وتصفية مرآة القلب والاتصاف بصفات الملائكة والتنبيه على مواساة الجائع ﴿وتحج البيت﴾ الحج لغة القصد وقال الخطابي الاكثار من القصد مع التكرار ومنه قول الشاعر

* يحجون بيت الزبرقان المزعفرا * يريد أنهم يقصدونه في أمورهم ويختلفون اليه في حوائجهم مرة بعد اخرى واصطلاحا قال ابن عرفة يمكن رسمه بانه عبادة يلزمها الوقوف بعرفة ليلة عاشر ذي الحجة وحده بزيارة وطواف ذي طهر أخص بانيت عن يساره سبعا بعد فجر يوم النحر والسعي من العشا للمروة ومنها اليها سبعا بعد طواف كذلك لا يقيد وقته باحرام في الجميع اه والمراد بالطهر الاخص الطهر من الحدث الاصغر والاكبر كما في شارحه أو من الحدث المذكور والخبث وقوله لا يقيد وقته أي انه لا يعتبر في الطواف الذي لا يتوقف عليه السعي حصوله بعد فجر يوم النحر كما في طواف الافاضة والبيت اسم جنس ثم غلب على الكعبة كغلبة النجم على الثريا ﴿ان استطاعت اليه﴾ أي الحج او البيت ﴿سبيلا﴾ منصوب له او تمييز عن نسبة الاستطاعة الى البيت أي ان استطعت سبيل البيت فاخر ليكون أوقع وتقديم اليه عليه للاختصاص وسبيلا أي طريقا وتنكيره للعموم اذ النكرة في الاثبات قد تعم كما ذكره الزمخشري في قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت وسبيل يذكر ويؤنث فمن التذكير قوله تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ومثله هذا ومن التانيث قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة والاستطاعة القدرة وهي امكان الوصول من غير مشقة عظيمة من الامن على النفس والمال ولو بالاجارة او راحلة لذي صنعة تقوم به وقدر على المشي فالاستطاعة ولو بالبدن وعند الشافعي بالمال لانه فسرها بالزاد والراحلة وعند أبي حنيفة بمجموع الامرين وانما قيد بالاستطاعة في الحج مع أن ما مر يقيد بها أيضا اتباعا لنظم القرآن وفائدة التقييد لبيان ان المشقة فيه

لان في اعطائها الكل سلاطة عليه وفي منعها الاذن من الاطعمة وكثرة الايدي على الطعام وأن يحمد الله تعالى عقب الاكل والشرب روى أبو داود باسناد صحيح انه صلى الله عليه وسلم كان اذا أكل أو شرب قال الحمد لله الذي اطعم وأسقى وسوغه وجعل له مخرجا وآداب الاكل والشرب (٧٢) كثيرة شهيرة ثم ذكر أبو هريرة رضي الله عنه بعد ما تقدم ما في الحديث

ليست كثيرة أولان عدمها في فرض نحو الصلاة والصوم لا يسقط فرضها بالكلية وانما يسقط وجوب الاداء حالا بخلاف الحج فان عدمه ايسقط وجوبه رأسا ويقتضي كلام القرطبي ان الصحيح ان الحج واجب على التراخي وهو تحصيل مذهب مالك فيما ذكر ابن عويزمنداد وهو قول الشافعي وذهب بعض البغداديين الى انه على الفور فلا يجوز تاخيره مع القدرة له عليه وذكر شيخنا الابي وري في شرحه على المختصر انه المعتمد والدليل على الاول اجماع العلماء على ترك تفسيق القادر على الحج اذا أخره العام والعامين ونحوهما وانه اذا حج بعد أعوام من حين استطاعته فقد أدى الحج الواجب عليه في وقته وكل من قال بالتراخي لا يحد في ذلك حدا الا ماروي عن سحنون من تحديده الى الستين فان زاد على الستين فسق وردت شهادته لان النبي صلى الله عليه وسلم قال أعمار أمتي ما بين الستين الى السبعين وقل من يتجاوز ذلك وما تركه الناس بين الستين والسبعين ولا حجة فيه لانه كلام خرج على الاغلب من أعمار أمته لوضوح الحديث ولا يقطع بتفسيق من صحت عدالته وامامته بمثل هذا من الناويل الضعيف اه وقدم الاشق وأخر ما وجب في العمر مرة ﴿تنبيه﴾ السبيل ورد في القرآن على وجوه الاول البلاغ كما في قوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا يعني بلاغا الثاني الطاعة كقوله تعالى في البقرة الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله يعني في طاعة الله الثالث المخرج كقوله تعالى في بني اسرائيل انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا يعني مخرجا من الحبس ومثله قوله في النساء حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا يعني مخرجا من الحبس الرابع المسلك كقوله تعالى في النساء ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا أي مسلكا الخامس العلل كقوله تعالى فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا أي علة السادس الدين كقوله تعالى ويتبع غير سبيل المؤمنين أي دين المؤمنين السابع الهدى كقوله تعالى في النساء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا أي من يضلل الله عن الهدى فلن تجد له هاديا أي هدى الثامن الحجة كقوله تعالى فما جعل الله لكم عليهم سبيلا أي حجة التاسع الطريق كقوله تعالى في النساء والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا أي طريقا الى المدينة العاشر العدوان كقوله تعالى في حم عسق ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل أي من عدوان انما السبيل على الذين يظلمون الناس الحادي عشر الطاعة كقوله تعالى في الفرقان الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا أي طاعة الثاني عشر الملة كقوله تعالى في يوسف قل هذه سبيلي أي ملتي ﴿قال﴾ السائل المصطفى صلى الله عليه وسلم ﴿صدقت﴾ فيما أجبت به قال عمر ﴿فعجبنا له﴾ أي منه أو لاجله والتعجب حالة تعرض للقلب عند الجهل بسبب الشيء ﴿يسأله﴾ والسؤال قرينة عدم العلم ﴿ويصدقه﴾ لان هذا خلاف عادة السائل والتصديق قرينة العلم فزال تعجبهم باعلامهم انه جبريل عليه السلام لانه ظهر انه عالم في صورة متعلم ﴿قال فاخبرني عن الايمان﴾ هو لغة مطلق التصديق سواء كان مطابقا للواقع أم لا سواء تعلق بحكم شرعي

ام لا

(قوله أشعث) أي مغبر الرأس (أغبر) أي البدن والثوب (يمد) أي عند الدعاء (يديه الى السماء) أي الى جهتها بقرينة (يارب يارب) وفيما ذكره دلالة على ان ذلك من آداب الدعاء وهو كذلك لما ورد انه صلى الله عليه وسلم رفع يديه في دعاء الاستسقاء حتى رؤي بياض ابطيه ولقوله صلى الله عليه وسلم ان الله حي كريم يستحي من عبده ان يرفع اليه كفيه ثم يردهما صفرا أي خائبين ولان السماء قبلة الدعاء (قوله ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فاني) أي كيف (يستجاب له) أي بعد ارتكاب هذه صفته وهذا يحتمل ان يستجاب له وفي هذا الحديث فوائد منها بيان شرط الدعاء وهو وآدابه ومنها ان لا يدعو بمعصية ولا بمحال ومنها ان يكون حاضر القلب للنهي عن الدعاء مع الغفلة وان يحسن ظنه بالاجابة ومنها ان لا يستعجل فيقول دعوت فلم يستجب لي اذ هو سوء أدب فيقطعه عن الدعاء فتفوته الاجابة فقد قال صلى الله عليه وسلم أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن ان الله لم يغفر له ومنها ان لا يخرج عن العادة خروجا بعيدا لما فيه من سوء الادب أيضا لان الله تعالى قد أجرى الامور على العادة فالدعاء بخرقها تحكم على القدرة قال بعضهم الا ان يدعو باسمه الاعظم فيجوز تاسيا بالذي عنده علم من الكتاب اذ دعا

بعضهم وعرش بنقيس فاجتنبه وفي الحديث أيضا الحث على الانفاق من الحلال والنهي عن الانفاق من غيره وأن الناكول والمشروب والملبوس ونحوها ينبغي ان يكون حلالا لا شبهة فيه وأن مريد الدعاء أولى بالاعتناء بذلك من غيره قال وهب بن منبه بلغني ان موسى عليه السلام مر برجل قائم يدعو ويتضرع طويلا وهو ينظر اليه فقال موسى يارب أما (٧٣) استجبت لعبدك فاوحى الله تعالى اليه يا موسى انه لو كل عبدي تلفت نفسه ورفع يده حتى يبلغ عنان السماء ما استجبت له قال يارب لم ذلك قال لان في بطنه الحرام وعلى ظهره الحرام وفي بيته الحرام ومر ابراهيم بن أدهم بسوق البصرة فاجتمع الناس اليه وقالوا له يا ابا اسحق مالنا ندعو فلا يستجاب لنا قال لان قلوبكم ماتت بعشرة اشياء الاول عرفتم الله فلم تؤدوا حقه الثاني زعمتم انكم تحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركتم سنته والثالث قرأتم القرآن فلم تعملوا به والرابع اكلتم نعم الله ولم تؤدوا شكرها والخامس قلتم ان الشيطان عدو لكم ووافقتموه ولم تخالفوه والسادس قلتم ان الجنة حق ولم تعملوا لها والسابع قلتم ان النار حق ولم تهربوا منها والثامن قلتم ان الموت حق ولم تستعدوا له والتاسع انتبهتم من النوم فاشتغلتم بعيوب الناس وتسيتم عيوبكم والعاشر دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم واعلموا اخواني انه ورد

أم لا واصطلاحا تصديق النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما علم مجيئه به من الدين بالضرورة من التوحيد والبعث والجزاء وغير ذلك تفصيلا في التفصيلي واجمالا في الاجمالي فمن علم اسمه كجبريل وجب الايمان به عينا ومن لم يعلم اسمه آمن به اجمالا وكذلك الكتب والانبياء والرسل والمراد بالتصديق الاذعان والقبول لا مجرد نسبة الصدق له صلى الله عليه وسلم لئلا يلزم الحكم بايمان كثير من الكفار الذين كانوا في زمنه صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يعرفون حقيقة نبوته صلى الله عليه وسلم الا أنهم لم يذعنوا ولم يقبلوا ما جاء به قال تعالى يعرفونه كما يعرفون أبناءهم يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها يعلمون أنه الحق من ربهم ويجحدونها واستيقنتها أنفسهم * وأورد على التعريف ان قوله بالضرورة متعلق بقوله علم وهو يقتضي أن جميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم أمر ضروري لا يتوقف على نظر واستدلال وليس كذلك فان فيه النظري * وأجيب بان المراد بقوله بالضرورة انه شاع واشتهر بين اهل الاسلام حتى صار العلم به شاملا به العلم الحاصل بالضرورة ﴿ قال الايمان أن تؤمن ﴾ ان وصلتها في موضع رفع خبر مبتدا محذوف أي الايمان هو ان تؤمن بالله وظاهر الحديث تغاير الايمان والاسلام لان جبريل سأل عنهما سؤالين وأجيب عنهما بجوابين وفسر الاسلام باعمال الجوارح كالصلاة ونحوها والايمان باعمال القلب وقد يوسع فيطلق الايمان على الاسلام كما في حديث وفد عبد القيس فانه أمرهم بالايمان ثم قال أتدرون ما الايمان قالوا الله ورسوله أعلم قال شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فان قيل هذا تعريف للشيء بنفسه لان تؤمن مشتق من الايمان فالجواب كما قال الكرماني ان المراد من الحدود الايمان الشرعي ومن الحد الايمان اللغوي ويظهر أنه انما أعاد لفظ الايمان للاعتناء بشانه تفخيما لامره وهذا موافق لقول الطوفي هذا ليس من تعريف الشيء بنفسه بل هو من تعريف الشرعي باللغوي لانه لغة التصديق وشرعا تصديق خاص وهو الايمان بالله وما ذكره بعده فكانه قال الايمان شرعا التصديق بهذه الاشياء كما يقال الصلاة شرعا هي الصلاة لغة وهي الدعاء وزيادة أمور أخر وهو كلام صحيح وقال الطيبي وقوله الايمان أن تؤمن يوهم التكرار وليس كذلك فان قوله ان تؤمن مضمن معنى ان تعترف ولذلك عداه بالباء كانه قيل الايمان اعتراف بالله ووثوق به وتعقبه الحافظ ابن حجر بان التصديق أيضا يعدى بالباء فلا حاجة الى دعوى التضمن ﴿ بالله ﴾ اي بانه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله موصوف بصفة الكمال منزه عن سمة الاجسام ﴿ وملائكته ﴾ جمع ملك على غير قياس اوجمع مالك بتقديم الهمزة اذ هو من الالوكة وهي الرسالة ثم أخرت الهمزة عن اللام وحذفت تخفيفا لكثرة الاستعمال ونقلت حركتها الى اللام وقال في النهاية جمع ملأك في الاصل ثم حذفت همزته لكثرة الاستعمال اه والتانيث للجمع وقيل للمبالغة * وقد ورد بغير تاء كما قال القائل

* أيا خالد صلت عليك الملائك *

وهي أجسام لطيفة نورانية أعطيت قدرة على التشكل باشكال مختلفة تقدر على أفعال شاقة لا يقدر عليها البشر وهم قسمان قسم شانهم الاستغراق

في السنة ان الدعاء مخ العبادة ووجهه ان الداعي انما يدعو عندا نقطاع الآمال عما سوى الله فهو حقيقة التوحيد والاخلاص وورد ايضا ان الدعاء سلاح الانبياء ونعم السلاح والاحاديث في فضل الدعاء كثيرة شهيرة ﴿ تنبيه ﴾ في رسالة الامام ابي القاسم القشيري رضي الله عنه قال اختلف في ان الافضل الدعاء او السكوت فمنهم من قال الدعاء عبادة لحديث الدعاء هو العبادة ولان الدعاء اظهار الافتقار الى الله تعالى وقالت طائفة السكوت والجمود تحت جريان الحكم أتم

والرضا بما سبق به القدر اولى وقال غيره يكون صاحب دعاء بلسان ورضا بقلبه ليأتي الأمرين جميعا قال القشيري والاولى ان يقال الاوقات مختلفة ففي بعض الاحوال الدعاء افضل من السكوت وهو الادب وفي بعض الاحوال السكوت افضل من الدعاء وهو الادب وانما يعرف ذلك بالوقت (٧٤) فاذا وجد في قلبه اشارة الى الدعاء فالدعاء اولى واذا وجد اشارة الى السكوت فالسكوت أتم قال ويصح ان يقال ما كان للمسلمين فيه نصيب او لله سبحانه وتعالى فيه حق فالدعاء اولى لكونه عبادة وان كان لنفسك فيه حظ فالسكوت اتم ﴿ فائدة ﴾ عن ابي امامة الباهلي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى ملكا موكلا بمن يقول يا ارحم الراحمين فمن قالها ثلاثا قال له الملك ان ارحم الراحمين قد اقبل عليك فاسأل ﴿ تنبيه ﴾ قال الغزالي رحمه الله تعالى فان قيل فما فائدة الدعاء مع ان القضاء لا مرد له فاعلم ان من جملة القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء ووجود الرحمة كما ان الترس سبب لدفع السلاح والماء سبب لخروج النبات من الارض وكما ان الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء وقد قيل

سبحان من لا يخيب من قصده

في معرفة الحق والتنزه عن الشغل بغيره وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء ويجري به القدر لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وفي الحديث اتاني ملك لم ينزل الارض قبلها قط يرسالة من ربي فوضع رجله فوق السماء الدنيا ورجله الاخرى ثابتة في الارض لم ينقلها وقد ورد ان لله ملكا يملأ ثلث الكون وملكا يملأ ثلثيه وملكا يملأ الكون كله وقد ورد في عظم الملائكة ما هو فوق ذلك لا يقال اذا املأ الكون كله فاين يكون الآخر لانا نقول الانوار لا تتزاحم ألا ترى انه لو وضع سراج في بيت ملأه نورا ولو أتينا بعده بالف سراج وسع البيت أنوارهم ذكره العارف بالله ابن عطاء الله عن شيخه المرسي وقد جاء في صفة الملائكة أحاديث منها ما أخرجه الترمذي وابن ماجه والبزار من حديث أبي ذر مرفوعا أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع الا وعليه ملك ساجد الحديث ومنها ما أخرجه الطبراني من حديث جابر مرفوعا ما ان السموات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف الا وفيه ملك قائم أو راكع أو ساجد وللطبراني نحوه من حديث عائشة وذكر في ربيع الابرار عن سعيد بن المسيب قال الملائكة ليسوا ذكورا ولا اناثا ولا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون ولا يتوالدون * قلت وفي قصة الملائكة مع ابراهيم وسارة ما يؤيد انهم لا يأكلون وأما ما وقع في قصة الاكل من الشجرة انها شجرة الخلد التي يأكل منها الملائكة فليس بثابت وفي هذا وما ورد من القرآن الشريف رد على من انكر وجود الملائكة من الملحدة اه قال الطيبي الاطيط صوت الاقتاب وأطيط الابل أصواتها وحنينها اي ان كثرة ما فيها من الملائكة قد أثقلها حتى أطت وهو مثل وايذان بكثرة الملائكة وان لم يكن ثم أطيط وانما هو كلام تقريب أريد به تقرير عظمة الله والاشعار كما قال الحليمي أن لا يكتب لهم عمل اذ الملك هو الذي يكتب فكان يحتاج كل ملك الى آخر ولا يحاسبون أيضا اذ لا سيئات لهم واما الاثابة فقد قيل يثابون برفع التكليف عنهم ويحتمل ان يكون وراء رفع التكليف عنهم نعمة أعدها الله لهم ولا تبلغها عقولنا فان الله تعالى يقول أعددت لعبادي ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اه وذكر القرطبي في تفسير سورة القدر ان الروح طائفة من الملائكة جعلوا حفظة على غيرهم وقيل ان الملائكة ليسوا بحيوان لعدم صدق تعريفه عليهم حيث قيل فيه نام وليسوا كذلك وانما خلقوا كذلك ﴿ وكتبه ﴾ جمع كتاب وهو لغة ضم الحروف الدالة على معنى بعضها الى بعض مصدر كتب أي جمع والكتب اصطلاحا ما انزل الله على الانبياء اما مكتوبا على الالواح أو مسموعا من وراء حجاب أو من ملك مشاهد وخص الايمان بها لانها الكلام الازلي القديم القائم بذاته المنزه عن الحرف والصوت أنزلها على بعض رسله بالفاظ حادثة في الواح او على لسان ملك * وعدة الكتب المنزلة من السماء الى الدنيا مائة واربعة صحف شيث خمسون وصحف ابراهيم ثلاثون وصحف موسى قبل التوراة عشرة والتوراة والانجيل والزبور والفرقان ومعاني الكتب مجموعة في القرآن ومعاني القرآن مجموعة في الفاتحة ومعانيها مجموعة في البسملة ومعاني البسملة مجموعة في باء الجار بعضهم ومعاني الباء في نقطتها اي في ذلك اشارة

من قصد الله صادقا وجده قد شمل الخلق فضل نعمته * كل الى فضله يديده قال محمد بن خزيمة لما مات احمد بن حنبل رحمه الله الى رأيته في المنام وهو يتبختر في الجنة فقلت اي مشية هذه فقال هذه مشية الخدام الى دار السلام فقلت ما فعل الله بك فقال غفر لي وتوجني وألبسني نعلين من ذهب وقال لي يا احمد هذا بقولك القرآن كلامي ثم قال يا احمد ادع عني بتلك الدعوات التي بلغتك عن سفيان الثوري وكنت تدعو بها في دار الدنيا فقلت يا رب كل شيء بقدرتك على كل شيء اغفر لي كل شيء ولا تسألني عن شيء والدعوات كثيرة

﴿خاتمة المجلس﴾ قال الجلال السيوطي رحمه الله في طبقات النحاة الصغرى له رأيت بخط القاضي عز الدين بن جماعة وجدت بخط الشيخ محيي الدين النووي ما نصه ما قرأ أحد هذه الأبيات ودعا الله تعالى عقبها بشيء إلا استجيب له وهي هذه يا من يرى ما في الضمير ويسمع أنت المعد لكل ما يتوقع * يا من يرجى للشدائد كلها يا من إليه المشتكى والمفزع (٧٥) يا من خزائن رزقه في قول كن

امنن فإن الخير عندك أجمع
مالي سوى فقري إليك وسيلة
فبالافتقار إليك فقري أدفع
مالي سوى قرعي لبابك حيلة
فلئن رددت فأي باب أقرع
ومن الذي أدعو وأهتف باسمه
إن كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لجودك أن تقنط عاصيا
الفضل أجزل والمواهب أوسع

وهذه الأبيات من كلام عبد الرحمن بن عبد الله بن أصبغ بن حبيش الماتي رحمه الله تعالى آمين

﴿المجلس الحادي عشر في الحديث الحادي عشر﴾

الحمد لله على جميع النعم والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث لخير الأمم صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم

﴿عن﴾ أبي محمد (الحسن بن علي بن أبي طالب) سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته (رضي الله عنه قال حفظت من رسول صلى الله عليه وسلم

دع ما يريبك إلى ما لا يريبك رواه الترمذي والنسائي قال الترمذي حديث حسن صحيح ﴿اعلموا إخواني وفقني الله وإياكم لطاعته أن هذا الحديث حديث عظيم ومعناه ترك ما في حله شك إلى ما لا شك فيه طلبا لبراءة دينك وعرضك ومعناه أيضا راجع إلى معنى حديث إن الحلال بين الخ فإذا ذكرهنا ما يتم به هذا المجلس فيصير مجلسا مستقلا معدودا وهذا لا يخفى على الحاذق وقوله (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك) بفتح أولهما وضمه والفتح أشهر وأفصح والله أعلم ﴿المجلس الثاني عشر في الحديث

إلى الواحدة فهو الواحد الذي لا نظير له قاله الخطيب وذكر النسائي في شرح الرسالة خلافه ونصه ﴿فائدة﴾ جملة الكتب المنزلة مائة كتاب وأربعة عشر كتابا خمسون على شيث وثلاثون على إدريس وعشرون على إبراهيم ولا خلاف في هذا واختلفوا في عشرة فقيل أنزلت على آدم وقيل على موسى قبل التوراة والتوراة على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود والفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم اهـ وفي شرح الشاذلي ما يوافق الأول والحق عدم حصرهم في عددمعين ﴿ورسله﴾ أي بأنه تعالى أرسلهم إلى الخلق هدايتهم إلى طريق الحق وتكميل معاشهم ومعادهم وأنهم صادقون في جميع ما أخبروا به عن الله وبلغوا عنه وأنهم بينوا للمكلفين ما أمروا ببيانه وأنه يجب احترامهم وأن لا نفرق بين أحد منهم وفي رواية للبخاري وبرسله وقدم الملائكة على الرسل والكتب نظرا للترتيب لأن الله تعالى أرسل الملك بالكتاب إلى الرسول لا لأنهم أفضل من الأنبياء ولأن الأصح أن الأنبياء أفضل منهم وفي الأفضلية طرق الأولى طريقة ابن الحاجب وجماعة وقول جماعة من الأشاعرة وأهل الحديث والتصوف أنهم أفضل من الملائكة العلوية والسفلية لقوله تعالى إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين والملائكة من جملة العالمين وأن الملائكة ولو غير رسل أفضل من غير الأنبياء من البشر ولو كان وليا كأبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وبقابله قول من قال من أهل السنة كالباقلاني والحليمي أفضلية الملائكة العلوية والسفلية على الأنبياء ما عدا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم لأنه أفضل من الملائكة إجماعا كما ذكره الفخر الرازي والمراد إجماع من يعتد بإجماعه وما وقع في الكشاف في تفسير قوله تعالى إنه لقول رسول كريم الآية من أفضلية جبريل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فهو نزغة اعتزالية الثانية طريقة الآمدي والبيضاوي في قصر الخلاف على الملائكة العلوية وأما السفلية فلا اختلاف أن الأنبياء أفضل منهم لقوله تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون من في الأرض وقوله تعالى ويستغفرون للذين آمنوا الثالثة طريقة الماتريدية وهي الراجحة عندهم أن خواص البشر وهم الأنبياء أفضل من خواص الملائكة كجبريل وميكائيل وخواص الملائكة أفضل من عامة البشر والمراد بهم الصلحاء كأبي بكر وعمر وعامة البشر أفضل من عامة الملائكة وهي غير الرسل منهم كحملة العرش والكروبيين وأفضل الملائكة جبريل كما جزم به السيوطي وقال بعضهم أفضلهم إسرافيل قال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام بعد ما قرر أن خواص البشر أفضل من الملائكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من الأنبياء فقد سادات الملائكة فصار أفضل من الملائكة بدرجتين وأعلى منهم بمرتبتين لا يعلم قدر تلك المرتبتين وشرف تلك الدرجتين إلا من خاتم النبيين وسيد المرسلين المفضل على جميع العالمين ﴿واليوم الآخر﴾ وهو من وقت الموت أو الحشر إلى ما لا يتناهي أو إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار * وقال البيضاوي سمي بذلك لأنه آخر الأوقات المعدودة وقال غيره لأنه لا ليل بعده ولا يقال يوم يعني من غير تقييد إلا ما يقابله ليل وقيل لأنه

الثاني عشر ﴿ الحمد لله الذي احيا قلوب المؤمنين باتباع رحمته والهمهم من حسن التوسل ما يدفعون به عظيم اخطه وعفو بته ووهب
لهم من مطايا الحزن في البكاء ما يتوصلون به الى منازل جنته ومغفرته ورحمته فسبحانه من إله شرفنا بملة التوحيد وارسل الينا سيد الخلق
والعبيد وجعل صلاتنا عليه (٧٦) شفيعا لنا بين يديه فمن اراد تكفير الخطايا ازلاتنا وبذل العطايا نوالصلات والحلول في اعلى

الدرجات فليكثر من الصلاة على سيدنا محمد سيد الاحياء والاموات طيبوا بالصلاة عليه مسالك اقوالكم وزينوا بها رسائل اعمالكم صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحابته واحشرنا والحاضرين في زمرته آمين ﴿ عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه حديث حسن رواه الترمذي وغيره ﴾ اعلموا اخواني وفقني الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم وهو من الاحاديث التي عليها مدار الاسلام كما علم مما مر (قوله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه) بفتح الياء معناه مالا تتعلق عنايته به والذي يعني الانسان من الامور ما يتعلق بضرورة حياته في معاشه وسلامته في معاده وذلك يسير بالنسبة الى مالا يعنيه فان اقتصر الانسان على ما يعنيه من الامور سلم من شر عظيم والسلامة من الشر خير كثير ومن بعض كلام السلف أجازوا

آخر أيام الدنيا والمراد الايمان بما فيه من البعث والحساب وتطاير الصحف والميزان وادخال البعض الجنة بالفضل والبعض النار بالعدل الى غير ذلك مما ورد النص القاطع به وفي رواية والبعث الآخر وصفه بالآخر اما تاكيد كقاسم الدهر أو احتراز عن غير الآخر لانه إحياء بعد إماتة وقد كنا ميتين قبل نفخ الروح فاحيينا بنفخها ثم نمتنا ثم احيينا لسؤال الملكين ثم نمتنا ثم احيينا للحشر فهذا هو الآخر ﴿ وتؤمن بالقدر ﴾ أعاد العامل اما لبعد العهد واما للاهتمام بشانه اذ لا يعلمه الاحاذق بامور الدين بخلاف الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر بتحريك الدال المهملة وقد تسكن من قدرت الشيء بفتح الدال مخففة اذا أحطت بمقداره وأل فيه عوض عن المضاف اليه اي بتقدير الله سبحانه الامور واحاطته بها علما ثم قدره بالايجاد ﴿ خيره وشره ﴾ اي بالطاعة والشر المعصية أي بان الله تعالى قدر الخير والشر في القدم وان ذلك سيقع في اوقات معلومة عنده على صفات مخصوصة والاظهر انه بدل كل واما قول ابن مالك انه بدل بعض فغير ظاهر الا ان يقال ان ذلك باعتبار كل واحد من المعطوف والمعطوف عليه وفي رواية لمسلم بالقدر كله وفي رواية عطاء عن ابن عمر بزيادة حلوه ومره والحاوما تستطيبه النفس وتميل اليه المكاره والخصب والسعة والعافية والسلامة من الآفات والمر ما تكرهه النفس وتنفر منه كالجدب والقحط والمرض والبلاء ولما كان الايمان بالقدر مستلزما للايمان بالقضاء لم يتعرض له وقد خاض فيه قوم وأمسك عنه آخرون تمسكا بقوله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر القدر فامسكوا وبانه سر ليس لمن عرفه ان يفشيه ولذا لما سئل عنه علي ابن أبي طالب رضي الله عنه فقال طريق مظلم لا تسلكه فاعيد السؤال فقال بحر عميق لا تلجه فاعيد السؤال فقال سر الله قد خفي عليكم فلا تفشوه واما من خاض فيه فقال القضاء ارادته الازلية المتعلقة بالاشياء على ما هي عليه والقدر ايجاده اياها على ما يطابق العلم فالقضاء بمنزلة الاساس والقدر بمنزلة البناء والقضاء بمنزلة آلة التكميل والقدر بمنزلة المكمل والقضاء بمنزلة ما اعد للبس والقدر بمنزلة اللبس والقضاء بمنزلة تصوير النقاش الصورة في ذهنه والقدر بمنزلة رسمها ونظم ذلك شيخنا الاجهوري فقال

ارادة الله مع التعلق * في أزل قضاؤه فتحقق
والقدر الايجاد للاشيا على * وجه معين اراده علا
وبعضهم قد قال معنى الاول * العلم مع تعلق في الازل
والقدر الايجاد للامور * على وفاق علمه المذكور

وفي الحديث الرد على القدرية وهم قدريتان اولى وهي تنكر ما ذكرنا من سبق العلم بالاشياء قبل وجودها وتزعم ان الله لم يقدر الامور ازلا ولم يتقدم علمه بها وانما يتنفها علما حال وقوعها وهؤلاء انقرضوا قبل ظهور الشافعي رحمه الله واياهم عني بقوله ان تسلم القدرية العلم خصموا اذ يقال لهم اتجوزون ان يقع في الوجود خلاف ما تضمنه العلم فان منعوا وافقونا وان

من علم ان كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه ومن سال عما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه قال ابن العربي هذا الحديث فيه اشارة الى ترك الفضول لان المرء لا يقدر أن يشتغل بالملازم فكيف يتعداه الى الفاضل وقال ابن عبد البر كلامه صلى الله عليه وسلم هذا من الكلام الجامع للمعاني الكثيرة الجليلة في الالفاظ القليلة وهو مما لم يقله احد قبله صلى الله عليه وسلم الا انه روي في صحف شيث

وأبراهيم على نبينا وعليهما وعلى جميع الانبياء أفضل الصلاة والسلام من عد كلامه من عمله قال كلامه الا فيما يعنيه قال الغزالي رحمه الله هذا خاص بالكلام وأما الحديث فهو أعم من الكلام لان عمالا يعنيه التوسع في الدنيا وطلب المناصب والرياسة وحب الحمدة والثناء وغير ذلك وقال بعض العلماء في هذا الحديث ان المؤمن مع المؤمن كالنفس الواحدة (٧٧) فينبغي ان يحب لاخيه ما يحب لنفسه

أجازوا لزمهم نسبة الجهل اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا * وقدرية ثانية وهم مطبقون على ان الله تعالى عالم بافعال العباد قبل وقوعها وانما خالفوا السلف في زعمهم ان أفعال العباد مقدرة لهم واقعة منهم على جهة الاستقلال بواسطة الاقدار والتمكين * وقد اتفق لشخص منهم أنه رفع رجله بحضرة رجل من أهل السنة وقال له اني رفعت رجلي عن الارض بقدرتي فقال له السني فاذن ارفع الاخرى فلم يرد له جوابا وفيه رد أيضا على المعتزلة في زعمهم انه تعالى لا يخلق الشر اذ لو كان العبد يخلق الشر والمخالفات وهي أكثر وقوعا من الطاعات لكان أكثر ما يجري في الوجود على خلاف ارادة رب الارض والسموات وذلك أمر لا يرضاه أمير بلد ولا زعيم قرية تعالى الله عما تقول المعتزلة علوا كبيرا * وقد حكي انه دخل القاضي عبد الجبار المعتزلي على الصاحب ابن عباد وكان وزيرا بالمغرب فرأى عنده الاستاذ أبا اسحق الاسفرايني امام أهل السنة فقال عبد الجبار سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال الاستاذ على الفور سبحان من لا يجري في ملكه الا ما يشاء فالتفت اليه عبد الجبار وعلم أنه فهم مراده فقال له أفيريد ربك أن يعصى فقال له الاستاذ أفيعصى ربنا قهرا فقال له عبد الجبار أرأيت ان منعني الهدى وقضى علي بالردى أحسن الي أم لا فقال له الاستاذ ان كان منعك ما هو لك فقد أساء وان كان منعك ما هو له فيختص برحمته من يشاء فانصرف الحاضرون وهم يقولون والله ليس عن هذا جواب وفي حياة الحيوان أن ملكا قال لمنجميه انك تموت في اليوم الفلاني في الوقت الفلاني بلدغة عقرب فلما آن الوقت تجرد من ثيابه وركب فرسه بعد غسلها وتسريح شعرها ودخل به البحر حذرا فعطست فرسه فخرج من منخرها عقرب فشربها الماء حتى تعلقت به فلسعته فمات وما أغناه الحذر من القدر * وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحاج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة فقال له آدم يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة أتلومني على أمر قدره الله علي قبل ان يخلقني قال فحج آدم موسى * وعن أنس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما أرسلني في حاجة فلم تهيأ الا قال لو قضي كان ولو قدر كان * وعن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيما يروي عن ربه عز وجل من لم يرض بقضائي وقدري فليطلب ربا سواي وعن علي رضي الله تعالى عنه في تفسير قوله سبحانه وتعالى وكان تحته كنز لهما قال كان لوحا من ذهب مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله عجبا لمن أيقن بالموت كيف يفرح وعجبا لمن أيقن بالنار كيف يضحك وعجبا لمن أيقن بالقدر كيف يحزن وعجبا لمن يرى تقلب الدنيا بأهلها حالا بعد حال كيف يطمئن اليها وعن عثمان رضي الله تعالى عنه ان الكنز هو اللوح من ذهب فيه سبعة أسطر مكتوب فيها سبع كلمات عجبت لمن عرف الدنيا وهو يرغب فيها وعجبت لمن عرف الامور بالقدر كيف يغتم بالفوات وعجبت لمن عرف الحساب وهو يجمع المال وعجبت لمن عرف النار وهو يذنب وعجبت لمن عرف الجنة يقينا وهو يستريح وعجبت لمن عرف الله يقينا وهو يذكر غيره * قال

من حيث انها نفس واحدة وبعضهم اراد الحديث المؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى اليه سائر الجسد وقال بعضهم اراد بهذا الحديث كف الاذى والمكروه عن الناس وشبه معناه قول الاحنف ابن قيس حين سئل عن تعلمت الحلم قال من نفسي قيل له وكيف ذلك قال كنت اذا كرهت شيأ من غيري لم آته بمثله وذكر مالك في موطئه قيل لقمان ما بلغ بك ما نرى يريدون الفضل قال صدق الحديث وأداء الامانة وترك ما لا يعنيني وروي أبو عبيدة عن الحسن قال من علامة اعراض الله عز وجل عن العبد ان يجعل شغله فيما لا يعنيه * (تنبيه) ينبغي للانسان ان يشتغل بما ينفعه من قراءة قرآن واستغفار وذكر ونحوه فان الشيطان يرضى منه بتضييع عمره من غير فائدة لعلمه بان عمره جوهر نفيس كل نفس منه لا قيمة له فاذا صرف الانسان عمره في طاعة سلم وغنم * وقد ورد ان بكل تسبيحة صدقة وان من قرأ سورة الاخلاص عشر مرات بنى له قصر في الجنة ومن قال سبحان الله والحمد لله الخ غرست له شجرة في الجنة فاين هذا ممن لا يستفيد شيأ وأشر من ذلك أن يتكلم بكلمة يغضب بها مولاه أو يؤذي بها أخاه * وقد ورد ان العبد ليتكلم الكلمة من الشر لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم أبعد ما بين المشرق والمغرب وربما كانت تلك الكلمة سببا في سنة سيئة يستمر العمل بها بعده فلا

يزال يسلب في قبره ما دام يعمل به فقيل يا ويلي من مات ولم تمت سيآته لان العبد اذا مات انقطعت أعماله الا من عمل عملا صالحا يعمل به من بعده كعلم أو وقف نسأل الله حسن الخاتمة وفي الخبر من نوعا ان الرجل ليتكلم بالكلمة فما يرى بها الا أن يضحك القوم يهوى بها بعد ما بين السماء والارض وفي (٧٨) حديث ابن عمر رضي الله عنهما لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسو قلوبكم وان أبعد القلوب من الله القلب القاسي ﴿ومواعظ تتعلق بالامانة تسمى المجالس﴾ قال الله تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها قيل المراد من الآية جميع الامانات وعن البراء بن عازب وابن مسعود وأبي بن كعب الامانة في كل شيء الوضوء والصلاة والزكاة والصوم والكيل والوزن والودائع وقال ابن عمر خلق الله تعالى نوع الانسان وقال هذه الامانة خبأتها عندك فاحفظها الا بحقها ﴿واعلموا ان في كل عضو من اعضاء الانسان أمانة فامانة اللسان أن لا يستعمله في كذب أو غيبة أو بدعة أو نحوها وأمانة العين أن لا ينظر بها الى محرم وأمانة الاذن أن لا يصغي بها الى استماع محرم وهكذا سائر الاعضاء فهذه كلها امانات مع الله تعالى وأما مع الناس فرد الودائع وترك التطفيف في كيل أو وزن أو ذرع وشر التجار من اذا اشترى أرخى الذراع واذا باع شد الذراع وامانة الامراء العدل في الرعية وامانة العلماء في العامة أن يحملوهم على الطاعات والاخلاق الحسنة من وينهوهم عن المعاصي وسائر القبائح كالمعصيات الباطنة وامانة المرأة في حق زوجها ان لا تخونه في فراشه أو ماله ولا تخرج من بيته بغير اذنه وامانة العبد في حق سيده ان لا يقصر في خدمته ولا يخونه في ماله وقد اشار صلى الله عليه وسلم الى ذلك كله بقوله كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته واما الامانة مع النفس فبان يختار لها الانفع في الدين والدنيا وان يجتهد في مخالفة

صدقت قال فاخبرني عن الاحسان ﴿أراد به الاخلاص قال فيه الشبه الذي للذكر في الآيات الشريفة نحو الذين أحسنوا الحسنى وزيادة وان الله يحب المحسنين وهل جزاء الاحسان الا الاحسان اذا احسان العبادة الاخلاص فيها والخشوع وفراغ البال حال القلب بها ويعدي بنفسه كاحسنت كذا اذا أتقنته وأكملته وأمكنته ويحرف الجر كاحسنت اليه اذا أوصلت اليه النفع وأصله من الحسن خلاف القبح وهما من الاول لان المقصود اتقان العبادة وقد يلحظ الثاني بان المخلص مثلا يحسن باخلاصه الى نفسه وسئل شقيق عن الاخلاص فقال تمييز العمل من الرياء كتمييز اللبن من فرث ودم سائغا سهل المرور في الحلق وقيل ترك حب المدح على العمل وقيل سر بين العبد وربه لا يطلع عليه ملك مقرب فيكتبه ولا شيطان فيفسده جاء في الحديث المسلسل الرباني الاخلاص سر من سري استودعته قلب من احببت من عبادي ولا نظر قوله لا يطلع عليه ملك مقرب فيكتبه هل هو مبني على ان عمل القلب لا يكتب أو على انه يكتب ويستثنى منه الاخلاص ﴿قال﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿أن تعبد الله﴾ من عبد اطاع والتعبد التنسك والعبودية الخضوع والذل يقال طريق معبد اذا زلل بالارجل وفي رواية أبي هريرة وعمارة بن القعقاع أن تخشى الله فعبر عن المسبب باسم السبب توسعا والعبادة ما تعبد به بشرط النية ومعرفة المعبود كالصلاة والقربة ما تقرب به بشرط معرفة المتقرب اليه كالعتق والوقف والطاعة امتثال الامر والنهي كالنظر المؤدي الى معرفة الله تعالى قاله شيخ الاسلام ﴿كأنك تراه﴾ هذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم لانا لو قدرنا ان أحدا قام في عبادة ربه وهو يعاينه سبحانه وتعالى لم يترك شيئا مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت وحفظ القلب والجوارح واجتماعه بظاهره وباطنه الآتي به قال الكرماني * فان قلت كأنك تراه ما محله من الاعراب * قلت هو حال من الفاعل أي تعبد الله مشبها بمن تراه اه اي شيئا بمن تنظر اليه خوفا منه وحياء والاولى ان ينزل على معنى التشبيه ويكون التقدير الاحسان عبادتك الله تعالى حال كونك في عبادتك مثل حال كونك رائيا له وهذا التقدير أحسن وأقرب للمعنى من تقدير الكرماني لان المفهوم من تقديره ان يكون هو في حال العبادة مشبها بالرائي اياه وفرق بين عبادة الرائي بنفسه وعبادة المشبه بالرائي بنفسه ﴿فان لم تكن تراه﴾ فاستمر على احسانك العبادة ﴿فانه يراك﴾ اذ هو القائم على كل نفس بما كسبت المشاهد لكل احد من خلقه في حركته وسكونه وان للشرط وان لم تكن تراه جملة وقعت فعل الشرط * فان قلت اين جزاء الشرط قلت محذوف تقديره فان لم تكن تراه فاحسن العبادة فانه يراك * فان قلت لم لا يكون قوله فانه يراك جزاء للشرط قلت لا يصح لانه ليس مسببا عنه ويقتضي ان يكون فعل الشرط سببا لوقوع الجزاء كما تقول ان جئتني أكرمتك فان المجيء سبب الاكرام وعدمه سبب لعدمه وههنا عدم رؤية العبد ليست بسبب لرؤية الله تعالى فان الله سبحانه وتعالى يراه سواء وجدت من العبد رؤية أم لم توجد * وحكي عن محمد بن سكران وهو

شهوانها وارادتها فانها السم الناقع المهلك لمن أطاعها في الدنيا والآخرة * قال أنس رضي الله عنه فما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قال لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له وقد عظم الله تعالى أمر الامانة فقال انا عرضنا الامانة اي التكاليف التي كلف الله بها عباده من امتثال الاوامر واجتناب النواهي على السموات والارض والجبال (٧٩) فابين ان يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان اي آدم عليه السلام انه كان ظلوما أي لنفسه بقبوله تلك التكليفات الشاقة جهولا اي بمشاقها التي لا تتناهي وليتأمل قوله تعالى ان الله لا يهدي كيد الخائنين فانه شدد كيد من خان أمانته وقيل ان الله تعالى خلق الدنيا كالبستان وزينها بخمسة اشياء علم العلماء وعدل الامراء وعبادة الصلحاء ونصيحة المستشار وأداء الامانة فتسرن ابليس مع العلم بالكتمان ومع العدل بالجور ومع العبادة بالرياء ومع النصيحة بالغش ومع الامانة بالخيانة وفي الحديث أول ما يرفع من الناس الامانة وآخر ما يبقى الصلاة ورب مصل ولا خير فيه وفيه اذا حدث احدكم فلا يكذب واذا وعد فلا يخلف واذا ائتمن فلا يخن وفيه اضمنوا لي اثنين اضمن لكم الجنة اصدقوا اذا حدثتم واوفوا اذا وعدتم وأدوا الامانة اذا ائتمنتم وفيه اكفلوا لي بستة اكفل لكم الجنة

من مشاهير مشايخ بغداد انتظرين انه وقف على قوله قارئ تكون وهو اشارة الى مقام المحو والفناء وتقديره فان لم تكن أي لم تصر شيئا وفنيت عن نفسك حتى كأنك ليس بموجود فانك حينئذ تراه فانها الحجاب بينك وبين شهوده فمن أتى الحجاب بأي الجناب وهو شهوده بما يحكى عن أبي يزيد قاله قال رأيت رب العزة في المنام فقلت يا رب كيف الطريق اليك فقال خل نفسك وتعال قال الصلاح الصفدي وغفل هذا القائل الجهول بالعربية على انه لو كان المراد ما زعم لكان قوله تراه محذوف الالف لانه يصير مجزوما لكونه على زعمه جواب الشرط وتعقبه الدماميني بقوله انما تصح هذه الدعوى التي عارض بها الصفدي لو كان الجواب في هذه الصورة مما يجب جزمه ومنوع فقد نص الامام جمال الدين ابن مالك في التسهيل على ان الشرط اذا كان منفيا بلم جاز رفع الجواب بكثرة وكفانا به حجة على ان الشراح قبلوا هذا منه ولم يعقبوه ولا عليه فيصح قولنا ان لم يقم زيد يقم عمرو ويخرج عليه الحديث فلا يكون رفع الفعل المضارع الذي هو تراه مانعا من دعوى كونه جوابا للشرط اه وقوله أن تعبد الله كأنك تراه اشارة الى حال المشاهدة وقوله فان لم تكن تراه فانه يراك اشارة الى حال المراقبة قال بعضهم من راقب الله في خواطره عصمه الله في جوارحه وسئل ابن عطاء ما أفضل الطاعات فقال مراقبة الحق على دوام الاوقات ورأى شخص مسافر غلاما يرعى غنما فقال له تبيع من هذه الغنم واحدة فقال انها ليست لي فقال قل لصاحبها ان الذئب أخذ منها واحدة فقال الغلام وأين الله وقال أبو عبد الله الرازي سمعت أبا عثمان يقول قال لي أبو حفص اذا جلست للناس فكن واعظا لقلبك ولنفسك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فانهم يراقبون ظاهرك والله يراقب باطنك ﴿قال فاخبرني عن الساعة﴾ أي عن زمن وجودها ووقت قيامها لا عن نفسها لانها مقطوع بها وهي لغة مقدار ما من الزمن غير معين ولا محدد اقوله تعالى ما لبثوا غير ساعة وفي عرف أهل الميقات جزء من أربعة وعشرين جزأ من أوقات الليل والنهار وفي عرف أهل الشرع عبارة عن القيامة وهو المراد هنا وأصلها سوعة بتحريك الواو قلبت الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وسميت ساعة مع طول زمانها اما لوقوعها بغتة لانها تفجأ الناس في ساعة فتموت الخلائق كلهم صيحة واحدة حتى ان من تناول لقمة لا يمولها حتى يبتلعها وحتى ان الرجلين يكون بينهما الثوب لا يتبايعانه ولا يطويانه ولذا قال المفسرون في قوله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون أي يختصمون في متاجرهم وما املاتهم فيموتون في مكانهم واما لسرعة حسابها واما تسمية للكل باسم البعض والمراد أول ساعاتها واما لانها على طولها كساعة عند الله على الخلائق واما لان طولها على الكفار واما المؤمنون فانها تكون عليهم كساعة لحديث أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قلت ما أطول هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة المكتوبة يصليها في الدنيا ﴿قال ما المسؤول﴾

الصلاة والزكاة والامانة والفرج واللسان وفيه ثلاث متعلقات بالعرش الرحم تقول اللهم اني بك وصلت فلا تقطع والامانة تقول اللهم اني بك فلا أخان والنعمة تقول اللهم اني بك فلا أكفر وفيه يؤتى بالعبد يوم القيامة ان قتل في سبيل الله فيقال له أد أمانتك فيقول أي رب كيف وقد ذهبت الدنيا فيقال انطلقوا به الى الهاوية وتمثل له الامانة كهيئتها يوم دفعت اليه فيراها فيعرفها فيهوي في أثرها حتى يدركها فيحملها على منكبيه حتى اذا ظن انه خارج زلت عن منكبيه فهو يهوي في أثرها أبد الآبدين

ثم قال الصفار اما نقوا وأوضحوا ما نقوا والوزن اما نقوا والكيل اما نقوا وعدا شياء واشد ذلك الودائع وقال صلى الله عليه وسلم اد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك اى لا تقابله بخيانته اللهم وفقنا أجمعين آمين والحمد لله وحده ﴿ المجلس الثالث عشر في الحديث الثالث عشر ﴾ الحمد لله رب العالمين (٨٠) والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الاولين والآخرين وعلى آله وصحبه اجمعين ﴿ عن ﴾ ابي حمزة (انس بن مالك) خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه رواه البخاري ومسلم ﴾ اعلموا اخواني وفقني الله وايا كم لطاعته ان هذا الحديث قاعدة من قواعد الاسلام الموصى به في قوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ولاشك ان النفس الشريفة تحب الاحسان وتجتنب الاذى فاذا فعل ذلك حصلت الالفة وانتظم حال المعاش والمعاد ومشت احوال العباد (قوله لا يؤمن احدكم) اى الايمان الكامل (حتى يحب لاخيه) اى في الايمان من غير ان يخص محبته احدا دون احد لقوله تعالى انما المؤمنون اخوة ولانه مفرد مضاف فيعم قال ابن العماد رحمه الله الاولى ان يحمل على عموم الاخوة حتى يشمل الكافر والمسلم فيحب للكافر ما يحب لنفسه من دخوله في الاسلام كما يحب لاخيه المسلم الدوام على الاسلام ولهذا كان الدعاء له بالهداية مستحبا (قوله ما يحب لنفسه) اى مثل ما يحب لنفسه والمراد ما يحب من الخير والمنفعة اذ الشخص لا يحب لنفسه الا الخير وفي رواية النسائي حتى يحب لاخيه من الخير ما يحب لنفسه اى ويبغض له مثل ما يبغض لنفسه ولفظه عند مسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه او قال لجاره ما يحب لنفسه واعلم ان الخير

ما نافية بمعنى ليس وفي رواية ابي فروة فنكس فلم يجبه ثم اعاد فلم يجبه ثم اعاد فلم يجبه فلما ثم رفع رأسه فقال ما المسؤل ﴿ عنها ﴾ اى عن زمنها ﴿ باعلم ﴾ خبرما وزيدت الباء لتاكيد معنى النفي ﴿ عن السائل ﴾ اى كلا ما سواه في عدم العلم بزمن وقوعها ان الله عنده علم الساعة ان الساعة آتية اكاد اخفيها يسئلونك عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها عند ربي الآيات وفي الصحيح مفتاح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله تعالى وتلا ان الله عنده علم الساعة الآية قال بقاتل نزلت هذه الآية في رجل من أهل البادية اسمه عبد الوارث بن عمرو بن حارثة أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ان امراتي حبلى فاخبرني ماذا تلد وبلادنا جدبة فاخبرني متى ينزل الغيث وقد علمت متى ولدت فاخبرني متى أموت وقد علمت ما عملت اليوم فاخبرني ماذا أعمل غدا واخبرني متى تقوم الساعة فانزل الله هذه الآية فان قلت لم قال ما المسؤل عنها باعلم من السائل والمقام يقتضي أن يقال لست باعلم بها منك فالجواب انه اتى بذلك اشعارا بالتعميم تعريضا للسامعين بان كل مسؤل وكل سائل كذلك ووقع هذا السؤال والجواب بين عيسى ابن مريم وجبريل لكن كان عيسى سائلا وجبريل مسؤلا كما أخرجه الحميدي في افراده عن الشعبي قال سال عيسى ابن مريم جبريل عن الساعة فانتفض باجنحته وقال ما المسؤل عنها باعلم من السائل اه فان قيل قوله صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين يدل على ان عنده منها علما والآيات تقتضي ان الله منفرد بعلمها * فالجواب كما قال الحليمي ان معناه انا النبي الاخير فلا يابتي نبي آخر وانما تليني القيامة والحق كما قال جمع ان الله سبحانه وتعالى لم يقبض نبينا عليه الصلاة والسلام حتى أطلعه على كل ما أبهمه عنه الا انه امره بكتم بعض والاعلام ببعض فان قلت ما الحكمة في انه قال له صدقت فيما سبق دون ما هنا وما يأتي * فالجواب ان مسلما زاد في رواية عمارة بن القعقاع قول السائل صدقت عقب كل جواب فبعض الرواة اقتصروا ببعضهم اتم وفي الحديث دلالة على انه يطلب من العالم اذا سئل عما لا يعلم ان يقول لا اعلم ولا يكون ذلك منقصا لمرتبته بل يستدل به على ورعه وتقواه ومن ثم سئل النبي صلى الله عليه وسلم اى بقاع الارض افضل فقال لا ادري حتى أسال جبريل فساله فقال لا ادري حتى اسال العالم ثم ذهب وأتاه فقال ان الله عز وجل يخبرك ان خير بقاع الى رض المساجد وشرها اسواقها رواه البزار وقال على كرم الله وجهه ما أبردها على كبدي اذا سئلت عما لا أعلم ان أقول لا اعلم وقال الهيثم بن جميل شهدت مالكا رضي الله تعالى عنه سئل عن ثمان وأربعين مسئلة فقال في اثنين وثلاثين منها لا أدري وقيل سئل عن أربعين فاجاب عن اربع وقال في الباقي لا أدري وكان يقول ينبغي ان يورث العالم جلساءه قول لا ادري حتى يكون ذلك اصلا في ايديهم يفزعون اليه فاذا سئل احدهم عما لا يدري قال لا أدري ﴿ قال فاخبرني عن امارتها ﴾ بفتح الهمزة بالجمع اذ هي بكسرها الولاية اى علاماتها ومنه سمي الشرط لانهم يعلمون انفسهم بعلامات يعرفون بها وقيل مقدماتها وقيل صغار امورها وقيل اوائلها وروى امارتها بالافراد والمراد اشراطها السابقة لا المقارنة والمضايقة كطلوع الشمس

اسم جامع للطاعات والمباحات دنيوية وأخروية وقد جاء في حديث انظر أحب ما تحب أن تأتيه الناس إليك فأته إليهم وفي كلام بعضهم أرض للناس بما تنفسك ترضى ﴿تنبيه﴾ لا بد أن يكون المعنى غير باطل وإلا فقد يكون غيره مما نهى عنه وهو مباح له كحب الشخص وطء زوجته أو أمته فلا يدخل في هذا المعنى ﴿والتكلم على نكتة ظريفة تتعلق بالإيثار﴾ (٨٩) مناسبة للمقام ﴿اعلموا أن

من المغرب وخروج الدابة ومن ثم قال القرطبي أمارات الساعة قسمان ما يكون من نوع المعتاد وغيره والمذكور هنا الأول وأما الغير المعتاد كطلوع الشمس من مغربها فتلك مقارنة لها ومضايقة ﴿قال أن تلد الأمة﴾ أي الجارية وفي رواية البخاري إذا ولدت الأمة وهي كما قال الحافظ ابن حجر كالكرماني أولى لاشعارها بتحقيق الوقوع قال الكرماني ولهذا يصح أن يقال إذا قامت القيامة كان كذا لا إن قامت القيامة كان متى كذا بل يكفر قائله لإشعاره بالشك فيه اهـ ويتعين حمل كلامه على من عرف هذا المعنى واعتقده والا فكثيرا ما تستعمل إن موضع إذا وبالعكس لأغراض وقد ثبت في علم المعاني وال في الأمة للتعريف الماهية أو للمعهود عند المخاطب دون الاستغراق لعدم إطراده ذلك في كل أمة ﴿ربتها﴾ بإثبات التاء أي سيدتها يقال فلانة ربة البيت أي سيدته ومن ربات الحجال وفي رواية أبي ذر وربها أي سيدها وفي رواية عثمان بن غياث أربابهن بلفظ الجمع وقد اختلف في معناه على أوجه الأول قال الخطابي وأكثر العلماء انه كناية عن كثرة السراري اللازمة لكثرة الفتوح والاستيلاء على بلاد الكفر وسبي ذراريهم حتى تلد السرية بنتا أو ابنا لسيدها فيكون ولدها سيدها كأبيه أي لأن قوة الإسلام وبلوغ أمره غايته منذر بالتراجع والانحطاط المؤذن بقرب القيامة وتعقبه الحافظ ابن حجر بأن إيلاد الإماء كان موجودا من بقالة والاستيلاء على بلاد الكفر وسبي ذراريهم واتخاذهم سراري كان أكثر في صدر الإسلام والسياق يقتضي الإشارة إلى وقوع ما لم يقع مما سيقع قرب قيام الساعة الثاني قال الخطابي انه كناية عن كون الأرقاء يلون الملوك فتكون أم المالك من جملة رعيته وهو سيدها وسيد غيرها من رعيته ويؤيده إلى أن الرقباء في الصدر الأول كانوا يستكفون غالبا عن وطء الإماء ويتنافسون في الحرائر ثم انعكس الأمر سواء اشتراه ولد من العباس لكن رواية ربتها بالتاء تبعد لا تساعده لتذكير كون الآتي ملكة الثالث انه كناية عن كثرة بيع المستولدات لفساد الزمان حتى يشتري الولد أمه وهو عارف بها أو حيث لا يشعر فالعلاقة الاستعانة بالأحكام الشرعية أو غلبة الجهل الناشئ عنه بيع أم الولد قال المؤلف وهذا لا يختص بأمهات الأولاد بل يتصور في غيرهن فان الأمة قد تلد حرا بوطء غير سيدها بشبهة أو ولدا رقيقا بنكاح أو زنا ثم تباع بيعا صحيحا وتدور في الأيدي حتى يشتريها ولدها الرابع ان ولدها الولد لما كان سببا في عتقها بموت أبيه اطلق عليه ذلك مجازا الخامس انه كناية عن كثرة عقوق الأولاد لأمهاتهم فيعاملونهم معاملة السيد أمته من ألهانة والسب واطلق عليه بها مجازا لذلك ويستأنس له برواية ان تلد المرأة بخير لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا السادس ان المراد بالرب المربي فيكون حقيقة قال الحافظ ابن حجر وهذا أوجه الأوجه عندي لعمومه ومحصله ان الساعة يقرب قيامها عند انعكاس الأمور بحيث يصير المربي مربيا والعالم متعلما والسافل عاليا وأيد بان المناسب لقوله في العلامة الأخرى وان تصير الحفاة العراة ملوك الأرض وحينئذ فقول بعضهم في الرد عليه انه ليس بأوجه الأوجه بل أضعفها لان النبي صلى الله

الإيثار أمر عظيم مدح الله تعالى أهله في كتابه الكريم فقال وبقوله يهتدي المهتدون ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون قال العلماء الإيثار على أنواع ايثار في الطعام وايثار في الشراب وايثار في النفس والروح وايثار في الحياة * فاما الإيثار في الطعام فقد روى ان رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أهدى اليه رأس مشوي فقال أخي فلان وعياله أحوج الى هذا منا فبعثه اليه وبعثه ذاك الى آخر فلم يزل يبعث به من واحد الى واحد حتى تداولته سبع بيوت فرجع الى الأول وفي ذلك نزل قوله سبحانه ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقيل ان الآية نزلت في ضيف أضافه النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الى بيت نسائه فقلن ما عندنا الا الماء فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم من أكرم ضيفي هذه الليلة فله الجنة فقال رجل أنا فانطلق به الى امرأته فقال لها أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما عندنا الا قوت الصبيان فقال لها هيئي طعامك وأصلحي سراجك ونومي صبيانك اذا أرادوا عشاء ففعلت ثم قامت كأنها تصلح سراجها فاطفأته فجعلا يريانه أنهما يأكلان وناما طاويين فلما أصبح غدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضحك الله من صنيعكما أو من فعالكما فأنزل الله تعالى الآية * وحكي عن

ابن الحسين الانطاكي انها اجتمعن اليه ثلاثون نفسا في قرية تعرف بالري وكان لهم أرغفة معدودة لم تشبع جميعهم فكسروا الرغفان وأطفؤا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع اذا الطعام على حاله وما أكل منهم احد فايثار الصاحبة على نفسه وقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أيثار المرء اشتهى شهوة فردشهوته وآثر على نفسه غفرله * حكي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان مريضا فعوفي من مرضه فاشتهى على جماعة سمكا مشوية فاتي اليه بها فلما وضعت بين يديه اذا السائل على الباب واقف يسأل فقال غلامه ادفع اليه هذه السمكة فقال له انه أحبها ولم تأكلها فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون * وحكي ان ابراهيم بن أدهم وشقيقا البلخي اجتمعا بواسط فقال شقيق لابراهيم كيف تعملون اذا لم تجدوا شيا فقال ان أعطينا شكرنا وان منعنا صبرنا فقال شقيق هكذا عندنا كلاب بلخ فقال ابراهيم كيف تعملون أنتم فقال ان أعطينا آثرنا وان منعنا شكرنا فقام ابراهيم وقبل رأس شقيق وقال أنت الاستاذ * وأما الايثار بالماء فاحكي ان جماعة استشهدوا باليرموك فاتي اليهم بماء وفيهم الروح فاتى الى واحد منهم بالماء فاشار اليهم ان اسقوا فلانا فاتوا اليه فاشار اليهم ان اسقوا فلانا وهكذا فماتوا كلهم ولم يشربوا من الماء ايثارا منهم لاصحابهم ولبسوا

عليه وسلم اتباعه هذا من أشراط الساعة لكونه على نمط خارج على وجه الاستغراب دال على فساد أحوال الناس والذي ذكره ليس من هذا القبيل غير ظاهر نعم الانصاف ان قوله ربتها بالتاء يبعده ووقع في بعض الروايات أن تلد الامة بعلها والصحيح ان البعل بمعنى السيد فتكون بمعنى ربها على ما سلف قال أهل اللغة بعل الشيء مربه وما الكعقال تعالى أتدعون بعلا أي ربا قاله ابن عباس وغيره وعن ابن عباس لم أدر معنى البعل حتى قلت لاعرابي لمن هذه الناقة قال أنا بعلها وضلت ناقة لبعض العرب فجعل ينادي من رأى ناقة أنا بعلها فجعل الصبيان يقولون لمن زوج الناقة وقيل المراد هنا الزوج ويكون معناه أنه يكثر بيع السراري حتى يتزوج الانسان أمه وهو لا يدري وهذا أيضا معنى صحيح الا أن الاول أظهر لانه اذا أمكن حمل الروايتين في القصة الواحدة على معنى واحد كان أولى فان قيل كيف أطلق الرب على غير الله وقد ورد النهي عنه بقوله لا يقل أحدكم ربي وليقل سيدي ومولاي فالجواب ان الممنوع اطلاقه على غير الله بدون الاضافة واما بالاضافة فلا يمنع ان يقال رب الدار ورب الناقة ﴿ وان ترى الحفاة ﴾ جمع حافيا لمهملة وهو من لا نعل برجله ﴿ العراة ﴾ من الثياب جمع عار وهو المتجرد من الثياب التي تلبس على جسده وفي رواية العفدة اي الخدمة وآل المفهوم عند المخاطب أو لتعريف الماهية لا الاستغراقية لقضاء العادة بان كلا منهم لا يحصل له ذلك ﴿ العالة ﴾ بتخفيف اللام أي الفقراء جمع عائل من عال افتقر كتاجر وكتبة والالف في العالة منقلبة عن ياء والاصل عيلة والعيلة باسكان الياء الفقر قال الله تعالى وان خفتم عيلة ﴿ رعاء ﴾ بكسر أوله وبالمد جمع راع كجياع جمع جائع ويجمع أيضا على رعاة بضم أوله وهاء آخره مع القصر كقضاة جمع قاض وعلى رعيان كشاب وشبان والرعي حفظ الغير لمصلحة ﴿ الشاء ﴾ جمع شاة وهو من الجموع التي يفرق بينها وبين واحدها بالهاء كشجر وشجرة وتمر وتمرة زاد الاسماعيلي في رواية الصم البكم أي لم يستعملوا اسماعهم ولا ألسنتهم في علم ونحوه من أمر دينهم فلعدم حصول ثمرتي السمع واللسان صاروا كانهم عدمها ومن ثم قال الله تعالى في حقهم أولئك كالانعام بل هم أضل وفي رواية لمسلم رعاء البهم بفتح الباء الموحدة جمع بهيمة وهي صغار الضان والمعز وقيل أولاد الضان والمعز وقيل أولاد الضان خاصة واقتصر عليه الجوهري وفي رواية البخاري رعاء الابل البهم بضم الباء لا غير جمع أبهم وهو الذي لا شية له قاله الكرماني وقال القاضي جمع بهيم وهو الاسود الذي لا يخالطه لون غيره وعلى رواية البخاري فيه وجهان الرفع صفة لرعاء والجر صفة الابل والمعنى على الرفع انهم مجهولو الانساب وقيل سود الالوان وقيل الذين لا شية لهم وعلى الجر الابل السود لانها اشر الابل عندهم وخيرها الحمر التي يضرب بها المثل فيقال خير من حمر النعم قال في الفتح ووقع في رواية الاصيلي بفتحها ولا يجمع مع ذكر الابل وانما يجمع مع ذكر الضان او مع عدم الاضافة وخص مطلق الرعاء لانهم أضعف الناس ورعاء الشاء لانهم اضعف الرعاء ومن ثم قيل رعاء الشاء انسب بالسياق من رواية رعاء الابل اليهم فانهم اصحاب فخر وخيلاء

وأما الايثار بالنفس والروح فما روي أن عليا رضي الله عنه بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فاوحى الله الى جبريل وميكائيل عليهم السلام اني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فايكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كلاهما الحياة فاوحى الله سبحانه اليهما أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين نبي محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره

بالحياة قال اهبطا الى الارض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبريل ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي بك الملائكة * واما الايثار في باب الحياة فاذكر عن ابن عطاء انه قال سمي شاب بالصوفية الى بعض الخلفاء وطمن فيهم عنده فاخذ والنوري وأبا حمزة وجماعة منهم فاوقفوهم على الخليفة فامر بضرب (٨٣) أعناقهم فبادر النوري الى السياف ليضربه عنقه فقال له السياف مالك بادرت من بين اصحابك الى القتل فقال أحببت أن أوثر اصحابي بحياة هذه اللحظة فاعجب السياف وجميع من حضر فعله وأخبر الخليفة بذلك فرد أمرهم الى القاضي فتقدم اليه النوري فساله عن الفرائض وعن الشرائع فاجابه ثم قال وبعد هذا فان لله عبادا يأكلون بالله ويشربون بالله ويسمعون بالله ويبصرون بالله ويردون بالله فلما سمع القاضي كلامه بكى بكاء شديدا ثم دخل على الخليفة وقال ان كان هؤلاء زنادقة فمن الموحد ثم أطلقهم نفعنا الله بهم

﴿سؤال﴾ فان قيل كيف يحصل الايمان الكامل بالمحبة المذكورة في الحديث مع انه أركانا أخر فالجواب ان ذكر المحبة مبالغة لانها الركن الاعظم نحو الحج عرفة أو هي مستلزمة لبقية الاركان

﴿ولنختم المجلس بحكاية ظريفة﴾ تتعلق باصطناع المعروف وان المعروف لا يضيع ولو مع غير أهله * حكي ان رجلا كان يعرف بابن حمير وكان له ورد وكان ذا ورع يصوم النهار ويقوم الليل وكان مبتلى بالقنص فخرج ذات يوم بصيده اذ عرضت له حية فقالت يا محمد بن حمير أجرني أجارك الله فقال لها ممن فقالت من عدو قد ظلمني قال لها وابن عدوك قالت ورائي قال لها ومن أي أمة أنت قالت من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال فتحت ردائي وقلت لها ادخلي فيه قالت يراني عدوي قلت لها فما الذي أصنع بك قالت ان أردت اصطناع المعروف فافتح لي فاك

وليسوا عالة ولا فقراء غالبا ويجاب بان نظرهم انما هو بالنسبة لرعاء الشاء لا غير الرعاء فالقصد حاصل بذكر مطلق الرعاء ولكنه برعاء الشاء أبلغ فان قلت القصة غير متعددة فكيف الجمع بين الروايتين فالجواب كما قال الهيتمي انه يحتمل انه صلى الله عليه وسلم جمع بينهما فقال رعاء الابل والشاء فحفظ راو الاول وآخر الثاني ﴿يتطاولون في البنيان﴾ أي يتفاخرون بطول البناء وكثرته وقد أخرج ابن أبي الدنيا عن عمار بن أبي عمار انه قال اذا رفع الرجل بناءه فوق سبعة أذرع نودي يا أفسق الفاسقين الى اين ومثله لا يقال من قبل الرأي والتفاعل فيه بين أفراد العراة الموصوفين عاذكر لا بينهم وبين غيرهم ممن كان عزيزا قبيل خلافة من وهم فيه وهو مفعول ثان ان جعلت الرؤية قلبية وحال ان جعلت بصرية ومعناه أن أهل البادية وأشباههم تبسط لهم الدنيا ويصيرون أهل ثروة وشوكة فيملكون البلاد ويتوطنونها فيبنون القصور المرتفعة ويتباهون بها فهو اشارة الى كون الاسافل يصيرون ملوكا أو كالملوك وتولي الرياسة من لا يستحقها وتعاطي السياسة من لا يحسنها وفي الحديث يؤجر ابن آدم في كل شيء الا ما يضعه في التراب وما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشيد بنيانا ولا طوله وروى البيهقي في شعب الايمان عن الاعمش بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى بناء أكثر مما يحتاج اليه كان عليه وبالا وفي رواية عبد الرحمن بن حميد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل ما أنفق العبد من نفقة فهي الله خلفها ضامنا فيه الا نفقة في بنيان أو معصية وعن عمر بن عبد العزيز انه كان لا يبني بيتا ويقول سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وعن ميسرة قال ما بنى عيسى عليه السلام بنيانا قط فقيل له ألا تبني بيتا فقال لا أترك بعدي شيئا من الدنيا أذكر به وعن ابن مطيع انه نظر يوما الى داره فاعجبه حسنها فبكى ثم قال والله لولا الموت لكنت بك مسرورا ولولا ما نصير اليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا ثم بكى حتى ارتفع صوته ومن ثم صح لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع قال أهل اللغة اللكع اللئيم والمرأة لكاع أو لئيم بن لئيم وصح أيضا من اشراط الساعة أن توضع الاخيار وترفع الاشرار فان قيل الامارات جمع وأقله ثلاثة على الاصح ولم يتكلم الا على اثنين فالجواب ان هذا رد على مذهب من يرى ان أقله اثنان أو حذف الثالث لحصول المقصود بما ذكر كما قيل في قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم أو ان المذكور من الاشراط ثلاثة وانما بعض الرواة اقتصر على اثنين منها فذكرهنا الولادة والتطاول وذكر البخاري في التفسير الولادة ورؤية الحفاة وذكر في رواية أخرى الثلاثة وذكرها بين العلامتين تحذير الحاضرين وغيرهم منها والا فالساعة لها علامات كثيرة كقبض العلم وكثرة الزلازل وكثرة الفتن وفيض المال حتى لا يجد الرجل من يدفع له زكاة ماله وكثرة الهرج يعني القتل واضاعة الصلاة والامانة وأكل الربا وخروج الدجال وخروج يأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة المشار اليها بقوله تعالى واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم

ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون قال الترمذي تخرج ومعها عصى موسى وخاتم سليمان فتجلو وجوه المؤمنين بالعصا وتخطم أنف الكافر بالخاتم حتى ان اهل المائدة الواحدة يجتمعون للطعام فينادي بعضهم لبعض يا مؤمن ويا كافر لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب حتى ان الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه وتقول يا فلان الآن تصلي قيل وهذه الدابة هي الفصيل الذي كان لناقة صالح عليه السلام فلما عقرت امهاربت وانتبع لها حجر فدخلت فيه فانطبق عليها وهي فيه الى وقت خروجها ولقد احسن من قال

واذكر خروج فصيل ناقة صالح * يسم الورى بالكفر والايمان

قال الشيخ محمد المصري في تفسيره وهي الجساسة روى ان طولها ستون ذراعا ولها قوائم وزغب وريش وجناحان وتسير في الارض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب وقيل هي فصيل ناقة صالح وروي انها على خلقة الآدميين وهي في السحاب وقوائمها في الارض وانها جمعت من خلق كل حيوان وانها تخرج ومعها عصى موسى وخاتم سليمان فتجلو المؤمن بالعصى وتختم انف الكافر بالخاتم فيعلم الكافر من المؤمن وينقطع بخروجها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يؤمن كافر كما اوحى الله الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن وقيل انها تخرج من الصفا وروى انه عليه السلام سئل عن مخرجها فقال من أعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام وقيل تخرج من تهامة وقيل من مسجد الكوفة من حيث فار تنور نوح وقيل غير ذلك ثم ان اول الآيات العظام المؤذنة بتغير احوال العامة من معظم الارض خروج الدجال ثم نزول عيسى وخروج يأجوج ومأجوج والآيات العظام المؤذنة بتغير احوال العالم العلوي طلوع الشمس من مغربها او لعل خروج الدابة في ذلك الوقت او قريب منه واول الآيات المؤذنة بقيام الساعة النار التي تحشر الناس ﴿فانطلق﴾ السائل اي ذهب ﴿فلبثت﴾ بضم الثاء المتكلم اخبارا عن نفسه اي مكثت وفي رواية فلبث اي النبي صلى الله عليه وسلم يعني أمسك عن الكلام ﴿مليا﴾ بتشديد المثناة التحتية من غير همزة ومنه واهجرني مليا اي زمنا طويلا وجاء في رواية ابي داود والترمذي انه لبث ثلاثا وظاهرها انها ثلاث ليال ولا ينافيها ما ورد انه صلى الله عليه وسلم ذكره في المجلس لان عمر لم يحضر قول النبي صلى الله عليه وسلم بن كان قام امام الذين توجهوا في طلب الرجل او اشتغل آخر ولم يرجع مع من رجع او عارض فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم الحاضرين في الحال ولم يتفق الاخبار لعمر الا بعد ثلاثة وملينا من الملاومة وهي طول المدة يقال غبت عنه ملاومة من الدهر بالحركات الثلاث ومنه يقال لليل والنهار الملوان ﴿ثم قال﴾ اي النبي صلى الله عليه وسلم ﴿يا عمر﴾ تخصيصه من بين الصحابة بالذكر يدل على جلالته ورفعة مقامه ومنزلته عند النبي صلى الله عليه وسلم ﴿أتدري من السائل قلت الله ورسوله أعلم﴾ قال زين العرب في شرحه المصابيح لم يقل اعلم لان من التفضيلية مقدر اي الله ورسوله اعلم من غيرهما اه وفيه حسن ما كان عليه الصحابة من

قليلا فخرجت راسها من في وقالت انظر مضى هذا العدو فالتفت فلم اراحدا فقلت طالما اراحد ان اردت ان تخرجي فاخرجي فاريني انسانا فقالت الآن يا محمد اختارك واحدا من اثنين اما ان اقنت كبدك واما ان انقب فؤادك وادعك بلا روح فقلت يا سبحان الله ابن العهد الذي عهدت الي واليمين الذي حلفتيه وما اسرع ما نسيته قالت يا محمد نسيت العداوة التي كانت بيني وبين ابيك آدم حيث اخرجته من الجنة على أي شيء فعلت المعروف مع غير اهله قلت لها ولا بد من ان تقتليني قالت لا بد من ذلك قلت لها فامهليني حتى أصير تحت هذا الجبل فامهد لنفسي موضعا قالت شانك قال فضربت اريد الجبل وقد آيست من الحياة فرفعت طرفي الى السماء وقلت يا لطيف يا لطيف الطف بي بلطفك الخفي يا لطيف بالقدرة التي استويت بها على العرش فلم يعلم العرش اين مستقرك منه الا ما كفيتني هذه الحية ثم مشيت فعارضني رجل صبيح

مزيد

الوجه طيب الرائحة تقي من الدرن فقال لي سلام عليك فلت وعليك السلام يا اخي قال مالي اراك قد تغير لونك قلت من عدو قد ظلمني قال واين عدوك قلت في جوفي قال لي افتح فاك قال ففتحت فمي فوضع فيه مثل ورق الزيتون اخضر ثم قال امضغ وابلع فمضغت وبلعت قال فلم البث الا يسيرا حتى مغصني بطني ودرات في بطني فرميت بها من

أسفل قطعة قطعة فتعلقت بالرجل وقالت يا أخي من أنت الذي من الله علي بك فضحك ثم قال ألا تعرفني قلت لا قال انه لما كان بيني وبين الحية ما كان ودعوت بذلك الدعاء صعدت بلا لكة السموات السبع الى الله عز وجل فقال الرب عز وجل بعيني كل ما فعلت الحية بيدي وأمرني سبحانه وتعالى بالمجيء اليك وأنا يقال لي المعروف مسعود فري ق (٨٥) الدعاء الرابعة ان انطلق الى الجنة فتقول ورقة بخضراء فالحق يا عبدي محمد بن حبير يا تحلة عليك باصطناع المعروف فانه يقي مصارع السوء وان ضيعه المصطنع اليه لم يضع عند الله عز وجل

﴿ المجلس الرابع عشر في الحديث الرابع عشر ﴾

الحمد لله على ما خص به من نعمه وآلائه حمدا يستجير به من أليم عقابه وبلائه والصلاة والسلام على خير أحبابه وأوليائه محمد وآله وصحبه وأزواجه وجميع أنبيائه اللهم سددنا في القول والعمل واعصمنا من الخطايا والزلل واغفر لنا أجمعين برحمتك يا أرحم الراحمين ﴿ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة رواه البخاري ومسلم ﴾ اعلموا اخواني وفقني الله وإياكم لطاعته ان قتل الانسان عمدا بغير حق من أكبر الكبائر بعد الكفر * وقد سئل صلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم عند الله قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قيل ثم أي قال أن تقتل ولدك خيفة أن يطعم معك رواه الشيخان * وقال صلى الله عليه وسلم اجتنبوا السبع الموبقات قيل وما هن يا رسول الله قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات * وقال صلى الله عليه وسلم من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة لقي الله مكتوبا

مزيد الادب معه لرد هم العلم الى الله واليه وكذا ذكره الشارح الهيتمي ومن المعلوم ان ذلك انما يحسن عند من الادب لو كانوا يعلمون من السائل وردوا العلم اليه إجلالا له ولو كانوا غير عالمين قطعا الا أن يقال ان فيه حسن الادب من جهة تفويض العلم اليهما بخلاف لا نعلم ﴿ قال هذا جبريل ﴾ اسم سرياني غير منصرف للعلمية والعجمة وهو مركب من جبر وهو العبد وايل وهو الله أو الرحمن أو العزيز فمعناه عبد الله أو عبد الرحمن أو عبد العزيز وذهب ابن العربي الى أن هذا وما شابهه اضافته مقلوبة كما هي في كلام العجم يقولون في غلام زيد يزيد غلام فيكون ايل حينئذ عبارة عن العبد وأيله عبارة عن اسم من أسمائه والاكثرون على الاول وجبريل له ستمائة جناح ومن وراء ذلك جناحان أخضران لا ينشرهما الا في ليلة القدر وله جناحان آخران لا ينشرهما الا عند هلاك القرى * وقد ورد أنه اقتلع مدائن قوم لوط ورفعها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب ثم جعل عاليها سافلها وفيه لغات كسر الجيم والراء فمثناة تحتية ساكنة والثانية كذلك لكن الجيم مفتوحة والثالثة فتح الجيم والراء وبهمزة بعدها مثناة تحتية وبلا مثناة بعد الهمزة وفيه لغات أخر أوصلها بعضهم ثلاث عشرة لغة ﴿ أتاكم يعلمكم ﴾ بسبب سؤاله لان الوصول بعد الطلب أعز من المساق بلا تعب ونسبة التعليم اليه مجاز والا فالمعلم حقيقة هو النبي صلى الله عليه وسلم وقوله يعلمكم جملة حالية لكنها حال مقدرة لانه لم يكن وقت الاتيان معلما ﴿ دينكم ﴾ أي قواعده وكلياته * واستفيد منه أن الدين مجموع الاسلام والايمان والاحسان ولا ينافيه أن الدين وحده يسمى اسلاما كما يصرح به ورضيت لكم الاسلام دينا لانه كما يطلق على الثلاثة يطلق على الاول منها وحده واطلاقه على هذين المعنيين اما بالاشتراك أو بالحقيقة والمجاز أو بالتواطؤ * في الحديث أطلق الدين على مجموع الثلاثة وهو أحد مدلوليه وفي الآية أطلقه على هذا الفرد وهو الآخر * وأما الجواب بان دينا لاعموم له لانه نكرة ونصبه على التمييز والتقدير رضيت لكم الاسلام من الدين وهو خصلة من الخصال الثلاثة فمنع بقوله ان الدين عند الله الاسلام فانه صريح في أن الاسلام جميع الدين لا بعضه ﴿ رواه مسلم ﴾ في كتاب الايمان

﴿ الحديث الثالث ﴾

﴿ عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر ﴾ القرشي العدوي المكي وأمه زينب بنت مظعون بن حبيب ابن وهب بن حذافة الجمحي أخت عثمان بن مظعون أسلم بمكة قديما مع أبيه وهو صغير وهاجر معه ولا يصح قول من قال انه أسلم قبل أبيه وهاجر قبله ولم يشهد بدرا وعرض على النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وهو ابن أربع عشرة فرده ثم عرض عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة فاجازه ثم لم يتخلف بعد عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو أحد العبادلة الاربعة وثانيهم ابن عباس وثالثهم عبد الله بن عمرو بن العاص ورابعهم عبد الله بن الزبير ووقع في مبهمات النووي وغيرها ان الجوهري أثبت أن ابن مسعود منهم وحذف ابن عمر وليس كذلك لانه مات قبل اشتهار الاربعة

بين عينيه آيس من رحمة الله والاحاديث في ذلك كثيرة شهيرة ﴿ تنبيه ﴾ قبل الشروع في شرح الحديث تصحح توبة القاتل عمدا الآن الكافر تصح توبته فهذا أولى ولا يتحتم عذابه بل هو في خطر المشيئة ولا يخلد عذابه ان مات على توحيد وان أصر على ترك التوبة كسائر ذوي الكبائر غير الكفر وأما قوله تعالى (٨٦) ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها فالمراد بالخلود المكث الطويل فان الدلائل تظاهرت على ان عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم أو مخصوص بالمستحل كما ذكره عكرمة وغيره واذا اقتص منه الوارث أو عفا على مال أو مجانا فظواهر الشرع تقتضي سقوط المطالبة في الدار الآخرة كما افتى به النووي وذكر مثله في شرح مسلم ومذهب اهل السنة ان القتل لا يموت الا باجله والقتل لا يقطع الاجل خلافا للمعتزلة فانهم قالوا القتل يقطعه (قوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم) أي لا يحل اراقة دمه اذ الاصل في الدماء العصمة عقلا وشرعا أما العقل فلما في قتله من افساد صورته المخلوقة في أحسن تقويم والعقل يأباه وأما الشرع فللنهي عنه في الكتاب العزيز بقوله تعالى ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ونحوه والسنة الغراء بقوله صلى الله عليه وسلم المتقدم وذكر المسلم هنا للتهويل والتعظيم فلا يفهم منه جواز قتل المعاهد والذمي ولا الصغير الكافر وان كان حربيا للنهي عن قتلهم (قوله صلى الله عليه وسلم الا بإحدى ثلاث الثيب الزاني) اي المحصن ذكرا كان او انثى والمراد رجمه بالحجارة الى ان يموت كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعز والغامدية لما زنيا الآن الثيب الزاني هتك عصمة الله تعالى فابيح دمه وفيه مفسدة عظيمة فاقتضت الحكمة دراءها بذلك وليعلم ان الزنا اكبر الكبائر بعد القتل ومن ثم قرنه الله تعالى بالشرك والقتل بقوله تعالى والذين لا يدعون مع الله إلها آخر

بالمعادلة وأحد الستة الذين هم أكثر الصحابة رواية وثانيهم أبو هريرة وثالثهم ابن عباس ورابعهم عائشة وخامسهم جابر بن عبد الله وسادسهم أنس بن مالك وزاد العراقي في شرحه لألفيته سابعا وهو أبو سعيد الخدري وذكر بعضهم انهم سبعة فزاد الصديق مع ضم أبي سعيد وذكر مع جابر سبعا ونظمهم بقوله

سبع من الصحب فوق الالف قد نقلوا * من الحديث عن المختار خير مضر
أبو هريرة سعد عائش أنس * صديقه وابن عباس كذا ابن عمر

فيؤخذ من مجموع ذلك انهم تسعة قلت وفي ذكر الصديق نظر لان جملة ما روى له مائة حديث واثنان وأربعون حديثا كما قاله المصنف في تهذيبه والسبب في قلة الرواية منه مع تقدمه وسبقه وملازمته للنبي صلى الله عليه وسلم انه تقدمت وفاته قبل انتشار الحديث واعتناء الناس بسماعه وتحصيله وحفظه اه قال جابر ما منا الا من نال من الدنيا ونالت منه الا عمر وابنه وقال طاوس ما رأيت رجلا أورع من ابن عمر ولا أحدا أعلم من ابن عباس وقال سعيد بن المسيب لو كنت شاهدا لاحد من اهل العلم انه من اهل الجنة لشهدت لعبد الله بن عمر وجلس في الحجر هو ومصعب وعروة وعبد الله بن الزبير فقال تمنوا فقال عبد الله بن الزبير أما انا فاتمنى الخلافة وقال عروة اما انا فاتمنى ان يؤخذ عني العلم وقال مصعب واما انا فاتمنى امارة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين وقال عبد الله بن عمر واما انا فاتمنى المغفرة فماتوا فاتوا ما تمنوا ولعل ابن عمر قد غفر له * وروي عنه انه قال كان الرجل في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأى رؤيا قصها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتمنيت ان ارى رؤيا فاقصها على النبي صلى الله عليه وسلم وكنت اتام في المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لاني كنت عزبا فرأيت في النوم كان ملكين اخذاني فذهبا بي الى النار فاذا هي مطوية كطي البئر واذا فيها ناس قد عرفتهم فجعلت اقول اعوذ بالله من النار اعوذ بالله من النار فلقيهما ملك آخر فقال لي لن تراع فقصصتها على حفصة فقصتها حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل الا قليلا وفي رواية اخرى انه قال رأيت في المنام كان بيدي قطعة استبرق ولا اشير بها الى مكان من الجنة الا طارت بي اليه فقصصتها حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اخاك رجل صالح او ان عبد الله رجل صالح وعن عبد الله بن ابي عثمان قال كان عند عبد الله بن عمر جارية يقال لها رميثة فقال اني سمعت الله عز وجل يقول في كتابه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون واني والله كنت لاحبك في الدنيا اذهبي فانت حرة لوجه الله تعالى ولولا اني لا اعود في شيء جعلته لله لنكحتها فانكحها نافعا وهي ام ولده وقال نافع كان ابن عمر اذا اشتد عجبه لشيء من ماله قربه لله عز وجل وربما تصدق في المجلس الواحد بثلاثين الفا وحج ستين حجة واعتمر الف عمرة وحمل على الف فرس في سبيل الله واعتق الف رقبة وكان رقيقه قد عرفوا ذلك منه فربما شمر احدهم فلزم المسجد فاذا رآه ابن عمر على تلك الحالة الحسنة اعتقه فيقول له اصحابه يا أبا عبد الرحمن والله ما بهم الا ان يخدعوك

آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وسبب نزولها ان ناسا مشركين أكثروا من القتل والزنا فقالوا لمحمد ما تدعونا اليه حسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزلت ونزل قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر الناس اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة أما التي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر وأما التي في الآخرة فسخط الله وسوء الحساب وعذاب النار * وليعلم أيضا ان حد الزاني جلد مائة وتغريب عام ان كان غير محصن واما المحصن وهو الحر المكلف الذي وطىء في نكاح صحيح ولو مرة في عمره فحده الرجم بالحجارة الى ان يموت كما قدمناه قال العلماء ومن مات من غير حد ولا توبة عذب بالنار بسياط من نار كما ورد ان في الزبور مكتوبا ان الزناة يعاقبون بفروجهم يضربون عليها بسياط من حديد فاذا استغاث احدهم من الضرب ناداه الزبانية اين كان هذا الصوت وانت تضحك وتفرح وتمرح ولا تراقب الله تعالى ولا تستحي منه وجاء في السنة الشريفة تغليظ عظم للزاني لا سيما بحليلة الجار والى غاب عنها زوجها واعظم الزنا على الاطلاق الزنا بالمحارم وهو بأجنبية لا زوج لها عظم واعظم منه بأجنبية لها زوج وزنا الثيب اقبح من البكر وزنا الشيخ الكبير عقله اقبح من زنا الشاب والحر والعالم لكمالهما اقبح من الفن والجاهل وفي ذلك احاديث كثيرة وللزنا ثمرات قبيحة منها انه يورد النار والعذاب الشديد ومنها انه يورث الفقر ومنها انه يؤخذ بمثله من ذرية الزاني ولما قيل لبعض الملوك ذلك أراد تجربته في بنت له وكانت غاية في الجمال ازدحم عليها امرأة فقيرة وأمرها أن لا تمنع

يخدعوك فقال ابن عمر من خدعنا بالله انخدعنا له وراح على نجيب له فدأ خذه بمال فلما أعجبه سيره أتاه مكانه ثم نزل عنه فقال يا نافع انزع واز مامه ورحله وجللوه واشعروه واد خلوه في البدن وعن أبي ملال ان عبد الله بن عمر نزل الجحفة وهو شاك فقال اني لاشتهي حينا فالتمسوا له فلم يجدوا الا حوتا واحدا فاخذته امرأة صفية بنت أبي عبيد وصنعته ثم قربته اليه فاتي مسكين ببين وقف عليه فقال له ابن عمر خذه فقال أهله سبحان الله قد علمت ومنزلته فقال يا شهوتي ما أريده وعن نافع انه اشتكى فاشترى له عنقود عنب بدرهم فجاء المسكين فقال اعطوه اياه فخالف اليه انسان فاشتراه منه بدرهم ثم جاء به اليه فجاء المسكين بسأل فقال اعطوه اياه ثم خالف اليه انسان فاشتراه منه بدرهم فاراد أن يرجم فمنع ولو علم ابن عمر ذلك العنقود لما ذاقه واعطاه ابن جعفر في رقيقه نافع عشرة آلاف دينار فقال له عاصم بن محمد يا أبا عبد الرحمن فما انتظار ان تبيع فقال فهل لا عاصم خير من ذلك ووجه لوجه الله عز وجل وعن ميمون بن مهران قال لي ابن عمر اثنان وعشرون ألف دينار في مجلس فلم يقم حتى فرقها وبعث اليه معاوية بمائة ألف فما حال الحول وعنده شيء منها وكان لا يسأل أحدا شيأ وكان يقول لا أسأل أحدا شيأ ولا أرد ما رزقني الله وعنه أيضا ان امرأة ابن عمر ماتت فيه فقيل لها ألا تطلقين هذا الشيخ قالت فكيف أصنع به ما اصنع طعاما الا دعا اليه من يأكله فارسلت الى قوم من المساكين كانوا يجلسون بطريقه اذا خرج من المسجد فاطعمتهم وقالت لهم لا تجلسوا بطريقه ثم جاء الى بيته وقال أرسلوا الى فلان وفلان وكانت امرأته قد أرسلت اليهم بطعام وقالت اذا دعاكم فلانا تو فقال ابن عمر أردتم ان لا انتعشي الليلة فلم يتعش تلك الليلة وعن أبي بكر بن حفص انه كان لا يأكل طعاما الا وعلى خوانه يتيم وعن يحيى الغساني انه جاءه سائل فقال لابنه أعطه دينارا فلما انصرف قال له ابنه تقبل الله منك يا أبتاه فقال لو علمت ان الله عز وجل تقبل مني سجدة واحدة أو صدقة واحدة بدرهم واحد لم يكن غائب أحب الي من الموت أتدري ممن يتقبل الله انما يتقبل الله من المتقين وشرب ماء مبردا فبكى واشتد بكاؤه فقيل له ما يبكيك فقال له ذكرت آية في كتاب الله عز وجل وحيل بينهم وبين ما يشتهون فعرفت ان أهل النار لا يشتهون شيأ شهوتهم الماء البارد وقد قال الله عز وجل أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله وكان اذا قرأ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله بكى حتى يغلبه البكاء وكان يقول لا يصيب عبد شيأ من الدنيا الا انتقص من درجاته عند الله عز وجل وان كان على الله كريما توفي بمكة عن أربع وثمانين وقيل ست وثمانين سنة وذلك سنة أربع وسبعين وقيل سنة ثلاث وسبعين شهيدا قال الحجاج خطب يوما فاخر الصلاة فقال له ابن عمر ان الشمس لا تنتظرك فقال له الحجاج لقد هممت أن أضرب الذي فيه عيناك فقال له عبد الله انك سفيه مسلط فتغير من ذلك وأمر رجلا فسمرزج رمحه أي الحديدة التي في أسفله فزحمه في الطواف ووضع الزج على قدمه فمرض أياما ولما دخل الحجاج ليعوده قال لو أعلم الذي أصابك لضربت عنقه فقال عبد الله أنت الذي أصبتني وأوصى ان يدفن في

أحد الا راد التعرض لها بأي شيء مما ذكر وأمرها بكشف وجهها وانها تطوفه بباقي الاسواق فامتثلت فامرت بها على احد الاوأطرق رأسه منها حياء وخجلا ولم يعد أحد نظره اليها فلما قربت من دار الملك لتريد الدخول بها فامسكها انسان وقبلها ثم ذهب عنها فدخلتها على الملك فاخبرته بما وقع فذكرت له القصة (٨٨) فسجد شكرا لله تعالى وقال الحمد لله ما وقع مني في عمري قط الا قبلة واحدة لامرأة وقد قوصصت بها فيا اخوتي السعيد من حفظ فرجه وغض بصره وكف يده وقيل ان بعض العرب عشق امرأة واتفق عليهما امور لا كثيرة حتى مكنته من نفسها فلما جلس بين شعبها اراد الفعل الخبيث فوفقه الله تعالى ففكر ثم اراد القيام عنها فقالت له ما شانك فقال من بيع جنة عرضها السموات والارض بقدر فتلة الخيل الطيرة بالمساحة ثم تركها وذهب * ووقع لبعض الصالحين ان نفسه حدثته بفاحشة وكان عنده فتيلة فقال لنفسه يا نفس اني أدخل اصبعي في هذه الفتيلة فان صبرت على حرها مكنتك مما تريدين ثم ادخل اصبعه في الفتيلة حتى احست نفسه ان الروح كادت تزهق منه من شدة حرها في قلبه وهو يتجلد على ذلك ويقول لنفسه هل تصبرين واذا لم تصبري على حر هذه النار اليسيرة التي اطفئت بالماء سبعين مرة حتى قدر اهل الدنيا على مقابلتها فكيف تصبرين على حر نار جهنم المتضاعفة حرارتها على هذه سبعين ضعفا فرجعت نفسه عن الشهادة

الحل فلم تنفذ وصيته وصلى عليه الحجاج ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين وقيل بفتح الفاء وبالطاء المعجمة موضع بقرب مكة وقيل بالخصب وقيل باسرف وكلها مواضع بقرب مكة بعضها أقرب الى مكة من بعض روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف حديث وستمائة وثلاثون حديثا اتفق الشيخان منها على مائة وسبعين وانفرد البخاري منها بثمانين ومسلم باحد وثلاثين ﴿رضي الله عنهما﴾ اشار به الى انه ينبغي لكل من ذكر صحابيا يراه أو صحابي ان يترضى عنهما ﴿قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾ أي كلامه وفي نسخة النبي صلى الله عليه وسلم ﴿يقول﴾ فالمسموع الصوت لا الشخص كما مر ﴿بني﴾ بالبناء المفعول اي أسس ﴿الاسلام﴾ اذ أصل البناء يكون في المحسوسات لا في المعاني ففيه تشبيه معنوي بحسي فان المصطفى صلى الله عليه وسلم لما اراد ان يفيد اصحابه ما لا عهد لهم فصاغ لهم امثلة من أساليب كلامهم ليفهموا بما يعرفون مالا يعرفون ووجه الشبه ان البناء الحسي اذا انهدم بعض اركانه لا يتم فكذلك البناء المعنوي واذا قال صلى الله عليه وسلم عماد الدين فمن أقامها فقد اقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين وكذلك بقية المباني وفي قوله بني استعارة بالكناية وهي عند صاحب التلخيص ان يضمر التشبيه في النفس ولا يصرح شيء من اركانه سوى المشبه والدلالة على ذلك التشبيه بذكر شيء من خواص المشبه به يسمى تخييلا لانه يخيل ان المشبه من جنس المشبه به فشبه الاسلام ببناء عظيم محكم له دعائم واركانه الآتية بقواعد ثابتة محكمة حاملة لذلك البناء فذكر المشبه وطوى ذكر المشبه به واسند اليه ما هو من خواص المشبه به وهو البناء وهو تخييل ويجوز ان تكون استعارة تبعية بان تقدر الاستعارة في بني والقرينة الاسلام شبه ثبات الاسلام واستقامته على هذه الاركان ببناء الباء على الاعمدة الراسية ثم اشتق منه لفظ بني فوقعت اولا في المصدر ثم سرت في الفعل والاول اظهر ﴿على﴾ متعلق بقوله بني ﴿خمس﴾ اي دعائم كما صرح به عبد الرزاق في روايته وفي رواية لمسلم خمسة اي خمسة اشياء او اركان او اصول قال الكرماني وهنا دقيقة جليلة وهي ان اسماء العدد انما يكون تذكيرها بالتاء وتانيثها بسقوطها اذا كان المميز مذكورا والامر بالعكس كما صرح به النحاة وذكره النووي في شرح مسلم في حديث من صام رمضان واتبعه ستا من شوال فكانما صام الدهر كله * فان قيل قوله بني الاسلام على خمس يلزم عليه بناء الشيء على نفسه لان الاسلام هو هذه الامور الخمسة والمبني لا بد ان يكون غير المبنى عليه فالجواب ان المراد بالاسلام التذلل العام الذي هو اللغوي لا الشرعي الذي هو فعل الواجبات الثاني ان على بمعنى الباء او بمعنى من كما في قوله تعالى الا على ازواجهم وقوله اذا اكتالوا على الناس يستوفون ولا حاجة الى جواب بعضهم بان الاسلام عبارة عن المجموع والمجموع غير كل واحد من أركانه ومثاله البيت من الشعر يجعل على خمسة اعمدة احدها اوسطها والبقية اركان فما دام الوسط قائما فسمي البيت موجودا ولو سقط منها ما سقط من الاركان فاذا سقط الاوسط سقط مسمى البيت فالبيت بالنظر الى مجموعه شيء واحد وبالنظر الى افراده اشياء اه فان قيل الاربعة الاخيرة مبنية على

الشهادة

ذلك الخاطر ولم يخطر لها بعد فتسال الله تعالى التوفيق واعلم ان اللواط من الكبائر وقد سماه الله تعالى فاحشة وخبيثة واجمعت الصحابة على قتل فاعل ذلك وانما اختلفوا في كيفية قتله فذهب قوم الى ان حد الفاعل حد الزنا ان كان محصنا يرجم وان لم يكن محصنا يجلد مائة وهو قول ابن المسيب وعطاء والحسن وقتادة والنخعي وبه قال الثوري والاوزاعي وهو أظهر قولي الشافعي رحمهم الله وذهب قوم

الى غير ذلك والاحاديث في ذم اللواط كثيرة عافانا الله تعالى من ذلك آمين (قوله والنفس بالنفس) أي بقتلها ظلما وعدوانا بما يقتل غالبا قال الله تعالى وكتبنا عليهم فيها يعني التوراة أن النفس بالنفس والعين بالعين الآية والمراد النفوس المكافئة في الاسلام والحرية وشروط القصاص مذكورة في كتب الفقه فلو قتل جماعة منها به وسيد قتل (٨٩) النفس بالنفس أن القاتل لما منك

عصمة النفس وهي عظيمة أخذت في مقابلتها نفسه المعصومة وعلى مصلحة عظيمة ولكن في القصاص حياة (قوله والتارك لدينه) أي المرتد عنه الى غير الاسلام والعياذ بالله تعالى فيقتل ما لم يعد الى الاسلام لقوله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه والردة أفحش أنواع الكفر (قوله المفارق للجماعة) وصف عام للتارك لدينه لانه اذا ارتد عن دين الاسلام فقد أخرج عن دين جماعتهم ويدخل في هذا الوصف كل من خرج عن جماعة المسلمين وان لم يكن مرتدا كالخوارج وأهل البدع وعلى هذا قال القابسي رحمه الله يقاتل المرتد حتى يرجع الى دينه ويقاتل الخارج عن الجماعة حتى يرجع اليها وليس بكافر ويمكن أن يكون خروجهم كفروا أوردة والحكمة في قتل التارك لدينه انه لما حل نظام عقد الاسلام حل قتله بالسيف ونحوه * واعلم أن المقصود بهذا الحديث

الشهادة اذ لا يصح شيء منها الا بعد وجودها فكيف يضم شيء الى ما بني عليه وهو مقدم في وجوده * فالجواب انه يجوز أن يبني أمر على أمرين بعض الامرين أمر آخر الثاني ان الثانية ليست مبنية على الشهادة بل صحتها موقوفة عليها وذلك غير معني بناء الاسلام على الخمس وقوله على خمس وجنسه الحاصر في الخمسة ان العبادة اما قولية أو غيرها الاولى الشهادتان والثانية اما تركية أو فعلية الاولى الصوم والثانية اما بدنية أو مالية أو مركبة منهما الاولى الصلاة والثانية الزكاة والثالثة الحج ﴿ شهادة ﴾ بجر ميم ما بعده بدلا من خمس بدل كل من كل وهو الاحسن ويجوز رفعه بتقدير مبتدأ أي هي أو احدها أو خبر أي منها وهو أولى لانه يلزم استئناف على مذهب البيانيين لان الخبر كالفضلة بالنسبة اليه ويجوز نصبه باضمار أعني ﴿ أن لا إله إلا الله وان محمدا عبده ورسوله ﴾ اضافة تشريف قال الحافظ ابن حجر ولم يذكر الايمان بالملائكة وغيرهم مما في جبريل لانه أراد بالشهادة تصديق الرسول في كل ما جاء به فيستلزم ذلك ﴿ وإقام ﴾ اصله إقوام فنقلت فتحة الواو الى الساكن قبلها فحذفت الواو لالتقاء الساكنين وعوض عنها التاء فيقال إقامة والمضاف اليه كالصريح بما بعده بقوله ﴿ الصلاة ﴾ وإقامة الصلاة كناية عن الاتيان بها باركانها وشروطها ﴿ وإيتاء ﴾ أي إعطاء ﴿ الزكاة ﴾ الى أصلها أو الامام ليدفعها لهم فحذف المفعول الاول للعلم به وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال من فرق بين ثلاثة فرق الله بينه وبين رحمته يوم القيامة من قال أطيع الله ولا أطيع الرسول والله تعالى يقول أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ومن قال أقيم الصلاة ولا آتي الزكاة والله تعالى يقول أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ومن فرق بين شكر الله وشكر والديه والله تعالى يقول أن اشكر لي ولوالديك * وروى البخاري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه أي بكسر اللام والزاي بينهما هاء ساكنة يعني شدقيه أي بكسر الشين المعجمة وهي جانبا الفم ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا ولا تحسبن الذين يبخلون الآية والشجاع من الحيات هو الحية الذكر الذي يواثب الفارس والرجل ويقوم على ذنبه وربما بلغ الفارس وربما يكون في الصحاري وقيل كل حية شجاع والاقرع من الحيات الذي تمعط رأسه وابيض من السم والزبيبتان بزايين معجمة مفتوحة فموحدتين بينهما تحتية ساكنة نقطتان مفتوحتان في جانب شدقيه من السم كالغرتين ويكون ذلك في شدقي الانسان اذا غضب وأكثر من الكلام وقال ابن دريد نقطتان سوداوتان فوق عينيه وقال يجانب فمه وهو أوحش ما يكون من الحيات وأخبثه وفي تلاوة الرسول الآية عقب ذلك دلالة على أنها نزلت في مانع الزكاة وفي الحديث ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤتي حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها وجهه وجنباه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى الله بين العباد فيرى سبيله

﴿ ١٢ - شبرخيتي ﴾ بيان عصمة الدماء وما يباح منها وان الاصل فيها العصمة ويدل لذلك قوله صلى الله عليه وسلم فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها الى غير ذلك من الاحاديث ﴿ خاتمة المجلس ﴾ قال الغزالي رحمه الله تعالى لو زعم زاعم ان دينه وبين الله تعالى حالة أسقطت عنه الصلاة وأحلت له شرب الخمر وأكل مال السلطان كما زعمه بعض من ادعى التصوف فلا شك في وجوب قتله وان كان في خلوده في النار نظر وقتل مثله أفضل من قتل مائة كافر لان ضرره أكثر

اللهم ارزقنا التوفيق لاقوم طريق آمين يارب العالمين ﴿ المجلس الخامس عشر في الحديث الخامس عشر ﴾ الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الكريم وعلى آله وأصحابه ذوي الطبع السليم اللهم صب لنا قولا صادقا وعملا صالحا وفرجا (٥٩) عاجلا يا أرحم الراحمين ﴿ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

انه قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه رواه البخاري ومسلم ﴿ اعلموا اخواني وفقني الله وإياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم وجميع آداب الخير تتفرع منه كما ذكره بعضهم رحمه الله (قوله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) أي يوم القيامة سمي بذلك لا نه لا ليل بعده ولا يسمى يوما الا ما عقبه ليل والمراد ذكر كمال الايمان أو المبالغة في ذلك (قوله فليقل خيرا) هو ما فيه ثواب من القول (قوله أو ليصمت) بفتح الياء وضم الميم وحقيقة الصمت السكوت مع القدرة على النطق فان توقف فيه فهو الخرس بكسر العين أو فسدت آلة النطق فهو الخرس * قال الله تعالى وقولوا قولا سديدا وقال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد * وقال صلى الله عليه وسلم امسك عليك لسانك وهل يكب الناس على وجوههم أو على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم وقال صلى الله عليه وسلم كل كلام ابن آدم عليه لا له الا ذكر الله أو أمرا بالمعروف أو نهيا عن المنكر والاحاديث في ذلك كثيرة شهيرة فيا اخواني ما أكثر آفات اللسان وقد عدت فوق العشرين آفة قال الامام الشافعي رحمه الله اذا اراد الشخص ان يتكلم فعليه أن يفكر قبل كلامه وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه

انه قال الجنة وما لها من النار وخصصت هذه الثلاثة بالذكر لشناعته وشهرته في الوجه والجنب والظهر لان أوجع ما يضرب الانسان وقيل الوجه لتعريضه في وجه السائل أولا والجنب لازوراره عن السائل ثانيا والظهر لانصرافه اذا ولى ثالثا وقيل غير ذلك ﴿ وسعيد ﴾ بفتح السين وكسرها لغة الحجاز وكسرها لغة نجد وكلاهما مصدران وقيل المكسور اسم والمفتوح مصدر ﴿ البيت وصوم رمضان ﴾ الاضافة فيهما من اضافة الحكم الى سببه لان سبب الحج البيت وقلما لا يتكرر لعدم تكرر البيت والشهر يتكرر فيتكرر الصوم ووقع في هذه الرواية تقديم الحج على الصوم وفي رواية مسلم عن ابن عمر تقديم الصوم عليه وقدم الشهادتين لانهما سلك الامر كله واصله اذ اياهما بني عليهما ومشروط بهما وبهما النجاة في الدارين ثم الصلاة لان الله تعالى جعلها في كتابه العزيز ثانية الايمان بقوله الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ولانها عماد الدين ويتقل تاركها ولشدة الحاجة اليها لتكررها في كل يوم وليلة خمس مرات ثم الزكاة لانها قرينة الصلاة في اكثر المواضع ولانها فطرة الاسلام ولاعتناء الشارع بها لذكرها اكثر من غيرها من الصوم والحج في الكتاب والسنة واشتراطها المكلف وغيره كما هو مذهب اكثر السلف ثم الحج للتغليظات الواردة فيه من نحو ومن كفر فان الله غني عن العالمين ونحو قوله صلى الله عليه وسلم من لم تحبسه حاجة ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا فالضرورة يقع الصوم آخرا وقوله من لم تحبسه حابسة أي من مرض اوظالم وعلى الرواية الثانية قدم الصوم على الحج لتقدم زمن وجوب الصوم لان وجوبه كان في السنة الثانية وفرضية الحج في سنة ست وقيل تسع بالتراخي الفوقية ولانه أعم وجوبا وتكرره في كل عام ولوجوبه على الفور اتفاقا بخلاف الحج ولان العبادة اما بدنية محضة أو مركبة منهما والمفرد مقدم على المركب طبعا فقدم عليه وضعا ليوافق الوضع الطبع وانهم ظاهر الحديث ان المكلف لا يكون مسلما عند ترك شيء من الاربعة الاخيرة لكن صرفه عن ظاهره انعقاد الاجماع على ان العبد لا يكفر بترك شيء منها وأما قوله عليه الصلاة والسلام من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر فهو محمول على الزجر والوعيد أو مؤول بما اذا كان مستحلا أو محمول على كفران النعمة ﴿ فائدة ﴾ اعلم ان الجميع يكفر الصغائر اتفاقا وكذلك الكبائر على الاظهر كما قاله الابي وابن حجر وأما التبعات فقال القرافي لا يسقطها وظاهر كلام ابن حجر وغيره اسقاطها بها للاحاديث الواردة على ذلك أجمعوا على عدم سقوط قضاء ما ترتب عليه من الصلوات والكفارات وحقوق الآدميين من دين وغيره اه قاله شيخنا على الاجهوري في شرحه على مختصر الشيخ خليل وقال الزواوي في شرح المختصر انه يغفر الصغائر والكبائر حتى التبعات على المعتمد اذا مات في الحج أو بعده ولم يمكنه اداؤها ولم يذكر في الحديث الجهاد مع انه المظهر للدين ومع كونه ذروة سنام الامر كما يأتي لانه فرض كفاية يسقط باعذار كثيرة ولا يتعين الا في بعض الاحيان بخلاف المذكورات في الحديث فانها فرائض اعيان بل قد ذهب جماعة الى ان فرض الجهاد قد سقط بعد فتح

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقي لها بالا يرفع الله تعالى بها درجاته وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله ما النجاة قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك قال الترمذي (هذا) حديث حسن صحيح وعن أبي

مكة وذكر انه مذهب ابن عمر والثوري وابن سيرين ونحوه لسحنون من أصحابنا الا ان يزال العذر بقوم أو بامر الامام بالجهاد فيلزم عند ذلك (رواه البخاري) في الايمان والتفسير باعيانهم (ومسلم) في الايمان وأرسل خمسا منها

الحديث الرابع

(عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود) بن غافل بمعجمة وفاء ابن حبيب بن شمخ بن فارس بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحرث بن تيم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر وأمه أم عبد بنت عبد ود بن سوار بن هذيل أيضا (رضي الله عنه) أسلم المار به النبي صلى الله عليه وسلم وهو يرعى غنما لعقبة بن أبي معيط فقال له يا غلام هل عندك من لبن نسقينا قال نعم ولكني مؤتمن قال هل عندك جذعة لم ينز عليها الفحل قال نعم فاتاه بها فمسح صلى الله عليه وسلم ضرعها ودعا فامتلأ ضرعها باللبن ثم أتاه أبو بكر بصخرة منقعرة حلب فيها فشرب منه وسقى أبا بكر رضي الله عنه ثم قال للضرع اقلص فقلص ويقال انه كان سادسا في الاسلام وهاجر الى الحبشة الهجرتين وشهد بدرا والمشاهد كلها وكان صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ووساده ونعليه وطهوره في السفر وكان يشبه النبي صلى الله عليه وسلم في هديه وسمته وكان خفيف اللحم قصيرا جدا نحيف ذراع شديد الادمة وكان من أجود الناس ثوبا وأطيب الناس ريحا وكان دقيق الساقين أحذ يجتني سواكا من الاراك فجعلت الريح تكفؤه فضحك القوم منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مم تضحكون فقالوا يا رسول الله من دقة ساقيه فقال والذي نفسي بيده لهما في الميزان أثقل من أحد وفي رواية انه صعد شجرة فانكشفت ساقه فضحك بعض القوم فقال عليه السلام اتضاق عبد الله في الميزان أثقل من أحد وكان صلى الله عليه وسلم يكرمه ويدنيه ولا يحجبه فلذلك كان كثير الولوج عليه صلى الله عليه وسلم ويمشي معه وامامه بالعصا ويستره اذا اغتسل ويوقظه اذا نام ويلبسه نعليه اذا قام فاذا جلس ادخلهما في ذراعيه قال أبو موسى الاشعري رضي الله عنه لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أرى الا ان ابن مسعود من أهل بيته ومن علائمه قال جاء رجل الى عمر رضي الله عنه بعرفة فقال جئت يا أمير المؤمنين من الكوفة وتركت بها رجلا يملي المصاحف عن ظهر قلبه فغضب وانتفخ حتى كاد يملأ ما بين شعبتي الرحل فقال من هو ويحك قال عبد الله بن مسعود فما زال يطفأ ويسري عنه الغضب حتى عاد الى حالته التي كان عليها ثم قال ويحك والله ما أعلم أحدا بقي من الناس هو أحق بذلك منه وسأحدثك عن ذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال يسمر عند أبي بكر الليلة كذلك في الامر من أمور المسلمين وانه سمر عنده ذات ليلة وأنا معه فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجنا معه فاذا رجل قائم يصلي في المسجد فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع قراءته فما كدنا نعرفه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يقرأ القرآن رطبا كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد قال ثم جلس الرجل يدعو فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له سل تعطه سل تعطه قال عمر قلت والله لاغدون عليه ولا بشرنه قال فغدوت اليه لابشره فوجدت أبا بكر قد سبقني اليه وبشره

سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا أصبح ابن آدم فان الاعضاء كلها تذكر اللسان فتقول اتق الله فينا فانا نحن بك فان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا وعن الاستاذ أبي القاسم القشيري رحمه الله في رسالته قال اعصمت سلامة وهو الاصل والسكوت في وقته صفة الرجال كما ان النطق في موضعه اشرف الخصال ومما انشدوه

احفظ لسانك ايها الانسان
لا يلدغنك انه ثعبان

وقال الرقاش رحمه الله تعالى

كم في المقابر من قتيل لسانه
كانت تهاب لقاءه الشجعان

وقال بعضهم

لعمرك ان قرني نشغلا
نفسي عن ذنوب بني أميه
على ربي حسابهم اليه
تناهى علم ذلك لا اليه
فليس بضائري ما قد أتوه
اذا ما الله أصلح ما لديه

(قوله ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره) قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى أي القريب منك في الجوار والنسب والجار الجنب أي البعيد منك في الجوار والنسب وقد وردت أخبار كثيرة في اكرام الجار والوصية به منها هذا الحديث ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قال لاحدا به ما تقولون في الزنا قالوا حرام حرمه الله ورسوله فهو حرام الى يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره

م قال ما تقولون في السرقة قالوا حرام حرمها الله ورسوله فهي حرام الى يوم القيامة فقال لأن يسرق الرجل من عشرة ابيات أيسر عليه من أن يسرق من بيت جار وروى الامام أحمد ومنها قوله صلى الله عليه وسلم والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل يا رسول الله ومن قال من لا يأمن جاره بوائقه قالوا وما بوائقه قال شره رواه البخاري ومنها قوله صلى الله

عليه وسلم من آذى جاره فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن حارب جاره فقد حاربني ومن حاربني فقد حارب الله عز وجل رواه أبو الشيخ ومنها ما جاء عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة فقال لا يصحبنا من آذى جاره فقال رجل من القوم انا يا رسول الله في حائط جاري فقال لا تصحبنا اليوم رواه الطبراني ومنها ما جاء عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رجل يا رسول الله ان فلانة تذكر من كثرة صلاتها وصدقتها وصيامها غير انها تؤذي جيرانها بلسانها قال هي في النار قال يا رسول الله ان فلانة تذكر من قلة صلاتها وصيامها غير انها تتصدق بالاثوار من الاقط ولا تؤذي جيرانها قال هي في الجنة رواه الامام احمد وغيره والاثوار بالثاء المثلثة جمع ثور وهي القطعة من الاقط بفتح الهمزة وكسر القاف شيء يتخذ من مخيض اللبن ومنها ما جاء عن معاذ بن جبل قال قلت

سورة

يا رسول الله ما حق الجار على قال ان مرض عدته وان مات شيعته وان أقرضك أقرضته وان أعوز سترته وان أصابه خير هنيته وان أصابته مصيبة عزيته ولا ترفع بناءك فوق بنائه فتسد عليه الريح ولا تؤذه بريح قدرك الا أن تغرف له منها رواه الطبراني وفي رواية من طريق آخر لهذا الحديث فان اشتريت فاكهة فاهد له منها فان لم تفعل فادخلها سرا ولا تخرج

ولا والله ما بقي الى خير الا سبقني اليه ولقد قلل الصوم كثير الصلاة فقيل له في ذلك فقال لاني اذا صمت خدمت عن الصلاة والصلاة متاعي أو أولى وعن الشعبي قال ذكروا أن عمر بن الخطاب لقي ركبا في سفر فيهم عبد الله بن مسعود فأمر عمر رجلا يناديهم من أين القوم فاجابه عبد الله أقبلنا من الفج العميق فقال أين تريدون فقال عبد الله البيت العتيق فقال عمر ان فيهم عالما فامر رجلا ناداهم أي القرآن أعظم فاجابه عبد الله الله لا اله الا هو الحي القيوم حتى ختم الآية فناداهم أي القرآن أحكم فقال ابن مسعود ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية فقال عمر فناداهم أي القرآن أجمع فقال ابن مسعود فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال عمر فناداهم أي القرآن أخوف فقال ابن مسعود ليس بامانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوأ يجز به الآية فقال عمر فناداهم أي القرآن ارجى فقال ابن مسعود قل يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية فقال عمر فناديهم أنيكم ابن مسعود قالوا اللهم نعم وعن مسروق قال قال عبد الله والله الذي لا اله غيره ما نزلت آية من كتاب الله الا وانا أعلم أين نزلت وفيم نزلت ولو اعلم ان احدا أعلم بكتاب الله مني تناله المطية لاتيته وعن مسروق انه قال انتهى علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ستة عمر وعلي وعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وابي الدرداء وزيد بن ثابت وجعل الشعبي أبا موسى الاشعري بدل أبي الدرداء ثم انتهى علم هؤلاء الستة الى رجلين علي وعبد الله وعن عمرو بن ميمون قال اختلفت الى عبد الله بن مسعود سنة ما سمعته فيم يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقول فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه حدث ذات يوم بحديث جرى على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلاه الكرب حتى رأيت العرق يتحدر من جبهته ثم قال أو نحو ما قال او فوق ذلك او ما قارب من ذلك او ما دون ذلك او كان يقول ردد ت انه اذا حدث حدثا أبدى وعرض ذات يوم فاتبعه ناس فقال لهم ألكم حاجة قالوا لا ولكن اردنا ان نمشي خلفك قال ارجعوا فانه مذلة للتابع وفتنة للمتبوع وعن أبي الاحوص انه قال دخلنا على ابن مسعود وعنده بنون له ثلاثة غلمان كأنهم الدنانير حسنا فجلسنا نتعجب من حسنهم فقال لنا كأنكم تغبطوني بهم قلنا إي والله بمثل هذا يغبط المرء المسلم فرفع رأسه الى سقف بيته فاذا عشش فيه خطاف رياض فقال والذي نفسي بيده لان أكون نفضت يدي من تراب قبورهم أحب الي من ان يسقط عش هذا الخطاف ويتكسر بيضه وعن الحسن انه قال قال عبد الله بن مسعود ما أبالي اذا رجعت الى أهلي على أي حال أراهم بسراء أم بضراء وما أصبحت على حال فتمنيت أني على سواها وجاءه رجل فقال له أوصني يا أبا عبد الرحمن فقال ليسعك بيتك واكفف لسانك وابك على خطيئتك وفي قضاء الكوفة ربيت ماغا العمر وصدرا من خلافة عثمان ثم سار الى المدينة ومرض بها ودخل عليه عثمان بن عفان في مرض موته فقال له ما تشتكي قال ذنوبي قال ما تشتهي قال رحمة ربي قال ألا آمر لك بطبيب قال الطبيب أمرضني قال ما تركت لاولادك قال اني لا أخشى عليهم الفقر بعد ما علمتهم

بها ولدك ليغيظ بها ولده رواه الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما وابن شيبة عن أبيه عن جده * ومنها قوله صلى الله عليه وسلم ما آمن بي من بات شبعانا وجاره جائع الى جنبه وهو يعلم رواه الطبراني * ومنها قوله صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه رواه البخاري ومسلم ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من باع

سورة الواقعة يقرؤها كل ليلة ومات بالمدينة على الاصح وقيل مات بالكوفة سنة اثنين وثلاثين عن بضع وستين سنة وكفن في حلة بمائتي درهم وصلى عليه عثمان وقيل عمار بن ياسر وغسل الزبير وهو الاشهر وكان صلى الله عليه وسلم قد آخى بينهما وصلى عليه ليلا ودفن بالبقيع بوصيته بذلك ولم يعلم به عثمان فعاتبه على ذلك روي له مائتا حديث وثمانية وأربعون حديثا اتفقا منها على أربعة وستين وانفرد البخاري باحد وعشرين ومسلم بخمسة وثلاثين روى عنه الخلفاء الاربعة وكثيرون من الصحابة ومن بعدهم ﴿قال حدثنا﴾ أي أنشأ لنا خبرا حادثا وهو بمعنى أخبرنا وأنبأنا عند مالك والشافعي والجمهور ولما خرى المحدثين ان حدثنا لما سمع من الشيخ وأخبرنا لما قرئ عليه وأنبأنا لما أجازه ﴿رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق﴾ في جميع ما يقوله حتى قبل النبوة والصدق الخبر المطابق للواقع ﴿المصدوق﴾ أي المصدوق فيه أو الذي يأتيه جبريل بالصدق من عند الله تعالى أو الذي صدق الله وعده والجملة حالية واعتراضية وهو كما قال الطيبي أولى لتعم الاحوال كلها وتؤذن بان ذلك من دأبه وعادته بخلاف الحالية لايهما اختصاص ذلك ببعض الاحوال اه وعكس ذلك ابن صياد فانه كاذب ومكذوب ولذلك ورد أن عمر بن الخطاب انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من أصحابه قبل ابن صياد حتى وجده يلعب مع الصبيان في أطم بني مغالة وقد قارب يومئذ الحلم فلم يشعر حتى ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهره بيده ثم قال لابن صياد ماذا ترى قال يأتيني صادق وكاذب وأرى عرشا على الماء فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خلط عليك الامر ﴿ان﴾ جزم ابن الجوزي بان الرواية بالكسر فقط وقال أبو البقاء لا يجوز في أن هنا الا الفتح لانها وما عملت فيه مفعول حدثنا فلو كسرت لكان منقطعا عن قوله حدثنا ويجزم النووي في شرح مسلم بانه بالكسر على الحكاية ويجوز الفتح وحجة أبي البقاء أن الكسر على خلاف الظاهر ولا يجوز العدول عنه الا لمانع ولو جاز من غير أن يثبت به النقل جاز في مثل قوله أبعدكم أنكم اذا متم وقد اتفق العلماء على أنها بالفتح وتعقبه القاضي جمال الدين الحويني ان الرواية جاءت بالفتح والكسر فلا معنى للرد قال ولو لم تجيء به الرواية لما امتنع جوازا على طريق الرواية * وأجاب عن الآية بان الوعد مضمون الجملة وليس مخصوصا بلفظها فلذلك اتفقوا وأما هنا فالحديث يكون بلفظه ومعناه ﴿أحدكم﴾ أي معشر بني آدم وخصهم بالذكر لان الانسان أشرف من البهائم لانه اجتمع فيه ما تفرق في غيره قال الله تعالى لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم وأحد هنا بمعنى واحد فلذلك استعملت في الثبوت ويجوز استعمالها أيضا في النفي بخلاف احد التي للعموم فانها لا تستعمل الا في النفي نحو لا أحد في الدار أصله وحد قلبت الواو المفتوحة همزة على غير قياس بخلاف المضمومة كوجوه وأوجه فانه مقيس والمكسورة كوسادة واسادة ووشاح واشاح فانه قيل سماعي وقيل قياسي ﴿يجمع﴾ بضم الياء وسكون الجيم وفتح الميم مبنيا للمفعول من الجمع وهو ضم الشيء الى الشيء بضم بعضها الى بعض

عني هذه الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن فقال أبو هريرة فلما ذهبت يا رسول الله فأخذ بيدي فعد خمسا فقال اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن الى جارك تكن مؤمنا وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ولا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب رواه الترمذي وغيره وقال صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره ولقد بالغ بعض المجتهدين فجعل ايثارا كالشريك في اثبات الشفعة وكانت الجاهلية تشدد أمر الجار ومراعاته وتحفظ حقه والجار يقع على الساكن مع غيره في بيت وعلى الملاصق وعلى أربعين دارا من كل جانب وعلى من في البلد مع غيره لقوله تعالى ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ثم هو اما كافر فله حق الجوار فقط أو مسلم أجنبي فله حق الجوار والاسلام أو ذو قرابة فله حق الجوار والاسلام والقرابة قال صلى الله عليه وسلم الجيران ثلاثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فاما الذي له حق واحد فجار الذي له حق الجوار والذي له حقان الجار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام والذي له ثلاثة حقوق الجار القريب المسلم له حق الجوار وحق الاسلام وحق القرابة وذكر الزمخشري في ربيع الابرار انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يدفع بالمؤمن الواحد عن مائة

أهل البيت من جيران البلاد وفيه بشارة عظيمة لمسلم ان من كان أقرب مسكنا أكد من غيره ولما روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يارسول الله ان لي جارين فالى ايهما أهدي قال الى أقربهما منك بابا ومن أكرام الجار ارداه مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى (٤٩٤) الله عليه وسلم قال يا أبا ذر اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها وتعهد جيرانك فحث صلى الله عليه وسلم على مكارم الاخلاق لما يترتب عليها من المحبة وحسن العشرة ودفع الحاجة والمفسدة فان الجار قد يحصل له الاذى برائحة الطعام من بيت جاره وربما يكون له أطفال صغار واذا شموا رائحة الطعام حصل لهم بذلك تشويش ان لم يرسل لهم منها شيأ يكسر شهوتهم التي اثارها طعام الجار ولانه يعظم على الذي هو قائم على الاطفال ان يشتري لهم مثله لاسيما ان كان فقيرا او كانت امرأة ارملة ومعها ايتام ومثل هذه الواقعة هي التي نرقت بين يوسف وابيه كما قيل ان الله عز وجل اوحى الى يعقوب اتدري لم عاقبتك وحببت عنك يوسف ثمانين سنة قال لا يا الهي قال لانك شويت عنا قاورتر عن جارك واكلت ولم تطعمه هكذا نقل عن وهب ابن منبه رحمه الله تعالى والله اعلم وينبغي لك اذا أهديت الى جارك أو صاحبك أو قريبك هدية أن تقبلها منه ولا تحتقرها لقوله صلى الله عليه وسلم يانساء المؤمنين في رواية يانساء الانصار لا تحقرن احداكن لجارتها ولو كراع شاة

(قوله صلى الله عليه وسلم ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه) أي لانه من اخلاق الانبياء والصالحين وآداب الاسلام وكان الخليل عليه الصلاة والسلام يسمى أبا الضيفان وكان يمشي الميل والميلين في طلب من يتغدى معه وقد أوجب الضيافة ليلة واحدة الليث بن سعد رضي الله عنه عملا بقوله صلى الله عليه وسلم ليلة الضيف حق واجب على

أي يضم بعضه الى بعض بعد انشائه والطافة في سائر البدن تحت كل شعرة وظفر لان الذي يقع في الرحم حين ازعاجه باقوة الشهوانية الطافة متفرقة فجمعه الله في محل الولادة من الرحم المسماة الذكرة وقال ابن الاثير في النهاية يجوز ان يريد بالجمع مكث النطفة في الرحم لتحضر فيه حتى تهيأ للتصوير (خلقه) كذا رواه مسلم ولفظ البخاري في التوحيد وأبي داود في السنة ان خلق أحدكم يجمع بفتح فسكون وهو على حذف مضاف أي مادة خلقه وهو المني الذي يخلق منه أو انه عبر بالمصدر عن الجثة ومنه قوله تعالى يبدأ الخلق ثم يعيده وقوله تعالى ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ويجوز أن يقول ان الله تعالى خلق الخلق خلقا للكرامية الزاعمين منع ذلك أو هو عن التحويل كقولهم هذا ضرب الامير أي مضروبه وهذا شهوة الطبل أي مشتهاه (في بطن) أي رحم فهو من قبيل ذكر الكل وأراد قابلة الرحم بطنه مستديرة معلقة بعرق فيها الى أسفل تنقبض ولا تنحل الا عند شهوة الجماع وأصله من الرحمة لانه مما يترحم به وذكر بعض الفهم أنه داخل الرحم كالسفنج وجعل فيه قبول المني كطلب الارض المتعطشة للماء فجعلها الله طالبا لما يشتهيها قابلا له بالطبع فلذلك تمسكه وتشتمل عليه ولا يزلقه بل ينضم عليه لئلا يفسده الهواء قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ان للرحم أفواها وأبوابا فاذا دخل المني الرحم من باب واحد خلق الله عز وجل جنينا واحدا واذا دخل من بابين خلق منه ولدين واذا دخل من الثلاثة أبواب خلق الله منه ثلاثة أولاد فيكون عدد الاجنة بعدد دخول المني من أفواه الرحم (أمه أربعين يوما) زاد البخاري ليلة على الشك وفي رواية سلمة بن كهيل أربعين ليلة بغير شك وجمع بان المراد يوم بليته أو ليلة بيومها (نطفة) أصلها الماء الصافي القليل يقال نطفت قربتك أي قطرت ونطف الماء قطر سمي الماء بذلك لنظافته وسيلانه من قولهم ماء ناطف أي سائل وأصل ذلك ان ماء الرجل اذا لاقى ماء المرأة بالجماع وأراد الله أن يخلق منه جنينا هيأ أسباب ذلك لان في رحم المرأة قوتين قوة انبساط عند ورود ماء الرجل حتى ينتشر في جسدها وقوة انقباض بحيث لا يسيل من قرجها مع كونه منكوسا رمع كون المني مقبولا بطبعه وفي مني الرجل قوة الفعل ومني المرأة قوة الانفعال فعند الامتزاج يصير مني الرجل كالانفحة لابن وقيل في كل منهما قوة فعل وانفعال لكن الاول في الرجل أكثر والمرأة بالعكس وزعم كثير من اهل التشريح أن مني الرجل لا أثر له في الولد الا في عقده وانه انما يتكون من دم الحيض وتردد أحاديث الباب وحديث ان الله تعالى يخلق الولد وعضاريفه من مني الرجل وشحمه ولحمه من مني المرأة وما قيل من ان الله تعالى لما أراد خلق آدم عليه السلام وأخذ الميثاق من ذريته جعل بعض الماء في أصلاب الرجال وبعضه في ارحام الامهات فاذا اجتمع الماآن صار ولدا وهو صريح قوله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ثم انه في الاربعين الاولى لا يختلط ماء الرجل بماء المرأة بل يكونان متجاورين لا يغير أحدهما الآخر وذلك كجمعه في البحرين الماء العذب والملح لا يغير أحدهما الآخر ولا يختلط به قال

تعالى

كل مسلم وحملوا عامة الفقهاء على الندب وأنها من مكارم الأخلاق وهي من الدين لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث وجاءت به يوم وليلة وأجاز المالكية الجمعة والصلاة وذلك لا يكون إلا بالاختيار وقال استحبابها أبو يوسف ومحمد بن الحسن على الندب واقتران الأمر بها بالأمر باحترام الجار وتأول مضمون الأحاديث على أنها كانت في (٩٠) أول الإسلام إذ كانت الإساءة

تعالى بمرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان وهو البرزخ الثاني يخالط أحدهما بالآخر وفي الآربعين الثالثة يصور أعضاء الجنين وسيأتي بعد ذلك ما يتعلق بالتصوير وقد ورد في الحديث أن النطفة إذا استقرت في الرحم أخذها الملك بكفه فقال يا رب مخلقة أم غير مخلقة فإن قيل غير مخلقة قذفها في الأرحام دما وإن قيل مخلقة قال أذكر أم أنثى شقي أم سعيد ما الأجل ما الأثر بأي أرض يموت فقال انطلق إلى أم الكتاب فإنك تجد قصة هذه النطفة فينطلق فيجد قصتها في أم الكتاب فتأكل من رزقها وتطأ أثرها فإذا جاء أجلها قبضت فصفت في المكان الذي قدر لها ﴿ثم﴾ بعد تمامها ﴿يكون﴾ أي يصير ﴿علقة﴾ أي دما غليظا سمي بذلك لأنه يعلق أي يرتبط بما يمسه أو لطول بقائه لأنه يعلق بما يمر عليه فإذا جف لم يكن علقة والتاء فيهما للوحدة أي علقة واحدة * فإن قلت قال تعالى خلق الإنسان من علق والعلق جمع علقة * فالجواب أن الإنسان في معنى الجمع فلذا قال من علق وأيضا اتفاق رؤوس الآي ﴿مثل ذلك﴾ الزمن الذي هو أربعون يوما يقرأ بالنصب صفة لمدة ﴿ثم﴾ يعقب الأربعين الثانية ﴿يكون مضغة﴾ أي قطعة لحم صغيرة قدر ما يمضغ كالنواة أي ما يغرقه ومن ثم سميت مضغة ﴿مثل ذلك﴾ أي أربعون يوما وهي الأربعون الثالثة ﴿فائدتان﴾ ذكر الأطوار الثلاثة وكذا في القرآن العظيم فذكر النطفة والعلقة والمضغة وذكر في موضع آخر زيادة عليها فقال في سورة المؤمنون ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم تنفخ الروح فيه وكان ابن عباس يقول خلق ابن آدم من سبع ثم يتلو الآية وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما أن آدم عليه السلام خلقه الأول من طين فأقام أربعين سنة ثم صار حمأ مسنونا فأقام أربعين سنة ثم صار صلصالا أي طينا يابسا يسمع له صلصلة أي صوت إذا نقر وأقام أربعين سنة ثم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح اه وقال الصوفية الأربعين لموافقة تخمير طين آدم وميقات موسى عليهما الصلاة والسلام لاختصاصهما بالكمال لتركبهما من عشرة وأربع ولكل خاصية في الكمال أما الأول فإنها فاتحة الآحاد من غير تكرار وأما الثاني فلأنه استقر كل مستقيم البنيان على الأربعة أركان كالطبائع والفصول الأربعة والحيوان اه وحينئذ تتفق العددين مدة خلق آدم وخلق الجنين وذلك ثمن الأيام التي في خلق الجنين في مقابلة السنين التي في خلق آدم فلكل سنة يوم وموافقة الأطوار فالنطفة في مقابلة الطين والعلقة في مقابلة الحمأ المسنون والمضغة في مقابلة الصلصال فتبارك الله أحسن الخالقين قال مجاهد إذا حاضت المرأة في حملها كان ذلك نقصانا في ولدها فما زادت على التسعة كان تماما لما نقص منه ﴿ثم﴾ إذا تمت وصارت ابن مائة وعشرين يوما ﴿يرسل﴾ بالبناء للمفعول إليه ﴿الملك﴾ وفي رواية البخاري يبعث الملك وسلم ثم يرسل الله الملك وأل فيه للعهد والمراد ملك مخصوص وهو

واجبة أو كان ذلك للمجاهدين في أول الإسلام لقلة الأزواد أو على التأكيد كقوله غسل الجمعة واجب وقد وردت أحاديث كثيرة شهيرة في إكرام الضيف ومن فوائده أنه يدخل البيت بالرحمة ويخرج بذنوب أهل المنزل ﴿ولنختم مجلسنا هذا بشيء يرشد إلى حب المساكين رحمانا ستوم والرأفة بهم﴾ قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين وروى الترمذي عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين فقالت عائشة رضي الله عنها لم يا رسول الله قال إنهم يدخلون الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفا يا عائشة لا تردي المساكين ولو بشق تمرة يا عائشة أحبي المساكين وقربيهم يقربك الله تعالى إلى يوم القيامة وفي

الترمذي أيضا من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام ونصف يوم والجمع بين الحديثين أن الأربعين أراد بها تقدم الفقير الحريص على الغني وأراد بخمسمائة عام الفقير الزاهد على الغني الراغب فكان الفقير الحريص على درجتين من الفقير الزاهد وهذه نسبة الأربعين إلى خمسمائة هكذا نقل عن بعضهم * وقيل غير ذلك وعن وهب بن منبه رحمه الله قال أصابت بني إسرائيل شدة وعقوبة فقالوا لنبي لهم ودنا أنا نعلم ما يرضي

ربنا تقبله فاوحى الله تعالى اليه ان اراد رضائى فليرضوا المساكين فانهم اذا رضوهم رضيت واذا اسخطوهم سخطت عليهم
ذكره الامام احمد فى كتاب الزهد له (ويحكى) ان سليمان بن داود عليهما السلام على ما آتاه الله من الملك كان اذا دخل المسجد نظر
الى مسكين جليس اليه ويقول

واعبد الله رب العالمين

المجلس السادس عشر

الحديث السادس عشر

الحمد لله الذى تنزه فى كماله
عن التشبيه والشبيه والمثال
وتوحد فى رحمانيته عن
الانس والمؤازر والشبيه
وتفرد بالجلال والعز تعالى فى قدسه
عن الصاحب والصاحبة
فلا تدرك عظمته ولا تنال

واشهد أن لا اله الا الله وحده
لا شريك له شهادة ادخرها
لهول السؤال وأشهد ان
سيدنا محمدا عبده ورسوله
الذى بصرنا من العمى
وهدانا من الضلال وبعثه
مولانا بما يؤيد به كلمة الدين
على التفصيل والاجمال
صلى الله عليه وعلى آله
واصحابه ما غرد قمرى وناح
حمام فى الاطلال آمين ﴿عن
ابى هريرة رضى الله عنه ان
رجلا قال للنبى صلى الله عليه
وسلم اوصنى قال لا تغضب
فردد مرارا قال لا
تغضب رواه البخارى﴾

* اعلموا اخوانى وفقنى
الله واياكم لطاعته ان هذا
الحديث حديث عظيم
يتضمن دفع اكثر شرور الانسان لان الشخص فى حال حياته

ملك

بين لذة والم فاللذة سببها نوران الشهوة اكلا وشربا وجماعا ونحو ذلك والالم سببه نوران الغضب فاذا اجتنبه يدفع عنه نصف
الشر بل اكثره ولهذا ما تجردت الملائكة عن الغضب والشهوة سلموا من جميع الشرور البشرية وقد اختلفوا فى هذا الرجل
الذى سال النبى صلى الله عليه وسلم فقيل هو عمارة بن قدامة أو ابو الدرداء او عبد الله بن عمر او غيره ولما سال الرجل قال له رسول

الملك الموكل بالرحم قال ابن القيم الملك الموكل بحمله يرسل اليه ولم يقل يرسل الملك اليه بالروح فيدخلها فى
بدنه لان الله تعالى أرسل اليه الروح التى كانت موجودة قبل ذلك بازمن الطويل ومع الملك * فان
قلت اذا كان المراد بالملك من جعل الله اليه أمر ذلك الرحم فكيف يرسل أو يبعث فالجواب كما قال
القاضى عياض أن المراد أنه يؤمر بذلك واختلف فى أول ما يتشكل من الجنين فقيل قلبه لانه
الاساس وقيل الدماغ لانه مجمع الحواس وجمع بينهما بان أول ما يتشكل منه من الباطن القلب ومن
الظاهر الدماغ وقيل أول ما يتشكل منه السرة وقيل الكبد لان منه النمو المطلوب أولا ورجحه
بعضهم وفى ايجاده على هذا الترتيب العجيب وانتقاله من طور الى طور مع قدرته تعالى على ايجاده
كاملا كسائر المخلوقات فى طرفة عين ﴿فوائده الاولى﴾ انه لو خلقه دفعة واحدة لشق على الام لكونها
لم تكن معتادة لذلك وربما لم تطقه فجعل أولا نطفة اعتادت بها مدة ثم علقة مدة وهلم جرا الى الولادة
ولذا قال الخطابى الحكمة فى تاخير كل اربعين يوما أن يعتاد الرحم اذا لو خلق دفعة لشق
على الام ويرى الا تقدر عليه * الثانية اظهار قدرته تعالى وتعليمه لعباده التانى فى أمورهم * الثالثة
اعلام الانسان بان حصول الكمال المعنوى له تدريجى نظير حصول الكمال الظاهر له ﴿فينفخ
فيه الروح﴾ التى بها يحيا الانسان وحقيقة النفخ اخراج ريح من النافخ يتصل بالمنفوخ وقد
اختلف فى الروح على أكثر من الف قول والمعتمد أنها جسم لطيف سار فى البدن مشتبك به اشتباك
الماء بالورد وعروق الشجر ولا يلتفت لقول من قال انها الدم لان من الحيوانات ما لا دم له ولقول
من قال انها النفس الداخل الخارج لان من الحيوانات ما لا يتنفس الا عند الموت كالسمك واسناد
النفخ الى الملك مجاز عقلى لان ذلك من أفعال الله كالخلق وقوله فينفخ فيه الروح أى ويتحرك فيها
بين ذلك الى عشرة أيام وتحس أمه حينئذ بحركته ولذلك صارت عدة الوفاة اربعة أشهر وعشرا
وظاهر الحديث ان الملك ينفخ الروح فى المضغة وليس مرادا بل انما ينفخ فيها بعد أن تتشكل
بتشكل ابن آدم وتتصور بصورته كما قال تعالى خلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه
خلقا آخر أى ينفخ الروح فيه ولكن نقول ليس ظاهره ذلك وانما ظاهره ان الارسال بعد
الاربعين الثالثة المنقضى اسم المضغة بانقضائها وتلك البدية لم تحدد فيحتمل انه بعد الاربعين الثالثة
تصور فى زمن يسير وبعد تصويره يرسل الملك فينفخ فيه الروح وقد صرح القرطبى فى المفهم ان
التصوير انما هو فى الاربعين الرابعة لكن يرد على هذا انه جاء فى حديث حذيفة بن أسيد عند مسلم
اذا مر بالنطفة ثلاث وأربعون وفى رواية اثنتان وأربعون ليلة وفى رواية خمسة وأربعون بعث
الله اليها ملكا فصورها وشق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها ثم قال يارب أذكر ام انثى
فيقضى ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول يارب اجله فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول
يارب رزقه فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك الصحيفة فلا يزاد ولا ينقص واخرجه
الفريابى عن الطفيل عن حذيفة ايضا بلفظ اذا وقعت النطفة فى الرحم استقرت اربعين ليلة يجىء

الله صلى الله عليه وسلم (لا تغضب فردد) اى كرر السؤال (مرارا) بقوله اوصنى يا رسول الله لانه لم يقنع بقوله لا تغضب بعد طلب وصية ابلغ منها او راقبه (فقال لا تغضب) فلم يزد عليها لعلمه بعموم نفعها وتظير هذا ما وقع للعباس رضى الله عنه من قوله للنبى صلى الله عليه وسلم علمنى دعاء ادعو به يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم سل الله العافية فعاود العباس مرارا فقال له يا عباس

ملك الرحم فيدخل فيصور له عظمه ولحمه وشعره ويشق سمعه وبصره ثم يقول أى رب ذكرا أم أنثى الحديث قال عياض وحمله على ظاهره لا يصح لان التصوير انما كان النطفة وأول العلقة وأول الاربعين الثانية غير موجود ولا مصور وانما يكون فى آخر الاربعين الثالثة فمعنى قوله يصورها الخ انه يكتب ذلك ويفعله فى وقت آخر بعد ذلك بدليل قوله أذكر أم أنثى وأورد على قول القاضى ان التصوير لا يكون الا فى آخر الاربعين الثالثة أن شوهد التصوير فى كثير من الاجنة فى الاربعين الثالثة والاشبه فى الجمع ان يقال ان رواية ابن مسعود باعتبار الغالب أو ان ذلك يختلف باختلاف الاشخاص فمنهم من يصور بعد الاربعين الاولى ومنهم من لا يصور الا فى الاربعين الثالثة أو بعدها على أن حديث ابن مسعود القضية فيه مطلقة لا عموم فيها فلا تعادى بصورة وقد وقعت فى صور كثيرة او أنه عقب الاربعين الاولى يرسل الملك لتصوير العلقة تصويرا خفيا ثم يرسل فى مدة المضغة أو بعدها فيصورها تصويرا ظاهرا ولذلك قال بعضهم يحتمل ان الملك عند انتهاء الاربعين الاولى يقسم النطفة اذا صارت علقة الى أجزاء بحسب الاعضاء أو يقسم بعضها الى جلد وبعضها الى لحم وبعضها الى عظم فيقدر وذلك كله قبل وجوده ثم يهيأ ذلك فى آخر الاربعين الثانية ويتكامل فى الاربعين الثالثة * وأجاب بعضهم بان الجنين يغلب عليه فى الاربعين الاولى وصف المنى وفى الاربعين الثانية وصف العلقة وفى الثالثة وصف المضغة وان كانت خلقته قد تمت وتم تصويره ثم ان نسبة التصوير الى الملك مجازية والمصور فى الحقيقة هو الله تعالى لقوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم وقوله تعالى وصوركم فاحسن صوركم وذهب بعض الاطباء الى ان التصوير يكون يوم السابع لتصريحهم بان المنى اذا نزل فى الرحم أن بدو أن فى ستة أيام او سبعة وفيها يتصور من غير استمداد من الرحم ثم تستمد منه وتبدأ خطوطه وتقطه بعد ثلاثة أيام من الاستمداد ثم فى الخامس عشر ينفذ الدم الى الجميع فيصير علقة ثم تظهر الاعضاء ويحيى بعضها من مماسة بعض وتمد طوبة النخاع بعد تسعة أيام من صيرورته علقة ينفصل الرأس عن المنكبين والاطراف عن الاصابع قالوا وأقل مدة تصوير الذكر فيها ثلاثون يوما والزمان المعتدل فى تصوير الجنين خمسة وثلاثون يوما وقد يتصور فى خمسة وأربعين وعليه فما ورد من أن التصوير يكون بعد أربعين يوما محمول على ان المراد وما قارب ذلك والثلاثون وما بعدها قريبة منها * وقال المقرى فى قواعده الولد يتحرك لمثل ما يتخلق له ويوضع لمثل ما يتحرك فيه وهو يختلف فى العادة تارة لشهر فيتحرك لشهرين ويوضع لست وتارة لشهر وخمسة أيام فيتحرك لشهرين وثلث ويوضع لسبعة وتارة لشهر ونصف فيتحرك لثلاثة ويوضع لتسعة فلذلك لا يعيش ابن ثمانية ولا ينقص الحمل عن ستة اه وروى أن عبد الملك بن مروان ولد لستة أشهر وقال بعض الاطباء ان الولد عند استكمال سبعة أشهر يتحرك للخروج فان تهيأ له الخروج خرج وعاش وان لم يتهيأ يستريح فى البطن عقب الحركة المتعبة المضعفة فلا يتحرك فى الشهر الثامن للخروج ولهذا قل تحركه فى البطن ايضا وان اتفق تحركه فى الشهر

يا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم سل الله العافية فى الدنيا والآخرة فانك اذا اعطيت العافية اعطيت كل خير وكان والغضب فى بنى الآدمى ثوران دم القلب وغليانه عند توجه مكروه الى الشخص * وفى الحديث الغضب جمرة تتوقد فى قلب ابن آدم اما ترون الى انتفاخ اوداجه واحمرار عينيه واما غضب الله تعالى فهو إرادة الانتقام ولا يخفى ان الغضب انما يذم حيث لم يكن لله تعالى اما اذا كان لله تعالى فهو محمود ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم يغضب اذا انتهكت حرمات الله عز وجل وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام اسالك كلمة الحق فى الغضب والرضا ﴿ نكتة ﴾ من اقوى اسباب رفع الغضب ودفعه التوحيد الحقيقى وهو اعتقاد ان لا فاعل حقيقة فى الوجود الا الله تعالى وان الخلق آلات ووسائط فمن توجه اليه

 مكروه من غيره وشهد ذلك التوحيد الحقيقى بقلبه اندفعت عنه آثار غضبه لان غضبه انما على الخلق وهو جراءة فاحشة تنافى العبودية وانما على المخلوق وهو اشراك ينافى التوحيد المذكور ومن ثم خدم أنس رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لشىء فعلته لم فعلته ولا لشىء تركته لم تفعله ولكن يقول قدر الله ما شاء وما شاء فعل ولو قدر الله لكان وماذاك الا لكمال معرفته عليه الصلاة والسلام بانه لا فاعل ولا معطى ولا مانع الا الله تعالى ولا

بنا في هذا ما يمنع من شرب موسى عليه الصلاة والسلام الحجر الذي لم يثوبه حين اغتسل بعيدا حتى اثرت فيه لانه لم يغضب عليه غضبا استقام له عضب تأديبه وزجر لان الله تعالى خلق في الحجر المذكور حياة مستقرة فصار كسائر القوت من راكبرا انه غلب عليه الطبع البشري فاتقم (٦٨) منه تأديبا عليه الطبع البشري حين امسكه على يده عند أخذ العصا حين صارت حية تسعى ومن

الثامن للخروج فيضعف الولد غاية الضعف وهو في نفسه غاية الضعف ولا يعيش وقال المنجمون ان في كل شهر يتولى الجنين كوكب من الكواكب السبعة المجموعة في قول القائل

زحل مشتري سريع من شمسه * فالمريخ الزهرة عطارد القمر

في الشهر الاول التدبير فيه لزحل وفي الثاني للمشتري الى السابع وفيه التدبير للقمر وهو رطب مناسب للحياة وفي الثامن يعود الى زحل وهو بارد يابس يطيء الحركة وهو على مزاج الموت فيموت في الثامن وفي التاسع يعود الى المشتري وهو نير سعيد فيكون خير أوقات الولد عند انتقاله للتاسع ثم انه رتب الاطوار في الآية الشريفة بالفاء لان المراد انه لا تتخلل بين الطورين طور آخر ورتبها في الحديث بثم اشارة إلى المدة التي تتخلل بين الطورين ليتكامل فيها الطور وانما عبر بثم بين النطفة والعلقة لان العلقة قد لا تكون انسانا وأتى بثم في آخر الآية عند قوله ثم أنشأناه خلقا آخر ليدل على ما يتجدد له بعد الخروج من بطن أمه مما لا الاتيان بثم في أول القصة بين السلالة والنطفة فاشارة الى ما يتخلل بين خلق آدم وخلق ولده وقوله تعالى فكسونا العظام لحما وذلك لان اللحم يستر العظم بجعله كالكسوة له ﴿تنبيهان الاول﴾ اختلف في تقديم خلق الروح عن الجسم وتاخيرها عنه على قولين مشهورين الاول تقديم خلق الروح على الجسم وبه جزم ابن حزم واستدل له بحديث اسناده ضعيف جدا وهو ان خلق ارواح العباد قبل العباد بالفي عام فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف والثاني ذهب اليه جماعة واستدلوا بقوله في هذا الحديث ان أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه اربعين يوما الى ان قال ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح وأجيب بالفرق بين نفخ الروح وخلقه الثاني مقر الروح في حال الحياة القلب على ما جزم به الغزالي قال السيوطي وقد ظفرت بحديث يشهد له أخرجه ابن عساكر في تاريخه وانظر ما قاله الغزالي فانه لا يأتي على قول جمهور المتكلمين من انها جسم لطيف شفاف يسري في ذاته سار في البدن كماء الورد في الورد وامامقرها فاستظهر بعض المتكلمين انها بقرب القلب ومقرها بعد الوفاة فمختلف فيه فارواح الانبياء عليهم الصلاة والسلام في اعلى عليين لقوله تعالى ان كتاب الابرار لفي عليين او سجين ﴿ويؤمر الملك﴾ وهو عطف على ينفخ ﴿باربع كلمات﴾ وفي رواية باربعة والمعدود اذا ابهم جاز تذكيره وتانيثه والمراد بالكلمات القضايا المقدورة وكل قضية تسمى كلمة وظاهر هذا الحديث ان النفخ قبل الكتابة وظاهر رواية البخاري ان النفخ بعدها والاولى التاويل على رواية البخاري لانها أصح ويمكن رد هذا اليه بان الواو لا تقتضي ترتيب او ان ما عدا من ترتيب خبر على خبر لا من ترتيب الافعال المخبر عنها او ان الكتابة تقع مرتين الاولى في السماء والثانية في بطن المرأة ويحتمل ان تكون احداهما في صحيفة والاخرى على الجنين او ان ذلك يختلف باختلاف الاجنة فمنهم من يكتب له قبل النفخ ومنهم من يكتب

طب الغضب المأمور الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم والوضوء لقوله عليه الصلاة والسلام اذا غضب احدكم فليتوضأ بالماء فانما الغضب من النار وانما تطفأ النار بالماء وفي رواية ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضأ فان قيل الغضب من الامور الضرورية التي لا يمكن دفعها بشيء فكيف امر الشارع بالوضوء عنده فالجواب انه وان كان كما ذكر الا انه آثارا مترتبة عليه يمكن دفعها ويعضده قول بعضهم الغضبان اما مغلوب للطبع الحيواني وهذا لا يمكن دفعه واما غالب للطبع بالرياضة فيمكن دفعه ولولا ذلك لكان قوله صلى الله عليه وسلم لا تغضب للرجل القائل له اوصني تكليفا بما لا يطاق ومن طب الغضب ايضا الانتقال من مكان الى مكان واستحضار ما جاء في فضل كظم الغيظ فقد اثنى الله تعالى في كتابه العزيز على كاظمي الغيظ فقال والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وغير ذلك من الآيات * وقد قال صلى الله عليه وسلم من كف غضبه كف الله تعالى عنه عذابه ومن خزن لسانه ستر الله عورته ومن اعتذر الى الله قبل الله عذره وجاء ان الله تعالى يقول ابن آدم اذكرني اذا غضبت اذكرك اذا غضبت فلا أهلكك فيمن اهلك وقال صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة وانما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وقال صلى الله عليه وسلم

من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله امنا وايمانا وقال صلى الله عليه وسلم من سره ان يشرف له البنيان وترفع له الدرجات فليعف عمن ظلمه ويعط من حرمه ويصل من قطعه وقال اذا كان يوم القيامة نادى المنادي اين الماقون عن الناس عفوا الى ربكم وخذوا اجوركم وحق على كل امرئ مسلم اذا عفا ان يدخل الجنة والاحاديث الواردة في معنى هذا كثيرة شهيرة

يكتب له ذلك بعده وأول أولى وظاهر هذا الحديث أنه يؤمر بهذه الاربعة ابتداء وليس كذلك بل انما يؤمر بها بعد أن يسأل عنها بقوله يارب ما الرزق ما الاجل ما العمل وهذا شقي أو سعيد ﴿يكتب﴾ ضبط بوجهين أحدهما بضم حذف مفعوله وكافه مفتوحة وحذفه ساكنة ثم موحدة بدل من أربع والاخرى تحتانية مفتوحة بصيغة المضارع على الاستئناف وفي رواية البخاري فيكتب بزيادة الفاء وروي بفتح الياء فيهما مبني للفاعل والمفعول وهو أوجه لانه وقع في رواية آدم وأبي داود وغيرهما فيؤذن بأربع كلمات فيكتب وقوله ويكتب أي على جبهته أو بطن كفه أو ورقة تعلق بعنقه قال مجاهد وقال القسملاني والظاهر ان الكتابة هي الكتابة المعهودة في صحيفة وقد جاء في رواية لمسلم في حديث حذيفة بن رشيد ثم تطوى الصحيفة فلا يزاد فيها ولا ينقص ووقع في حديث أبي درفيقضي الله ما هو قاض فيكتب ما هو لاق بين عينيه ﴿رزقه﴾ أي تقديره قليلا أو كثيرا وصفته حلالا أو حراما ومكروها وهو عند اهل السنة والجماعة ما ساقه الله تعالى الى الحيوان فانتفع به بالفعل سواء كان ماكولا أو غيره فيتناول العلم ونحوه لان الرزق نوعا ظاهر للابدان كالقوت وباطن للقلوب والنفوس كالمعارف والعلوم وخرج به ما لم ينتفع به وعند المعتزلة انه المملوك مطلقا انتفع به أم لا وهو فاسد الطرد لدخول ملك الله تعالى فيه ولا يسمى رزقا وقارا لا لكان مرزوقا وفاسد العكس لخروج رزقه الدواب بل والعبيد والاماء عند بعض الائمة الذين يرون ان الرقيق لا يملك وقد قال تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقال تعالى وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم وسبب نزول هذه الآية الثانية انها لما آذى المشركون المؤمنين بمكة قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم هاجروا الى المدينة فقالوا كيف نخرج الى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال فمن يطعمنا بها ويسقينا فانزلها الله تعالى ﴿وأجله﴾ طويلا أو قصيرا وله اطلاقان احدهما مدة الحياة الثاني منتهاها وهو الوقت الذي كتب الله في الازل انتهاء الحياة فيه ومنه قوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وظاهر هذه الآية ان الاجل لا يزيد ولا ينقص واما قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الآية فالضمير في قوله من عمره ليس عائدا على قوله من معمر الاول بل هو على طريقة عندي درهم ونصفه اي نصف مثل درا واما قوله صلى الله عليه وسلم من احب ان يبسط له في رزقه وينسأ له في عمره اي يزاد فيه فليصل رحمه ففيه اجوبة اصحها كما قال النووي ان هذه الزيادة مؤولة بالبركة في عمره والتوفيق للطاعات وصيانة ارقاته من الضياع وقيل ان الزيادة بالنسبة الى ما يظهر للملائكة واللوح المحفوظ لان الحق جواز وقوع المحو والاثبات في اللوح المحفوظ كصحف الملائكة وقيل ان المراد بالزيادة ذكره الجميل فكانه لم يمت فان قلت ما فائدة تعلق الزيادة بصلة الرحم مع علم الله تعالى بوجودها فيحصل المعلق عليها او بعدمها فلا يحصل واجيب ان ذلك للترغيب وقد ورد ايضا ان الصدقة تزيد في العمر وكذلك الدعاء وكذلك السلام على كل من لقيه ورقة يذكر فيها ارحم من في الارض يرحمك من في السماء اذكرني حين تغضب اذكرك حين غضب ويل لسلطان الارض من سلطان السماء وويل لحاكم الارض من حاكم السماء ثم دفعها الى وزيره وقال اذا غضبت فادفعها الى فجعل الوزير كلما غضب الملك دفعها اليه فينظر فيها فيسكن غضبه وقد جمع صلى الله عليه وسلم في قوله لا تغضب جوامع الدنيا والآخرة لان الغضب يؤدي الى القاطع والتدابر والاذى ومنع الرزق ﴿خاتمة المجلس﴾ قال وهب بن منبه رحمه الله كان عابد في بني اسرائيل

(حكي) ان بعض الناس قدم له خادمه طعاما في صحفة فمر الخادم في حاشية البساط فوقع ما معه فامتلأ وجه الرجل غيظا فقال الخادم يا مولاي خذ بقول الله تعالى فقال الرجل وما قال الله تعالى فقال له الخادم قال الله تعالى والكاظمين الغيظ فقال الرجل كظمت غيظي فقال الخادم والعافين عن الناس فقال عفوت عنك فقال الخادم والله يحب المحسنين فقال انت حر لوجه الله تعالى ولك هذه الالف دينار وقد كان الشعبي رحمه الله تعالى مولعا بقول القائل ليست الاحلام حين الرضا انما الاحلام في حين الغضب

وقال سفيان الثوري والفضيل بن عياض وغيرهما افضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع رزقنا الله ذلك آمين وخوف الرب سبحانه وتعالى يدفع الغضب كما حكي عن بعض الملوك انه كتب في

اراد الشيطان ان يخدعه فلم يستطع فخرج العابد ذات يوم لحاجة له وخرج الشيطان معه ليكيده فرسمة فاراده من جهة الشهوة والغضب فلم يستطع منه بشيء فاراده من قبل الطرب فسه وجعل يدلي عليه الصخرة من الجبل يذكره الله تعالى ولم ينل منه شيئا ثم تمثل له بالجبل وهو يصلي ويجعل (٥٠٩) يلوي بقدميه ويصدد حتى بلغ رأسه فاذا اراد السجود التوى في موضع رأسه فلما وضع رأسه ليسجد فدمغه فشجه فاتقم رأسه فجعل ينديه حتى استمكن من الارض فسجد ولما فرغ من صلاته وذهب جاءه الشيطان وقال انا فعلت بك كذا وكذا فلم استطع منك شيئا وقد بدا لي ان أصادقك فلا اريد ضلالك بعد اليوم فقال له العابد لا يوم خوفتني بحمد الله تعالى منعت منك ولا اني اليوم حاجة في مصادقتك ثم قال الا تسالني اليوم عن اهلك ما اصابهم بعدك فقال العبد ما تواقبلي قال اتسالني عما افضل به بني آدم قال بلى فاخبرني ما الذي تصل به الى اضلال بني آدم قال ثلاثة اشياء الشح والحقد والسكر فان الرجل اذا كان شحيحا قلنا ماله في عينه فيمنعه من حقوقه ويرغب في اموال الناس قال واذا كان الرجل حقودا ادرناه بيننا كما تدير الصبيان الكرة ولو كان يحيي للموتى يدعوه لم نيأس منه فانه يفني ويهدم في كلمة واحدة قال واذا سكر قدنا ماله كل سوء كما تقاد العنزبانها حيث شئنا فقد اخبر الشيطان ان الذي يغضب يكون في يد الشيطان كالكرة في ايدي الصبيان سلمنا الله تعالى من ذلك آمين والحمد لله رب العالمين

المجلس السابع عشر في الحديث السابع عشر

الحمد لله الذي سلك باحبابه نهج الصراط المستقيم واختص بالعناية من اتى الى بابه بقلب سليم اماتك الله قلوبا بالمعاصي واحيا قلوبا بالطاعة فسبحان من يحيي العظام وهي رميم واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة من به بتوله وفيه يوم

وكذلك اسباغ الوضوء وكذلك حسن الخلق وكذلك المتابعة بين الحج والعمرة وكذلك حسن الجوار وكذلك تسريح الرأس مع اللحية ولذا قال ابن العماد في منظومته

ولازم الرأس بالتسريح يمشقن * تكفي البلاء وتعطى نضرة الاجل

(وعملا) صالحا أو فاسدا (وشقي) في الآخرة خبر مبتدأ محذوف تقديره أي وهو شقي وقدمه ليعلم انه كالخبر من عند الله وما على الثنوية المثبتين شريكا خالقا للشر (أو سعيد) فيها وكان ظاهر السياق أن يقول وسعادته وشقاوته فعدل عنه حكاية لصورة ما يكتب لانه يكتب شقي أو سعيد والمراد انه يكتب لكل واحد اما الشقاوة واما السعادة ولا يكتبان لواحد معا فالثلاثة اقتصر على اربع والاقال خمس وقد قيل لما حضرت عبد الرحمن بن عوف الوفاة غشي عليه ثم افاق فقال اتاني الساعة ملكان فقالا لي قم نحاكمك بين يدي العزيز الحكيم فقرعت منهما فاذا بثلاث ثالث قد نزل من السماء فقال خليا عنه فانه كتب في بطن أمه سعيدا اه واختلف الاشاعرة والماتريدية في الشقاوة والسعادة فقال الاشاعرة هما ازليان مقدرتان في الازل لا يتغيران ولا يتبدلان فالسعادة الموت على الايمان تعلق العلم الازلي بها كذلك والشقاوة الموت على الكفر تعلق العلم الازلي بها كذلك والسعيد من علم الله في الازل موته على الايمان وان تقدم منه كفر والشقي من علم الله في الازل موته على الكفر وان تقدم منه ايمان وعلى هذا فلا يتصور في السعيد ان يشقى ولا في الشقي ان يسعد وقال الماتريدية السعيد هو المسلم والشقي هو الكافر والسعادة الاسلام والشقاوة الكفر وعليه فيتصور أن السعيد قد يشقى بان يرتد بعد الايمان وان الشقي قد يسعد بان يؤمن بعد الكفر وان السعادة والشقاوة غير ازليتين بل يتغيران ويتبدلان ويتفرع على ذلك مسئلة الاستثناء في الايمان فعند الاشاعرة يجوز ان يقال انا مؤمن ان شاء الله تعالى نظرا للمآل وهو مجهول الحصول في المستقبل ووافقهم الشافعي على ذلك وعند الماتريدية لا يجوز ذلك نظر الحال ووافقهم امامنا مالك والامام ابو حنيفة واحمد لان الايمان يجب فيه الجزم ولا جزم مع التعليق وقال ابن عبدوس من اتباع مالك بوجوب التعليق لما في تركه من الجزم الذي فيه تزكية النفس وقد قال تعالى فلا تزكوا أنفسكم وقد نظم ذلك بعض شيوخنا مع زيادة فقال

من قال اني مؤمن بمنع من * مقالة ان شاء ربي يافطن * وذا لمالك وبعض نابيه
يوجب ان يقال هذا بانيه * ومثل مالك الحنفي * والشافعي جوز هذا فاعرف
وامنعه اجماعا اذا اراد به * الشك في ايمانه بامنيه * كعدم النفع اذا به يراد
تبرك بذكر خالق العباد * فالخلاف حيث لم يرد شكا ولا * تبركا فكن بذا محتفلا

فان قلت قد ورد في الحديث جفت الاقلام وطويت الصحف اي مضت المقادير بما سبق به علم الله في الازل واذا كانت السعادة والشقاوة ازليتين فما معنى قوله في الحديث الآخر والشقي من شقي في بطن امه * فالجواب ان معناه من علم انه شقاوته حين السؤال عنه وهو في بطن امه والمراد ان

هذا

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ما طار طائر وهب نسيم آمين ﴿عن أبي يعلى شداد بن أوس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته رواه مسلم﴾ (١٠١) اعلموا إخواني وفقني الله وإياكم

هذا أول زمن اشتهار أمر ما الشقاوة والسعادة الأزلية التخليق والآفاقة تعالى أن يظهر سعادته وشقاوته لمن شاء من عباده قبل ذلك كما نقل عن بعض العارفين أنه كان يقول لم أزل أهرف صبيانا ويهرفون بي في الاصطلاب من يوم أستبر بكم ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾ فيه الحلف من غير استحلاف ولا كراهة فيه لأنه تعظيم لله تعالى * وأما قول عيسى عليه السلام لبني إسرائيل كان موسى ينهاكم أن تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون وأنا أنهاكم أن لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين فهو مخالف شرعنا لأنه صدر منه صلى الله عليه وسلم كثيرا وأمر به الله بغلا وبعد لكراهته ويحتمل أن يكون كراهة عيسى خوف الكثرة منه فيؤول إلى حالف كذب أو تقصير في الكفارة ومر الحالف مستوفى والله أعلم التعجب من وقوع ذلك والعرب إذا تعجبت من شيء أقسمت عليه ومن ذلك قول عروة رضي الله عنه إن آدم أدخل الجنة يوم الجمعة بعد العصر والله ما غربت الشمس حتى أخرج منها ﴿إن أحدكم ليعمل﴾ بلام التأكيد ﴿بعمل﴾ الباء زائدة لأن عمل إما مفعول مطلق أو مفعول به وكلاهما مستغن عن الحرف فزيادة الباء للتأكيد أو ضمن يعمل معنى يتلبس ﴿أهل الجنة﴾ يعني من الطاعات الاعتقادية والقولية والفعلية والجنة دار النعيم وهي في الأصل الحديقة ذات الشجر سميت بذلك لكثرة شجرها ونباتها ويقال جنت الرياض جنونا إذا اعتم نبتها حتى ستر الأرض ومنه الجنين لاستتاره عن العيون وتسمى البستان لما فيها من الأشجار المتكاثفة المظلة ﴿حتى ما يكون﴾ بالرفع لأن ما كفت به حتى قاله الهيتمي وقلد في ذلك قول الشارح الفاكهاني يتعين أن يكون بالرفع لأن ما النافية قطعت عمل حتى عنه اهـ ومازعمه من التعيين ممنوع بل لا يصح فقد قال الطيبي في شرح المشكاة حتى هي الناصبة وما نافية ولم تكفه ما عن العمل وقال غيره لأن معنى ما النفي الحال فيتعين رفعه وشرط نصبه أن يكون مستقبلا ونازعه غيره من الأشياخ وقال الفعل هنا مستقبل قطعا وشرط وجوب الرفع أن يكون حالا حقيقة وأن يكون مسببا عما قبله وأن يكون فضلة فإن كان مستقبلا حقيقة أو لم يكن مسببا عما قبله وكان عمدة وجب النصب وإن كان مستقبلا مؤولا بالحال جاز فيه الوجهان وها هنا إما مستقبل حقيقة وهو الظاهر فيجب نصبه أو مؤولا فيجوز نصبه ورفعه قال الأشموني ولا يرتفع الفعل بعد حتى إلا بثلاثة شروط الأول أن يكون حالا إما حقيقة نحو سرت حتى أدخلها إذا قلت ذلك وأنت في حالة الدخول والرفع حينئذ واجب أو بتأويل نحو حتى يقول الرسول في قراءة نافع والرفع حينئذ جائز والثاني أن يكون مسببا عما قبلها فيمتنع الرفع ويتعين النصب في نحو لا سيرن حتى تطلع الشمس الثالث أن يكون فضلة فيجب النصب في نحو سيري حتى أدخلها وكذلك في نحو كان سيري أمس حتى أدخلها إن قدرت كانت ناقصة ولم يقدر الظرف خبرا فتكون منصوبة بحتى ولعل لفظة ما المجرد النفي فتسلخه عن معنى الحالية لتجامع أن التي للاستقبال وأجاز غيره أن تكون حتى ابتدائية ﴿بينه وبينها﴾ أي وبين الجنة ﴿إلا ذراع﴾ زاد البخاري أو باع وهو تمثيل لشدة القرب ﴿فيسبق﴾ أي يغلب ﴿عليه الكتاب﴾ أي مضمون الكتاب

للعلم أن هذا الحديث حديث عظيم جامع لقواعد الدين العامة كما سنبينه إن شاء الله تعالى (فقوله إن الله كتب الإحسان) أي أمر به وحض عليه والمراد به الإحكام والإكمال (قوله على كل شيء) أي اليه أو فيه ويحتمل أن تكون على على بابها أي كتب الإحسان في الولاية على كل شيء حتى ما يذكر إذ التحسين في الأعمال المشروعة مطلوب حتى على من شرع في شيء منها أن يأتي به على غاية كماله ويحافظ على آدابه المصححة والمكملة له فإذا فعل على الوجه المذكور قبل وكثر ثوابه (قوله فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة) بكسر القاف أي الهيئة والحالة وبفتحها الفعلة من ذلك (قوله وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة) بكسر الذال كالقتلة وجاء في رواية فأحسنوا الذبح (قوله وليحد أحدكم شفرته) بضم الشين وقد تفتح وهي السكين العظيمة ومثلها كل ما يذبح به (قوله وليرح ذبيحته) أي مذبوحه باحداد السكين وتعجيل إمرارها وترك إحدادها وذبح غيرها قبالتها وغير ذلك فقد روي أن سبب ابتلاء يعقوب بفرقة ولده يوسف عليهما السلام أنه ذبح عجلا بين يدي أمه وهي تخور فلم يرحمها (ومن غريب) ما وقع مما يتعلق بذلك ما حكي عن بعضهم أنه دخل على بعض الأمراء وقد أمر بذبح جملة من الغنم فذبح بعضها ثم اشتغل الذابح عن الذبح ثم عاد إليه في الحال فلم يجد المدية التي يذبح بها فانتهر بها بعض الحاضرين فانكر أخذها وجعل

بسبب ذلك انطلق بها رجل كان ينظر اليهم من بعيد وقال السكين التي تخاصمون عليها أنفذ بها هذه الشاة بنصفين مشيرا بها الى عنقها فرأى الاسير شخصا انزل الى عنقه الزليتين هذا الامر فتزل فوجد الامر كما أخبر الرجل (قوله وليصلح) بضم الياء وكسر الخاء وتشديد اللام الثانية قوله (وليرح) (٢٠٢) بضم الياء وقد ذكرنا ان هذا الحديث جامع لقواعد الدين العامة وبيان ذلك

وايضاحه ان الاحسان في الفعل هو ايقاعه على مقتضى الشرع أو العقل وهو ما يتعلق بمعاش الفاعل او معاده فالاول سياسة نفسه وبدنه واهله واخوانه وملكه والناس والثاني الايمان وهو عمل القلب والاسلام وهو عمل الجوارح كما قدمناه في حديث جبريل عليه السلام فان احسن الانسان في هذا كله بان فعله على وجهه فقد حصل كل خير وسلم من كل ضير وما ذكر من الاحسان عام في كل شيء وقد افرده صلى الله عليه وسلم بالذكر الرفق في القتل والذبح امثلة لضرب ذلك مثلا للاحسان اتفاقا لا عن مقتض خصه بالذكر وهو عمل الجوارح واما ان سبب الحديث الذي هو فعل الجاهلية اقتضاه فانهم كانوا يمثلون في القتل بجدع الانف وقطع الايدي والارجل ونحو ذلك وكانوا يذبحون بالمدى الكالة والعظم والقصب ونحوه مما يعذب الحيوان اولا ان القتل والذبح غايتها يفعل من الاذى فامر صلى الله عليه وسلم وقولوا بالرفق في كل شيء فيا اخوانا عليكم بالرفق فانه ما كان في شيء الا زانه ولا ينزع الرفق من شيء الا شانه (نكتة) انظر وا بعين البصيرة الى حكمة الله تعالى كيف لم يفرض الصلاة على العباد في اول الاسلام بل فرضها ليلة المعراج وكذلك الصيام فرض في السنة الثانية من الهجرة وكذلك تحريم الخمر بعد وقعة احد كل ذلك تعليم لعباده الحلم والصبر واخذ الامور على الاستدراج لئلا يعجلوا في امورهم

فهو على حذف مضاف أي اراد بالكتاب المكتوب والمعنى انه يقارض على عمله في اقتضاء السعادة والمكتوب في اقتضاء الشقاوة فيستحق مقتضى المكتوب به فعبر عن ذلك بالسبق لان السابق يحصل مراده دون المسبوق ولانه لو تمثل العمل والكتاب شخصين ساعيين لظفر شخص الكتاب وغلب شخص العمل (فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها) ظاهر هذا الحديث ان هذا العامل كان عمله صحيحا وانه قريب من الجنة بسبب عمله حتى اشرف على دخولها وانما منعه من دخولها سابق القدر الذي يظهر عند الخاتمة وعلى هذا فالوقوف على التحقيق انما هو بما سبق اذ لا تبديل له ولا تغيير فاذا الاعمال بالسوابق لكن لما كانت السابقة مستورة عنا والخاتمة ظاهرة انا قال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالخواتيم أي عندنا وبالنسبة الى اطلاعنا في بعض الاشخاص وفي بعض الاحوال وفي رواية لمسلم ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وحينئذ فعمله لم يكن صحيحا في نفسه وانما كان رياء وسمعة وقد ورد أن راهبا كان يقال له برصيصا تعبد في صومعته سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين حتى احيا ابليس فجمع ابليس مردة الشياطين فقال ألا احد منكم من يكفيني أمر برصيصا فقال الابيض أنا أكفيكه وهو الذي قصد النبي صلى الله عليه وسلم في صورة جبريل ليوسوس اليه على وجه الوحي فدخل جبريل بينهما ثم دفعه بيده حتى وقع بأقصى الهند فانطلق فتزيا بزي الرهبان وحلق وسط رأسه حتى أتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه وكان لا ينفتل من صلاته الا في كل عشرة أيام يوما ولا يفطر الا في كل عشرة أيام وكان يواصل العشرة الايام والعشرين والاكثر فلما رأى الابيض انه لا يجيبه أقبل على العبادة في اصل صومعته فلما انفتل من صلاته رأى الابيض قائما يصلي في هيئة حسنة من هيئة الرهبان فندم على عدم اجابته وقال له ما حاجتك قال أحب أن أكون معك فتأدب بآدابك واقتبس من علمك فقال انى في شغل عنك ثم أقبل على صلاته واقبل الابيض على الصلاة فلما رأى برصيصا شدة اجتهاده وعبادته قال ما حاجتك قال ان تأذن لي فارتفع اليك فاذن له فاقام الابيض معه حولا لا يفطر الا في كل اربعين يوما يوما وعاد الى الثمانين فلما رأى برصيصا اجتهاده تقاصرت اليه نفسه ثم قال الابيض عندي دعوات يشفي بها السقيم والمبتلي والمجنون فعلمها اياها ثم جاء الى ابليس فقال قد والله اهلكت الرجل ثم تعرض لرجل فخنقه وقال لاهله وقد تصور في صورة الآدميين ان بصاحبكم جنونا فاذهبوا به الى برصيصا فان عنده اسم الله الاعظم اذا سئل به اعطى واذا دعى به اجاب فجاؤه فدعا بتلك الاسماء فذهب عنه الشيطان ثم جعل الابيض يفعل بالناس ذلك ويرشدهم الى برصيصا فيعافون فانطلق الى جارية من بنات الملوك بين ثلاثة اخوة فعذرها وخنقها ثم جاء اليهم في صورة رجل مطبب ليعالجها فقال ان شيطانها مارد لا يطاق ولكن اذهبوا بها الى برصيصا فدعوها عنده فاذا رأى شيطانها دعا لها فبرئت فقالوا لا يجيبنا الى هذا قال فابنوا لها صومعة في جانب صومعته ثم ضعوها فيها

قال السجلماسة ﴿ نكتة أخرى ﴾ يؤخذ من قول الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين الى قوله وما ملكت أيمانكم أن الرأفة بالحيوانات والوصية بها فقد صح انه صلى الله عليه وسلم قال كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته وأخرج النسائي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قتل (٢٠٣) عصفورا عبثا عج الى الله يوم القيامة ويقول يارب سل هذا لم قتلني عبثا ولم يقتلني لمنفعة وفي الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله غفر لبغي بسقايتها كلب وعذب امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعا وعطشا * وحكى عن أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى قال ركبت مرة حمارا فضربته مرتين أو ثلاثا فرفع الحمار رأسه الي وقال لي يا أبا سليمان انما القصاص يوم القيامة فان شئت فاقلل وان شئت فاكثر وهذا في زجر من يؤذي الدابة بالضرب أو الاحمال الثقيلة أو قلة العلف ونحو ذلك وانه مسؤل عن ذلك يوم القيامة فليتق العبد ربه ويحسن كما أحسن الله اليه ويخاف من القصاص يوم القيامة بينه وبين البهائم الحيوانى أطيعوا الله ولا تعصوه * فمن وهب قال ان الرب عز وجل قال في بعض ما يقول لبني اسرائيل اني اذا أطعت رضيت واذا رضيت باركت وبركتي ليس لها نهاية واذا عصيت غضبت واذا غضبت لعنت ولعنتي تلحق السابع من الولد أي وذلك من شؤم المعصية ﴿ نادرة ﴾ حكي ان الخليفة هرون الرشيد رحمه الله حلف بالطلاق انه من اهل الجنة فاجتمع اليه العلماء فما افتاه احد بذلك فدخل عليه ابن السماك فقال يا امير المؤمنين مالي اراك حزينا مهموما فقال من شان كذا وكذا قال ابن السماك اسالك عن شيء هل تريته معصية قط ثم تركتها خوفا من الله تعالى قال نعم قال يا امير المؤمنين انت من اهل الجنة فان الله تعالى يقول واما

وقولوا للدهى أما نة عندك فاحتسب فيها فسالوه ذلك فاتي فبنى احصومعة وضعوا فيها الجارية فلما انقطع من صلاته عاين الجارية وما بها من اجمال فاستطار في يده فذهبها الشيطان فاغفل من صلاته وعاد فلما فقدهب الشيطان ثم أقبل على صلاته فجاءها الشيطان وخنقها وكان يكشف عنها ويتعرض بها لبرصيصا ثم جاءها الشيطان فقتل ويحك واقعها فاتجدها فاتوب بعد ذلك فلم يزل به حتى واقعها فحملت وظهر حملها فقال له الشيطان ويحك قد افتضحت فهل لك ان تقتلها ثم تتوب فلا تفتضح فان جاؤك فسالوك فقل جاءها شيطانا نهافذهب بها فقتلها البلاد وفنها فاخذ الشيطان طرف ثوبها حتى بقي خارجا من التراب وربع برصيصا الى صلاته ثم جاء الشيطان الى اخوتها في المنام فقال ان برصيصا فعل باختكم كذا وكذا وقتلها ودفنها فاستعظموا ذلك فقالوا لبرصيصا ما فعلت باختنا فقال ذهب بها شيطانا نها فصدقوه وانصرفوا ثم جاء ثم الشيطان في المنام فقال انها مدفونة في موضع كذا وكذا وان طرف ردائها خارج من التراب فانطلقوا فوجدوها فهدموا صومعته وانزلوه وخنقوه وحملوه الى الملك فاقر على نفسه فامر بقتله فلما صلب قال له الشيطان أتعرفني قال لا قال أنا صاحبك الذي علمتك الدعوات أما اتقيت الله انا اسحيت وانت أعبد بني اسرائيل ثم لم يكفك صنيعك حتى فضحت نفسك وأقررت عليها وفضحت أشباهك من الناس فان مت على هذه الحالة لم يفلح احد من نظرائك بعدك قال فكيف أصنع قال تطيعني في خصلة واحدة وأنجيك منهم أو آخذنا بصارهم قال وما ذاك قال تسجد لي سجدة واحدة فاطاعه وسجد له من دون الله وربت هذه القصة على غير هذا الوجه ﴿ وان أحدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيغلب عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ﴾ ثم ان من لطف الله تعالى وسعة رحمته ان انقلاب الناس من الشر الى الخير كثير واما انقلابهم من الخير الى الشر ففي غاية الندور ونهاية القلة ولا يكون الا لمن أصر على الكبائر وحكى ابن الجوزي في كتابه ذم الهوى انه كان رجل مسلم يهوى امرأة نصرانية فمرض مرض الموت فقال في نفسه انا أعشق هذه ولم أجتمع بها في الدنيا وان مت على الاسلام لم أجتمع بها في الآخرة فتنصر ومات على النصرانية وكانت المرأة مريضة فقالت ان فلانا كان يهواني ولم يجتمع بي في الدنيا وأخشى ان مت على دين النصرانية ان لا أجتمع به في الآخرة فاسلمت ومات في مرضها ﴿ فائدة ﴾ قال صلى الله عليه وسلم علامة الشقاوة جمود العين وقساوة القلب وحب الدنيا وطول الامل وقال ذو النون المصري علامة السعادة حب الصالحين والدنو منهم وتلاوة القرآن وسهر الليل ومجالسة العلماء ورقة القلب اه وقال شيخنا الاجهوري في شرحه لمختصر العلامة الشيخ خليل مانصه من علامات البشرى للميت ان يصفر وجهه ويعرق جبينه وتدرف عيناه دموعا ومن علامات السوء ان تحمر عيناه وتربد شفتاه ويغط كغطيط البكر اه وتربد بالراء المهملة بعدها باء موحدة وفي آخره دال مهملة قال في القاموس الربدة بالضم لون الى الغبرة ﴿ رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما ﴾

من خلف مقام ابراهيم عليه السلام من الطوى فان الجنة هي المأوى ﴿ حكاية ﴾ تناسب ما تقدم قيل ان رجلا من بني اسرائيل فار فاجر اسرف على نفسه فلما ان كثيب من المواعيد فاني في مسيره على بئر فاذا كلب يلهث من العطش فرق له ورثى له فنزل في البئر ونزع خفه وسقى الكلب وأراه فشكر الله عز وجل (ج ٩) صنعه وغفر له وأوحى الله تعالى الى نبي ذلك الزمان بان قل لذلك المسرف اني قد غفرت له

الحديث الخامس

﴿ عن أم المؤمنين ﴾ في الاحرام بالعظيم وحرمة النكاح دون الخلوة والنظر وتحريم البنات وكذا يقال في سائر أزواجه صلى الله عليه وسلم وهل يقال للاخوات من أخواتهم وأخواتهن خالاتهم ولبناتهن أخواتهم رجح جمع المنع ولا يقال لآبائهن وأمهاتهن أجداد المؤمنين وبعداتهن ويقال لهن أمهات المؤمنات أيضا بناء على ان النساء يدخلن في خطاب الرجال تبعا وتغليبا وهو صلى الله عليه وسلم أبو المؤمنين في الرأفة والرحمة ونفي أبوته في قوله تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم أريد بها نفي أبوة النسب والتبني ولذلك لم يعش لابن حتى يصير من الرجال ﴿ أم عبد الله ﴾ كناها النبي صلى الله عليه وسلم بابن أختها أسماء عبد الله بن الزبير كما ساقه في ذلك والصحيح انها لم تلد قط وذكر السهيلي في الروض أنها ألقت سقطا ولم يثبت ﴿ عائشة ﴾ وعوام المحدثين يمدونه ياء بنت ابي بكر الصديق واسمه عبد الله بن أبي قحافة واسم ابي قحافة عثمان وامها أم رومان بضم الراء وسكون الواو على المشهور وقال ابن عبد البر في الاستيعاب يقال بفتح الراء وضمها بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس ﴿ رضي الله عنهما ﴾ تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة في شوال قبل الهجرة بسنتين وقيل بثلاث وقيل بخمس وثمانية عشر شهرا وهي بنت ست سنين وبنى بها بالمدينة في شوال منصرفه من بدر وهي بنت تسع وأقيمت عنده تسع سنين وكان أحب النساء اليه بعد خديجة وعاشت بعده صلى الله عليه وسلم أربعين سنة وفي التفضيل بينها وبين خديجة أوجه ذكرها المصنف في الروضة ثالثها الوقف واختار السبكي في الحلبيات تفضيل خديجة ثم عائشة ثم حفصة ثم الباقيات سواء واختلف في التفضيل بين عائشة وفاطمة على ثلاثة أقوال ثالثها الوقف والاصح تفضيل فاطمة لانها بضعة منه وقد صححه السبكي في الحلبيات وبالغ في تصحيحه ولم يتزوج بكرا غيرها ولم تخطبها من أبي بكر رضي الله عنه قال له يا رسول الله انها صغيرة لا تصلح ولكن أنا أرسلها اليك فان كانت تصلح فهي السعادة الكاملة فقال ان جبريل أتاني بصورتها على ورقة من الجنة وقال ان الله تعالى زوجنك بهذه ثم ذهب أبو بكر الى منزله وملأ طبقا من ثمر وغطاه وقال يا عائشة اذهبي بهذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقولي له يا رسول الله هذا الذي ذكرته لابي بكر ان كان يصلح فبارك عليك فمضت اليه عائشة بالطبق وهي تظن أن أبا بكر يعني التمر فقالت عائشة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغته الرسالة فقال قبلنا يا عائشة قبلنا وجذب طرف ثوبي قالت فنظرت اليه مغضبة ودخلت على أبي بكر فاخبرته بما وقع فقال يا بنية لا تظني برسول الله صلى الله عليه وسلم ظن سوء ان الله تعالى قد زوجك به وانى قد زوجتك منه قالت عائشة ففرحت بشيء أشد من فرحي بقول أبي بكر قد زوجتك منه وقد وردانها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم أرأيت لو نزلت واديا فيه شجرة قد أكل منها ووجدت شجرة لم يؤكل منها في أيهما كنت ترتع بعيرك قال في التي لم يأكل منها يعني ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرا غيرها * وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله تعالى

يحيم ما اقترفه بر حمته على خلقي ﴿ خاتمة المجلس ﴾ روى ابن عساكر في تاريخه عن بعض أصحاب الشبلي قال رأيت الشبلي في النوم بعد موته فقلت له ما فعل الله بك قال أوقفني بين يديه الكريمتين وقال أبا بكر اتدري بما غفرت لك فقلت بصالح عملي قال لا قلت باخلاصي في عبوديتي فقال لا قلت بحجي وصومي وصلاتي فقال لم اغفر لك بذلك فقلت بهجرتي الى الصالحين وبادامة اسفاري وطلب العلوم فقال لا فقلت يارب هذه النتيجات التي كنت اعقد عليها بحسن ظني اندرا تعفو عني قال كل هذا لم اغفر لك بها * فقلت الهي فبماذا قال اتذكر حين تمشي على درب ببغداد فوجدت هرة صغيرة قد اضعفها البرد وهي تتردى الى جدار من شدة الثلج والبرد فاخذتها برحمة لها فادخلتها في فروك كان عليك وقاية لها من الم البرد * فقلت نعم قال برحمتك لتلك الهرة رحمتك اللهم ارحمنا برحمتك يا ارحم الراحمين يارب العالمين

عربا

﴿ المجلس الثامن عشر في الحديث الثامن عشر ﴾ الحمد لله الحليم الستار المتفضل بالعطاء الدرار النافذ قضاؤه بما تجري به الاقدار يبدي ويشتي ويسعد ويهبط ويصعد وربك يخلق ما يشاء ويختار واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له مكور الليل على النهار واشهد ان سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله المصطفى المختار الشفيع فيمن يصلي عليه من النار صلى الله عليه

وعلى آله وأصحابه ماطلع فجر واستنار آمين ﴿عن أبي ذر جندب بن جنادة الغفاري وأبي عبد الرحمن معاذ بن جبل رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن رواه الترمذي وقال حديث حسن ﴾ وفي بعض النسخ حسن صحيح على الصواب وفقني

اللهم اياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم اشتمل على ثلاثة أحكام حق الله وحق المكلف وحق العباد أما حق الله تعالى فخيفما كنت فاتقه فانه ناظر اليك ورتيب عليك وأما حق المكلف فهو محو الحسنة السيئة وأما حق العباد فهو معاشرتهم بخلق حسن كما سيأتي الكلام على ذلك كله

﴿فائدة﴾ جندب بفتح الدال وضمها وكسرها على ثلثة وجنادة بضم الجيم ﴿موعظة﴾ سئلت أم أبي ذر راوي هذا الحديث عن عبادته فقالت كان نهاره أجمع في ناحية يتفكر ﴿ وعن سفيان الثوري رضي الله عنه أنه قال قام أبو ذر رضي الله عنه فالتفاف الناس فقال أرأيتم لو ان أحدكم أراد سفرا أليس يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلغه قالوا بلى قال فسفر القيامة أبعد مما تريدون فخذوا ما يصلحكم قالوا وما يصلحنا قال حجوا حجة لعظائم الامور وصوموا يوما شديدا حره لطول يوم النشور وصلوا ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور كلمة خير تقولونها أو كلمة شر تسكتون عنها الوقوف يوم عظيم تصدق بما قلت لعلك تنجو واجعل الدنيا مجلسين مجلسا في طلب الحلال ومجلسا في طلب الآخرة والثالث لا يضرك ولا ينفعك فلا تريده اجعل المال درهمين درهما تنفقه على عيالك في حلها ودرهما تقدمه لآخرتك والآخر لا يضرك ولا ينفعك فلا تريده فتاملوا هذه الموعظة العظيمة عن ابي ذر رضي الله عنه ﴿موعظة أخرى﴾ روي عن انس

عن بابا أتراها فقال نساء الدنيا يدخلن الجنة أفواجا فكلما انقضى فوج رجعها ترجع بكواعبا فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها واوجعاه فقال عليه الصلاة والسلام لا وجع في الجنة يا عائشة وقال عليه الصلاة والسلام خذوا شطر دينكم عن هذه الحميراء والحميراء تصغير حمراء وأتى عمرو بن العاص الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أي النساء أحب اليك يا رسول الله قال عائشة قال ومن الرجال قال أبوها قال ثم من قال عمر وعن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وعن هشام بن عروة عن أبيه قال كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة فاجتمع صواحباتها الى أم سلمة فقلن لها يا أم سلمة ان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة وانا نريد الخير كما تريد عائشة فمري رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يامر الناس ان يهدوا اليه حيثما كان وسيجيء دار فذكرت ذلك أم سلمة للنبي صلى الله عليه وسلم فاعرض عنها فلما عاد اليها ذكرت له ذلك فاعرض عنها فلما كان في الثالث ذكرت له ذلك فقال يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة فانه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها ورحمتها سودة يومها وليلتها فكان لها يومان وليلتان دون بقية أمهات المؤمنين وعن أم سلمة قالت عائشة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعا يده على معرفة فرس دحية الكلبي وهو يكلمه فقلت يا رسول الله رأيتك واضعا يدك على معرفة فرس دحية الكلبي رأيت تكلمه قال أو رأيته قلت نعم قال ذاك جبريل وهو يقرئك السلام قالت وعليه السلام جزاه الله من صاحب ودخيل خيرا نعم الصاحب الدخيل وقال سفيان الدخيل هو الضيف ﴿ وروي سعيد ابن المسيب وعلقمة بن أبي وقاص وجماعة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد ان يسافر اقرع بين نسائه فايتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه فاقرع بيننا في غزوة فخرج سهم عائشة فخرجت معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد ما نزل الحجاب وكنت احمل في هودجها حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه من غزوته وقفل راجعا ودنا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقامت ومشت حتى جاوزت الجيش فلما قضت شانها اقبلت الى الرحل فلمست صدرها فاذا عقد من جزع اظفار كان معها لاختها اسماء قد انقطع فرجعت في طلبه فحبسني هودجها ظنا انها فيه وسار القوم فرجعت بعد ان وجدته فلم تر أحدا فيممت المكان الذي كانت فيه وقالت ان القوم سيفقدوني فيرجعون الي فبينما هي جالسة غلبتها عيناها فنامت وكان صفوان بن المعطل السلمي متاخرا وراء الجيش فمر بها فرأى سواد انسان نائم فاتاها فعرفها فاسترجع فاستيقظت باسترجاعه ولم تسمع منه كلمة غير استرجاعه فاناخ راحلته ووطيء على يدها حتى ركبت وانطلق يقودبها الراحلة وهو وليها ظهرا حتى ادركنا بها الجيش بعد ما نزلوا فرموها به وقال عبد الله بن ابي ابن سلول رئيس المنافقين والله ما نجت منه وما نجا منها وشرع في ذلك حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش زوجة طلحة بن عبد الله

﴿ ١٤ - شرحنبق ﴾

ابن مالك ان معاذ بن جبل رضي الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف اصبحت قال اصبحت بالله مؤمنا قال
ان لكل قول صحة فما صحة قولك قال ما قلته الا وانا موقن قال ان لكل يقين حقيقة فما حقيقة يقينك قال ما اصبحت صباحا قط الا ظننت اني لا امسي ولا امسيت
مساء قط الا ظننت اني لا اصبح ولا (٦٠٦) مخطوطة مخطوطة الا ظننت اني لا انبهها اشرفي وكاني انظر الى كل امة مدعى الى كتابها

وغيرهم فلما قدمت المدينة اشتكت واقامت شهرا والناس يفيضون في قول اهل الافك وهي لا تشعر
بشيء من ذلك الا انه كان يريبها في وجعها انها كانت لا تعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللطف الذي كانت تراه منه اذا اشتكت وانما كان يدخل عليها فيسلم ثم يقول كيف تيكم حتى
خرجت مع أم مسطح قبل المناصع التي كن يتبرزن فيها قريبا من البيوت وذلك قبل أن تتخذ الكنف
قالت فرغا من شانهما رجعا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقالت لها عائشة
بئسما قلت أتسبين رجلا شهد بدرا قالت أي بنية ألم تسمعي ما قالوا قالت وما ذاك فاخبرتها بقول
أهل الافك فازدادت مرضا على مرضها فلما رجعت الى بيتها استأذنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم في أن تاتي أبويها وأرادت ان تتقن الخبر من قبلهما فاذن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت
اليهما وقالت لامها يا أمه ما الذي يتحدث الناس فقالت أي بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت
امرأة وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا أكثرن عليها فقالت سبحان الله وقد تحدث الناس
بهذا وبكت تلك الليلة حتى أصبحت وهي تبكي ودعا صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب واسامة
ابن زيد حين لبث شهر الا يوحى اليه في شانها يستشيرهما في فراقها فاما اسامة فاشار على رسول الله
صلى الله عليه وسلم بما يعلم من براءة أهله فقال يا رسول الله هم اهلك ولا نعلم الا خيرا واما علي بن ابي
طالب فقال لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وان تسال الجارية تصدقك فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بريرة فقال أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك فقال له والذي بعثك بالحق ما رأيت
عليها قط امرا أغمصه عليها أكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتاتي الداجن
فتاكله فانتهرها بعض اصحابه وقال لها اصدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت سبحان الله والله ما
علمت عليها الا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصعد المنبر واستعذر
من عبد الله بن أبي ابن سلول وقال يا معشر المسلمين من يعذرني في رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي
فوالله ما علمت على أهل بيتي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما كان يدخل
على أهلي الا معي فقام سعد بن معاذ الانصاري فقال انا اعذرك منه يا رسول الله ان كان من الاوس
قبيلتنا ضربنا عنقه وان كان من اخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك فقام سعد بن عبادة وهو
سيد الخزرج وكان رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ لعمر الله لا تقتله ولا تقدر
على قتله فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ وقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه
فانك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ورسول الله صلى
الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا وسكت واشتد الامر على عائشة فاستاذنت
عليها امرأة من الانصار فاذنت لها فجعلت تبكي معها فبينما هما على ذلك اذ دخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فسلم ثم جلس ولم يكن يجلس عندها منذ قيل فيها ما قيل فتشهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم قال اما بعد يا عائشة فانه قد بلغني كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت المممت

كلمة وجيزة جامعة لكل خير جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم بذنب
فقال اوصني قال عليك بتقوى الله فانها جماع كل خير وعليك بالجهاد فانه رهبانية المسلمين وعليك بذكر الله تعالى فانه نور
لك في الارض وذكر لك في السماء واخزن لسانك الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقال صلى الله عليه وسلم من اتقى الله عاش
قويا وسار في البلاد آمنا وقال وهب رحمه الله الايمان عريان ولباسه التقوى وريشه الحياء وراس ماله العفة وقال غيره من سره

بذنب

ان تدوم له الدائمة فليتق الله وقيل لبعض الصالحين عند موته أوصنا قال عليكم بآخر آية من سورة النحل ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون والآيات والاخبار في التقوى كثيرة قيل ﴿نكتة﴾ في مستدرك الحاكم في فضائل القرآن للفريابي رحمه الله ان داود عليه السلام قال يا رب كيف لا بني سليمان كما كنت لي فاوحى الله اليه قال لانك يكون لي كما كنت لي أكون له كما كنت لك ﴿نكتة أخرى﴾ قال مجاهد رحمه الله رأيت الكعبة في النوم تخاطب النبي صلى الله عليه وسلم وتقول يا محمد ان لم تنته امتك عن المعاصي لا تنفض حتى لا يبقى حجر على حجر ومعنى التقوى امتثال الاوامر واجتناب النواهي وقال بعضهم ان اردت ان تعصيه فاعصه حيث لا يراك او اخرج من داره او كل من غير رزقه قال العلماء رضي الله عنهم فاذا اتقى الشخص الله تعالى وفعل ما امر به وترك ما نهي عنه فقد اتى بجميع وظائف التكاليف قال الله تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر وقال الله تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون الآية فمن اتقى الله بما في الآية الاولى من الايمان والاسلام فهو متق والمتقي ولي الله ومن اتقى بما في الآية الثانية فهو ولي الله ولتقوى الله تعالى فوائد كثيرة منها الحفظ والحراسة من الاعداء لقوله تعالى وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيا ومنها التاييد والنصر لقوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ومنها النجاة من الشدائد والرزق الحلال لقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومنها اصلاح العمل وغفران الذنوب لقوله تعالى اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومنها النور لقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله

بذنب فاستغفر ربه الله وتوفي فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فقال لست لا بيها أعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لامها أجيبي عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة اني والله قد عرفت انكم قد سمعتم بهذا حتى استقر في انفسكم وصدقتم به ولئن قلت لكم اني بريئة والله يعلم اني بريئة لا تصدقوني ولئن اعترفت لكم بامر والله يعلم اني بريئة تصدقونني واني والله لا أجد لي ولكم مثلا الا كما قال أبو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم تحولت واضطجعت على فراشها وما كانت تظن ان الله ينزل في شانها وحيا يتلى وانما كانت ترجو ان الله تعالى يرى نبيه في المنام براءتها فما فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج من البيت أحد حتى انزل الله الوحي على نبيه فاخذه ما كان ياخذه من البرحاء عند نزول الوحي حتى انه لينحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي انزل عليه فلما سري عنه صلى الله عليه وسلم اذا به يضحك فكان أول كلمة تكلم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ابشري يا عائشة فان الله قد برأك فقالت لها أمها قومي اليه فقالت والله لا أقوم اليه ولا احمد الا الله عز وجل الذي أنزل براءتي فانزل الله عز وجل ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم العشر آيات من سورة النور فقال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره وفاقته والله لا عدت انفق عليه شيا ابدا بعد ان قال في عائشة ما قال فانزل الله عز وجل ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم فقال ابو بكر والله اني لاحب ان يغفر الله لي فاعاد الى مسطح النفقة وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذين رموا عائشة فجلدوا الحدود جميعا ثمانين ثمانين ﴿تنبيه﴾ في ضبط بعض ما تقدم قوله من جزع اظفار خرزملون بفتح الجيم والزاي وقد تسكن وهو مضاف الى اظفار مدينة باليمن وقوله دوجها هو مركب من مراكب النساء يشبه القبة وقوله سواد انسان أي شخصه وقوله يفيضون اي يخذون ويرفعون في التحدث به ومنه حديث مستفاض وقوله الافك أي الكذب وقوله يريبها أي يشككها وقوله تيكم اشارة المؤنث والخطاب للجماعة الحاضرين وقوله المناصع مواضع التبرز للحدث الواحد منصع وكانت المناصع خارج المدينة وهو صعيد افيح وقوله يتبرزن فيها التبرز بفتح الراء موضع قضاء الحاجة وقوله وضيئة اي حسنة وقوله اغمصه اي اعيبها به والغمص العيب والطعن في الناس وقوله الداجن وهو ما يالف البيوت من الحيوان كالشاة وقوله من يعذرني اي من ينصرني عليه والعاذر الناصر اي من يقوم بعذري ان كافاته على سوء فعله وقوله الممت بذنب اي فارقت ووقعت فيه وقوله من البرحاء اي شدة الحمى وقوله مثل الجمان هو بتخفيف الميم حب يصنع من فضة وغيرها وقد سموا الدرجمانا وقوله في اليوم الشاتي اي البارد اه وكانت عائشة رضي الله عنها صاحبة كرم وزهد قال عطاء بعث لها معاوية بعقود من ذهب فيه جوهر قيمته مائة الف فقسمته بين ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وعن ام درة

وكانت تقول عائشة انه يحسد لها عبد الله بن الزبير تقال في غرزتين قالت أراه ثانيتين وعائة ألف فدعت بطبق وجعلت تفرق يومئذ وهي صائمة فلما أمست قالت هاتي يا جويرية فطوري فقالت لها أم درة ما استطعت مما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحما تفطرين عليه فقالت لا تعنفيني لو كنتما ذكرتني لفعلت وعن عروة قال لقد رأيت عائشة تقسم سبعين ألفا وهي ترقع درعها وعن عوف بن مالك ان عائشة أخبرت ان عبد الله بن الزبير قال في بيع أو عطاء أعطته عائشة لتنتهين عائشة أو لأحجرن عليها فقالت أهو قال هذا قالوا نعم فنذرت أنها لا تكلمه أبدا فاشفع ابن الزبير اليها حين طال ذلك تركها له فقالت والله لا أحنث في نذري فلما طال ذلك على ابن الزبير كلم مسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الاسود بن عبد يغوث من بني زهرة وقال أنشدكما الله الا ما ادخلتماني على عائشة فانها لا يحل لها ان تنذر قطيعتي فاقبل به المسور بن مخرمة وعبد الرحمن مشتملين بارديتهما حتى استأذنا على عائشة فقالا السلام عليك ورحمة الله وبركاته أندخل قالت عائشة ادخلوا قالوا كلنا قالت نعم أدخلوا كلكم ولا تعلم ان معهم ابن الزبير فلما دخلوا دخل ابن الزبير الحجاب وطفق يناشدها ويبكي وطفق المسور وعبد الرحمن يناشدانها الا ما كلمته وقبلت منه ويقولان ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عما قد علمت من التهاجر وانه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال فلما أكثروا على عائشة من التذكرة طفقت تبكي وتقول اني نذرت والنذر شديد فلم يزالا بها حتى كلمت ابن الزبير وأعتقت في نذرها ذلك أربعين رقبة وكانت تذكر نذرها بعد ذلك فتبكي حتى تبل خمارها وعن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه أن عائشة كانت تصوم الدهر ولا تفطر الا يوم الاضحى ويوم الفطر وعن القاسم قال كنت اذا غدوت أبدأ ببيت عائشة أسلم عليها فغدوت يوما فاذا هي قائمة تسبح وتقرأ فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وتدعو وتبكي ترددها وقمت حتى مللت القيام فذهبت الى السوق لحاجتي ثم رجعت فاذا هي واقفة كما هي تصلي وتبكي وتدعو وعن عامر الهاني كتبت لمعاوية أما بعد فان العبد اذا عمل بمعصية الله عاد حامده من الناس ذاما وعن أبي موسى انه قال ما أشكل علينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث قط فسألنا عنه عائشة الا وجدنا عندها منه علما وعن مسروق قال يحلف بالله لقد رأينا الاكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألون عائشة عن الفرائض وقال الزهري لو جمع علم عائشة الى علم جميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وجميع النساء كان علم عائشة أكثر ولما مرضت جاءها ابن عباس يستأذن عليها فاخبرها بذلك ابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن فقالت دعني من ابن عباس فقال لها انه من صالحي بنيك جاء يسلم عليك ويودعك فقالت ائذن له ان شئت فلما جلس قال ابشري فما بينك وبين أن تلقي محمدا صلى الله عليه وسلم والاحبة الا خروج الروح من الجسد كنت أحب نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه ولم يكن يحب الا طيبا وسقطت قلادتك ليلة الابواء فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكانه والناس ليس معهم ماء فانزل الله عز وجل

وبيضة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين
ويرحم الله القائل
من عرف الله فلم تغنه معرفة الله فذاك الشقي
ما يصنع العبد بعز الغنى والعز كل العز للمتقي

﴿ وقال آخر ﴾

يريد المرء أن يعطى مناه ويأبى الله الا ما أرادا
يقول المرء فائدتي ومالي وتقوى الله أفضل ما استفادا

﴿ حكاية ﴾ ركب قوم سفينة فظهر لهم شخص على وجه الماء وقال لهم معي كلمة أبيعها بالف دينار فقال أحدهم هذه ألف دينار فقال اطرحها في البحر فطرحها فقال قل ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب الآية فقال له احفظها حفظا جيدا فلما حفظها انكسر المركب وبقي الرجل على لوح يقرأ هذه الآية فرماه الموج في جزيرة فوجد فيها امرأة جميلة فسألها عن أمرها فقالت انا من بلد كذا وكذا وكل يوم يطلع من البحر جني في وقت كذا فيراودني عن نفسي فيحفظني الله منه فقال اجعليني في مكان أراه ولا يراني ففعلت فلما طلع الجني من البحر ورآه قرأ الآية فالتهب نارا ففرحت المرأة فتيمموا

بذلك ثم أخذت بيد الرجل الى كهف فيه من الجواهر واللؤلؤ شيء كثير فحرمتهما سفينة فاشار اليها فقصدها أهلها وأخذ كل واحد من الجوهر واللؤلؤ ما لا يعلمه الا الله (قوله وأتبع السيئة الحسنة تمحها) المراد بالحسنة الصلوات الخمس قال الله تعالى وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيآت نزلت في رجل قبل امرأة أجنبية وقال صلى الله

عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر * وقال صلى الله عليه وسلم أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء * قالوا لا يبقى من درنه شيء * قال كذلك الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا أخرجه الائمة وفي الترمذي ان رسول الله صلى الله عليه (٩٥ و) وسلم توضأ ثم قال من توضأ وضوئي هذا ثم صلى الظهر غفر له ما تقدم بينها وبين صلاة الصبح ثم صلى العصر غفر له ما تقدم بينها وبين صلاة الظهر ثم صلى المغرب غفر له ما تقدم بينها وبين صلاة العصر ثم صلى العشاء غفر له ما تقدم بينها وبين صلاة المغرب ثم لعله ان بات ليلته يتمرغ ثم ان قام فتوضأ وصلى الصبح غفر له ما بينهما وبين صلاة العشاء * وعن أبي امامة الباهلي رضي الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وثمن قعود معه اذ جاءه رجل فقال يا رسول الله اني أصبت حدا فاقمه علي فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عاد فقال يا رسول الله اني أصبت حدا فاقمه علي فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عاد الثالثة فسكت عنه فاقيمت الصلاة فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو امامة تبع الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين

فيعمموا صبيحة باطيا وكان ذلك سببا وأنزل براءتك مع الروح الامين فاعجبني ذلك يتلى في مساجد الله فقالت ادعني منك يا ابن عباس والذي نفسي بيده لوددت أني كنت نسيا منسيا * قال الواقدي توفيت عائشة ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وهي ابنة ست وستين سنة وقال غيره توفيت سنة سبع وخمسين وأوصت ان تدفن بالبقيع مع صواحباتها وصلى عليها أبو هريرة وكان خليفة لمروان بن الحكم على المدينة حين خرج اليه ورمى لها ألفا حديث وعشرة وقيل ألف وعشرة اتفقا منها على مائة وأربعة وسبعين وانفرد البخاري باربعة وسبعين ومسلم بثمانية وستين * قالت * عائشة * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحدث * أي أنشأ واخترع من قبل نفسه أمرا حادثا وهو المسمى بالبدعة وهي لغة ما كان مخترعا على غير مثال سابق ومنه قوله تعالى بديع السموات والارض أي موجدها على غير مثال سبق وقوله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل وتكون في الخير والشر فمن الاول جمع القرآن في المصاحف واخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب ومن الثاني المكس وقريب من ذلك قول من قال هي ما لم يقع في زمنه صلى الله عليه وسلم سواء دل الشرع على حرمته كالمكوس والاشتغال بمذهب أهل البدع المخالفة لما عليه أهل السنة أو كراهته كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف والزيادة في الذكر المحدود بعد الصلاة والاجتماع للدعاء يوم عرفة بغيرها وان استحبه جماعة أو وجوبه كالاشتغال بعلم العربية المتوقف عليها فهم الكتاب والسنة أو ندبه كصلاة التراويح جماعة واقامة صور الائمة والقضاة وولاة الامر بخلاف ما كان عليه الصحابة بسبب ان المصالح والمقاصد الشرعية لا تحصل الا بعظمة الولاة في نفوس الناس وذلك في زمان الصحابة انما كان بالدين وفيما بعدهم انما يعظمون بالصور فيطلب تفخيمها حتى تصلح المصالح وقد كان عمر رضي الله تعالى عنه يأكل خبز الشعير والملح ويفرض لها له نصف الشاة في كل يوم لعلمه بان الحالة التي هو عليها لو عملها غيره لهان في نفوس الناس ولم يحترموه وتجاسروا عليه بالمخالفة فاحتاج الى أن يضع غيره في صورة تحفظ النظام ولذلك لما قدم الشام ورجد معاوية بن أبي سفيان قد اتخذ الحجاب والمراكب النفيسة والثياب الفاخرة العلية وسلك مسلك الملوك فسأله رضي الله عنه عن ذلك فقال له أنا بارض نحن فيها محتاجون الى هذا فقال له لا آمرك ولا أنهاك ومعناه أنت أعلم بحالك من أنت محتاج الى هذا فيكون حسنا أو غير محتاج اليه او اباحة كاتخاذ المناخل للدقيق ففي الآثار أول شيء أحدثه الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخاذ المناخل لان تأمين العيش واصلاحه من المباحات فوسائله مباحة وكذا الاكل بالملاعق وقد حضر أبو يوسف صاحب الامام أبي حنيفة مائدة الخليفة هارون الرشيد فطلب الملاعق فقال له يا أمير المؤمنين قد قال جدك ابن عباس في قوله تعالى واذكروا ما في بني آدم اي جعلنا لهم أصابع يأكلون بها ولم نجعلهم كالدواب تأكل بافواهها فاني ان يأكل الا بالملاعق هكذا ذكره بعضهم والذي في الكشاف عن نقل بعضهم انه لما ذكر له ابو يوسف ما ذكره ابن عباس رد الملاعق وأكل باصابعه وحينئذ فالبدعة تعتريها

انصرف وتبعت رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر ماذا يرد على الرجل فالحق الرجل برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اني اصبت حدا فاقمه علي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيت ما أحسنت الوضوء قال بلى يا رسول الله قال ثم شهدت الصلاة معنا قال نعم يا رسول الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى قد غفر لك حدك أو قال ذنبك فتبين من هذه الاحاديث الشريفة ان الحسنات هي الصلوات الخمس والسيآت هي الصغائر من الذنوب ويجوز ان تكون الحسنة

مطلقا والحمل على حقيقته كما هو ظاهر الحديث وقد قال الله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وقد ذكر بعض ذلك وقيل ان الحسنات هي سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال الامام القشيري رحمه الله ينبغي للعبد ان يستغرق جميع الاوقات بالعبادات فان الغفلة ساعة من الزمان من قرض يؤديه المرء أو نفل يأتي به مصر قة عظيمة وخسران مبين أن الحسنات يذهبن السيآت ذلك ذكرى للذاكرين وقال السلمي قال الواسطي أنوار الطاعات يذهبن ظلم المعاصي وقال اهل الحقائق حسنات الندم تذهب سيآت الحدم وقال بعضهم اسكاب العبرة يذهب سيآت العثرة وقال بعضهم حسنات الاستغفار تذهب سيآت الاسرار وقيل غير ذلك ﴿تنبيه﴾ قال السلمي رحمه الله تعالى ما آخذ الله احدا الا بذنوبه فمن لزم الصلاح والطاعة وقاه الله تعالى الآفات ومكاره الدارين ولذلك قال الله تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون والاصلاح هو الرجوع الى الله والتضرع والابتهال اليه في كل وقت ولحظة ونفس وقال شقيق الصلاح ثلاثة اشياء اكل الحلال واتباع السنن ومخالفة الهوى وقال القشيري ان الله سبحانه وتعالى من كرمه لم يهلك من كان مصلحا وانما اهلك من كان ظالما (قوله وخالق الناس بخلق حسن) اي عاشرهم بخلق حسن وهو ان تعاملهم بما تحب ان يعاملوك به من كف الاذى وطلاقة الوجه وما اشبه ذلك لتجلب القلوب وتكمل المحبة وذلك جماع الخير وملاك الامر وجاء في حسن الخلق اخبار وآثار كثيرة سنذكر منها جملة فيما ياتي ان شاء الله تعالى وهو من شيم النبيين والمرسلين وخواص المؤمنين ويكفي في ذلك مدح الباري سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بقوله وانك لعلى خلق عظيم ﴿خاتمة المجلس﴾ كان رسول الله

الاحكام الخمسة واليه ذهب ابن عبد السلام والقرافي * وغيرهما وشرعا ما لم يعرف في زمنه صلى الله عليه وسلم ودل الشرع على حرمته وعليه فهي خاصة بالحادث المذموم ولما أراد علي رضي الله تعالى عنه اغتيال الخوارج قال له مسافر بن عوف يا أمير المؤمنين لا تسر في هذه الساعة وسر في ثلاث ساعات تمضي من النهار فقال له علي رضي الله عنه ولم قال انك ان سرت في هذه الساعة أصابك وأصاب أصحابك بلاء وضر شديد وان سرت في الساعة التي أمرتك بها ظفرت وظهرت واصبت ما طلبت فقال علي رضي الله عنه ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بعده في كلام طويل يحتج فيه بآيات من التنزيل فمن صدقك في هذا القول لا آمن عليه أن يكون كمن اتخذ مع الله ندا أو ضدا اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك ثم قال له نكذبك ونخالفك وأسير في هذه الساعة التي نهيتنا عنها ثم أقبل على الناس فقال يا أيها الناس اياكم وتعلم النجوم الا ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر انما المنجم كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار والله لأن بلغني انك تنظر في النجوم وتعمل بها لاخلدنك في الحبس ما بقيت وبقيت ولا سترهنك العطاء ما كان لي من سلطان ثم سار في الساعة التي نهاه عنها فلقي القوم وقتلهم وهي واقعة النهروان ﴿في أمرنا﴾ أي ديننا ويطلق الامر على القول كقوله تعالى في الكهف ساذيتنازعون بينهم أمرهم أي قولهم فيما بينهم وعلى العذاب كقوله تعالى في هود وياسماء اقلعي وغيض الماء وقضى الامر يعني وجب عليهم العذاب وسوء الغرق وعلى فتح مكة كقوله في سورة براءة فتربصوا حتى يأتي الله بامره يعني فتح مكة وعلى يوم القيامة كقوله تعالى اتى امر الله يعني يوم القيامة وكقوله في الحديث حتى جاء أمر الله يعني يوم القيامة وعلى الوحي كقوله تعالى في المتنزيل يدبر الامر من السماء الى الارض يعني ينزل الوحي من السماء الى الارض وعلى الخير كقوله تعالى في سورة النساء واذا جاءهم أمر من الامن أي خير ويطلق ويراد به الشان كقوله تعالى وما أمر فرعون برشيد ويطلق ويراد به مصدر أمره هذا يجمع على أوامر والذي بمعنى الشان يجمع على أمور وعبر عن الدين بالامر لانه الامر الهتم بشانه ومن ثم جاء في رواية دينا وهو تفسير له لا للامر المقابل للنهي فانه اقتضاء فعل غير كف مدلول عليه أي على الكف بغير تلفظ نحو كف فقوله اقتضاء أي طلب وهو يتناول الطلب الجازم وغيره اذا كان غير كف وكذا اذا كان كفا مدلولا عليه بكف ومرادفه كاترك وذر ودع بخلاف الكف المدلول عليه بغير ذلك كلا تفعل فانه نهي وعرفوه بانه اقتضاء كف عن فعل لا بقول كف ونحوه ﴿هذا﴾ اشارة الى جلالته ومزيد رفعته وعظمته على حد ذلك الكتاب وان اختلفوا في اداء الاشارة اذ ذلك الشاهد على ذلك من هذا والى احضاره في ذهن السامع كانه يخبر شاهدا له ليتميز عنده أكمل تمييزه هذا اتى بما يشار به للقريب بيانا لحاله في القرب ﴿ما ليس منه﴾ اي ما ليس له فيه مستند من الكتاب والسنة سواء كان قولا او فعلا او اعتقادا ﴿فهو رد﴾ أي مردود على فاعله لبطلانه من اطلاق المصدر على اسم المفعول كخلق ومخلوق ونسج ومنسوج ومنه قول بعضهم انت رجائي اي مرجوي وكانه قال فهو غير معتد به ولا معول

صلى الله عليه وسلم شديد اللطف بالنساء وقال أيما رجل صبر على سوء خلق امرأة أعطاه الله من الاجر مثل ما أعطى أيوب عليه السلام في بلائه وأيما امرأة صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله من الاجر مثل ما أعطى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون (وحكي) ان رجلا جاء الى عمر رضي الله عنه يشكو اليه خلق زوجته فوقف ببابه ينتظر فسمع امرأته تستطيل

معمول عليه وهو عام مخصوص بالحديث الذي دل الشرع على حرمته لكن وقيد بما اذا كانت حرمته لذاته كصلاة من غير ركوع او لخارج عنه لازم كصلاة بلا طهارة واما لو كانت الحرمة لخارج عنه غير لازم كصلاة في ارض مغصوبة فلا تكون باطلة وقوله فهو اي الحدث بالفتح ويصح الكسر ويكون راجعا للمأتي اي ناقص مطرود وانظر هل يجري هنا ما قيل في زايد عمل من كونه على حذف مضاف او انه على وجه المبالغة قال ابو العباس الابياني من علماء الاندلس ثلاث لو كن على الظفر لوسمن وقبهن خير الدنيا والآخرة اتبع ولا تبتدع انضع ولا ترتفع من ورع لا يتسع وروى الديلمي عن ابن مسعود عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وروى ابن ماجه عن حذيفة مرفوعا لا يقبل الله لصاحب بدعة صلاة ولا صوما ولا صدقة ولا حجا ولا عمرة ولا جهادا ولا صرفا ولا عدلا يخرج من الدين كما تخرج الشعرة من العجين وروى الخطيب والديلمي عن أنس اذا مات صاحب بدعة فقد فتح في الاسلام فتح وروى الطبراني عن عبد الله بن بشير من وقر صاحب بدعة فقد اعان على هدم الاسلام وقال ابو عثمان الحيري من صح ايمانه بين الله قلبه لاتباع السنة وقال سهل بن عبد الله من داهن مبتدعا سلبه الله حلاوة السنن وحكي عن احمد بن حنبل انه قال كنت يوما مع جماعة يتجردون ويدخلون الماء فاستحممت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر فلم أتجرد فرأيت تلك الليلة في المنام قائلا يقول لي بشر يا احمد فان الله غفر لك باستعمال السنة فقلت من انت فقال جبريل وقد جعلك الله اماما يقتدي بك (رواه البخاري ومسلم وفي رواية لمسلم) في صحيحه (من عمل عملا) احدثه هو او احدثه غيره فعمل به فهو اعم من الاول وفي رواية للبخاري من فعل امرا (ليس عليه امرنا) أي حكمنا وإذننا (فهو رد) أي مردود عليه وان لم يكن هو المحدث له وقيل اماتة بدعة خير من احياء سنة لان البدعة اذا اندرست صارت سنة وقال صلى الله عليه وسلم من اعان صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الاكبر ومن احب صاحب بدعة لم يؤمنه الله يوم الفزع الاكبر وكان الامام مالك رضي الله عنه كثيرا ما ينشد هذا البيت

وخير امور الدين ما كان سنة * وشر الامور المحدثات البدائع

الحديث السادس

(عن ابي عبد الله النعمان بن بشير) بفتح الباء الموحدة وكسر الشين المعجمة بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام كما ضبطه ابن ماكولا وضبطه القدسي وغيره بضم الجيم وتخفيف اللام ابن كعب بن الحرث بن الخزرج الانصاري ولد على رأس اربعة عشر شهرا من الهجرة على الاصح وهو اول مولود ولد للانصار بعد الهجرة كما ان عبد الله بن الزبير المولود بمكة في عامه اول مولود للمهاجرين قيل مات النبي صلى الله عليه وسلم وللنعمان ثمان سنين وسبعة اشهر وهذا يقتضي صحة تحمل الصبي المميز واسم عمرة بنت رواحة اخت عبد الله بن رواحة سكن الكوفة وكان واليا عليها زمن معاوية بن أبي

عليه بلسانها وهو ساكت لا يرد عليها فانصرف الرجل قائلا اذا كان هذا حال أمير المؤمنين فكيف حالي فخرج عمر فرآه مولیا فناداه ما حاجتك فقال يا امير المؤمنين جئت أشكو اليك خلق زوجتي واستطالتها علي فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت اذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي فقال له عمر اني احتملتها لحقوق لها علي انها طباخة لطعامي خبازة لخبزي غسالة لثيابي مرضعة لولدي وليس ذلك بواجب عليها ويسكن قلبي بها عن الحرام فانا أحتملها لذلك فقال الرجل يا امير المؤمنين وكذلك زوجتي فقال فاحتملها يا اخي فانما هي مدة يسيرة فانظروا اخواني الى حسن هذا الخلق اللهم حسن اخلاقنا ووسع علينا ارزاقنا يا كريم

المجلس التاسع عشر في الحديث التاسع عشر

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب عنده قسوة القلوب واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له جابر الكسير وميسر العسير ومفرج الكروب واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي اطلعه الله تعالى على اسرار الغيوب وملكه زمام الدنيا والآخرة فهو اعظم مخلوق وأشرف محبوب صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه من الشروق الى الغروب آمين (عن ابي العباس عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال يا غلام اني اعلمك كلمات احفظ الله

يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله * واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك وان اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف (١٩٢) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وفي رواية غير الترمذي احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة واعلم ان ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما اصابك لم يكن ليخطئك وأعلم ان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا ﴿ صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلموا اخواني وفقني الله وإياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم الوقع واصل كبير في رعاية حقوق الله تعالى والتفويض لأمره (قوله يعني ابن عباس رضي الله عنهما كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم) اي على دابة كما في رواية فيه جواز الارداف على الدابة ان اطاقته (قوله يوما) اي في يوم (قوله فقال لي يا غلام) هو الصبي من حين يفطم الى تسع سنين وكان سنه اذ ذاك تسع سنين (قوله صلى الله عليه وسلم اني أعلمك كلمات) اي ينفعك الله بهن كما في رواية اخرى اي تعلمهن وتعلمهن وهي ان كانت قليلة لفظا فيها كثيرة جليلة

سفيان وكان استعمله على حمص قبل ولاية معاوية استعمله يزيد عليها فلما مات يزيد غزوا أهلها فدعا ابن الزبير فأمره وأراد قتله فخرج هاربا فتبعه خالد الكلاعي فقتله بقرية من قراها يقال لها سرمين بساحل بيسان سنة خمس وستين وقيل أربع وستين وقيل ست وستين ولأربع وستون وهو صحابي ابن صحابي وابوه بشير هو القائل يا رسول الله علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك اذا نحن صلينا عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد وليس في الصحابة من اسمه النعمان بن بشير غيره هذا وفيهم النعمان عدات فوق الثلاثين روي له مائة حديث واربعة عشر حديثا اتفقا منها على عشرة وانفرد البخاري بحديث ومسلم باربعة وروى عنه ابنه محمد وحميد بن عبد الرحمن والشعبي وسالم بن أبي الجعد وسماك بن حرب وعمير ولم ينفرد برواية هذا الحديث بل رواه أيضا سبعة من اكابر الصحابة رضي الله عنهم ﴿ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾ فيه رد على من قال انه لم يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم وقد وقع في رواية مسلم والاسماعيلي من طريق زكريا وأهوى النعمان باصبعيه الى أذنيه وهو اشارة الى تأكيد التصريح بالسماع ﴿ يقول ان الحلال ﴾ هو كالحل ما انحلت عنه التبعات ضد الحرام وهو من باب ضرب يضرب واما الحل بالمكان فهو من باب نصر ينصر ﴿ بين ﴾ أي ظاهر متضح لا يخفى حله كاكل الخبز والفواكه والكلام والمشي وغير ذلك * واعلم ان أخذ المال اما أن يكون باختيار المكلف أو بغير اختياره كالارث والذي باختياره اما أن يكون من غير مالك كالاشياء المباحة التي لم يسبق عليها ملك أو تكون من مالك والذي يؤخذ من مالك اما أن يؤخذ كرها أو تراضيا والماخوذ كرها اما ان يكون لسقوط عصمة المالك كالغنائم والاستحقاق للآخذ كالزكاة من الممتنعين ومن الماخوذ كرها النفقات الواجبات والمأخوذ تراضيا اما بعوض كالبيع والصداق واما بغير عوض كالهبة والصدقة وجميع هذه الاقسام حلال اذا روعيت شروط الشرع في تحصيلها ثم ان الحلال فسره الامام مالك والشافعي بما لم يرد بتحريمه دليل وأبو حنيفة بما دل دليل على حله ونمرة الخلاف تظهر في المسكوت الذي جهل أصله فعند مالك والشافعي هو من الحلال اذ هو الاشبه بيسر الدين وعند الحنفي من الحرام ويعضد الاول قل لا أجد فيما أوحي الي محرما الآية وقوله في رواية البخاري وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها ﴿ وان الحرام ﴾ وفي رواية الطبراني حلال بين وحرام بين بالتنكير وسوغ الابتداء فيه بالنكرة انه خبر لمبتدا محذوف تقديره الاشياء حلال بين وحرام ﴿ بين ﴾ أي ظاهر منكشف وهو ما منع منه شرعا اما لصفة في ذاته ظاهرة كالسم والخمر أو خفية كالزنا ومزكى الجوس واما لخلل في تحصيله كالربا والغصب والسرقة ﴿ وبينهما أمور ﴾ أي شؤن واحوال ﴿ مشتبهات ﴾ جمع مشتبهة وهو ما ليس بواضح الحل ولا الحرمة وقد اختلف فيها على أقوال الاول ما اختلف فيه العلماء كالحيل فانها محرمة عند مالك لان لام العلة في قوله

(قوله احفظ الله) اي احفظ الله بحفظ فرائضه وحدوده وملازمة تقواه واجتناب نواهيه وما تركوها لا يرضاه (يحفظك) في نفسك واهلك ودينك لا سيما عند الموت اذ الجزاء من جنس العمل ومنه قاذكروني اذكركم ان تنصروا الله ينصركم قد مدح الله تعالى الحافظين لحدوده فقال تعالى هذا ما توعدون لكل اواب حفيظ (قوله احفظ الله تجده تجاهك) اي احفظ الله وكن ممن خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب تجده تجاهك اي امامك اي تجده معك بالحفظ والاحاطة والله يؤيد

والاعانة عليها كنت مستأنسا به ومستغنيا به عن خلقه وقضى الايام من بين اياباتك البست أنظار ابشرف المقصد وبان الانسان مسافر الى الآخرة غير مقيم في الدنيا والمسافر انما يطلب أمامه لا غير والمعنى تجده حيثما توجهت مستعدا قاصدا من امر الدنيا والدين (قوله اذا سألت فاسأل الله) أي اذا أردت سؤال شيء فاسأل الله أن يعطيك اياه ولا تسأل (١١٣) غيره فان خزائن الجود بيده

لتركبوها وزينة تفيدا لقصر عنده ومباحة عند غيره الثاني المكروه وبه قال الماوردي لانه عقبة بين الحلال والحرام فالورع تركه الثالث معاملة الانسان من في ماله شبهة أو شك الحرام وبه قال الخطابي ومثل ذلك من أراد شراء شيء فقال له صاحبه قبل الشراء فقه لان اذنه له بذلك لاجل الشراء وربما لا يتم بينهما بيع وكذا اذا وجد في بيته مالا يدري أهوله أو لغيره قال في حياة الحيوان قيل اختلط غنم البادية بغنم الكوفة فسأل أبو حنيفة رحمه الله كم تعيش الشاة قيل له سبع سنين فترك أكل لحم الغنم سبع سنين الرابع ما لم يرد فيه نص من الشارع بتحليل ولا تحريم كنبات غير مألوف لم تعرف الشرب هل هو مضر أم لا قال في مختصر احياء علوم الدين ومن جملة المتشابه أن يكون الشيء مما قد اشترى في الذمة والمكر قضي ثمنه من مال حرام لان يكون تسلم الطعام قبل دفع ثمنه بطيب قلب وأكله قبل قضاء الثمن فهو حلال بالاجماع ولا ينقلب باداء المال في مقابلته من الحرام حراما بل غايته انه لا تبرأ ذمته فكما لم يحرم بقبض الثمن فلا يحرم بالأكل وان أبرأ ذمته مع العلم بكون الثمن حراما فهو براءة الذمة والحل انتهى وحاصله أن الاقسام اربعة فان اشتراه في الذمة ودفع الثمن قبل ان يسلم اليه فهو من المتشابه لان الذمة لم تبرأ بدفع الثمن وان سلم له الطعام قبل قبض الثمن بطيب قلب وانشراح صدر وأكله قبل دفع الثمن أيضا فهو حلال وان ابرأ ذمته في القسمين مع العلم بكون الثمن حراما فهو براءة الذمة يوجب براءة الذمة من الثمن وحلية المشتري انتهى وافضل كسب الرجل ما أكل من زراعته ثم صناعته ثم تجارته وقد ورد أن آدم كان زراعا وان ادريس كان خياطا وان نوحا كان نجارا وان ابراهيم كان بزازا وان من الانبياء من رعى الغنم بالاجرة الى غير ذلك وقال صلى الله عليه وسلم ما أكل أحد طعاما خيرا من ان يأكل من عمل يده وكان داود لا يأكل الا من عمل يده وقوله مشتبهات بضم الميم وسكون الشين المعجمة وفتح المثناة الفوقية وكسر الباء الموحدة على وزن منفعلات كذا عند مسلم والبخاري في رواية الاصيلي وهو رواية ابن ماجه وفي رواية الطبراني مشتبهات بفتح التاء والشين وتشديد الباء الموحدة المكسورة وفي رواية السمرقندي مشبهات بفتح الشين وفتح الباء الموحدة المشددة وفي رواية بكسرها على صيغة اسم الفاعل مشبهات انفسها بالحلال واسناد ذلك اليها مجاز وفي رواية بضم الميم وسكون الشين وكسر الباء الموحدة المخففة ومعناها كالثالثة الا ان هذه من باب الافعال وتلك من باب التفعيل وعند الدارمي متشابهات وفي رواية للبخاري بالافراد وفي رواية لابي داود مشتبهة بالافراد ايضا فهذه ثمان روايات قال العراقي والمشهورة الرواية الاولى قال الخطابي معنى مشتبهات أي تشتبه على بعض الناس دون بعض لانها في نفسها مشتبهة على كل الناس لا بيان لها بل العلماء يعرفونها لان الله تعالى جعل عليها دلائل يعرفها بها اهل العلم ولذا قال ﴿ لا يعلمهن ﴾ لفظ ابن ماجه لا يعلمها وهو ارجح عند اهل العربية لان الاولى في جمع ما لا يعقل ان يعامل معاملة المؤنث ﴿ كثير من الناس ﴾ أي لا يعلم حكمن من التحليل والتحريم والا فالذي يعلم الشبهة يعلمها من حيث انها مشكلة ووقع في

وأزمتها اليه اذ لا قادر ولا معطي ولا متفضل غيره فهو أحق أن يقصد سببا وقد قسم الرزق وقدره لكل أحد بحسب ما أراده لا يتقدم ولا يتأخر ولا يزيد ولا ينقص بحسب علمه القديم الازلي وان كان يقع في ذلك تبديل في اللوح المحفوظ بحسب تعليق على شرط ومن ثم كان للسؤال فائدة لاحتمال أن يكون اعطاء المسؤل معلقا على سؤاله * روى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان الروح الامين القى في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها واجلها فاتقوا الله واجملوا في الطلب أي طلب الحلال مع النظر لذلك لا فائدة في سؤال الخلق مع التعويل عليهم فان قلوبهم كلها بيد الله يصرفها على حسب ارادته فوجب أن لا يعتمد في أمر من الامور الا عليه فانه المعطي المانع لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع الا الله الخالق والامر وبيده النفع والضر وهو على كل

﴿ ١٥ - شبر خيتي ﴾ شيء قدير وقد جاء في الحديث من لم يسأل الله يغضب عليه فليسأل أحدكم ربه حاجته حتى يسأله شسع نعله اذا انقطع وأخرج الحاملي وغيره قال الله تعالى من ذا الذي دعاني فلم اجبه وسألني فلم اعطه واستغفرني فلم اغفر له وانا ارحم الراحمين وفي الحديث ان الله يحب الملحين في الدعاء اي والمخلوق يغضب وينفر عند تكرار السؤال وقد قال الله تعالى لموسى عليه السلام يا موسى سلني في دعائك وجاه في صلاتك حتى ملح عجينك وانشدوا

لا تسألن بني آدم حاجة * وسل الذي ابوابه لا تحجب

الله يغضب ان تركت سؤاله * وبني آدم حين يسأل يغضب * فملأ ما بين ملأين وسمقا لمن تعلق بالاثر وأعرض عن الغير

﴿موعظة﴾ سأل رجل الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه أن يعظه فقال الامام ان كان الله تعالى تكفل بالرزق فاهتمامك بالرزق لماذا وان كان الرزق مقسوما فالحرص لماذا وان كان المطلوب على الله فالبخل لماذا وان كانت الجنة حقا فالمعصية لماذا وان كانت النار حقا فالطمأنينة لماذا وان كانت الدنيا فانية فالطمأنينة لماذا وان الساعة آتية لا ريب فيها فالجمع لماذا وان كان كل شيء بقضائه وقدره فالحزن لماذا (قوله واذا استعنت فاستعن بالله) اي اذا طلبت الاعانة على أمر من أمور الدنيا والآخرة فاستعن بالله لانه هو القادر على كل شيء وغيره عاجز عن كل شيء حتى عن جلب مصالح نفسه ودفع مضارها كتب الحسن البصري الى عمر بن عبد العزيز لا تستعن بغير الله يكلك الله اليه وما أحسن قول الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام لجبريل لما قال له ألك حاجة حين ألقي في النار قال أما اليك فلا قال سل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فان قوله يتضمن ان المنجي من الشدائد والمعطي للسؤال هو الله تعالى دون غيره (قوله واعلم بان الامة) اي سائر المخلوقين (لو اجتمعت) اي كلها (على أن ينفعوك بشيء) اي من خيري الدنيا والآخرة (لم ينفعوك) أي بشيء من الاشياء (الا بشيء قد كتبه الله لك) أي في علمه او في اللوح المحفوظ (وان اجتمعوا) اي كلهم (على ان يضروك بشيء) اي من ضرر الدنيا والآخرة (لم يضروك) اي بشيء من الاشياء (الا بشيء قد كتبه الله عليك) ويشهد له قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله والمعنى توجه الى الله في لحوق الضرر والنفع فهو الضار النافع ليس لاحد معه شيء في ذلك لان أزمة الموجودات

رواية البخاري لا يعلمها أي لا يعلم حكمها وسماه ذلك أي مفسرا في رواية الترمذي ولفظه لا يدري كثير من الناس أمن الحلال هو أم من الحرام وقوله لا يعلمهن كثير من الناس أي يعلمهن قليل ﴿فمن اتقى﴾ من التقوى وهي لغة ترك الكلام وشرعا اجتناب بين الشيئين واصطلاحا التحرز بطاعة الله عن مخالفته واستعمال أمره واجتناب نهيه وهذا غير منفك عما قبله كما ان ما قبله كذلك فالاقتصار على أحدهما كاف وأصل اتقى اوتقي لانه من وقى وقاية فقلبت الواو تاء وأدغمت التاء في التاء وعدل عن ترك الى اتقى ليفيد أن تركها انما يعتد به اذا خلا عن محظوراته وسمعة ﴿الشبهات﴾ بدون الميم مع ضم الشين والباء كذا عند مسلم والبخاري جمع شبهة وهي ما يخيل للناظر أنه صحيح وليس كذلك والمراد بها هنا المشتبه وفي رواية غير الاسماعيلي المشتبهات بالميم والاختلاف في لفظها من الرواة كما مر سلفت وهي من وضع الظاهر موضع المضمر تعظيما لشان اجتنابها والحذر منها ﴿فقد استبرأ﴾ بالهمزة وقد يخفف والسين للمبالغة أي برأ لدينه ﴿وعرضه﴾ من الطعن فيه وهو في الاصل رائحة الجسد وغيره طيبة كانت أو منتنة يقال طيب العرض ومنتن العرض وسقاء خبيث العرض اذا كان منتنا والعرض أيضا الجسد وفي صفة أهل الجنة انما هو عرق يسيل من أعراضهم أي من اجسادهم وأما في الاصطلاح فهو كما في النهاية موضع المدح والذم من الانسان سواء كان في نفسه أو سلفه أو أهله ولما كان موضعه النفس حمل عليها اطلاقا لاسم المحل على الحال قال الشاعر

صن العرض وابذل كل مال ملكته * فان ابتذال المال للعرض أصون
ولا تطلقن منك اللسان بسوأة * فمنك صورات وللناس ألسن
وعينك ان أهدت اليك معايبا * لقوم فقل ياعين للناس أعين

وأشار في الحديث الاول الى ما يتعلق بالحق وبالثاني الى ما يتعلق بالخلق وقدم على عمر رضي الله عنه مسك وعنبر من البحرين فقال والله لوددت اني وجدت امرأة حسنة الوزن تزن لي هذا الطيب حتى أقسمه بين المسلمين فقالت امرأته عاتكة أنا جيدة الوزن فانا أزن لك قال لا فقالت لم قال لاني أخشى أن تأخذيه فتجعليه هكذا وأدخل أصابعه في صدغيه وتمسحين به في عنقك فاصيب فضلا من المسلمين وعن الفضيل أنه كانت له شاة فاكلت شيأ يسيرا من علف لبعض الامراء فلم يشرب من لبنها من بعد ذلك حكاه في الحدائق وقيل لابراهيم بن أدهم الا تشرب من ماء زمزم فقال لو كان لي دلو اشربت وهو اشارة الى ان الدلو من مال السلطان فهو من الشبهة وقال ابن المبارك لان أرد درهما من شبهة خير من أن أتصدق بمائة ألف ومائة ألف ومائة ألف وقد جاء في الاثر من وقف موقف تهمة فلا يلومن من اساء الظن به ولهذا لما مر النبي صلى الله عليه وسلم ومعه امرأته صفية قرآه رجلان فاسرعا فقال لهما على رسلكما

بيده منها رايجادا واطلاقا فاذا أراد احمد ضرك بما لم يكتبه عليك دفعه الله تعالى عنك وصرفه عن مراده بما عرض من عوارض القدرة الباهرة مانع من الفعل من اصله أو من تاثيره وفي ذلك مدد على التوكل والاعتماد على الله تعالى في جميع الامور والاعراض عما سواه ﴿ تكملة ﴾ لا يخفى ان هذا قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام فاجاب ان (٥٧٢) يقتلون انا نخاف ان يفرط علينا

رسلكما انا صفية بنت حيي فاعليهما أن يظنا بي شيأ فيهلكا فقال سبحان الله فقال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وقد خشيت أن يقذف في قلبكما شرا او كذا الحديث اي ثمرة سقاة قال لولا أخشى انها صدقة لا كلتها وفي حلف المرض على الدين دليل على ان طالب براءته مطلوب بمدوح كطالب براءة الدين ومن ثم ورد ما وفي به المرض صدقة وعلى طالب نزاهته مما يظنه الناس شبهة ولو ممن علم عدمه في نفس الامر ومن ثم لما خرج أنس لصلاة الجمعة فرأى الناس راجعين منها فدخل محلا لا يرونه وقال من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله ولو أمره أحد أبويه باخذ او أكل شبهة فقال أحمد لا يطيعهما او توقف آخرون وقال بعض السلف يطيعهما او توقف آخرون وقال شارح المشكاة الذي ينبغي ان خفت ولم يكن على الولد في ذلك ضرر وكان ان لم يفعل ذلك تاذى الوالد اذى ليس باهين جاز والا فلا ثم ان مقاطي الحلال الصرف الذي لم يخالطه شبهة من عملة الذين لم تسلط الارض على اجسامهم وقد ذكرنا ثم في شرح المقدمة الشعرانية في أول باب الجنائز ﴿ ومن وقع في الشبهات ﴾ فيه من اختلاف الرواة ما تقدم ﴿ وقع في الحرام ﴾ المحض ويحتمل معنيين أحدهما من اكثر من تعاطي الشبهات صادف الحرام وهو لا يشعر به والثاني انه يعتاد التساهل و يتمرن عليه ويجسر على شبهة ثم أخرى أغلظ منها وهكذا حتى يقع في الحرام عمدا ومن ثم قيل الصغيرة تجر للكبيرة وهي تجر للكفر ولذا قال تعالى وقتلوا الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا أي تدرجوا بالمعاصي الى قتلهم فيتدرج من درجة الى أخرى بالتساهل والتسمح ومنه لك حذرك الله فلا تقربوها نهى عن المقاربة حذرا من المواقعة وقليل الشرب يدعو الى كثيره والخلوة بالاجنبية تدعو الى الفجور والقبلة للصائم تدعو الى الوطء وقال صلى الله عليه وسلم نعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده أي يتدرج بذلك الى نصاب السرقة فتقطع يده وقال هشام كنت أمشي خلف الملاء فيقع في الطين فدفعه انسان فوقعت رجله في الطين فخاضه فلما وصل الى الباب قال لي رأيت يا هشام قلت نعم قال كذلك المرء المسلم يقع في الذنوب فاذا وقع فيها خاضها وقوله وقع في الحرام أي سقط فيه لان الوقوع في الشيء الساقط فيه وكل سقوط شديد يعبر عنه بذلك وانما قال هنا وقع دون يوشك ان يقع على وزن قوله يوشك ان يرتع اما تحقيقا للوقوع واما لان حمى الاملاك مدودة محسوسة يدركها كل ذي بصر فيجوز ان يتحرز عنها الا ان تغلبه الدابة الجموح واما حمى الله فهو معقول لا يدركه الا ذوو البصائر فربما يحسب الشخص انه يرتع حول الحمى فاذا هو في وسط محارمه وما أورده المؤلف هنا من ثبوت جواب الشرط هو رواية مسلم واما في رواية البخاري فمحذوف حيث قال ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك ان يواقعه ومعينئذ فمن فيها موصولة والتقدير والذي وقع في الشبهات مثل راع يرعى ﴿ كالراعي ﴾ لفظ رواية البخاري كراع ﴿ يرعى ﴾ الماشية ﴿ حول الحمى ﴾ بكسر الحاء وفتح الميم المخففة اي المحمي فاطلق المصدر على اسم المفعول كذا قيل وفيه نظر لانه مصدر حمى يحمي حماية وحينئذ فهو اسم مصدر والحمى هو المكان

ان يطغى لان الانسان مامور بالفرار من اسباب المؤذيات الى اسباب السلامة وان لم يسلم كقوله تعالى خذوا حذركم وقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقول عمر رضي الله عنه انما نفر من قدر الله الى قدر الله (قوله رفعت الاقلام) اي تركت الكتابة بها لفراغ الامر المقضي انتهت الكتابة به في اللوح المحفوظ بما كان وبما يكون الى يوم القيامة (قوله وجفت) بالجيم (الصحف) التي فيها مقادير الكائنات كاللوح المحفوظ فلا تبديل بعد ذلك ولا نسخ لما كتب فيها او قد يوجد فيها نحو تبديل بحسب ما في علم الله تعالى ومصداقه قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب اي اصله وهو العلم القديم الازلي الذي لا يغير منه شيء كما قاله ابن عباس وغيره ﴿ تنبيه ﴾ من علم هذا هان عليه التوكل على خالقه

والاعراض عما سواه روى ابن المرزبان بسنده انه صلى الله عليه وسلم قال اول ما خلق الله تعالى القلم ثم خلق النون وهي الدواة وذلك قوله تعالى ن والقلم ثم قال له اكتب قال وما اكتب قال اكتب ما كان وما هو كائن الى يوم القيامة من عمل او أجل او رزق او اثر فجرى القلم بما هو كائن الى يوم القيامة ثم ختم القلم فلم يكتب ولم ينطق ولا ينطلق الى يوم القيامة ثم خلق العقل فقال له الجبار ما خلقت خلقا اعجب الي منك وعزتي لاكملنك فيمن احببت ولانقصنك فيمن ابغضت ثم قال صلى الله عليه وسلم اكمل الناس عقلا

أطوعهم لله بالاعمال * وروى مسلم ان الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والارض بخمسين الف سنة وفيه أيضا يارسول الله فيم العمل اليوم أفيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير أم فيما يستقبل قال بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قالوا ففيم العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له (١٢٦) ﴿فائدة﴾ قيل أول من كتب العربي وغيره آدم عليه السلام وقيل اسمعيل أول من كتب العربي وقيل أول من وضع الخط آدم من طين ولم يصبح في ذلك كله شيء والله سبحانه وتعالى أعلم (وفي رواية غير الترمذي احفظ الله تجده أمامك تعرف الى الله في الرخاء) اي تحبب بالتأدب في الطاعات حتى تكون عند مهروفا بذلك (يعرفك في الشدة) بفرجها عنك وجعله لك من كل ضيق فرجا ومن كل هم مخرجا يقال ان العبد اذا تعرف الى الله في الرخاء ثم دعاه في الشدة يقول الله تعالى هذا الصوت اعرفه وفي غيره لا اعرفه وقيل المراد تعرف الى ملائكة الله تعالى في حال اليسر باظهار العبادة واللزوم للطاعات تعرفك في حال الشدة فتشفع لك عند الله بطلب الفرج والمعونة منه لك وذلك لما روى ان العبد اذا كان له دعاء في الرخاء كدعائه في الشدة قالت الملائكة ربنا هذا صوت نعرفه وان لم يكن له صوت دعاء في الرخاء فيما في الشدة قالت الملائكة ربنا هذا صوت لا نعرفه (قوله واعلم ان ما اخطأك) اي فلم يصل اليك (لم يكن) مقدرا عليك (ليصيبك) ووقع لكونه غير مقدر لك (وما اصابك) اي من المقدرات عليك (لم يكن) مقدرا الى غيرك (ليخطئك) اذ لا يصيب الانسان الا ما قدر له أو عليه وذلك لان المقدرات سهام صائبة رجيمة من الازل فلا بد ان تقع مواقعها * روى الامام احمد انه صلى الله عليه وسلم قال ان لكل حق حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الايمان حتى يعلم ان ما أصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه

المحظور على غير المكلف بمنع الامام أو نائبه من رعي مكان لا يحل مواشي الصدقة وخيل المجاهدين ووجه التشبيه ان الراعي اذا جاوره رتيعه حول الحمى وقوعه فيه فالحمي استحق العقاب فكذلك من أكثر الشبهات حتى وقع في الحرام فانه يستحق العقاب بسبب ذلك فالرب جل جلاله حمى محارمه كالملوك حماهم على النفس والمال والحرمي وحماهم الحرام وقد حمى ابراهيم مكة والنبي المدينة وحمى عمر الربذة ﴿ويوشك﴾ بضم الياء وكسر الشين المعجمة من أفعال المقاربة أي يقرب ويقال في ماضيه أوشك ومن انكر استعماله ماضيا فقد غلط وسمع منه اسم فاعل فيقال وشيك الا انه نادر ﴿أن يرتع﴾ بفتح التاء فيه وفي ماضيه وأصل الاقامة والتوسط في الاكل والشرب ومنه قول اخوة يوسف أو ترتع ونلعب أي تقم ونلهو ومن قرأ ترتع بضم النون وكسر التاء معناه نرتعها ونلعبها ﴿فيه﴾ أي تأكل ماشيته منه ﴿الا﴾ بفتح الهمزة وتخفيف اللام حرف استفتاح يرمز بها أنفان وقعت ان بعد الا هذه كانت مكسورة لا غير نحو قوله تعالى ألا انهم هم المفسدون وان وقعت بعدها ما كان فيها الكسر والفتح تقول اما ان زيدا قائم بكسر ان وفتحها وكذلك اذا وقعت بعدها على ما تقرر في علم العربية والا يدل على تحقيق ما بعده وتدخل على الجملتين نحو الا انهم هم السفهاء الا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وافادتها التحقيق من جهة تركيبها من همزة الاستفهام ولا النافية وهمزة الاستفهام اذا دخلت على النفي أفادت التحقيق نحو اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى قال الزمخشري ولكونها بهذا المنصب لا تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم نحو الا ان اولياء الله ﴿وان لكل ملك﴾ من ملوك العرب ﴿حمى﴾ يحميه عن الناس ويمنعهم من دخوله فمن دخله أوقع به العقوبة ومن احتاط لنفسه لا يقارب ذلك الحمي خوفا من الوقوع فيه وقد كان كليب اذا مر بحمى وأعجبه حماه وعلامة ذلك ان يأخذ جروا فيقطع أذنه وذنبه ويتركه في ذلك المكان فيمنع فاذا سمعت العرب نباحه تجنبت ذلك المرعى وقيل انه كان يعمل الى الروضة فاذا أعجبته كتم قوائم كلبه والقاه في وسطها فحيث بلغ عواء الكلب كان حمى لا يرعى وفيه يقول الشاعر

أبحت حمى تهامة بعد نجد * وما شيء حميت بمستباح

﴿الا﴾ كررها للدلالة على فخامة شان مدخولها وعظم موقعه ﴿وان﴾ باثبات الواو كما في رواية أبي ذر وقوله للبخاري وبحذفها كما في رواية غيره * فان قلت ما وجه ذكر الواو هنا وتركها وما وجه ذكرها في قوله الا وان في الجسد مضغة * فالجواب أما وجه ذكرها هنا فالنظر الى وجود التناسب بين الجملتين من حيث ذكر الحمى فيهما واما وجه حذفها فيما النظر الى عدم التناسبة بين حمي الملوك وبين حمي الله تعالى الذي هو الملك الحق لا ملك حقيقة الا له تعالى وتقدس وأما وجه ذكرها في قوله الا وان في الجسد مضغة فبالنظر الى وجود المناسبة بين الجملتين نظرا الى ان الاصل في الانشاء والوقوع هو كان بالقلب لانه عماد الجسد وملاكه وبه قوامه ﴿حمى الله محارمه﴾ أي المعاصي التي حرمها كذا في رواية الاسماعيلي وفي رواية غيره في ارضه بعد الجلالة وفي رواية أبي ذر معاصيه

ويؤيد ذلك قوله تعالى ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها واخرج الترمذي ان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط (قوله واعلم ان النصر) اي من الله للعبد على أعدائه انما يكون (مع الصبر) على طاعة الله وعن معصيته قال الله تعالى وان صبرتم لهو خير للصابرين وقال تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين اي بالنصر والاعانة ان ضم ذلك من الآيات والاخبار ولهذا كان القائل على من انتصر لنفسه الحمد لله ان من صبر واحتسب نصره الله وأيده (قوله وان الفرج مع الكرب) اي يوجد سريعا معه فلا دوام للكرب وشواهده كثيرة في الكتاب والسنة وفيه تسلية وتأنيس بان الكرب نوع من النعمة لما يترتب عليه ومنه قول بعضهم عسى الكرب الذي أصبحت فيه يكون وراءه فرج قريب ولعل الفوائد في الشدائد قال الامام الشافعي رحمه الله تعالى

ولرب حادثة يضيق بها الفتى ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكان يظنها لا تفرج

وقال غيره

توقع صنع ربك سوف يأتي بما تهواه من فرج قريب
ولا تيأس اذا ما نابر خطب ولا تجزع فكم في الغيب من عجب عجيب وقال غيره
لا تجزعن اذا ما الامر ضاقت به * ولا تبيتن الا خالي البال
ما بين طرفة عين وانتباهتها * يغير الله من حال الى حال (قوله وان مع العسر يسرا) اي كما نطق به القرآن العزيز ومن ثم ورد عن جمع من الصحابة وعنه صلى الله عليه وسلم ان يغلب عسر يسرين واخرج البزار وابن ابي حاتم واللفظ له لو جاء العسر فدخل هذا الجحر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه فانزل الله تعالى هذه الآية (خاتمة المجلس) من الادعية المستجابة اذا حل بالشخص أمر ضيق يطيق

ورقم في رواية الطبراني فان حمى الله في الارض حلاله وحرامه فزاد الحلال ومعناه كما قال الحافظ العراقي أنه حد الحلال حد والحرام حدا فلا اشكال فيه كما توهمه (ألا وان في الجسد) اي البدن اذ البدن هو الجسد ما سوى الاطراف أو ما سوى الرأس كما قاله الازهري (مضغة) اي قطعة لحم قدر ما يضع في الفم لكنها وان صغرت في الحجم والصورة عظمت في القدر والرتبة ومن ثم كانت (اذا صلحت) بالايمان والعلم والعرفان وهو بفتح اللام وضمها والفتح أفصح وأشهر (صلح الجسد كله) بالاعمال والاخلاص والاحوال (واذا فسدت) بالجحود والكفران وهو بفتح السين وضمها أيضا والفتح أفصح وأشهر كذلك (فسد الجسد كله) بالفجور والعصيان ومن ثم قيل ان القلب كالملك والجسد والاعضاء كالرعية ولذلك ان الرعية تصلح بصلاح الملك وتفسد بفساده وأيضا هو كالارض وحركات الجسد كالنبات والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا وأيضا هو كالعين والجسد كالرعية ان عذب ماء العين عذب الزرع وان ملح ملح * وللامام عمر بن عبد العزيز رجلان من رعيته كيف حالك أيها الراعي فقال له يا أمير المؤمنين اذا طابت العين عذبت الانهار وتشقق صدره صلى الله عليه وسلم مرات وغسل قلبه واستخرج منه علقة سوداء وقيل هذا حظ الشيطان منك ثم طهر قلبه وجسده فصار فردا قال أحمد بن خضرويه القلوب أوعية فاذا امتلأت من الحق ظهرت زيادة أنوار هاعلى الجوارح واذا امتلأت من الباطل ظهرت زيادة ظلمتها على الجوارح وقال الغزالي في الاحياء القلب مثل قبة فالابواب تنصب اليها الاحوال من كل باب ومثل هدف يرمى اليه بالسهام ومثل مرآة منصوبة يجتاز عليها الاشخاص فتتراءى فيها صورة بعد صورة ومثل حوض تنصب اليه مياه مختلفة من أنهار متنوعة اه وقال بعضهم صلاح القلب في خمسة أشياء قراءة القرآن بالتدبر وخلاء الباطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين وتعلمها بعضهم فقال

دواء قلبك خمس عند قسوته * فدم عليها تفز بالخير والظفر
خلاء بطن وقرآن تدبره * كذا تضرع بالك ساعة السحر
كذا قيامك جنح الليل أوسطه * وأن تجالس أهل الخير واخبر

وزاد بعضهم العزلة والصمت وترك الخوض في الناس وزاد آخر أكل الحلال وهو رأسها فانه ينور القلب ويصلحه فتزكو بذلك الجوارح وتدرأ المفاسد وتكثر المصالح وأكل الحرام والشبهات تصديه وتظلمه وتقسيه * وقد قيل اذا صمت فافطر على طعام من تنظر فان الرجل يأكل الاكل فيشتغل قلبه كالمسلم فلا يشبع به أبدا وقيل يخاف على آكل الحرام أو الشبهة أن لا يقبل له عمل ولا يرفع له دعاء ألا تسمع قوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين وآكل الحرام والمسترسل في الشبهات ليس بمتق على الاطلاق ويعضده ما يأتي في حديث ان الله طيب الخ ولما شرب أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه جرعة من لبن استقاءها فاجهد ذلك حتى تقايأها فقيل له أكل ذلك في شربة فقال والله لو لم

اصبحا يديه للحق ثم يفتحها بكلمة لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اللهم لك الحمد ومنك الفرج واليك المشتكى وبك المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فرجي بالثامنة وسمعت عن بعضهم انه كان اذا طلب منه شيء ما يدخل يده في جيبه فيخرج منه ما طلب منه وكان اصبعا يمتطرون في جيبه ويخرج منه ما يريد من ذلك فاعتراه الخصر عليه السلام بانه يكل ما طلب منه

فالمتوكل من يتوكل على الله تعالى في نجاته من النار وفي جوازه على الصراط وفي شربه من الحوض وفي دخوله الجنة ولا يتوكل عليه في كسيرات يقمن عليه وفي ثوب يستتر به عورته اللهم وفقنا اجمعين آمين

المجلس العشرون في الحديث العشرين

الحمد لله الذي جعل الموت ذكرى مطمئنة واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له المطلع على ضمائرنا ومكنون سرائرنا فلا يخفى عليه ما اضمره العبد واكنه واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله افضل المخلوقين من ملك وانس وجنه صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه الذين بهم الفرض والسنة آمين

عن ابي مسعود عقبة بن عامر الانصاري البدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت رواه البخاري

اعلموا اخواني وفقني الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم (قوله ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى) اي مما اتفقت عليه الشرائع لانه جاء في اوامرها وتتابعت بقيتها عليه اذ الحياء لم يزل في شرائع الانبياء الاولين ممدوحا ومامورا به ولم ينسخ في شرع ومن حديث لم يدرك الناس من كلام النبوة الاولى الا هذا اذا لم تستح فاصنع ما شئت واختلف العلماء في معناه قال بعضهم معناه الخبر وان كان لفظه لفظ الامر فكأنه قال اذا لم تفعل افعالا حياء فعلت ما شئت فانت ممن لم

تخرج الا بنقض لا عن وجها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل لحم نبت من سحت فالنار اولى به فقيل يا رسول الله وما السحت قال الرشوة في الحكم وروى ابو نعيم الاصفهاني في حليته ان ابا بكر رضي الله عنه كان يسأل عن الطعام فجاء يوما بطعام فاكل منه فقيل له تسأل ثم تأكل فقال نعم قد علمت فقال له اشيء ما رأيتها علمها أكلها قال له الغلام هلك ما سألت عنها على ما ذكرت فقال كنت جائعا فمر أين عي قال مررت على قوم من الجاهلية فعملوا عرسا فاعطوني من هذه الفطيرة فقام أبو بكر وهو يقول بقيا يا حتى اخرجها وهي مصبغة بالدم فقيل له يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما مقدار هذه فقال والله لم تخرج الا بوحي لاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل لحم نشأ من سحت فالنار اولى به وقال الاستاذ أبو سليم القشيري رحمه الله تعالى قال ابراهيم بن ادهم الورع ترك كل شبهة وترك ما لا يعنيك وهو ترك الفضلات ثم قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه كنا تسعة وسبعين بابا من الحلال مخافة ان نقع في باب من الحرام وقال صلى الله عليه وسلم لابي هريرة كن ورعا تكن اعبد الناس وذكر بسنده عن العبري السقطي رضي الله عنه انه كان من أهل الورع في ارقاتهم اربعة سفيان الثوري وبشر بن الحافي وابراهيم بن ادهم وسليمان الخواص فنظروا في الورع فلما ضاقت عليهم الامور فزعوا الى التوكل وقال السبكي الورع ان تتورع عما سوى الله تعالى وقال اسحق ابن منصور الورع في النطق اشد منه في الذهب والفضة والزهد في الرياسة اشد منه في الذهب والفضة لانك تجد لها طالب الرياسة وقال ابو عبد الله بن الجلاء عرفت من أقام بمكة اثنين سنة لم يشرب من ماء زمزم الا استشفاء بركوته ورشاشه لم يتناول من طعام جلب من مصر وقال يحيى بن معاذ من لم ينظر في دقيق من الورع لم يصل الى جليل من العظام وقال سفيان الثوري ما رأيت اسهل من الورع ما حاك في نفسك تركته وقيل جاءت امة بشر بن الحافي الى احمد بن حنبل فقالت انا نغزل على سطوحنا فتمر بنا شاة من الظاهرية ويقع الشعاع علينا افيجوز لنا الغزل في شعاعها فقال لها من أنت عافاك الله قالت انا امة بشر بن الحافي فبكى احمد بن حنبل وقال من بيتكم خرج الورع الصادق لا تغزلي في شعاعها قال وسمعت ابا علي الدقاق يقول كان الحارث المحاسبي اذا مد يده الى طعام في شبهة ضرب على راس اصبعه عرق فيعلم انه غير حلال وكان بشر بن الحافي دعي الى دعوة فوضع بين يديه طعام فجعل ان يمد يده اليه ثم لم يمد فعل ذلك ثلاث مرات فقال لرجل يعرف ذلك منه ان يده لا تمتد الى طعام في شبهة ما كان انتي صاحب هذه الدعوة ان يدعو هذا الشيخ ودخل الحسن البصري رحمه الله مكة فرأى غلاما من اولاد علي بن ابي طالب رضي الله عنه قد اسند ظهره الى الكعبة وهو يعظ الناس فوقف عليه الحسن وقال ما ملاك الدعاء فقال الورع فقال فما آفة الدين فقال الطمع فتعجب الحسن منه وقال الحسن مثقال ذرة من الورع خير من الف مثقال ذرة من الصوم والصلاة واوحى الله تعالى الى موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام لا يتقرب الي المتقربون بمثل الورع وقال ابو هريرة رضي الله عنه جاء اسم الله غدا أهل الورع والزهد وقال سهل بن عبد الله من لم

يكون له حياء يحجزه عن محارم الله فسواء عليه فعل الصغائر وارتكاب الكبائر كما يدل عليه
* ولم أستحي فاصنع ما تشاء * فلا والله ما في العيش خير * ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
كقوله تعالى اعملوا ما شئتم اي اصنع ما شئت فان الله مجازيك وقال بعضهم انظر الى
أن تفعل فان كان ذلك مما لا تستحي

اذا لم تخش عاقبة الليالي * وقال بعضهم معناه الوعيد

منه فافعل ما شئت فان ذلك الفعل يكون جاريا على نهج السداد وان كان مما يستحي منه فدعه وقيل المعنى أن عدم الحياء يورث الانهماك في هتك الاستار وفيه معنى التحذير والوعيد على فاقة الحياء وفيه ان الحياء من أشرف الخصال وأكمل الاخلاق ولذا قال صلى الله عليه وسلم الحياء خير كله الحياء لا يأتي الا بخير وثبت ان الحياء شعبة من الايمان وقد كان صلى الله عليه وسلم اشد حياء من البكر في خدرها وفي حديث اذا أراد الله هلاك عبد نزع منه الحياء فاذا نزع منه الحياء لم تلقه الا بغيضا مبغضا فاذا كان بغيضا مبغضا نزع منه الامانة فاذا نزعت منه الامانة لم تلقه الا خائنا مخونا فاذا كان خائنا مخونا نزع منه الرحمة فلم تلقه الا فظا غليظا فاذا كان فظا غليظا نزع منه ربقة الايمان من عنقه فاذا نزع منه ربقة الايمان من عنقه لم تلقه الا شيطانا لعينا

يصحبه الورع أكل رأس الخبيث ولم يشبع وقيل حمل الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه مسك من الغنائم فتغيض على جاريته وقال انما ينتفع من هذا بريحه وأنا أكره أن آخذ ريحه دون المسلمين وسئل عثمان الطبري عن الورع فقال كان أبو صالح حدون عنده صديق له في الزرع غابت الرجل نفسه أبو صالح المراعي فقيل له في ذلك فقال كان الله من الذي في المرعى عنه ولم من الآن صار للورثة اطلبوا لهذا غيره وقال كهمس أذنبت ذنبا فاقام أبكي عليه أربعين سنة وذلك انه ذرا لي تخ لي فاشتريت بدانق سمكة مشوية فلما فرغ أخذت لقمة من طين من جدار جاري حين غسل يده ولم أستحل وكان رجل يكتب رقعة في بيت بكراء فاراد ان يترب الكتاب من جدار البيت فخطر بباله ان البيت بالكراء ثم خطر بباله انه لا يخطر لهذا فترب الكتاب فسمع هاتفا يقول سينظر المستخف بالتراب ما يلقاه غدا من طول الحساب وروى أحمد بن حنبل سطلا له عند قال بمكة فلما أراد ذكاكه أخرج اليه الخال اليه سطلين وقال خذ ايهما لك فقال أحد أشكل على سطلي هو لك والدراهم لك فقال البقال سطلك عذاري انما أردت ان أجربك فقال لا آخذه ومضى وترك السطل والدراهم وقيل سيب ابن المبارك دابة فيمتها كثيرة وصلى صلاة الظهر فرتعت في قرية سلطانية فترك ابن المبارك الدابة ولم يركبها وقيل رجع ابن المبارك من مرو الى الشام في قلم استعاره ولم يرده على صاحبه واستاجر النخعي دابة فسقط سوطه من يده فنزل وربط الدابة ورجع فاخذ السوط فقيل له لو صبرت الدابة الى الموضع الذي سقط السوط فيه فاخذته فقال انما استاجرتها الى ههنا هكذا الا هكذا وقال ابو بكر الدقاق نهشت نملة بني اسرائيل خمسة عشر يوما فلما رافيت الطريق استقبلني جندي فسقاني شربة من ماء فبادرت فسوتها على قلبي ثلاثين سنة وقيل خاطت رابعة شقاقا وقبضها في ضوء شمعة سلطانية فوقعت قلبها زمانا حتى تفكرت فشقت قبضها فوجدت قلبها ورؤي سفيان الثوري في المنام وله جناحان يطير في الجنة من شجرة الى شجرة فقيل له بم نلت هذا قال بالورع * ومر عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام بمقبرة فنادى رجلا منهم فاحياه الله تعالى فقال من أنت فقال كنت حمالا انقل للناس فنقلت يوما لانسان حطبا فكسرت منه خلالا فخلت به فانا معاتب بها منذ مت اه كلام القشيري ولبعضهم رحمه الله تعالى

المرء ان عاقلا ورعا * أشغله عن عيوبهم ورعه
كما العليل السقيم أشغله * عن وجع الناس كلهم وجعه

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه فاذا تاب واستغفر صقل قلبه وان زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الران الذي ذكره الله عز وجل في كتابه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وعن الاعمش قال كنا عند مجاهد فقال القلب هكذا وبسط كفه فاذا أذنب العبد ذنبا قال هكذا فعقد واحدا ثم اذا أذنب وعقد اثنين ثم ثلاثا ثم رد الابهام على الاصابع في الذنب الخامس يطبع الله على قلبه قال مجاهد

ملعونا * وينبغي ان يراعى في الحياء القانون الشرعي فكل منه ما يذم شرعا كالحياء المانع من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع وجود شروطه وهذا في الحقيقة جبن لا حياء وتسميته حياء مجاز لشابهته له وسئل الحياء في العلم النافع من سؤال عن مهمات الدين اذا اشكلت عليه ولذا قالت عائشة رضي الله تعالى عنها نعم النساء نساء الانصار لم يمنعهن الحياء ان يسألن عن امور دينهن وفي حديث ان ديننا هذا لا يصلح لمستحي اي حياء مذموما ولا لمتكبر * وجاء في الصحيحين عن ام سلمة رضي الله تعالى عنها جاءت ام سليم

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان الله لا يستحيي من الحق هل على المرأة من غسل اذا هي احتلمت قال نعم اذا رأت الماء تستحيي من السؤال عن دينها * وجاء عمر النساء الوزيرة انذر فانى التى لا تستحيي عند الجماع * وقد قال صلى الله عليه وسلم لمن رآه يعاتب اخاه فى الحياء دعه فان الحياء من الايمان اى من أسباب أصل الايمان واخلاله لمنعه من الفواحش وحمله على البر والخير كما يمنع الايمان صاحبه من ذلك وأوحى الحياء الحياء من الله تعالى وهو أن لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك كمال الحياء ينشأ عن معرفته تعالى ومراقبته وقد قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه استحيوا من الله حق الحياء قالوا انا نستحيي يا نبي الله والحمد لله قال ليس كذلك ولكن من استحيى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى وليحفظ البطن وما حوى وليذكر الموت والبلى فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء واعلم ان أهل الحياء يتفاوتون بحسب تفاوت أحوالهم وقد جمع الله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم كمال نوعى الحياء فكان فى الحياء الغريزي أشد من العذراء فى خدرها وفى الكسبي واصلا الى اعلى غاية (قوله اذا لم تستح فاصنع ما شئت) يتضمن الاحكام الخمسة لان فعل الانسان اما ان يستحيي منه أولا فالاول الحرام والمكروه والثانى الواجب والمندوب والمباح ولذا قيل ان على هذا الحديث مدار الاسلام لما ذكرناه ﴿مسئلة﴾ يحرم كشف العورة بحضرة الناس وأما بغير حضرة الناس فقد قال الامام النووي رحمه الله فى شرح مسلم يجوز كشف العورة فى محل قضاء الحاجة فى الخلوة كحالة الاغتسال والبول ومعاشرة الزوجة واما دخول الحمام فايضا يطلب له الحياء فقد قال العلماء رضى الله عنهم يباح للرجال دخول الحمام ويجب عليهم

فايكم يرى انهم يطيح على قلبه وقال يحيى بن معاذ سقم الجسد بالاوجاع وسقم القلب بالذنوب فكما لا يجد الجسد لذة الطعام عند سقمه فكذلك القلب لا يجد حلاوة المناجاة مع الذنوب وقال خالد الرعيني كان لقمان عبدا حبشيا فدفع مولاه اليه شاة وقال اذبحها وائتني باطيب مضغتين منها فاتاه باللسان والقلب ثم دفع اليه شاة اخرى وقال اذبحها وائتني باخبث مضغتين منها فاتاه باللسان والقلب فساله عن ذلك فقال ماشيء أطيب منهما اذا طابا ولا أخبث منهما اذا خبثا وقد قال زهير

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * فلم يبق الا صورة اللحم والدم

﴿الا وهي القلب﴾ وهو مضغة فى الفؤاد مماثلة بالمباطن لا الخص من الفؤاد كما قاله الواحدي وقال البدر الزركشي والاحسن قول غيره الفؤاد غشاء القلب والقلب حبته وسويداؤه ويؤيد الفرق قوله صلى الله عليه وسلم ألين قلوبا وارق افئدة وفى الصحاح انهما مترادفان فان القلب يعبر عنه بالفؤاد ومنه ان الكلام ليخرج من الفؤاد ويعبر عنه بالصدر كما فى قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك ويعبر عنه بالاثياب كما فى قوله تعالى وثيابك فطهر أى قلبك فطهر على أحد التفاسير وقول الشاعر

* فشكت بالرمح الطويل ثيابه * اى قلبه وقد يطلق القلب على العقل مبالغة كما فى قوله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أى عقل فلقيامه به وعدم انفكاكه عنه صار كانه هو وسمي القلب قلبا لفرط تقلبه ولذا ورد فى الحديث ان القلب كريشة بارض فلاة تقلبها الرياح بطنا لظهر وقال بعضهم

وما سمي القلب الا من تقلبه * فاحذر على القلب من قلب وتحويل

وقال آخر

كان لى قلب أعيش به * قد ضاع مني فى تقلبه
رب فارددده على فقد * عيل صبري فى تطلبه
واغث مادام فى رمق * ياغياث المستغيث *

وقال آخر

وما سمى الانسان الا لنسيه * ولا القلب الا أنه يتقلب

ولانه خالص ما فى البدن وخالص كل شيء قلبه أو لانه وضع فى الجسد مقلوبا والقلب لغة صرف الشيء الى عكسه ومنه القلب * فان قلت هذا يقتضي ان القلب هو اصل الصلاح والفساد وقد نرى الانسان أولا ينظر ثم يتاثر القلب كما قيل

كل الحوادث مبداها من النظر * ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء مادام ذا عين يقلبها * فى اعين الغيد موقوف على الخطر
كم نظرة فعلت فى قلب صاحبها * فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يسر مقلته ما ضر مهجته * لا مرحبا بسرور جاء بالضرر

فهذا يدل على ان الجارحة تفسد القلب فالجواب ان الجوارح وان كانت تابعة للقلب فقد يتاثر القلب باعمالها للارتباط الذى بين الظاهر والباطن فهو وان كان صغير الجرم كبير القدر ولذا سمي الاعظم لكونه عظيم القدر ﴿رواه البخاري﴾ فى كتاب الايمان والبيع ﴿ومسلم﴾ فى البيع وهذا الحديث اصل

غض البصر عما لا يحل لهم ويصونون عوراتهم عن الكشف بحضرة من لا يحل له النظر اليها * وقد روي أن الرجل اذا دخل الحمام عاريا لعنه ملكاه رواه القرطبي في تفسير عند قوله تعالى كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون * وروى الحاكم عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال حرام على الرجال دخول الحمام الا بمئزر وأما النساء فيكره لهن بلا عذر لخبر ما من (٢٩) امرأة تخلع ثيابها في غير بيتها الا هتكت

الحديث السابع

﴿عن أبي رقية﴾ بضم الراء وتشديد المثناة التحتية مصغرا بابنته لم يولد له غيرها ﴿تميم بن أوس﴾ بفتح الهمزة وسكون الواو ابن خارجة وقيل خارجة بن سويد وقيل سواد بن خزيمة بن ذراع بن عدي بن الدار بن هاني بن حبيب بن نمارة بن لخم وهو مالك بن عدي بن الحرث بن مرة بن ادد بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان ﴿الداري﴾ نسبة الى جده الدار بن هاني وقيل الى موضع يقال له دارين ويقال له أيضا الديري نسبة الى دير كان يتعبد فيه ﴿رضي الله عنه﴾ كان نصرانيا فوفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جماعة من الدار بن منصرفه من تبوك فاسلم وكان كثير التهجد يختم القرآن في ركعة فنام ليلة لم يقم يتهجد فيها فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذي صنع وصلى ليلة بام حسب الذين اجترحوا السيآت ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات وجعل يرددها ويبكي حتى اصبح وعن صفوان بن سليم انه قال قام تميم الداري في المسجد بعد ان صلى العشاء فمر بهذه الآية وهم فيها كالحون فما خرج منها حتى سمع أذان الصبح واشترى حلة بالف كان يقوم فيها الليل وعن محمد بن أبي بكر عن أبيه قال زارتنا عمرة فباتت عندنا فقمت بالليل فلم ارفع صوتي بالقراءة فقالت يا أخي ما منعك ان ترفع صوتك بالقراءة فما كان يوقظنا الا صوت معاذ القارئ وتميم الداري ولقد قال عمر ليمضي من قدم عليه اذهب وانزل على خير أهل المدينة فنزل على تميم قال فبينما نحن نتحدث اذ خرجت نار الحرة فجاء عمر الى تميم فقال يا تميم اخرج فصغر نفسه ثم قام فحاشها ثم ادخلها الباب الذي خرجت منه ثم اقتحم في اثرها ثم خرج فلم تضره وهو أول من قص في المسجد باذن عمر وذكر للنبي صلى الله عليه وسلم قصة الجساسة والدجال اذ وجده هو وأصحابه فحدث النبي صلى الله عليه وسلم بذلك على المنبر وعد ذلك من مناقبه ويدخل في ذلك رواية الاكابر عن الاصاغر فقد قالت فاطمة بنت قيس سمعت منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي الصلاة جامعة فخرجت الى المسجد فصليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قضى صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال ليلزم كل انسان مصلاه ثم قال هل تدرون لم جمعتكم قالوا الله ورسوله اعلم قال اني والله ما جمعتكم لرغبة ولا رهبة ولكن جمعتكم لان تميما الداري كان رجلا نصرانيا فجاء وأسلم وحدثني حديثا وافق الذي كنت احدثكم به عن المسيح الدجال حدثني انه ركب البحر في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام فلعب بهم الموج شهرا في البحر فارسلوا الى جزيرة أي قاربوها حين تغرب الشمس فجلسوا في اقرب السفينة بضم الراء جمع قارب بكسرها سفينة صغيرة يقال لها سنبوك فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر وهو تفسير لما قبله لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر قالوا ويلك ما أنت قالت انا الجساسة سميت بذلك لتجسسها لاخبار للدجال انطلقوا الى هذا

ما بينها وبين الله تعالى رواه الترمذي وحسنه ولان أمرهن مبني على المبالغة في الستر ولما في خروجهن واجتماعهن من الفتنة والشر * فعليكم يا اخواني بالحياء والزموا الادب تبلغوا الارب ﴿وانختم مجلسنا هذا بشيء يتعلق بالادب﴾ قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم واهليكم نارا قال علي رضي الله عنه أي ادبوهم وعلموهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم رواه ابن ماجه وقال صلى الله عليه وسلم لان يؤدب أحدكم ابنه خير من ان يتصدق بصاع طعام فجعل تاديب الابن أعلى من الصدقة حكاه ابن ابي جمرة في شرح البخاري وقال أبو علي الروذباري العبد يصل بادبه الى ربه وبطاعته الى الجنة وقال سري السقطي رضي الله عنه صليت ليلة من الليالي فمددت رجلي في المحراب فنوديت في سري هكذا

تجالس الملوك * فقلت لا وعزتك لا مددت رجلي ابدا وقال بعض العارفين مددت رجلي في الحرم فقالت جارية لا تجالسه الا بالادب والا يمحوك من ديوان المقربين وقال بعضهم ترك الادب موجب للطرد فمن أساء أدبه على البساط طرد الى الباب ومن اساء ادبه على الباب طرد الا سياسة الدواب وقال بعضهم من تادب بادب الصالحين صلح لبساط المحبة ومن تادب بادب الصديقين صلح لبساط المشاهدة وقال ابو يزيد البسطامي رضي الله عنه وصف لي عابد فقصدت زيارته فرأيته

قد يصرف إلى جهة القبلة فيحصل عن زيارته فلا نه غير مأمون على أدب من آداب الشريعة فكيف يكون مأمونا على الأسرار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تفل تجاه القبلة جاء يوم القيامة وتفله بين عينيه رواه أبو داود * وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم إن العبد إذا قام للصلاة فتحت له الجنة وكشفت له الحجب بينه وبين ربه واستقبله الحور العين ما لم يتمخط أو يتنخع رواه الطبراني رضي الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم أكرم المجالس ما استقبل به القبلة * وقال صلى الله عليه وسلم إن لكل شيء سيدا وإن سيد المجالس قبالة القبلة وقال صلى الله عليه وسلم إن لكل شيء شرفا وإن بسنة المجالس استقبال القبلة * وقال بعضهم ما قبح الله على ولي الا وهو مستقبل القبلة * وحكي أن رجلا علم ولديه القرآن على السواء فكان أحدهما يقرأ وهو مستقبل القبلة فحفظ القرآن قبل صاحبه بسنة قال أهل التصوف نفعنا الله تعالى ببركاتهم إذا صحت المحبة سقط الأدب واستشهدوا لذلك بما نقل أن خطافا قرار دسقاطة فدخلت قصر سليمان عليه السلام فقال إن لم تخرجي قليت قصر سليمان عليه فدعاه وقال ما حملك على ما قلت قال يا نبي الله إن العشاق لا يؤاخذون بأقوالهم وقالوا إن الأدب أفضل من امتثال الأمر واستشهدوا لذلك بإن الصديق رضي الله عنه تأخر عن المحراب ولم يمتثل أمر النبي صلى الله عليه وسلم له بإتمام الصلاة وأما الفقهاء فقالوا امتثال الأمر أفضل من الأدب وبنوا على ذلك قول المصلي في التشهد اللهم صل على محمد من غير أن يقول على سيدنا امتثالا لقول النبي صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وقيل للعباس رضي الله عنه أنت أكبر أم النبي صلى الله عليه وسلم فقال هو أكبر مني وأنا ولدت قبله وذلك من أدبه رضي الله عنه

الرجل في الدير فإذا دلى خيركم بالأشواق فقال سمعت إذا رجلا فزعنا منها أن تكون شيطانة قال فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير فإذا فيه أعظم إنسان ما رأيناه قط وأشده وثاقا مجموعة يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كتفيه بأغليظ ما يكون من القد فقلنا ويلك ما أنت قال قد قدرتم على خبري ما أنتم قالوا نحن أناس من العرب وركبنا في سفينة بحرية فلعب بنا البحر شهرا فدخلنا الجزيرة فإذا دابة أهلب فقالت أنا الجساسة اعمدوا إلى هذا الدير فقبلنا إليك سراعا فقال أخبروني عن نخل بيسان هل تثمر قلنا نعم قال أما إنها يوشك أن لا تثمر قال أخبروني عن بحيرة طبرية هل فيها ماء قلنا هي كثيرة الماء قال إن ماءها يوشك أن يذهب قال أخبروني عن عين زغر هل في العين ماء وهل يزرع أهلها بماء العين قلنا نعم هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها قال أخبروني عن النبي الأمين ما فعل قلنا خرج من مكة ونزل يثرب قال أقاتله العرب قلنا نعم قال كيف صنع بهم فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه قال أما إن ذلك خير لهم أن يطيعوه وإني مخبركم عني أني أنا المسيح وإني يوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة هما محرمان علي كلاهما كلما أردت أن أدخل واحدة منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتا يصدني عنها وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعن بمخصرته في المنبر هذه طيبة هذه طيبة هذه طيبة يعني المدينة ألا هل كنت حدثتكم ذلك فقال الناس إنه والنقب الطريق بين الجبلين وسكن تميم رضي الله عنه بيت المقدس بعد قتل عثمان رضي الله عنه ومات ودفن ببيت جبرين من أرض فلسطين سنة أربعين وليس له في صحيح البخاري رواية ولا في مسلم إلا في هذا الحديث ﴿ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدين ﴾ بكسر الدال أي دين الإسلام وهو ما شرعه الله لعباده من الأحكام وقد مرت معانيه في الخطبة ﴿ النصيحة ﴾ هي كالنصح نقيض الغش والخديعة * وهما لغة الإخلاص والتصفية من نصحت العسل إذا صفيته من الشمع شبه تخليص القول والفعل من الغش بتخليص العسل من الشمع أو من نصح الرجل ثوبه إذا خاطه بالنصح بكسر الميم وهي الإبرة التي يخاط بها والنصاح بكسر النون وتخفيف الصاد الخيط والناصح الخياط شبه فعل الناصح فيما يحرره من صلاح المنصوح ولم شعثه بفعل الخياط حال الثوب والصق بعضه ببعض ومنه التوبة النصوح كأن الذنب يمزق الدين والتوبة تخيطه ونصح له الصحيح من نصحته * وشرعا إخلاص الرأي من الغش المنصوح وإيثار مصلحته وإن شئت قلت بذل المودة والاجتهاد في المشورة وقوله الدين النصيحة كرره صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات وهو إما على حذف مضاف أي عماد الدين وقوامه أي معظمه النصيحة على وزان الحج عرفة ويدل له رواية الطبراني رأس الدين النصيحة وأما على ظاهره إذ النصيحة لم يبق من الدين شيئا لأن من جملتها الإيمان بالله ورسوله وطاعتهما والعمل بما قالاه من كتاب وسنة وليس وراء ذلك من الدين شيء كيف وقد مر في حديث جبريل أن الدين هو الإسلام والإحسان وجميع ذلك مندرج تحت ما ذكر من النصيحة وهي تجري

عنه ﴿حكاية﴾ دخل شقيق البلخي وابو تراب النخشبي على ابي يزيد البسطامي رضي الله عنهم فاحضر خادمه الطعام فقالا للخادم كل فقال اني صائم فقال ابو تراب كل ولك اجر صيام شهر فقال اني صائم فقال شقيق كل ولك اجر سنة فقال اني صائم فقال ابو يزيد دعوا من سقط من عين الله فقطعت يده في سرقة بعد سنة اللهم ارزقنا الادب بفضلك (١٢٢) وكرمك يا ارحم الراحمين ويا اكرم الاكرمين ويا خير المسؤلين بجاه سيد المرسلين آمين

المجلس الحادي والعشرون في الحديث الحادي والعشرين

الحمد لله الذي اذار الافلاك على قطبي الشمال والجنوب ورفع الصبا ورفع قبة السماء بغير عمد وملأها حرسا وشهبا وجعلها بهجة للناظرين فمن تاويل قدرته راى من آياته عجبا حكمة بالغة حارت فيها عقول العلماء والفقهاء والادباء واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الذي خلق من الماء بشرا فجعله صهرا ونسبا واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي لم يزل بآداب ربه مؤادبا صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه الاخيار النجبا آمين

﴿عن ابي عمر وقيل ابي عمرة سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا اسال عنه احدا غيرك قال قل آمنت بالله ثم استقم رواه مسلم﴾ اعلموا اخواني وفقني الله وايا كم اطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم (قوله قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام) أي في شرائعه (قولا) أي جامعا لمعاني الدين واضحا في نفسه بحيث لا يحتاج الى تفسير غيرك أعمل به واكتفي به بحيث (لا أسال) اي لا يحوجني الا اشتمل عليه من الاحاطة والشمول ونهاية الايضاح والظهور الى أن أسال (عنه احدا غيرك قال قل آمنت بالله) اي جدد ايمانك بقلبك واسانك لتستحضر جميع معاني الاسلام

الاخلاص قولا وفعلا واعتقادا بذل الجهد في اصلاح النصوح سرا وجهرا وكل عمل لم يرد به عامله الاخلاص فليس من الدين أصلا ومن ثم لم يكن في كلام العرب اجمع منها كان الفلاح ليس في كلامهم اجمع لخيري الدنيا والآخرة منه ﴿قلت﴾ بشر السامعين ﴿لن﴾ فيه اشارة الى ان للعالم ان يكل فهم ما يلقيه للسامع فلا يزيد في البيان حتى يسأله لتشوف نفسه حينئذ اليه فيكون اوقع في نفسه مما اذا فهمه من اول وهلة ﴿قال﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿لله﴾ بالايمان به في الشريك عنه والاخلاص الاعتقاد في الوحدانية ووصفه بصفات الالوهية وتنزيهه عن النقائص والقيام بطاعته واجتناب معصيته وموالاة من أطاعه ومعاداة من عصاه والاعتراف بنعمته وشكره عليها والاخلاص في جميع الامور وفي حديث رواه احمد قال الله عز وجل أحب ما تعبدني به عبدي النصح لي ٭ وروي الثوري عن علي قال قال الحواريون لعيسى يا روح الله من الناصح لله قال الذي يقدم حق الله على حق الخلق وحقيقة هذه الاضافة راجعة الى العبد في نصحه نفسه فانه سبحانه غني عن نصح الناصحين ومن العالمين ﴿ولكتابه﴾ مفرد مضاف فيعم جميع كتبه المنزلة بان يؤمن بانها من عنده وتنزيله ويميز القرآن بانه لا يشبهه شيء من كلام الخلق ولا يقدر أحد منهم على الاتيان بمثل أقصر سورة منه وتلاوته بخشوع واقامة حروفه في الصلاة والتصديق بما فيه وتفهم علومه واكرامه والاعتناء بمواعظه والتفكر في عجائبه والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه والبحث عن ناسخه ومنسوخه وعمومه وخصوصه وسائر وجوهه ونشر علومه والدعاء اليه ﴿ولرسوله﴾ بتصديق رسالته والايمان بجميع ما جاء به والتزام طاعته في امره ونهيه ونصرته حيا وميتا واعظام حقه فقد روي المسور بن مخرمة أن عروة بن مسعود الثقفي رمق اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له قال فرجع عروة الى اصحابه فقال يا قوم لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ما رأيت ملكا قط تعظمه اصحابه ما تعظم اصحاب محمد محمدا والله ان يتنخم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده الحديث ومن النصيحة له احياء سنته والتفقه فيها والذب عنها واجلال اعلام الامة بهم اليها والتخلق باخلاقه والتادب بآدابه ومحبة آل بيته واصحابه وتجنب من تعرض لاحد من آله واصحابه ﴿ولائمة﴾ جمع امام وهو القائم بامور المسلمين والامامة اعم من الخلافة اذ كل خليفة امام ولا ينعكس قيل والامامة على أربعة أوجه امامة وحي وهي النبوة وورائة وهي العلم وعبادة وهي الصلاة ومصلحة وهي الخلافة ﴿المسلمين﴾ الامراء بمعاونتهم على الحق وامرهم به وتذكرهم بلطف ورفق واعلامهم بما غفلوا عنه من امور المسلمين وحقوقهم والدعاء باصلاحهم وترك الخروج عليهم والجهاد معهم واداء الزكاة اليهم وامتثال امرهم في غير المعاصي فقد روى ان عبد الله بن حذافة السهمي

والايمان الشرعي (ثم استقام) على الطاعات والانتهاء عن جميع المخالفات اذ لا تتأتى الاستقامة مع شيء من الاعوجاج وغاية الاستقامة ان لا يلتفت العبد الى غير الله تعالى وهي الدرجة القصوى التي بها كمال المعارف والاحوال وصفاء القلوب في الاعمال وتنزيه العقائد عن مفسدة البدع (٢٢٦) والضلال قال ابو القاسم القشيري رحمه الله من لم يكن مستقيما في حال ضاع سعيه وتعذب

بعده ولذا قيل لا يطيق الاستقامة الا الاكابر فانها لا تحصل الا بالخروج عن المألوفات ومفارقة العادات والقيام بين يدي الله تعالى على حقيقة الصدق ولهذا اخبر صلى الله عليه وسلم ان الناس لا يطيقونها فيما اخرجه الامام احمد استقيموا ولن تطيقوا (وحاصله) ان الاسلام توحيد وطاعة فالتوحيد حاصل بالجملة الاولى والطاعة بجميع انواعها ضمن الجملة الثانية اذ الاستقامة مرجعها الى امتثال كل مأمور واجتناب كل منهي زاد الترمذي في هذا الحديث قلت يا رسول الله ما أخوف ما تخاف علي فاخذ بلسان نفسه وقال هذا فبين ان اعظم ما يراعى استقامة بعد القلب اللسان فانه ترجمان القلب وقد اخرج الامام احمد لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يعلم ان اللسان في بعض الاوضاع أضر من سيف قاطع وسنان مجرد قال سفيان لان ترمى

بستة

انسانا بسهم أهون من ان ترميه بلسانك فان السهم قد يخطئه واللسان لا يخطئه وقيل جراحات السنان لها التئام * ولا يلتئم ما جرح اللسان والاستقامة خير من الف كرامة وما اكرم الله تعالى عبدا بكرامة خير من الاستقامة ولهذا لم ينقل عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم الا القليل من الكرامات ونقل عن المتأخرين من المشايخ الصادقين والمريدين أكثر من ذلك رحمة

بعثه النبي صلى الله عليه وسلم بسرية وأمره عليهم وكان قد وصاه قبل ذلك فامرهم أن يجمعوا حطبا ويوقدوه نارا فلما أوقدوها أمرهم بالتقحم فيها فابى فقال لهم ألم يأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاعتي وقال من أطاع أميري فقد أطاعني فقالوا آمنا بالله وأتبعنا الرسول الا تتجون من النار فصوب رسول الله صلى الله عليه وسلم قولهم وقال لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق اه * والعلماء بقبول ما رووه وتقليدهم في الاحكام ونشر مذاهبهم واحسان الظن بهم وليس المراد بهم من تزيا بزيهم وادعى العلم وأكل الدنيا بالدين فان نصحهم نصيحة المسلمين ان لم يستحلوا قال سهل بن عبد الله لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء فاذا عظموا هذين أصلح الله دنياهم وآخراهم واذا استخفوا بهذين أفسد دنياهم وآخراهم (وعامتهم) بارشادهم الى ما يصلح آخراهم ودنياهم كنصحهم الاذى عنهم وتعليمهم ما جهلوه وستر عوراتهم وسد خلتهم ومحبتهم لهم ما يحب لنفسه وعدم غشهم واذا رأى من يفسد وضوءه او صلاته او غير ذلك ولم يعلمه فقد غشه وعليه الاثم وقيل الا ان يعلم انه لا يسمع منه فانه يسقط عنه الاثم قاله الاقفهسي في شرحه لرسالة ابن ابي زيد القيرواني وظاهره سواء كان هناك غيره يقوم بذلك ام لا وقد ذكر الخطاب في شرحه عليها ما يفيد حكم ذلك فقال الشافعي اختلف اذا كان هناك من يشارك في النصيحة فهل يجب عليك النصيحة سواء طلبت منك ام لا كمن رآه يفسد صلاته فقال الغزالي يجب عليك النصح وقال ابن العربي لا يجب قال بعض شيوخنا والذي اقول به ما قاله الغزالي ويكون ذلك برفق لانه اقرب للقبول ولذا قال الشافعي من وعظ اخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه ومن ثم قال الفضيل المؤمن يستر وينصح والفاجر يهتك ويعير * وفي كلام الشيخ محيي الدين ان من شرط الناصح اذا أراد أن ينصح أحدا أن يمهد له بساطا قبل النصح وان يرى نفسه دون المنصوح وان يوطن نفسه على تحمل الاذى الحاصل من جهة النصح في الغالب وقد حكي ان الحسن والحسين رضي الله عنهما أقبلا على شيخ يتوضأ وضوءا لا يقال أحدهما للآخر تعال نرشد هذا الشيخ فقال له أحدهما يا شيخ انا نريد أن نتوضأ بين يديك حتى تنظر الينا وتعلم من يحسن منا الوضوء ومن لا يحسنه ففعلا ذلك فلما فرغا من وضوئهما قال انا والله الذي لا اله الا هو لا أحسن الوضوء وانما أنتما فكل واحد منكما يحسن وضوءه فانتفع بذلك منهما من غير تعنيف ولا توبيخ * وقد اتفق ان رجلا وعظ المأمون وراغ عليه فقال له خير منك وعظ من هو شر مني فان موسى وهارون عليهما افضل الصلاة والسلام لما ارسلهما الله تعالى الى فرعون قال فقولا له قولا لينا * وقد كان في السلف من بلغت به النصيحة الى الاضرار بدنياه وقد ورد ان جريرا اشترى له فرسا بثلثمائة درهم فقال اصاحبه فرسك خير من ثلثمائة درهم أتبيعه باربعمائة درهم فقال هو لك يا أبا عبد الله فقال خير من اربعمائة درهم أتبيعه بخمسمائة فقال نعم فلا زال يزيد مائة مائة حتى اوصله ثمانمائة درهم فكم في ذلك فقال عاهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم وورد ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لبعض اخوانه اوصيك

الله عليهم أجمعين لان الصحابة رضي الله عنهم بركة النبي صلى الله عليه وسلم وتعليمهم له ومشاهدة الوحي وتردد الملائكة عليهم طهرهم بين يديه تنورت قلوبهم وزكت نفوسهم فعاينوا الآخرة واستغنوا عما أعطوا من دنيا فكرامتهم واشتغلوا بالعبادة والاستقامة وزهدوا في الدنيا الدنية كما في خبر عمارة المشهور وقال في قول الله عز وجل إن الذين قالوا ربنا الله (ص ٩٣٠) ثم استقاموا قالوا ربنا الله ثم استقاموا أي استقاموا على التصديق حتى ماتوا مسلمين وقيل قالوها بالايمان ثم استقاموا بالطاعة والاحسان ﴿واعلموا﴾ يا اخواني ان من اطاع الله تعالى أطاعه كل شيء ومن خاف الله تعالى خافه كل شيء ولذا قال عوف ابن أبي شداد العبدي الغني ان الحجاج بن يوسف لما ذكر لسعيد بن جبير أرسل اليه قائدا يسمى التماس بن الاحوص ومعه عشرون رجلا من اهل الشام من خاصة أصحابه فبينما هم يطلبونه اذا هم براهب في صومعة له فسألوه عنه فقال الراهب صفوه لي فوصفوه له فدلهم عليه فانطلقوا فوجدوه ساجدا يناجي ربه على صومعته فدنوا منه فسلموا عليه فرفع رأسه فاتم بقية صلاته ثم رد عليهم السلام فقالوا أرسل الحجاج اليك فاجبه قال ولا بد من الاجابة قالوا لا بد فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم قام فمشى معهم حتى انتهى الى دير الراهب فقال الراهب يا معشر الفرسان اصبتم صاحبكم قالوا نعم قال لهم اصعدوا الدير فان اللصوص والاسد يأوي بالليل حصول الدير فصعدوا والخمر لهم قبل المساء ففعلوا ذلك وابى سعيد ان يدخل الدير فقالوا له ما نراك الا ترد الهرب منا قال لا ولكن لا أدخل منزل مشرك ابدا قالوا أنا لا ندعك فان السباع تقتلك قال سعيد ان معي ربي يصرفها عني ويجعلها حرسا حولي تحرسني من كل سوء ان شاء

سنة شيئا اذا أردت أن تقوم فاحمد ربك وقدم قبل قيامك فانك لا تعلم أحدا أكثر عيوبا منك وان أردت ان تعادي أحدا فعاد الباطن فليس لك عدو أعدى منك وان أردت أن تحمد أحدا فاحمد الله تعالى فليس أحد أكثر منه منة عليك واللطف بك منه وان أردت أن تترك شيئا فاترك الدنيا فانك ان تركتها فانك محمود والا تركتك وأنت مذموم وان أردته أن تستعد لشيء فاستعد للموت فانك ان لم تستعد له حل بك الخسران والندامة وان اردت أن تطلب شيئا فاطلب الآخرة فليست تنالها الا بان تطلبها وبدأ في الحديث بالله لان الدين له حقيقة ونبي بكتابه الصادع ببيان أحكامه المعجز بديع نظامه وثلث بما يتلو كتابه في الرتبة وهو رسوله الهادي الى دينه الموقف على أحكامه المفصل لجميع شرائعه وربع بأولى الامر الذين هم خلفاء الانبياء القائمون بسنتهم ثم خص بالتعميم ولم يكرر اللام في عامتهم لانهم كالاتباع للائمة لاشتمال لهم وانما خص أهل الاسلام بالنصح لانهم اقرب الى الاجابة من اهل الذمة أولان النصيحة الكاملة انما هي للمسلمين بخلاف اهل الذمة اذ لا يقال لهم صلوا ولا زكوا او ان ذكر المسلمين من باب التغليب لشرفهم على اهل الذمة والا فنحن ننصح أهل الذمة بالارشاد ﴿رواه مسلم﴾ في كتاب الايمان وهو من افراده ﴿تنبيه﴾ قال ثابت بالغني ان ابليس ظهر لبعض العباد فرأى عليه معاليق من كل شيء فقال له العابد يا ابليس ما هذه المعاليق التي ارى عليك قال هذه الشهوات أصيب بها ابن آدم قال فهل لي فيها من شيء قال ربما شبعت فثقلتك عن الصلاة وعن الذكر قال هل غير ذلك قال لا قال لله علي ان لا أملأ بطني من طعام أبدا قال ابليس ولله علي ان لا انصح أحدا أبدا

الحديث الثامن

﴿عن﴾ عبد الله ﴿ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت﴾ بالبناء للمفعول أي أمرني الله تعالى فحذف الفاعل تعظيما وتفخيما وقال بعضهم طوى ذكره لشهرته وتعينه بذلك اذ لا آمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا هو سبحانه وتعالى ولذلك اذا قال الصحابي أمرنا بكذا يفهم منه ان الآمر هو الرسول صلى الله عليه وسلم لا نهم المشرع والمبين لهم واما اذا قال التابعي أمرنا بكذا فهو محتمل وحقيقة الامر القول الطالب للفعل ﴿ان أقاتل﴾ أي بان اقاتل لان الاصل في الامر ان يتعدى لمفعولين ثانيهما بحرف الجر ونحو امرتك الخير ونادر وأن مصدرية والتقدير بمقاتلة ﴿الناس﴾ من الانس فيختص ببني آدم أو من ناس اذا تحرك فيعم الجن بالحقيقة أو الغلبة والمراد هنا الانس خاصة وان كان مرسلا الى الجن اجماعا اذ لم يرد انه قاتلهم وان اسلم منهم جمع على يديه كجن نصيبين والناس اصله الاناس حذفت الهمزة تخفيفا وتوهم ابو علي ان أل عوض عن الهمزة اذ لا يجتمعان في الاناس الا ضرورة ورد بكثرة استعمال ناس منكرا بغير ال والهمزة ولو كانت عوضا لم يجز ذلك اذ لا يجوز الخلو عن العوض والمعوض وقال صاحب القاموس الناس يكون من الانس ومن الجن جمع انسي اصله اناس جمع عزيز أدخل عليه ال وقيما قاله نظر اذ جعله شاملا للجن مع كون مفرده انس غير متجه ولذا قال انه جمع عزيز

الله تعالى قالوا أفانت من الانبياء قال ما أنا من الانبياء ولكني عبد من عبيد الله مخاطبي مذنب فقالوا اجعلف لنا انك لا تبرح فحلف لهم فقال لهم الراهب اصعدوا الدير وأبصروا القسي لتناولوا السباع عن هذا العبد الصالح فانه كرامة للمسجود على في الصومعة فصعدوا وأبصروا القسي فاذا هم بغبرة قد أقبلت (٦٢٦) فلما دنت من سعيد تمسحت به وتمسحت به ثم بصقت قريبا منه وأقبل الاسد نحوه مثل ذلك فلما رأى الراهب ذلك وأصبح نزل فسأله عن شرائع دينه وسنن رسوله صلى الله عليه وسلم ففسر له سعيد ذلك كله فاسلم الراهب وحسن اسلامه وأقبل القوم الى سعيد يعتذرون ويقبلون يديه ورجليه ويأخذون التراب الذي وطئه بالليل ويصلون عليه ويقولون يا سعيد حالفنا الفجاج بالطلاق والعتاق ان نحن رأيناك لا ندعك حتى نشخصك اليه فرنا ياشئت فقال امضوا لشانكم فاني لا أفارق بحائي ولا أراد اقضائه فساروا حتى وصلوا الى واسط فلما انتهوا اليها قال لهم سعيد يا معشر القوم قد حرمت بكم وصحبتكم ولست أشك ان أجلي قد حضر وان المدة قد انقضت فدعوني الليلة آخذ أهبة الموت واستعد لنكير ونكير واذكر عذاب القبر وما يجيء على من التراب فاذا أصبحتم فالميعاد بيني وبينكم المكان الذي تريدون فقال بعضهم لانريد أثرا بعد عين وقال بعضهم قد بلغتم كل أمانيكم فلا تعجزوا عنه وقال بعضهم هو علي أدفعه اليكم ان شاء الله تعالى فنظروا الى سعيد وقد دمعت عيناه وتغير لونه ولم يأكل ولم يشرب ولم يضحك منذ لقوه وصحبوه فقالوا ياجمهم ياخير أهل الارض لبتنا لم نعرفك ولم نرسل اليك الويل لنا كيف أنبناك اعذرنا عند خالقنا يوم الحشر الاكبر فانه القاضي الاكبر والعدل الذي لا يجور فلما فرغوا من البكاء قال

ومخالف لما صرح به صاحب الكشاف في البقرة والاعراف من انها اسم جمع خير تكسير بدليل عود الضمير اليه وتعريفه على لفظه وتذكيره على لفظ سباع على فعال بالضم الآتي ثمانية ألفاظ كما قاله السمين تكمل زاد عليه صاحب المزهر وغيره ألفاظا وقوله أمرت أن أقاتل الناس الخ ذكر بابه المفاعلة لان الدين لما ظهر الا بالجهاد والجهاد لا يكون الا بين اثنين ثم ان أمره صلى الله عليه وسلم بالقتال كان بعد الهجرة فانه صلى الله عليه وسلم لما بعث أمر بالانذار من غير قتال ثم بعد الهجرة أذن له فيه اذا ابتدأه الكفار به ثم أحل له ابتداءه في غير الاشهر الحرم ثم مطلقا من غير شرط ﴿ فائدة ﴾ قال ابن عباس وغيره لم يقتل نبي من الانبياء الا من لم يؤمر بقتال وكل من أمر بالقتال نصر اه والناس المراد بهم جميع الخلق من بني آدم وقد يطلق الناس على الانسان الواحد كما في قوله تعالى في النساء أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله يعني النبي وحده ويطلق على المؤمنين خاصة كقوله تعالى في آل عمران والذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين يعني لعنة المؤمنين خاصة ويطلق على أهل مكة خاصة كما في قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس يعني أهل مكة ويطلق على بني اسرائيل كقوله تعالى في المائدة أأنت قلت للناس يعني بني اسرائيل ﴿ حتى ﴾ غاية للقتال ويحتمل كونها غاية للامر به ﴿ يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ﴾ وفي رواية وأني رسول الله وفي رواية حتى يقولوا لا اله الا الله وهذا الشرط مشعر بمجموع الجملتين فاستغنى باحداهما عن الاخرى لارتباطهما كما يقال قرأت اليوم ذلك الكتاب والمراد كل السورة وقد استغنت العرب بحرف من الكلمة عن بقيتها في نظمها ونثرها كقول القائل قلت لها قفي فقالت ق أرادت قالت وقفت وقول الآخر جارية قدوعدتني ان تاتي تدهن رأسي وتغلي أوتا أرادت تاتي وتدهن رأسه وتغلي او تمسح وكقول الآخر بالخير خيرات وان شرا فلا أريد الشر الا ان تا أرادت شرا فشر والا ان تشا واذا استغنت بحرف عن بقيتها فاولى ان تستغني باحدى الكلمتين أو الجملتين عن الاخرى اذا كان فيه دلالة على ما لم يذكر ﴿ واعلم انه لا يشترط في صحة الايمان التلفظ بالشهادتين ولا النفي والاثبات بل يكفي أن يقول الله واحد ومحمد رسول الله وانظر هل لا بد في كفاية ذلك من الاتيان بلفظ الله وبلفظ محمد فلو قال الرحمن واحد وأحمد رسوله أو قال لا اله الا الرحمن وأحمد رسوله هل يكفي أم لا وظاهر كلام الآبي في شرح جمع الجوامع والنشيطي الاكتفاء بذلك وظاهر كلام الجمهور أنه لا يشترط الترتيب وذهب القاضي أبو الطيب من الشافعية وابن الطيب الشهير بالباقلاني من المالكية الى اشتراطه قال الكمال ابن أبي شريف ولم يتابعا عليه وعجيء عند التأمل وظاهر ما في الهداية للاخنائي المالكي أنه يشترط الفور قال ابن ناجي هل الافضل مد ألف لا الثانية أو القصر من لا اله الا الله فمنهم من اختار المد ليستشعر التلفظ بها نفي الالوهية عن كل موجود سوى الله تعالى ومنهم من اختار القصر لئلا تختزم الثانية قبل التلفظ بذكر الله تعالى وفرق الفخر بين أن تكون أول كلامه فتقصر والا فتمد اه * فان قلت قضية الحديث قتال

كل من امتنع من التوحيد اذا لذي يذاق من لفظ الناس العموم والاستغراق كما في قوله تعالى يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا فكيف تركه قال مؤدي الجزية * فالجواب من وجوه الاول ان أخذ الجزية وسقوط القتال بها كان معاصرا عن هذا الحديث الثاني ان المراد بما ذكر من الشهادتين وغيرهما التعبير عن اعلاء كلمة الله تعالى واذلال الخالفين فيحصل ذلك بعضهم بالقتل وفي بعضها باداء الجزية الثالث ان المراد بالقتال هو او ما يقوم مقامه كالجزية الرابع ان المراد اضطرارهم الى الاسلام وسبب السبب سبب فكانه قال حتى يسلموا أو يلتزموا ما يؤديهم الى الاسلام وهو اعطاء الجزية فاكتفي بما هو المقصود الاصلي من الخلق فيكون المقاتلة سببا للقول والفعل ونظيره قوله تعالى انزل لكم من الانعام ثمانية ازواج والمنزل من المطر وهو سبب لانبات العشب وهو سبب لتكثير الحيوان فتغلب في الحديث السبب الاول اعني المقاتلة على السبب الثاني اعني اخذ الجزية ﴿فائدة﴾ قال ابن جماعة في حاشية شرح العقائد ﴿لطيفة﴾ قال الرازي في اسرار التنزيل لا اله الا الله محمد رسول الله سبع كلمات واعضاء العبد سبعة وابواب النار سبعة فكل كلمة تغلق عن عضو بابا * قلت ومن المعلوم ان الاعضاء اكثر من سبعة فلا بد ان يحقق كونها سبعة من الحمل على خصوص في الاعضاء * وهل هي الواردة في حديث السجود وهو أمرت ان اسجد على سبعة اعظم الحديث او هي السبعة المتوصل بها الى المقاصد والمفاسد غالبا وهي اليدان والرجلان والعينان واللسان او غير ذلك محل بحث اه من شرح شيخنا على خطبة مختصر الشيخ خليل قلت والظاهر ان المراد بها الاعضاء التي يطلب من الانسان حراستها وهي الوجه والبطن والفرج واليدان والرجلان وقال السمرقندي في كتاب الاربعين ويقال من قال لا اله الا الله هدمت له اربعة آلاف سيئة كل كلمة تكفر الف سيئة وذكر ابن الداكياني ان ملازمة ذكرها عند دخول المنزل تنفي الفقر وقال بعض العلماء اذا قال القائل لا اله الا الله اهتزلها العرش وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم لكل شيء مصقلة ومصقلة القلب الذكر وافضل الذكر لا إله الا الله لجلاء القلب وبياضه وتنويره بالذكر وروي ان من قرأقل هو الله احد في بداية نور الله قلبه وقوى يقينه وجاء في الاثر ان العبد اذا قال لا إله الا الله اعطاه من الثواب بعدد كل كافر وكافرة قيل وبالسبب انه لما قال هذه الكلمة فكانه قد رد عليهم فلا جرم انه يستحق الثواب بعددهم وسئل بعض العلماء عن معنى قوله تعالى وبئر معطلة وقصر مشيد فقال البئر المعطلة قلب الكافر معطل عن قول لا اله الا الله والقصر المشيد قلب المؤمن معمر بشهادة ان لا اله الا الله وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله خرج من فيه طائر أخضر له جناحان ابيضان مكللان بالدر والياقوت يصعد الى السماء فيسمع له دوي تحت العرش كدوي النحل فيقال له اسكن فيقول لا حتى تغفر لصاحبي فيغفر لقائلها ثم يجعل بعد ذلك للطائر سبعون لسانا تستغفر لصاحبه الى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة جاء ذلك الطائر يكون قائده ودليله الى الجنة وعن عبد الواحد

(١٢٤) بين يديه قال له ما اسمك قال سعيد بن جبير قال انت شقي بن كسير قال بل امي كانت أعلم باسمي منك قال شقيت انت وشقيت امك قال الغيب يعلمه غيرك ثم قال له الحجاج لابد انك في الدنيا ناظر قطني قال لو علمت ان ذلك بيدك لاتخذتك إلها قال فما قولك في محمد قال نبي الرحمة قال فما قولك في علي هل هو في الجنة ام في النار قال لو دخلتها وعرفت اهلها عرفت من فيهما قال فما قولك في الخلفاء قال لست عليهم بوكيل قال فايهم أعجب اليك قال أرضاهم لخالقي قال فايهم ارضى للخالق قال علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم قال فما بالك لا تضحك قال أيضحك مخلوق خلق من الطين والطين تاكله النار قال فما بالنا نضحك قال لم تستو القلوب قال ثم امر الحجاج باللؤلؤ والزبرجد والياقوت فوضع بين يدي سعيد فقال له سعيد ان كنت جمعت هذا لتفتدي به من فزع يوم القيامة فصالح والا فقزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت ولا خير في شيء جمع من الدنيا الا ما طاب. وزكا ثم دعا الحجاج بآلات اللهو فبكى سعيد فقال الحجاج ويلك يا سعيد اراك قد بكيت فقال اخترانفسك يا حجاج فوالله لا تقتلني قتلة الا اقتلك الله مثلها في الآخرة قال أفتريد ان اعفو عنك قال ان كان العفو فمن الله واما انت فلا قال اذهبوا به فاقتلوه فلما خرج من الباب ضحك فاخبر الحجاج بذلك فامر برده فقال ما أضحكك قال عجبت من جراءتك

على الله وعلى الله عليك فامر بالنطع فبسط بين يديه وقال اقتلوه فقال سعيد وجهت وجهي الذي فطر السموات والارض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين فقال وجهوه لغير القبلة قال سعيد فاينما تولوا فثم وجه الله فقال كبوه لوجهه فقال سعيد منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى (١٢٨) فقال الحجاج اذبحوه فقال سعيد اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ثم قال اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي فذبح على النطع رحمه الله تعالى ورضي عنه فكانت رأسه يسقط وهو يقول لا اله الا الله وعاش الحجاج بعد قتله خمسة عشر يوما وقتله في سنة خمس وتسعين وكان عمر سعيد تسعا وأربعين سنة اللهم اكفنا ما أهمنا ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا آمين آمين والحمد لله رب العالمين

المجلس الثاني والعشرون في الحديث الثاني والعشرين

الحمد لله الذي عز جلاله فلا تدركه الاوهام وسما كماله فلا تحيط به الافهام وشهدت افئدة أنه الواحد الحكيم العلام واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة من قال ربي الله ثم استقام واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله وقد ارتفع من غبار الشرك فنام فجاهد في الله بحد الحسام فاردى الكفرة اللئام وأرضى الملك العلام صلى الله عليه وعلى آله واصحابه البررة الكرام آمين ﴿ عن ابي عبد الله جابر بن عبد الله الانصاري رضي الله عنه

ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ارايت ان صليت المكتوبات الخمس وصمت رمضان واحللت الحلال وحرمت الحرام ولم ازد على ذلك شيأ أأدخل الجنة قال نعم رواه مسلم ﴿ ومعنى حرمت الحرام اجتنبته ومعنى حللت الحلال فعلته معتقدا حله

* اعلموا اخواني وفقني الله وايا كم لطاعته ان الرجل السائل اسمه النعمان بن قوقل بقافين مفتوحتين بينهما واو ساكنة وآخره

بن زيد انه قال كنت في مركب فطرحتنا الريح على جزيرة فخرجنا الى الجزيرة فرأينا شخصا يعبد صنما فقلنا له لم تعبد هذا الصنم وفيما من يصنع مثله فقال أنتم من تعبدون فقلنا نعبد إلها في السماء عرشه وفي الارض علمه وفي البحر سبيله قال من أعلمكم به قلنا ارسل الينا رسولا قال ما فعل الرسول قلنا قبضه الملك اليه قال فهل ترك عندكم من علامة قلنا نعم كتاب الملك قال هل عندكم منه شيء فحضرنا نقرأ عليه سورة الرحمن فما زال يبكي حتى ختمت ثم قال ما ينبغي أن يعصي صاحب هذا الكلام ثم عرضنا عليه الاسلام فاسلم وحملناه معنا في السفينة فلما جن الليل وصلينا العشاء أخذ ناما فجمعنا النوم فقال لنا هذا الاله الذي دللتمونا عليه ينام قلنا بل هو حي قيوم لا ينام قال بئس العبيد انتم تنامون وهو لا ينام فلما حملنا البر وأردنا الانصراف جمعنا الشيا من الدراهم فقال ما هذا قلنا تستعين به على نفسك فقال دللتمونا على طريق ما أراكم سلكتموها أنا كنت أعبد غيره فلم يضيعني أفيضيعني الآن بعد ما عرفته فلما كان بعد ثلاثة أيام قيل لي انه في النزع فجئته فقلت له هل من حاجة فقال قضى حوائجي الذي أخرجني من الجزيرة وتممت عنده فرأيت جارية في روضة خضراء وهي تقول عجلوا به فقد طال شوقي اليه فاستيقظت وقدمات فدفنته وتممت تلك الليلة فرأيته في المنام وعلى رأسه تاج وبين يديه الحور العين وهو يقرأ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وقال الحسن البصري رأيت مجوسيا يجود بنفسه فقلت له كيف أنت وكيف حالك فقال لي قلب عليل ولا قوة لي وبدن سقيم ولا صحة لي وقبر موحش ولا أنيس لي وطريق بعيد ولا زاد لي وصراط دقيق ولا جواز لي ونار حامية ولا بدن لي وجنة عالية ولا نصيب لي ورب عادل ولا حجة لي قال فاقبلت عليه وقلت له لا تيأس فقال ياشيخ المفتاح بيد الفتاح والقفل ههنا واشار الى صدره وغشي عليه فقلت إلهي وسيدي ان كان سبق لهذا المجوسي حسنة فعجل بها فافاق من غشيته ثم أقبل علي فقال ياشيخ ان النجاح أرسل المفتاح مد يدك فانا أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ومات رحمه الله تعالى وروي محمد بن آدم قال رأيت بمكة اسقفا يطوف بالكعبة فقلت له ما الذي نزعك من دين آبائك قال تبدلت خير امنه فقلت كيف ذلك قال ركبت البحر فلما توسطناه انكسر المركب فلم تزل الامواج تدافعني حتى رمتني في جزيرة من جزائر البحر فيها أشجار كثيرة وثمار أحلى من الشهد وألين من الزبد وفيها نهر عذب فحمدت الله على ذلك وقلت آكل من هذا الثمر وأشرب من هذا النهر حتى يقضي الله بامره فلما ذهب النهار خفت على نفسي من الوحش فطلعت على شجرة ونمت على غصن من اغصانها فلما كان في جوف الليل واذا بدابة على وجه الماء تسبح الله تعالى وتقول لا اله الا الله العزيز الجبار محمد رسول الله النبي المختار أبو بكر الصديق صاحبه في الغار عمر الفاروق فاتح الامصار عثمان القتيل في الدار علي سيف الله على الكفار فعلي مبغضهم لعنة العزيز الجبار وما واه النار وبئس القرار ولم تزل تكرر هذه الكلمات الى الفجر فلما طلع الفجر قالت لا اله الا الله الصادق الوعد والوعيد

لام (قوله أرأيت) من الرأي أي تدبر وتفكر في (إذا صليت الصلوات الخمس) من يوم مضان وأحللت الحلال وحرمت الحرام) أي اجتنبته (ولم أزد على ذلك شيأ) من التطوعات (أأدخل الجنة) أي من غير عذاب وقد صح أن بعض الكبائر تمنع من دخول الجنة من أول التأخير كقطع الرحم والكبر والدين حتى يقضي وصح ان المؤمنين اذا (١٢٩) جازوا على الصراط حبسوا على قنطرة حتى

يقتص منهم مظالم كانت بينهم في الدنيا (قوله قال نعم) أي تدخلها وإن لم تذكر الزكاة والحج لعدم فرضيتها اذ ذاك أو لعلمه أنه لم يخاطب بهما وفي الحديث جواز ترك التطوعات رأسا وان تعالا عليه أهل بلد فلا يقاتلون وان ترتب على تركها فوات ربح عظيم وثواب جسيم وأسقاط للمروءة وورد للشهادة لان مداومة تركها تدل على تهاون في الدين الا أن يقصد بتركها الاستخفاف بها والرغبة عنها فيكفر الاشارات في المكتوبات الخمس الاشارة الاولى الحكمة في ان الصلوات خمسة ان الصلوات وجبت على العبد شكرا لنعمة البدن ونعمة البدن هي الحواس الخمس الذوق والشم والسمع والبصر واللمس ولكل حاسة من هذه الحواس اشياء يعلم منها ما وضعت له فنعمة اللمس اثنان اذا وضعت يدك مثلا على شيء لمسته عرفت ان كان خشنا او ناعما فقابله وكفتان

محمد رسول الله الهادي الرشيد وأبو بكر السديد وعمر بن الخطاب مسور من حديد وعثمان المفضال الشهيد وعلي بن أبي طالب قوالباس الشديد فعلى مبغضهم لعنة الرب المجيد ثم أقبلت الى البرقا وأسهار أس نعامة ووجهها وجه انسان وقرنها قرن ثور وذنبها ذنب عقرب فخشيت على نفسي الهلكة فهربت فنطقت بلسان فصيح فقالت يا عبد الله قف والا تهلك فوقفت فقالت مادينك فقلت دين النصرانية فقالت وبلك ارجع الى دين الحنيفية فقد حلت بغداد قوم من مسلمي الجن لا يتجوهم الا من كان مسلما فقلت وكيف الاسلام قالت تشهد أن لا إله إلا الله وان محمدا رسول الله فقلتها فقالت أنتم اسلامك بالترحم على أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم فقلت من أنا كم بذلك قالت قوم منا حضروا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعوه يقول اذا كان يوم القيامة اتى الجنة منادي بلسان فصيح إلهي قد وعدتني أن تشيد أركاني فيقول الجليل جل جلاله قد شيدت أركانك بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وزينتك بالحسن والحسين ثم قالت الدابة أتريد ان تقدم هنا أم الرجوع الى أهلك فقلت الرجوع الى أهلي فقالت اصبر حتى تمر بك مركب فيها نحن كذلك واذا بمركب أقبلت تجري فأومأت هاهنا فمر الي زورقا فركبت فيه ثم جئت اليوم فوجدت المركب فيها اثنا عشر رجلا كلهم نصارى فقالوا ما الذي جاء بك الى هنا فقصصت عليهم قصتي فتعجبوا من أمري وأسلموا كلهم ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي العلم في الورد الاعظم لابن النحاس عن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل عمودا من نور بين يديه سبحانه وتعالى فاذا قال العبد لا إله إلا الله اهتز العمود فيقول الله تبارك وتعالى للعمود اسكن فيقول العمود اي رب كيف أسكن ولم تغفر لقائلها فيقول الله تبارك وتعالى اسكن أيها العمود فاني قد غفرت له فيسكن العمود عند ذلك وذكر أبو محمد عبد الله اليافعي في كتاب الارشاد عن الشيخ أبي عبد الله القرشي انه قال سمعت في بعض الآثار ان من قال لا إله إلا الله سبعين ألف مرة كانت فداءه من النار فعملت على ذلك زمانا بركة لوعد صادقا لا ادخرتها لنفسي وعملت بها لاهلي وكان اذ ذاك بيت معنا شاب كان يقال انه يكاشف في بعض الاوقات بالجنة والنار وكان في قلبي منه شيء فاتفق انه استدعانا بعض الاخوان الى منزله فنحن نتناول من الطعام والشاب معنا فصاح صيحة منكرة وانجمع في نفسه وهو يقول يا عمي هذه أمي في النار وهو يصيح بصياح عظيم لا يشك من سمعه انه من أمر عظيم فلما رأيت ما به قلت في نفسي اليوم أجربه فقلت في نفسي اللهم اني عملت السبعين الفا وقد اشتريتها أم هذا الشاب من النار فالتقم هذا الخاطر الا وتبسم الشاب وسر وقال يا عمي ها هي أمي قد أخرجت من النار فحصل لي فائدتان صدق الاثر وعلمي بصدق الشاب المذكور ﴿ويقيموا الصلاة﴾ أي يأتوا بها على وجهها المأمور به أو يداوموا عليها كما مر ﴿ويؤتوا الزكاة﴾ اي الى مستحقيها أو الى الامام ليدفعها لهم ولم يذكر الصوم والحج لكونهما لم يفرضا أو لكونهما لم يقاتل على تركها ﴿فاذا﴾ عبر بها مع أنها المحقق دون ان التي للمشكوك فيه مع ان فعلهم قد يكون وقد لا يكون

وهي صلاة الصبح وأما الثانية من الخمسة وهي الشم فانت تشم الرائحة من الجوانب الاربع فقابلها أربع ركعات وهي صلاة الظهر والثالثة من الحواس السمع فتسمع بها من الجوانب الاربع فقابلها الربع ركعات وهي صلاة العصر الرابعة البصر فاذا وقفت متلا في مكان ترى عن يمينك ويسارك وأمامك ولا ترى من خلفك فهذه ثلاثة فقابل ذلك ثلاث ركعات وهي المغرب الخامسة الذوق فتعرف به الحرارة والبرودة والحلو والحامض وهي أربعة فيقابلها أربع ركعات وهي العشاء

* الاشارة الثانية القبلة خمس العرش قبلة الملائكة والكرسي قبلة الكروبيين والبيت المعمور قبلة السفرة والكعبة قبلة المؤمنين فايما تولوا فثم وجه الله قبلة للمختلفين فالعرش خلقه الله من نور والكرسي من در والبيت المعمور من عقيق وقيل من ياقوت والكعبة من خمسة أجبل والحكمة في ذلك انك اذا صليت هذه الصلوات الخمس وكانت ذنوبك مثل هذه الجبال غفرت لك ولا يبالى

* الاشارة الثالثة في شرح المسند الرافعي رحمه الله ان الصبح كانت لآدم والظهر كانت لداود والعصر كانت لسليمان والمغرب كانت ليعقوب والعشاء كانت ليونس عليهم الصلاة والسلام فخص الله تعالى هذه الصلوات لمحمد وامته تعظيما له ولامته

* الاشارة الرابعة قال بعض اهل المعاني أجناس الصلوات الخمس ثلاثي ورباعي وثنائي والحكمة فيه ان الله تعالى خلق جميع الملائكة على ثلاثة أجناس فمنهم ذو جناحين ومنهم ذو ثلاثة ومنهم ذو أربعة كما قال تعالى جاعل الملائكة رسلا اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع فامر الله تعالى بصلوات هذه الخمس ليعطي المصلي ثواب تسبيح الملائكة كلهم بفضله ورحمته

* الاشارة الخامسة قال بعض اهل المعاني أيضا الحكمة في هذه الصلوات الخمس في الاوقات الخمس ان الله سبحانه وتعالى فعل افعالا لا يقدر على فعلها الا هو منها انه يذهب ظلمة الليل ويجيء بضوء النهار عند طلوع الفجر فوجب على عبده أن يصلي الفجر ومنها ارتفاع الشمس عند الاستواء ولا يقدر على ذلك الا هو فوجب على عباده صلاة الظهر ومنها انخفاضها بدخول وقت العصر ولا يقدر على ذلك الا هو فوجبت صلاة العصر ومنها غروب الشمس بدخول وقت المغرب فوجبت صلاة المغرب ومنها ذهاب النهار بفنائه واتيان الليل بظلماته فوجب على عباده صلاة العشاء فهذه خمسة افعال لا يقدر عليها الا هو فامر عباده أن يصلوا فيها

لانه علم أمانة بعضهم فغلبهم لشرفهم او تقاولا بوقوع الفعل منهم فاشبه الدعاء بالماضي نحو غفر الله لك ﴿فعلوا ذلك﴾ كلما أي أتوا به قولا كان وهو الشهادتان أو فعلا وقولا وهو الصلاة او فعلا محضا وهو الزكاة فان قلت المشار اليه بعضه قول فكيف أطلق الفعل عليه فالجواب اما باعتبار انه فعل اللسان وإما على سبيل التغليب الآتي بين على الواحد ﴿عصموا﴾ حفظوا ومنعوا من العصمة وهي لغة المنع والعصام الخيط الذي يشد به فم القربة ليمنع سيلان الماء واصطلاحا ملكة نفسانية تمنع من الفجور والمخالفة وقيل صفة توجب امتناع عصيان موصوفها والمراد بها هذا المعنى اللغوي ﴿مني دماءهم وأموالهم﴾ فلا يحل سفك دمائهم ولا أخذ اموالهم والمراد بالدماء الانفس ففيه التعبير بالبعض عن الكل فان قيل لم يكتف بذكر الشهادتين عن قوله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فالجواب انه ذكرها لتعظيمهما والاهتمام بشانهما دون غيرها ﴿الا بحق الاسلام﴾ فلا يعصم حينئذ دمهم ولا اموالهم وفسر هذا الحق في حديث بانه زنا بعد احصان او كفر بعد ايمان او قتل النفس التي حرم الله تعالى وقضيته ان الزاني والقاتل تباح أموالهما وليس مرادا فكانه غلب الكافر عليهما ثم احكم عليهم بعصمة الدماء والاموال انما هو باعتبار الظاهر ﴿و﴾ أما باعتبار الباطن فامرهم ليس الى الخلق بل ﴿حسابهم على الله﴾ فيما يسرونه من كفر ومعصية وفي حديث أبي سعيد الخدري ما أمرت ان اشق عن قلوب الناس ولا بطونهم وعلى بمعنى اللام او بمعنى الى فافهمه لفظ العلاوة من الوجوب غير مراد اذ لا يجب على الله شيء هذا ما عليه أهل السنة وأما عند المعتزلة فهو ظاهر لان الحساب عندهم واجب عقلا ﴿تتمة﴾ قال الامام الرازي في كلامه على هذا الحديث قد جعل الله تعالى العذاب عذابين أحدهما السيف من يد المسلمين والثاني عذاب الآخرة والسيف في غلاف يرى والنار في غلاف لا ترى فقال لرسوله من أخرج لسانه من الغلاف المرئي وهو الفم فقال لا اله الا الله محمد رسول الله ادخلنا السيف في الغمد الذي يرى ومن اخرج القلب من الغلاف الذي لا يرى وهو الشرك ادخلنا سيف عذاب الآخرة في غمد الرحمة ﴿رواه البخاري ومسلم﴾ في كتاب الايمان الا ان مسلما لم يذكر في حديثه عن ابن عمر الا بحق الاسلام لكنه قال في رواية له عن ابي هريرة الا بحقها وفي رواية أخرى الا بحقه فنسبه المؤلف الى تخريجه بالنظر الى مجموع رواياته وذلك يقع للمحدثين كثيرا ولا ينكره الا من لم يمارس فنهم وبذلك زال العجب وبطل الشغب الذي طول به الشارح الهيتمي على المؤلف

الحديث التاسع

﴿عن أبي هريرة﴾ أخرج الترمذي بسند حسن عن عبد الله بن ابي رافع قال قلت لابي هريرة لم كنيت بابي هريرة قال كنت أرعى غنم أهلي وكانت لي هرة صغيرة فكنت اجعلها بالليل في شجرة واذا كان بالنهار ذهبت بها معي فكنيت بها فكنوني أبا هريرة وروى ابن عبد البر عن أبي هريرة انه قال كنت أحمل يوما هرة في كمي فرآني النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه فقلت هرة فقال يا أبا هريرة

خمس صلوات ولا يستحقها الا حر * الاشارة السادسة عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في ملأ من المهاجرين اذ اقبل عليه نفر من اليهود فقالوا يا محمد جئنا نسألك عن أشياء لا يعلمها الا نبي مرسل او رجل او رجلان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوا فقالوا يا محمد اخبرنا عن هذه الصلوات التي افترضها الله على أمتك في الليل (١٢٦) والنهار وخمس صلوات في خمس

هريرة في صحيح البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا أبا هريرة وكان يكني قبل ذلك أبا الأسود فتحصل انه كني بها لانه كان يصحبها اما صغيرا يلعب بها او كبيرا يحسن اليها لا انه الذي سمته به امه وان امرأة عذبت في هرة فلعله اختير هذا الاسم لها لمناسبة الاسم الذي سمته به (عبد الرحمن) وقال ابن اسحق عن بعض أصحابه عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال كان اسمي في الجاهلية عبد شمس فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن (ابن صخر) الدوسي قدم المدينة في سنة سبع ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فسار الى خيبر حتى قدم مع النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وعن قيس عنه انه قال لما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلت في الطريق

ياليلة من طولها وعنائها * على انها من دارة الكفر نجت

قال فرأيت مني غلاما لي في الطريق فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته فبينما أنا عنده اذ طلع الغلام فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة هذا غلامك فقلت هو حر لوجه الله تعالى فاعتقته وعن سلم بن حيان قال سمعت أبي يقول سمعت أبا هريرة يقول نشأت يتيما وهاجرت مسكينا وكنت أجير البسرة بنت غزوان بطعام بطني وعقبة رجلي وكنت اخدم اذا نزلوا وأحدو اذا ركبوا فزوجنيها الله والحمد لله الذي جعل الدين قواما وأبا هريرة اماما وعن ابن كثير قال حدثني أبو هريرة قال ما خلق الله مؤمنا يسمع بي ولا يراني الا أحبني قلت وما علمك بهذا يا أبا هريرة قال ان أمي كانت مشركة وانى كنت ادعوها الى الاسلام وكانت تابى علي فدعوتها يوما فاسمعتني في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكره فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابكي قلت يا رسول الله أني كنت أدعو أمي الى الاسلام وكانت تابى علي وانى دعوتها اليوم فاسمعتني فيك ما أكره فادع الله ان يهدي ام ابي هريرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اهد أم أبي هريرة فخرجت اعدو فلا بشرها بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أتيت الباب اذ هو مجاف وسمعت خضخضة الماء وسمعت خشخشة رجل فقالت يا أبا هريرة كما أنت ثم فتحت الباب وقد لبست درعها وعجلت عن خمارها فقالت اني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى من الفرح كما بكيت من الحزن فقلت يا رسول الله ابشر فقد استجاب الله دعاءك وقد هدى ام ابي هريرة وقلت يا رسول الله ادع الله ان يحببني وأمي الى عباده المؤمنين ويحببهم الينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب عبيدك هؤلاء الى عبادك المؤمنين فما خلق الله من مؤمن يسمع بي ولا يراني الا وهو يحبني وعن الاعرج انه قال قال ابو هريرة انكم تقولون ما بال المهاجرين لا يحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الاحاديث وما بال الانصار لا يحدثون بهذه الاحاديث وان اخواني من المهاجرين كانت شغلتهم صفقتهم في الاسواق وان اخواني من الانصار كانت شغلتهم اراضيهم والقيام عليها وانى كنت امرأ مسكينا وكنت اكثر من مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحضر اذا غابوا وأحفظ اذا نسوا وان

مواقيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما الظهر فان لله تعالى في سمائه ملائكة تزول بها الشمس فاذا زالت الشمس سبح كل ملك فامر الله تعالى بالصلاة في ذلك الوقت الذي تفتح فيه أبواب السماء فلا تغلق حتى يصلى الظهر ويستجاب فيه الدعاء واما العصر فهي الساعة التي وسوس فيها الشيطان لآدم حتى اكل من الشجرة فامرني الله تعالى وامتي بالصلاة في تلك الساعة واما المغرب فانها الساعة التي تاب الله تعالى فيها على آدم حين تلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه فامر الله امتي بالصلاة في تلك الساعة توبة لما اذنبوا واما العشاء فانها صلاة المرسلين قبلي واما الصبح فان الشمس اذا طلعت تطلع بين قرني الشيطان فيسجد لها كل كافر من دون الله عز وجل فامرني الله تعالى وامتي بركعتين قبل ان يسجد الكافر لغير الله تعالى فقال صدقت يا محمد نحن نشهد ان لا إله الا الله وان محمدا عبده ورسوله * الاشارة السابعة قال ابن الملقن ما احسن قول بعض الصالحين اذا قمت الى الصلاة فاعلم ان الله تعالى مقبل عليك فاقبل على من هو مقبل عليك وقريب منك وناظر اليك فاذا ركعت فلا تؤمل ان ترفع واذا رفعت فلا تؤمل ان تضع ومثل الجنة عن يمينك والنار عن يسارك والصراط تحت قدميك فحياؤك تكون مصليا * الاشارة الثامنة قيل اذا وضع الميت في قبره جاءته اربع نيران فتجيء الصلاة

فكأنما جمع واحصى واذا ركع فكأنما تصدق بوزنه ذهبا واذا قال سبحان ربي العظيم فكأنما قرأ كل كتاب نزل من السماء واذا قال سمع الله لمن حمده نظر الله اليه بالرحمة واذا سجد أعطاه الله تعالى بعدد الانس والجن حسنات واذا قال سبحان ربي الاعلى فكأنما أعتق بكل سورة وآية رقبة واذا تشهد اعطاه الله ثواب الصابرين واذا سلم فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شاء وقال بكر بن عبد الله من مثلك يا ابن آدم اذا شئت ان تدخل على مولاك بغير اذن دخلت قيل له كيف ذلك قال تسبيح وضوء له وتدخل محرابك وقال ابن عجلان ورع أهل زماننا بينا الآدمي منهم في الصلاة يذكر الله والدار الآخرة واذا هو يرغوث او قملة نسي الله تعالى والدار الآخرة واقبل يحك ما اصابه من جسده فقد روى عن مسلم بن يسار كان ذات يوم في صلاة فوقعت ناحية من المسجد فقزع اهل المسجد منها فما شعروا الا التفت وقيل كان الحسن اذا توضأ تغير لونه وعن وارتعدت فرائصه فقيل له في ذلك فقال حق لمن وقف بين يدي الله تعالى ان يصفر لونه وترتعد فرائصه وكان علي بن ابي طالب كرم الله وجهه اذا حضر وقت الصلاة تغير لونه فقيل له ما لك يا امير المؤمنين فقال قد جاء وقت امانة عرضها الله على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان فلا ادري هل احسن ان أؤدي ما حملت ام لا وانشد مكحول

عن عبد الله بن عمر * قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان العبد اذا قام الى الصلاة قيل الله اكبر خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه واذا قال أعوذ بالله

النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا ابو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم بسط ثوبك فبسطته ثم حدثني حتى أفرغ من حديثي ثم قبضته فما نسيت شيئا سمعته مني أبدا فبسطت ثوبي او قال ردائي ثم حدثنا فقبضته الى صدري فما نسيت شيئا سمعته منه والله لولا آيتين في كتاب الله عز وجل ما حدثتكم بشيء أبدا ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب الآية كلها وهو جائعان ابو هريرة كان يقول والله اني كنت لاعتمد بكبدي على الارض من الجوع واني كنت لاشد الحجر على بطني من الجوع ولقد قعدت يوما على طريقهم الذي يخرجون منه فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سأله الا ليستتبعني فلم يفعل ثم عمر فسألته عن آية من كتاب الله ما سأله الا ليستتبعني فلم يفعل فمر أبو القاسم محمد صلى الله عليه وسلم فعرف ما في وجهي وما في نفسي فقال أبا هر فقلت لبيك يا رسول الله قال الحقني فتبعته فدخل واستأذنت فاذن لي فوجد لبنا في قدح فقال من أين لكم هذا اللبن فقالوا أهداه لنا فلان أو آل فلان قال أبا هر قلت لبيك يا رسول الله قال انطلق الى أهل الصفة فادعهم قال وأهل الصفة أضياف الاسلام لا يأوون الى أهل ولا مال فاذا جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية أصاب منها وبعث اليهم واذا جاءت الصدقة أرسل بها اليهم ولم يصب قال فاحزنني ذلك وكنت أرجو ان أصيب من اللبن شربة أقوى بها بقية يومي وليلتي * فقلت أنا الرسول فاذا جاء القوم كنت انا الذي أعطيهم فلم يبق لي من هذا اللبن ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد فانطلقت فدعوتهم فاقبلوا فاستأذنوا فاذن لهم فاخذوا مجالسهم من البيت ثم قال أبا هر خذ فاعطهم فاخذت القدح فجعلت أعطيهم فيأخذ الرجل القدح فيشرب حتى يروى ثم يرد القدح فاعطيه الآخر فيشرب حتى يروى ثم يرد القدح حتى أتيت على آخرهم ورفعته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ القدح ووضعه في يده وقعد يق فيه فضحك ثم رفع رأسه فنظر الي وتبسم فقال أبا هر فقلت لبيك يا رسول الله قال فاقعد فاشرب فقعدت فشربت ثم قال لي اشرب فشربت ثم قال لي اشرب فشربت فما زال يقول اشرب وأشرب حتى قلت والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكا قال فارني القدح فرددت اليه القدح فشربت فضلة * وعن عبد الرحمن بن عبيد عن أبي هريرة قال اني كنت لاتبع الرجل أسأله عن الآية من كتاب الله تعالى وأنا أعلم بما سأله ومن عشرتهم ما أتبعه الا ليطعمني القبضة من التمر أو السفة من السويق أو الدقيق أسد بها جوعتي فاقبلت أمشي مع عمر بن الخطاب ذات ليلة أحدثه حتى ألم بابه فاسند ظهره الى الباب واستقبلني بوجهه وكلما فرغت من حديث حدثه بآخر حتى اذا لم أر شيأ انطلقت فلما كان بعد ذلك التفت فقال يا أبا هر انا انا لو كان في البيت شيء لاطعمناك * وعن ثابت بن ابي رافع ان أبا هريرة قال ما أحد من الناس يهدي الي هدية الا قبلتها فاما السؤال فلم أكن لأسأل * وعن خالد بن عكرمة ان أبا هريرة كان يسبح كل يوم اثني عشرة الف تسبيحة ويقول أسبح بقدر ذنبي * وعن نعيم بن المحرر عن ابي هريرة انه كان له خيط فيه الف عقدة فلا ينام حتى يسبح به

ألا إن الصلاة الخير والفضل أجمع * لان بها الارقاب الله تخضع وأول فرض كان من فرض ديننا * وآخر ما يبقى إذا الدين يرفع
من قام التكبير لا قته رحمة * وكان كعبد باب مولاه يقرع وصار لرب العرش حين صلاته * قريبا فيا طوبى لمن كان يخشع
وتقدمت هذه الابيات أيضا في المجلس الثالث وذكر ان التحيات اسم طير في (١٣٤) الجنة على شجرة يقال لها الطيبات يجاء

* وعن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال لاندري أيتنا أسرع بين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين حجرة عائشة فيقول الناس انه مجنون وما بي جنون وما بي الا الجوع وعن أبي الدرداء كل ان أبا هريرة كانت له زنجية فرفع عليها السوط يوما فقال لولا القصاص لاغشيتك به ولكن سأبيعك من يوفيني ثمنك اذهبي فانت حرة لوجه الله عز وجل * وعن ابن عباس فروخ الحريري قال سمعت أبا عثمان النهدي يقول نضيفت أبا هريرة ثمان ليال وامرأته وخادمه يتعقبون الليل أثلاثا يصلي هذا ثم يوقظ هذا فيصلي ثم هذا يوقظ هذا فيصلي وأخرج البيهقي وغيره عن أبي هريرة قال أصبت ثلاثة مما أتاب في الاسلام موت النبي صلى الله عليه وسلم وقتل عثمان والمزود قالوا وما المزود قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فقال معك شيء فقلت تمر في مزود قال جيء به فاخرجت منه تمرا وفي رواية عشرين تمرة فسمى الله ودعا وجعل يضع كل تمرة ويسمي حتى أتى الى آخرهن ثم قال ادع عشرة فدعوتهم حتى أكل الجيش كله وبقي في المزود فقال اذا أردت ان تأخذ منه شيأ فخذ ولا تكبه فاكلت منه حياة أبي بكر وعمر وعثمان فلما قتل انتهب بيتي وانتهب المزود الآخر كم أكلت منه أكلة أكثر من مائتي وسق وعن ثعلبة بن أبي مالك القرظي ان أبا هريرة اقبل في السوق يحمل حزمة من الحطب وهو يومئذ خليفة لمروان قال أو سعوا الطريق للامير قال ابن أبي مالك قلت اصلحك الله تكفي هذا فقال أوسع الطريق للامير والحزمة عليه قال البخاري روى عنه أكثر من ثمانمائة بين صحابي وتابعي استعمله عمر على البحرين ثم عزله ثم رادوه على العمل فابى ولم يزل يسكن المدينة حتى توفي ويقال توفي بالعقيق ومنه حمل وقيل ثمان وقيل تسع وخمسين في آخر خلافة معاوية وله ثمان وسبعون سنة روى عنه خمسة آلاف وثلاثمائة حديث وأربعة وسبعون حديثا اتفقا منها على ثلثمائة وخمسة وعشرين وانفرد البخاري بثلاثة وأربعين ومسلم بمائة وسبعين ﴿قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما نهيتكم﴾ هذا الخطاب ونحوه يختص لغة بالموجودين عند وروده فلا يتناول من حدث بعدهم الا بدليل وهو اما مساواتهم في الحكم الشرعي لا نفاء اختصاصه بمكلف دون مكلف وإما الاجماع ﴿عنه فاجتنبوه﴾ كله حتى يوجد ما يبيحه كاكل الميتة عند الضرورة وشرب الخمر عند الاكراه ولساغة الغصة لان المكلف ليس منهيا في الحال على الصحيح وأما في التداوي فغير جائز ولو ظلا لحديث ان الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها ومثل ذلك شربه للعطش اذ لا ينقطع به العطش وقوله فاجتنبوه حمل في الحرام وندبا في المكروه قال العلماء كما اني لا يتصور امتثال اجتناب المنهي عنه حتى يترك جميعه فلو اجتنب بعضه لم يعد ممتثلا بخلاف الامر يعني المطلق فان من أتى باقل ما يصدق عليه الاسم كان ممتثلا ﴿وما امرتكم به فاتوا﴾ وفي رواية فافعلوا ﴿منه ما استطعتم﴾ أي ما أطقتم وجوبا في الواجب وندبا في المندوب كالصلاة قائما مستندا فيما عدا المضطر فمستلقيا فموميا ولو عجز عن صاع الفطر أتى بما قدر عليه وأما من قدر على صيام بعض النهار فلا يفعل لان صوم بعض اليوم ليس بقربة واذا

ثم يقال للصلوات اذا قال العبد التحيات لله الصلوات الطيبات نزل ذلك الطير عن تلك الشجرة واقعد في ذلك النور طالع وانفرد ربه عن جانب ذلك النور فكل قطرة وقعت منه خلق الله تعالى منها ملكا يستغفر للمصلي الى يوم القيامة ويقال رفع اليدين في الصلاة اشارة الى رفع الحجب بين العبد وبين الله عز وجل وقال ابن عطاء الله في لطائف المنن اذا صلى المؤمن صلاة وتقبلها الله منه خلق الله من صلاته صورة في الملكوت تركع وتسجد الى يوم القيامة ويكون ثواب ذلك لمن صلى ويروى ان الله تعالى خلق ملكا تحت العرش لأربعة أوجه بين الوجه والوجه مسيرة الف عام الاول ينظر به الى الجنة ويقول طوبى لمن دخلك والثاني ينظر به الى النار ويقول ويل لمن دخلك والثالث ينظر به الى العرش ويقول سبحان الله ما أعظمك والرابع يخر به ساجدا ويقول سبحان ربي الاعلى وله خمس حركات في اليوم والليلة عند أوقات الصلوات فيقال له اسكن فيقول كيف اسكن وقد جاء وقت فريضتك على أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيقال اسكن فقد غفرت لمن توضأ وصلى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿نكثة﴾ لو استأجر رجل دابة لحمل مائة رطل مثلا فجاء آخر ووضع عليها زيادة فانضمان عليه كذلك يقول الله تعالى يوم القيامة يا محمد انا وضعت على عبادي الفرائض وانت وضعت النوافل فانضمان علي وعليك فمن شفاعة ومن

عجز عن بعض الطاعة أو قدر على غسل أو مسح بعض الأعضاء في الوضوء أتى بالممكن وصحت عبادته وهذا ظاهر من القرآن ـ قال الله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وعلقوا الصحة على تقاته ـ فقال قتادة والسدي ما يتقى بذل في وسع بل أنس أنها منسوخة بالأولى فالأصح بل الصواب وبه يجزم المحققون أنها ليست منسوخة بل قوله تعالى ما استطعتم مفسرة ظاهرة بينة للمراد منها قالوا وحق تقاته هو امتثال أوامره واجتناب نواهيه ولهذا قيد بما استطعتم بخلاف قوله تعالى ـ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ـ وقال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج وقال بعضهم أن المبالغة في التقوى تكون بأمرين أحدهما استعمال الفتوى في الوقائع والأمر الآخر استيفاء جميع الطاعات وحفظ جميع الحدود والحرمات فتعرضت آية آل عمران للمبالغة في استغراق العمر كله في الوقاية بالتقوى ويدل على ذلك قوله تعالى ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون وتعرضت آية التغابن إلى الأمر الآخر فإن قلت الاستطاعة معتبرة في النهي أيضا لأن الله تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها فلم قيد الأمر دون النهي قلت الفرق أن المأمور به متى فعل على خلاف المنهي عنه فإنه كف عن فعل فإذا قال في الأول فاجتنبوه أو قال في الثاني فاتوا منه ما استطعتم فترك المنهي عنه عبارة عن استصحاب حال عدمه أو الاستمرار على عدمه فكل مكلف قادر على الترك ولا داعية للشهوة فلا يتصور عدم الاستطاعة في الكف بخلاف فعل المأمور به فإنه عبارة عن إخراجه من العدم إلى الوجود وذلك يتوقف على شروط وأسباب فلذلك قيد بالاستطاعة دون النهي ونزع بأن القدرة على استصحاب عدم الشيء عند قوم بخلاف ما استدل له بجواز أكل الميتة للمضطر للميتة وشرب الخمر المكره الخ ورد بأنه لا نهي حينئذ وإنما قدم في الحديث النهي على المأمور به لأن الأول أشد من الثاني لأنه لم يرخص في شيء والأمر مقيد بالاستطاعة ولذا قال بعضهم احتمال البر يعمها البار والفاجر والعاصي لا يتركها الصديق ومن ثم تسمح في ترك الواجب كالقيام في الصلاة لحصول المشقة ولم يسامح في الاقدام على بعض المنهيات إلا بالاضطرار كأكل الميتة وإساغة اللقمة بالخمر أولان المقام مقام نهي الأقرع بن حابس عن مسألته كما يأتي ﴿إنما أهلك الذين من قبلكم﴾ من الأمم الأنبياء ﴿كثرة مسائلهم﴾ من غير ضرورة عما لا يعنيهم مما اقترحوه كقولهم لعيسى هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ولموسى فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض ارنا الله جهرة اجعل لنا إلها كما لهم آلهة أدع لنا ربك لنا ربك بين لنا ما هي ﴿فإن بني إسرائيل لما أمروا بذبح بقرة تعنتوا ولم يبادروا إلى مقتضى اللفظ من ذبح أي بقرة كانت بل شددوا على أنفسهم بكثرة السؤال عن حال البقرة وصفتها فشدد الله عليهم بزيادة الأوصاف حتى لم يجدوا متصفا بها إلا بقرة واحدة فاشتروها وما كادوا يفعلون وقال السدي اشتروها بوزنها عشر مرات ذهبا وكانت تحته حكمة عظيمة وذلك أنه كان في بني إسرائيل رجل صالح وكان له ابن طفل وكان له عجلة فأتى بها الغيضة وقال اللهم إني استودعتكها لابني حتى يكبر وكان بارا بوالديه حتى بلغ من بره أن رجلا أتاه بسلوكة بخمسين دينارا وكان فيها فضل فاشتراها

جماعة أنكروا هذه الأحاديث الواردة في الصلوات والفضائل من حيث

منه

ما فيها من كثرة الثواب والأجور العظيمة وقالوا إن ذلك كثير على عمل قليل ولعمري هؤلاء من أي وجه أنكروها أقصرت قدرة الله عنها أم ضاقت رحمته الواسعة عنها فإذا كانت قدرته شاملة لكل مقدور ورحمته أوسع من حدائق البحور والطاعات أمارات الأجور فمن الجائز وبعد درجات ومثوبات عالية على قليل من الخيرات فتعلم قدرته وعظمته وكرمه كيف وفي صحاح الأخبار وحسانها ما لا يعد ولا

يقول الله تعالى وسعت كل شيء وفي الحديث الآخر يقول الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة ثم لا يزال يتفضل عليه حتى يقول أنا أعطيتك فوق ما تسأل أو نحو هذا فمن يعرف قدر هذا الأجر العظيم الذي يعطيه الله تعالى وفي الحديث الآخر إن أدنى أهل الجنة منزلا الذي له

منه وقال يا أبي ناثم ومفتاح الصندوق تحت رأسه فامهلني حتى يستيقظ فان أبا يقظ أبا لك بأعلى الثمن فقال لها كنت لأفعل ولكن أنزل بك عشرة وانظرني حتى يتنبه فقال لها لك بالنصف منك عشرة آلاف ان ايقظت ابك وعجلت النقد فقال وأنا أزيدك عشرين ألفا ان انتظرت انتباهه فابى ولم يوقظ الرجل أباه ومات الاب بعد ذلك وكانت العجلة في البيضة حتى عادت عوانا وكانت من أحسن البقر واسمنه حتى كانت تسمى فلذة كبد لسمنها وحسن لحمها وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن كان يقسم الليل ثلاثة أقسام يصلي ثلثا وينام الثاني ويجلس عند رأس امه الثلث فاذا أصبح انطلق واحتطب على ظهره فأتى به السوق فباع بما يشاء الله تعالى ثم تصدق بثلثه ويأكل هو وامه ثلثه فقالت له امه يوما ان أباك يرتاد لنا مرتادا يستدعينا الذي فيضة كذا فانطلق فادع إلهك ابراهيم واسمعيل واسحق ان يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت اليها يخيل لك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها فاتي التيضة فنظر اليها فعرفها بعلامتها وقال اعزم عليك بالله ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب فاقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها يقودها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت أيها الفتى البار بوالدته اتركني فان ذلك أهون عليك فقال الفتى ان امي لم تأمرني بذلك ولكن قالت احتطب بعشوا فقالت البقرة بالله يا بني اسرائيل لو تركتني ما كنت تقدر على فانطلق فانك لو أمرت الجبل ان يتطير من اصله ويتطلق معك لفعل ارك بوالدتك فسار الفتى بها فاستقبله عدو الله ابليس في صورة راع فقال ايها الفتى اني رجل راع مررت برعاة البقر اشتقت الى أهلي فاخذت ثورا من ثيراتي فحملت عليه زادي ومتاعي حتى اذا بلغت شطر الطريق ذهبت لاقضي حاجتي فعدا وصعد الجبل فما قدرت عليه واني اخشى على نفسي الهلكة فان رأيت ان تحملني على بقرتك وتجيبني من الموت واعطيك اجرها بقرتين مثل بقرتك فلم يفعل الفتى وقال اذهب وتوكل على الله فلم يعلم الله منك الصدق لينفذ الارادة لا راحلة فقال يا ابليس ان شئت بعتها بعشرة دنانير وان شئت فاحملني عليها وانا اعطيك عشرة مثلها فاتى الفتى ان امي لم تأمرني بذلك فبينما هم كذلك اذ طار طائر بين يدي الفتى ونفرت البقرة هاربة في الفلاة فرجع الراعي فعد الفتى إلى ابراهيم فرجعت اليه وقالت ايها الفتى البار بوالدته ألم تر الى الطائر الذي طار انما ابليس عدو الله استطعمني اما انه لو تركني ما قدرت على ابدا فلما دعوت الله ابراهيم جاءه ملك فانتزعني من يده ورد في اليك لبرك بامك فجاء بها الى امه فقالت له انك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبعها وخذ ثمنها فقال بكم ابيعها قالت بثلاثة دنانير ولا تبع بغير رضاي ومشورتي وكان ثمنها ثلاثة دنانير فانطلق بها الى السوق فبعث الله اليه ملكا فقال له بكم تبيع هذه البقرة قال بثلاثة دنانير واشترط عليه رضا والدتي فقال له الملك لك ستة دنانير ولا تشاور والدتك فقال الفتى لو اعطيتني وزنها ذهبا لم آخذه الا برضا أمي فردها الى أمه واخبرها بذلك فقالت ارجع فبعها بستة دنانير على رضا مني فانطلق بها الى السوق فاتي الملك فقال استأمرت امك فقال الفتى انها امرتني ان لا انقصها عن ستة

وتصويره من مرور ونبيه مسيرة الف عام وان اكرمهم على الله من ينظر الى وجه الله تعالى كل يوم مرتين بكرة وعشيا ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فيا عباد الله لا تسخطوا قدرة الله فقدرته اعظم من ذلك لا احرمنا الله تعالى من ذلك آمين والحمد لله رب العالمين في المجلس الثالث والعشرين في الحديث الثالث والعشرين الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت الدائم ومكتوب الماء منسوب الى البرية كيفما تقلبت التقادير على تنفيذ مراده فيها رضيت بذلك ام غضبت واشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة حملت في القلوب وعلى الالسنة سطرت واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي ثبتت سيادته قبل ايجاد البشر وجبت صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه ما طلعت شمس وغربت

آمين (عن ابي مالك الحرث بن عاصم الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطهور شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن او تملأ ما بين السماء والارض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك او عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها او موبقها اخرجه مسلم) اعلموا اخواني وفقني الله وإياكم لطاعته ان هذا الحديث اشتمل على مهمات قواعد الدين ويتفرع منه المجالس (قوله صلى الله عليه وسلم الطهور شطر

الايمان) أي نصف الايمان الكامل المركب من تصديق القلب واقرار اللسان وعمل الاركان وهو وان كثرت خصاله لكنها منحصرة فيما ينبغي التنزه والتطهر عنه وهو كل منهي عنه وما ينبغي التنزيه به وهو كل مأمور به فهو شطران والطهارة بالمعنى اللغوي شاملة لجميع الشطر الاول (والحمد لله تملأ) (١٣٠) ملأ جه وابن حبان اسباغ الوضوء شطر الايمان وروى الترمذي الوضوء شطر الايمان ومعناه انه نصف السبب لان الكمال الشطر والتطهر في الحديث بالجمع للمبالغة كضروب الابلغ من ضارب او اسم آلة لما يتطهر به كمسحور وبالضم الفعل وهو المراد هنا قال الائمة رضي الله عنهم الطهارة تنقسم الى واجب كالطهارة من حدث ومستحب كتجديد الوضوء والاغتسال المسنون ومنهم الواجب ينقسم الى بدني وقلبي فالقلبي كالحسد والعجب والرياء والكبر قال الغزالي معرفة حدودها وأسبابها وطبها وعلاجها فرض عين يجب تعلمه والبدني اما بالماء او التراب او بهما كما في ولوغ الكلب أو بقيرها كالخمر في الدباغ او بنفسه كانقلاب الخمر خلا وكل ذلك مقرر في كتب الفقه ﴿ فوائد في الوضوء ﴾ ذكر ان الملائكة لما قالت أتجعل فيها من يفسد فيها عضب الله عليهم فاعلك بعضها وتاب على بعض منهم منكر ونكير وأمرهم بالوضوء من عين تحت العرش فصلى بهم جبريل ركعتين فهذا اصل الوضوء وصلاة

كثرة

الجماعة وقال عثمان رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يسبغ عبد الوضوء الا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر رواه البزار باسناد حسن * وقال النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم يمضمض فاه الا غفر الله له كل خطيئة أصابها بلسانه ذلك اليوم ولا يغسل يديه الا غفر له ما قدمت يداه ذلك اليوم ولا يمسح برأسه الا كان كيوم ولدته امه رواه الطبراني وقال صلى

هذا نذير على ان استمرارها فقال الملك ان أعطيك اثني عشر دينارا ولا استمرارها فابى فذهب ورجع الى امه فاخبرها بذلك فقالت ان الذي يأتيك ذلك في صورة بني آدم ليختبرك فاذا أتاك فقل له أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا فعل فقال الملك اذهب الى اهلك فقل لها امسكي هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل من بني اسرائيل بملء جلدها ذهبا فامسكوها حتى وجد في بني اسرائيل قتيل اسمه عاميل لم يدروا من قتله * وكان سبب قتله كما قال عطاء والسدي انه كان كثير المال ولما ابن عم مسكين لا وارث له غيره فلما طال عليه موته قتله ليرثه وقال بعضهم كانت تحت عاميل بنت عم له تضرب بها المثل في بني اسرائيل في الحسن والجمال فقتل ابن عمها ليتزوجها فانزله وقال بعضهم قتله ابن اخيه ليتزوج أمه فلما قتله حمله من قرية الى قرية أخرى فاقاه هناك وقيل القاه بين قريتين وقال عكرمة كان لبني اسرائيل مسجد له اثنا عشر بابا لكل سبط منهم باب فوجد قتيل على باب سبط وجروا الى باب سبط آخر فاختصم السبطان فيه وقال ابن سيرين قتله القاتل ثم احتمله فوضعه على باب رجل منهم ثم اصبح يطالب ثاره ويدعيه عليه فلما اشتبه على الناس جاؤا الى موسى وسألوه ان يدعو الله لهم بين لهم بدعائه فامرهم بذبح بقرة فقال لهم ان الله يامركم أن تذبحوا بقرة قال اتتخذنا هزوا أي تستهزىء بنا نحن نسالك عن امر القتيل وتامرنا بذبح بقرة فقال موسى اعوذ بالله ان أكون من الجاهلين أي من المستهزئين بالمؤمنين وقيل من الجاهلين بالجواب على وفق السؤال فلما زالوا يستوصفون حتى وصف لهم تلك البقرة فاخذوها وذبحوها قال الله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون أي من شدة اضطرابهم واختلافهم فيها وضربوا القتيل ببعض منها فقام القتيل حيا وأوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان ثم سقط ومات مكانه فحرم قاتله الميراث ﴿ واختلافهم ﴾ بضم الفاء لانه أبلغ في ذم الاختلاف اذ لا يتقيد حينئذ بكثرة بخلاف كسرها وقد نهي عن الاغلوطات في العلم ﴿ عن انبيائهم ﴾ اختلافا يؤدي الى كفر أو بدعة وأما اختلاف استنباط فروع الدين ومناظرة أهل العلم فيه على سبيل الفائدة واظهار الحق فغير منهي عنه بل مامور به وفضيلته ظاهرة وقد أجمع المسلمون من عهد الصحابة الى الآن على ذلك ولا شك ان الاختلاف المذموم سبب لتفرق القلب ورهن الدين كما يجري للخوارج حين تبرأ بعضهم من بعض ووهن أمرهم واندحضوا وكثرة السؤال من غير ضرورة تشعر بالتعنت وتفضي اليه وقد نهي صلى الله عليه وسلم عن قيل وقال وكثرة السؤال ومن ثم لما أكثروا السؤال عليه صلى الله عليه وسلم غضب ثم صعد المنبر وهو غضبان قال انس ونحن نرى ان معه جبريل فما رأيت يوما كان اكثر بكاء منه فقال رجل يا رسول الله من أبي قال ابوك حذافة وكان الناس يسبونه وينسبونه لغيره وقال آخر من أبي قال ابوك سالم مولى شيبة وقام آخر فقال اين ابي فقال في النار ثم قال يا ايها الناس ان الله قد فرض عليكم الحج فحجوا فقام اليه الاقرع بن حابس فقال يا رسول الله اكل عام فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجب ولما استطعتم ثم قال ذروني ما تركتكم فانما اهلك الذين من قبلكم

الله عليه وسلم اذا توضأ المسلم خرجت ذنوبه من سمعه وبصره ويديه ورجليه فان قعد قعد مغفورا له * رواه الامام أحمد والطبراني
نقس المحافظة على الوضوء لما ورد في الخبر يقول الله تعالى من أحدث ولم يتوضأ فقد جفاني ومن توضأ ولم يصل فقد جفاني
ومن صلى ولم يدعني فقد جفاني ومن أحدث وتوضأ وصلى ودعاني ولم أستجب له (١٢٧) فقد جفوته وأنت بوب جاف

كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم فاذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم فخاف عمر على ركبتيه وقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا لا نفض مجلسنا بسراتنا واعف عنا عفا الله عنك قال فسري عنه ثم التفت الى الحائط فقال لم أر كاليوم في الخير والشر رأيت الجنة والنار وراء هذا الحائط اه ﴿ فوائد * الأولى ﴾ جاء قوم الى سعدون المجولاني فشكوا أن كنانة قتلوا رجلا وأضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقي ابيض اللون فقال لعله حج ثلاث حجج قالوا نعم قال سمعت أن من حج حجة أدى فرضه ومن حج ثانية فقد داين ربه ومن حج ثلاثا حجج حرم الله شعره وبشره على النار ذكره القاضي عياض في الشفاء * الثانية حكي عن محمد بن المنكدر انه حج ثلاثين حجة فلما كان في آخر حجة حجها قال وهو في عرفات اللهم انك تعلم اني وقفت في موقفي هذا ثلاثا وثلاثين وقفة فواحدة عن فرضي والثانية عن أبي والثالثة عن أمي وأشهدك يارب اني وهبت الثلاثين لمن وقف بموقفي هذا ولم تقبل منه فلما دفع من عرفات نودي يا ابن المنكدر أتكرم على من خلق الكرم والجود وعزتي وجلالي لقد غفرت لمن وقف بعرفات قبل ان اخلق عرفات بالف عام وعن علي بن الموفق انه حج ثمانين فوهب منها سبعين للنبي صلى الله عليه وسلم وارصة للخلفاء الراشدين وثلاثة لامه واثنتين لابيه ووهب الواحدة الباقية لكل من نوى الحج ولم يقدر عليه فهنئ به ما تقسم من زاوية البيت يا ابن الموفق أتسخى علينا ونحن خلقنا السخاء وعزتي وجلالي لكل من وهبته حجة وهبنا له سبعين حجة وعنه أيضا أنه قال حججت ستة فلما ذهبت الى عرفة بت بمنى فرأيت في المنام كأن ملكين قد نزلا من السماء فنادى أحدهما صاحبه يا عبد الله فقال لبيك أتدري كم حج بيت ربنا هذه السنة قال لا أدري قال حج بيت ربنا هذه السنة ستمائة ألف فقبل منها حج ستة نفر فانتبهت فزعا وغمني ذلك وقلت في نفسي اذا قبل حج ستة فاين أكون انا فلما افضت من عرفات وصرت عند المشعر الحرام جعلت افكر في كثرة الخلائق وقلة من قبل منهم فطلبني النوم فاذا الشخصان قد نزلا بعينهما وقال احدهما لصاحبه المقالة الاولى ثم قال أتدري ما حكم ربنا عز وجل في هذه السنة قال لا قال وهب لكل واحد من هذه الستة مائة الف فانتبهت وقد داخلني السرور * وعن سفيان الثوري رحمه الله تعالى قال حججت سنة وتوبت أن انصرف من عرفات ولم احج بعد فنظرت في النوم فاذا بشيخ محكم على عصا وهو ينظر الي مليا فقلت السلام عليك ياشيخ فقال وعليك السلام ياسفيان رجع عما نويت فقلت سبحان الله من اين علمت نيتي قال الهمني ربي فو الله لقد حججت خمسا وثلاثين حجة وكنت واقفا بعرفات هاهنا في الحجة الخامسة والثلاثين انظر الى هذه الرحمة وبقيت منتظرا حتى غابت الشمس وافاض الناس من عرفات الى المزدلفة وجن الليل ولم يبق معي احد فنمت تلك الليلة فرأيت في النوم كان القيامة قد قامت وحشر الناس وتطايرت الكتب ونصب الميزان والصراط وفتحت ابواب الجنان والنيران

وحكي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرسل رسولا الى الشام فمر على دير راهب فطرق بابه فتح بابه بعد ساعة فسأله عن ذلك فقال أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام اذا خفت سلطانا فتوضأ وأمر الملك به فان من توضأ كان في أمان مما يخاف فلم أفتح لك حتى توضأ تجليا * وفي طبقات السبكي قال الله تعالى يا موسى توضأ فان أصابك شيء وأنت على غير وضوء فلا تلومن الا نفسك * وقال صلى الله عليه وسلم يا أنس ان استطعت أن تكون ابدا على وضوء فافعل فان ملك الموت اذا قبض روح عبد وهو على وضوء كتبت له شهادة * وحكي انه كان في زمن عيسى عليه السلام امرأة صالحة فجعلت العجين في التنور وأحرمت بالصلاة فجاءها ابليس في صورة امرأة وقال احترق العجين فلم تلتفت اليه فاخذ ولدها وجعله في التنور فلم تلتفت اليه فدخل

﴿ ١٨ - شبرخيتي ﴾ زوجها فوجد الولد في التنور يلعب بالجمر وقد جعله الله عقيقا آخر فاخبر عيسى بذلك فقال ادعها الي فدعاها فسألها عن عملها فقالت يا روح الله ما أحدثت إلا وتوضأت ولا طلب أحد مني حاجة الا قضيتها واحتمل الاذى من الاحياء كما يحتمله الاموات منهم وجاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم بسرير من ذهب قوائمه من فضة منضد بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد مفروش بالسندس والاستبرق فاستقر على الارض بيطحاء مكة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم واقعد معه على السرير وجبريل

أربعة أجنحة جناح من لؤلؤ وجناح من ياقوت وجناح من زبرجد وجناح من نور رب العالمين بين كل جناح خمسمائة عام على رأسه ذؤابتان واحدة على لون الشمس والأخرى على لون القمر مرصعتان بالجوهر والياقوت خصوتان بالمسك والكافور ومعه سبعون ألف ملك فضرب بجناحه الأرض فنبتت من ماء قنوضا جبريل وغسل أعضاءه ثلاثا وتمضمض ثلاثا واستنشق ثلاثا ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنت رسول الله بعثك بالحق نبيا يا محمد تكلم وافعل كما فعلت ففعل النبي صلى الله عليه وسلم مثله فقال يا محمد قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويغفر الله لمن يصنع مثل صنيعك ذو به حديثها وقديمها وسرها وعلانيتها وعمدها وخطأها وكرم لحمه ودمه على النار * ونرجع الى الكلام على بقية الحديث (قوله صلى الله عليه وسلم الحمد لله) اى هذا اللفظ وحده أو هذه الكلمة وحدها وقيل المراد الفاتحة (تملأ) بالتحتية والفوقية (الميزان) اى ثواب النطق بها مع استحضار معناها والاذعان لمدلولها تملأ كثرة الحسنات التى هى مثل طباق السموات والارض وسيأتى الكلام على صفة الميزان وما يتعلق بها فى الطعام ان شاء الله تعالى (قوله وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ) شك من الراوي (ما بين السماء والارض) وذلك لان العبد اذا حمد مستحضرا معنى الحمد وما اشتمل عليه من التفويض الى الله تعالى امتلأت ميزانه من مثل الحسنات فاذا أضاف الى ذلك سبحان الله الذي هو تنزيه الله عما لا يليق به ملأت حسنا زيادة على ذلك ما بين السموات والارض اذ الميزان مملوءة بثواب التحميد فهذه الزيادة هي ثواب التسبيح وثواب الحمد من ملئه للميزان باق بحاله على كل حال من اللفظين المشكوك فيهما وذكر السموات والارض على عادة العرب فى ارادة الاكثار والمراد أن الثواب على ذلك كثير جدا بحيث لو جسم لملأ ما بين

فسمعت الملائكة يقول اللهم فى الحجاج من حوى او رمى فنوديت يا ملائكتى غفرت لهم فانقلبوا بمغفرة من الله ورزقوا الشفاعة قال فانقلبت وصليت ركعتين ثم نمت فرأيت ذلك فقلت فى نومى هذا من الرحمن أم من الشيطان فقيل لى من الله فمددت يمينك فمددت فاذا على كتفى مكتوب من وقف بعرفات وزار البيت شفعته فى سبعين من أهل بيته * قال سفيان رأيت فى المكتوب حتى قرأته ثم قال الشيخ فلم أمر سنة الا وأنا أسمع حتى تم لى ثلاثة وسبعون سنة * وعن عبد الله ابن المبارك قال كان بعض المتقدمين قد حبب اليه الحج فحدثت عنه انه قال ورد الحاج فى بعض السنين الى بغداد فعزمت على الخروج معهم على الحج فأخذت فى كمى خمسمائة دينار الى السوق أشترى آلة الحج فبينا أنا فى بعض الطريق عارضتنى امرأة فقالت رحمك الله أنا امرأة شريفة ولى بنات عراة واليوم الرابع ما أكلنا شيأ فوقع كلامها فى قلبى فطرحت الخمسمائة دينار فى طرف إزارها وقلت عودى الى بيتك فاستغنى بهذه الدنانير على وقتك فحمدت الله تعالى وانصرفت ونزع الله من قلبى حلاوة الخروج تلك السنة وخرج الناس وتجهزوا وعادوا فقلت أخرج للقاء الاصدقاء والسلام عليهم فخرجت وجعلت كلما لقيت صديقا وسلمت عليه وقلت له قبل الله حجك وشكر الله سعيك رد على مثل ذلك فلما كانت الليلة الثانية رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال يا غلام لا تعجب من نهضة الناس للحج أعتقت ملهوفا فأعتق الله عز وجل خلقا فى صورتك ملكا فهو يحج عنك فى كل عام فان شئت فحج وان شئت لا تحج وروى نحو هذه الحكاية أبو سعيد عبد الملك بن أبى عثمان عن ابن المبارك ان عبد الله بن المبارك دخل الكوفة وهو يريد الحج فاذا بامرأة جالسة على مزبلة تنتف بطة فوقع فى نفسه انها ميتة فوقع وقال ياهذه ميتة أم مذبوحة قالت ميتة قال أنا أريد أن آكلها رعيا لى فقال ان الله حرم الميتة وأنت فى هذه البلد فقالت ياهذا انصرف عنى فلم يزل يراجعها الكلام الى أن تعرف منزلها ثم انصرف فعمل على بغل نفقة وكسوة وزادا وجاء وطرق الباب فتنحت ونزل عن البغل وضربه داخل البيت ثم قال للمرأة هذا البغل وما عليه من النفقة والكسوة والزاد لك ثم أقام حتى رجع الحاج فجاء قوم ليهنئوه بالحج فقال ما حججت السنة فقال له بعضهم يا سبحان الله ألم أودعك نفقتى ونحن ذاهبون الى عرفات وقال له آخر ألم تسقنى بموضع كذا وقال آخر ألم تشتر لى كذا فقال لا أدرى ما تقولون له أما أنا فلم أحج العام فلما كان الليلة أتى اليه فى منامه فقيل له يا عبد الله بن المبارك ان الله تعالى جل جلاله قد قبل صدقتك وأنه بعث ملكا على صورتك يحج عنك ذكرها ابن الجوزى * وذكر ابن جماعة أن بعض السلف نوى الحج ومعه ثمانمائة درهم فعرضت له ذات يوم حاجة فبعث ولده الى بعض جيرانه فرجع الولد يبكى فقال مالك يا بنى قال دخلت على جارنا وعندهم طبيخ فاشتهيته فلم يطعمونى فذهب الرجل الى جاره يعاتبه على ما فعل فبكى الجار وقال ألجأنى الى كشف حالى انا منذ خمسة أيام لم نطعم فطبخت ميتة وأكلناها وعلمت أن ولدك يجد مالا فلا يحل له أكل الميتة فتعجب الرجل وقال لنفسه كيف النجاة وفى جوارك

السموات والارض * وروي ان التسبيح نصف الميزان والحمد لله تملؤها ولا اله الا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تصل اليه اي ليس لقبولها حجاب يحجبها وروي الامام احمد ان الله اصطفى من الكلام اربعا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وان في كل من الثلاثة عشر من حسنة وحط عشر بن سيئة وفي الحمد لله ثلاثين * وحكي (١٣٩) ابن عبد البر عن قائل ان احمد

لما كثروا قالوا الله الا الله قال النخعي وكانوا يرون ان الحمد اكثر الكلام فضيلة وقال الثوري ليس بشيء مما عد من الكلام مثل الحمد لله وروى الحديث المتقدم واحتج آخرون بما في حديث البطاقة * وروي الامام احمد لو ان السموات السبع وعامرهن غيري والارضين السبع في كفة ولا اله الا الله في كفة لمالت بهن ﴿ فوائد ﴾ قال النبي صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة لم يات احد يوم القيامة بافضل مما جاء به الا احد قال مثل ما قال أو زاد عليه وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يات احد بافضل مما جاء به الا احد عمل اكثر من ذلك ومن قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر وعن سعيد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيعجز احدكم ان يكسب كل يوم الف حسنة فسأله سائل كيف يكسب احدنا الف حسنة قال يسبح مائة تسبيحة فتكتب له الف حسنة

مثل هذا وأنت تتاهب للحج الى بيته واعطاه الثمانمائة درهم فلما كانت عشية عرفة رأى في النوم المصري في منامه وهو بعرفات كان قائلا يقول يا ذا النون ترى هذا الزحام على الموقف قال نعم قال ما حج منهم الا رجل تخلف عن الوقوف فحج بما منه فوهب الله له أهل الموقف قال ذو النون من هو قيل رجل يسكن دمشق فبحث عنه حتى عرفه وسلم عليه وبشره بذلك اه ذكره في منير شوق الانام الى حج بيت الله الحرام * الثالثة أخرج ابن عدي في الكامل والدارقطني في الافراد والعقيلي وابن عساكر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتقي الخضر مع الياس في كل عام في الموسم فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويفترقان عن هذه الكلمات بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير الا الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله ما شاء الله لا حول ولا قوة الا بالله وفي بعض الروايات زيادة العلي العظيم واسناد هذا الحديث ضعيف لان فيه الحسن ابن رزين وهو ضعيف وأخرجه ابن الجوزي من طريق أحمد بن عمار عن محمد بن مهدي بن هلال وزاد قال قال ابن عباس ما من عبد قالها في كل يوم ثلاث مرات الا امن الحرق والغرق والسرق والشيطان والسلطان والحية والعقرب حتى يمسي وكذلك حتى يصبح * الرابعة عن ابن عباس ان آدم عليه السلام حج اربعين حجة من الهند ماشيا على رجليه قيل لجاهد فلا كان يركب قال وأي شيء كان يحمله أخرجه ابن الجوزي وقال سعيد بن سالم حج سبعين حجة ماشيا ﴿ رواه البخاري ومسلم ﴾ وهو حديث عظيم من قواعد الدين

﴿ الحديث العاشر ﴾

﴿ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب ﴾ أي منزه من النقائص ومقدس عن الآفات والعيوب وعن كل وصف خلا عن الكمال المطلق كما قاله القاضي عياض او طيب الذات مستلذ الاسماء عند العارفين بها كما قاله غيره ثم الطيب له اطلاقات فيطلق ويراد به الحلال كما في قوله تعالى قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث وقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء ويطلق ويراد به الجيد من الحلال وهو المستلذ منه كما في قوله تعالى قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق وقوله تعالى كلوا مما في الارض حلالا طيبا على انه من باب التأسيس الذي هو الاصل لا التأكيد قيل انه بمعنى الطاهر ومن وروده بمعنى الطاهر قوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا ويطلق ويراد به المنبت كما في قوله تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ويطلق ويراد به الحسن كما في قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب أي الحسن وهي شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقوله تعالى ضرب الله مثلا كلمة طيبة اي حسنة وهي الشهادة ويطلق ويراد به المؤمن كما في قوله تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ويطلق ويراد به مالا اذى فيه كقولهم هذا يوم طيب وليلة طيبة اي ليس فيها حر يؤذي ولا برد يؤذي ويطلق ويراد به المدرك كقولهم طاب ثمرها اي ادرك قال الشارح الهيتمي وهو اي طيب من اسمائه الحسنى الصحيحة

وتحصنه الشيطانية * وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال استكثروا من الباقيات الصالحات قيل وما هن يا رسول الله قال التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد ولا حول ولا قوة الا بالله رواه ابن حبان وروى ان في الجنة ملائكة يمرون الاسواق لذاكرين (ص ٩٤) فاذا قال الذاكر نزلت اللام ويقول لغيره ما جي وروى الحاكم ان طلحة بن عبيد الله سأل رسول

الله صلى الله عليه وسلم عن معنى سبحان الله فقال تنزيه الله من كل سوء وروى ابن أبي حاتم عن علي رضي الله عنه قال سبحان الله كلمة احبها الله لنفسه ورضيها واحب ان تقال وعن كعب بن عجرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال معقبات لا يخيب قائلهن دبر كل صلاة مكتوبة ثلاثة وثلاثين تسبيحة وثلاثة وثلاثين تحميدة واربعا وثلاثين تكبيرة وفي رواية من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين ثم قال تمام المائة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر قال النووي رحمه الله والاولى الجمع بين الروايتين فيكبر اربعا وثلاثين ويقول لا اله الا الله الى آخره * وروى من قال دبر كل صلاة مكتوبة وهو ثان رجله قبل ان يتكلم لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات كتب له عشر حسنات ومحي عنه عشر سيآت ورفع له

الحديث به كالجليل ومثلوا الدنايا بحديث سحنون وبان حديثه لم يصح اه وبحث فيه بعضهم بانه ان أراد بعدم صحة الدنايا عدم ورود فممنوع بل في معناه حديث رواه ابن عدي وغيره عن ابن عمر مرفوعا ان الله جميل يحب الجمال نظيف يحب النظافة وان أراد بها الصحة والفيها الصحيح المصطلح عليه فممنوع ايضا لان الخبرين المذكورين ضعيفان كما بينه جمع من الحفاظ فتدبر (لا يقبل الا طيبا) اي لا يقبل من الاعمال الا ما كان خالصا من الشوائب كالرياء والعجب ولا من الاموال الا ما كان حلالا لان لفظ طيب يتضمن المدح والتشريف فلا يتقرب اليه سبحانه وتعالى الا بما يناسبه في ذلك المعنى وهو الاخلاص في الاعمال وخيار الاموال كما قال تعالى فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا وقال تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وعن ابن عباس من أكل لقمة من حرام لم يقبل الله عمله اربعين صباحا ومن اكتسب مالا حراما فان تصدق به لم يقبل منه ومن خلفه بعده كان دليله الى النار ومن اكل الحلال اربعين صباحا نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة على لسانه ومن سعى على عياله من حلال كان كالمجاهد في سبيل الله قال القرطبي في شرح مسلم مما يخصه الاخلاص شرط في جميع العبادات وذلك بان يكون الباعث على عمل التقرب الى الله تعالى وابتغاء ما عنده فان كان الباعث عليها شيأ من أعراض الدنيا فلا تكون عبادة بل معصية اما كفر واما رياء وهذا اذا كان الباعث على تلك العبادة الفرض الدنيوي وحده ولو فقد اتزلك العمل فلو اوقع العبادة بمجموع الباعثين فان كان باعث الدنيا أقوى او مساويا لحق بالقسم الاول في الحكم او ببطلان العمل عند أئمة هذا الشان لحديث من عمل عملا اشرك فيه غيري تركته وشركه فلو كان باعث الدين اقوى فحكم المحاسبي ببطلان ذلك العمل وتمسك بالحديث المتقدم ومافي معناه وخالفه الجمهور وقالوا بصحة العمل واما لو انفرد باعث الدين بالعمل ثم عرض باعث الدنيا بان انشأ العمل فهو أولى بالصحة اه وفي الحديث من حج بمال حرام فقال لبيك قال الله تعالى لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك واخرج أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفيها درهم من حرام لم يقبل الله له صلاة مادام عليه ثم ادخل اصبعيه في أذنيه ثم قال صمتا ان لم اكن سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله واخرج الحاكم وابن خزيمة وابن حبان من جمع مالا من حرام ثم تصدق به لم يكن له فيه اجر وكان اصره عليه * واخرج الطبراني من كسب مالا من حرام فانفق منه ورصل رحمه كان ذلك اصرارا عليه وانما لم تقبل الصدقة بالحرام لانه ممنوع من التصرف فيه لكونه ملك الغير فلو قبل لزم كونه مامورا به منهيا عنه من جهة واحدة وهو محال وهذه الجملة تراطبة ناسبت المقصود بالذات من سياق هذا الحديث وهو طيب المطعم المستلزم لاجابة الدعاء غالبا (وان الله تعالى) لما خلق لعباده ما في الارض جميعا واباحه لهم سوى ما حرم عليهم (أمر المؤمنين) اي والمؤمنات فهو من باب التغليب والامر للوجوب (بما أمر به المرسلين) فسوى بينهم في الخطاب بوجوب اكل الحلال ففيه اشعار بان الاصل

استووا فهم

عشر درجات وكان يومه ذلك في حرز من الشيطان رواه الترمذي وقال حسن صحيح (قوله صلى الله عليه وسلم والصلاة نور) اي ذات نور منورة او ذات نور وهي تنور وجه صاحبها كما هو مشاهد في الدنيا وجاء من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار وقال ابو الدرداء صلوا ركعتين في ظلم الليل اظلم القبر وتشرق في القلب انوار المعارف ومكاشفات الحقائق ليتفرغ فيها من كل شاغل و يعرض

عن كل زائل و يقبل على الله بكليته حتى من عليه بشهوده و قربه و محبته ولذا قال صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلاة * وروى ابن الجيسان يشم والظمآن يروى وأنا لا أشبع من حب الصلاة والصلاة تريح القلب و تزيح همومه و غمومه ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم يا بلال اقم الصلاة أرحنا بها وذكر النبي صلى الله عليه وسلم (١٤٩) الصلاة فقال من حافظ عليها كانت

استوائهم في أصل الاحكام الا ما قام الدليل على اختصاصهم به ﴿ فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات ﴾ فيه تنبيه على ان أباحة الطيبات لهم شرع قديم و رد الرهبانية في رفض الطيبات ﴿ واعملوا صالحا ﴾ وقدم أكل الحلال على صالح الاعمال تنبيها على انه لا يتوصل للعمل الا بعد الانتفاع بالرزق ﴿ وقال يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ أي نفسناكم وهو جمع طيب بمعنى الحلال الخالص من الشبهة لان الشرع طيبه لآكله وان لم يستلذه ولذيذ الطعم من غيره ويأتي على آكله وخامة وحسرة فقول الشافعي الطيب المستلذ أراد به المستلذ شرعا فهو بمعنى ما قبله وقد خفي هذا على بعضهم فظن تغايرهما فاعترضه بان الخنزير ألذ المطعم على الاطلاق وهو حرام اجماعا والصبر لا لذة فيه وهو حلال اجماعا * وأخرج ابن سعد عن عمر بن عبد العزيز انه قال يوما في أكلة الليلة حمص معدس فنفخني فقال له بعض القوم يا أمير المؤمنين ان الله تعالى يقول في كتابه كلوا من طيبات ما رزقناكم فقال عمر هيهات هيهات ذهبت بها الى غير مذهبها انما يريد طيب الكسب ولا يريد طيب الطعام واستدل الرزق الى نفسه تعريضا لهم والامر في هذه الآية للاباحة أو للوجوب كما لو أشرف على الهلاك مجاعة أو للندب بمواساة الضيف قال ابو هريرة ﴿ ثم ﴾ ان النبي صلى الله عليه وسلم استطرد الكلام حتى ﴿ ذكر الرجل ﴾ خصه بالذكر لانه الذي يساق السفر البعيد الطويل غالبا والا فالمرأة كذلك ﴿ يطيل السفر ﴾ في وجوه الطاعات من حج وجهاد وزيارة مستحبة وصلة ورحم وغير ذلك من وجوه البر وذكر بعضهم ان قوله اشعث اغبر يفيد انه سفر الحج اذ الصفتان المذكورتان لا يكونان الا فيه والاول التقسيم الاول وقوله يطيل السفر محله نصب صفة لرجل لان ال فيه جنسية والجنس المعرف بمنزلة النكرة على حد قوله ولقد أمر على اللئيم يسبني * قال الطيبي واقتضى لفظ رسول التذكير في الرجل بالابتداء والخبر يطيل الخ ﴿ اشعث ﴾ أي مغلبد الشعر لبعد عهده بالغسل والتسريح والدهن وشعث الرجل شعثا من باب تعب ﴿ أغبر ﴾ اي غير الغبار وجهه وبقية جسده ﴿ يمد يديه ﴾ فيه اشارة الى ان رفع اليدين مشروع في الدعاء لما فيه من اظهار شعار الذل والانكسار والاقرار بسمة العجز والافتقار ولان العرب ترفع ايديها اذا استعظمت الامر فالداعي يشير بذلك لتوجهه بين يدي اعظم العظماء ولان العادة في سؤال المخلوق ذلك فيضم في يده ما يسأل فيه فكان الداعي شبه المعقول بالمحسوس ﴿ الى ﴾ جهة ﴿ السماء ﴾ لانها مخزن الارزاق ومصعد اسرار الخلائق ومصعد الاعمال والاشارة الى ما هو من وصف المدعو من الجلال والكبرياء وانه فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء ولانها قبلة الدعاء ومن ثم كانت افضل من الارض على قول الاكثر وهو الاصح لانه لم يعص الله فيها وقيل الارض افضل لان الانبياء خلقوا منها وهي مدفنهم ومستقرهم وعدم العصيان في السماء مزية وهي لا تقتضي الافضلية على انه قد يكون في المفضول مزايا وقد ينتقض بما وقع لآدم وحواء وابليس وادعاء انهم لم يكونوا في السماء يحتاج للدليل ﴿ يارب ﴾ اعطني كذا ﴿ يارب ﴾ جنبني كذا ﴿ ومطعمه ﴾ هو مصدر بمعنى المفعول وكذا يقال فيما بعده ﴿ حرام

له نورا و برهانا و نجاة يوم القيامة و من لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولا برهانا ولا نجاة وكان يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون و أبي بن خلف رواه الامام أحمد وانما خص هؤلاء الاربعة بالذكر لانهم رؤس الكفر فمن ترك الصلاة لتجارته فهو مع ابي بن خلف ومن تركها لملكه فهو مع فرعون ومن تركها لماله فهو مع قارون ومن شغله عنها رياسته فهو مع هامان وقال ابو الليث السمرقندي قال رجل في الزمن الاول لابليس أحب أن أكون مثلك فقال اترك الصلاة ولا تحافظ عليها قاله وفي الحديث تقول الملائكة لتارك صلاة الفجر يا فاجر و لتارك صلاة الظهر يا خاسر ولتارك صلاة العصر يا عاصي و لتارك صلاة المغرب يا كافر ولتارك صلاة العشاء يا مضيع فيمهلك الله ويحكى ان خليفي عليه السلام مر على قرية كثيرة الانهار و الاشجار فاكرمه اهلها فتعجب من حسن طاعتهم ثم مر عليها بعد ثلاث سنين فراى الاشجار يابسة والانهار ناشفة وهي خاوية على عروشها فتعجب من ذلك فاوحى الله تعالى اليه قدمر على القرية رجل تارك الصلاة فغسل وجهه في عينها فنشفت الانهار ويبست الاشجار فخربت القرية ياعيسى لما كان ترك الصلاة سببا لهدم الدين كان سببا لخراب الدنيا * ويحكى ان بعض الاكابر ركب البحر فراى السمك ياكل بعضه بعضا فتوهم ان القحط وقع في البحر فهتف

يا ما تفعله أنه قد شرب من البحر وجبل تارك الصلاة فلما علم بلوغ الماء فذهب من فوقه فرفع القدم في البحر من نجاسة فغفر أنزل الله في بعض كتبه تارك الصلاة ملعون وجاره ان يراني يصلي ملعون وقد لا أني حكمت عدل أطلقت كل من يخرج من ظهره ملعون الى يوم القيامة وفي الحديث ان جهنم يوم كالليل (٢٤٦) عليه السلام قال الله تعالى من ترك الصلاة فهو ملعون في التوراة والانجيل والزبور والقرآن ه وفي أيضا من ترك الصلاة لقي الله وهو عليه غضبان ؛ مسئلة ؛ حلف رجل بالطلاق أنه لا يدخل على زوجته الا في يوم مشؤم فسأل جماعة عن ذلك فأجابوه بان الايام كلها مباركة ثم سأل الشيخ عبد العزيز الدرعي رضي الله عن ذلك فقال هل صليت اليوم صلاة قال لا قال فادخل فانه يوم مشؤم عليك فالصلاة يا أخي ديننا نور وروى الطبراني أنه صلى الله عليه وسلم قال من صلى الصلوات الخمس في جماعة جاز على الصراط كالبرق اللامع في أول زمرة السابقين وجاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر والصلاة تمنع من المعاصي وتنهى عن الفحشاء والمنكر كما في قوله تعالى وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وذكر الثعلبي في هذه الآية عن أنس رضي الله عنه ان رجلا كان يصلي الخمس مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيأ من الفواحش الا ارتكبه فأخبروا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال ان صلاته تنهاه يوما ما * وفي الزهرة للنيسابوري رحمه الله تعالى ان رجلا راود امرأة عن نفسها فأخبرت زوجها بذلك فقال قولي له صل خلف زوجي أربعين صباحا ففعل ثم جاءته الى نفسها فقالت اني تبت الى الله عز وجل فأخبرت زوجها بذلك فقال صدق الله قوله الحق ان الصلاة تنهى عن الفحشاء

والمنكر وقال صلى الله عليه وسلم لاصلاة لمن لم يطع الصلاة ورأيته ينهى عن الفحشاء والمنكر فقد اطاع الصلاة وفي الترغيب والترهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انا أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي ولم يستطل على خلقي ولم يبت مصرا على معصيتي وقطع نهاره في ذكري ورحم الارملة والمسكين وابن السبيل وبالحري ذلك (ج ج ج) نور كنور الشمس اكلؤه بنوري واستحفظه ملائكتي واجعل له في الظلمة نورا وفي الجهالة حلما وفي خلقه كمثل الفردوس والصلاة ترتقي الى الصواب ويكون اجرها نورا وبرهانا وتشفع لصاحبها يوم القيامة وروي الطبراني اذا حافظ العبد على صلاته قائم ويضيعها وركوعها وسجودها وقراءة فيها قالت له حفظك الله كما حفظتني فيصعد بها الى السماء وطها نور حتى تنتهي الى الله عز وجل او الى محل قربه ورضاه فتشفع لصاحبها وقيل في قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات يعني الصلوات الخمس وقال العلائي في تفسير سورة العنكبوت الصلاة عرس الموحدين فانه يجتمع فيها الوان العبادات كما ان العرس يجتمع فيه الوان الاطعمة فاذا صلى العبد ركعتين يقول الله تعالى مع ضعفك اتيت بالوان العبادة قياما وركوعا وسجودا وقراءة وتهليلا وتحميدا وتكبيرا وسلاما فاتابع جلالي وعظمتي لا يحتمل مني أن امنعك جنة فيها الوان النعيم اوجبت لك الجنة بنعيمها كما عبدتني بالوان العبادة واكرمك برزقي كما عرفتني بالوحدانية فاني اطيب عذرك واقبل منك اخبر برحمتي فاني اجد من اعذبه من الكفار وانت لا تجد لها غيري بغفر سيآت عبدي لك بكل ركعة قصر في الجنة وحورا وبكل سجدة نظرة الى وجهي وعن جعفر بن محمد عن ابيه عن جده عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة مرضاة للرب وحب الملائكة

شكرها والخامس قالوا ان الشيطان عدكم فخالفوه والسادس قالوا ان الجنة شوقا لهم فاعملوا لها والسابع قالوا ان النار حق فاتقوها والثامن قالوا ان الموت حق فاستعدوا له والتاسع انتبهوا من النوم فاشتغلوا بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم والعاشر دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم قال ابن عطاء الله ان للدعاء شروطا وأركانا وأجنحة وموانيت وأسبابا وأوقاتا فان وافق أركانه قوي وان وافق أجنحته طار الى السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق اسبابه أنجح وان وافق أوقاته استقر فاركانه حضور القلب والخشوع وقطعه عن الاسباب وأجنحته الصدق ومواقيته الاستحار واسبابه الحمد لله والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وأوقاته بعد الصلاة وهي اضيع اجابة الدعوات اه من الشيرازي وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس دعوات لا ترد دعوة الحاج حتى يصدر ودعوة الغازي حتى يرجع ودعوة المظلوم حتى ينصر ودعوة المريض حتى يشفى ودعوة الاخ لاخيه بظهر الغيب وأسرع هؤلاء الدعوات دعوة الاخ لاخيه بظهر الغيب أخرجه الحافظ أبو منصور وعبد الله بن محمد بن الوليد وصححه المحب الطبري في كتابه النهي بالقرى لقاصد أم القرى ثم ان الاجابة ليست منحصرة في الاسباب المطلوب بل هي حصول مراده من الثلاث المذكورة في قوله صلى الله عليه وسلم ما من داع يدعو الا كان بين ثلاث اما أن يستجاب له واما أن يدخر له يعني أفضل منه واما أن يكفر عنه من ذنوبه قط او يدفع عنه من السوء مثله (رواه مسلم) وهو احد الاحاديث التي عليها قواعد الاسلام ومباني الاحكام

الحديث الحادي عشر

(عن ابي محمد الحسن) كناه وسماه بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ولقبه بالتقي والسيد ولد بالمدينة في النصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في اذنه وكان لمن الولد لخمسة عشر ذكرا وثمان بنات وعن البراء أنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعا الحسن على عاتقه وهو يقول اللهم اني احبه فاحبه وسمع من احبني فليحبه وليعلم الشاهد الغائب اللهم اني احبه واحب من يحبه فاحب من يحبه ثلاث مرات وفي رواية فجعل يفتح فمه ثم يدخل فمه في فمه ويقول ذلك وعن عقبة بن الحرث انه قال خرجت مع ابي بكر من صلاة الفجر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بيال وعلي يمشي الى جنبه فمر بالحسن بن علي يلعب مع الغلمان فاحتمله على رقبته وهو يقول

بابي شبيه بالنبي ... ليس شبيها بعلي

وعلي يضحك وعن سعيد بن عبد العزيز ان الحسن سمع رجلا يسأل الله عز وجل ان يرزقه عشرة آلاف فانصرف الحسن فبعث بها اليه وعن الحسن رضي الله عنه انه قال اني لاستحيي من ربي ان اقوم الى بيته فمشى خمسا وعشرين مرة من المدينة الى مكة على قدميه وكانت النجائب تقاد بين يديه وخرج عن ماله مرتين وقاسم الله في ماله ثلاث مرات وكان يعطي نعلا ويمسك نعلا وعن جعفر بن محمد عن ابيه عن جده عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة مرضاة للرب وحب الملائكة

وسنة الأنبياء ونور المعرفة وأصل الايمان وأساسه الصلاة وقبول الاعمال وبركة في الرزق وسلاح على الاعداء وكراهية للشيطان وشفيع بين صاحبها وبين ملك الموت وسراج في قبره الى يوم القيامة فاذا كانت الصلاة ظلة فوقه وتاجا على رأسه ولباسا على بدنه ونورا يسعى بين (ع ٩٤) يديه وسترا بينه وبين النار وحجة للمؤمنين بين يدي رب العالمين وثقلا في الميزان وجوازا على الصراط ورفعا لدرجاته فلان الصلاة تسبيح وتحميد وتقديس وتمجيد وقراءة ودعاء ولان افضل الاعمال كلها الصلاة في وقتها وهو عيسى عليه السلام على شاطئ البحر فرأى طيرا من نور انغمس في الطين ثم خرج فاغتسل فعاد الى حسنه وهكذا خمس مرات فتعجب من ذلك فقال جبريل يا عيسى ان الطير يجعله الله مثلا لابن صلى الصلوات الخمس من امة محمد صلى الله عليه وسلم فالطين كالذنوب والاغتسال كفضل الصلاة (قوله صلى الله عليه وسلم والصدقة برهان) اى الزكاة كما في رواية ابن حبان ويصح بقاؤها على عمومها حتى يشمل سائر القرب المالية واجبها ومندوبها وهي لغة الشعاع الذي يلي وجه الشمس واصطلاحا الدليل والمرشد فهي يفزع اليها كما يفزع الى البراهين لانه اذا سئل يوم القيامة عن مصرف ماله فاجاب بتصدقت كانت صدقاته براهين على صدقه في جوابه وهي دليل على ايمان المتصدق وصحة محبته وغيره

مولاه (اشارات في الزكاة) عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا بعث اليه ملكا من خزان الجنة فيمسح ظهره فتسخو نفسه بالزكاة وقال صلى الله عليه وسلم الزكاة قنطرة الاسلام وقال صلى الله عليه وسلم ما تلف مال في بر ولا بحر الا بحبس الزكاة وقال ما تم الزكاة في النار ويقال الكافر يحرم دمه وماله باخذ الجزية كذلك المؤمن يحرم دمه

و يسمى أشقري ومن أبي العباس المرسي قدس سره أول الاقطاب بطنقا الحسن بن علي ومن تواضعه انه مر بصبيان معهم كسر خبز فاستطعمه فوه أديا منه فنزل وأكل معهم وترزوج بسعيدة امرأة في حياة أبيه فامر مناديا ينادي في الناس لا تزوجوا الحسن فانه مطلاق فما من أحد الا قال نزوجه فمارضي أمسك وما كره طلق وما طلق امرأة الا وهي تحبه ومتع امرأتين بعشرين الفا وتيقا فقالت احداهما متاع قليل من حبيب مفارق ولم يكن يعرف اسم الحسن في الجاهلية وكذا اسم الحسين وأما اللذان كانا باليمن فهما حسن باسكان السين وحسين بفتح الحاء وكسر السين وفي طبقات ابن سعد عن غلبان بن سليمان الحسن والحسين اسمان من اسماء اهل الجنة ولم يكونا في الجاهلية لكن في الكشاف ما يخالفه وعليك فاول من سمي بهما من اهل الدنيا من ذكر والراد اول من سمي بلفظهما فلا يرد ان هرون سمي ابنيه شبر بفتحات وشبير بضم الشين المعجمة ومعنى شبر حسن وشبير حسين لان هذا تسمية بمعناها واللفظ غير اللفظ (ابن على) بن ابي طالب الفائل فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ويكنى ابا الحسن وابا تراب كناه بذلك النبي صلى الله عليه وسلم لما رجده نائما وقد علاه التراب (رضي الله تعالى عنهما سبطه) بكسر فسكون اى ولد بنته (رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته) شبهه لسروره وفرحه به واقباله عليه بريحان طيب الريح يرتاح لرؤيته وشمه اولانه كان له رائحة طيبة كرائحة الريحان وهو نبت معروف طيب الرائحة وقد قال صلى الله عليه وسلم فيه وفي اخيه الحسين هما ريحانتاي من الدنيا وفي الصحيح ان الحسن رقي المنبر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فاسكته وجعل يقبل على الناس مرة وعليه اخرى ثم قال ان ابني هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فكان كذلك فانه لما توفي ابوه رضي الله عنه بايعه اكثر من اربعين الفا وفيهم كثير ممن تخلف عن ابيه وممن نكث بيعته فبقي خليفة حق نحو ستة اشهر تكملة الثلاثين سنة التي اخبر النبي صلى الله عليه وسلم انها مدة الخلافة وبعدها يكون ملكا عضوضا اي يعض الناس بجوره اهله وعدم استقامتهم فلما تمت تلك المدة سار الى معاوية في اهل الحجاز والعراق لينتزع منه الشام وسار اليه معاوية فلما ترا آى الجيشان وتقارب الجمعان بموضع من ارض الكوفة وقيل نزل الحسن بالمراشي ومعاوية بسكن من ناحية الانبار نظر الحسن الى العسكرين وفكر فيما يكون بينهما من القتل فعلم انه لن تغلب احدى الفئتين حتى يذهب اكثر الاخرى فرأى ان المصلحة في جمع الكلمة وترك القتال وطلب صلاح الامة وحقن دماء المسلمين فارسل الى معاوية يخبره ان يسلم الامر له وينزل له على شرطان لا يطلب احدا من اهل الحجاز والمدينة والعراق بشيء مما كان في ايام ابيه وان يكون ولي الامر من بعده وان يمكنه من بيت المال ياخذ منه حاجته ففرح معاوية * واجاب الى ذلك الا انه قال الا عدة لا أمنهم فراجعه الحسن فيهم فكتب اليه معاوية اني قد آليت على نفسي اني متى ظفرت بقيس بن سعد بن عبادة ان اقطع لسانه ويده فراجعه الحسن وقال اني لا ابايعك ابدا وانت تطلب قيسا

ودمه على النار في الآخرة اذا أخرج الزكاة بطيب نفس * وفي الحديث ويل للاغنياء من الفقراء يقولون يا ظلمونا حقنا الذي فرضه الله يقول وعزتي وجلالي لأدنينكم ولا بعدنهم ﴿حكاية﴾ كان في زمن ابن عباس رضي الله عنهما رجل كثير المال فلما مات حفروا قبره فوجدوا فيه شيأ عظيما فاخبروا ابن عباس بذلك فقال احفروا غيره (ص ١٩) فحفروا غيره فوجدوا الثعبان فيه حتى حفروا سبعة قبور فسال ابن عباس أهله عن حاله فقالوا انه كان يمنع الزكاة فامرهم بدفنه وقال ان رجلا أودع رجلا مائتي دينار ثم مات فجاء ولده وطلب الوديعة فدفعها اليه فادعى الوارث الزيادة على ذلك فترافعا الى حاكم فقال احفروا قبر الميت فحفروه فوجدوا في الميت مائتي كية بالنار فقال الحاكم ان الكيات على قدر الوديعة ولو كانت أكثر كانت الكيات على قدرها وأما صدقة التطوع فقد ورد فيها أخبار كثيرة منها ما جاء ان سائلا أتى امرأة وفي فمها لقمة فاخرجت اللقمة فناولتها السائل فلم تلبث ان رزقت غلاما فلما ترعرع جاء ذئب فاختطفه فخرجت تعدو في أثر الذئب وهي تقول أبن ابني فامر الله ملكا الحق الذئب فعاد الصبي من فيه وقال لامه الله يقرئك السلام ويقول لك هذه لقمة بلقمة ومنها استعينوا على الرزق بالصدقة ومنها

وغيره تبعة قلت أو كثرت فبعث اليه معاوية برقي بعض وقال اكتب ما شئت فيه وأنا ألتزمه فاصطلحا على ذلك فكتب الحسن كلما اشترطه عليه من الامور المذكورة والتزم ذلك كله معاوية فجاء الحسن نفسه وسلم الامر اليه فورخا رقعة الشروط واطلعا عائشة رضي الله عنها فسمي ذلك العام عام الجماعة لاجتماعهم على خليفة واحد وكان ذلك في سنة احدى وأربعين في شهر ربيع الاول وقيل جمادي ثم ان يزيد بن معاوية دس الى زوجة الحسن جعدة بنت الاشعث الكندية أن تسمه ويتزوجها ويبذل لها مائة الف ففعلت فلما مات الحسن بعثت الى يزيد تسأله فيما وعدها فابى وقال انا لم نرضك للحسن فنرضاك لانفسنا وعن عمير بن اسحق انه قال دخلت انا ورجل على الحسن بن علي نعوده فقال يا فلان اني قال لا والله لا أسألك حتى يعافيك الله قال ثم دخل وخرج الينا فقال سلني قبل ان لا تسألني قال لا بل حتى يعافيك الله عز وجل قال وقد القيت طائفة من كبدي واني سقيت السم مرارا لم أسق مثل هذه المرة ثم دخلت عليه من الغد وهو يجود بنفسه وأغمي على الحسين عند رأسه فقال يا أخي من تتهم فقال لمقتله قال نعم فقال ان يكن الذي أظن فالله أشد بأسا وأشد تنكيلا وان لا يكن ذلك فلا أحب ان يقتل بي بريء ومن جملة كلامه لاخيه لما احتضر ان ابالك أشرف لهذا الامر المرة بعد المرة فصرفه الله عنه الى ثلاثة قبله ثم ولي فنوزع حتى جرد السيف فاصفت له والله ما أرى ان يجمع الله فينا النبوة والخلافة ورجا ان يستخفك سفهاء الكوفة فيخرجوك * ولما نزل به الموت قال اخرجوا فراشي الى صحن الدار فاخرج فقال اللهم اني أحتسب نفسي عندك فاني لم أصب بمثلها وكان مرضه اربعين يوما وتوفي لخمس ليال خلون من ربيع الاول وقيل سنة موته اقوال الاكثرون انها سنة خمسين ودفن بالبقيع وكان من الحكماء الكرماء * روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر حديثا ﴿قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دع﴾ اي اترك وهو امر لا ماضي له ومضارعه يدع قال الصرفيون وانما تواما ماضي يدع ويذر ولكن جاء عن عروة وقاتل وابن أبي عبلة انهم قرؤا ما ودعك ربك بتخفيف الدال وجاء ذلك في ضرورة الشعر ومنه قول انس بن زنيم

ليت شعري عن خليلي ما الذي * غاله في الشعر حتى ودعه

والامر للندب لان الاصح أن ترك الشبهات مندوب بل جاء عن عمر رضي الله عنه مكتبة فيها بعض الريبة خير من المسئلة ومعناه كسب فيه بعض الشك احلال هو ام حرام خير من سؤال الناس وقد يكون للوجوب كالورع صيدا فسقط في ماء قات او اجتمع على قتله كلب مسلم وكافر انه يجب تركه لعدم تحقق المبيح ﴿ما يريبك﴾ بفتح اوله وضمه والاول افصح واكثر رواية والثاني لغة هذيل يقال راب يريب ثلاثيا وارابه يريبه رباعيا اذا شك وتردد في الشيء وقيل رابه لما تيقن فيه الريبة وارابه لما توهم فيه فاذا وجدت نفسك ترتاب من شيء فاتركه فان نفس المؤمن الكامل تطمئن الى ما فيه النجاح والفلاح وترتاب من ضده فقد قال احمد بن نصر الزقاق نمت مرة في تيه بني

اعظم الصدقة ان تصدق وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا * ومنها ان الله ليصرف العذاب عن الامة بصدقة رجل منهم ومنها ان الله ليضحك للرجل اذا مد يده بالصدقة واذا ضحك الله لعبد غفر له ومنها ان الله عز وجل ليدخل بلقمة الخبز وقبضة التمر ومثله مما ينفع المسكين ثلاثة الجنة صاحب البيت الآمر به والزوجة المصلحة والخادم ومنها ان الله تعالى ليربي لاحدكم التمرة

والمقصة كما يرى يا سعد كم قلوب وقفت له حتى يكون مثل احدنا ان العبد ليصدق بالكسرة تربو عند الله حتى تكون مثل احد ومنها ان رجلا ممن كان قبلكم غضب الرب ومنها تعبد عابد من بني اسرائيل في صومعة مائتي عام فاصابت الارض فاخضرت فاشرف الراعي من صومعته فقال لو نزلت (٢٤٩) فذكرت الله لازددت خيرا فنزل وعمد غيضا او رغيفان فبينما هو في الارض اذ التفت امرأة لم تزل تكلمه ويكلمها حتى غشيها ثم أعمى عليه فنزل الغدير يستعم فجاءه سائل فاومأ اليه ان يأخذ الرغيف او الرغيفين ثم مات فوزنت عبادة الستين سنة بتلك الزنية فرجحت الزنية بحسناته فوضع الرغيف او الرغيفان مع حسناته فرجحت حسناته فغفر له ومنها يا معشر النساء تصدقن فانى اكثر كن حطب جهنم انكن تكثرن الشكاية وتكفرن العشير وكل هذه الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وجاء بصحيح صائح يوم القيامة اين الذين اكرموا الفقراء والمساكين في الدنيا ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون (حكى) ان رجلا عبد الله سبعين سنة فبينما هو في معبده ذات ليلة اذ وقعت به امرأة جميلة فسألته أن يفتح لها وكانت ليلة شاتية فلم يلتفت الى كلامها واقبل على عبادته فولت المرأة فنظر اليها فملكت قلبه وسلبت لبه فترك العبادة وتبعها فقال الى اين فقالت الى حيث اريد فقال هيهات صار المراد مريدا والاحرار عبيدا ثم فضل جذبها فادخلها الى مكانه فاقامت عنده سبعة ايام فعند ذلك تفكر فيما كان فيه من العبادة وكيف باع عبادة سبعين سنة بمعصية سبع ليال فبكى حتى غشي عليه فلما افاق قالت له يا هذا والله ما عصيت الله مع غيري وانا ما عصيت الله مع غيرك واني اري في وجهك اثر الصلاح فبالله عليك اذا صار الحال مولاك فاذكرني قال فخرج هائما على وجهه فاواه الليل الى خربة فيها عشرة عميان وكان بالقرب منهم راهب يبعث

اسرائيل فبطشت مقدار خمسة عشر يوما فلما وافيت الطريق اتيني جندي فسقاني شربة ماء فعادت فسارتها على قلبي اربعين صباحا وفي رواية ثلاثين سنة كما تقدم وفي رواية فمكثت نهارها في قلبي ثلاثين سنة وعن ابي سليمان الداراني انه قال قدم الى اهلي مرة فجرا رملها فكان في الملح سبعة فاكلتها فوجدت رائحتها على قلبي بعد سنة وحكى انه كان رجل من الاولياء قصد شخصا لزيارته فلما وصل الى بيته خرج شاب عليه سيما المتكبرين فسلم على الشاب فلم يرد عليه فتعجب وسال عنه فقيل له انه ابن الشيخ فلما جاء الشيخ رآه الزائر بسيما المتواضعين وكمال حسن الخلق فتعجب أشد من ذلك وقال في نفسه يا عجبا كيف يكون لمثل هذا الشيخ مثل هذا الولد فسأله الزائر عن سوء خلق ابنه فقال الشيخ لا تعجب فاني جعلت مدة من الايام فاطعمني ذلك جاري وكان من خواص السلطان فجاءني بطعام من بيت السلطان فلما اكلت ذلك الطعام غلبت على شهوة الجماع فهذا الولد من نطفة ذلك الطعام ﴿الى ما لا يريبك﴾ اي دع ما تشك فيه من الشبهات الى ما لا تشك فيه من الحلال كما ورد في الحديث السادس ان من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه وهذا أصل في الورع حتى قال بعضهم الورع كله في ترك ما يريب الى ما لا يريب وقد ورد لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يترك ما لا باس به حذرا مما به باس وقال حسان بن أبي سنان ما شيء أهون من الورع اذا رابك شيء فدعه وهذا انما يسهل على من سهل الله عليه ومن ثم نزع يزيد بن زريع عن خمسمائة الف من ميراث أبيه فلم يأخذ منها وكان أبوه يلي الاعمال للسلاطين وكان يزيد يعمل الخوص ويقوت منه الى ان مات وسئلت عائشة رضي الله عنها عن اكل الصيد المحرم فقالت انما هي أيام قلائل فما رابك فدعه يعني ما اشتبه عليك هل هو حلال او حرام فاتركه فان العلماء اختلفوا في اباحة الصيد للمحرم اذا لم يصده او يصد لاجله ﴿رواه﴾ الحافظ ابو موسى محمد بن عيسى بن سورة بفتح السين والراء وسكون الواو ابن الضحاك وقيل ابن شداد بدل الضحاك السلمي البوغي بضم الباء الموحدة وسكون الواو وغين معجمة قرية من قرى ترمذ على ستة فراسخ منها كذلك قال ﴿الترمذي﴾ بمثلثة الفوقية وكسر الميم او ضمها مع اعجام الذال نسبة لمدينة قديمة على طرف جيحون وهو نهر بلخ على شاطئة الشرقي قال أبو عبيد الاريسي كان الترمذي احد الائمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث صنف كتاب الجامع والعلل والتواريخ تصنيف رجل عالم متقن وكان يضرب به المثل في الحفظ وكان مكفوفا قيل ولد أكمه وتوزع بقول الكشاف لم يكن في هذه الامة أكمه غير قتادة بن دعامة وقد يقال هذا اني ومن حفظ حجة على من لم يحفظ ولا يرد على كلام الشاطبي لان صاحب الكشاف متقدم عليه ولد سنة تسع ومائتين ومات ببلده ليلة الاثنين الثالثة عشر من رجب سنة تسع وسبعين وقيل تسع وثمانين ومائتين ﴿و﴾ الامام الحافظ ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب ﴿النسائي﴾ نسبة الى نساء مدينة بخراسان ولد سنة اربع او خمس عشرة ومائتين رحل واجتهد واتقن الى ان انفرد فقها وحديثا وحفظا واتقانا حتى قال الذهبي انا احفظ من مسلم وكان متبسطا في المأكل كثير النساء مع كثرة التعبد دخل دمشق فذكر

اليوم في كل ليلة غلاما بعشرة ارغفة فجاء غلام الراهب بالخبز على عادته فمر ذلك الرجل العاصي بديره وأخذ رغيفا فبقي رجل منهم لم يأخذ شيأ فقال الرغيف فقال الغلام قد فرقت عليكم العشرة فقال أبيت طاويا وأبكي الرجل العاصي ويزايل الرغيف اضعاف ما هو فقال لنفسه أنا أحق ان أبيت طاويا لاني عاص وهذا مطيع فنام فاشتد به الجوع حتى أشرف على (١٤٧) الهلاك فامر الله ملك الموت فقبض روحه

فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة هذا رجل فر من ذنبه وجاء طائعا وقالت ملائكة العذاب بل هو عاص فاوحى الله اليهما ان زنوا عبادة سبعين سنة بمعصية السبع ليال فوزنوها فرجحت المعصية على عبادة السبعين فاوحى الله تعالى اليهم أن زنوا معصية السبع ليال بالرغيف الذي آثر به على نفسه فوزنوا ذلك فرجح الرغيف فتوفته ملائكة الرحمة وقبل الله توبته (قوله صلى الله عليه وسلم والصبر ضياء) اي حبس النفس على العبادات ومشاقها والمصائب وحرارتها وعن المنهيات والشهوات ولذتها وأفضل انواعه الاخير فالاول لخبر ابن ابي الدنيا ان الصبر على المصيبة يكتب للعبد به ثلثمائة درجة وان الصبر على الطاعة يكتب للعبد به ستمائة درجة وان الصبر على المعاصي يكتب له به تسعمائة درجة وقوله ضياء اي ان صاحبه لا يزال مستضيئا بنور الحق على سلوك سبيل الهداية والتوفيق مستمرا في مضايق اضطراب الآراء على تحري الصواب لما عنده من ضياء المعارف والتحقيق * قال موسى عليه السلام إلهي اي منازل الجنة احب اليك قال حظيرة القدس قال من يسكنها قال اصحاب المصائب قال يارب من هم قال الذين اذا ابتليتهم صبروا واذا انعمت عليهم شكروا واذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون (قوله صلى الله عليه

فضل علي رضي الله عنه فقيل له لم ما كنت ان يذهب رأسا برأس حتى تذكر له فضائل فرضي في حصتيه باحد المهملة أي جنبيه حتى أشرف على الموت فاخرج فاما الى الرملة أو فلسطين سنة ثلاث وثمانية وحمل المقدس أو مكة فدفن بين الصفا والمروة ﴿ وقال الترمذي حديث حسن صحيح ﴾ استشكل الجمع بينهما مع ما بينهما من التضاد فان راوي الصحيح يشترط فيه ان يكون موصوفا بالضبط الكامل وراوي الحسن لا يشترط فيه ان يبلغ تلك الدرجة وان كان ليس عاريا عن الضبط في الجملة وأجيب بان ما قيل فيه ذلك ان كان له اسنادان كان وصفه بالحسن من جهة أحدهما وبصحته من جهة الآخر وحينئذ فما قيل فيه أنه حسن صحيح أقوى مما قيل فيه صحيح لان كثرة الطرق تقويه وان كان له اسناد واحد كان وصفه بهما من حيث تردد أئمة الحديث في حال ناقله لان ذلك يحمل المجتهد على أنه لا يصفه بواحد الوصفين بل يقول حسن أي باعتبار وصف ناقله عند قوم صحيح باعتبار وصفه عند آخرين وغايته ما فيه انه حذف منه حرف التردد لان حقه أن يقول حسن أو صحيح وعلى هذ فما قيل فيه صحيح دون ما قيل فيه صحيح لان الجزم أقوى من التردد

الحديث الثاني عشر

﴿عن أبي عمرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حسن﴾ انما أتى بلفظ حسن ولم يقل من اسلام الخ للاشارة الى أنه لا عبرة بصور الاعمال فصلا وتركا الا اذا اتصفت بالحسن بان توفرت شروط تكملانها فضلا عن مصححاتها وقيل ان ترك مالا يعني ليس هو الاسلام ولا جزأه بل صفته وحسنه وصفة الشيء ليس ذاته ولا جزأه لان الاسلام لغة الانقياد وشرعا الاركان الخمسة فهو كالجسم وترك مالا يعني كالشكل واللون له ذكره بعض الشارحين * فان قيل لم قال من حسن على التبعيض ولم يقل حسن * فالجواب ان ترك مالا يعني ليس هو كل حسن الاسلام بل بعضه وانما جميع حسن الاسلام ترك مالا يعني وفعل ما يعني فاذا فعل ما يعنيه وترك مالا يعنيه فقد كمل حسن اسلامه وعلى هذا فمن للتبعيض وقال بعضهم يجوز كونها للبيان ﴿ اسلام المرء ﴾ آثره على الايمان لان الاسلام هو الذي يظهر اذ هو الاعمال الظاهرة التي يتاتى فيها الترك والفعل اختيارا ﴿ تركه ﴾ مصدر مضاف لفاعله ﴿ ما ﴾ أي شيأ أعم من أن يكون قولا أو فعلا ﴿ لا يعنيه ﴾ بفتح أوله قال ابن عبد البر وهذا من جوامع الكلم الذي لم يقله احد قبله والله أعلم وأما ما روي في صحف ابراهيم عليه الصلاة والسلام من عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه فهذا على تقدير صحته خاص بالكلام وأما تركه مالا يعنيه فهو أعم من الكلام مع ان لفظه أبلغ وأوجز ومالا يعنيه هو مالا تدعو الحاجة اليه وهو الفضول كله على اختلاف انواعه من اللعب والهزل وكل ما يخل بالمروءة والتوسع في الدنيا وطلب المناصب والرياسة وحب الحمدة ونحو ذلك مما لا يعود عليه منه نفع أخروي فانه ضياع الوقت النفيس الذي لا يمكن أن يعوض فانه فيما لم يخلق لاجله والذي يعنيه من الامور ما يتعلق بضرورة حياته في معاشه مما يشينه من جوع وعري ومن

وسلم والقرآن) وهو الكلام المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته المعجز بأقصر سورة منه (سيسئلك) اى فى تلك المواقف التى تسأل فيها عنه كالقبر والميزان وعقبات الصراط إن امتثلت جميع أوامره واجتنبت جميع نواهيه وعملت بما فيه من معالى الاخلاق وشرائف الاعمال (أو صيحة عليك) فى تلك المواقف (١٤٨) إن اعرضت عن القيام بما هو من واجب حقوقى قال بعض السلف ما جالس رجل

القرآن فقام عنه إلا بزيادة أو نقصان يرى أحدهما أما النقصان فبدل قوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه صلى الله عليه وسلم قال يمثل القرآن يوم القيامة رجلا فيؤتى بالرجل قد حمله فخالف أمره فيمثل له خصما فيقول يارب قد حملته إياى فبئس حامل تعدى حدودى وضيع فرائضى وركب معصيتى وترك طاعتى فما يزال يقذف عليه بالحجج حتى يقال شأنك به فيأخذ بيده فما يرسله حتى يلزمه جلد الاستبرق و يعقد عليه تاج الملك و يسقيه كأس الخمر (قوله صلى الله عليه وسلم كل الناس يغدو) اى يصبح ساعيا فى تحصيل اغراضه مسرعا فى طلب نيل مقاصده (فبائع نفسه) من الله تعالى ببذلها فيما يخلصها من سخطه وأليم عقابه متوجها بقلبه وقالبه الى الآخرة وأعمالها معرضا عن زخارف الدنيا متعبدا بآداب الشرع قولا وفعلا ممتثلا واجتنابا (فمعتقها) من رق الخطايا والمخالفات ومن سخط الله وأليم عقابه (أو موبقها) اى او بائع نفسه من البطالة ببذلها فيما يرديها

عطاش ويستروح رائحة ريحه ونحو ذلك مما يدفع الضرورة دون ما فيه التلذذ والتنعم وسلامته فى معاده من الاخلاق وقال الشيخ يوسف بن عمر الا يعنيه هو ما يخاف فيه فوات الاجر والذى يعنيه هو الذى لا يخاف فيه فوات ذلك وقيل ما يعنيه ما يعود عليه منه منفعة لدينه أو لدنياه الموصلة لآخرته وما لا يعنيه عكسه وهو ما لا يعود عليه منه منفعة لدينه أو لدنياه الموصلة لآخرته ولعله احتراز بذلك عن دنيا تقطعه وتفسد آخرته وفى الحديث اشارة الى أن الشىء اما ان يعنى أولا وعلى كل اما ان يتركه أو يفعله فالاقسام أربعة فعل ما يعنى وترك ما لا يعنى وهما حسنان وترك ما يعنى وفعل ما لا يعنى وهما قبيحان * فان قلت اسناد الاعتناء الى المرء يقتضى ان كل ما لا يعتنى به مطلوب تركه ولو كان موافقا للشرع فالجواب أنه لما كان المراد الكامل لا يعتنى الا بما يعتنى به الشارع أسند الاعتناء اليه نظرا لكماله أو ان المراد بقوله ما لا يعنيه ما لا يطلب الشارع الاعتناء به * وقد قال مالك بن دينار اذا رأيت قساوة فى قلبك ووهنا فى بدنك وحرمانا فى رزقك فاعلم بأنك تكلمت بما لا يعنيك فكلام الشخص فيما لا يعنيه يقسى القلب ويوهن البدن ويسبب أسباب الرزق * وقال عمر بن الخطاب رجلا فقال له لا تتكلم فيما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك الا الامين ولا أمين الا من يخشى الله ولا تمش مع الفاجر فيعلمك من فجوره ولا تطلعه على سرك ولا تشاور فى أمورك الا الذين يخشون الله عز وجل * وقال رجل للاحنف بن قيس بم سدت قومك وأراد تنقيصه وعيبه فقال الاحنف بتركى من أمرك ما لا يعنينى كما عنانك من امرى ما لا يعنيك * وروى أبو عبيدة عن الحسن انه قال من علامة اعراض الله عن العبد ان يجعل شغله فيما لا يعنيه * وسئل لقمان الحكيم أى عملك أوثق فى نفسك قال ترك ما لا يعنينى * وروى أن رجلا وقف عليه وهو يتكلم بالحكمة فقال ألست عبد بنى فلان وفى رواية ألست عبد فلان الراعى قال بلى لانه كان عبدا حبشيا وما قيل انه ولادة وبيان لم يثبت وكان يرعى الغنم قال فما الذى بلغ بك الى ما أرى قال قدر الله وصدق الحديث وترك ما لا يعنينى وفى الموطا بلغنى أنه قيل له ما بلغ بك ما نرى يريدون الفضل قال صدق الحديث وأداء الامانة وترك ما لا يعنينى وقيل له كيف أصبحت قال كيف أصبح من كانت نفسه بيد غيره ولبعضهم

لعمرك ما شىء علمت مكانه * أحق بسجن من لسان مقال
على قيسك مما ليس ينفك قوله * بقفل شديد حينما كنت اقفل

وقال أنس استشهد منا غلام يوم أحد فوجد على بطنه صخرة من الجوع فمسحت أمه التراب عن وجهه وقالت هنيئا لك الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا يعنيه و يبخل بما يعنيه ومن كلام بعض السلف من سأل عما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه * ومر حسان بن أبى سنان بغرقد فقال لمن بنيت هذه ثم اقبل على نفسه فقال تسأل عما لا يعنيك لا عافينك بصوم سنة فصامها وعن يوسف بن عبيد ترك كلمة فيما لا يعني افضل من الصوم يوما وقال بعضهم

فهو حينئذ موبقها أي مهلكها فيما أوقعها فيه من العذاب ﴿ولنختم مجلسنا هذا بذكر فوائد الأولى﴾ روى الطبراني وابن السني من قال إذا أصبح سبحان الله وبحمده مائة مرة فقد اشترى نفسه من الله وكان من آخر يومه عتيقا من النار ﴿الفائدة الثانية﴾ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر بها يوم فقد أدى شكر يومه ومن قالها حين يمسي فقد أدى شكر ليلته رواه أبو داود والنسائي ﴿الفائدة الثالثة﴾ روى ابن السني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر بها يوم حتى يمسي ومن قالها حين يمسي حتى يصبح فقد أدى شكر يومه وليلته

مر ابراهيم الخليل فرأى عبدا في الهواء متعبدا فقال له يم نلت هذه المنزلة من الله تعالى قال بأمر يسير قطعت نفسي عن الدنيا ولم أتكلم فيما لا يعنيني ونظرت فيما أمرني فعملت به وقمعتها في عنه فانتهت فانا ان سألته أعطاني وان دعوته أجابني وان أقسمت عليه أبر قسمي سأله ان يسكنني الهواء فأسكنني وعن وهب بن منبه قال كان في بني اسرائيل رجلان بلغت بهما عبادتهما الى ان مشيا على الماء فبينما يمشيان على البحر اذ مر بهما رجل يمشي في الهواء فقالا له يا عبد الله بأي شيء أدركت هذه المنزلة قال بيسير من الدنيا قطعت نفسي عن الشهوات وكففت لساني عما لا يعنيني ورغبت فيما دعاني اليه ولزمت الصمت فان أقسمت على الله أبر قسمي وان سألته أعطاني وقوله من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه مبتدأ ﴿حديث حسن﴾ من طريق صحيح من أخر ﴿رواه الترمذي﴾ في جامعه ﴿وغيره﴾ كابن ماجه ﴿هكذا﴾ أي موصولا ورواه غيرهما مرسلا والاتصال يقدم على الارسال وهو أصل كبير في تأديب النفس وتهذيبها عن الرذائل والنقائص وترك ما لا جدوى فيه ولا نفع وهو من جوامع كلمه المختصة به صلى الله عليه وسلم

﴿الحديث الثالث عشر﴾

﴿عن أبي حمزة﴾ بمهملة فزاي كناه بذلك النبي صلى الله عليه وسلم لما روي عنه انه قال كنا في النبي صلى الله عليه وسلم بقلة كنت اجتنيتها قال الازهري البقلة التي تكنى بها أنس كان في طسمها لذع فسميت حمزة بفعلها يقال رمانة حامزة أي فيها حموضة ومنه حديث عمر انه شرب شرابا فوجد حمازة أي لذع وحدة او حموضة ﴿انس بن مالك﴾ بن النضر بالنون والضاد المعجمة الساكنة ابن ضمضم بفتح المعجمين ابن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بفتح الغين المعجمة وسكون النون ابن عدي ابن النجار الانصاري الخزرجي وأمه أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام واختلفوا في اسمها فقيل سهلة وقيل رميثة وقيل مليكة وقيل انيفة تزوجها مالك بن النضر فولدت له انس بن مالك ثم قتل فخطبها ابو طلحة قبل ان يسلم فقالت أما اني فيك لراغبة ومثلك لا يرد ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة فان تسلم فذاك مهري لا اسألك غيره فأسلم ابو طلحة وتزوجها قال ثابت فما سمعنا بمهر قط كان أكرم من مهرها سليم وهو الاسلام ﴿خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾ لان أمه ذهبت به الى النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وقالت له هذا غلام يخدمك فقبله وكان له حينئذ تسع سنين ويقال ثمان ويقال عشر قال انس فخدمته عشر سنين ويروى تسع سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء تركته لم تركته وكنت واقفا اصب الماء على يديه فرفع رأسه وقال الا أعلمك ثلاث خصال تنتفع بها فقلت بل بابي وأمي انت يا رسول الله فقال متى لقيت من امتي أحدا فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين وقالت امه يوما يا رسول الله خويدمك ادع الله له فقال اللهم أكثر ماله وولده وأطل

عمره واجعله في تفسير التسبيح اخرج الطبراني في الاوسط والضرائطي وابن مردويه وبه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح سبحان الله وبحمده الف مرة فقد اشترى نفسه من الله وكان آخر يومه عتيق الله قال وهذه فائدة عظيمة ينبغي ان يحافظ عليها وغنيمة جسيمة يبادر الى الاعتناء بها والمداومة عليها قال ويشهد لها ما يرد اول السيادة الصوفية من قول لا اله الا الله سبعين الف مرة ويذكرون ان الله تعالى يعتق بها رقبة من يقولها

ويشترى بها نفسه من النار ويحافظون على فعلها لانفسهم ولمن مات من اهاليهم واخوانهم وقد ذكرها الامام اليافعي والعارف الكبير المحيوى بن عربي واوصى بالمحافظة عليها وذكروا انه قد ورد فيها خبر نبوي * وحكوا ان شابا صالحا كان من أهل الكشف مات أمه فصاح وبكى وصخر منشيا عليه ثم (١٥٠) سئل عن سبب ذلك فذكر انه رأى أمه في النار وكان بعض المشايخ من السادة حاضرا

وكان قد قال هذه السبعين ألفا وأراد ان يعدها لنفسه فقال في نفسه عند ما سمع قول الشاب المذكور اللهم انك تعلم اني ما قلت هذه السبعين ألف تهليلة وأريد ان ادخرها لنفسي واشهدك اني قد اشتريت بها أم هذا الشاب من النار فما أتم الوارد الا وتبسم الشاب ومر مسرورا عظيما وقال الحمد لله الذي اراني أمي قد خرجت من النار وأمر بها الى الجنة قال الشيخ المذكور فحصل لي فائدتان صدق الخبر المذكور وصحته وصدق كشف هذا الشاب قال الشيخ نجم الدين رحمه الله تعالى لكن الحديث المذكور قال بعض المشايخ لم يرد به سند فيما اعلم قال وقد وقفت على صورة سؤال للحافظ ابن حجر رحمه الله عن هذا الحديث وهو من قال لا اله الا الله سبعين ألفا فقد اشترى نفسه من الله هل هو حديث صحيح او حسن او ضعيف وصورة جوابه

عمره واغفر ذنبه ويروى بدل الاخير وأدخله الجنة * قال أنس فلقد رزقت من صلبي سوى ولدي مائة وخمسة وعشرين أعرف منهم ذكورا ولم يرزق الا ابنين على ما قيل وان بستاني لتثمر في السنة مرتين وفيه ريحان يجيء منه ريح المسك ولقد بقيت حتى سئمت الحياة وأنا ارجو الرابعة وكان يصلي فيطيل القيام حتى تقطر قدماه دما وشكا له قيم عطش أرضه فتوضأ وخرج الى البرية وصلى ركعتين ودعا فسارت سحابة حتى غشيت أرضه ومطرت حتى ملأ منها فارسل غلامه وقال انظر اين بلغت هذه فنظر فاذا هي لم تعد ارضه * وفي رواية لم تعدها الا يسيرا وذلك في الصيف وكان اذا ختم القرآن جمع ولده واهل بيته ودعا لهم * وكان أبو غالب البناء قال لم أر احدا كان أضبط بكلامه من أنس بن مالك وخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم الى بدر وانما لم يعد من البدريين لانه لم يكن في سن من يقاتل وغزا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثمان غزوات واستمر في خدمة النبي صلى الله عليه وسلم الى ان توفي وهو عنه راض فاقام بالمدينة وشهد الفتوح ثم قطن بالبصرة ومات بها سنة تسع أو احدى او اثنتين او ثلاث وتسعين ورجحه المؤلف زمن الحجاج وهو ابن تسع وتسعين أو مائة وسنة او ثلاث سنين او عشر سنين او سبع سنين او عشرين سنة وأوصى ثابتا البناني أن يجعل تحت لسانه شعرة كانت عنده من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل وغسله محمد بن سيرين ودفن في قصره على فرسخين وقيل فرسخ ونصف من البصرة وهو آخر من مات من الصحابة بها وأما آخر الصحابة موتا مطلقا فهو عامر بن واثلة الليثي روى لانس ألفان ومائتا حديث وستة وثمانون اتفقا منها على مائة وثمانية وستين وانفرد البخاري بثلاثة وثمانين ومسلم باحد وسبعين ﴿ انه صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم ﴾ وفي رواية الا صيلي لا يؤمن أحد وفي رواية ابن عساكر لا يؤمن عبد وفي رواية لمسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لاخيه او لجاره على الشك وفي رواية أبي نعيم لا يؤمن عبد حتى يحب لاخيه ولجاره بلا شك وذكر الجار مع دخوله فيما قبله لشدة الاعتناء به لخبر ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه وعلى كل لا يؤمن ايمانا كاملا والا فاصل الايمان حاصل بدون ذلك لان من لم يتصف بهذه الصفة لا يكون كافرا وفي رواية للامام أحمد وابن حبان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغ عبد حقيقة الايمان اى كماله وقد مر في حديث جبريل ان الايمان هو التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر ولم يذكر حب الانسان لاخيه ما يحب لنفسه فدل على انه من كمال الايمان لا من أجزائه بحيث تختل ذاته بعدمه ونفي اسم الشيء على معنى نفي الكمال عنه شائع مستفيض في كلامهم كقولهم فلان ليس بانسان فان قلت اذا كان المراد نفي كمال الايمان لزم ان يكون من حصلت له هذه الخصلة مؤمنا كاملا وان لم يات ببقية الاركان * فالجواب ان هذا ورد مورد المبالغة في تحصيل هذه الخصلة المحمودة حتى كان ذلك المحل تركنه الاعظم نحو لا صلاة الا بطهور وهو ومستلزمها اذ يستفاد من قوله لاخيه المسلم ملاحظة بقية صفات المسلم وأضاف احدا المنفي للعموم لضمير الذكور نظرا للغالب والا

أما الحديث المذكور فليس بصحيح ولا حسن ولا ضعيف بل هو باطل موضوع لا تحل روايته فالاثاث

الامقرونا ببيان حاله اه قال الشيخ نجم الدين رحمه الله تعالى لكن ينبغي للشخص ان يفعلها اقتداء بالسادة الصوفية واقتداء بقول من أوصى بها وتبركا بافعالهم وقد ذكرها الشيخ الولي العارف سيدي محمد بن عراق نفعنا الله ببركاته في بعض سفينا له المؤلفة قال وكان شيخنا يامر بها وذكر أن بعض اخوانه ذكر له ان بعض الصلحاء كانت له سبحة عددها ألف وكان يديرها سبعين مرة من بعد صلاة

الصبيح الى طلوع الشمس قال وهذه كرامة له من الله تعالى فنسأل الله تعالى أن يمن علينا بذلك وان يلحقنا بعباده الصالحين فاغتنموا هذه الفوائد هنيئا لاصحاب شيخ الوري ولاناس أصحاب أخياره أولئك فازوا بذكيره ونحن سعدنا بذكاره وهم سبقونا الى نصره وها نحن أتباع أنصاره ولما حرمنا لقاءه عكفنا على حفظ آثاره * عسى الله يجمعنا كلنا

* برحمته معه في داره

﴿ المجلس الرابع والعشرون في الحديث الرابع والعشرين ﴾ الحمد لله الذي نطقت بوحدانيته عجائب مصنوعاته وأطبقت على صمدانيته غرائب مبتدعاته وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وزاده فضلا وشرفا لديه وعلى آله وصحبه أجمعين آمين ﴿ عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه أنه قال ياعبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ياعبادي كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني أهدكم ياعبادي كلكم جائع الا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم ياعبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني أكسكم ياعبادي انكم تخطئون بالليل والنهار وانا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم ياعبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيا ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيا ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فاعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي الا كما ينقص المخيط اذا دخل البحر ياعبادي انما هي اعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيرا

﴿ المجلس الرابع والعشرون في الحديث الرابع والعشرين ﴾ الحمد لله الذي نطقت بوحدانيته عجائب مصنوعاته وأطبقت على صمدانيته غرائب مبتدعاته وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وزاده فضلا وشرفا لديه وعلى آله وصحبه أجمعين آمين ﴿ عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه أنه قال ياعبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ياعبادي كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني أهدكم ياعبادي كلكم جائع الا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم ياعبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني أكسكم ياعبادي انكم تخطئون بالليل والنهار وانا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم ياعبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيا ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيا ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فاعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي الا كما ينقص المخيط اذا دخل البحر ياعبادي انما هي اعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيرا

قالا نات كذلك والضمير راجع لامة الاجابة ﴿ حتى يحب ﴾ بالنصب لان حتى هنا جارة لا عاطفة ولا ابتدائية وأن بعدها مضمرة والرفع بجعلها عاطفة يفسد المعنى اذ عدم الايمان ليس سببا للمحبة وقوله يحب المحبة الميل الى ما يوافق الحب ثم الميل قد يكون بما يستلذ بحواسه كحسن الصورة وبما يستلذ بعقله اما لذاته كالفضل والكمال واما لاحسانه كجلب نفع أو دفع ضر ﴿ لاخيه ﴾ اى كل أخ في الاسلام من غير أن يخص بمحبته أحدا دون أحد بشهادة أنما المؤمنون اخوة والاضافة فان اضافة المفرد تفيد العموم ووقع في رواية الاسماعيلي حتى يحب لاخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير والظاهر ان التعبير بالاخ المسلم جرى على الغالب لانه ينبغي لكل مسلم أن يحب للكافر الاسلام وما يتفرع عليه من الكمالات وقال ابن العماد الاولى أن يحمل على عموم الاخوة حتى يشمل الكافر والمسلم فيحب لاخيه الكافر ما يحب لنفسه من دخوله في الاسلام كما يحب لاخيه المسلم الدوام عليه ولذلك ندب الدعاء له بالهداية اه ﴿ ما يحب لنفسه ﴾ من الطاعات والمباحات الدنيوية وسواء كان ذلك في الامور الحسية كالغنى أو المعنوية كالعلم فيكون معه كالنفس الواحدة كما حث صلى الله عليه وسلم على ذلك بقوله في الحديث الصحيح أيضا المؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وقال ابن عباس رضي الله عنهما اني لامر على الآية من كتاب الله تعالى فاود ان الناس علموا منها ما أعلم وكان عبادة اذا أراد ان يفطر قال لبعض اخوانه المطلعين على عمله اخرج بنا نمرة فيكون لك مثل أجري قال ابن بطال وغيره المحبة على ثلاثة أقسام محبة اجلال وتعظيم كمحبة الوالد ومحبة شفقة ورحمة كمحبة الولد ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر الناس اه واللام تدل على ان المراد الخير والمنفعة اذ هي للاختصاص بالمنافع وكذا محبته لنفسه تدل عليه اذ لا يحب لنفسه الا الخير وقد تقدم التصريح به في رواية الاسماعيلي فاندفع قول بعضهم هذا عام مخصوص فان الانسان يحب لنفسه وطء حليلته ولا يجوز ان يحبه لاخيه حال كونها في عصمته فانه محرم عليه وليس له ان يحب لنفسه فعل محرم عليه وقوله لنفسه أي مثل ما يحب لنفسه لا عينه مع سلبه عنه ولا مع قيامه بمحله اذ قيام الجوهر او العرض بمحلين محال وهو مسار لقول بعضهم من جهة لا يزاحمه فيها قال البيضاوي والمراد المحبة من جهة العقل وان كان على خلاف هوى النفس كالمريض يعاف الدواء بطبعه فينفر منه ويميل اليه بمقتضى عقله فيهوي تناوله لما يعلم ان صلاحه فيه وقال عياض كبعضهم ظاهر الحديث طلب المساواة وحقيقته تستلزم التفضيل لان كل واحد يحب أن يكون أفضل الناس فاذا أحب لاخيه مثله دخل هو في جملة المفضولين وتعقبه الحافظ ابن حجر بان المراد الزجر عن هذه الارادة والحث على التواضع فلا يحب ان يكون أفضل من غيره لتربي عليه مزية ويستفاد ذلك من قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين فهو مستلزم للمساواة قال الكرماني ومن الايمان أن يبغض لاخيه ما يبغض لنفسه من الشر ولم يذكره لان حب الشيء مستلزم لبغض نقيضه فترك النص عليه اه

ومن ثم قيل للاحنف عن اسلمت ولم قال من تقي قيل له وكيف ذلك قال كنت اذا كرهت شيأ من غيري لا أفعله بأحد مثله وقال السري وقع ببغداد حريق فاستقبلني رجل وقال لي ايها التوتك فقلت لبيك لبيك فقلها وأنا نائم حيث اردت نفسي دفع الضرر عن المسلمين ولي ثلاثون عاما أستغفر الله من ذلك (رواه البخاري ومسلم) وفي مسند الامام احمد عن يزيد بن أسد القرشي قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبحا الجنة قلت نعم قال فاصعب لا عليك ما تحب لنفسك واتق بهذا عقب السابق لان ما قبله وصف الاسلام وهذا وصف للايمان وذكر فيما قبله المطلوب تركه وذكر في هذا المطلوب فعله واما الايثار وهو تقديم الغير على النفس فهو أمر عظيم مدح الله اهله في كتابه العزيز بقوله ويؤثرون على أنفسهم وسبب نزولها ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال جاء رجل بنت قيس الى رسول صلى الله عليه وسلم فقال اني مجهود فارسل الى بعض نسائه فقالت والذي بعثك بالحق ما عندنا الا الماء ثم أرسل الى اخرى فقالت مثل ذلك ثم قلن كلهن مثل ذلك ما عندنا الا الماء فقال من يضيف هذا الليلة فقام رجل من الانصار يقال له أبو طلحة فقال أنا يا رسول الله فانطلق به الى رحله فقال لامرأته هل عندك شيء فقالت لا الا قوت صبياني قال فعلليهم بشيء فاذا دخل ضيفنا فاطفئي السراج وريه اي الاطفال وقدمي الضيف ما عندك ففعلت وأطفأ السراج فجعلا يريانه انهما يأكلان معه فنزل قوله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة الى قوله فاولئك هم المفلحون فلما أصبح غدا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد عجب الله من صنيعكما الليلة بضيفكما فان قلت اذا لم يكن ثم عندها الا قوت الصبيان وهو يدل على ان الصبيان كانوا جياعا فكيف ساغ لهم ايهامهم طاويين فالجواب ان الصبيان لم تشتد حاجتهم للاكل وانما خشيا أن الطعام لو جيء به للضيف وهم مستيقظون لا يتركون الاكل منه ولو كانوا شباعا على عادة الصبيان فيشوشون على الضيف وروى الحسن ان رجلا أصبح صائما على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أمسى لم يجد ما يفطر عليه الا الماء فشرب ثم اصبح صائما فلما كان اليوم الثالث اجهده الجوع فقطن به رجل من الانصار فلما أمسى اتى به الى منزله وقال لامرأته هل عندكم من طعام فقال أهله عندنا من الطعام ما يشبع الواحد وكانا صائمين ولهما صبية فقال لزوجته اذا دخل الضيف فنومي الصبية قبل العشاء واطفيء السراج واظهر للضيف انا نأكل معه حتى يشبع ففعلت بزيد ووضعته ودنت من السراج كانها تريد ان تصلحه فاطفأته فلما أصبح الضيف غدا الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وقال ابن عمر اهدى لرجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم راس شاة فقال ان اخي فلانا وعياله احوج الى هذه منا فبعثه اليهم فلم يزل يبعث به واحدا الى آخر حتى تداولها سبع ابيات حتى رجعت الى الاول وتقدم ذكر قصة ابن عمر لما اشتهى عنقودا من العنب وروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اختار بعمالة دينار فجعلها في صرة ثم قال للغلام اذهب بها الى ابي عبيدة بن الجراح ثم تلكأ ساعة في البيت حتى تنظر ما يصنع بها فذهب بها الغلام اليه فقال يقول لك امير المؤمنين اجعل هذه في

بقاؤها الاحرار والارقاء
من الذكور والاناث
بما ما قال ابو علي الدقاق
ليس المؤمن بمنافق اشرف
ولا انعم من العبودية وقيل
يا قوم قلبي عند اسمائي
يعرفه السامع والراني
لا تدعني الا بيا عبدها
فانه اشرف اسمائي
واقوال العلماء في العبد
والعبودية كثيرة وكل
واحد تكلم بلسان قاله
على قدر مقامه فقال ابن
عطاء العبد الذي لا ملك
له وقال رويم يتحقق العبد
بالعبودية اذا سلم القياد من
نفسه الى ربه وتبرأ من
حوله وقوته وعلم ان الكل
لله وما احسن ما قيل في هذا
المعنى
وصكنت خدي اعتاب
الوصل منهم
فلما أتاني السلم وارتفع الجهل
تيقنت ان العبد لا طالبا له
فان قربوا فضل وان
ابعدوا عدل
وان أظهروا لم يظهروا
غير وصفهم
وان ستروا فالستر من
اجلهم يحلو

(قوله اني حرمت الظلم) هو وضع الشيء في غير محله (على نفسي) وذلك لاستحالته عليه تعالى اذ هو التصرف في حق الغير بغير حق أو مجاوزة الحد بعض وكلاهما محال عليه اذ لا ملك ولا حق لاحد معه بل هو الذي خلق الملك والملكين واملاكهم وتفضل عليهم بها وحد لهم الحدود وحرم وأمر فلا حاكم يعقبه ولا حق يترتب عليه قال تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة (قوله وجعلته بينكم محرما) اي حكمت عليكم بتحريمه وهذا مجمع عليه في كل ملة لاتفاق سائر الملل على مراعاة حفظ النفس والانساب والاعراض والعقول والاموال والظلم قد يقع في هذه

كلها أو بعضها وأعلاه الشرك قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم وهو المراد بالظلم في أكثر الآيات قال تعالى والكافرون هم الظالمون ثم قليه المعاصي على اختلاف أنواعها * وروى الشيخان الظلم ظلمات يوم القيامة وروياً أيضا ان الله تعالى يملي للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان (١٩٥) أخذه أليم شديد وروياً أيضا من

بعض حاجتك فقال وصله الله ورحمه ثم قال يا جارية اذهبي بهذه السبحة الى فلان وبهذه الخمسة الى فلان حتى أنفذها مع رسول الغلام الى عمر فاخبره فوجده قد أعد منها لمعاذ بن جبل وقال اذهب بها الى معاذ بن جبل وقل له كان في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع بها فذهب بها اليه فقال يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك فقال رحمه الله ورصله وقال يا جارية اذهبي الى بيت فلان بكذا و بيت فلان بكذا فاظلمت امرأة معاذ وقالت نحن والله مساكين فاعطاها ما بقي في الخرقة الا دينار ان فدفع بها اليها فرجع الغلام الى عمر فاخبره بذلك فسر بذلك عمر وقال انهم اخوة بعضهم من بعض ونحوه عن عائشة في إعطاء معاوية إياها كما مر في مناقبها وقال أبو يزيد البسطامي ما غلبني أحد ما غلبني شاب من أهل اليمن قدم علينا حاجا فقال لي يا أبا يزيد ما حد الزهد عندكم فقلت اذا وجدنا أكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا كلاب باليمن عندنا فقلت له ما حد الزهد عندكم فقال اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا آثرنا * وحكي عن الحسن الانطاكي انه اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلا من الرؤساء ومعهم أرغفة محدودة لا تشبع جميعهم فكسروا الرغفان وأطفؤا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع فاذا هو بحاله لم يأكل أحد منهم شيئا إيثارا لصاحبه على نفسه والايثار بالنفس فوق الايثار بالمال فقد قال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي ومعي شيء من الماء وأنا أقول ان كان به رمق سقيته فاذا انا به فقلت أسقيك فاشار برأسه ان نعم فاذا برجل يقول آه آه فاشار الى ابن عمي ان انطلق اليه فانطلقت اليه فاذا هو هشام بن العاصي فقلت أسقيك فاشار ان نعم فسمع آخر يقول آه آه فاشار هشام ان انطلق اليه فجئته فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات ورجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات

﴿الحديث الرابع عشر﴾

﴿عن﴾ عبد الله ﴿بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل﴾ أي لا يجوز فلا ينافي وجوب القتل باحدى الثلاث الآتية لان الجائز يصدق بالواجب وفي رواية مسلم زيادة على هذا في أوله ولفظه قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والذي لا اله غيره لا يحل ﴿دم﴾ قال سيبويه أصله دمي على فعل بالتسكين لانه يجمع على دماء ودمي أي بكسر الدال في الاول وضمها في الثاني مثل ظبي وظباء ودلو ودلاء ولا يجمع على ذلك الا فعل بالتسكين وقيل أصله فعل بالتحريك وعليه قول الذاهب منه الياء ويدل عليه قولهم في تثنيته دميان وان جاء جمعه مخالفا لنظائره وهو ما قاله المبرد أو الواو لان بعض العرب يقول في تثنيته دموان وهو ما قاله غيره وعلى كل فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه ﴿امرئ﴾ يقال فيه مرء أيضا قال الله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه ومرأة امرأة ومرأة وحكي بعضهم امه يجوز مرة بفتح الراء من غير همزة وخص الذكر هنا بالذكر لشرفه واصالته وغلبة دوران الاحكام عليه والا فالانثى مثله في كذلك جريا على طريقة الاكتفاء باحد الضدين كما في سرابيل تقيكم الحر والبرد أو لانه كما قال الخراساني يشترك فيه الذكر والانثى وقوله

كانت فيه مظلمة لاخيه فليستحلله منها فانه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل ان يؤخذ لاخيه من حسناته فان لم تكن له حسنات أخذ من سيآت أخيه وطرحت عليه وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا دعوة المظلوم فانها مستجابة ﴿حكاية﴾ غار بعض الملوك على قرية فسبيها وأخذ اموال اهلها ومواشيهم ودوابهم وذلك فيوم فخرجت عجوز من بعض الدور فنظرت اليه وقالت يا ويلك من ديان يوم الدين اذا انشقت سماء عن سماء وبرز الرب لفصل القضاء فقال لها يا عجوز أما سمعت في القرآن ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها اذلة فقالت يا هذا أنسيت الآية الاخرى التي بعدها في السورة فتلك يوقهم خاوية بما ظلموا فقال الملك ردوا عليهم جميع مالهم فردوه ثم قال يا عجوز كيف الخلاص قالت لا تقنط وهو الذي يقبل التوبة عن

 عباده ﴿مهمة﴾ اعلم ان الايمان والعبادة لا يتم المقصود منها الا بسلامة الانفس والعقول والاموال التي هي اقوام فحرم الله تعالى قتل المؤمن والمعاهد بغير حق فالقتل اما ان يقصد بقطع الوجود ثم يليه الضرب والجرح وقطع الاطراف يفضي الى القتل وشرع قتل الكافر اخا ضرب لان في قتله رفع ضرر عن المؤمنين وشرع قتل الزاني المحصن زجرا عن هذه المفسدة وشرع قتل القاتل عمدا بالقصاص زجرا عن القتل وكان في القتل قصاصا تقليل القتل وهو معنى قوله عز وجل

ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون وحرم الزنا لئلا يقع الاكتفاء به فيقطع النسل فيكون بدفع الوجود وهو قريب من قطع الوجود وحرم الزنا لئلا تختلط الأنساب فينقطع التعارف والتناصر والوصلة والميراث وتكثر الغيرة بين الرجال فيقع القتل وأما

الأموال فحرم الله تناولها بغير حق مصلحة للناس لكن بعض الصور فيها أعظم من بعض فان ما ظهر منها أمكن تداركه واقتضاؤه بالسلطان أو بالدور بما أمكن التحرز منه بان يحفظ الانسان ماله فاما ما كان باختفاء وتسلط فهو أعظم كالسرقة فانه يعسر التحرز منها ولا تعرف فلا يمكن استيفاؤها وأكل مال اليتيم اذا أكله من يلي عليه كذلك واتلاف المال بشهادة الزور وأكل المال بالبين الكاذبة عند الحاكم وأكل الربا والقمار قريب من هذا فانه أكل مال مسلم بحجة باطلة لا يمكن معها الاستيفاء ثم فيه الغصب والخيانة في الوديعة ونحو ذلك وأما الاعراض فحرم الخوض فيها لئلا يؤدي الى التقاطع والتدابر وربما أدى الى القتل وحرم شرب كل مسكر فان فيه افساد العقل وهو شرط للتكاليف فصار كقطع الوجود في وقت السكر فهذه مراتب الكبائر وكلها ظلم فلهذا قال فلا تظالموا بالتشديد والاشهر التخفيف اي لا يظلم بعضكم بعضا فانه لا بد من اقتصاصه تعالى للمظلوم من ظالمه (قوله يا عبادي كلكم ضال) اي غافل عن الشرائع قبل ارسال الرسل قتل

دم امرئ مسلم كناية عن ازهاق روحه ولو لم يرق دمه كالو خنقه أو ضربه أو ناطر للغالب لان القتل اراقة الدم (مسلم) خرج به الكافر وسقط من كلام المصنف هنا ما رواه الشيخان في روايتهما بعده يشهد أن لا اله الا الله وأني رسول الله وهو صفة كاشفة واعلم ان الاصل في الدماء العصمة عقلا ونقلا أما عقلا فلان في القتل افساد الصورة الانسانية المخلوقة في أحسن تقويم والعقل يأباه وأما نقلا فقوله تعالى ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق وقوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم وقول المصطفى عليه السلام ليحذر أحدكم أن يحول بينه وبين الجنة ملء كف من دم يهريقه بغير حق وقوله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وقوله من أمن على مسلم بشطر كلمة لقي الله مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله وقوله من هدم بنيان ربه فهو ملعون أي من قتل نفسا بغير حق لان الجسم خلقه الله وركبه ثم استثنى من عدم الجواز قوله (الا باحدى) مخصال (ثلاث) فيجب القتل بها لما فيه من المصلحة العامة وهي حفظ الانساب والنفوس والاديان الا ان يعفو مستحق القصاص أو يرجع المرتد الى الاسلام وأنث أحدى ثلاث لان المراد الخصال كما تقرر وفي رواية للبخاري الا بثلاثة نفر (الثيب) اسم جنس يشمل الذكر والانثى والمراد به المحصن وهو المسلم البالغ العاقل الواطئ، أو الموطوأة وطأ مباحا في عقد نكاح لازم بانتشار وعدم منا كرة وخرج الثيب البكر فحده جلده مائة جلدة ان كان حرا ونصفها ان كان رقيقا ويغرب الذكر الحر عاما والاصح ان الحدود بمجردها كفارة وقيل لا بد من التوبة وجمع بحمل الاول على ذات الذنب والتوبة على جبرانه وقوله الثيب بالجر بدل مما قبله ولا بد فيه وفيما بعده من مضاف محذوف تقديره خصلة الثيب الزاني وقصاص النفس بالنفس وترك التارك لدينه وبدون هذا التقدير يتعذر الابدال لان الثيب وما بعده ليس انفس الخصال ويجوز رفعه على أنه خبر لمبتدأ محذوف أو مبتدأ والخبر محذوف أي وهي أو منها الثيب الخ والثاني أولى ويجوز نصبه على انه مفعول لفعل محذوف (الزاني) باثبات الياء وحذفها من باب الكبير المتعال واثباتها كما قال المصنف أشهر وعن عبد الله بن عمر أنه قال أول ما خلق الله عز وجل من الانسان فرجه فقال هذا أمانتي عندك فلا تضعها الا في حقها والمراد بحل دم المحصن الزاني انه يجب رجمه بالحجارة حتى يموت ولا يجوز قتله بغير ذلك اجماعا (والنفس) المكافئة (بالنفس) اي بقتلها عمدا عدوانا لقوله تعالى وكتبنا عليهم فيها أي التوراة ان النفس بالنفس ولما في الصحيح انه عليه الصلاة والسلام رضخ رأس اليهودي الذي رضخ رأس المرأة وخرج بالمكافئة ما اذا كان القاتل زائدا بالاسلام او الحرية فان كان زائدا بالاسلام لا يقتل لخبر البخاري لا يقتل مسلم بكافر وكذا لو كان زائدا بالحرية لمفهوم قوله تعالى الحر بالحر والعبد بالعبد ولان الرقيق مال متقوم فالتحق بسائر الاموال وخرج من قتل عبده فقتاه منقطع ويقتل الادني بالاعلى ككتابي بعبد مسلم لان زيادة الاسلام أعلى من الحرية بخلاف العكس فلا يقتل رقيق مسلم بحر كافر وخرج بالعمد الخطأ وبالعدوان (الا من هديته) اي وفقته للايمان بما جاءت به الرسل (فاستهدوني) اي اطلبوا مني الهداية بمعنى الدلالة على طريق الحق والايصال اليها معتقدين انها لا تكون الا من فضلي وبامري (اهدكم) اي انصب لكم ادلة ذلك الواضحة والحكمة في انه سبحانه وتعالى طلب منا سؤال الهداية اظهارا للافتقار والاذعان والاعلام بانه لو هداه قبل ان يسأل لربما قال انما أوتيته على علم

قتل البضعة ويقتص من الفرع الاصل لا عكسه لانه سبب في ايجاد فرعه فلا يكون فرعه سببا لاعدامه الا ان يضجعه ويذبحه أو يقرب طنه فيقتص منه حينئذ والنفس تذكر وتؤنث والقاتل عليها الغائث ﴿والتارك لدينه﴾ أي المرتد لان في اقراره على الردة خللا لنظام عقد الاسلام ولا فرق بين الرجل والمرأة عند الجمهور وقال أبو حنيفة لا تقتل المرأة اذا ارتدت كما لا تقتل نساء اهل الحرب في الحرب واستثناء القاتل والزاني من المسلم ظاهر لان الزنا والقتل لا يخرجهما عن الاسلام وأما استثناء المرتد فهو باعتبار ما كان قبل ردته بها وعلاقة الاسلام مرتبطة به بدليل انه لا يقتل حتى يستتاب ثلاثا ويقتل الزاني والقاتل ولوتا بخلاف المرتد لان التوبة في الاخير تزيل عنه وصف الكفر بخلافها في الاولين فانها لا تزيل الوصف بالزنا والقتل ﴿المفارق للجماعة﴾ تفسير للتارك لدينه فهو صفة مؤكدة لان المراد بالجماعة جماعة المسلمين وفراقهم هو الردة عن الدين والمراد المفارقة بالقلب والاعتقاد أو الفعل المكفر كالسجود للصنم لا المفارقة بالبدن الا ان ينضم له المفارقة باللسان والظاهر ان اللام في قوله لدينه وفي قوله للجماعة زائدة كما زيدت في قوله تعالى قل عسى ان يكون ردف لكم وقوله تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ونحو ذلك فان ترك وفارق يتعديان بنفسهما واسم الفاعل من الفعل المتعدي يتعدى كفعله كما ان القاصر كذلك زيدت في الفعل والا فالاصل التارك دينه المفارق الجماعة كما تقول الضارب زيدا ولا تقول الضارب لزيد وكان زيادتها لتوكيد المعنى قال الطوفي في عموم قوله التارك لدينه يقتضي انه اذا تهود نصراني أو تنصر يهودي انه يقتل لانه تارك لدينه والقائل أن يقول ان التارك لدينه مستثنى من المسلم كالزاني والقاتل وحينئذ لا يدل على ما ذكر ﴿رواه البخاري﴾ في الديات ﴿ومسلم﴾ في الحدود

الحديث الخامس عشر

﴿عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله﴾ أي ايمانا كاملا مستوجبا من عذابه لان الموقف على هذه الافعال كمال الايمان لا حقيقته أو هو على المبالغة في الاستجلاب الى هذه الافعال كما يقول القائل لولده ان كنت ابني فاطعمني ونحوه تحريضا وتهييجا له على الطاعة لا على انه بانتفاء طاعته ينتفي انه ابنه وعدل الى المضارع هنا وفيما بعده قصد الاستمرار الايمان ويجدده بتجدد أمثاله وقتا فوقتا ﴿واليوم الآخر﴾ وهو يوم القيامة سمي به لانه لا ليل بعده ولتأخره عن الدنيا وخصه بالذكر هنا دون نحو الملائكة مما ذكر معه في الحديث السابق لانه محل الجزاء على الاعمال حسنها وقبيحها ﴿فليقل﴾ اللام لام الامر ويجوز سكونها وكسرها حيث دخلت عليها الفاء او الواو وسكونها أكثر ومنه قوله تعالى فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي ﴿خيرا﴾ أي كلاما يثاب عليه ﴿او ليصمت﴾ ضبطه النووي بفتح الياء وضم الميم وقال الطوفي قد سمعناه بكسرها وهو القياس لان قياس فعل بفتح العين ماضيا يفعل بكسرها مضارعا نحو ضرب يضرب ويفعل بضم العين فيه دخيل كما في الخصائص لابن جني اه والصمت مجرد السكوت عن الكلام أي يسكت عما لا خير فيه وهو شامل

عد كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ولكنهما تحصر في اجناس متنوعة الاول الفاضلة القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه الاشارة بقوله تعالى وهديناه النجدين أي طريق الخير والشر الثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بامرنا وقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم الرابع ان يكشف لقلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هي بالوحي والالهام والمنامات الصادقة وهذا القسم يختص بنيله الانبياء والاولياء واياه عنى بقوله تعالى اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا (قوله ياعبادي كلكم جائع الا من أطعمته) وذلك لان الناس كلهم عبيد لاله لهم في الحقيقة وخزائن الرزق بيده تعالى فمن لا يطعمه بفضله بقي جائعا بعدله اذ ليس عليه اطعام أحد واما قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فالتزام منه تفضلا لا انه واجب عليه ولا يمنع نسبة الاطعام اليه تعالى ما يشاهد من ترتب الارزاق على اسبابها الظاهرة كالحرف والصنائع وانواع الاكتساب لانه تعالى المقدر لتلك الاسباب الظاهرة بقدرته وحكمته الباطنة فالجاهل محجوب بالظاهر عن الباطن والعارف الكامل لا يحجبه ظاهر

عن باطن ولا باطن عن ظاهر بل يدعو على كل مقام بمقتضاه وكل حال بوفقه ﴿ قوله فاستطعموني اطعمكم ﴾ أي سلوني واطلبوا مني الطعام ولا يشرن ذا الكثرة منكم في بدنه فانه ليس بحمود لغة بل هو المتفضل عليه فينبغي لمن سمع ذلك ان لا يغفل عن سؤال الله تعالى ادامة نعمه عليه لئلا تنفر عنه فلا تعود اليه كما قال (١٥٦) صلى الله عليه وسلم ما نفرت النعمة عن قوم فعادت اليهم وقوله اطعمكم أي اسبب لكم اسباب تحصيله لان العالم بعباده وحيوانه مفتقر الى الله تعالى طاعة العبيد لسيده فيسخر السحاب لبعض الاماكن ويحرك قلب فلان لاعطاء فلان ويخرج فلانا بفلان بوجه من الوجوه ليناله منه فما قصر فانه تعالى في هذا العالم عجيبة لمن تدبرها ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين وفيه اشارة الى تأديب الفقراء وكانه قال لهم لا تطلبوا الطعم من غيري فان من تطلبونها منهم انا الذي اطعمهم فاستطعموني اطعمكم فالعاقل من توكل علي ربه فاذا استغنى العبد بربه فكلما سأله اعطاه قال عروة بن الزبير رضي الله عنه اني لاحب الله تعالى في صلاتي في حوائجي كلها حتى ملح عجيني ﴿ وحكي ﴾ عن الاصمعي انه قال بينما انا أطوف بالكعبة واذا باعرابي جاء حتى وقف على باب الكعبة وقال يارب يارب يارب اني جائع كما ترى وذاقي جائعة كما ترى وابنتي عريانة كما ترى وحرتي محتاجة كما ترى فما ترى فما نرى لا يامن يرى ولا يرى فان لمدت يدي الى دنانير كانت معي قطعت يا سيدي خذ هذا فاستغن بما اعلى فترك قال فرماها وقال ان الذي سألناه أبسط منك يدا قال فما استتم كلامه الا ومنادا ينادي يا فلان ادرك عبدك فقد مات وخلف اربعمائة ناقة وأربعمائة ثور واربعمائة مثقال ذهب فامض اليه فخذها فانك وارثه ﴿ وحكي ﴾ عن بعضهم انه أصابه جوع شديد فتضرع الى الله سبحانه وتعالى

للصمت عن الشر وعن الكذب وعن المباح لان المباح ربما جر الى مكروه أو محرم وعلى تقدير انه لا يجر اليهما فقد يضيع الوقت فيما لا ينبغي وقد مر من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وآثر بعضهم على السكوت لانه أخص لان ذم السكوت عن القدرة وهذا امر نادر به أما السكوت عن الخوض فمحمود آناء النطق فهو الطريق أو لغير فهو الى والصمت قفل الفم كما قال عمر رضي الله عنه ولذا قيل

وكم قائل أبرأ بشر لنفسه * اذا لم يكن قال على فيه فقفل

وقيل الصمت صيام اللسان والتكلم يفطره والمرء محبوس تحت طي لسانه لانطقت طيلسانه وفي الحديث من صمت نجا * واعلم ان الانسان اما ان يتكلم أو يسكت فان تكلم فاما بخير فهو رابح أو شر فهو خسران وان سكت فاما عن شر فرابح واما عن خير فخسران فله في كلامه وسكوته ربحان يدفي تحصيلهما وخسرانان ينبغي التخلص منهما وذكر بعضهم ان الكلام أربعة اقسام ضرر محض ونفع محض وضرر ومنفعة ولا ضرر ولا منفعة فالضرر المحض لا بد من السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة ولا في المنفعة بالضرر وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران فلا يبقى الا القسم الرابع فيسقط الاربعة أرباع الكلام وفيه خطر اذا كان يجر ما فيه اثم من الرياء والتصنع ونحوهما وقال في الحديث الا انبئكم بامرين خفيفين على الله يعملهما الصمت وحسن الخلق وقال لقمان لابنه لو كان الكلام من فضة كان السكوت من ذهب وقيل من قول سليمان ومعناه كما قال ابن المبارك لو كان الكلام في طاعة الله من فضة كان السكوت عن معصية الله من ذهب وما أحسن قول بعضهم

اذا ما اضطررت الى كلمة * فدعها وباب السكوت اقصد
فلو كان نطقك من فضة * لكان سكوتك من عسجد

ولا براهيم التيمي قالوا سكوتك حرمان فقلت لهم * ما قدر الله يبقى بالنصب
ولو يكون كلامي حين انشره * من اللاجين لكان الصمت من ذهب

وهو صريح في ان الكف عن المعصية أفضل من عمل الطاعة وفي ان الصمت أفضل من الكلام لكن ذهب جماعة من السلف الى تفضيل الكلام لان نفعه متعد وعليه فقول الخير خير من الصمت والصمت خير من قول الشر وتكلم فيروز بن ذويب عند عمر بن الخطاب فقال يا فيروز فتق اللسان فسيح الصدر فاحذر عثرات اللسان وكان يقال أدنى نعم الصمت السلامة وادنى ضرر النطق الندامة وقال الاصمعي سمعت اعرابيا يقول دع من الكلام ما تعتذر منه وتكلم ما شئت وقال سفيان الصمت امان من تحريف الالفاظ وعصمة من زيغ النطق وسلامة من فضول القول وهيبة لصاحبه وقال بعض الحكماء دبر كلامك كما تدبر سهمك وارفق لا تكثر واعلم ان اللسان سنهم يخطئ ويصيب واغنم السكوت فان ادنى نعمه السلامة وان اشقى الناس من ابتلى بلسان مطلق وقلب مطبق فهو لا يحسن ان ينطق ولا يقدر ان يسكت وقال آخر من اطلق لسانه يكثر ما يزل وكان اكثر منامه حيث

قسم هاتفا يقول له تريد طعاما أو فضة فقال بل فضة وإذا بصرة بين يديه فيها أربعة آلاف درهم فضة ﴿ فائدة ﴾ ينبغي للداعي ان يتوخى الاوقات التي يستجاب فيها الدعاء لقوله صلى الله عليه وسلم ان لله نفحات فتعرضوا لنفحات الله ومن جملة ذلك الدعاء عند الاذان والاقامة والثلث الاخير من الليل وليلة الجمعة ووقت السحر وليلتي النيروز وليلة النصف من شعبان وأول ليلة من رجب وعند نظر البيت وعند نزول المطر (قوله يا عبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني أكسكم) واسألوا الله من فضله فانه يحب ان يسأل وعد بالمسألة الا يعطى وفي هذا جميعه تنبيه على افتقار سائر الخلق اليه وعجزهم عن طلب منافعهم ودفع مضارهم الا ان ييسر لهم ما ينفعهم ويدفع عنهم ما يضرهم فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ومما نقل عن حكيم نبي عليه الصلاة والسلام ابن آدم انت اسوأ بربان ظلما حيث كنت اكمل عقلا لانك تركت الحرص جنينا عقولا ورضيعا مكفولا ثم ادرعته عاقلا قد اصبت رشدك وبلغت أشدك (قوله يا عبادي انكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا) اي ما عدا الشرك ومالا يشاء مغفرته قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (قوله فاستغفروني أغفر لكم) قال صلى الله عليه وسلم لولم تذنبوا وتستغفروا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم ﴿ فائدة ﴾ في هذا من الترغيب ما يستحي منه كل مؤمن لانه اذا لمح انه تعالى خلق الليل ليطاع فيه سرا ويسلم منه عن الرياء استحى ان ينفق أوقاته الا في ذلك وان يصرف ذرة منها للمعصية كما انه يستحي بالجملة والطبع ان يصرفه شيأ من النهار حيث يراه الناس للمعصية ﴿ واتذكر طرفا من صحيح الاخبار الواردة عن النبي المختار فيفضل

لا يحسب رجل ابن الثقفي أي شيء أنفع للانسان قال عقل يولد به قيل فان فقده ذلك أو مات قال فقر قيل فان فقده ذلك قال قبر يجنه * وكان أبو بكر الصديق يحمل في فمه حجر اليمن كلاما وكذلك عمر بن الخطاب وروي ان رجلا سئل في مرض موته فقيل له أوصي فقال ان شئت حدثتك علم العلماء وحكم الحكماء وطب الاطباء في ثلاث كلمات أما علم العلماء فاذا سئلت عما لا تعلم فقل لا أعلم وأما حكم الحكماء فاذا كنت جليس قوم فكن أسكتهم فان أصابوا كنت من جملتهم وان أخطأوا سلمت من خطئهم وأما طب الاطباء فاذا أكلت طعاما فلا تقم الا ونفسك تشتهيه فانه لا يلم بجسدك غير مرض الموت وسئل ابراهيم بن الحسن عن سلامة القلب فقال بالعزلة والصمت وترك استماع خوض الناس وروي عن أبي بكر بن عياش أنه قال أربعة من الملوك تكلم كل واحد منهم بكلمة كالمهارمية من قوس واحدة قال كسرى لا أندم على ما لم أقل وقد ندمت على ما قلت وقال ملك الصين ما لم أتكلم بكلمة فانا أملكها فاذا تكلمت بها ملكتني وقال قيصر ملك الروم أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت وقال ملك الهند العجب ممن يتكلم بكلمة ان رفعت ضرته وان لم ترتفع لا تنفعه وعن لقمان الحكيم انه قال لابنه يا بني من يصحب صاحب السوء لا يسلم ومن يدخل مداخل السوء يتهم ومن لا يملك لسانه فيندم وقال أكثم بن صيفي رحمه الله

من لا يملك لسانه فرسه * فبين فكيه يكون مقتله

وقال بعض الحكماء لسان المرء ثفرة يمر على اوداجه * وقال الحسن البصري من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه عذب نفسه * وعن ثابت البناني رحمه الله انه قال بلغني ان العافية في عشرة اسهم منها في السكوت وواحدة في الفرار من الناس * قال مالك بن دينار وكان الابرار يتواصون بثلاث سجن اللسان وكثرة الاستغفار والعزلة ومن وصايا بعض الكبار اياك وكثرة الكلام فانه يظهر من عيوبك ما يطن ويعرك من عدوك ما سكن وقال يحيى البكاء ان عباد ابن عوف الناس بحفظ لسانه * وقال خارجة بن مصعب صحبت ابن عوف ما يزيد على عشرين سنة فلم اعلم ان الملائكة كتبت عليه خطيئة * وقال مخلد بن الحسين ما تكلمت بكلمة اريد أن اعتذر منها منذ خمسين سنة وكان وهب بن منبه يعد كلامه كل يوم يحفظه * وقال الفضيل بن عياض كان بعض أصحابنا يعد كلامه من الجمعة الى الجمعة * وقيل في الحكمة انما جعل للانسان لسان واحد وأذنان ليكون ما تسمع أكثر مما تقول وعن الاصمعي انه قال بلغني ان رجلا قال لآخر والله ان قلت لي واحدة لتسمعن عشرا قال لكنك لو قلت عشرا لم تسمع واحدة وانشد أبو بكر بن خلف

اذا نطق السفيه فلا تجبه * فخير من اجابته السكوت
سكتت عن السفيه فظن اني * عييت عن الجواب وما عييت
ولكني اكتسيت ثوب حلم * وجنبت السفاهة ما بقيت

الاستغفار) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني لاستغفر الله في اليوم سبعين مرة حديث صحيح حسن اخرجه الترمذي وابن السني واستغفاره صلى الله عليه وسلم لا عن ذنب بل طلبا لزيادة الترقي لان العبد كلما عد نفسه مقصرا رفعه الله اذ من تواضع لله رفعه وعن ابي هريرة (١٥٨) ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا اخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء فان هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وان عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه وهو الران الذي ذكر الله كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون حديث حسن صحيح اخرجه الحاكم * وعنه ايضا رضي الله عنه ان رسول صلى الله عليه وسلم قال ان عبدا اصاب ذنبا وقال يارب اذنبت ذنبا فاغفره فقال له ربه سبحانه وتعالى علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثم مكث ماشاء الله ثم اصاب ذنبا فقال يارب اذنبت آخر فاغفر لي قال علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب و يأخذ به قد غفرت لعبدي فليعمل ماشاء حديث صحيح اخرجه البخاري ومسلم والامام احمد وابن حبان ومعنى فليعمل ما شاء اى فانه ما دام يتوب و يستغفر فاني اغفر له فعلم ان نقض التوبة بالعود لا يمنع قبولها ثانيا وهكذا ولو بلا نهاية

وشتم رجل الاحنف بن قيس فسكت عنه فاعاد عليه وأغلظ له الاحنف ساكت فقال الرجل والهفاه ما يمنعه من جوابي الا هواني عليه * ونقل البيهقي عن ذي النون المصري انه قال العز الذي لا ذل فيه سكوتك عن السفيه عطف السفيه بيده وفيه أنشد الاصمعي

وما شيء أحب الى اللئيم * اذا شتم الكريم من الجواب
مباركة اللئيم بلا جواب * أشد على اللئيم من السباب

ومن ثم قال الاعمش جواب الاحمق السكوت والتغافل يطفئ شر الشرير ورضا المتجني غاية لا تدرك والاستعطاف عون للظفر وقيل أوحى الله الى عيسى عليه السلام اذا كنت وحدك فاحفظ قلبك واذا كنت بين الناس فاحفظ لسانك واذا كنت على المائدة فاحفظ بطنك واذا كنت على الطريق فاحفظ عينك فهذه تورث السلامة والصحة وقال الغزالي لا تبسطن لسانك فيفسدن عليك شانك * وعن علي بن أبي طالب في وصية لابنه الحسين رضي الله عنهما يا بني أمسك عليك لسانك فان اتلاف المرء في منطقه * وعن بعضهم عفة اللسان صمته فان اللسان سبع ضار فان لم توثقه عدا عليك وأنشد بعضهم

اغتنم ركعتين في ظلمة الليل اذا كنت فارغا تستريحا
واذا همت في الخوض بالبا * طل فاجعل مكانه تسبيحا
واغتنام السكوت أفضل من خو * ض وان كنت بالحديث فصيحا

واستثنى العلماء من الصمت أربعة أنواع العلم وجميع القربات والكلام مع الضيف والعروس والمسافر وأما ما تدعو الحاجة اليه من قول لقم وكل ونحو ذلك فانه خارج عن هذا * وقال سهل بن عبد الله التستري اربا لصمت والعزلة وقلة الطعام صار الابدال ابدالا ومعنى الابدال أنهم أبدلوا من الاقوال والاخلاق الذميمة أضدادها الاحميدة كالجهل بالعلم والشح بالجود والشره بالعفة والطيش بالتؤدة * وعن ذي النون المصري أحسن الناس لنفسه أملكهم للسانه * وعنه أيضا انه قال بينا انا أسير في نواحي الشام اذ وقفت الى روضة خضراء وفي وسطها شاب قائم يصلي تحت شجرة تفاح فتقدمت اليه وسلمت عليه فلم يرد علي السلام فسلمت عليه ثانيا فاوجز في صلاته ثم كتب في الارض باصبعه

منع اللسان من الكلام لانه * هدف البلاء وجالب الآفات
فاذا نطقت فكن لربك ذاكرا * لا تنسه واحمده في الحالات

قال ذو النون فبكيت طويلا وكتبت باصبعي في الارض

وما من كاتب الا سيبلى * ويفنى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شيء * يسرك في القيامة ان تراه

قال فصاح الشاب صيحة فارق الدنيا فيها فقمت لاغسله وكفنه واذا بقائل يقول خل عنه فان الله عز وجل وعد أن لا يتولى امره الا الملائكة قال ذو النون فلت الى شجرة فركعت عندها ركعتين ثم

* وعن عائشة رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اجعلني من الذين اذا احسنوا استبشروا واذا اساؤا استغفروا حديث حسن والاساءة لا تتصور منه صلى الله عليه وسلم لكن هذا على سبيل الفرض وقد يفرض غير الواقع بل هو كثير وقصده صلى الله عليه وسلم ارشادنا للدعاء بذلك لنعلم ان هذا الوصف حسن من هذا الحديث أحسن * وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

اتيت

من اكثر من الاستغفار جعل الله عز وجل له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب والمعنى انه يرزق من جهة لا يظن مجيء الرزق منها ويشهد لذلك قوله تعالى في ذات استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمدكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا والاحاديث في فضل الاستغفار كثيرة (١٥٩) وفي هذا كفاية وايانا أيها الوقف

اثبت الوضيع الذي مات فيه قلم أجد له اثرا ولا عرفت له خبرا * وقال الفضيل بن عياض من حد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه * وعن ذي النون أصون الناس لنفسه أملكهم للسانه وفي صحف ابراهيم عليه الصلاة والسلام من عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه وأنشد بعضهم

وسمعك صن من سماع القبيح * كصون اللسان عن النطق به
فانك عند سماع القبيح * شريك لقائله فانتبه

﴿وقال ابن المبارك﴾

احفظ لسانك ان اللسا * ن سريع الى المرء في قتله
وان اللسان دليل الفتى * ويدل الرجال على عقله

﴿وقال بعضهم﴾

احفظ لسانك واستعذ من شره * ان اللسان هو العدو الناقع
وزن الكلام اذا نطقت بمجلس * وزن يلوح به الصواب اللائح
فالصمت من سمة السعود بمطلع * يحمي الفتى والنطق سيء ذائع

واختلف العلماء هل يكتب كل ما يتكلم به المرء حتى المباح وهو ظاهر قوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد اولا يكتب الا ما فيه ثواب او عقاب والى هذا ذهب ابن عباس وغيره وعليه فتكون الآية مخصوصة أو ما يلفظ من قول يترتب عليه جزاء وعلى انه يكتب المباح فالذي يكتبه كاتب السيئات ﴿من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره﴾ ولفظ رواية مسلم فليحسن الى جاره بالبشر وطلاقة الوجه وكف الاذى وبذل الندى وتحمل الجفاء وغير ذلك بخبر الجار أمين على جاره فعليه أن يسدل حجابه عليه ويكف أذاه عنه اذا رأى عورة سترها وان رأى سيئة غفرها وان رأى حسنة افشاها وخير من اراد ان يحبه الله فليصدق الحديث واداء الامانة وان لا يؤذي جاره وقال بعضهم حسن الجوار في اربعة اشياء ان يواسيه باعنده وان لا يطمع فيما لجاره وأن يمنع اذاه عنه وان يصبر على اذيته وقال الحسن ليس حسن الجوار كف الاذى ولكن حسن الجوار احتمال الاذى ومن اكرامه ان لا يمنعه من غرز خشبة في جداره ينظر المتوطأ والصحيح ان لا يمنع أحدكم جاره أن يغرز خشبة في جداره يقول أبو هريرة مالي اراكم عنها معرضين والله لارمين بها بين اكتافكم يا تابعي وروي بالنون يونس بن عبد الاعلى عن أبي وهب سمعته من جماعة خشبة بلفظ الواحد الياجي قال عبد الغني كل الناس يقولون خشبه على الجمع غير الطحاوي قال التوحيد وعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه ومازال يوصيني بالنساء حتى ظننت انه سيحرم طلاقهن ومازال يوصيني بالمماليك حتى ظننت انه سيجعل لهم مدة اذا انتهوا اليها عتقوا ومازال يوصيني بالسواك حتى حسبت أن يحفى فمي وروي كادومازال يوصيني بقيام الليل حتى ظننت ان خيار أمتي لا يناموه ليلا وقد كان لمالك بن دينار جار يهودي فحول اليهودي مستحمه

على هذه الاحاديث ان تعمدها ذريعة للزلات وسببا لاكثار الخطيئات فان ذلك من حفظة موكلة في البليات واخشى من الرين فهو من اعظم النكبات (قوله يا عبادي انكم ان تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني) وذلك لانه قد قام الاجماع والبرهان على انه تعالى منزه مقدس غني بذاته لا يمكن أن يلحقه ضرر ولا نفع تعالى الله عن ذلك (قوله يا عبادي لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيأ) فيه اشارة الى ان ملكه تعالى في غاية الكمال لا يزيد بطاعة جميع الخلق ولا ينقص بمعصيتهم لانه تعالى الغني المطلق في ذاته وافعاله وصفاته فملكه كامل لا نقص فيه بوجه بل لا يتصور اكمل منه كما أشار اليه حجة الاسلام الغزالي

بقوله ليس في الامكان أبدع مما كان أي انه قد جرى في الكون فهو على أتم نظام (قوله يا عبادي لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد) أي ارض واحدة ومقام واحد (فسألوني فاعطيت كل واحد مسئلته ما نقص ذلك مما عندي الا كما ينقص المخيط) بكسر الميم وسكون الخاء وفتح الياء الابرة (اذا ادخل البحر) أي وهو في رأي العين لا ينقص من البحر شيأ فكذلك الاعطاء من الخزائن لا ينتقصها شيأ البتة اذ لا نهاية لها والنقص مما لا يتناهي محال بخلافه مما يتناهي كالبحر وان جل وعظم فكان أكبر

الى جدار البيت الذي فيه مالك وكان الجدار منهدما فكانت تدخل منه النجاسة وكان مالك ينظف البيت في كل يوم ولم يقل شيأ ولم يقم على ذلك مدة وهو جار عدل الا انه كان يهودي من كثرة صبره على هذه المشقة فقال له يا مالك آذيتك وانت صابر ولم تخبرني فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه فقدم اليهودي وأسلم وحسن اسلامه وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كم من جار يتعلق بجاره يوم القيامة يقول يارب هذا أغلق بابه دوني فمنعني معروفه وعن ابي شريح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قالوا القد خاب وخسر من هو يارسول الله قال من لا يامن جاره بوائقه أي غوائله وشروره وفي البيهقي عنه صلى الله عليه وسلم من أحب ان يحبه الله ورسوله فليصدق الحديث وليؤد الامانة ولا يؤذ جاره وروى أن رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فقال النبي صلى الله عليه وسلم كنب أذاك عنه واصبر على اذاه فكفى بالموت مفرقا وروى عن سفيان الثوري انه قال عشرة أشياء من الجفاء أو ظهار رجل او امرأة يدعو لنفسه ولا يدعو لوالديه وللمؤمنين والمؤمنات والثاني رجل يتعلم القرآن ولا يقرأ منه في كل يوم مائة آية والثالث رجل دخل المسجد وخرج ولم يصل ركعتين والرابع شخص يمر على المقابر ولم يسلم على أهلها ولم يدع لهم والخامس رجل دخل المدينة في يوم جمعة ثم خرج ولم يصل الجمعة والسادس رجل أو امرأة نزل في محلتهم رجل عالم ولم يذهب ليتعلم منه شيأ من العلم والسابع رجلان ترافقا ولم يسأل كل واحد منهما عن اسم صاحبه والثامن رجل دعاه رجل الى ضيافة فاجابه ثم لم يذهب الى الضيافة والتاسع شاب يضيع شبابه ولم يطالب العلم والادب والعاشر رجل شبعان وجاره جائع ولا يطعمه من طعامه شيأ وكان من دعائه ودعائه عليه السلام اللهم اني اسئلك اربعة واعوذ بك من أربعة فاما اللواتي أسئلك فاني أسالك لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وبدنا صابرا وزوجة تعينني في دنياي وآخرتي واما اللواتي أعوذ بك منهن فاني أعوذ بك من ولد يكون على سيدا ومن امرأة تشيبني قبل وقت المشيب ومن مال يكون عذابا لي وبالاعلى ومن جار ان رأى مني حسنة كتمها وان رأى سيئة أفشاها وكانت الجاهلية تشدد أمر الجار ومراعاته وحفظ حقه وهو راجع الى قوله تعالى والجار ذي القربى والجار الجنب قال ابن عباس وغيره الجار القريب النسيب والجنب الذي لا قرابة بينك وبينه وقيل القريب المسلم والجنب الذمي وقيل القريب القريب المسكن منك والجنب بعيده وروى البزار عن جابر مرفوعا الجيران ثلاثة جار له حق واحد وهو ادنى الجيران وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق وهو أفضل الجيران فاما الذي له حق واحد فجار مشرك له حق الجوار واما الذي له حقان فجار مسلم له حق الاسلام وحق الجوار واما الذي له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم له حق الاسلام وحق الجوار وحق الرحم ثم الجار يقع على الساكن مع غيره لقول الاعشى زوجته

الزيادات في الآن بل قد يزيد الصدأ والتكثير من النفائس ولا ينقص كالماء والعلم يقتبس منهما ما شاء الله ولا ينقص منهما شيء فعلم ان قوله مما لا ينقص الخيط اذا دخل البحر وقول الخضر لموسى عليه السلام ما نقص علمي وعلمك وعلم الخلائق من علم الله الا كما ينقص منقار هذا العصفور من هذا البحر (البحر) ايمن المرأة بهما حقيقة بهما وانما كل منهما مثل تقريبي الافهام ليعلم منه انه

كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا الحصر هنا بالنسبة لجزاء الاعمال (قوله فمن وجد خيرا) اجازتنا

أي نوفيه (فليحمد الله على توفيقه) لما ترتب عليه ذلك الجزاء والثواب آخر ج الترمذي ما من ميت يموت الا ندم قالوا وما ندامته قال ان كان محسنا ندم ان لا يكون ازداد وان كان مسيئا ندم أن لا يكون استعتب ولا يجب على الله شيء لاحد من خلقه (قوله ومن وجد غير ذلك) أي شرا ولم يذكره بلفظه تعليما لنا كهيبة الادب في النطق بالكناية عما يؤذي أو يستقبح او يستحيا من ذكره واشارة الى انه اذا

* أجارتنا بيني فانك طالقه * وعلى الملاصق وعلى أربعين دارا من كل جانب ففي البخاري في الادب المفرد من قول الحسن البصري وقد سئل عن الجار فقال أربعون دارا أمامه وأربعون دارا خلفه وأربعون عن يمينه وأربعون عن يساره ومثله للاوزاعي اه ويطلق الجار على من بالبلد مع غيره قال تعالى ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا وهذا تنبيه وهو اذا أمر باكرام الجار مع الطائل بين الانسان وبينه فبنفي له ان يراعي حق الجار الحافظين للدين ليس بينه وبينهما جدار ولا حائل فلا يؤذيهما باتباع الخطرات في مرور الساعات فقد ورد انهما يمران بوقوع الحسنات ويحزنان بوقوع السيئات فينبغي اكرامهما ورعاية جانبهما بالاكثار من عمل الطاعات والمواظبة على تجنب المعاصي فهما اولى بالاكرام من كثير من الجيران ﴿ ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ﴾ الضيف والفقير بالبشر في وجهه وبسط شيء تحته واجلاسه في صدر المجلس وطيب الحديث معه والمبادرة الى احضار ما تيسر عنده من الطعام من غير كلفة ولا اضرار اهله وفي كتاب المنتخب من الفردوس عن ابي الدرداء مرفوعا اذا اكل احدكم مع الضيف فليلقمه بيده فان فعل ذلك كتب له به عمل سنة صيام نهاره وقيام ليلها وفي حديث قيس بن سعد من اكرام الضيف انه يضع له ماء يغسل به حين يدخل المنزل ومن اكرامه أن يركبه اذا انقلب الى منزله ان كان بعيدا والضيف يطلق على الواحد والاثنين والجمع لانه مصدر قال الله تعالى ان هؤلاء ضيفي ولابن الجوزي

مات الكرام وولوا وانقضوا ومضوا * ومات من بعدهم لك الكرامات
وخلفوني في قوم ذوي بخل * لو صوروا طيف ضيف في الكرى ماتوا

وروي ان ابراهيم على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام كان يكنى ابا الضيفان وكان يمشي الميل والميلين في طلب الضيف وكان لقصره اربعة ابواب واتفق له قضيتان متعارضتان شكر في واحدة وأدب في اخرى اما الاولى ففي انه عليه السلام نزل به رجل من عبدة الاوثان فاكرمه فضجت الملائكة في السموات وقالوا يا ربنا خليلك يكرم عدوك فقال لهم انا اعلم بخليلي منكم ثم أمر جبريل فنزل وعرض عليه قول الملائكة فبكى وقال يا جبريل تعلمت من مولاي لاني رأيته يحسن الى من يسيء واما الاخرى فانه نزل به رجل من عبدة الاوثان فاستضافه فابى عليه الا ان يترك دينه فاصر فامر الله جبريل ان ينزل اليه فنزل اليه وقال له يقول لك ربك استضافك عبدي فأبيت الا ان يترك دينه وانا ارزقه ثمانين سنة على شركه وبكى ابراهيم وقام يقفو اثر الوثني الى ان لحق به فعرض عليه الرجوع فابى واخبره بسبب ذلك فقال له ابراهيم ان الله عاتبني فيك واخبره فبكى الوثني وقال يا ابراهيم أسلمت لله رب العالمين ثم ان الامر بالاكرام انما هو منوط بثلاثة أيام كما جاء مصرحا به في عدة اخبار وظاهرها وجوب الضيافة وبه قال أحمد وحملها الجمهور على انه كان في صدر الاسلام ثم نسخ فانها كانت واجبة حين كانت المواساة واجبة فكما ارتفع وجوب المواساة ارتفع وجوب الضيافة او على أهل الذمة المشروط عليهم ضيافة المارة

﴿ ٢١ - شبرخيتي ﴾

وورد هذا الحديث بزيادة على ما هنا وهو ما أخرجه الترمذي عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل يا عبادي كلكم ضال الا من هديته فاسألوني الهدى اهدكم وكلكم فقير الا من أغنيته فاسألوني أرزقكم وكلكم مذنب الا من عافيته فمن علم منكم اني ذو قدرة على المغفرة فاستغفرني غفرت له ولا أبالي ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على أتقى قلب عبد من عبادي ما زاد ذلك في ملكي جناح بعوضة ولو ان أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على أشقى قلب من عبادي ما نقص ذلك من ملكي جناح بعوضة ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا في صعيد واحد فسأل كل واحد منكم ما بلغت امنيته فاعطيت كل سائل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيا الا كما ان أحدكم مر بالبحر فغمس فيه ابرة ثم رفعها اليه وذلك لاني جواد واجد ما جد أفعل ما أريد عطائي كلام وعذابي كلام انما امري لشيء اذا اردته ان أقول له كن فيكون والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده ﴿ المجلس الخامس والعشرون ث الحديث الخامس والعشرين ﴾ الحمد لله ولا يحمد سوى الله ولا اله الا الله وسبحان الله ولا ينبغي التسبيح الا لله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وأستغفر الله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد بن

عبد الله وعلى آله وأصحابه والسادة التقات آمين ﴿عن أبي ذر رضي الله عنه قال ان ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ذهب أهل الدثور بالاجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم قال أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به ان لكم (١٢٢) بكل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة وفي بضع أحدكم صدقة قالوا يارسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر كذلك اذا وضعها في الحلال كان له أجر رواه مسلم﴾ اعلموا اخواني وفقني الله وإياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم مشتمل على قواعد الدين (قوله ذهب أهل الدثور) أي المال الكثير (بالاجور) الكثيرة وذلك لانهم (يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول اموالهم) أي بأموالهم الفاضلة عن كفاياتهم وقيدوا بذلك ايانا لفضل الصدقة فانها بغير الفاضل عن الكفاية مكروهة أو محرمة وهذا ليس حسدا بل غبطة طلبا للمنافسة فيما يتنافس به المتنافسون لشدة حرصهم على الاعمال الصالحة ولما فهم منهم النبي صلى الله عليه وسلم ذلك (قال) لهم جوابا وتطمينا لخاطرهم (أو ليس) أي ما تقولون ذلك أي لا تقولونه فانه يظهر (قد جعل الله) تعالى (لكم ما تصدقون) اي تتصدقون به (ان لكم بكل تسبيحة) أي قول سبحان الله (صدقة وكل تكبيرة) أي قول الله أكبر (صدقة وكل تهليلة) أي قول لا اله الا الله (صدقة وأمر بالمعروف) عرفه اشارة الى تقرره وثبوته وانه مألوف معهود (صدقة ونهي عن منكر) نكره اشارة الى انه في حيز المعدوم أو المجهول الذي لا الفة للنفس فيه (صدقة)

الا انها تسفل عليهم بالظلم أو في المضطرين أو مخصوص بالعمال المبعوثين لقبض الزكاة ثم ان الامر التدبي انما هو لمن عنده فاضل عن قوته وقوت عياله أما غيره فلا ضياقة عليه بل ليس له ذلك وأما خبر الانصاري الذي قد سلف في الحديث المتقدم فقد سبق الجواب عنه ﴿رواه البخاري﴾ في الادب ﴿ومسلم﴾ في باب الحث على اكرام الجار والضيف من كتاب الايمان

الحديث السادس عشر

﴿عن أبي هريرة رضي الله عنه﴾ ان رجلا اسمه وقد جزم القسطلاني في شرح البخاري بان اسمه جارية باجليم ابن قدامة كما عند أحمد وابن حبان اه ونازع فيه يحيى القطان والعجلي وغيرهما بانهم يقولون ان جارية تابعي لا صحابي وفي حديث الطبراني انه سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يارسول الله قل لي قولا لا انفع به واقلل قال لا تغضب وفي حديث له آخر أبي الدرداء قال قلت يارسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب ولك الجنة وفي حديث أبي يعلى ان ابن عمر قال قلت يارسول الله قل لي قولا واقلل لعلي اعقله في حديث أحمد عن ابن عمر دلني على ما يباعدني من غضب الله زاد ابو كريب عن ابن عباس عن الترمذي ولا تكثره على لعلي أعيه والظاهر كما قال الولي العراقي ان السائل عن ذلك تعدد ﴿قال للنبي صلى الله عليه وسلم أوصني قال لا تغضب﴾ يحتمل ان المراد لا تفعل الاسباب المقتضية للغضب وافعل الاسباب التي تنفيه كالحلم والسخاء والحياء ويحتمل ان المراد لا تعمل بمقتضى الغضب اذا حصل بل جاهد نفسك على ترك تنفيذه وليس النهي راجعا الى نفس الغضب لانه مطبوع في الانسان ﴿فردد﴾ أي كرر السائل السؤال ﴿مرارا﴾ وقع في رواية عثمان بن أبي شيبة قال لا تغضب ثلاث مرات فافصح فيها ببيان عدد المرار وكانه لم يقنع بقوله لا تغضب فطلب وصية ينفع منها وأنفع فلم يزده صلى الله عليه وسلم عليها وأعادها له حيث ﴿قال﴾ له ثانيا وثالثا ﴿لا تغضب﴾ تنبيها له بتكرارها على عموم نفعها لما فيها من جلب الصالح ودرء المفاسد فهو كما قال له العباس علمني دعاء ادعو به يارسول الله فقال سل الله العافية فعاوده مرارا فقال له يا عباس يا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم سل الله العافية في الدنيا والآخرة فانك اذا أعطيت العافية في الدنيا والآخرة اعطيت كل خير وكذلك لما قال لاصحابه اجتمعوا واني أتلو عليكم ثلث القرآن فاجتمعوا فتلا عليهم سورة الاخلاص ثم دخل منزله فقاموا ينتظرونه ليكمل لهم ثلث القرآن فخرج عليهم فقال ما تنتظرون أما انها تعدل ثلث القرآن يعني سورة الاخلاص قيل يحتمل انه صلى الله عليه وسلم علم من هذا الرجل كثرة الغضب فخصه بهذه الوصية لانه عليه الصلاة والسلام كان يامر كل احد بما هو اولى به * وروي انس ان رجلا قال يارسول الله فما اشد من كل شيء قال غضب الله قال فما ينجي من غضب الله قال لا تغضب والغضب فوران دم القلب وغليانه وقيل تغير يتبعه غليان دم القلب لارادة الانتقام * والغيظ اصل الغضب وكثيرا ما يتلازمان وقيل فالفرق بينهما وهو ان الغيظ لا يظهر على الجوارح بخلاف الغضب فانه

بشروط منها ان يكون جنسا على وجوبه أو تحريمه وعلم من الفاعل اعتقاد ذلك حال ارتكابه وان يقدر على ازالته اما بيده أو بلسانه بان لم يخش ترتب مفسدة عليه قال علماؤنا ولا يشترط أن يكون عالما بما يامر به مجتنبا لما ينهى عنه بل عليه أن يامر وينهى نفسه فان اخل أحدهما لم يسقط الآخر ولا يشترط في الامر بالمعروف العدالة بل قال الامام وعلى متعاطي

يظهر على الجوارح من فعل ما ولا يدري قد خلق الله الغضب من النار وجعله بطينة الانسان فهو ما توزع في غرض من أغراضه اشتعلت نار الغضب فيه وفارت فورانا يفلي منه دم القلب وينتشر في العروق ويرتفع الى أعلى البدن ارتفاع الماء في القدر ثم ينصب في الوجه والعينين حتى يحمرا منه اذ البشرة لصفائها كالزجاجة تحكي ما وراءها من لون الدم هذا اذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فان كان على من فوقه وأيس من الانتقام منه انقبض الدم الى جوف القلب وكمن فيه وصار حزنا فاصفر اللون فان كان على من يساويه الذي يشك في القدرة عليه تردد الدم بين البسط والانقباض فيحمر لونه تارة ويصفر أخرى والغضب يتحرك من داخل الجسد الى خارجه والحزن يتحرك من خارجه الى داخله ولذلك يقتل الحزن ولا يقتل الغضب لبروز الغضب وكمون الحزن فصار الحادث عن الغضب السطوة والانتقام والحادث عن الحزن المرض والاسقام ويترتب على الغضب تغير الظاهر والباطن والرعدة في الاطراف وخروج الافعال من غير ترتيب وقبح الصورة حتى لو رأى الغضبان نفسه لسكن غضبه حياء من قبح صورته وعن ابن عباس في قوله عز وجل فاصفح الصفح الجميل قال الرضا بغير عتاب وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أشدكم من غلب على نفسه عند الغضب وأسلمكم من عفا عند القدرة وفي البخاري ان ابن عباس رضي الله عنهما قال في قوله تعالى ادفع بالتي هي أحسن هو الصبر عند الغضب والعفو عند الاساءة وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من دفع غيظه دفع الله عنه عذابه ومن حفظ لسانه ستر الله عورته وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من كظم غيظا وهو يستطيع ان ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيره في اي الحور شاء وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا كان يوم القيامة نادي مناد من كان أجره على الله فليدخل الجنة فيقال من ذا الذي أجره على الله فيقوم العافون عن الناس يدخلون الجنة بغير حساب وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب والصرعة بضم الصاد وفتح الراء المهملتين الذي يكثر صرع الناس وقال عمر رضي الله عنه من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله تعالى لم يفعل ما يريد وقال لقمان لابنه يا بني لا تذهب ماء وجهك بالسؤال ولا تشف غيظك بغضب يحتك واعرف قدرك نفسك معيشتك وقال ابو حاتم حلم ساعة يدفع شرا كثيرا وقد ورد ان أويس بن الصامت ظاهر من زوجته خولة بنت ثعلبة في حال غضبه واجتمع سفيان الثوري وأبو خيثمة الزهري والفضيل بن عياض فتذاكروا الزهد فاجتمعوا على ان أفضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقال ابن المبارك كنت عند المنصور جالسا فامر بقتل رجل فقلت يا أمير المؤمنين اذا كان يوم القيامة نادى مناد بين يدي الله تعالى من كانت له عند الله يد فليتقدم فلا يتقدم اليه الا من عفا عن ذنب فامر باطلاقه وقال الاصمعي سمعت اعرابيا يقول لا يوجد العجول حمودا ولا الغضوب مسرورا وعن أبي الحسن المدائني انه

وقال الغزالي يجب على من غضب امرأته اللائي لا أمر لها بستر وجهها عنه وفي الحديث فضل هذه الاذكار والامر بالمعروف والنهي عن المنكر * وقد ورد في فضل التسبيح ما رواه مسلم عن ابي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم باحب الكلام الى الله ان أحب الكلام الى الله سبحان الله وبحمده وفي رواية الترمذي سبحان ربي وبحمده وفي رواية لمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل اي الكلام أفضل قال ما اصطفى الله لملائكته ولعباده سبحان الله وبحمده وهذا محمول على كلام الآدميين والا فالقرآن أفضل من التسبيح والتهليل المطلق وأما المأثور في وقته أو حال فالاشتغال به أفضل وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة غفرت ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر قال الطيبي يوم مطلق لم يسلم في اي وقت من اوقاته وقال غيره ظاهر الاطلاق يشعر بانه يحصل هذا الاجر المذكور لمن قال ذلك مائة مرة سواء قالها متوالية أو متفرقة في مجالس أو بعضها أول النهار أو آخره وقوله غفرت ذنوبه اي الصغائر من حقوق الله خاصة لان حقوق الناس لا تغفر الا باسترضاء الناس الخصوم وروى البزار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله العظيم وبحمده

غرست له نخلة في الجنة وعن شريح الحابر قال يا نبي الله لو نعلم قرابة تسبيحة على جميع هذا الخلق لاصاب كل واحد منهم خير وفضل التكبير ايضا كثير وسيأتي بعضه (١٠٠) لا يرد دعاء جواب باب اوصلت الى الله تعالى نظر الله الى قائمها ولا ينظر الله تعالى الى

موحد الا رحمه وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا قال العبد لا اله الا الله ساعة من ليل او نهار عاش ما في صحيفته من الذنوب والخطايا حتى تسكن لا اله الا الله الى مثلها من الحسنات وقال صلى الله عليه وسلم من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم مفتاح الجنة لا اله الا الله وقد ذكرت في فضلها شيا كثيرا في كتابي تحفة الاخوان * واما ما ورد في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فاخبار كثيرة ايضا عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لتامرن بالمعروف وتنهون عن المنكر او ليوشكن الله يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم رواه الترمذي وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل ان تدعوا الله فلا يستجيب لكم وقبل ان تستغفروه فلا يغفر لكم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يدفع

قال لي رجل سماها فضربه على قدمه ضربة مورجة فلم يرد الغضب فيه اثر فقيل له في ذلك فقال أنست ضربته مقام صبر احتسبه وعن سهل بن عبد الله لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى يكون لعباد الله كارض أدامهم عليها وعن مطرف وعن يحيى بن سيران أن جارية جاءت يوما بصحفة فيها مرق حار وعنده أضياف فمرت فصب المرق على رأسه فاراد سيدها ان يضربها فقالت له الجارية يا مولاي اعمل بقول الله تعالى والكاظمين الغيظ فقال لها قد فعلت قالت اعمل بما بعده والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك قالت الجارية والله يحب المحسنين قال سيدها قد احسنت اليك قالت حر لوجه الله تعالى ولك الف درهم وعن عبد الرزاق قال حبست جارية لعلي بن الحسين الماء ليتهيا للصلاة فسقط الابريق من يد الجارية على وجهه فشجه فرفع علي بن الحسين رأسه اليها فقالت الجارية ان الله عز وجل يقول والكاظمين الغيظ فقال لها قد كظمت غيظي قالت والعافين عن الناس قال لها قد عفا الله عنك قالت والله يحب المحسنين قال انت حرة لوجه الله تعالى وحكي عن بعض الملوك انه كتب في ورقة ارحم من في الارض يرحمك من في السماء ويل لحاكم الارض من حاكم السما اذكر في حين غضبك اذكر في حين أغضب ثم دفعها الى وزيره وقال اذا غضبت فادفعها الي فكان كلما غضب دفعها اليه فينظر فيها فيسكن غضبه وحكي عن بعض الصالحا انه رأى رجلا حالا اذا قوة شديدة محمرا وجهه مزبدا شدقاه مربدا فقال الصالح ما لهذا فقيل انه شتمه شخص فقال الصالح واعجبا هذا الشخص يقدر ان يحمل احدا لا ثقيله ولا يطيق ان يحمل كلمة وكان الشعبي مولعا بهذا البيت

ليست الاحلام في حين الرضا * انما الاحلام في حين الغضب

وكان معاوية رضي الله عنه من احلم العرب ومن ثم كان يقول ما غضبت على من اقدر عليه ومن لا أقدر عليه اي ان الغضب تعب محض لا فائدة فيه لان الذي ان قدرت عليه عاقبته ان شئت بلا غضب والا كان مجرد الغضب محض تعب لانه وجده لا يشفي فلا فائدة فيه على كل تقدير والمراد ما اعطيت اسبابه ولا دفعته لانه جبلي وحكي عن موسى صلوات الله وسلامه عليه انه لما قيل له خذ عصاك ولا تخف اذ كه على يده وتناولها فقيل له لو أذن الله عز وجل فيما تحذر هل كان ينفعك ذلك فقال لا ولكني عبد ضعيف ومن ضعفه خافه وكان معروف العجلي يقول ما تكلمت في غضبي بما اندم عليه اذا رضيت وهذا كله في الغضب الدنيوي لا الديني ولهذا كانت المعظمة صلى الله عليه وسلم اذا انتهكت محرمات الله لا يقوم لغضبه شيء حتى ينتصر للحق وكان بين عينيه عرق يدره اي يظهره الغضب وقد كان موسى عليه السلام رجلا حديدا مجبولا على الحدة والخشونة والغلاب في كل شيء شديد الغضب لله والدين فلم يتمالك حين رأى قومه يعبدون العجل بعد ما رأوا من الآيات العظام فاخذ برأس اخيه ولحيته يجره اليه ويحكي ان الخضر لما خرق السفينة غضب موسى واخذ برجل الخضر ليلقيه في البحر حتى ذكره يوشع عهده مع الخضر فخلاه ومن ثم ضرب الحجر الذي فر بثوبه حياء من ان يرى عريانا لانه كان كثير الحياء

رزقا ولا يقرب اجلا وان الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لعنهم الله على لسان انبيائهم ثم عموا بالبلاء رواه الاصبهاني وعن ابي ذر رضي الله عنه قال اوصاني خليلي رسول الله صلى الله عليه وسلم بخصال من الخير اوصاني ان لا أخاف في الله لومة لائم واوصاني ان اقول الحق ولو كان مرا رواه ابن حبان وعن ابن عباس رضي الله عنهما

من المصطفى صلى الله عليه وسلم قال ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف ويسهى عن المنكر رواه الامام أحمد وقال صلى الله عليه وسلم تبسمك في وجه أخيك صدقة وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة رواه الترمذي وغيره وسيأتي ذكر بقية زيادة في مجلسه (قوله في الحديث وفي بضع) ثم فسكون أي فرج أو جماع (أحدكم صدقة) (٩١٥) اذا قارنته نية صالحة كاعفافه

الطيار مستيقظا فاذا جماعة من بني اسرائيل وقوا لوا ما يستوهذا النستر الا لعيب في جسده فأبرص أو آدر وهو كبر الانثيين فانطلق ذات يوم يغتسل في عين جار من الشام وجعل ثيابه على صخرة ففر الحجر بثوبه فتبعه موسى يقول ثوبي حجر حتى انتهى الى ملأ من بني اسرائيل فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله وبرأه مما يقولون وكانت بنو اسرائيل تغتسل عراة يرى بعضهم سوأة بعض وقام على الحجر فطفق به ضربا بعصاه فوالله ان في الحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا أو أربعا أو خمسا لان الله خلق فيه حياة فصار كدابة تفر منه من رآه ويحتمل ان غضبه على الحجر من باب غلبة الطباع كما غلب عليه الطبع البشري حتى ألقى الألواح على يده حين أخذ العصا وحجر منادى مفرد محذوف منه يا النداء وثوبي منصوب بفعل مضمر التقدير اعطني ثوبي أو اترك ثوبي فحذف الفعل لدلالة الحال عليه فان قيل نادى موسى عليه السلام الحجر نداء من يعقل * أجيب لانه صدر عنه فعل من يعقل وأنه ماورد من انه لما جاء ملك الموت وقال له أجب ربك لطمه ففقأ عينه فلانه دخل عليه في صورة لا يعرفها وقيل المراد بفقء العين هنا الخزي أي أنه ظهر حاجته فغلبه موسى بالحجة وضعفه في قوله فرد الله عليه عينه لانه وقع في الرواية ان الملك رجع الى الله وقال انك ارسلتني الى عبدك لا يريد الموت وقد عمي فرد الله عليه عينه ثم قال ارجع الى عبدي فقل له الحياة تريد فان كنت تريدها فضع يدك على متن أي ظهر ثور فما وارت يدك من شعرة فانك تعيش بها سنة فرجع وأخبره فقال ثم ماذا قال الموت قال فالآن من قريب قال رب ادنني من الارض المقدسة رمية بحجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو انني عنده لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر قال وهب فخرج موسى لبعض حاجته فمر برهط من الملائكة يحفرون قبرا لم ير شيأ قط احسن منه ولا مثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر قالوا لعبد كريم على ربه فقال ان هذا العبد عند الله لمن لا زال رأيت كالليلة مضجعا فقالت الملائكة يا صفي الله احب ان يكون لك قال وددت قالوا فانزل واضطجع فيه فتفعل وتوجه الى ربه ثم تنفس أسهل تنفس فقبض الله روحه ثم سدت عليه الملائكة وقيل ان ملك الموت ناداه بناحية من الجنة فشمها فقبض الله روحه وكان عمره مائة وعشرين سنة بعث هارون الرشيد ليلا الى الربيع الى الشافعي ليرجم عليه من غير اذن وقال له اجب فقال الشافعي في مثل هذا الوقت وبغير اذن فقال بذلك امرت فخرجت معه فلما حضرت باب الدار وقال لي اجلس ودخل فقال له الرشيد ما فعل محمد بن ادريس قال احضرته قال ادخله فادخلني فتأملني ثم قال يا محمد ارعبنا لك فانصرف راشدا يا ربيع احمل معه بدرة دراهم فلما خرجت معه قلت للشافعي بالذي سخر لك هذا الرجل ما الذي قلت في احضرتك واذاري موضع السيف من فنائك فقال سمعت مالك بن انس يقول سمعت نافعا يقول سمعت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الدعاء يوم الاحزاب فكان فيه وهو اللهم اني اعوذ بك بنورك فدسك وبركة طهارتك وعظيم جلالك من كل طارق الا طارقا يطرق بخير اللهم انت غياثي

نفسه أو زوجته عن نحو نظر أو فكر أو هم محرم أو قضاء حقها من مستحقاتها بالمعروف لما مر وبه أو طلب ولد يرجى نفعه أو يستكثر به المسلمين أو يكثر به قرطا اذا مات لصبره على مصيبته فعلم ان الباعث يصير طاعة بالنية الصالحة ويعلم ان نحو الانكاح شهوة محبوبة أحبها الانبياء لانها ترقق القلب بخلاف تعاطي سائر الشهوات فانها تقسي القلب والنكاح من مرغوبات الآخرة ولا كذلك الانسان فليستعد بقلبه مستصغرا لما فيه وكان يستوحش في خلوته في المكان الذي هو فيه وكان منهيا ان ينام في البيت وحده لحديث ورد فيه ومنهيا ايضا ان يسافر وحده لحديث وللبخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم ما سار راكب بليل وحده وكان في النكاح دفع هذه المفاسد مع ما فيه من تحصين

الفرج وغض البصر عن المحرمات وتحصيل القربات واكتساب الاصدقاء والاصهار والاحماء وتكثير العشائر واغاظة الشماتر ندب الله تعالى اليه في كتابه العزيز وقال النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء اى قاطع للشهوات عن المحرمات وجنة اى وقاية من عذاب جهنم وقال في حق من امرض عنه واختار لنفسه التزكية والانقطاع من رغب عن سنتي فليس مني فلا رغب عن النكاح الشرعي

فيك أغوث وأنت غياثي فبك أعوذ وأنت ملاذي فبك ألوذ يامن ذلت اليه رقاب الجبابرة وخضعت لسطوته أعناق الفراعنة أجرني من عذابك وعفوبتك واحفظني في ليلي ونهاري ونومي وقراري لا إله إلا أنت تحفظها الوجه وتكثرها والوتر بها السبعات عرشك فاصرف عني شر عبادك واجعلني في حفظ عنايتك بسرادقات حفظك وعد علي بخير يا أرحم الراحمين وفي رواية عن الفضيل بن الربيع صاحب هارون أن الشافعي قال له قلت شهد الله أنه لا إله إلا هو اللهم اني أعوذ بنور قدسك وبركة طهارتك وبعظمة جلالك من كل عاهة وآفة وطارق الانس والجن الا طارقا يطرق بخير يا أرحم الراحمين اللهم بك ملاذي قبل أن ألوذ وبك غياثي قبل أن أغوث يامن ذلت له رقاب الفراعنة وخضعت له عتاد الجبابرة اللهم ذلك شعاري ودثاري ونومي وقراري أشهد أن لا إله إلا أنت أضرب على سرادقات حفظك وقني وحفني برحمتك يارحمن * قال الفضيل فكتبتها وجعلتها في رقاعي * وكان الرشيد كثير الغضب علي وكان كلما عن لي غضب حركتها في وجهه فيرضى * واعلم أن الغضب له دواء مانع ودواء رافع فالمانع ذكر فضيلة الحلم وما جاء في كظم الغيظ من الفضل وما ورد في عاقبة ثمرة الغضب من الوعيد والرافع بأن يستعيذ من الشيطان ويتوضأ ويغتسل بالماء البارد لأنه من الشيطان والشيطان من النار والنار يطفئها الماء وإن غضب وهو قائم قعد أو اضطجع وأقوى الأشياء في منعه ورفعه التوحيد الحقيقي وهو اعتقاد أنه لا فاعل حقيقة في الوجود إلا الله تعالى فإن الخلق آلات ووسائط كبرى وهي من له عقل واختيار كالانسان وصغرى وهي ما انتفيا عنه كالعصى المضروب بها ووسطى وهي من فيها الثاني فقط كالدواب ومن ثم قال أنس خدمت المصطفى صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء تركته لم تركته ولكن يقول قدر الله وما شاء فعل ولو قدر لكان وما ذاك إلا لكمال معرفته بأنه لا فاعل ولا معطي ولا مانع ولا نافع ولا ضار إلا الله تعالى ﴿رواه البخاري﴾ في الأدب وهو من جوامع الكلم كلمة التي خص بها وبهذا قال ابن السني جمع في هذه اللفظة خير الدنيا والآخرة

﴿الحديث السابع عشر﴾

﴿عن أبي يعلى﴾ وقيل أبي عبد الرحمن ﴿شداد﴾ بالتشديد ﴿بن أوس﴾ بفتح فسكون فهملة ابن ثابت ابن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك النجاري الانصاري وهو ابن أخي حسان بن ثابت قيل انه شهد بدرا وهو غلط وانما البدري والده وكان شداد اذا دخل الفراش يتقلب عليه ولا يأتيه النوم فيقول اللهم ان النار قد أسهرتني وأذهبت عني النوم ثم يقوم ويصلي حتى يصبح وكان يقول انكم ترون من الخير الا أسبابه ولم تروا من الشر الا أسبابه الخير كله بحذافيره في الجنة والشر كله بحذافيره في النار وان الدنيا عرض حاضر يأكل منها البار والفاجر والآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر ولكل بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا وروي عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا

يسهل ذلك يأتي آثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة الآية وعن حذيفة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم والزنا فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فاما اللواتي في الدنيا فانه يذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر وأما اللواتي في الآخرة فانه يورث سخط الرب وسوء الحساب والخلود في النار وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان سربال سربله الله تعالى من شاء فان زنا العبد نزع منه سربال الايمان فان تاب رده الله عليه وعن ابن عباس رضي عنهما انه قال لعبيده تزوجوا فان العبد اذا زنا نزع منه نور الايمان فان تاب رده الله عليه بعد او أمسكه وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا شباب قريش احفظوا فروجكم لا تزنوا الا من حفظ لي فرجه دخل الجنة

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من حفظ لي ما بين لحييه وما بين رجليه دخل الجنة وفي حديث من توكل لي ما بين لحييه وما بين رجليه توكلت له بالجنة وعن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا الدنيا واتقوا النساء فان أول فتنة بني اسرائيل كانت النساء وعن مالك بن دينار قال مكتوب في التوراة مثل امرأة لا تحصن فرجها مثل خنزيرة على رأسها تاج وفي عنقها طوق من ذهب فيقول القائل ما أحسن هذا الحلي

وأتبع هذه الهداية ﴿نكتة﴾ قال ابن العماد رضي الله عنه في منظومته شراركم عزابكم جاء الخبر * أراذل الاموات عزاب البشر
قال بعض الشراح انما كان من لا يتزوج او يتسري مع القدرة عليه من شرار الامة في الاحياء وارذلها في الاموات لخالفته ما امر الله
به ورسوله وحث عليه وسعى من شرار الخلق لعدم غض بصره وتحصين فرجه (٦٧) ولعدم ستر شطر دينه للاخبار الواردة في

فاكثروا هؤلاء الكلمات اللهم اني أسالك الثبات في الامر والعزيمة على الرشد وأسالك شكر نعمتك
وحسن عبادتك وأسالك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم انك أنت علام
الغيوب وعن أبي الدرداء انه كان يقول ان لكل أمة فقيها وان فقيه هذه الامة شداد بن أوس وان من
الناس من يؤتى علما ولا يؤتى حلما وان أبا يعلى قد أوتي علما وحلما قال ابن سعد نزل شداد فلسطين
ومات بها سنة ثمان وخمسين وقيل سنة احدى وأربعين وقيل سنة أربع وستين وهو ابن خمس وسبعين
سنة ولما حضرته الوفاة قال ان أخوف ما اخاف على هذه الامة الرياء والشهوة الخفية ﴿رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله كتب﴾ اي أوجب وفرض نحو كتب عليكم الصيام أو
طلب والاول هو موضوع كتب عند أكثر الفقهاء والاصوليين والثاني أولى لان الاحسان تارة
يكون واجبا كتقطيع الحلقوم والودجين في الذبح وتارة يكون مندوبا كاحداد الشفرة ﴿الاحسان﴾
مصدر أحسن اذا أتى بالشيء حسنا وهو ما حسنه الشرع لا العقل خلافا للمعتزلة والمراد به هنا تحسين
الاعمال المشروعة بان يأتي بها على الوجه المرضي بان يوقع الفعل على سنن الشرع لا مجرد الاتمام على الغير
لان الاول أعم نفعا وأكثر فائدة لان الاحسان في الفعل يعود منه نفع عليه وعلى غيره ﴿على﴾ فعل
﴿كل شيء﴾ الاولى كما قال القرطبي وغيره ان على هنا بمعنى في كما في قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين
على ملك سليمان أي في ملكه ويقال كان كذا على عهد فلان أي في عهده ويحتمل أن تكون بمعنى الى
والاظاهره ان كل شيء هو المكتوب عليه الاحسان ويحتمل انها على بابها والتقدير كتب الاحسان
في الولاية على كل شيء أو أن المراد بالشيء المكلف أي كتب الاحسان على كل مكلف وقوله على كل
شيء قضية كلية مسورة بكل شاملة لجميع جزئيات الدين فالاحسان الى نفسه أن لا يوردها موارد
السوء ولا يظلمها بمعصية ولا يطيعها في كل ما تريد ولا يهنها بشقاء غيظ ولذلك أمرهم سبحانه مخلوقاته
بالاستغفار للعلماء فان لهم بمثل فعلهم لقوله عليه السلام ان العالم ليستغفر له من في السموات ومن
في الارض حتى الحيتان في الماء وما في التنزيل والملائكة يسبحون بحمد ربهم والى أهله ان يحسن
عشرتهم ولا يكلفهم ما لا يطيقون ولا يضيعهم قال صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء اثما ان يضيع من يعول
والى خدمه بان لا يكلفهم من العمل ما لا يطيقون ولا يضيعهم والى اخوانه أن لا يغشهم بل ينصح
لهم ويحسن صحبتهم ويحمل أذاهم ويكرم مثواهم والى الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم
ان يؤمن بهم وبما جاؤا به عن ربهم وان يعتقد كمالهم وعصمتهم من الكبائر والصغائر وانهم صفوة
الله وخلص عباده والى سائر الناس أن يعلمهم ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم وارشاد سبيل الخيرات
واجتناب المنكرات والدعاء لهداتهم بالتوفيق ولكفارهم بالهداية والى الملائكة ان يؤمن
بهم وانهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وان يحسن عشرة الحفظة
منهم بان لا يفعل بحضرتهم ما يكرهون والى الجن ان اتفق ظهورهم بان يدعوهم الى الخير
وترك الشر والى شياطينهم بالدعاء لهم كالكفار الانس بالاسلام وقد أكرمهم الشارع وأقرأهم بان

ذلك عن النبي صلى الله عليه
وسلم بقوله من تزوج فقد
استكمل شطر دينه فليتق الله في
الشطر الآخر وايضا فان
مثل هذا لا يؤمن غالبا
على النساء ولا على الجارية
في السكنى وغيرها فربما
تسلط الشيطان فيقع
الفساد وفي الحديث دخل
رجل على النبي صلى الله
عليه وسلم يقال له عكاف
فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم يا عكاف ألك زوجة
قال لا قال ولا جارية قال
ولا جارية قال وانت بخير
موسر قال وانا بخير موسر
قال انت من اخوان
الشياطين لو كنت من
النصارى كنت من
رهبانهم ان من سنتي النكاح
شراركم عزابكم أراذل
اموتاكم عزابكم رواه
الامام احمد في مسنده
وقال صلى الله عليه وسلم
مسكين مسكين مسكين
رجل ليس له امرأة قيل
يا رسول الله وان كان غنيا
من المال قال وان كان غنيا
من المال وقال مسكينة
مسكينة مسكينة امرأة
ليس لها زوج قيل يا رسول الله وان كانت غنية من المال * ونرجع الى الكلام على بقية الحديث
فنقول لما قال لهم صلى الله عليه وسلم (وفي بضع احدكم صدقة) استبعدوا حصولها بفعل مستلذ نظرا الى انها انما تحصل غالبا في
عبادة شاقة على النفس مخالفة لهواها (قالوا يا رسول الله اياتي احدنا شهوته ويكون له فيها اجر قال ارايتم) اي اخبروني عما
(لو وضعها في حرام كان عليه وزر) اي اثم (فكذلك اذا وضعها في الحلال كان له اجر) وظاهر اطلاقه ان الانسان

ولو مرض نكاح زوجته ملخا بين قال بعضهم وفيه دليل على ان القياس وفيه انه يبقى قرن النية الصالحة بالمباح لتغليبه طاعة وظاهر سياقهما ان الغني الشاكر وهو من لا يبقى مما دخل عليه من مال الا ما يحتاج اليه حالا او ما يرصده لاحوج منه افضل من الفقير الصابر فيه خلاف بين العلماء (١٦٨) قيل وهذا اصح وقاعدة ان العمل المتعدي افضل من القاصر غالبا نشهد له ورجح الغزالي

ان الفقير الصابر افضل وقيل ان الذي اعطى الكفاف افضل وقال القرافي في موضع آخر رب غني شاكر افضل من فقير صابر وهو الغني الذي نفسه كنفس الفقير ولا يصرفه لنفسه من المال الا القدر الضرورة ويصرف الباقي في وجوه الخير ان يمسكه مع قصد ان يمسكه حارسا للمحتاجين ﴿ خاتمة ﴾ وردما يقتضي تفضيل الذكر على الصدقة بالمال كحديث احمد والترمذي ألا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والفضة وخير لكم من ان تلقوا اعداءكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا بلى يارسول الله قال ذكر الله عز وجل وحديث احمد والترمذي اي العباد افضل عند الله يوم القيامة قال الذاكرون الله كثيرا قلت يارسول الله ومن الغازي في سبيل الله قال لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله افضل منه درجة وحديث الطبراني لوان رجلا في حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله لكان الذاكر الله افضل وحديثه ايضا من كبر مائة تسبيحة ومن هلل مائة كانت له خيرا من عشر رقاب يعتقها ومن سبح بدنات ينحرها واخذ بقضية هذه الاحاديث جماعة من الصحابة والتابعين فقالوا الذكر افضل من الصدقة بعدده من المال ويدل له ايضا حديث احمد والنسائي انه صلى

جعل العظم زادهم والروث علفا لدوابهم ولنا فيه اسوة حسنة والى الحيوان بان لا يجيعه وان لا يعطشه ولا يضربه بغير موجب ولا يكلفه من العمل ما لا يطيقه ولا يستمر راكبا على الدابة وهي واقفة الا لحاجة وقد ورد انه صلى الله عليه وسلم رأى في النار امرأة حميرية سوداء طويلة تعذب بسبب هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تسقها ولم تدعها تاكل من خشاش الارض حتى ماتت وان تلك الهرة تنهشها في قبلها ودبرها اذا أقبلت تنهشها واذا أدبرت تنهشها وخشاش الارض بمعجمات حشراتها وقال ابو سليمان الداراني ركبت مرة حمارا فضربته مرتين او ثلاثا فرفع رأسه ونظر الي وقال يا أبا سليمان القصاص يوم القيامة فان شئت فاقلل وان شئت فاكثر قال فقلت لا أضرب شيا بعده فيا أحسن من ذلك كله فقد اوقى خيرا كثيرا ووقي شرا كبيرا الى وقوله على كل شيء قاعدة الحديث الكلية ثم ذكر من جزئياته التخفيف في القتل والذبح اما الان سبب الحديث الذي هو فعل الجاهلية اقتضاه فانهم كانوا يمثلون في القتل بجدع الانف وصلم الاذن وقطع اليد والرجل وبقر البطن وشق الكبد وكانوا يذبحون بالمدى الكالة والعظم والقصب مما يعذب الحيوان واما الان القتل والذبح غاية ما يفعل من الاذى فاذا طلب الاحسان فيهما ففي غيرهما اولى فقال ﴿ فاذا قتلتم ﴾ قصاصا او حدا اذ لا قتل في الشرع غير ذلك ﴿ فاحسنوا ﴾ يستثنى منه قتل قاطع الطريق بالصلب والزاني المحصن بالرجم لورود النص بذلك قيل ونحو حشرات وسباع والفواسق الخمس لانها مؤذية وقد خرجت بالنص فلا حظ لها في الاحسان وفيه نظر اذ جواز قتلها اووجوبه لا ينافي احسان كيفيته ﴿ القتلة ﴾ بكسر القاف هيئة القتل مثل الجلسة والركبة بكسر الجيم والراء هيئة الجلوس والركوب وبالفتح المصدر واحسان القتلة اختيار اسهل الطرق واخفها ايلاما واسرعها ازهاقا واسهل وجوه قتل الآدمي ضربه بالسيف في العنق ولذا يكره قتل القمل والبق والبراغيث وسائر الحشرات بالنار لانه من التعذيب وفي الحديث لا يعذب بالنار الا رب النار قال الجزولي وابن ناجي وهذا مما يضطر لكثرتها فيجوز حرق ذلك بالنار لان في تتبعها بغير النار حرجا ومشقة ويجوز نشرها للشمس قال الافقهسي وقتلها بغير النار بالمقص والعرك جائز لقوله صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن حشرات الارض تؤذي احدا فقال ما يؤذيك فلك اذيته قبل ان يؤذيك وما خلق للاذاية فابتداؤه للاذاية جائز ﴿ واذا ذبحتم ﴾ ما يحل ذبحه من البهائم ﴿ فاحسنوا الذبحة ﴾ بالكسر اي هيئة الذبح وجاء في بعض الروايات فاحسنوا الذبح بفتح الذال وبكسرها وهو المصدر وهي التي في اكثر نسخ صحيح مسلم فلا تؤكل المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما ذكر معها واحسان الذبح في البهائم الرفق بها فلا يضرعها بعنف وايضاح المحل بان ياخذ بيده اليسرى جلد حلقها من تحتها الاسفل بالصوف او غيره حتى يظهر من البشرة موضع الشفرة وضجعها ما يراد ذبحه على شقة الايسر لانه امكن للذابح حيث كان يفعل باليمين اكثرا وكان اضبط وهو الذي يفعل بيده جميعا واما الاعسر فيضجعها على الايمن والنية والتسمية مع الذكر وقطع الحلقوم والودجين ويكون ذلك من

الله عليه وسلم قال للاعرابي وسبحان الله مائة تسبيحة فانها تعدل مائة رقبة تعتقها وتحمل على مائة فرس
ملجمة مسرجة فتحملين عليها في سبيل الله وكبري الله مائة تكبيرة فانها تعدل مائة بدنة مقبلة ومهلل الله مائة تهليلة
الا قال تملأ ما بين السموات والارض ولا يرفع يومئذ لاحد مثل عملك الا ان يأتي (٦٦) بمثل ما أتيت والاحاديث في

من القسم لان الفاء ﴿ واحدكم ﴾ بسكون اللام للامر و بضم الهاء من أحد و بفتحها من حد
﴿ أحدكم شفرته ﴾ بفتح الشين المعجمة وقد تضم وهي السكينة الكبيرة وأصل الشفرة حد السكين
وشفرة السيف حده وشفير جهنم حرفها وشفير الوادي طرفه وشفير العين منبت شعر الجفن
وحينئذ فتسمية السكين بالشفرة من باب تسمية الشيء باسم جزئه والاحداد واجب في الكمالة
ومندوب في غيرها وينبغي مراعاتها عند زوال احدادها فيروى البلالي والطبراني أنه
صلى الله عليه وسلم مر برجل واضع رجله على صفحة شاة وهو يحد شفرته وهي تلحظ اليه ببصرها
فقال أفلا قبل هذا تريد أن تميتها موتتين هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها وعند مالك ان عمر
رأى رجلا يحد شفرته وقد أخذ شاة ليذبحها فضربه بالدرة وقال أتعذب الروح ألا فعلت هذا قبل
ان تأخذها وقد نهى عليه السلام عن صبر البهائم ولعن من اتخذ شيأ فيه الروح غرضا ﴿ وليرح ﴾
بضم المثناة تحت ﴿ ذبيحته ﴾ بسقيها عند الذبح وامضاءها بامكان سهل غير وعر وتعجيل امرار
السكين عليها بقوة ليسرع موتها وبالامهال بسلخها حتى تبرد وان لا يحد السكين بحضرتها كما
مر ولا يجرها من موضع لآخر فقد روى ابن ماجه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر برجل وقد
يجر شاة باذنها فعال دع أذنها وخذ بسالفتها أي وهو مقدم العنق * وروى عبد الرزاق عن الوضين
ابن عطاء ان جزارا تنحى بالمدية على شاة ليذبحها فانفلتت منه حتى جاءت النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعها
فاخذ يسحبها برجلها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم اصبري لامر الله وأنت يا جزار فسمها الى
الموت سوقا رفيقا * وروى عن عمر انه رأى رجلا يجر شاة برجلها ليذبحها فضربه بالدرة وقال قدها
الموت قودا جميلا * وعن الامام جواز جرها الى مذبحها * وعن أبي الحسن انه يكره ذبح شاة
وأخرى تنظر سيابتها أو أمها فمن نوف البكالي ان صديقا ذبح عجلا بين يدي أمه فخبل وفي
رواية فيمت يده فبينما هو تحت شجرة وفيها وكر فيه فرخ فوقع الفرخ منه للارض فتتبع فاه
وجعل يحني فرحمه وأخذ وأعاده لوكره فرد الله اليه عقله او يده كما كانت ومن الاحسان اليها ان
لا تحمل فوق طاقتها ولا تركب راقفة الا لضرورة ولا تحلبه بما يضر بولدها ولا يشوى السمك
والجراد حتى يموت والذبيحة فعيلة بمعنى مفعولة أي مذبوحة باعتبار ما يؤل اليه وتاؤها للنقل من
الوصفية الى الاسمية لان العرب اذا وصفوا بفعيل مؤنثا وذكروا الموصوف حذفوا التاء من فعيل
اكتفاء بعلامة التأنيث الموصوف فقالوا امرأة قتيل وعين كحيل وشاة ذبيح فاذا حذفوا الموصوف أتوا
التاء فقالوا الواقيلة بني فلان وذبيحتهم لعدم دلالة على التأنيث حينئذ و يجوز حينئذ اسما لا صفة
فالتصح ان التاء للنقل من الوصفية الى الاسمية فهو من عطف الخاص على العام لان احداد الشفرة
واراحة الذبيحة من جملة الاحسان اليها الا أنه خصه بالذكر لبيان فائدته اذ الذبح بآلة كالة يعذب
الذبيحة وربما أدى ذلك لمحرم بها لعدم حصول الذكاة الشرعية ﴿ رواه مسلم ﴾ وكذا الامام أحمد
وأصحاب السنن الاربعة وهو من قواعد الدين العامة

فضل الذكر كثيرة اللهم
وفقنا للذكر لك اجمعين والحمد
لله رب العالمين

﴿ المجلس السادس والعشرون في الحديث السادس والعشرين ﴾

الحمد لله مسخر السحب السائرة ومجري الكواكب الزاهرة ومحيي العظام الناخرة والصلاة والسلام على سيدنا محمد المؤيد بالمعجزات الباهرة وعلى آله وأصحابه ذوي المناقب الفاخرة ﴿ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس فيصلح بين اثنين صدقة ويعين الرجل في دابته فيحمل عليها او يرفع عليها متاعه صدقة والكلمة الطيبة صدقة وبكل خطوة يمشيها الى الصلاة صدقة وتميط الاذى عن الطريق صدقة رواه البخاري ﴾

اعلموا اخواني وفقني الله وإياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم (قوله كل سلامى) بضم السين وتخفيف اللام وفتح الميم

مفرد سلاميات بفتح الميم وتخفيف الياء قيل جميع عظام الجسد وقيل خاصة وفي خبر مسلم خلق الانسان على ستين وثلثمائة مفصل فعلى كل مفصل صدقة (قوله من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس) اى في مقابلة ما انعم الله به على الانسان في خلق تلك السلاميات وفي حديث الصحيحين فان لم يفعل فليمسك عن الشر فانه له صدقة ويلزم من ذلك القيام بجميع الطاعات وترك جميع المحرمات (قوله فيعدل) اى فيصلح (بين الاثنين)

أي المتخاصمين (صدقة) عليهما ويجوز الكذب في الصلح لما فيه من الخير ومن لا يحل حراما ولا يحرم حلالا لما فيه من وقوع الألفة بين المسلمين قيل نمي جبريل عليه السلام ان يكون في الارض بستاني الماء ويصلح بين المسلمين (قوله ويعين الرجل في دابته فيحمل عليها او يرفع عليها متاعه صدقة) اي عليه (١٧٥) (قوله والكلمة الطيبة) وهي كل ذكر ودعاء للنفس والغير وسلام عليه ورده وثناء عليه بحق ونحو ذلك مما فيه سرور واجتماع القلوب وتآلفها بما فيه معاملة الناس بمكارم الاخلاق ومحاسن الافعال ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ولو ان تلقى أخاك بوجه طلق (قوله وبكل خطوة يمشيها الى الصلاة صدقة) فيه مزيد الحث والتأكيد على حضور الجماعات وعمارة المساجد اذ لو صلى في بيته فاته ذلك ﴿بشارة﴾ اذا كان يوم القيامة يأتي قوم فيقفون على الصراط يبكون فيقال لهم جوزوا على الصراط فيقولون نخاف من النار فيقول لهم جبريل عليه السلام كيف كنتم تمرون على البحر فيقولون بالسفن فيؤتى بالمساجد التي كانوا يصلون فيها كالسفن فيركبونها ويمرون على الصراط * وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تحشر مساجد الدنيا كأنها نخوت بيض قوائمها من العنبر وأعناقها من الزعفران ورؤسها من المسك وأزمتها من الزبرجد والمؤذنون يقودونها والائمة يسوقونها والمحافظون يتبعونها فيعيرون في عرصات القيامة فيقول

﴿الحديث الثامن عشر﴾

﴿عن أبي ذر﴾ بالذال المعجمة المقدر عدة وتشديد الراء ﴿جندب بن جنادة﴾ بضم الجيم فيهما وتخفيفه دال الاول وقيل اسمه بريربضم الباء الموحدة وراء مكررة ابن جندب وقيل جندب بن عبد الله وقيل جندب بن السكن والمشهور جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن الوقيعة بن حرام بن غفار بن مليل ابن حمزة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان قاله ابن الكلبي ويقال جندب بن جنادة بن قيس بن عمر بن مليل بن صغير بن حرام بن غفار وتواضعوا زهد مشيهان في الحديث بتواضع عيسى عليه السلام وزهده وكان يعبد قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قديما ويتوجه أينما وجهه الله فانطلق هو وأخوه أنيس حتى نزلا بحضرة مكة فذهب أخوه وأبطأ عليه ثم جاء فقال له ما حبسك قال لقيت رجلا بمكة يزعم انه أرسله الله على دينك فقال له ما تقول الناس فيه قال يقولون انه شاعر وساحر وكاهن ولكن سمعت قول الكهان فما هو بقولهم وقد وضعت قوله على اقراء الشعر فوالله ما يلتئم والله انه لصادق وانهم لكاذبون فقال له أبو ذر هل انت كافي حتى أنطلق فانظر قال نعم وكن من أهل مكة على حذر فانطلق أبو ذر حتى قدم مكة فأتى رجلا فقال له أين هذا الرجل الذي تدعونه الصابيء فاغرى عليه من عنده فما لوا عليه بكل مدرة وعظم حتى أدموه وخر مغشيا عليه فلما أفاق أتى زمزم فشرب من مائها وغسل عنه الدم ودخل بين الكعبة وأستارها وليث الثلاثين يوما وليلة ماله طعام الا ماء زمزم وسمن حتى تكسرت عكن بطنه وما وجد جوعا في تلك المدة فينما أهل مكة في ليلة قمراء وما يطوف بالبيت غير امرأتين فأتيا عليه وهما يدعوان أساف ونائلة فقالا انكحها أحدهما الآخر فانطلقا يولولان ويقولان لو كان ههنا أحد من أنصارنا فاستقبلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وهما بطن من الجبل فقالا ما لكما قالت الصابيء بين الكعبة وأستارها قال ما قال لكما قالتا قال لنا كلمة تملأ الفم قال فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وصاحبه حتى استلم الحجر وطاف بالبيت ثم صلى فأتاه وأسلم على يديه وهو أول من حياه بتحية الاسلام فقال وعليك السلام ورحمة الله ممن أنت فقال ابن غفار وأخبره بمقامه بين الكعبة وأستارها تلك المدة فقال له فمن كان يطعمك فقال له ما كان لي طعام الا ماء زمزم فقال أبو بكر إئذن لي يا رسول الله في طعامه الليلة فأذن له وانطلق النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وهو معهما حتى فتح أبو بكر بابا فجعل يقبض لهما من زبيب الطائف فكان ذلك أول طعام أكله بمكة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني وجهت الى أرض ذات نخل فلا احسبها الا يثرب فهل أنت مبلغ عني قومك لعل الله عز وجل أن ينفعهم بك فيأجرك فيهم فانطلق حتى أتى أخاه أنيسا فقال له ما صنعت فأخبره بانه اسلم وصدق فاسلم أخوه أنيس وصدق ثم أتيا أمهما فاسلمت وصدقت ثم أتوا قومهم غفارا فاسلم بعضهم قبل ان يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقال بقيتهم اذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة

اسلمنا

اهلها هؤلاء ملائكة مقربون ثم أنبياء مرسلون فيقال هؤلاء الذين حافظوا على صلاة الجماعة من امة محمد عليه الصلاة والسلام * وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المشاؤن الى المساجد في الظلم اولئك الخوضون في رحمة الله ﴿نكتة﴾ اذا كان يوم القيامة امر الله بطبقات المصلين الى الجنة فتأتي اول زمرة كالشمس فتقول لهم

الملائكة من انتم قالوا نحن المحافظون على الصلاة قالوا كيف كانت محافظتكم قالوا كنا نسمع الأذان ونحن في المساجد ثم تاتي زمرة أخرى كالقمر ليلة البدر فتقول الملائكة من انتم قالوا نحن المحافظون على الصلاة قالوا كيف كانت محافظتكم قالوا كنا نتوضأ قبل الوقت ثم تاتي زمرة اخرى كالكواكب فتقول لهم الملائكة من انتم قالوا نحن المحافظون على الصلاة قالوا كيف كانت محافظتكم قالوا كنا نتوضأ قبل الاذان ونقيل في قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه هو الذي يدخل المسجد بعد قيام الصلاة والمقتصد من يدخله بعد الاذان والسابق من يدخله قبل الاذان وقال عمر بن عبد العزيز في قوله تعالى أضاعوا الصلاة أي اضاعوا مواقيتها وفي الحديث لا تسلموا على يهود أمتي قيل من هم يا رسول الله قال من يسمع الاذان ولا يحضر صلاة الجماعة وكان صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم وقال من قال ذلك قال الشيطان عصم مني سائر اليوم وقال صلى الله عليه وسلم ان احدكم اذا اراد ان يخرج من المسجد تداعت جنود ابليس واجتمعت كما تجتمع النحل على يعسوبها فاذا قام أحدكم على باب المسجد فليقل اللهم اني أعوذ بك من ابليس وجنوده فانه اذا قالها لم يضره قاله في الاذكار وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قدم رجله اليمنى وقال وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا اللهم عبدك وزائرك وعلى كل مزور حق وانت خير مزور فاسالك برحمتك ان تفك رقبتي من النار واذا خرج قدم رجله اليسرى وقال اللهم صب على الخير صبا ولا تنزع عني صالح ما أعطيتني ولا تجعل معيشتي ضنكا كذا حكاه القرطبي في سورة الجن وعن ابي ذر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا ابا

أسلمنا فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأسلم بقيتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله ولما أمر صلى الله عليه وسلم الرجوع الى قومه قال والذي نفسي بيده لا صرخن بها بين ظهرانيهم فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته أشهد ان لا إله الا الله وأشهد ان محمدا رسول الله فقام القوم وضربوه حتى أضجعوه فأتى العباس فاكب عليه وقال ويلكم ألستم تعلمون انه من غفار وان طريق تجارتكم الى الشام عليها فانقذه منهم ثم عاد من الغد الى مثلها فثاروا اليه فضربوه فاكب عليه العباس فانقذه روى عنه انه قال أنا رابع أربعة في الاسلام ويقال كان خامس خمسة ولما رجع الى بلاد قومه أقام فيها حتى مضت بدر وأحد والخندق ثم هاجر الى المدينة ووصفه النبي صلى الله عليه وسلم في عدة احاديث بانه اصدق الناس لهجة وفي رواية ما أظلت الخضراء أي السماء ولا أقلت الغبراء أي حملت الارض أصدق لهجة من أبي ذر وقال علي في حقه وعاه علم عظيم اوكى عليه فلم يخرج منه شيء حتى قبض وروي ان رجلا من أهل البصرة ركب الى زوجة أبي ذر بعد موته فسألها عن عبادته فقالت كان نهاره اجمع في ناحية يتفكر وقام يوما عند الكعبة فقال يا أيها الناس أنا جندب الغفاري علموا الى الاخ الناصح الشفوق فاكتنفه الناس فقال ارأيتم لو ان أحدكم اراد سفرا أليس يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلغه قالوا بلى قال فسفر طريق القيامة أبعد ما تريدون تخذوا ما يصلحكم قالوا وما ذا يصلحنا قال حجوا حجة لعظائم الامور وصوموا يوما شديدا حره لطول يوم النشور وصلوا ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور وكلمة خير تقولونها او كلمة سوء تسكتون عنها لوقوف يوم عظيم تصدق بالملك الملك تنجوا اجعل الدنيا مجلسين مجلسا في طلب الحلال ومجلسا في طلب الآخرة والثالث يضرك ولا ينفعك لا تردها اجعل المال درهمين درهما تنفقه على عيالك من حله ودرهما تقدمه لآخرتك والآخر يضرك ولا ينفعك لا تردها ثم نادى بأعلى صوته يا ايها الناس قد قطعكم حرص لا تدركونه أبدا ولما خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أبطأ حملانه فيه من الاعياء والتعب فتخلف عن الجيش فاخذ متاعه وحمله على ظهره وسار حتى ادرك رسول الله صلى الله عليه وسلم نازلا بالجيش وكانوا قيل وصوله قالوا يا رسول الله تخلف ابو ذر وابطأ به بعيره فقال دعوه فان يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وان يك غير ذلك فقد اراحكم الله منه فلما أشرف على القوم قالوا يا رسول الله ان هذا الرجل يمشي على الطريق وحده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ابا ذر فلما تامله القوم قالوا يا رسول الله هو والله أبو ذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وكان في صدر الاسلام يجب على الشخص انفاق ما فضل عن الحاجة في اليوم والليلة ثم نسخ ذلك وكان أبو ذر يرى بقاء الوجوب وان ما زاد عن حاجة اليوم والليلة لا يجوز ادخاره وانه من الكنز الذي ذمه الله بقوله والذين يكنزون الذهب والفضة الآية وكان ينادي به في الاسواق في الشام لانه خرج اليها بعد موت أبي بكر فلقيها معاوية فلم يعتل فشكاه الى عثمان ودس عليه معاوية رجلا

فان الله تعالى يوكل بها سبعين ألف ملك يستغفرون لها إلى أن تصلي عليك الملائكة ويكتب لك بكل نفس تتنفس فيه عشر حسنات ويمحى عنك عشر سيآت قال اليزيدي في المنام لجبريل فإني دفنت من الله دفنا ما دفنت مثله قط قال كيف كان يا جبريل قال كان (١٧٢) بيني وبينه سبعون ألف حجاب من نور فقال شر البقاع الأسواق وخير البقاع المساجد

وكان صلى الله عليه وسلم يخرج إلى السوق ويشتري لعياله حاجتهم فسئل عن ذلك فقال أخبرني جبريل ان من يسعى على عياله ليكفهم عن الناس فهو في سبيل الله فاذا اراد رجل ان يحمل متاعه قال صلى الله عليه وسلم صاحب الشيء احق بحمله لانه وقال صلى الله عليه وسلم الاسواق موائد الله تعالى وقال في الاحياء لا تكن أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منه وقال صلى الله عليه وسلم السوق دار سهو وغفلة فمن سبح الله فيها تسبيحة كتب الله له بها ألف حسنة وقال صلى الله عليه وسلم لرجل اذا دخلت السوق فقل اللهم اني اسألك خير هذه السوق وخير ما فيها واعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم اني اعوذ بك ان اصيب بها يمينا فاجرة او صفقة خاسرة وفي حديث من اخرج من المسجد اذى بنى الله له بيتا في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من اسرج في المسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يصلون عليه ما دام ذلك الضوء فيه وان مهر الحور العين كنس

بالفدادين رجال فقال له الامير أين معاوية أرسل اليه فقدم فلما جيء به قال عشه منا شيء ثم حضر له ذلك الرجل يا معاوية فقال اني غلطت في اعدادي لك الالف دينار وانما ارسلني لغيرك وانا أخشى ان يعاقبني معاوية على ذلك فقال له يا هذا والله ما أسعى عندنا من دار هذا شيء ولكن اصبر حتى يسمر عطاؤنا فندفع ذلك اليك ثم ان عثمان كتب له ان يقدم عليه فقدم فقال له ان شئت تحيت فكنت قريبا فاجابه ينزل بالبادية فلما حضرته الوفاة بكت زوجته فقال لها ما يبكيك قالت ومالي لا أبكي وأنت تموت بفلاة من الارض ولا يدان لي بتغسلك وليس معنا ثوب يسعك كفنا لا لك فقال لا تبكي وأبشري فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يموت بين أمرأين مسلمين ولدان أو ثلاثة فيحتسبان و يحتسبان فيريان النار أبدا وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنفر أنا فيهم ليموتن رجل منكم بفلاة من الارض يشهده عصابة من المؤمنين وليس من أولئك النفر أحد الا وقد مات في قرية وجماعة وانا الذي أموت بفلاة من الارض والله ما كذبت ولا كذبت فابصري الطريق قالت فقلت اني وقد ذهب الحاج وانقطعت الطريق فقال انظري فكنت أسنده الى الكثيب فاقوم عليه ثم ارجع اليه فامرضه قالت فبينا أنا كذلك اذا أنا بالرجال على رواحلهم كأنهم الرخم فاحتسبته بثوبي فاسرعوا الي وضعوا السياط في نحورها يستبقون الي فقالوا ما لك يا أمة الله فقلت امرأ من المسلمين تكفنونه فانه يموت قالوا ومن هو قلت أبوذر قالوا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم قالت فقدموا بأنهم وامهاتهم واسرعوا اليه حتى دخلوا عليه فسلموا عليه فرحب بهم وقال ابشروا فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يموت بين امرأين مسلمين ولدان أو ثلاثة فيصبران و يحتسبان فيريان النار أبدا وسمعته يقول لنفر كنت فيهم تموتن رجل منكم بفلاة من الارض يشهده عصابة من المؤمنين وليس من أولئك النفر احد الا وقد مات في قرية وجماعة وانا الذي أموت بفلاة من الارض والله ما كذبت ولا كذبت وانه لو كان عندي ثوب يسعني كفنا أو لا مرأتي ثوب يسعني كفنها لم اكفن الا في ثوب هو لي او لها واني انشدكم الله لا يكفني منكم رجل كان اميرا او عريفا او وصيا او نقيبا قالوا وليس من القوم احد الا وقد قارف من ذلك شيئا الا فتى من الانصار قال انا اكفنك في ردائي هذا وثوبين من عيبتي من غزل امي قال فكفني انت فكفنه الانصاري ودفنه هو والنفر الذين كانوا معه وفي رواية أخرى انه اوصى زوجته وغلامه في مرضه ان يغسلاه و يكفناه و يحملاه على قارعة الطريق فاول ركب يمر بكما تقولان له هذا ابوذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعينونا على دفنه فلما مات فعلا ذلك واقبل عبد الله بن مسعود في رهط من أهل الكوفة فوجدوا الجنازة على ظهر الطريق قد كادت الابل تطؤها فقام اليهم الغلام وقال هذا ابوذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعينونا على دفنه فاستهل عبد الله بن مسعود يبكي و يقول صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم تمشي وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك ثم نزل هو واصحابه وصلوا عليه ودفنوه وروى له ما تحدث

واحد

غبار المسجد وقال صلى الله عليه وسلم لتميم الداري لما علق القناديل في المسجد نورت الاسلام نور الله عليك في الدنيا والآخرة لو كان لي بنت لزوجتكها فقال رجل يا رسول الله انا ازوجه ابنتي فزوجه اياها فائدة قال ابن بطال في شرح البخاري الحديث في المسجد خطيئة يحرم بها الحديث استغفار الملائكة ودعائهم المرجو بركته وهو عقاب له بما آذاهم من الرائحة الخبيثة بخلاف النخامة فانها وان كانت حراما

للها كفاية وهي دفنها فمن أراد الفضيلة التامة فليمكث في المسجد متطهرا ان جوز العلماء رضي الله عنهم اعتكاف الحديث وفي الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش (قوله خيط الاذى) أي نحي يابؤ في المار من مسجد أو سوك أو نجس عن الطريق (صدقة) على المسلمين وأخرت عنه ولانها ادون مما قبلها كما يشير اليه قوله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق قيل وتسن كلمة التوحيد عقب اماطة الاذى ليجمع بين أعلى الايمان وأدناه وشرط الثواب على هذه الاعمال خلوص النية فيها وفعلها لله وحده كما دلت عليه الاخبار وتقييده في بعض طرق مسلم يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة ويجزئ عن ذلك ركعتان يركعهما في الضحى اى يكفي عن هذه الصدقات عن جميع الاعضاء كلها ركعتان من الضحى لان الصلاة تعمل بجميع الاعضاء فاذا صلى العبد فقد قام كل عضو منه بوظيفته وأدى شكر نفسه قال العلائي في تفسير سورة الملكوت الصلاة عرس الموحدين فانه يجتمع فيها ألوان العبادات كان العرس يجتمع فيه ألوان الطعام فاذا صلى العبد ركعتين يقول الله تعالى مع ضعفك أتيت بألوان العبادة قياما وقعودا وركوعا وسجودا وقراءة وتهليلا وتحميدا وتكبيرا وسلاما فاصنع جلالي وعظمتي لاجعل منى ان امنعك جنة فيها ألوان النعيم أوجبت لك الجنة بنعيمها كما عبدتني بألوان العبادة وأكرمك برزقي كما عرفتني بالوحدانية فاني لطيف اقبل عذرك واقبل منك الخير برحمتي فانها جدير من أعذبه من الكفار وانت لا تجد إلها غيري يغفر سيآت عبدي لك بكل ركعة قصر في الجنة وحورا

واحد وثمانون حديثا اتفقا منها على اثني عشر وانفرد البخاري بحديثين ومسلم بسبعة عشر (وأبي عبد الرحمن بن معاذ بن جبل) بن عمرو بن أوس بن عامر بن قائد بن عدي بن كعب بن عمرو بن أدد الانصاري المدني أسلم وعمره ثمان عشرة سنة وشهد العقبة مع السبعين وبدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرده رسول الله صلى الله عليه وسلم وراءه ووجهه الى اليمن بعد غزوة تبوك وخرج معه يشيعه ويوصيه ومعاذ راكب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي فلما فرغ قال يا معاذ انك عسى ان لا تلقاني بعد عامي هذا ولعلك تمر بمسجدي هذا وقبري فبكى معاذ وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل وعن أبي مسلم الخولاني انه قال انيت مسجد دمشق فاذا حلقة فيها كهول من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا بشاب فيها أكحل العين براق الثنايا كلما اختلفوا في شيء عرد وه الى الفتى قال فقلت لجليس لي من هذا قال معاذ بن جبل وعن شهر بن حوشب ان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا اذا تحدثوا وفيهم معاذ نظروا اليه هيبة له وقد تقدم في الحديث الثالث عشر ذكر عدد وقفله في الدنانير التي ارسل بها سيدنا عمر اليه وروي أن رجلا جاء الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين اني غبت عن امرأتي سنتين فجئت وهي تشاور عمر الناس في رجمها فقال معاذ بن جبل يا امير المؤمنين ان كان لك عليها سبيل فليس لك على ما في بطنها سبيل فاتركها حتى تضع فتركها فولدت غلاما قد خرجت ثنيته فعرف الرجل الثنية فقال يا بني ورب الكعبة فقال عجزت النساء ان يلدن مثل معاذ ولولا معاذ لهلك عمر وكان شبه امرأة ان فاذا كان عند احداهن لم يشرب الماء من بيت الاخرى ثم توفيا في السقم الذي أصابهم بالشام والناس في شغل فدفنا في حفرة فاسهم بينهما أيهما تقدم في القبر وكان اذا تهجد من الليل قال اللهم قد نامت العيون وغارت النجوم وأنت حي قيوم اللهم طلبي للجنة بطيء وهربي من النار ضعيف اللهم اجعل لي عندك شهادة ارده الى يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد وقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا معاذ اني لاحبك فقال وانا أحبك والله يا رسول الله قال فلا تدع ان تقول في دبر كل صلاة اللهم اعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وقال يا تي معاذ يوم القيامة بين يدي العلماء برتوة اى برمية سهم وقيل سهمين وقيل ميل وقيل مد البصر وروي ابن مسعود قال ان معاذا كان أمة قانتا لله حنيفا فقال لفروة بن نوفل يا أبا عبد الرحمن ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا فقال ما نسيته هل تدري ما الامة وما القانت قال الله أعلم قال الامة الذي يعلم الناس الخير والقانت المطيع لله عز وجل والرسول وكان معاذ بن جبل يعلم الناس الخير وكان مطيعا لله ورسوله وجاء رجل وقال علمني فقال وهل أنت مطيعي قال اني على طاعتك لحريص قال صم وانطر وصل وانم ولا تكتب ولا تنم بلا تموتن الا وأنت مسلم واياك ودعوة المظلوم وقال لابنه يا بني اذا صليت فصل صلاة مودع لا تظن انك تعود اليها أبدا واعلم يا بني ان المؤمن يموت بين حسنتين حسنة قدمها وحسنة أخرها ولما أصيب أبو عبيدة

وبأخل ركعة نظر فاتل وجهين * وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى الضحى يقرأ في الركعة الاولى بفاتحة الكتاب وآية الكرسي عشر مرات وفي الثانية فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد عشر مرات استوجب رضوان الله الاكبر وفي كتاب التنوير في اصلاة الدارين عنه صلى الله عليه وسلم صلاة الضحى تجلب الرزق وتنفي الفقر وقال صلى الله عليه وسلم لا يحافظ على صلاة الضحى الا أواب وقال صلى الله عليه وسلم ان في الجنة بابا يقال له باب الضحى فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كانوا يصلون الضحى هذا بابكم فادخلوه برحمة الله رواه الطبراني وأقل الضحى ركعتان وأكثرها ثمان ركعات وقيل اثنا عشر ووقتها من ارتفاع الشمس الى الاستواء ﴿خاتمة﴾ اخرج ابو داود والنسائي من قال حين يصبح اللهم ما أصبح بي من نعمة او باحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر فقد أدى شكر ذلك اليوم ومن قالها حين يمسي فقد أدى شكر ليلته اللهم اجعلنا لآلائك ذاكرين ولنعمائك شاكرين آمين والحمد لله رب العالمين

﴿المجلس السابع والعشرون في الحديث السابع والعشرين﴾

الحمد لله عالم السر والنجوى وكاشف الضر والبلوى الذي خلق فسوى وأخرج المرعى والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه مصابيح الهدى ﴿عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال البر حسن الخلق والاثم ما حاك في النفس وكرهت ان يطلع عليه الناس رواه مسلم وعن وابصة بن معبد رضي الله عنه قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جئت تسأل عن البر قلت نعم فقال استفت قلبك البر ما اطمأنت عليه النفس واطمأن اليه القلب والاثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وان افتاك الناس وافتوك حديث حسن رويناه في مسند

الامامين أحمد بن حنبل والدارمي باسناد جيد) اعلموا اخواني وفقني الله وإياكم لطاعته ان هذا الحديث من جوامع الكلم التي اوتيها صلى الله عليه وسلم وهو في الحقيقة حديثان لكنهما لما تواردا على امر واحد كانا كالحديث الواحد بخلاف الذي كانا شاهد للاول (قوله البر) أي معظمه وضمه الفجور والاثم فلذلك قابله به وهو بهذا المعنى عبارة (١٧٥) تمام فضاه الشرح ويجوز ان يقال أي كما ان الاثم عبارة عما نهي الشرع عنه وقد يقابل البر بالعقوق فيكون عبارة عن الاحسان كما ان العقوق عبارة عن الاساءة (قوله حسن الخلق) يدخل فيه طلاقة الوجه وكف الاذى وبذل الندى وان يحب للناس ما يحب لنفسه والانصاف في المعاملة والرفق في الجدلة والعدل في الاحكام والاحسان في السر والايثار في العسر وحسن الصحبة ولين الجانب واحتمال الاذى وفعل الواجبات واجتناب المحرمات وفي الحديث ان الله كريم يحب مكارم الاخلاق وأنشدوا

بمكارم الاخلاق كن متخلقا
ليفوح مسك ثنائك العطر الشذى
وانفع صديقك ان اردت صداقة
وادفع عدوك بالتي فاذا الذي
يريد بقية الآية ﴿تنبيه﴾
أفضل البر بر الوالدين
قال الله تعالى وقضى ربك
ان لا تعبدوا الا اياه
وبالوالدين احسانا وقد

عليه الصلاة والسلام اتق الله واصبر وآمرك واياها ان تستكثرا من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فما دلبيته وقال لامرأته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني وإياك أن نستكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله فقالت نعم ما امرنا به فجعلا يقولان فتفل العدو عن ابنه فساق غنمهم وجاء بها الى ابيه وهي اربعة آلاف شاة فنزلت الآية وفي رواية انه اصاب ابلا من القوم خمسين بعيرا وفي اخرى فانفلت ابنه من الاسر وركب ناقة للقوم ومر في طريقه لمسرحهم فاستاقه وقال متسائل انه أصاب غنما ومتاعا وكتب عمر لابنه أما بعد فاني أوصيك بتقوى الله عز وجل فانه من اتقاه وقاه ومن أقرضه جازاه ومن شكره زاده فاجعل التقوى نصب عينيك وجلاء قلبك * ولما ولى علي رضي الله عنه بعض رجلا على سرية فقال أوصيك بتقوى الله الذي لا بد لك من لقائه ولا منتهى لك من دونه وهل تملك الدنيا والآخرة الا بالتقوى * وقال رجل ليونس بن عبيد أوصني فقال اوصيك بتقوى الله والاحسان فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون * وقال له رجل يريد الحج اوصني قال اتق الله فمن اتقى الله فلا وحشة عليه * وفي منهاج العارفين ان بعض الصالحين قال لبعض اشياخه اوصني بوصية قال اوصيك بوصية رب العالمين للاولين والآخرين وهي قوله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم ان اتقوا الله * وفي الحديث عنه عليه الصلاة والسلام انه قال من احب ان يكون اكرم الناس فليتق الله وليعضهم رضي الله عنه

من عرف الله فلم تغنه * معرفة الله فذاك الشقي
ما يصنع العبد بعز الغنى * والعز كل العز للمتقي

وجاءت في القرآن لمعان الايمان نحو قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى أي التوحيد والتوبة نحو قوله تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا أي تابوا والطاعة نحو قوله تعالى أن انذروا انه لا إله الا انا فاتقون وانا ربكم فاتقون وترك المعصية نحو قوله تعالى واتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله اي لا تعصوه والاخلاص نحو قوله تعالى فانها من تقوى القلوب والخشية نحو قوله تعالى أعبدوا الله واتقوه اي اخشوه وليعضهم

اذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى * تقلب عريانا ولو كان كاسيا
وخير لباس المرء طاعة ربه * ولا خير فيمن كان لله عاصيا

﴿ولابي الدرداء رضي الله عنه﴾

يود المرء لو يعطى منساه * ويابى الله الا ما اراد
يقول المرء فائدتي ومالي * وتقوى الله افضل ما استفادا

ودخل شخص غيضة كثيرة الاشجار وقال لو خلوت هنا بمعصية من كان يراني فسمع هاتفا يصوت ملأ الغيضة الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وراود شخص أعرابية وقال لا يرانا الا الكواكب فقالت له اين مكوكبها ﴿وانبع﴾ بفتح الهمزة وسكون المثناة فوق وكسر الموحدة الحق ﴿السيئة﴾

قرن الله تعالى ذكرهما بذكره في غير موضع من كتابه ولهذا قال العلماء احق الناس بعد الخالق المنان بالشكر والاحسان والتزام البر والطاعة له والاذعان من قرن الله سبحانه وتعالى الاحسان اليه بعبادته وشكره بشكره وهما الوالدان كما قال تعالى ان اشكر لي ولوالديك الي المصير وفي الحديث رضا الرب في رضا الوالدين وسخطه في سخط الوالدين * وعن أبي امامة ان رجلا قال يارسول الله ما حق الوالدين على ولدهما قال هما جنتك ونارك رواه الدارقطني وغيره وقد قيل انما صرف الله

قال سليمان حدثنا ابن جريج أنه حدثه أن ابن أبي مليكة يقول الطعام البهما فذوقهما * وقال سفيان بن عيينة قدم رجل من سفره فصادفه أمه قائمة تصلي فكرمان يدعوها تأثمة فعلمت ما أراد فطول له ليؤخر وصفة البران تكفهما ما يحتاجان اليه وتكف عنهما الاذى وتلين لهما صدرك كما لان الطفل الصغير (٢٧٦) ولا تضجر من دخولهما وتستغفر لهما عقب صلواتك ولا تخرجهما

الصغائر منك صغيرة وكذا كبيرة كما اقتضاه ظاهر الحديث والحسنة بالنسبة اليها التوبة منها فلا ما جيء لقصره على الصغيرة كما قيل الشارح المحقق لكن في عد اعتياد الصغيرة من أن كل حسنة تكفر السيئة كبيرة أو صغيرة وأصل سيئة سيوئة فقلبت الواو ياء وأدغمت في الأخرى ﴿ الحسنة ﴾ صلاة أو صوما أو صدقة وان قلت او تسبيحا او تهليلا او استغفارا أو غير ذلك ﴿ تمحها ﴾ أي السيئة المدونة في صحف الكاتبين وذلك لان المرض والشيء يعالج بضده كالبياض يزال بالسواد وهو مجزوم بحذف الواو جوابا للامر والمراد اتباعها اياها فعلها بعدها وجعلها تابعة لها أي واقعة بعدها بحيث تقرب منها وهذا مقيد بغير محقرق العباد كما فيه فانه لا يمحوها الا الاستحلال اذا بانت من قيلت فيه * بعد ثبات وجه المطلوبة ان أمكن والا فقال ينبغي ان يكثر من الاستغفار والدعاء له لحديث اذا اغتاب أحدكم اخاه فليستغفر له فان ذلك كفارة * واعلم ان الصغيرة تكفرها التوبة وحدها واجتناب الكبائر امتثالا وان لم تحصل توبة ولا العبادات وان لم تحصل توبة أيضا وقصة رد أن رجلا يسمى بهمان التاجر كنيته أبو مقبل كان له حانوت يبيع فيه تمرا فجاءته امرأة اجنبية حسناء تشتري منه تمرا فقال لها ان داخل الحانوت ما هو خير من هذا فلما دخلت أصاب منها ما يصيب الرجل من امرأته من الضم والتقبيل غير انه لم يجامعها ثم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له يا رسول الله أصبت حدا فاقمه علي فاعرض عنه فقال له عمر لقد سترك الله لو سترت نفسك ثم كرر ذلك بنفسه مرارا وهو يعرض عنه حتى ذكر له القصة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ وضوءا حسنا فتوضأ وصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم فنزل قوله تعالى أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين فقال صلى الله عليه وسلم يا من رجل يتطهر فيحسن الطهر ثم يعمد الى مسجد من هذه المساجد الا كتب الله بكل خطوة يخطوها حسنة ويرفعه بها درجة ويحط عنه بها خطيئة وروى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلا أصاب من امرأة قبلة فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فانزل الله عز وجل اقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات فقال الرجل الى هذا قال لجميع أمتي كلهم عظة لمن اتعظ فقال معاذ يا رسول الله هذه له خاصة ام للناس عامة فقال بل للناس عامة وروي ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني ألممت بذنب عظيم فهل يكفر عني فقال ذنبك اعظم أم السموات فقال ذنبي أعظم فقال ذنبك أعظم ام الكرسي فقال ذنبي أعظم فقال ذنبك اعظم ام العرش فقال ذنبي اعظم فقال ذنبك اعظم ام الله اي عفوه قال بل عفو الله أعظم فقال عليه الصلاة والسلام عليك بالجهاد في سبيل الله تعالى فقال يا رسول الله اني لمن أجبن الناس ولولا أن اهلي تونسني اذا خرجت ليلا ما كنت أفعله قط فقال عليك بالصيام فقال والله يا رسول الله ما اشبع من خبز قط فقال له عليك بالصلاة في جوف الليل فقال يا رسول الله لولا أن اهلي يرقطرني لصلاة الصبح ما قمت لها فتبسم صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال عليك بكلمتين خفيفتين على اللسان

ان الحسنة تحصل اذاها ولا تحمل صاحبك على مكروهها ولا تخالفهما فيما لا يكون فيه خرق للشرع فاذا أمراك بما فيه خرق للشرع كترك الفرائض ومخالفة الاسلام وترك الصلوات الخمس وترك أداء الزكاة واخذ المال بغير حق وشهادة الزور وما أشبه ذلك فلا تطعهما لقوله صلى الله عليه وسلم وشرفه وكرمه لا طاعة لمخلوق في معصية الله ومن البر أن تغضبه لها كما تغضب لنفسك في الموت والحياة واذا ثار طبعك بالغضب عليهما فاذكر بيتهما وسهرها وتعبهما ولا تسافر سفرا غير واجب عليك الا باذنهما وان ظفرت بطعام أو شراب فعليك بايثارها باطيبه فطالما آثر الشرجاما ونومك وسهرا والام مقدمة على الاب في البر للاحاديث الواردة في ذلك (قوله والاثم) أي الذنب (ما حاك) أي رسخ او اثر (في النفس) اضطرابا وقلقا ونفورا ركراهة بعدم طمأنينتها (قوله وكرهت ان يطلع عليه الناس) أي رجوههم واما انهم الذين يستحي منهم وذلك ان النفس طاهرة من أصل الفطرة ثقيلتان

بما تحمد عاقبته وما تدوم عافيته ولكن غلبت عليها الشهوة حتى أوجبت لها الاقدام على ما يضرها كما غلبت على السارق والزاني مثلا فاوجبت لهما الحد ووجه كون كراهة اطلاع الناس على الشيء يدل على انه اثم ان النفس طبعها حب اطلاع الناس على خيرها وبرها وتكره ضد ذلك ومن ثم أهلك الرياء اكثر الناس فبكراهتها اطلاع الناس على فعلها يعلم انه شر وانم وقضية عموم

الحديث ابن حجر مخطور والله صيغة والهم بها أعم لوجود الملامتين فيه لكنه مخصوص بغير أن الله تجاوز لأمتي عما وسوست به نفوسها مالم تعمل به أو تتكلم به ربما يأتي كما قيل له صلى الله عليه وسلم انا نجد في نفوسنا ما يعظم أحدنا أن يتكلم به فقال ذلك صريح الايمان ومثل ذلك من هم بأمة ثم حال في نفسه فنفرت منه لطرب من الفتوى فانه يثاب (١٧٧) على ذلك ولانه حينئذ يصير من باب

ثقيلتين في الميزان حبيبتين الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم فضل فلا تعجز أيها المسكين اذا أتيت بسيئة بقلبك أو لسانك أو جوارحك أن تتبعها بحسنة من صلاة أو صدقة وان قلت أو ذكر ولو بالباقيات الصالحات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم فانها أحب الكلام الى الله وأحبب الى الرحمن وأثقل على اللسان وتثقل في الميزان * روى عن منصور بن عمار انه قال كان في من الانصار يقال له ثعلبة وكان يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه ذات يوم مر بباب رجل من الانصار فاطلع عليه في جماعة أو أنه تمثل فكرر النظر اليها بعينه ثم خاف ان ينزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اصبح خرج هاربا من المدينة استحياء من النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا أتى جبلا بين مكة والمدينة نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد ان الطارب من ربه مثل بين الجبال يتعوذ من النار فبعث النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب وسلمان الفارسي رضي الله عنهما وقال ائتيا بثعلبة بن عبد الرحمن فخرجا فوجدا راعيا من رعاة المدينة فقال يا عمر لعلك تريد الطارب من ربه فقال عمر وما أعلمك بانه هارب من ربه قال لانه اذا كان نصف الليل خرج علينا من هذا الشعب واضعا يده على أم رأسه وهو يبكي وينادي ليتك قبضت روحي مع الارواح وجسمي مع الاجسام فقال عمر اياه أريد فانطلق بهما حتى اذا كان في بعض الليل خرج عليهما وهو ينادي ليتك قبضت روحي مع الارواح وجسمي مع الاجسام فعدا عمر اليه فلما سمع حسه قال الامان الامان متي الخلاص من النار فقال له عمر اجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا طاقة لي بذلك الا انه ذكرني بالامس فبكى وارسلني اليك فقال يا عمر لا تدخلني على رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو يصلي او بلال يقول قد قامت الصلاة قال أفعل فلما أتى عمر الى المدينة وأتى به المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فلما سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وأتم صلاته قال يا عمر ويا سلمان ما فعل ثعلبة بن عبد الرحمن قالا هو ذا يا رسول الله فقال ما الذي غيبك عني قال ذنبي يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم أفلا اعلمك كلمات ان الله يغفر الذنوب بهن والخطايا قال بلى يا رسول الله قال قل اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قال ذنبي أعظم يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم بل كلام الله أعظم ثم امره بالانصراف الى منزله فانصرف فلما ان انصرف مرض ثلاثة ايام واتى سلمان الفارسي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان ثعلبة يجود بنفسه فدخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذ رأسه ووضعه في حجره فازاله عن حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجد قال مثل دبيب النمل بين جلدي وعظامي فنزل جبريل فقال يا رسول الله يقول الله لو لقيني بقراب الارض ذنوبا للقيته بقرابها مغفرة فاعلمه النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فصاح صيحة ثم غشي عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وغسله وكفنه وصلى عليه ثم احتمل الى قبره فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي على اطراف

قوله تعالى في الحديث القدسي اكتبوها لعبدي حسنة انما تركها من أجلي أما العزم فهو أتم لوجود الملامتين فيه ولا مخصوص يخرجه عن عموم الحديث بل خبر اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه ظاهر في ذلك (قوله في الحديث الثاني أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جئت تسأل عن البر قلت نعم) فيه معجزة كبرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أخبره بما في نفسه قبل ان يتكلم به وفي رواية أحمد أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اريد ان لا ادع شيأ من البر والاثم الا سألت عنه فقال لي ادن يا وابصة فدنوت حتى مست ركبتي ركبته فقال يا وابصة اخبرك عما جئت تسأل عنه أو تسألني عنه قلت يا رسول الله اخبرني قال جئت تسأل عن البر والاثم قلت نعم قال فجمع اصابعه الثلاث فجعل ينكت بها في صدري ويقول يا وابصة استفت نفسك الحديث (قوله استفت قلبك) وفي رواية نفسك (البر ما طمأنت اليه النفس) اي سكنت اليه وفي رواية اليه النفس واطمأن اليه القلب (والاثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر) اي القلب والجمع بينهما تأكيد (قوله وان افتاك الناس) اي علماؤهم كما في رواية وان افتاك المفتون بخلافه لانهم انما يعولون على ظواهر الامور دون بواطنها والمراد قد

أعطيتك علامة الإثم فاعتبر هاتين اجعلها بمرة ولا تنزل عن أفعالك بمفارقتها ﴿خاتمة المجلس في حسن الخلق﴾ قال الله تعالى لنبيه الكريم صلى الله عليه وسلم وإنك لعلى خلق عظيم وقال عليه الصلاة والسلام حسن الخلق من السعادة وسوء الخلق شؤم وشقاوة وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله (٩٧٨) صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا فقيل ما أكثر ما يدخل

يا رسول الله الجنة قال تقوى الله وحسن الخلق ﴿ وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثلاث من لم تكن فيه لم ينفعه الإيمان أو قال لم يعظم الإيمان حلم يرد به جهل الجاهل وورع يحجزه عن المحارم وخلق يداري به الناس ﴿ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الخلق الحسن زمام من رحمة الله تعالى والزمام بيد ملك والملك يجره إلى الخير والخير يجره إلى الجنة وإن الخلق السيء زمام من عذاب الله تعالى في أنف صاحبه والزمام بيد شيطان والشيطان يجره إلى الشر والشر يجره إلى النار وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال من كان فيه أربع خصال بدل الله سيآته حسنات يوم القيامة الصدق والحياء والشكر وحسن الخلق وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله وحكي عن شقيق البلخي رحمه الله تعالى أنه كانت له امرأة

الشمائل

سيئة الخلق فقيل له لم لا تفارقها وهي تؤذيك بسوء خلقها فقال إن كانت سيئة الخلق فإنا حسن الخلق لو فارقتها صرت مثلها ومع ذلك أخاف أن لا يمسكها أحد غيري لسوء خلقها ومن حسن خلق النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يمزح مع الحسن والحسين رضي الله عنهما في بيته وكانا يركبان عليه ويقولان له ألا هنا فاحملنا يا مركبنا فيقول لهما نعم الجمل جملكما ونعم الحمل أنتما وسئل صلى الله عليه وسلم أي الأعمال

أنا له فقالوا يا رسول الله نراك تمشي على أطراف أناملك فقال لم أستطع أن أمشي على الأرض من كثرة لحمي وسمني الملائكة وظاهر قوله تمحى أنها تزال حقيقة من الصحيفة وهو المتبادر إلى الفهم لأن الأصل الحقيقة ويجوز بعضهم كونه عبارة عن ترك المؤاخذة مع بقائها في الصحيفة وهو تجوز يحتاج لدليل وظاهره أيضا أن الحسنة وإن كانت بعشر أمثالها لا تمحو السيئة والعدة والتضعيف لا يمحو شيأ وليس مرادا بل هي تمحو عشر سيآت لما أخرجه الطبراني عن أبي مالك الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا نام ابن آدم فإن الملك والشيطان أعطى صحيفتك فيملي عليه إياها فما وجد في صحيفته من حسنة محا بها عشر سيئات من صحيفة الشيطان وكتب عشر حسنات وروى وكيع عن ابن مسعود أنه قال وددت أني صولحت أن أعمل كل يوم تسع خطيئات وحسنة فأشار إلى أن الحسنة تمحو تسع خطيئات ويفضل لها واحدة من ضعف ثواب الحسنة ثم إن الحسنة والسيئة لهما اطلاقات فتطلق ويراد بها التوحيد والسيئة يراد بها الشرك كما في قوله تعالى في النمل من جاء بالحسنة يعني التوحيد فله خير منها ومن جاء بالسيئة يعني الشرك فكبت وجوههم في النار نظير ما في القصص والأنعام وتطلق الحسنة على كثرة المطر والخصب والخير والسيئة على قحط المطر وقلة الخير كقوله تعالى فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يعني قحط المطر وقلة النبات يطيروا بموسى ومن معه وقال تعالى ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة يعني المطر وقلة الخير والحسنة كثرة المطر والخصب وقال تعالى وبلوناهم بالحسنات يعني كثرة المطر والخصب والسيئات يعني قلة المطر والجدب وقال في الروم وإن تصبهم سيئة يعني قحط المطر بما قدمت أيديهم وتطلق الحسنة على العافية والسيئة على العذاب في الدنيا كقوله في الرعد ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة والسيئة العذاب في الدنيا والحسنة العافية وتطلق الحسنة على العفو وقول المعروف والسيئة على القول القبيح والأذى كقوله تعالى في القصص ويدرؤن بالحسنة السيئة أي يدفعون بالقول المعروف والعفو القول السيء والأذى وتطلق الحسنة على النصر والغنيمة والسيئة على القتل والهزيمة كقوله تعالى في آل عمران إن تمسسكم حسنة تسؤهم يعني النصر والغنيمة يوم بدر وإن تصبكم سيئة يعني القتل والهزيمة يوم أحد ﴿ وخالق الناس ﴾ أي عامل الناس ﴿ بخلق ﴾ بضمتين ويسكن ثانيه تخفيفا وهو السجية التي طبع عليها وقد عرفوه بأنه ملكة للنفس تصدر عنها الأفعال بسهولة من غير فكر وروية فخرج بالملكة كل عارض غير قار من الأحوال ويصدوره عن النفس ما يصدر عن الجوارح كالكتابة وغيرها من الصنائع وبقيد السهولة ما كان بصعوبة كالصبر على بعض النوائب وكذا ما صدر بفكر فكله لا يسمى خلقا ﴿ حسن ﴾ والخلق الحسن ملكة نفسانية تحمل صاحبها على كل جميل وفي المفهم الخلق أي من حيث هو أوصاف الإنسان التي يعامل بها غيره وهي محمودة ومذمومة فالمحمودة إما الإنسان تكون مع غيرك على نفسك فتنصف منها ولا تنتصف لها وتتصيلا العفو والحلم والجود والصبر والرحمة وإن الجانب وتحمل الأذى وقول الهيتمي في شرح

أفضل فقال حسن الخلق وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان الخلق الحسن يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد وان الخلق السيء ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل * وقال وهب بن منبه مثل صاحب الخلق كمثل الفحار للكير لا يرقع ولا يعاد طينا * وقال الحسن رضي الله عنه من ساء خلقه عذب نفسه ومن كثر (١٧٩) ماله كثرت ذنوبه ومن كثر كلامه كثر سقطه وقال انس بن مالك رضي الله عنه ان العبد ليبلغ بحسن خلقه أعلى درجة في الجنة وهو غير عابد وان العابد ليبلغ أسفل دركة في جهنم بسوء خلقه وفي الحديث أن أفضل ما يوضع في الميزان الخلق الحسن وقيل حسن الاخلاق كنوز الارزاق وقيل جمع الله حسن الخلق في ثلاث كلمات من خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقيل سبعة من اخلاق المؤمنين مجالسة الفقراء ومسائلة العلماء ومخالطة الحكماء ومؤانسة الابرار ومجانبة الاشرار ومواظبة العبادات وهو مكارم الاخلاق * وجاء في حسن خلقه وتواضعه صلى الله عليه وسلم وشرفه وكرم عن ابي سلمة رضي الله عنه أنه قال قلت لابي سعيد الخدري رضي الله عنه ماترى فيما أحدث الناس من هذا المطعم والمشرب والملبس والمركب قال يا ابن الاخ كل لله واشرب لله والبس لله واركب لله وعالج في بيتك من الخدمة ما كان يعالج النبي صلى الله عليه وسلم في بيته كان يعالف الناضح ويعقل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب ويأكل مع الخادم ويطحن مع الخادمة اذا أعيت ويشتري الشيء من السوق ولا يمنعه من ذلك الحياء أن يعلقه بيده وأن يحمله في ثوبه ويقله الى أهله وكان يصافح الفقير والغني ويسلم مبتدئا على من استقبله من صغير أو كبير من أسود وأبيض وحر وعبد من أهل الصلاة ليست له حلة لمدخله وأخرى لمخرجه لا يستحي أن يجيب اذا دعي وان كان أشعث أغبر

الشمائل في تعريفه ملكة نفسانية يصدر عنها جميل الافعال وكمال الاحوال شرف الخلق الحسن فقط وقد قال مجاهد في تفسير قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما انهم اذا أوذوا احتملوا وصفحوا وصفه عبد الله بن المبارك الخلق الحسن بقوله هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الاذى وسئل سلام ابن مطيع عن حسن الخلق فانشا يقول

تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذي أنت سائله

وعن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صافح رجلا لم ينزع يده من يده حتى يكون الرجل هو الذي ينزع ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو الذي يصرف ولم ير مقدما ركبتيه بين جليس قط والاحاديث في مدح الخلق الحسن كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق وان صاحب الخلق ليبلغ درجة صاحب الصلاة والصوم ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن اكثر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن اكثر ما يدخل الناس النار فقال الفم والفرج ومنها قوله عليه الصلاة والسلام خياركم احسنكم اخلاقا ومنها قوله افضل ما اعطي المرء الخلق الحسن وعن الحسن انه قال من اعطي حسن صورة وخلقا حسنا وزوجة صالحة فقد اعطي خيري الدنيا والآخرة وفي الحديث خصلتان لا يكونان في مؤمن سوء الخلق والبخل وعن ابن عباس قال موسى عليه السلام يا رب ما لبثت فرعون اربعمائة سنة وهو يقول انا ربكم الاعلى ويكذب آياتك ورسلك فقال الله انه كان حسن الخلق سهل الحجاب فاحببت ان اكافئه وقيل لذي النون المصري من اكثر الناس صديقا قال أسوأهم خلقا وقال صلى الله عليه وسلم اكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا وان العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة القائم الصائم وحسن الخلق وان كان جبليا لكن في الحديث رمز الى انه يمكن اكتسابه والا لم يكن للامر به فائدة كما ورد به اذا حسن خلق المرء حسن عمله بطلاقة وجهه وجبر الخواطر وكف الاذى فان ذلك مؤد لاجتماع القلوب وانتظام الاحوال وهو جماع الخير وملاك الامر ثم ان الامر به عام خصصه مستحقه بفرج الكفار والظلمة فاغلظ عليهم (رواه الترمذي في السير) وقال حديث حسن (فقط) (وفي بعض النسخ حسن صحيح) وهو حديث عظيم وقاعدة الدين

﴿الحديث التاسع عشر﴾

(عن ابي العباس عبد الله بن عباس) بن عبد المطلب ولد في الشعب وهو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة وقيل ابن خمس عشرة سنة وصححه احمد وقيل ابن عشر ويؤيد الاول ما صح عنه من قوله في حجة الوداع وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام كان حبر الامة ويسمى البحر لغزارة علمه وصح انه صلى الله عليه وسلم دعا له بقوله اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل اللهم علمه الحكمة وتاويل القرآن

ولا يحقر ما دعي اليه ولم يجد الا مستشفيا الى الله تعالى لا يرفع فداه اعشاء ولا عشاء الا ويجمع فيه أهل أبياتها بين كسرة وخبزة ولا شربة سويق وهين اللؤلؤ الخليقة كريم الطبيعة جميل المعاشرة طلق الوجه بساما من غير ضحك محزونا من غير عبوس متواضعا من غير ذلة يخالط من خير رفيع (١٨٠) بكل سلم رافق الناس به لم يجتمع قط من شيع ولم يحدث الى طعم قال أبو

سلمة رضي الله عنه فدخلت على عائشة رضي الله عنها فحدثتها بهذا الحديث عن أبي سعيد رضي الله عنه فقالت ما أخطأ حرفا واحدا ولكن قصر فيما أخبرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلاق فداشبعا ولم يبث شكواه وكانت القاعة أحب اليه من الغنى واليسار وكان يصلي جائعا ويبلو ليله جميع القرآن حتى يصبح ولا يمنعه ذلك عن قيام يومه وصيامه ولو شاء ان يسأل الله تعالى كنوز الارض وثمارها غدوا وعشيا من شرقها الى غربها فعل ولربما أبكى له رحمة لما أرى به من الجوع واسمح بطنه بيدي واقول يا حبيبي لو تبلغت من الدنيا ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول لي يا عائشة ان اخواني من اولي العزم من المرسلين قد صبروا على ما هو أشد من هذا فصبروا بحالهم وقدموا على ربهم فاكرم مثواهم وأجزل ثوابهم فاستحي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر اياما يسيرة احب الي من ان ينقص وما من شيء احب الي من اللحوق باخواني يا عائشة قال فما

اللهم بارك فيهما وانشر منهما ابدالك الصالحين وكان عمر وعثمان يدعوان بدعوة فيشير عليهما بما فيه اهل بدر حتى قال بعضهم لعمر أتدعو هذا الفتى وترك ابناءنا من هو مثله فقال انه ممن قد علمتم فدعاهم يوما ودعاه معهم فسألهم عن هذه السورة اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا فقالوا أمر الله نبيه اذا فتح الله عليه ان يستغفر وان يتوب اليه فقال له ما تقول يا ابن عباس فقال ليس كذلك ولكنه اخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بحضور أجله فقال اذا جاء نصر الله والفتح اي فتح مكة ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا اي فذلك علامة موتك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقال كيف تلومون عليه بعد ما ترونه وقال له عمر والله انك لاصبح الفتيان وجها واحسنهم عقلا ما رأفقهم في كتاب الله عز وجل وقال الحسن كان ابن عباس يقوم على متبرنا هذا فيقرأ البقرة وآل عمران فسرها اية اية وكان عمر اذا ذكره يقول ذاكم فتى الكهول له لسان سؤول وقلب عقول وقال ابن مسعود نعم ترجمان القرآن ابن عباس لو ادركنا سنا ما عاشره منا احد وقال مسروق ادركت مشيخة اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الاصاغر فاذا خالفوا ابن عباس لم يزل يقررهم حتى يرجعوا الى قوله قال وكنت اذا رأيته قلت اعلم الناس واذا تكلم قلت افصح الناس واذا حدث قلت اعلم الناس وقال عمرو بن دينار ما رأيت مجلسا أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس ما ثبت اندراي جبريل مرتين وهذا سبب عماه في آخر عمره فانه ورد انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن رآه معه ولم يعرفه فقال له ذاك جبريل اما انك ستفقد بصرك وفي ذلك يقول

ان يأخذ الله من عيني نورهما * ففي لساني وقلبي منهما نور
قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل * وفي فمي صارم كالسيف مأثور

وعنه ايضا انه قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرجل من الانصار هلم فلنسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم اليوم كثير فقال يا عجبا لك يا ابن عباس اترى الناس يفتقرون اليك وفي الناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من فيهم قال فتركت ذلك واقبلت اسأل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحديث فانه كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل فاتوسد ردائي او قال ثوبي فيخرج فيراني فيقول يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء بك هلا ارسلت الي فآتيك فاقول لا انا احق ان آتيك فاسألك عن الحديث فعاش ذلك الرجل الانصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي يسألوني فيقول هذا الفتى كان اعقل مني وعن ابي صالح قال اندرايت من ابن عباس مجلسا لو ان جميع قريش تفخر به لكان لها فخرا رايت الناس اجتمعوا حتى ضاق بهم الطريق فما كان احد يقدر ان يجيء ولا يذهب قال فدخلت عليه فاخبرته بمكانهم على بابه فقال ضم لي وضوأ قال فتوضأ وجلس وقال اخرج وقل لهم من كان يريد ان يسأل عن القرآن وحروفه فليدخل قال فخرجت فاذنتهم فدخلوا حتى ملؤا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء الا اخبرهم به وزادهم مثل ما سألوه او اكثر ثم قال اخواتكم فخرجوا ثم قال اخرج فقل من اراد ان يسأل عن تفسير القرآن او تأويله فليدخل

قال استكمل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا الاجمعين حتى قبضه سبحانه وتعالى اليه اللهم امتنا على سنته برحمتك يا ارحم الراحمين آمين ﴿ المجلس الثامن والعشرون في الحديث الثامن والعشرين ﴾ الحمد لله الذي تفرد بالعز والجلال وتوحد بالكبرياء والكمال وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا انفاذ لحكمه ولا زوال واشهد ان سيدنا وحبيبنا محمدا عبده ورسوله الذي

أكرمه الله بشرف الجمال صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه بالقدر والآمال آمين (عن أبي نجيح العرباض بن سارية رضي الله عنه قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن أمر عليكم عبد فليموه وإنه من يعش (١٨١) منكم فسيرى اختلافا كثيرا

قال فخرجت فإذا هم قد خلوا حتى ملؤا البيت والحجرة فسألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله أو أكثر ثم قال اخرجوا فخرجوا ثم قال اخرج فقل من أراد أن يسأل عن الخلال والحرام والفقه فليدخل فخرجت فقلت لهم قد خلوا حتى ملؤا البيت والحجرة فسألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله ثم قال اخرجوا فخرجوا ثم قال اخرج فقل من أراد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها فليدخل قال فخرجت فإذا هم قد خلوا حتى ملؤا البيت والحجرة فسألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله ثم قال اخرجوا فخرجوا ثم قال اخرج فقل من أراد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل فدخلوا حتى ملؤا البيت والحجرة فسألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم عليه قال أبو صالح فما رأيت مثل هذا لأحد من الناس وعن ابن عمران رجلا أتاه يسأله عن قوله تعالى أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما فقال اذهب إلى ذلك الشيخ فاسأله ثم قال تعال فأخبرني فقال فذهب إلى ابن عباس فسأله فقال ابن عباس كانت السموات رتقا لا تمطر وكانت الأرض رتقا لا تنبت فلما خلق هذه بالمطر وهذه بالنبات فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره فقال ابن عمر قد أراني علما صدق هكذا كانت ثم قال ابن عمر قد كنت أقول ما تعجبني جرأة ابن عباس على تفسير القرآن فالآن قد علمت أنه أوتي علما وشتمه رجل فقال له إنك تشتمني وفي ثلاث فعال إني لآتي على الآية من كتاب الله تعالى فأود أن جميع الناس يعلمون منها ما أعلم وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح به ومالي بمسألة وكان يقول ما يلقى عن أخ لي مكروه قط إلا التمست له أحد ثلاث عذرا فإن كان فوقي عرفت له ذلك من قدره وإن كان نظيري تفضلت عليه وإن كان دوني ذللت له فعل هذه سيرتي في نفسي فمن رغب عنها فارض الله واسعة وعن طاوس أنه قال ما رأيت أحدا كان أشد تعظيما لحرمات الله تعالى من ابن عباس والله لو أشاء أن أذكر تعالى لبكى ليكيت وكان ابن عباس يقول لأن أعول أهل بيت من المسلمين شهرا أحجة أو ما شاء الله أحب إلي من حجة بعد حجة وأطبق بدا تنفق اهديه إلى أخ لي في الله أحب إلي من دينار أنفقه في سبيل الله عز وجل وكان يقول أيضا هذا الحكم من سمعت فإن الرجل ليتكلم بالحكمة وليس بحكيم فيكون كالرمية خرجت من غير رام توفي رضي الله عنه بالطائف سنة ثمان وستين في خلافة ابن الزبير وقيل سنة تسع وقيل سنة سبعين وقد ابن احدى وسبعين سنة وصلى عليه محمد ابن الحنفية وقال اليوم مات ربانى هذه الأمة ولما وضع ليصلى عليه جاء طائر أبيض حتى دخل في أكفانه فالتمس فلم يوجد فلما سوى عليه سمع قائلا يقول يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي * ولما بلغ جابر بن عبد الله وفاته صفق باحدى يديه على الأخرى وقال مات أعلم الناس وأحلم الناس ولقد اصيبت به هذه الأمة مصيبة لا ترتق * قال كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم * أي على بغلة فسألته الواحدي عن ابن عباس رضي الله عنهما

فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن ذلك بدعة وكل بدعة ضلالة رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن * اعلموا إخواني وفقني الله وإياكم لطاعته أن هذا الحديث حديث عظيم (قوله وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي بعد صلاة الصبح وكان صلى الله عليه وسلم يقطع ذلك منها أحيانا كما في الصحيحين بحسب مصالحهم وأحوالهم ولهذا كان ابن مسعود رضي الله عنه يذكر كل يوم خميس (قوله موعظة) وهي النصح والتذكير بالعواقب (قوله وجلت منها القلوب) أي خافت منها أي من أجلها (قوله وذرفت) بفتح الراء أي سالت (منها العيون) أي دمعت عيانا فإنه يعتني للعالم أن يعظ أصحابه ويذكرهم بما ينفعهم في دينهم ودنياهم ولا يقتصر لهم على مجرد الأحكام والحدود والرسوم وإنه ينبغي المبالغة في الموعظة لترق منها القلوب فيكون أسرع إلى الإجابة ولهذا كان صلى الله عليه وسلم إذا خطب وذكر الساعة اشتد غضبه وعلا صوته واحمرت عيناه وانتخت أوداجه ولهذا قال الله تعالى وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا وفي الخبر إذا اشتبكت الأصوات واختلفت اللغات وأشار الخلق بالأكف إلى رب السموات واشتد البكاء وعلا الدعاء وظهر الحنين واشتد الأنين وانهملت العيون

بابلغ السرامتوأخلصوا التوبة من سوء الموبقات اطلع الله جل جلاله بقول ملائكتي اني أشوق الى دعائهم من الظمآن الى الماء البارد وقد اتفق لبعض السلف نظيرها انه كان يعظ في مجلسه الواحد الاثنان كما حكي عن كثير منهم رضي الله عنهم قال بعضهم حضرت مجلس ذي النون المصري رضي الله عنه فقال حضر مجلسه من حضر فكان عدتهم ستين ألفا فتكلم في محبة الله تعالى وما يتعلق بالمحبين وصفاتهم فما استتم مجلسه أحد عشر فصاح صائح الناس بالصراخ والبكاء ووقع الى الارض خلق كثير مغشيا عليهم ولم يفيقوا ذلك النهار فناداه بعض مريديه يا أبا الفيض أحرقت القلوب بذكر المحبة فما بقي هذا الوجد تارة شديدا وتارة خفيفا وصفين وقال كم أراك خلقت رجوعهم واستمرت عيونهم وخالفوا السواد فارقوا الرقاد فليلهم طويل ونومهم قليل أحسوا الهم لا يغفل وهمومهم لا تفقد أمورهم عسيرة ودمعهم غزيرة باكية عيونهم قريحة جفونهم قد أعادها الرازقي وعفاها الانس والليل قد أحرقت المحبة قلوبهم وصفاهن الشوق سرورهم لا يجدون لهذا ولا يلقون الا بهذا ولا يفرحون الا بالمنى * وقد حكي أن واعظا كان يعظ الناس فكان يموت في مجلسه الواحد والاثنان والثلاثة وكان بجواره امرأة صالحة من أرباب الاحوال ولها ولد أخ وكانت تخاف عليهما من الحضور خوفا عليهما كل يوم تغلق الباب وتخرج فتجي بعض

سعيد

الايام خرجت وتركت الباب مفتوحا فخرجا وحضرا المجلس فمات من مات فلما عادت وجدتهما ميتين في المسجد فقالت وعزة ربي لا يخرج الا كما خرجا فلما فرغ الشيخ وأراد الخروج من المسجد تعرضت له وقالت له هذين البيتين أصبحت تنهى ولا تنتهي * متى تلحق القوم يا أكوع ويا حجر المسن متى تنقضي * تسن الحديد ولا تقطع فوقعا في قلبه كانهما سهمان فخر ميتا رحمة

الله عليهم أجمعين (قولا فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع) وذلك لما رأيا من تأثير وعظه صلى الله عليه وسلم في قلوبهم وتحذيرهم عما كانوا يألفونه قبل فظنوا أن ذلك لقرب فراقه لهم فان الموعظ يستقصي ما لا يستقصي غيره في القول والفعل كما جاء عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يبالغ في وعظ أصحابه عند موته بما يوصيهم (قال فقال) أي (١٢٨) وصية جامعة كافية لمن تمسك بما فيه

استيعاب الوصية والموعظة من أهلها يا اغتنام أوقات أهل الدين والخير قبل وفاتهم فان أعمار الخيار قصار وليله قال أوصيكم بتقوى الله فجمع في ذلك كل ما يحتاج اليه من أمور الآخرة اذ التقوى يأتي على الاوامر باجتناب النواهي وتكاليف الشرع لا تخرج عن ذلك وقد جعل الله سعادة الدنيا فانية وسعادة الآخرة باقية وسعادة الآخرة انما تحصل بتقوى الله وهي وصية الله تعالى لجميع الامم كما قال تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وللتقوى ثلاث مراتب * الاولى التوقي من العذاب المخلد بالتبرى من الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى * والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم وهذا التجنب هو المتعارف بالتقوى في الشرع وهو

سعيد بن المسيب يقرن لابنته في الملازمة بي من أجل ما رجاه أن تحفظ ثم يقول فان أبوها ما ذا * وكان عمر بن عبد العزيز يقول ما من مؤمن يصاحب موته الا حفظه الله عز وجل في عقبه وعقب عقبه وقيل يحفظ الى بيرانه وأهل بيته الذين بين يديه ان الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده والدويرات التي حوله وعكس هذا ان يعقب الرجل السوء فيسأل الله تعالى بحق هذا ضيع الله من ضيعه فمن ذلك ما نقل عن أبي [illegible] أسأل الله [illegible] بضم الباء وفتح الظاء أصله وحاذ بضم الباء وكسر الظاء فلبت تاء وعوض الفاء عن العين المحذوفة بضم الظاء المعرج بها في الرواية الآتية لكنه لا يستجاب الدعاء عليه تعالى بمعنى حفظا وافرا عاطفا رأيا وعناية فائقة معنوية لا ظرفية وأنشد بعضهم

اذا ما كنت أحسنت أماما * كفى بالمرء ما يأتي بذكرك هاديا

وهو تأكيد لما قبله ومن ثم أورده بالفاء العاطفة لتحقق الاتصال بينهما وخص الانام من بين بقية الجهات الست اشعارا بشرف المقصد وبان الانسان مسافر الى الآخرة غير قار في الدنيا والمسافر انما يطلب امامه لا غير فكان المعنى نجده حيثما توجهت وقصد من أمر الدنيا والدين وقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم أرسل سرية وأمر قائدها ان يسير في ساعة فاتكمن بهم السير فخرج الى البرية فاذا هو بالاسد فقال أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخل عن الاسد شيء منحرف عن الطريق فلما أوقفه عليها جعل يهمهم كأنه يودعه وروي أن ابن عمر قال لمن يخرج في سفر اتق الله حيثما كنت وتقول الطريق خوفا من السبع فقال انما يسلط على ابن آدم بما يخاف ولو انه لم يخف غير الله لم يسلط عليه شيء وقال المزني قصدت السلام على أبي اليمان البوسابوري فلما صليت المغرب بحضرته لا تطهر فقصدني السبع فقمت اليه وأخبرته فخرج وصاح على الاسد فقال له ألم أقل لك لا تعترض لاضيافي فتنحى عني وتطهرت فلما رجعت قال لي الشيخ اعتظلم بتقويم الظالم تفهم الاسد واشغالنا بتقويم الباطن تفترسنا الاسد (اذا سألت) أي أردت ان تسأل شيئا (فاسأل الله) دون غيره ان يعطيك اياه من فضله فانه الغني على التحقيق والمولى لكل خير وترفيق وحسبك ان الجود بيده وأمرها اليه لا معطي ولا مانع سواه وأنشد بعضهم

سلم الامور الى مالكها * فله العلم المحيط الواسع

واطلب المعروف منه دائما * فهو معطي ذاك وهو المانع

وقال طاوس لعطاء اياك ان تطلب حوائجك من يغلق بابه دونك وعليك من بابه مفتوح الى يوم القيامة أمرك ان تسأله ووعدك ان يجيبك وقال عامر بن قيس قرأت آيات في كتاب الله فاستغنيت بالله عن الناس قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو فلم أسأل غيره كشف ضري وقوله تعالى وان يردك بخير فلا راد لفضله فلم أرد الخير والفضل الا منه وقوله عز وجل وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فلم أطلب الرزق من غيره فاغناني الله عن الناس بهذه الآيات وقال الفضيل بن عياض

المراد بقوله تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا وعلى هذه قول عمر بن عبد العزيز التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله فمن رزق الله بعد ذلك فهو خير الى خير * الثالثة أن ينزه عما يشغل سره عن الحق تعالى وهذه هي التقوى الباطنية المطلوبة بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وقال ابن عمر التقوى أن لا ترى نفسك خيرا من أحد وقد بين الله تعالى ان التقوى خير لباس فقال ولباس التقوى ذلك خير وقيل

اذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى * تجرد عريانا ولو كان كاسيا

أحب الناس الى الله من انتفى عن الناس وابغض الناس الى الناس من احتاج الى الناس وسالهم واحب الناس الى الله من جعل من سأله واستغنى به عن غيره وابغض الناس اليه من استغنى عنه وسأل غيره وقال ابن السماك ان في طلب الرجل الحاجة من أخيه فتنة ان هو أعطاه فتنه صغير الذي أعطاه وان منعه منعه غير الذي رجاه لانه لا معطي ولا مانع في الحقيقة الا الله تعالى وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال من استغنى بالله عز وجل احوج الناس اليه ومن دعاه الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك فصنه عن مسألة غيرك وكان بعضهم يقع سوطه فلا يسأل احدا ناولنا اياه لان السؤال فيه ذل وافتقار وكان بعضهم يقول من احتجت اليه هنت عليه وقال بعض العارفين قيل لي في نوم كاليقظة او يقظة كالنوم لا تبدين فاقة الى غيري فاضاعفها عليك مكافأة بسوء ادبك اذا ابتليتك بالفاقة وحكمت لنفس بالغنى لتفزع منها الى وتضرع منها الي فان وصلتها بالغنى وان وصلتها بغيري قطعت عنك مواد معونتي وسأل رجل الامام احمد ان يدعو له فقال الامام ان كان الله تكفل بالرزق فاهتمامك لماذا وان كان الرزق مقسوما فما تحرص لماذا وان كان الطلب على الله فالبخل لماذا وان كانت الجنة حقا فالراحة لماذا وان كانت النار حقا فالمعصية لماذا وان كانت الدنيا فانية فالطمأنينة لماذا وان كان الحساب حقا فالجمع لماذا وان كان كل شيء بقضاء الله وقدره فالحزن لماذا وقال حاتم الاصم لزوجته لما أراد ان يخرج الغزو كم اعطيك انفقتك فقالت على قدر حياتي قال حاتم ليس هذا بيدي قالت امر الرزق ايضا ليس بيدك ثم بعد ما خرج ساقها عجوز وقالت لها غاب حاتم عنك كم ابقى من من النفقة لك فقالت لها سبعة ايام كان مرزوقا والرزاق ما غاب عني ﴿ واذا استعنت ﴾ اي طلبت الاعانة على امر من امور الدنيا والدين واذا حذف المعمول المؤذن بالعموم ﴿ فاستعن بالله ﴾ لانه القادر على كل شيء وغيره عاجز عن كل شيء والاستعانة انما تكون بقادر على الاعانة وانما من هو كل على مولاه لا قدرة له على انفاذ ما يهواه لنفسه فضلا عن غيره فكيف يؤهل للاستعانة به او يتمسك بسببه ومن كان عاجزا عن النفع والدفع عن نفسه فهو عن غيره أعجز ليت الفحل يرضم نفسه فاستعانة مخلوق بمخلوق كاستعانة مسجون بمسجون فلا تستعن الا بمولاك فهو وليك في اخراك وأولاك كيف تستعين بعبد مع علمك بعجزه فان لا يستطيع دفع نازلة عن نفسه كيف يدفعها عن غيره من ابناء جنسه فلا تنتصر الا بهو الولي الناصر ولا تعتصم الا بحبله فانه العزيز القادر وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز لا تستعن بغير الله يكلك الله اليه وما احسن قول الخليل على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام لجبريل لما قال له ألك حاجة حين وضع في المنجنيق اما اليك فلا قال سل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي وقال بعض العارفين لا تطلب معونة المخلوق فتتوجه عليك الحقوق وقد لا تفي بها وعليك بالافتقار والانكسار والذلة والاضطرار فانه يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء وقال بعضهم لا تكن عبدا الا لمن يقوم

ويجوز ان يكون اخبرا عن فساد الزمان حتى يوضع الامر في غير اهله كالعبد فاذا كان ﴿ سمعوا واطيعوا ﴾ تغليبا لاهون الضررين وهو الصبر على ولاية من لا يجوز ولايته لئلا يؤدي عدم الطاعة الى فتنة عمياء صماء لا دواء لها ولا خلاص منها هذا ومن المعلوم ان السمع والطاعة انما هما في طاعة الله تعالى كما دلت عليه الاخبار الكثيرة (قوله وانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا) هذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم اذا كان عالما بما يقع بعده جملة وتفصيلا ولما صح انه كشف له عما يكون

فصل في خصال الفرطة قريبة ﴿ ولا تخزني يوم من كان عاصيا ﴾ قيل ليحذر العاصي عند موته او مما قال عليكم بآخر آية من سورة النحل ان الله مع الذين اتقوا الذين هم محسنون وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اوصني قال عليك بتقوى الله فانها تجامع كل خير وعليك بالجهاد فانه ﴿ وعليك بذكر الله فانه نور لك في الارض وذكر لك في السماء واخزن لسانك الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقد ذكرت هذا في غير هذا المجلس ومن فوائد الفاتحة وجوه التكرار لان الشيء كلما كرر حصل وقد اتفقت الامة على فضيلة التكرير وطلبها حتى قال قائلهم

ولا تمش الامر مع رجال فلومهم
تحن الى التقوى وارتاح الى الذكر

لان العيش الطيب انما يكون مع الحياة والحياة بزوال الغفلة وزوالها بدوام اليقظة لما خلق له (قوله والسمع والطاعة) جمع بينهما تأكيدا للاعتناء بهذا المقام وهو من عطف الخاص على العام (قوله وان تأمر عليكم عبد) اي على سبيل الفرض والتقدير اذا لعبد لا يكون واليا ولكن الشارع صلى الله عليه وسلم ضرب المثل تقديرا وان لم يكن كقوله من بنى لله مسجدا ولو مفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة ولم يمكن ان يكون مفحص القطاة مسجدا او لكن الامثال يؤتى فيها مثل هذا

الى أن يدخل اهل الجنة والنار منازلهم (قوله فعليكم) أى الزموا أيها المتمسك (بسنتى) أى طريقتى القويمة التى أنا عليها من الاحكام الاعتقادية والعملية الواجبة والمندوبة (وسنة الخلفاء الراشدين المهديين) وهم أبو بكر فعمر فعثمان فعلى فالحسن رضى الله عنهم قال بعض العلماء يقدم ما أجمع عليه الاربعة ثم ما أجمع عليه أبو بكر فعمر وهكذا فى حق المقلد الصرف فى تلك الازمنة الفريدة من زمن الصحابة أما فى زماننا فقال بعض أئمتنا لا يجوز تقليد غير الائمة الاربعة الشافعى ومالك وأبى حنيفة وأحمد رضوان الله عليهم أجمعين (قوله عضوا عليها بالنواجذ) بالمعجمة جمع ناجذ وهو آخر الاضراس الذى يدل نباته على الحلم من فوق وأسفل من كل الجانبين فللانسان اربع وهذا كناية عن شدة التمسك بالسنة (قوله وإياكم ومحدثات الامور) أى باعدوا واحذروا الاخذ بالامور المحدثة فى الدين واتباع غير سنن الخلفاء الراشدين (فان ذلك بدعة وكل بدعة ضلالة) وهى لغة ما كان مخترعا على غير مثال سابق وشرعا ما أحدث على خلاف أمر الشارع ودليله اخاص أو العام فان الحق فيما جاء به الشرع وليس بعد الحق الا الضلال وتنقسم البدعة الى أحكام خمسة واجبة كالاشتغال بالنحو والصرف وتحريرها ومحرمة كمذاهب مبتدعة المخالفة لادلة السنة ومندوبة كاحداث الربط والمدارس ومكروهة كزخرفة المساجد وتزيين المصاحف ومباحة كالتوسعة فى لذائذ المآكل والمشارب والملابس والتوسيع الاكمام والصادسة عقب العصر والصبح وقد قدمنا ذلك واعلم ان الترمذى روى مرفوعا تفرقت اليهود على احدى وسبعين فرقة او اثنتين وسبعين والنصارى مثل ذلك وتفرقت امتى على ثلاث

بمسالك بسيوك فى ما ترك زمانا يوم بأمورك الا الله فلا تسمعن الا به ولا يستعبدك سواء شهوة السخر لك عبادهم أكد صلى الله عليه وسلم ما تقدم من الحث على التوكل والاعتماد على الله تعالى بقوله ﴿واعلم ان الامة﴾ خطاب لابن عباس والمراد العموم وانما أكد الامر بان حثا على تيقن انه لا ينفع ولا يضر الا من الله والمراد بالامة هنا جميع الخلق كما صرح به فى رواية أحمد وأما مدلولها وضعا فالجماعة كقوله تعالى أمة من الناس يسقون واتباع الانبياء وكما يقول نحن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم والرجل الجامع للخير كقوله تعالى ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا قال الشاعر

وليس على الله بمستنكر * ان يجمع العالم فى واحد

والدين والملة كقوله تعالى انا وجدنا آباءنا على أمة وقول بعضهم * ودل بسنين يذر أمة وكفور *

وقال الآخر كنا على أمة آبائنا * ويقتدى الآخر بالاول

والزمان كقوله تعالى الى أمة معدودة وقوله تعالى واذكر بعد أمة أى بعد حين وزمان والقامة كقوله فلان حسن الامة أى القامة والرجل المنفرد بدينه الذى لم يشركه فيه أحد كقوله صلى الله عليه وسلم يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده والام كهذه أمة زيد أى أم زيد وأما الامة بالكسر فهى النعمة كما قال الجوهرى وأما الآمة بالفتح فهى شجة فى الرأس أضمت العظم ﴿لم يضروك﴾ أنث باعتبار اللفظ وذكر ما بعده باعتبار المعنى وقد يعكس لان ان الشرطية على الاستعمال كما فى قوله تعالى لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم ونكتة العدول عن ان اجمعهم على الامداد من المستحيلات بخلاف اتفاقهم على الايذاء فانه ممكن من غير المعصومين لذا قيل

الظلم من شيم النفوس فان تجد * ذا عفة فلعلة لا يظلم

﴿على أن ينفعوك شىء﴾ من خير الدنيا والآخرة ﴿لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله﴾ تعالى ﴿لك﴾ فى الازل ﴿وان اجتمعوا على ان يضروك بشىء﴾ زائد على ما ﴿لم يكتبه الله عليك﴾ ﴿لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله﴾ تعالى ﴿عليك﴾ كما يشهد لذلك قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وقوله تعالى ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم الا فى كتاب * وبيانه ان ازمة الموجودات بيده منعا واطلاقا فاذا اراد احد ان يضرك بما لم يكتب عليك دفعه الله تعالى عنك بصرف ذلك الغير عن مراده بعارض من عوارض القدرة الباهرة مانع من الفعل من اصله كمرض او شغل أو نسيان او صرف قلب او من اثيره ككسر قوس ومعارضة سهم وفساد رمى ومن تيقن ذلك لم يشهد نفعه وضره الا منه وما احسن ما قيل

افوض الامر الى خالقى * فحسبى الهى ونعم الوكيل

ولا ارجعن الى غيره * فان الاله الكل كفيل

ولا ينافى هذا قوله تعالى حكاية عن موسى عليه الصلاة والسلام فاخاف ان يقتلون انا نخاف ان يفرط

وسبعين فرقة * وروي وأيضا ليأتين على أمتي كما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال ما أنا عليه

وروى مالك في الموطأ مرسلا أنه صلى الله عليه وسلم قال تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله فعليكم أيها الإخوان بمتابعة أهل السنة والجماعة ولزوم طريقتهم فإن ملتم عنها شمالا ويمينا ومتم عن طريق الله تعالى كما قال تعالى ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله أي طريقه أي فتميل بكم وتفرقكم طريق البدع عن طريق الحق والمراد بالسنة طريقه صلى الله عليه وسلم والصحابة ومن تبعهم على طريقتهم في العقائد والأعمال والأقوال وقد روى النسائي والدارمي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وشماله وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه الآية وقال سهل التستري رحمه الله عليكم بالاقتداء بالأثر والسنة فإني أخاف أنه سيأتي عن قليل زمان إذا ذكر إنسان النبي صلى الله عليه وسلم والاقتداء * في جميع أحواله ذموه ونفروا عنه وتبرؤا منه وآذوه وأهانوه * وقال سهل أيضا إنما ظهرت البدعة على يدي أهل السنة لأنهم ظاهروهم وقاولوهم فظهرت أقاويلهم وفشت في العامة فسمعها من لم يكن يسمعها ولو تركوهم ولم يكلموهم لمات كل واحد منهم على ما في صدره ولم يظهر منه شيء وحمله إلى قبره فجانبوا يا إخواننا أهل البدعة وفروا منهم فرارك من الذي

عليها لأن الإنسان مأمور بالفرار من أسباب العطب إلى أسباب السلامة وإن لم يسلم دليل خذوا حذركم ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وقول عمر أفر من قدر الله تعالى قدر الله وبهذا قيل في المعنى

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر

﴿وجفت الأقلام﴾ أي تركت الكتابة بها لفراغ الأمر وانبرامه وتمت كتابة ما كان وما يكون إلى يوم القيامة كما جاء في جامع الترمذي أن أول ما خلق الله القلم فقال اكتب قال ما أكتب قال اكتب القدر ما كان وما يكون * فإن قلت فما التوفيق بينه وبين ما أشبهه من قوله صلى الله عليه وسلم أول ما خلق الله جوهرة أو درة فنظر إليها فذابت وأول ما خلق الله تعالى نور أو روحي وأول ما خلق الله تعالى اللوح وأول ما خلق الله تعالى العقل وما نقل عن السلف أول ما خلق الله تعالى ملك الموت كروبي * فالجواب بما أفاده بعض العارفين من أن الأسماء مختلفة والمسمى واحد وهو الروح المحمدي لأنه باعتبار كونه درة صدف الوجود تسمى جوهرة ودرة باعتبار نورانيته تسمى نورا وباعتبار نور علومه تسمى عقلا إذ قال له أقبل فأقبل وهي الذات الرحمة للعالمين فأقبل ثم قال له ارجع إلى ربك فرجع إلى المعراج ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أحب إلي منك بك أعرف وبك آخذ يعني عبادي ممن أخذ منك الشريعة وبك أي بشفاعتك أعطي الدرجات العالية وبك أعاقب الكافرين وبك أثيب المؤمنين وباعتبار جريان الأمور وفق متابعته والاقتداء به يسمى عالما وباعتبار مظهريته العلوم يسمى لوحا وباعتبار غايات الصفات الملكية ملكا كروبيا ﴿وجفت﴾ بالجيم أي يبست ﴿الصحف﴾ جمع صحيفة وفيه حذف أي كتابة الصحف أي فرغ من الأمور وجفت كتابته لأن الصحيفة حين كتابتها لا بد أن تكون رطبة المداد أو بعضه بخلاف ما إذا فرغ منها وهذا من أحسن الكنايات وأرشق العبارات فهو كناية عن عدم التقادير فلا تبديل ولك تغيير ولا ينافي هذا قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت لأن المحو والإثبات مما جفت به الصحف أيضا كما في تفسير القاضي لأن القضاء ثلاثة مبرم ومعلق وحكى أن عبد الله بن طاهر دعا الحسين بن الفضيل وقال له اشكل علي ثلاث آيات دعوتك لتكشفها في قوله تعالى فأصبح من النادمين وقد صح أن الندم توبة وقوله كل يوم هو في شأن وقد صح أن الصحف جفت بما هو كائن إلى يوم القيامة وقوله وأن ليس للإنسان إلا ما سعى فقال الأضعاف فقال الحسين يجوز أن لا يكون الندم توبة إذ ذاك وإن كان توبة لنا لأن الله تعالى خص هذه الأمة بخصائص لم تشاركها فيها الأمم وقيل إن ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله وأما قوله كل يوم هو في شأن فإنها شؤون يبديها ولا يبتديها وأما قوله وأن ليس للإنسان إلا ما سعى فمعناه ليس له الأماسعى عدلا وله أن يجازيه على الواحدة ألفا فضلا فقام عبد الله وقبل رأسه ووسع خراجه اه وقال ابن عباس قوله تعالى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى منسوخ بقوله تعالى والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم الآية وقيل هي خاصة بقوم موسى وإبراهيم لا عموم حكاية في صحفهما عليهما الصلاة والسلام بقوله ألم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم

من الاسلام واحذر وامن مجالسة الخائضين المبتدعين الناركين للسنة وكم حالات كثيرة من أعطب واعدم الاسلام في الصلاة فصلاتهم مسروجة لعدم التدبر في الصلاة وكثرة الفرح والخلل وتقدم الرجل وتأخر ساركذا الصبر عنه ومنهم الاستهزاء بعباد الله الصالحين والذاكرين والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ومن بدعهم اهمال الذكر (٢٨٧) والقرآن والاشتغال بالجدال والغيبة

الذي يدين وقيل أريد بالانسان الكافر فلا ماسمي أخوه وقيل الارم بالانسان عمي بن كلاي قوله تعالى وان أساتم فلها أي عليها وقوله تعالى ولهم اللعنة أي عليهم وقام رجل الى بعض العلماء وهو على كرسيه للوعظ يقرر تفسير كل يوم هو في شان فقال يا عالم اذا ينصب ربك الآن فاحكم وباته مهموما فرأى المصطفى صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فقال له انه الخضر وانه سيعود فقل له شؤن يديها ولا يتعديها يخفض أقواما ويرفع آخرين فاصبح مسرورا فاتاه فاجابه بذلك فقال له الخضر صل على من علمك وانصرف مسرعا قيل وأول من كتب العربي وغيره آدم وقيل اسمعيل هو أول من كتب العربي وقيل غير ذلك ولم يصح في ذلك شيء وقول الكلبي أول من وضع الخط لقمر من طي فساروا الى مكة فتعلمه منهم جماعة ثم أتوا الى الانبار فتعلمه نفر منهم ثم أتوا الحيرة وعلموه جماعة مرفوعا بانه لا يوثق بنقله ثم يمكن أن يقال انهم أول من تعلم الخط لا انهم أول من وضعوه ﴿رواه الترمذي﴾ في جامعه ﴿وقال حسن صحيح﴾ وهو حديث عظيم وأصل كبير في رعاية حقوق الله والتفويض لامره والتوكل عليه ﴿وفي رواية غير الترمذي﴾ وهو عبد بن حميد في مسنده والامام أحمد ﴿احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك﴾ بفتح الهمزة بالمعنى المقرر فيما قيل ان قيل لم خص الامام دون باقي الجهات الست فالجواب ان الانسان سائر ومسافر الى الآخرة والمسافر انما يطلب أمامه لا غير ﴿تعرف﴾ بتشديد الراء المفتوحة أي تحبب وتقرب ﴿الى الله﴾ بلزوم الطاعات والاتفاق في القربات والشكر على ما أولاك ﴿في الرخاء﴾ أي سعة الرزق وصحة البدن ﴿يعرفك في الشدة﴾ بتفريج الهموم والغموم ويجعل لك من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا يأسا من ذلك التعرف كما وقع للثلاثة الذين خرجوا يرتادون لاهلهم فبينما هم يمشون اذ أصابهم المطر فاووا الى غار في جبل فانحدرت عليهم صخرة من الجبل فسدت عليهم فقالوا انظروا ماذا عملتم من الاعمال الصالحة فاسألوا الله بها فانه يشفيكم فذكر أحدهم اللهم انك تعلم انه كان لي والدان شيخان كبيران ولي صبية صغار وكنت أرعى غنما لي فاذا رجعت عليهم فحلبت بدأت بوالدي فاسقيتهما قبل ولدي وانه نأى بي الشجر وفي رواية فما زالا نائمين حتى أمسيت فجئت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب فوجدتهما قد ناما فقمت عند رؤسهما أكره أن أوقظهما من نومهما وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما والصبية يتضاغون عند قدمي يتعاوون عند قدمي فلم يزل ذلك دأبي ودأبهما حتى طلع الفجر فانتبها فسقيتهما فان كنت تعلم اني فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا فرجة نرى منها السماء ففرج الله عنهم فرجة حتى رأوا السماء وقال الثاني اللهم انه كان لي ابنة عم أحبها أشد ما يحب الرجال النساء فراودتها عن نفسها فابت حتى آتيها بمائة دينار فسعيت حتى جمعت مائة دينار فاعطيتها فلما قعدت بين رجليها قالت يا عبد الله اتق الله تعالى ولا تفتح الخاتم الا بحقه فقمت عنها وهي أحب النساء اليه وفي رواية أخرى انه قال فراودتها عن نفسها فابت فاصابتها حاجة شديدة فاتتني فقلت لها حتى تمكنني من نفسك فابت ذهبت ثم رجعت وقد أحلتها شدة وفي رواية أخرى ان زوجها كان

والمبتدعين قال سفيان الثوري البدعة أحب الي ابليس من المعصية لان المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها وقال الفضيل رحمه الله من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الاسلام من قلبه وفي السنن مرفوعا الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله فيوشك ان يأخذه وقال سيدي عبد القادر الجيلاني قدس الله سره في كتاب الغنية فعلى المؤمن اتباع السنة والجماعة فالسنة ما سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم والجماعة ما اتفق عليه اصحابه رضي الله عنهم أجمعين في خلافة الائمة الاربعة الخلفاء الراشدين المهديين رضي الله عنهم أجمعين وان لا يكفر أهل البدع ولا يذمهم ولا يسلم عليهم لان الامام أحمد قال من سلم على صاحب بدعة فقد أحبه اقول صلى الله عليه وسلم افشوا السلام بينكم تحابوا ولا يحبهم ولا يعزيهم في الاعياد وأوراق المرور ولا يصلى عليهم اذا ماتوا ولا يترحم عليهم اذا ذكروا بل يباينهم ويعاديهم في الله عز وجل معتقدا احتسابا بذلك الثواب الجزيل والاجر الكثير وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من نظر الى صاحب بدعة بغضا له في الله ملأ قلبه أمنا وايمانا ومن ابتهر صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الاكبر ومن استقبل

صاحبه بدعة رفعه الله في الجنة الله در جابر ومن لقيها بالبشر والسرور فقد استغفر بما أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر اشياء وقال رأيتها عن الفضيل واذا علم الله من رجل انه يبغض اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم رجوت ان يغفر له وان قل عمله واذا رأيت مبتدعا في الطريق فخذ طريقا (١٨٨) آخر وقال صلى الله عليه وسلم من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا لا يعني بالصرف الفريضة وبالعدل النافلة وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني ﴿ مجلس ﴾ من اعظم سننه صلى الله عليه وسلم طهارة القلوب من الغش والحسد وسائر العيوب وهي من اعظم العبادات والقربات وبها ينال ارفع الدرجات والدليل عليه ما رواه الترمذي انه قال صلى الله عليه وسلم لانس رضي الله عنه يا بني ان قدرت ان تصبح وتمسي وليس في قلبك غش لاحد فافعل ثم قال يا بني وذلك من سنتي ومن احب سنتي فقد احبني ومن احبني كان معي يوم القيامة في الجنة اماتنا الله واياكم على سننه آمين

﴿ المجلس التاسع والعشرون في الحديث التاسع والعشرين ﴾ الحمد لله الذي احيانا بعد ما امتنا وتكفل بارزاقنا واقواتنا وامرنا بتوحيده في جميع ارقاتنا واشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له إله يعلم ما نحن عليه من واحضر اسرارنا ونياتنا واشهد ان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه موالينا وساداتنا آمين ﴿ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله اخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار قال قد سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله لا تشرك به شيأ وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة

مرضا وكان بينهما أولاد صغار تأمل ما بهم الضعط فانتبه وهو يأبى عليها حتى تمكنه من نفسها فذكرت ذلك لزوجها فقال لها كيف تمكنيه من نفسك وانت تعلمين انا لا نطيق المرة الرابعة فقالت له دونك فلما قعدت منها مقعد الرجل من المرأة ارتعشت من تحته فتركها ووقف لها ما احتاجت اليه ثم قال قد كنت علمت اني فعلت هذا لابتغاء وجهك فافرج عنا فانفرج منها فرجة اخرى وقال الثالث اللهم انك تعلم اني استأجرت عمالا يعملون كل رجل منهم بدرهمين من طعام الارز فعملوا فوفيتهم اجورهم فقال رجل كان عملي افضل منهم فابيت ان ازيد منفعتي وفي رواية اخرى انه جاءا حد الاجراء في نصف النهار فعمل في بقية نهاره مثل ما عمل غيره في يومه كله فرأيت ان لا انقص من اجره شيأ فمال رجل منهم انه جاء في نصف النهار وانا بحنث في اول فسويت بينه وبين الآخر في الاجرة فقلت له هل نقصتك من شرطك فغضب وترك اجره وذهب فوضعت حقه في جانب من البيت ما شاء الله ولم أزل أنميه حتى جمعت له من ذلك ابلا وبقرا وغنما فمر بي بعد حين شيخ ضعيف لا أعرفه فقال ان لي عندك حقا فذكره حتى عرفته فقلت له اياك اعني وهذا حقك فوضعته عليه فقال يا عبد الله لا تستخر بي ان لم تتصدق علي فاعطني حقي قلت والله ما استخر انه لحق مالي فيه شيء فدفعت ذلك اليه جميعا ذر كيف فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما بقي ففرج الله عنهم انتهى وقوله فافرج بالوصل وضم الراء من الثلاثي وضبطه بعضهم بهمزة وكسر الراء من الرباعي وعن بكر بن عبد الله المزني ان اصابا ولم بجارية ليمخض جرة له فارسلها الى حاجة لهم في قرية أخرى فنهياها فراودها عن نفسها فقالت لا تفعل وانا اشد حبا لك مني لكني اخاف الله فقال انت تخافيه وانا لا اخافه فرجع تائبا فاصابه العطش حتى كاد ان يقطع عنقه فاذا هو برسول لبعض انبياء بني اسرائيل فاخبره بما حصل له من العطش فقال تعال حتى تدعو قال ما لي من عمل قال فانا ادعو وامن أنت قال فدعا الرسول وامن هو فاظلتهما سحابة حتى انتهيا الى القرية فاخذ الشاب الى مكانه وملأت السحابة عليه فرجع اليه الرسول وقال له زعمت انه ليس لك عمل وانا الذي دعوت وانت امنت فاظلتنا سحابة ثم تبعتك لتخبرني ما عملك فاخبره فقال التائب من الله بمكان ليس احد من الناس بمكانه وعن ابي ادريس الاودي انه قال كان رجلان في بني اسرائيل عابدان وكانت جارية يقال لها سوسن عابدة وكانوا يأتون بستانا فيتقربون فيه فاشتغف بها العابدان تركتم كل واحد ذلك عن صاحبه واختبيا كل واحد منهما تحت شجرة ينظر ان اليها فنظر كل واحد منهما صاحبه وهو يحسبه يتقرب فنزل كل منهما للآخر عن سبب اختبائه فنظر كل واحد منهما ما عنده من سبب سوسن واتفقا على ان يراوداها فلما جاءت لتقرب قالا لها قد عرفت طمع بني اسرائيل فينا وان لم تطيعينا قلنا اذا أصبحنا انا اصبنا معها رجلا وان الرجل أفلت فقالت لهما ما كنت لاطيعكما فاخذاها واغتصباها وذكرا انهما اصابا معها رجلا فجاء دانيال وهو ابن ثلاثة عشر سنة فوضعوا له كرسيا فجلس عليه وقال قدموهما الي فجاءا كالمستهزئين وقالا انقض بينهما فقال لاحدهما اخلف اي شجرة رأيتها قال ورأيته تفاحة

والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل من جوف الليل ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون ثم قال
ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه قلت بلى يا رسول الله قال رأس الأمر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ثم
قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يا رسول الله فأخذ بلسانه قال كف عليك هذا قلت (١٨٩) يا رسول الله وإنا لمؤاخذون
بما نتكلم به فقال ثكلتك
أمك وهل يكب الناس في
النار على وجوههم أو قال
على مناخرهم الا حصائد
ألسنتهم * رواه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح)
اعلم أيها الأخ وفقني الله
وإياك لطاعته ان هذا
الحديث أصل عظيم وفي
الجامع زيادة على ما ذكره
هنا ولفظه عن معاذ بن
جبل قال كنت مع النبي
صلى الله عليه وسلم في سفر
فأصبحت يوما قريبا منه
ونحن نسير فقلت يا رسول
الله أخبرني بعمل يدخلني
الجنة وذكر الحديث (قوله
أخبرني الخ) فيه عظيم
فصاحته فانه أوجز وبلغ
ومن ثم حمده النبي صلى الله
عليه وسلم بسؤاله وتعجب
من فصاحته حيث قال له
(لقد سألت عن عظيم) أي
عن عمل عظيم (وانه ليسير
على من يسره الله عليه) أي
بتوفيقه الى القيام
بالطاعات وشرح صدره
الى السعي فيما كلفه الله
به فمن يرد الله أن يهديه
يشرح صدره للاسلام
ثم فسر ذلك العمل العظيم بقوله (تعبد الله) أي توحده (لا تشرك به شيئا) أي تأتي بجميع أنواع العبادة على وجه الاخلاص (قوله وتقيم
الصلاة الى قوله وتحج البيت) أي تأتي بجميع ذلك ان وجدت أسبابه وانتفت موانعه بأركانه وواجباته ثم قال صلى الله عليه وسلم
الا أدلك على أبواب الخير * وفي رواية ابن ماجه الا أدلك على أبواب الجنة (قوله الصوم جنة) الانكسار من ثقله
لان في صومه قمعه والجنة بضم الجيم من جن استتر أي هو ستر ووقاية من النار ومن استيلاء الشهوات والغفلات

واستمر الآخر فقال وراءه غيرهما واختلفا فنزلت نار من السماء فأحرقتهما ونجت مومس وعن أبي
عبد الله البلخي ان شابا كان في بني اسرائيل لم ير أحسن منه وكان يبيع القفاف فبينما هو ذات يوم
يطوف بقفافه خرجت امرأة من دار ملك من ملوك بني اسرائيل فلما رأته رجعت مبادرة فقالت
لابنة الملك يا فلانة اني رأيت شابا بالباب يبيع القفاف لم أر شابا قط أحسن منه قالت لها أدخليه
فخرجت اليه فقالت يا فتى ادخل نشتر منك فدخل فأغلقت دونه الأبواب ثم استقبلته ابنة الملك
كاشفة عن وجهها ونحرها فقال لها اشتري عافاك الله فراودته عن نفسه فأبى فقال لها اتق الله فقالت له
ان لم تطعني والا أخبرت الملك انك دخلت لتراودني عن نفسي فأبى ووعظها ثم قال ضعوا لي
وضوأ بفتح الواو أي ماء فوضعوه له في مكان لا يستطيع أن يفر منه بينه وبين الأرض أربعون ذراعا
فلما صار فيه ألقى نفسه منه فأهبط الله له ملكا حتى أخذ بضبعه ووقع قائما على رجليه وكان في بني اسرائيل
رجل يقال له جريج يصلي فجاءته أمه فدعته فقال أجيبها أو أصلي وتمادى في صلاته ولم يجبها فقالت اللهم
لا تمته حتى تريه وجوه المومسات أي الزانيات وكان جريج في صومعته فتعرضت له امرأة فراودته
فأبى فأتت راعيا فمكنته من نفسها فولدت غلاما وقالت من جريج فأتوه فهدموا صومعته وأنزلوه
وسبوه فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام فقال له من أبوك يا غلام وفي رواية يا بابوس بباءين موحدتين
بينهما ألف وهو ولد الزانية فقال الراعي فقالوا نبني صومعتك من ذهب فقال لا الا من طين
وعن وهب بن منبه انه قال بينما امرأة من بني اسرائيل على ساحل البحر تغسل ثيابا وصبي لها يدب
بين يديها اذ جاء سائل فأعطته لقمة من رغيف كان معها فما كان أسرع من أن جاء ذئب فالتقم الصبي
فجعلت تعدو خلفه وهي تقول يا ذئب يا ذئب ابني فبعث الله اليها ملكا انتزع الصبي من فم الذئب
ورمى به اليها وقال لقمة بلقمة وتقدم ذكر قصة عوف بن مالك الاشجعي عند قوله في الحديث السابق
اتق الله حيثما كنت بخلاف فرعون فانه لما تنكر الى ربه في حال رخائه لم ينفعه لجاؤه عنده لأنه قال
له آلآن وقد عصيت قبل وقيل يجوز أن يكون على حذف مضاف أي تعرف الى ملائكة الله في
الرخاء بالتزام الطاعات واظهار العبادات يعرفوك في الشدة بواسطة شفاعتهم عنده في تفريج غمك
وكربك والأول أولى لاستغنائه عن التقدير ويؤيد الثاني ما روي ان العبد اذا كان له دعاء في
الرخاء ودعا حال الشدة قالت الملائكة ربنا هذا صوت نعرفه واذا لم يكن له دعاء في حال الرخاء
ودعا في حال الشدة قالت الملائكة ربنا هذا صوت لا نعرفه ولذا ورد في الحديث ان يونس
عليه السلام لما دعا في بطن الحوت قالت الملائكة يا رب هذا صوت معروف من بلاد غريبة
فقال الله عز وجل أما تعرفون ذلك قالوا ومن هو قال عبدي يونس قالوا عبدك الذي لم يزل يرفع له
عمل متقبل ودعوة مستجابة قال نعم قالوا يا ربنا أفلا ترحم من كان يصنع في حالة الرخاء فتنجيه من البلاء
قال بلى فأمر الله عز وجل الحوت فطرحه بالعراء ﴿واعلم ان ما أخطأك﴾ أي جاوزك فلم يصل اليك
﴿لم يكن ليصيبك﴾ لأنه بان بكونه أخطأك انه غير مقدر عليك واستعمال الخطأ فيه مجاز لان

وذلك وسيلة الى صفاء الاحوال ووقوع أفضل الاعمال على نهاية الكمال لما في الصوم من الصبر على ملاذ الشهوات والمألوفات وقد قال صلى الله عليه وسلم من صام يوما في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقا كما بين السماء والارض * وفي روض الافكار أن رجلا سأل ابن عباس رضي الله عنهما عن الصيام فقال ألا أحدثك بحديث كان عندي من التحف المخزونة ان كنت تريد صيام

حقيقته العدول عن الجهة والوقوع على خلاف المراد وفيه مبالغة من حيث دخول اللام المؤكدة لان في الخبر وتسليط النفي على الكونية وسرايته للخبر ﴿وما أصابك لم يكن﴾ قدر ﴿ليخطئك﴾ اذ لا يصيب الانسان الا ما قدر عليه * وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال ان لكل شيء حقيقة وما يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى يعلم ان ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وفيه الحث على التوكل والرضا ونفي الحول والقوة عنه * قيل علامة التوكل ثلاث لا يسأل ولا يرد ولا يحبس قيل أول مقام في التوكل أن يكون العبد بين يدي الله تعالى كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف أراد اذ لا يكون له حركة ولا تدبير * واعلم أن التوكل محله القلب والحركة بالظاهر لا تنافي توكلا وقيل التوكل هو التعلق بالله تعالى في كل حال وقيل التوكل هو الاستسلام لجريان القضاء والاحكام وقيل هو الاكتفاء بالله تعالى مع الاعتماد عليه ﴿واعلم﴾ تنبيه على أن الانسان في هذه الدار معرض للمحن والبلاء سيما الصلحاء قال الله تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين بالآيات فينبغي للانسان ان يصبر ويحتسب ويرضى بالقضاء والقدر ﴿ان النصر﴾ من الله المبدأ اعانته له يقال نصر الغيث البلد اذا أعانه على النبات والنصير والناصر في اللغة للمعين والاول منهما أبلغ في الاعانة من الثاني ﴿مع الصبر﴾ لانه سبب الاسر ومن ثم كان الغالب على المنتصر لنفسه عدم النصر ومن صبر ورضي بحكم القضاء كان له التأييد والظفر * وعن علي رضي الله عنه وكرم وجهه أنه قال الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد * ومن كلام وهب ثلاثة من كن فيه أصاب البر سخاوة النفس والصبر على الاذى وطيب الكلام وقيل الصبر تجرع المرارة من غير تعبس وقيل هو الوقوف مع الله تعالى بحسن الادب وقيل هو الاستعانة بالله وقيل الصبر على الطلب عنوان الظفر والصبر في المحن عنوان الفرج * قيل حبس الشبلي في البيمارستان فدخل عليه جماعة فقال من أنتم فقالوا أحبابك جئناك الرين فأخذ يرميهم بالحجر فأخذوا يهربون فقال لو كنتم أحبابي لصبرتم على بلائي * واعلم أن الصبر يشمل الصبر على العدو الظاهر كالكفار وأهل البدع والفسوق والعدو الباطن كالنفس الامارة والهوى والشيطان لان جهاد ذلك أعظم من جهاد العدو ويدل له ما جاء في حديث ضعيف أنه صلى الله عليه وسلم قال لقوم قدموا من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر قالوا وما الجهاد الاكبر قال مجاهدة العبد هواه ﴿وان الفرج﴾ بفتحتين وهو كشف الغم مع الكرب بمعنى أنه يعقبه لا محالة لعدم دوامه * فائدة من الانس الجليل روي ان مفتاح بيت المقدس كان عند سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام لا يأمن عليه أحدا فقام ليلة ليفتح فتعسر عليه فاستعان بالانس فتعسر عليهم فاستعان بالجن فتعسر عليهم فجلس حزينا كئيبا فظن أن ربه قد منعه فتحه فبينما هو كذلك اذ أقبل شيخ متكيء على عصا له وقد طعن في السن وكان من جلساء داود عليه الصلاة والسلام فقال له يا نبي الله مالي أراك حزينا فقال قمت لهذا الباب افتحه فتعسر علي فاستعنت

داود فانه كان يصوم يوما ويفطر يوما وان كنت تريد صيام ولده سليمان فانه كان يصوم ثلاثة أيام أول الشهر وثلاثة أيام من وسطه وثلاثة أيام من آخره وان كنت تريد صيام عيسى فانه كان يصوم الدهر يا بني الشهر وحيثما أدركه الليل صف قدميه وصلى حتى تطلع الشمس وان كنت تريد صيام أمه فانها كانت تصوم يوما من وتفطر يوما وان كنت تريد صيام خير البرية فانه كان يصوم أيام البيض من كل شهر ثالث عشره ورابع عشره وخامس عشره حضرا وسفرا وسميت بأيام البيض لان آدم عليه الصلاة والسلام لما هبط من الجنة الى الارض اسود جسده من حر الشمس فجاءه جبريل عليه الصلاة والسلام وأمره بصوم أيام البيض فابيض في اليوم الاول ثلث بدنه وفي الثاني ثلثاه وفي الثالث جميعه قال أبو هريرة رضي الله عنه أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وقال صلى الله عليه وسلم لو أن رجلا صام بالانس يوما تطوعا ثم أعطى ملء الارض ذهبا لم يستوف ثوابه يوم القيامة ﴿نكتة﴾ قال الشبلي رضي الله عنه كنت في قافلة فطلع علينا العرب فأخذوا القافلة ثم مررت عليهم وهم يأكلون شيأ من طعام القافلة ورأيت كبيرهم صائما فقلت تصوم وتقطع الطريق فقال اجعل الصلح موضعا ثم بعد مدة رأيته في الطواف فقال يا شبلي انظر الى الصيام كيف أصلح بيني وبينه * وعن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال كنت في

مركب والريح طيبة فهتف بنا هاتف سمع صوته يا أهل السفينة قفوا حتى أخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه أنه من عطش نفسه لله في يوم حار كان حقا على الله ان يرويه يوم القيامة (قوله والصدقة) أي فعلها (تطفئ) أي تمحو (الخطيئة كما يطفئ الماء النار) وخصت الصدقة بذلك لتعدي نفعها ولان الخلق عيال الله وهي احسان اليهم والعادة ان (١٩١) الاحسان الى عيال شخص يطفئ غضبه

بالانس والجن فلم يفتح فقال الشيخ لا أعلم كلمات كان أبوك يقولهن عند كربه فيكشف عنه قال بلى قال قل اللهم بنورك اهتديت وبفضلك استغنيت وبك أصبحت وأمسيت ذنوبي بين يديك استغفرك وأتوب اليك فلما قالها فتح الباب اه وذكر أبو نعيم في الحلية عن مسعر ان رجلا ركب البحر فتكسرت سفينته فوقع في جزيرة فمكث ثلاثة أيام لم يأكل ولم يشرب فتمثل فقال

اذا شاب الغراب أتيت أهلي * وصار القار كاللبن الحليب

فاجابه مجيب لم يره فقال

عسى الكرب الذي أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب

قال فجاءت سفينة فحملته وأصاب خيرا كثيرا * وأخرج ابن عساكر عن محمد بن عمر قال أمر الحجاج باحضار رجل من السجن فلما أحضر أمر بضرب عنقه فقال أيها الامير أخرني الى غد قال ويحك وأي فرج في تاخيرك يوم ثم أمر برده الى السجن فسمعه الحجاج يقول

عسى فرج يأتي به الله انه * لكل يوم في خليقته أمر

فقال الحجاج والله ما أخذه الا من القرآن كل يوم هو في شان وامر باطلاقه * وأخرج ابن النجار عن معروف الكرخي من قال ثلاث مرات وكان في غم فرج الله عنه غمه اللهم احفظ أمة محمد اللهم ارحم أمة محمد اللهم عاف أمة محمد اللهم اصلح أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد * وأخرج البيهقي عن حماد بن سلمة أن عاصم بن اسحاق شيخ القراء في زمانه قال أصابني خصاصة فجئت الى بعض اخواني فاخبرته بامري فرأيت في وجهه الكراهة فخرجت من منزله الى الجبانة وصليت ما شاء الله ثم وضعت وجهي على الارض وقلت يا مسبب الاسباب يا فاتح الابواب يا سامع الاصوات يا مجيب الدعوات يا قاضي الحاجات اكفني بحلالك عن حرامك واغنني بفضلك عمن سواك قال فوالله ما رفعت رأسي حتى سمعت وقعة بقربي فرفعت رأسي فاذا بجرابة طرحت كيسا أحمر فاذا فيه ثمانون دينارا وجوهر ملفوف في قطنة فبعت الجوهر بمال عظيم وفضل الله كثير فاشتريت منها عقارا وحمدت الله على ذلك * وفي الصحيح وغيره ان اعرابية كانت تخدم نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت كثيرا ما تقول

ويوم الوشاح من أعاجيب ربنا * على أنه من ظلمة الكفر نجاني

فسالتها عائشة رضي الله تعالى عنها عن ذلك فقالت شهدت عروسا تجلى ودخلت مغسلا وعليها وشاح فوضعته فجاءت الحداة فاخذته فقدوه فاتهموني به فتشوني حتى قبلي فدعوت الله تعالى أن يبرئني فجاءت الحداة بالوشاح فالقته بينهم وفي رواية فرفعت رأسي وقلت يا غياث المستغيثين ﴿وان مع العسر يسرا﴾ لقوله تعالى سيجعل الله بعد عسر يسرا * وعن أنس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو جاء العسر فدخل هذا الجحر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه وتنوين يسر التعظيم مبالغة مع ما فيه من المصاحبة في معانقته واتصاله به اتصال المتعانقين بين واليسر السهولة ومنه اليسار للغني

وسبب اطفاء الماء النار ان بينهما غاية التضاد اذ هي نارية يابسة وهو بارد رطب فقد تضادا في الضد يقمع الضد ويدمغه وباطفاء الخطايا يزين القلب وتصفو الاعمال فلذلك كانت الصدقة بابا عظيما لغيرها من الاعمال وقد قدمنا شيئا من بعض فضائل الصدقة (وهنا فوائد) قيل كان رجل من قوم صالح قد آذاهم فقالوا يا نبي الله ادع الله عليه فقال اذهبوا فقد كفيتموه وكان يخرج كل يوم يحتطب قال فخرج يومئذ ومعه رغيفان فاكل أحدهما وتصدق بالآخر قال فاحتطب ثم جاء بحطبه سالما فلم يصبه شيء قال فدعاه صالح فقال أي شيء صنعت اليوم قال خرجت ومعي قرصان فتصدقت باحدهما وأكلت الآخر فقال صالح عليه السلام حل حطبك فحله فاذا فيه ثعبان اسود مثل الجذع عاض على جذر من الحطب فقال يهذا دفع عنك يعني بالصدقة وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان نفرا مروا على عيسى عليه السلام فقال موت احدهؤلاء اليوم ان شاء الله تعالى فمضوا ثم رجعوا عليه سالمين بالعشي ومعهم حزم حطب فقال ضعوا قال للذي قال انه يموت اليوم حل حطبك فحله فاذا فيه حية سوداء فقال ما عملت اليوم قال ما عملت شيئا الا انه كان معي في يدي لقمة من خبز فمر بي مسكين فسالني فاعطيته بعضها فقال بها دفع عنك وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم

قال كان فيمن كان قبلكم رجل يأتي بركر طائر كلما انفرج باضة فوجه فشكا ذلك الطير الى الله تعالى ما يفعل به فاوحى الله تعالى اليه ان عاد فسأملكه فلما خرج الطير ليخرج ذلك الرجل الى بركره على العادة ليأخذ ولاده فلما كان في طرف القرية لقيه سائل فاعطاه رغيفا كان معه يتقوت به ثم مضى حتى اتى الوكر (١٩٢) ثم رجع سلمه فاخذ الفرخين وطار بهما ينظر ان اليه فلما لا رماه فلك لا تخالف للعباد

ولقد رعدنا الله تعالى قبل هذا اذا اطاعه العبد اغنى فرجعنا الى ملكه فاوحى الله تعالى اليها لم ملكتك الا لاهلك احد الصدق في يومه يوسعه سوء وعن وهب بن منبه قال بينما اورائد من بني اسرائيل على ساحل البحر تغسل ثيابا وصبي لها يلعب بين يديها اذ جاء سائل فاعطته لقمة من رغيف كان معها فلما كان يأس من أن يجاء فذئب فالتقم الصبي فجعلت تعدو خلفه وهي تقول يا ذئب ابني فبعث الله ملكا انتزع الصبي من فم الذئب ورمى به اليها وقال القمه بلقمة وقيل ان قصارا كان في زمن عيسى عليه السلام يمر على الناس اقمشتهم فما اتى عيسى عليه السلام أن يدعو عليه ترحما عليه بالهلاك فيتمام عنده غروب الشمس واذا القصار قد دخل بزمته على رأسه فعجبوا من ذلك واتوا عيسى عليه السلام فطلبه فحضر بزمته فقال افتح زمتك ففتحها فاذا فيها ثعبان عظيم مطرق قد الجم بلجاما من حديد فقال له عيسى ما صنعت اليوم من الخير قال ما صنعت شيأ الا ولكن

لانه تسهل به الامور واليد اليسرى لان الامور تسهل بهما وبقيها لليسرى فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وما لا يريده تعالى لا يكون ولا يقع اجماعا من أهل السنة دل على عدم وقوع العسر ضرورة كونه تعالى لم يرده وقوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا يدل قطعا على وقوعه فالجواب ان المراد بالعسر في الآية الاولى العسر في الاحكام فقط بدليل قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وما جعل عليكم في الدين من حرج وقوله عليه الصلاة والسلام بعثت بالحنيفية السمحة مع ان صدر الآية يدل على ذلك وهو قوله تعالى ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام أخر وما الآية الثانية فالمراد بالعسر فيها العسر في الارزاق والاكتساب دون الاحكام وروى الحاكم عن الحسن البصري مرسلا ان المصطفى صلى الله عليه وسلم قال لن يغلب عسر يسرين أو كامل عليه قوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا لان النكرة المعادة غير الاولى والمعرفة المعادة عين الاولى فالمراد فيهما واحد وما أحسن قول القائل

لا تجزعن لعسرة من بعدها * يسران وعدا ليس فيه خلاف
كم عسرة ضاق الفتى انزولها * لله في أعطافها ألطاف

﴿ وقال الشاعر ايضا ﴾

اذا اشتدت بك البلوى * ففكر في ألم نشرح * فعسر بين يسرين * اذا فكرته فافرح

قال ابن أبي جمرة كان علي رضي الله تعالى عنه اذا كان في شدة استبشر وفرح واذا كان في رخاء قلق فقيل له في ذلك فقال ما من ترجمة الا وتتبعها فرجة وما من فرجة الا وتتبعها ترجمة ثم تلا الآية وما أحسن حكاية العتبي قال كنت ذات يوم في بادية وانا بها الثمن القمر فانشأ في روعي بيت من الشعر

أرى الموت لمن اصبح مضمونا له اروح

فلما جن الليل سمعت هاتفا في الهواء يقول

الا أيها المعسر * بالذي الهم يبرح * واشكه بيتا لم * يزل في فكره يسبح
اذا اشتدت بك العسري * ففكر في ألم نشرح * فعسر بين يسرين * اذا فكرته فافرح
فان العسر مقرون * بيسرين فلا تبرح

فحفظتها ففرج الله عني

﴿ الحديث الثاني عشرين ﴾

هو عن ابي مسعود عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة قال صاحب الاكمال بفتح الهمزة وكسر السين ابن عسيرة بفتح العين وكسر السين المهملتين ابن عطية بن خدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج كذا نسبه الكلبي وابن سعد ونا بعهما ابن عبد البر وقال فيما حكاه عن الشاطبي اسيرة بن عسيرة بضم اولهما وفتح ثانيهما قال ويقال في اسيرة يسيرة بياء مضمومة ومن قال فيه بالنون فقد صحف وخدارة بخاء معجمة مضمومة كما قال ابن عبد البر ويقال ايضا جدارة بجيم مكسورة ﴿ الانصاري ﴾ الخزرجي ﴿ البدري ﴾ نسبة الى بدر نزولا ومسكنا لانه لم يشهدها وشهدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاصح الذي قال به الجمهور

ان رجلا نزل الرمل صومعة فشكا الى جوعا فدفعت له رغيفا كان معي فقال لعيسى عليه السلام ان الله بعث اليك هذا العدو فلما تصدقت امر الله ملكا فلجمه بهذا اللجام (قوله صلى الله عليه وسلم وصلاة الرجل) انما خصه بالذكر لان السائل كان رجلا اولان الخير غالبا في الرجال اذ اكثر اهل النار النساء فلما رأة مثل الرجل في ذلك (قوله من جوف الليل) اي في جوفه

الليل الذي فيه مطلقا أفضل منها في النهار لان المشروع فيه السؤال والأكل ومن ثم كانت بابا عظيما من أبواب الخير لانه يتوصل بها الى صفاء السر ودوام الشهود والذكر ثم هي فيه بعد النوم أفضل منها فيه قبله وتحصل فضيلة قيام بعض قدر حلب شاة كتب من قوام الليل واختلفوا في أفضل أجزائه والذي دلت عليه (١٩٢) الاحاديث الصحيحة ما ذهب اليه

امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه من انه ان جزأه نصفين فالنصف الثاني أفضل أو ثلاثا فالثلث الاخير أفضل او أسدسا فالسدس الرابع والخامس أفضل وهذا هو الاكمل على الاطلاق لانه الذي واظب عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقيل فيه أفضل الصلاة صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه (قوله ثم تلا) أي رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجاجا على فضل صلاة الليل (تتجافى جنوبهم) أي تتنحى وترتفع (عن المضاجع) أي مواضع الاضطجاع للنوم حتى يلغ ويصلون قيل وهذا كناية عن الصلاة بين المغرب والعشاء وقيل عن انتظار العشاء لانهم كانوا يؤخرونها الى نحو ثلث الليل وقيل عن صلاة العشاء والصبح في جماعة والجمهور على انه كناية عن صلاة النوافل بالليل وهو الذي دل عليه سياق الحديث والآية حيث قال فلا تعلم نفس

والكل الذي ذهب اليه البخاري ومسلم وغيرهما انه شهدها ثم شهد المقبة الثانية مع السبعين وكان أصغرهم وشهد أحدا وما بعدها من المشاهد ونزل الكوفة وابتنى بها دارا توفي بالمدينة وقيل بالكوفة سنة احدى أو اثنين واربعين قيل في خلافة علي وقيل آخر خلافة معاوية وقيل توفي بعد الستين وقيل سنة احدى وثلاثين والقولان الاخيران ضعيفان ورواه ستة عشر حديثا ان اتفقا على تسعة وانفرد البخاري بواحد ومسلم بسبعة (قال قال صلى الله عليه وسلم ان مما أدرك الناس) بالرفع في جميع الطرق والعائد على محذوف وفي التقدير مما أدركه الناس ويجوز النصب والعائد ضمير الفاعل وادرك بمعنى بلغ أي مما بلغ الناس من ان الجار والمجرور في قوله مما خبران واسمها قوله الآتي اذا لم تستح الخ أي على تقدير القول أي قولهم اذا لم تستح كما قاله الطيبي وهو غير متعين بل يصح أن تجعل الجملة هي الاسم على ارادة اللفظ أي هذا اللفظ أو يجعل الجار هو الاسم فتكون من تبعيضية أي ان بعض ما أدرك وحملة اذا لم تستح هي الخبر (من كلام النبوة الاولى) أي مما اتفقت عليه الانبياء عليهم الصلاة والسلام لانه جاء في شريعة آدم واتفقت عليه بقيتها فما من نبي من الانبياء الا ورد به وحث عليه ولم ينسخ في شريعة من الشرائع لانه أمر قد علم صوابه وظهر فضله واتفقت عليه العقول وتلقته جميع الامم بالقبول واضافة الكلام الى النبوة للاشعار بان ذلك من نتائج الوحي وفي قوله الاولى ليست في رواية البخاري وان كان ظاهر كلام المؤلف يقتضيه لانه نسبه كله لرواية البخاري وهي ثابتة في رواية أحمد وأبي داود وابن ماجه عن الصحابي المذكور (اذا لم تستح) بحذف الياء واثباتها وبكون الجازم حذف الياء الثانية لانه من استحيى والاول من استحى (فاصنع) وفي رواية فافعل والصنع أخص من العمل (ما شئت) الامر للتهديد والتوبيخ أي اذا نزع منك الحياء وكنت لا تستحي من الله ولا تراقبه فاصنع ما شئت أي ما تهواه نفسك من الرذائل فان الله مجازيك عليه ونظيره قوله تعالى اعملوا ما شئتم وقوله تعالى فاعبدوا ما شئتم من دونه فاذا ارتفع الحياء صنعت النفس ما تهوى وانشد بعضهم في هذا المعنى قوله

اذا لم تخش عاقبة الليالي ... ولم تستحي فاصنع ما تشاء

فلا والله ما في العيش خير ... ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

(وقال آخر) اذا لم تحمن عرضا ولم تخش خالقا ... وتستح مخلوقا فما شئت فاصنع

أو هو للابعاد أي انظر الى ما تريد ان تفعله فان كان مما لا يستحي من الله ومن الناس في فعله فافعله وان كان مما يستحي من الله ومن الناس في فعله فدعه وعلى هذا مدار الاحكام من حيث ان الفعل اما ان يستحي منه وهو الحرام والمكروه وخلاف الاولى واجتنابها مشروع أولا يستحي منه وهو الواجب والمندوب والمباح وفعل الاولين مطلوب والثالث جائز وهو بمعنى الخبر كما في قوله صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار اي صنعت ما شئت لان تركك الحياء يوجب الاستهتار والانهماك في هتك الاستار أو المراد الحث على الحياء والتنبيه بفضله أي

ما أخفى لهم من قرة أعين الخ فهو دال على انهم اخفوا اعمالهم اجوزوا بما أخفي لهم من قرة الاعين وانما يتم اخفاؤه بالصلاة في جوف الليل لان المصلي حينئذ ترك نومه ولذاته وآثر ما يرجوه من ربه عليهما فحق له ان يجازى بذلك الجزاء العظيم وفي الصحيحين يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر الحديث وقد جاء ان الله تعالى يباهي بقوام الليل في الظلام الملائكة يقول انظروا

الى عبادي قد قاموا في ظلمة الليل حين لا يراهم أحد غيري اشهدكم اني قد اجبتهم دار كرامتي ولا شك ولا خفاء ان الليل محل الخلوة والاختصاص وجاء السنة الاستتار بعلة الحيين كما قيل وما الليل الا للمحب بطية * ويعلم ان سبق فاسبق تبلغ المنى

وفي رواية لمسلم ان في الليل لساعة (٩٤) لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيرا من امور الدنيا والآخرة الا اعطاه اياه وذلك في كل ليلة وقيل ان موسى عليه السلام قال الهي داود عليه السلام كذب من ادعى محبتي اذا جن ليله نام عني وقيل اذا جن الليل بظلامه يقول الله تعالى يا جبريل حرك اشجار الجنة فاذا حركها قامت القلوب على باب المحبوب وقيل

يبابك عبد من عبيدك مذنب
كثير الخطايا جاء يسألك العفو

فانزل عليه العفو يا من بفضله
على قوم موسى انزل المن والسلوى

واوحى الله تعالى الى بعض الصديقين ان لي عبادا يحبوني واحبهم ويشتاقون الي واشتاق اليهم ويذكروني واذكرهم قال يا رب ما علامتهم قال يراعون الظلام بالنهار كما يراعي الراعي غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير الى اوكارها فاذا جنهم الليل يعني ستر هم واختلط الظلام رفرشت الفرش وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الى اقدامهم وافترشوا لي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا الي بانعامي عليهم فمنهم صارخ وباك ومناج وشاك ومنهم قائم وقاعد وراكع وساجد فاول ما أعطيهم ثلاث خصال الاولى اني اقذف في قلوبهم من نوري الثانية لو كانت السموات والارض في موازينهم لاستقللتها لهم الثالثة اقبل بوجهي الكريم عليهم افترى من اقبلت عليه بوجهي اعلم ما اريد ان اعطيه فنكتة قيل ان الطيور انكرت على الخفاش طيرانه بالليل وقالوا نور النهار اكمل فقال الليل انيسي وراحة المشتاقين وقد جمعنا مجلسا عظيما في قيام الليل في كتاب تحفة الاخوان (قوله صلى الله عليه وسلم الا اخبرك برأس الامر

لا يجز صنم ماشئت لم يجز تركك الا استحياء والاول اولى لما ظهر والحياء بالمد لغة خير وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يعاب به وقيل انقباض وخشية يجدها الانسان من نفسه عند ما يطلع منه على قبيح وامه مطلقا مما خلق يبعث على ترك القبيح ومنع من التقصير في حق ذي الحق وحده أبو القاسم الجنيد بانه رؤية الآلاء اي النعم ورؤية التقصير فيتولد بينهما حالة تسمى حياء واما الحيا بالقصر فيطلق على المطر وعلى فرج الناقة وقد صح انه صلى الله عليه وسلم قال الحياء خير كله لا يأتي الا بخير وحكي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أتت قلت الحياء خير كله بالقصر فقال الا ثم مرة ثانيا فساله مثل ذلك فقال لا فاخبر بذلك بعض العلماء فقال له الحيا بالقصر فرج الناقة والذي في الحديث بالمد فراجعه الثالثة وساله وقال أتت قلت الحياء خير كله فقال نعم وينبغي ان يراعى فيه القانون الشرعي فان منه ما يذم كالحياء المانع من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع وجوبه وشروطه فان هذا جبن لا حياء ومنه الحياء في العلم المانع من سؤاله عن مهمات المسائل في الدين اذا اشكلت عليه ومن ثم قالت عائشة رضي الله تعالى عنها نعم النساء نساء الانصار لا يمنعهن الحياء ان يسألن عن امر دينهن ولذا جاءت ام سليم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت ان الله لا يستحي من الحق هل على المرأة من غسل اذا هي احتلمت قال نعم اذا رأت الماء * وروى البيهقي عن الاصمعي انه قال من لم يتحمل ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل ابدا وروى ايضا عن عمر قال لا تتعلم العلم لثلاث ولا تتركه لثلاث لا تتعلم العلم لتماري به ولا لترائي به ولا لتباهي به ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضا بجهالة وعن عمر ايضا من رق وجهه رق علمه وقال علي رضي الله عنه من كسي بالحياء ثوبه لم ير الناس عيبه وقيل لابي سفيان ما أول الحياء قال ان تستحي منه ان يراك حيث نهاك * قيل فما غايته قال ان تستحي منه ان يعلم انك تريد بقاءك سواه * وقال بعض السلف لابنه يا بني اذا دعتك نفسك الى معصية فارم ببصرك الى السماء واستحي ممن فيها وارم ببصرك الى الارض واستح ممن فيها فان لم تفعل فعد نفسك من البهائم وعن ابي أيوب الانصاري رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من سنن المرسلين التعطر والنكاح والسواك والحياء * وكان صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها * وروي انه عليه الصلاة والسلام قال لاصحابه استحيوا من الله حق الحياء وردد ذلك مرارا قالوا انا لنستحي والحمد لله فقال ليس ذاك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء ان تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وان تذكر الموت والبلى فمن فعل ذلك فقد استحى من الله حق الحياء وما زال يكرر ذلك حتى أبكاهم وقال للذي رآه يعاتب اخاه في الحياء دعه فان الحياء من الايمان ورجل منه وان كان غريزة لان استعماله على قانون الشرع يحتاج الى قصد واكتساب وعلم وعن الفضيل خمسة من علامات الشقاء القسوة في القلب وجمود العين وقلة الحياء والرغبة في الدنيا وطول الامل وقيل في قوله تعالى واقدمت به وهم به لولا أن راي برهان ربه ان البرهان انها ألقت ثوبا على وجه صنم في زاوية البيت فقال يوسف ما الذي تفعلين قالت استحي منه فقال يوسف

أي العبادة أو الأمر الذي سألت عنه (وعموده وذروة) بضم أولهما وكسره (سنامه الجهاد) في أصل الترمذي قلت بلى يا رسول الله قال رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد فهذا ساقط من نسخة المصنف سهوا أو وقع لغير الأذكار وهذا ثابت في بعض النسخ أيضا وذروة الشيء أعلاه والجهاد أعلى أنواع الطاعات من حيث أن (١٩٥) به يظهر الإسلام ويعلو على سائر

عليه الصلاة والسلام أنا أولى أن أستحيي من الله * وقيل إذا جلس الرجل ليخل الظان أداء ملكاه عظ نفسك بما تعظ به أخاك والا فاستحي من سيدك فانه يراك * قال الطيبي ويدخل في جملة الحياء من الله تعالى ثم من الناس ستر العورة فقد روى البيهقي عن أنس رضي الله تعالى عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما إلى غنم له وفيها أجير له يرعاها وإذا بالأجير متجرد فيها فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له كم لك عندنا من أجرك فقال يا رسول الله ألم أحسن الرعاية والولاية قال إني لا أحب أن يكون فيهم من لا يستحي من الله عز وجل إذا خلا * ومثل عبد بن عبد الرحمن الحمام فرأى بعض إخوانه عريانا فغض عينيه فقال له المريان منذ كم عميت قال منذ دخلت الله سترك * وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت مكارم الأخلاق عشر تكون في الرجل ولا تكون في ابنه وتكون في الابن ولا تكون في الأب وتكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله لمن يريد به السعادة صدق الحديث وصدق البأس وإعطاء السائل والمكافأة بالصنائع وحفظ الأمانة وصلة الرحم والتذمم للجار والتذمم للصاحب وقرى الضيف ورأسهن الحياء اه ومعنى صدق البأس أي الصدق في مقابلة العدو ومعنى التذمم أن يحفظ ذمامه أي حرمته وحقه ويطرح عن نفسه ذم الناس * ومن علامات الحياء أن لا يخاف غير الله كما حكي عن بعضهم أنه قال خرجنا ليلة فوردنا باجة واذا رجل نائم وفرسه عند رأسه ترعى شعيرته وقلنا له ألا تخاف أن تنام في هذا الموضع المسبع المخوف فرفع رأسه وقال أستحي منه أن أخاف غيره ووضع رأسه ونام * وروى عن عمر رضي الله عنه أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده يبكي فقال ما يبكيك يا رسول الله قال أخبرني جبريل عليه السلام أن الله يستحي من عبد شيبه في الإسلام أن يعذبه أولا يستحي الشيخ من الله تعالى أن يذنب وقد شاب في الإسلام وفي الحديث أيضا أنه يؤتى بشيخ يوم القيامة بين يدي الله تعالى فيقال له ما فعلت من الحسنات فيقول يا رب فعلت كذا وكذا رب الله يعلم أنه كاذب فيأمر الله به إلى الجنة فتقول الملائكة يا رب أنه كذاب فيقول الله علمت ذلك منه ولكن استحييت منه أن أكذب شيبته (رواه البخاري) في ذكر بني إسرائيل بالتنبيه * حكي أن بعضهم رأى في البصرة نحو شعبة يسمع منه ويكثر فصادف المجلس قد انقضى وانصرف شعبة إلى منزله فحمله السرف إلى أن سأل عن منزل شعبة فأرشد إليه فجاء فوجد الباب مفتوحا فدخل من غير استئذان فوجد شعبة جالسا على البلوعة يبول فقال السلام عليكم رجل غريب قدمت من بلدة بعيدة لتحدثني بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعظم شعبة ذلك فقال يا هذا دخلت منزلي بغير إذني وتكلمني على مثل هذا الحال فقال إني خشيت الفوت فقال تأخر عني حتى أصلح من شأني فلم يفعل واستمر في الإلحاح قال وشعبة يخاطبه ويذكره في يده يستبري * فلما أكثر قال اكتب حدثنا منصور بن المعتمر عن رعي بن حراش عن أبي مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت ثم قال والله لا أحدثك بعد هذا الحديث

الأديان وليس ذلك لغيره من العبادات فهو أعلى بهذا الاعتبار وإن كان غيرها من الفضل منه وعلى هذا يحمل قول بعضهم الجهاد لا تقاومه شيء وقد صح أنه صلى الله عليه وسلم سئل أي الأعمال أفضل فقال تارة الصلاة لأول وقتها وتارة الجهاد وتارة بر الوالدين ويحمل على اختلاف أحوال السائلين فأجاب كلا بما هو الفضل بالنسبة لحاله وأما الأفضل على الإطلاق بعد الشهادتين فهو الصلاة عندنا فرضها أفضل الفروض ونفلها أفضل النوافل لما صح من قوله صلى الله عليه وسلم الصلاة خير موضوع وفي رواية صحيحة واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة (ثم قال صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك بملاك ذلك كله) أي بقصوده وجماعه أو بما يقوم به وملاك بفتح الميم وكسرها وفيه إشارة إلى جهاد النفس بقمعها عن الكلام فيما يرديها ويؤذيها

أشق عليها من جهاد الكفار وإن هذا هو الجهاد الأصغر وذلك هو الجهاد الأكبر لدنسها هواها من أجل ما اقتناه الإنسان ومن أعظم آدابها الصمت وترك الكلام فيما لا يعني ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم من صمت نجا * ولما قال له صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك الخ قال (قلت بلى يا رسول الله فأخذ صلى الله عليه وسلم بلسانه) أي أمسك لسان نفسه (ثم قال كف عليك) أي عنك (هذا) أي عن الشر (قال قلت يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به) استفهام استثبات وتعجب واستغراب (فقال ثكلتك)

ولا حدثت قوما ما تكون فيهم

الحديث الحادي والعشرون

﴿عن أبي عمرو﴾ بالواو لانهم ذكروا ان اسم عمرو المفتوح العين يكتب في حال الرفع والجر بالواو للفرق بينه وبين عمر المضموم العين ولا تكتب فيه في النصب لحصول الفرق بالالف وانما جعلت الواو فيه رفعا وجرا لخفته من ثلاثة أشياء فتح أوله وسكون ثانيه وصرفه ﴿وقيل﴾ أبي ﴿عمرة﴾ بالهاء ﴿سفيان﴾ بتثليث أوله ﴿ابن عبد الله﴾ ابن أبي ربيعة وقيل ابن حطيط بن الحارث الثقفي معدود من أهل الطائف وكان عاملا لعمر عليها حين عزل عنه عثمان بن أبي العاص روى مسلم عنه هذا الحديث فقط ﴿قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام﴾ اي في دينه وشريعته ﴿قولا﴾ جامعا لاموره أكتفي به بحيث ﴿لا﴾ احتاج الى ان ﴿أسال عنه أحدا غيرك﴾ لكونه واضحا في نفسه مبينا لغيره وفي رواية بدل غيرك بعدك أي بعد سؤالك كقوله تعالى وما يمسك فلا مرسل له من بعده اي من بعد امساكه وقوله في الرواية الاولى غيرك ملزوم لهذا اللفظ فانه اذا لم يسال بعد سؤاله أحدا يلزم منه أنه لا يسال غيره ذكره الطيبي ﴿قال قل آمنت بالله﴾ لفظ الترمذي قل ربي الله ﴿ثم استقم﴾ على عمل المامورات عقدا بالجنان وقولا باللسان وفعلا بالاركان واجتناب المنهيات وهاتان الجملتان منتزعتان من قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الآية والسين فيها سين الموافاة والمطاوعة كما يقال أرضيته فاسترضى وقال ابن فورك هي سين الطلب والمعنى أنهم طلبوا من الله تعالى أن يقيمهم على التوحيد وحفظ الحدود والاستقامة لغة ضد الاعوجاج أي الاستواء في جهة الانتصاب واصطلاحا قال بعضهم لا يطيقها الا الاكابر لانها الخروج عن المالوفات ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدي الله على حقيقة الصدق وقال البيضاوي اتباع الحق والقيام بالعدل ولزوم المنهج المستقيم وذلك خطب جسيم لا يحصل الا لمن أشرق قلبه بالانوار القدسية وتخلص من الكدورات البشرية والظلمات الانسية الطبيعية وأيده الله من عنده وقليل ما هم اه وقيل أن لا يختار العبد على الله شيا وقيل هي لزوم طاعة الله تعالى وقيل هي الاخلاص في الطاعة وقيل هي ان تشهد الوقت الذي أنت فيه قيامة قامت بأن تستشعر قيامك بين يدي مولاك فتحسن استقامتك له في دنياك وقال ابن فورك هي سؤال الله تعالى أن يثبتهم على الدين وقال بعض العارفين هي توبة بلا اصرار وعمل بلا فتور واخلاص بلا التفات ويقين بلا تردد وتفويض بلا تدبير وتوكل بلا توهم وهذا مقام عزيز لا يمكنه الا من تحقق كالابريز وقيل هي المتابعة للسنة المحمدية مع التخلق بالاخلاق المرضية وقيل هي الاتباع مع ترك الابتداع قال بعضهم والاستقامة أصعب المقامات مطلقا وهي كمقام الشكر اذ هو صرف العبد كل ذرة ونفس جميع ما أنعم الله به عليه الى ما خلق لاجله من عبادة ربه بما يطيق من جوارحه على الوجه الاقوم ومن ثم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى فاستقم كما أمرت ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع

أي فقدتك (أمك وهل يكب) اي يلقي الناس اي أكثرهم (في النار على وجوههم او قال على مناخرهم الا حصائد السنتهم) أي ما تكلمت به من الاثم جمع حصيدة بمعنى محصودة شبه ما تكتسبه الالسنة من الكلام بحصائد الزرع بجامع الكسب والجمع وشبه اللسان في تكلمه بذلك (١٩٦) بحد المنجل الذي يحصد به الزرع وفي الصحيح من يضمن لي ما بين لحييه ورجليه أضمن له الجنة وفيه ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقي لها بالا يكتب له رضوانه الى يوم القيامة وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يعلم انها تقع حيث تقع فيكتب له بها سخطه الى يوم يلقاه أو يهوي بها في النار سبعين خريفا وفي الحكمة لسانك أسدك ان أطلقته افترسك وان امسكته حرسك ولهذا كان أبو بكر رضي الله عنه يمسك لسانه ويقول هذا الذي أوردني المهالك فلما مات رؤي في المنام فقيل له الذي اوردك لسانك قال قال لا اله الا الله فاوردني الجنة ﴿خاتمة المجلس﴾ ينبغي لكل مكلف ان يحفظ لسانه عن جميع الكلام الا كلاما تظهر المصلحة فيه ومتى استوى الكلام وتركه فالسنة الامساك عنه لانه قد يجر الكلام المباح الى حرام او مكروه بل هذا غالب في العادة والسلامة لا يعدلها شيء وفي صحيحي البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت وفيهما عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله اي المسلمين افضل قال من سلم المسلمون من لسانه ويده وبلغنا ان قس بن ساعدة واكثم بن صيفي اجتمعا فقال احدهما لصاحبه كم وجدت في ابن آدم من العيوب قال هي اكثر من ان تحصى والذي أحصيته منها ثمانية آلاف ووجدت خصلة ان استعملتها سترت العيوب كلها قال ما هي قال حفظ اللسان فالصمت

القرآن

سلامة كما قيل احفظ لسانك أيها الانسان * لا يلدغنك انه ثعبان كم في المقابر من قتيل لسانه * كانت تهاب لقاءه الشجعان
وقيل جراحات السنان لها التئام * ولا يلتام ما جرح اللسان (المجلس الثلاثون في الحديث الثالثين) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
لطف أطن واذا عطف حسان أكرم من شاء ومن شاء أهان وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الحنان المنان

القرآن آية كانت أشد ولا أشق عليه من هذه الآية ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه حين
قالوا له قد أسرع اليك الشيب شيبتني هود وأخواتها * وأخرج ابن أبي حاتم لما نزلت هذه
الآية شمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فارخى مضحكا * وقال الثعلبي رأيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم في المنام فقلت له روي عنك يا رسول الله انك قلت شيبتني هود وأخواتها فما الذي شيبك
منها قصص الانبياء وهلاك الامم فقال لا ولكن انما شيبني منها قوله تعالى فاستقم كما أمرت الخ لان
قوله كما أمرت يدل على ان الاستقامة تكون بحسب المعرفة فمن كملت معرفته بربه عظم عنده أمره
ونهيه فاذا سمع كما أمرت علم انه طولب باستقامة تليق بمعرفته لكن قال في فيض الجود على
حديث شيبتني هود ما نصه عدة السور الواردة في جملة الروايات ثمانية هود والواقعة والحاقة
وسأل سائل والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت والقارعة ولا تعارض بين الروايات
لان رواية شيبتني هود وأخواتها تعم الجميع وتعيين البعض في بعض الروايات دون بعض يحمل على
اسقاط بعض الرواة لذلك البعض لعدم سماعه له أو على انه صلى الله عليه وسلم عينه لبعض دون
بعض فتكون الواقعة متعددة فظهر أيضا ان القول بان المراد من سورة هود آية فاستقم غير مستقيم
لان الاستقامة لم توجد في جميع السور الواردة في الطرق الصحيحة ولم يذكر شيري في رواية من
الروايات مع اشتمالها على مافي هود أي وهن قوله تعالى فادع واستقم كما أمرت وليس القائل بهذا
القول حجة يستند اليها اه وقد يقال ان شوري متاخرة في النزول عن هذا الاخبار فلا يرد ما
ذكر * قال أبو علي الدقاق الاستقامة لها ثلاثة مدارج أولها النهوض ثم الاقامة ثم الاستقامة فالنهوض
يكون من حيث تأديب النفوس لانه عبارة عن اصلاح الجوارح وتعديلها بميزان الخوف والرجاء
التسليم من النهايات وتستقيم على فعل الطاعات والاقامة تكون من حيث تهذيب القلوب اي تطهيرها
من الآفات الذميمة والاستقامة من حيث تقريب الاسرار من القلوب بان تكون أفعال العبد كلها
موزونة بميزان الشرع من غير تمكث نفوس ولا اقامة فالمعني الاول تمحيص والثاني تحقيق
والثالث توفيق قال بعضهم * وعلامة المستقيم ان يكون مثل الجبل لان للجبل أربعة أوصاف
الاول لا يذيبه الحر والثاني لا يضره البرد الثالث لا يحركه الرخ الرابع لا يذهب به السيل فكذلك
المستقيم اذا أحسن اليه انسان لا يحمله الاحسان ان يميل اليه بغير الحق والثاني اذا أساء عليه
شخص لا يتشوش منه بل يجاوز عنه وبعد ذلك كالعدم والثالث هو ان نفسه لا يحوله عن أمر الله
والرابع أن متاع الدنيا لا يشغله عن طاعة الله تعالى وقال القشيري الاستقامة درجة بها كمال الامور
وتمامها وبوجودها حصول الخيرات ونظامها ومن لم يكن مستقيما ضاع سعيه وخاب جده وقال
بعضهم انها لا يطيقها الا الاكابر لانها الطروح عن الالوفات ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين
يدي الله على حقيقة الصدق ولعز نها أخبر صلى الله عليه وسلم ان الناس لم يطيقوها فقد أخرج أحمد

وأشهد أن محمدا عبده
ورسوله المبعوث رحمة
الى الانس والجان صلى
الله عليه وعلى آله واصحابه
ما اختلف الجديدان آمين
(عن أبي نعيمة الجشمي
جرثوم بن ناشر رضي الله
عنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان الله تعالى
فرض فرائض فلا
تضيعوها وحد حدودا
فلا تعتدوها وحرم أشياء
فلا تنتهكوها وسكت
عن اشياء رحمة لكم غير
نسيان فلا تبحثوا عنها
حديث حسن رواه
الدارقطني وغيره) اعلموا
اخواني وفقكم الله واياكم لطاعته ان
هذا الحديث حديث
عظيم قال بعضهم ليس في
الاحاديث حديث واحد
أجمع بانفراده لاصول
الدين وفروعه منه ولهذا
قال السمناني من عمل به
فقد حاز الثواب وأمن
العقاب (قوله صلى الله
عليه وسلم ان الله تعالى
فرض فرائض) اي أوجبها
وحتم العمل بها (قوله فلا
تضيعوها) اي بالترك أو
التهاون فيها حتى يخرج وقتها بل قوموا بها كما فرض عليكم (قوله وحد حدودا) جمع حد وهو لغة الحاجز بين الشيئين وشرعا عقوبة مقدرة
من الشارع تزجر عن المعصية أي جعل لكم حواجز وزواجر مقدرة تحجزكم وتزجركم عما لا يرتضاه (قوله فلا تعتدوها) اي لا تزيدوا
عليها عما أمر به الشرع (قوله وحرم أشياء فلا تنتهكوها) اي لا تقتربوها ولا تقربوها (قوله وسكت عن أشياء رحمة لكم) اي لاجلكم
(غير نسيان) أي لها (فلا تبحثوا عنها) لان البحث عنها قد يكون سببا لنزول التشديد فيها بايجاب أو تحريم وقد صح ان المتنطعون

كلمه صلى الله عليه وسلم التي اختصر بها فانه صلى الله عليه وسلم جمع للسائل في هاتين الكلمتين جميع معاني الاسلام لانه توحيد وطاعة فالتوحيد حاصل بالجملة الاولى والطاعة بجميع انواعها في ضمن الجملة الثانية اذ الاستقامة اتيان بكل مامور واجتناب بكل منهي واعظم ما يراعى استقامته بعد القلب اللسان لانه ترجمان القلب المعبر عنه ولذا ازاد الترمذي في حديث قلت يارسول الله ما اكثر فيّ ما تخاف علي أشار فاخذ بلسان نفسه وقال هذا رواه في مسند أحمد لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ومن أبي سعيد الخدري مرفوعا اذا اصبح ابن آدم قالت الاعضاء للسان اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا

﴿الحديث الثاني والعشرون﴾

﴿عن أبي عبد الله﴾ يقال كنيته ابو محمد وقيل ابو عبد الرحمن ﴿جابر بن عبد الله﴾ بن عمرو بن حرام بمهملتين مفتوحتين ابن عمرو ابن سواد بتخفيف الواو ابن مسلمة بكسر اللام وقال ابن حرام ابن ثعلبة ابن جابر بن حزام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن اسد بن ساردة بن تزيد بالمثناة فوق ابن جشم بن الخزرج ﴿الانصاري﴾ السلمي بفتح السين واللام وامه انيسة بنت عقبة بن عدي بن سنان اسلمت وبايعت ﴿رضي الله عنهما﴾ توفي صحابي شهد العقبة مع السبعين وهو أحد النقباء الاثني عشر ولم ير احدا دخل يوم مات ولما بلغ ابنه موته اقبل فاذا هو بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم مسجى قال جابر فمنعت الثوب عن وجهه وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهوني كراهية ان أري ما به من لثغة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينهاني فلما رئي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زالت الملائكة مظلة باجنحتها حتى رفع ثم لقيني بعد أيام فقال لي اي بني الا أبشرك ان الله عز وجل احيا أباك فقال تمن يا رب ان تعيدوني وترد في الى الدنيا حتى اقتل مرة اخرى قال اني قضيت انهم اليها لا يرجعون ولما قتل اخي ابوه وكان عليه دين وترك منا طا فبذل جابر لغرمائه اصل ماله وهو الحائط فلم يقبلوه ولا رضوا بالاموال ولم يكن في ثمرها سنين كفاف دينهم فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فامره بجذها وجعل كل صنف على حدة ثم طاف صلى الله عليه وسلم بها وامر ان يكيل من كل واحدة منها فوفى الدين وفضل بعده اصبر كثيرة وفي رواية وفضل مثل كانوا يعدون كل سنة وفي رواية مثل ما أعطاهم قال وكان الغرماء يهودا فعجبوا من ذلك وشهد جابر الغزوة الثانية مع السبعين قيل وكان اصغرهم واستغفر له المصطفى صلى الله عليه وسلم في ليلة واحدة سبعا وعشرين مرة وروى أحمد قال اقبلت عير يوم الجمعة ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فانفض الناس فلم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اثنا عشر رجلا انا فيهم فانزل الله تعالى واذا رأوا تجارة اولهوا انفضوا اليها وتركوك قائما وراد شهود بدر فخلفه ابوه على اخواته ركن تسعا وخلفه ايضا يوم احد تسع شهد ما بعد ذلك ولكن في البخاري انه كان ينقل الماء يوم بدر ومات بالمدينة بعد ان ذهب بصره سنة ثلاث او ثمان وسبعين عن اربع وتسعين

وهو مادة الشكر ﴿والثالث﴾ الفكر في الاعمال لتخليصها من الشوائب وهو شان العابدين قال

سنة

الفضيل رحمه الله الفكر مرآة تريك حسناتك وسيآتك قال تعالى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وان عسى ان يكون قد اقترب أجلهم فباي حديث بعده يؤمنون اي اولم ينظروا ويتدبروا ويتفكروا في عجائب المملكة وبدائع ما في السموات والارض ويتفكروا فيما خلق الله من شيء فيجدوا فيه دلالة على حكمة الله ويتفكروا في اقتراب

الأعمال وانقطاع الآمال فيبادروا الى الصالح الاعمال فباي حديث بعد هذا القرآن يؤمنون فالتذكر فيما صنعوا فات هو المراد بهذه الآية وأمثالها واقرب العصر عادت اليك نفسك فتفكر في نظائرك من خلق من الكيلان ومن الحيوانات وسخر لك كتابا في الاعتبار قال الله تعالى وفي أنفسكم أفلا تبصرون أفلا تتفكرون وتنظرون الى ما في أنفسكم (١٩٩) من بدائع الحكم واتقان الصنعة

ردقائق الامور وصعوبها فيستدلون بها على خالقها وعلى كمال قدرته وقدرين الله تعالى الانسان بالاعضاء الظاهرة وجمع الاشياء المتضادة في المزاج الباطنة وهي الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة وهذا من عجيب القدرة التي لا يقدر عليها غيره قال الشاعر

الماء والنار كيف الخال ضدان
وقال اهل البصائر الفاقدة جعل الله تعالى في الانسان سر نسخة الوجود كما قيل وسموه العالم الصغير وقيل ما من مخلوق الا وفي الانسان خصلة منه اما صورية او معنوية وقال اهل النظر ينبغي للانسان ان يكون فيه عشر خصال من اخلاق الطير والبهائم سخاوة الديك وامانة الحمامة وصمت الباز وحذر الغراب وحزن الطاوس وبصيرة الهدهد وأنفة الديك وصدق الفرس وصبر الجمل وود الكلب ﴿ ولنختم المجلس بفوائد تتعلق بالتفكر ﴾ قال بعض العارفين التفكر ينقسم الى قسمين الاول يتعلق بالمعبود والثاني يتعلق بالعقد فاما المتعلق بالعبد فينبغي له ان يتفكر هل هو على معصية ام لا فان رأى نفسه فليبادر تركها بالتوبة ثم يتفكر في نقل الاعضاء عن المعاصي الى الطاعات فيجعل شغل عينيه الاعتبار وشغل لسانه الذكر والاستغفار والتسبيح والتهليل والاذكار وكذلك سائر أعضائه في الليل والنهار يستعملها في طاعة الواحد القهار ثم يتفكر في مبادرة الاوقات بالنوافل

سنة وصلى عليه ابان بن عثمان وهو يومئذ اميرها بأمر اخيه من مدينة الصحابة رضي الله عنهم وخمسمائة حديث واربعون حديثا اتفقا منها على مائة وخمسين واتفرد البخاري بستة وعشرين ومسلم بثمانية وعشرين ﴿ ان رجلا ﴾ هو النعمان بن قوقل بقافين مفتوحتين بينهما واو ساكنة وآخره لام الخزاعي شهد العقبة بدرا وقتل يوم أحد شهيدا وهو الذي يوم أحد أقسمت على رب العزة لا تغيب الشمس حتى أطأ بعرجتي هذه بعض هذه الجنة فمات الذي صلى الله عليه وسلم ان النعمان ظن بانه عز وجل يغفر له بمجرد عدم فعله فلقد رأيته يبادر أن يحضر انها به عرج ﴿ سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أرأيت ﴾ همزة الاستفهام ادخلت على رأيت وهي بمعنى ترى اي تنبأ ﴿ اذا صليت المكتوبات ﴾ الصلوات الخمس من كتب بمعنى فرض ﴿ واتقى ان الشيطان جاءه رجل يقال يا سيدي انه محسن وربما قال له الشيطان الزم باب الحبيب فمضى الرجل ولزم المسجد فكان يصلي الليل كله فاذا صلى الفجر غفر وجهه بالتراب وقال لهفي الحروم يطلب الوصال قال فما كان بعد ايام حتى سمع من جانب المسجد يا هذا قد غفرنا لك وأوصلناك ﴿ وصمت ﴾ شهر ﴿ رمضان ﴾ وهو على اربعة اقسام صوم عوام العوام وهو الكف عن المفطرات سواء حصل الكف عن المحرمات أم لا وصوم العوام وهي الكف عن المفطرات والمحرمات وصوم الخواص وهو الكف عن المفطرات والمحرمات والشبهات واللذات وصوم خواص الخواص وهو الكف عما سوى الله وانشد بعضهم

صمت عن غيره فلما تجلى ... كان لي شاغلا عن الافطار
وتشهوت مرة ثم لما ... جاز لي جل عن هذا الاعتبار

﴿ وأحللت الحلال ﴾ اي اعتقدت حله وفعلت واجبه بقرينة السياق ﴿ وحرمت الحرام ﴾ اي اجتنبته والظاهر كما قاله ابن الصلاح انه قصد به اعتقاد حرمته وان لا يفعله بخلاف تحليل الحلال فانه يكفي فيه مجرد اعتقاد كونه حلالا وان لم يفعله اه ويرجحه ان الناس مكلفون بفعل الحلال من حيث ذاته لا لصالح تترتب على فعله فلم يحتج فعله شرطا في دخول الجنة بخلاف الحرام فانا مكلفون باجتنابه وباعتقاد حرمته لذاته ﴿ ولم أزد على ذلك شيئا ﴾ من الطاعات المندوبة ولم يذكروا الزكاة والحج اما لعدم فرضهما حينئذ واما لكونه لم يخاطب بهما لفقد النصاب والاستطاعة واما لان قوله وحرمت الحرام يتناوله لان ترك الفريضة من جملة المحرمات ﴿ ادخل الجنة ﴾ همزة الاستفهام فيه مقدرة والمراد من غير عقاب كما هو ظاهر السياق لان مطلق دخولها انما يتوقف على التوحيد قال المؤلف مذهب اهل الحق من السلف والخلف ان من مات موحدا دخل الجنة قطعا على كل حال كيفما كان فان كان سالما من المعاصي كطفل ومجنون اتصل جنونه بالبلوغ وتائب توبة صحيحة وموفق ما ألم بمعصية قط فانهم يدخلون الجنة ولا يدخلون النار اصلا لكنهم يردونها على الخلاف فيه والصحيح ان المراد بالورود على الصراط وهو منصوب على ظهر جهنم وأما من عمل كبيرة ومات بغير توبة فهو في المشيئة ان شاء عفا عنه كالقسم الاول

طلبا للربح في دار الارباح فيصلي لله تعالى زيادة عن الفرض ما استطاع ويستمد ذلك ينظر في أمر الصيام كالخميس والاثنين والايام البيض التي هي مواسم الخير والطاعات ولا يغفل عنها ثم بعد ذلك ينظر ان وجبت عليه زكاة أخرجها المستحقها والا فليتصدق ثم بعد ذلك ينظر في قصر أمله فيتقنع له (٢٠٠) قيل أن يذهب وهو لا يشعر ثم بعد ذلك يتفكر في صفات الباطن فيترك الخصال المذمومة كالكبر والعجب والبخل والحسد ويفعل الخصال المحمودة مثل الصدق والاخلاص والصبر والخوف ويتفكر في زوال الدنيا وفنائها فيتركها لاهلها وفي بقاء الآخرة ودوامها فيطلبها ويعمرها كما قال بعض العارفين لاخوانه زوروا الآخرة بقلوبكم كل يوم وشاهدوا المواقف بافكاركم وتوسدوا القبور بافكاركم واعلموا ان ذلك كائن وقد قيل

ألا أيها الناسي ليوم رحيله
أراك عن الموت المفرق لاهيا
ولا ترعوي بالظاعنين
الى البلى
وقد تركوا الدنيا حميما كاهيا
ولم يفرجوا الا بقطن وخرقة
وما عمروا من منزل ظل خاليا
رهم في بطون الارض
مرعى بفلاهم
صديق وخل كان قبل موافيا
وانت غدا او بعده في
جوارهم
وحيدا فريدا في المقابر ثاويا
بجفاك الذي قد كنت
ترجو وداده
ولم ترانسانا لعهدك وافيا

وان شاء عذبه ثم يدخله الجنة ولا يخلد في النار أحد مات وبعده ايمان ولو عمل جميع المعاصي كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات كافرا ولو عمل من أعمال البر ما عمل هذا مذهب أهل الحق الذي تظاهرت أدلة الكتاب والسنة واجماع من يعتد به عليه ﴿قال نعم﴾ تدخلها كذلك وظاهر الحديث يقتضي أن الاعمال الصالحة أسباب لدخول الجنة لان تعليق الحكم على الوصف يشعر بالعلية وقد ثبت في الصحيح انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لن ينجي أحدا منكم عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا ان يتغمدني الله برحمته فالجواب ان دخول الجنة بمحض فضل الله تعالى ليس الا وأما اختلاف مراتبها فبحسب العمل لكن لا بد للعبد أن يستند لفضله وهذا الحديث يدل على جواز ترك النطوعات في الجملة لكن من تركها ولم يعمل شيأ منها فقد فوت على نفسه ربحا عظيما وثوابا جسيما ومن دام على ترك شيء من السنن كان ذلك نقصا في دينه وان قصد بتركها الاستخفاف بها والرغبة عنها كفر واما ترك النبي صلى الله عليه وسلم تنبيهه عليها تيسيرا وتسهيلا عليه ورأيفة لقرب عهده بالاسلام وحشية من نفرته لو أكثر عليه مع العلم بانه اذا تمكن الاسلام من قلبه شرح الله صدره ورغب فيما رغبت فيه بقية الصحابة من محافظتهم على النطوعات كمحافظتهم على الفرائض اعتناما بما جاء من تعظيم ثوابها ﴿رواه مسلم﴾ في كتاب الايمان ﴿ومعنى﴾ قوله ﴿حرمت الحرام اجتنبته﴾ اي تركته ﴿ومعنى أحللت الحلال فعلته معتقدا حله﴾ فيه نظر يعلم من كلام ابن الصلاح المتقدم ولو قال اعتقدت حله لكان أولى لان كل حلال لا يلزم فعله وأوله المؤلف فلا امتناع ابقائه على ظاهره لان النعمان ليس له تحليل ولا تحريم وانما ذلك للشارع فهو مجاز من باب اطلاق الملزوم وارادة اللازم ﴿والله أعلم﴾ بالصواب

﴿الحديث الثالث والعشرون﴾

﴿عن أبي مالك﴾ وقيل اسمه عبيد والمشهور ان اسمه كعب ﴿ابن عاصم﴾ وقيل عامر وقيل عمرو ﴿رضي الله عنه﴾ مات في طاعون عمواس في خلافة عمر بن الخطاب وطعن هو ومعاذ وأبو عبيدة وشرحبيل بن حسنة في يوم واحد ﴿قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطهور﴾ بالفتح اسم الماء الذي يتطهر به كسحور وفطور وقودا لما يتسحر أو يفطر أو يوقد به وبالضم الفعل وهو المراد هنا اذ لا دخل لغيره في الشطر بقالآتية الا بتكلف بان يقال استعمل الطهور الخ وزعم أن الرواية بالفتح لا الضم مردود لان الضم هو المختار وقول الاكثرين اذ المراد الفعل كما قال المؤلف وغاية ما فيه انهم يجوزوا الفتح ثم ان الطهور عند مالك ما يتكرر منه الطهارة كالصبور فيجوز الطهارة بالماء المستعمل وعند الشافعي هو الماء الطاهر في نفسه المطهر لغيره ماء كان أو ترابا وقال أبو حنيفة انه الطاهر فجوز از الة النجاسات بالمائعات ﴿شطر﴾ بتقديم الشين المعجمة على الطاء أي نصف ﴿الايمان﴾ الكامل بالمعنى الاعم المركب من التصديق والاقرار والعمل وان كان ذا خصال كثيرة وأحكام متعددة الا انها منحصرة فيما يطلب التنزه عنه وهو كل منهي عنه وما يطلب التلبس به وهو كل

وكن مستعدا للحمام فانه ❊ قريب ودع عنك المني والاماني
مامور

واما التفكر في المعبود فقد منع الشرع منه كما قدمناه ﴿حكاية﴾ اضطجع كسرى ليلة على فراشه فنظر الى الفلك فتفكر في هيئته واستدارته فقال ايها الفلك ان بناء انت سقفه لعظيم وان بيتا انت غطاؤه لنظيم وان شيأ انت تظله لكبير وان فيك لعجبا للمتعجبين فليت شعري على عمد من تحتك تمسك او بما ليق من فوقك تعلق واعمري ان ملكا امسكتك قدرته الملك قدير وانه في استدارتك

بتقديره لحكيم خبير وان جهل من غفل عن التفكر في هذه العظمة لخبير عليم وليت شعري كم أفنيت هذه النجوم من القرون وكم سحبت قبلنا أمما في سالف العصور وليت شعري بم طلوعك حين تطلعين وبم مسيرك حين تسيرين وأفولك حين تأفلين وبعلام سقوطك حين تغيبين ليت شعري أساكنة أنت أم تتحركين أم كيف صفتك التي بها تتصفين ولوتك الذي به تتوسمين ومن سمائك باسمائك التي بها تعرفين فسبحان من لا مره تنقادين وبمشيئته تجريين وبصنعته استقمتك حين تستقيمين ورجوعك حين ترجعين واستدارتك حين تستديرين وبروزك حين تبرزين فيا اخواني ارجعوا بنا الى مولانا فانه يعلم سرنا ونجوانا وقولوا يا الله ياالله ياالله اغفر لنا ولاهل مجلسنا أجمعين آمين آمين والحمد لله رب العالمين

﴿المجلس الحادي والثلاثون في الحديث الحادي والثلاثين﴾

الحمد لله الذي أنعم على أوليائه بالمحبة وزهدهم في الدنيا فلم يرغبوا في مثقال حبه واشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له شهادة من عرف ربه واشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أفضل من نصح الخلق ونبه صلى الله عليه وعلى آله ومن اختصهم بالصحبة ﴿عن العباس أبي سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله دلني على عمل اذا عملته أحبني الله وأحبني الناس فقال ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره باسانيد جيدة حسنة﴾ اعلموا اخواني وفقني الله وايا كم لطاعته ان هذا الحديث أحد الاحاديث الاربعة التي عليها مدار الاسلام (قوله ازهد) الزهد لغة الاعراض عن الشيء احتقارا له وشرعا أخذ قدر الضرورة من الحلال المتيقن الحل فهو أخص من الورع اذهو ترك المشتبه وهذا هو زهد

مأمور به وقيل المراد بالايمان الصلاة كقوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم أي صلاتكم الى بيت المقدس وأطلق الايمان عليها لانها اعظم آثاره وأشرف نتائجه وانما جعل الطهور شطرها لان صحتها باجتماع أمرين الاركان والشروط وأظهر الشروط وأقواها الطهارة فجعلت كأنها الشروط كلها ونوزع بان فيه تجوزا في قصر الايمان على الصلاة واخراج الشطر عن حقيقته الى معنى المماثل له وهو الشرط والمجاز لابد له من قرينة وأما حمل المصنف الطهور على معناه الشرعي وهو الوضوء فنظر فيه من وجهين أحدهما أنه لا يتضح حينئذ معنى الشطرية الا بادعاء أنه يشهي تضعيف الاجر فيه الى نصف الايمان وهذا وان قيل به الا أنه يحتاج الى دليل ثانيهما ان الطهور لا ينحصر في الوضوء بل يعم الغسل والتيمم والطهارة من الخبث وليس واحد من هذين النظرين في محله كيف ورواية ابن ماجه وابن حبان في صحيحه اسباغ الوضوء شطر الايمان والمراد اتمامه ورواية الترمذي والوضوء شطر الايمان وحينئذ فيقال يحتمل ان معناه انه تمام الشطر لا أنه كل الشطر والمراد بالوضوء فيه معناه اللغوي وهو يرجع لمعنى الطهارة الذي قررناه أولا لكن يعكر عليه رواية اسباغ الوضوء فانها نص في أن المراد الوضوء الشرعي فيحمل الطهور على الوضوء والوضوء على معناه الشرعي والشطر على مطلق الجزء اتضح هذا المقام وزال الاشكال وأما قول من قال أن الايمان يطهر نجاسة الباطن والوضوء يطهر نجاسة الظاهر منه ففيه بحث لانه حينئذ ليس شطر الايمان بل هو مماثل له في التطهير ﴿تنبيه﴾ خص الله الاعضاء بالوضوء قيل لان آدم صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا وسلم توجه الى الشجرة بالوجه ومشى اليها بالرجل ووضع يده على رأسه فامره الله بغسلها تكفيرا لخطاياه ثم ان الطهور ورد في القرآن لمعان الاول الطهور من الشرك كقوله تعالى في البقرة وطهر بيتي للطائفين اي من الاوثان فلا تدع حوله وثنا يعبد من دون الله وقال تعالى في المفصل في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة يعني من الشرك والكفر والثاني طهور القلب من الريبة كقوله تعالى ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون وقال في الاحزاب واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن أي من الريبة الثالث الطهور بمعنى الحل كقوله تعالى في هود هؤلاء بناتي هن أطهر لكم يعني أحل والرابع الطهور من الذنب كقوله تعالى في براءة خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها أي من الذنوب الخامس الطهور من الحيض كقوله تعالى في البقرة لهم فيها أزواج مطهرة أي من الحيض السادس التنزه عن اتيان الرجال في الادبار كقوله تعالى في الاعراف أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون أي يتناهون عن اتيان الرجال في أدبارهم السابع الطهور من جميع الاحداث كقوله تعالى في الانفال وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به يعني من الاحداث والجنابة الثامن الاغتسال كقوله تعالى في البقرة ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن اي اغتسلن التاسع بمعنى الاستنجاء كقوله تعالى في براءة فيه رجال يحبون أن يتطهروا يعني يغسلوا أثر البول

الطاهرين وهو المراد هنا وأعلى منه عند الطائفة وهو الزهد في الدنيا من التعفف عن دنياه وجمعه وغير ذلك مما ليس لصاحب هذا الزهد مقصدا إلا الوصول الى الله تعالى والقرب منه وهو يجب الزهد في الحرام ويندب في الشبهة (قوله في الدنيا) أي باستصغارها واحتقارها بجميع شأنها لتصغير الله تعالى لها وتحقيره (٢٠٢) اياها وتحذيره من غرورها وقد قدم العلماء الدنيا بانها ما حواه الليل والنهار وأظلته السماء وأقلته الارض واختلفوا في المراد هو فيه منها فقيل الدينار والدرهم وقيل المطعم والمشرب والملبس والمسكن والاظهر انه كل لغة وشهوة ملائمة للنفس حتى الكلام بين مستحسنين له ما لم يقصد به وجه الله تعالى وكان أبو سليمان يقول لا يشم لا حد بالزهد لانه في القلب * وقال الفضيل أصل الزهد الرضا عن الله عز وجل * ومن كلام علي رضي الله عنه من زهد في الدنيا هانت عليه المصائب وقيل الزهد في الرياسة أشد من الزهد في الذهب والفضة * وقيل لبعض السلف من مع مال هل هو زاهد قال نعم ان لم يفرح بزيادته ولم يحزن بنقصه * وقال سفيان الثوري رحمه الله تعالى الزهد في الدنيا ليس قصر الامل بأكل الغليظ ولا بلبس العباء ومن دعائه اللهم زهدنا في الدنيا ووسع علينا منها ولا تزوها عنا فترغبنا فيها وقال احمد رحمه الله هو قصر الامل والاياس عما في أيدي الناس وفي حديث مرسل يا رسول الله وحده من أزهد الناس قال من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من أيامه وعد نفسه من الموتى وقد قسم كثير من السلف الزهد الى ثلاثة أقسام زهد فرض وهو اتقاء الشرك الاكبر ثم الاصغر وهو أن يراد بشيء من العمل قولا أو فعلا غير الله تعالى ثم اتقاء جميع المعاصي وهذا هو الزهد في الحرام فقط قيل ويسمى هذا زهدا وعليه الزهري وابن

والفاتحة ﴿والحمد لله﴾ يتعين هذا اللفظ وحده لانه أفضل صيغ الحمد كما دل عليه الكتاب والسنة ويحتمل هذا اللفظ وكلما اشتق منه كحمدت الله وليس المراد به الفاتحة بكمالها خلافا لمن زعمه ﴿ملأ﴾ بفتاة فوقية أو تحتية والاول أرجح ولفظ ابن ماجه ملء ﴿الميزان﴾ أي ثواب اللفظ بسامع استحضار معناها والاذعان له ملأ كفة الميزان التي على مثل طباق السموات والارض وفيه كالآيات والاحاديث الشهيرة اثبات الميزان ذي الكفتين واللسان ووزن الاعمال بها بعد أن تجسم وتكون الحسنات جواهر بيضاء مشرقة والسيئات جواهر سوداء مظلمة أو توزن صحف أعمالها المشتملة عليها وميزان فعال من الوزن وأصله موزان قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها كميقات وميعاد لانهما من الوقت والوعد قيل ولكل انسان ميزان لظاهر قوله تعالى ونضع الموازين والاصح انه ليس الا ميزان واحد خلافا لمن قال لكل أمة ميزان ولكل انسان ميزان والجمع إما باعتبار الموزونات أو لكونه ذا أجزاء على حد قوله شابت مفارقه مع أنه ليس للانسان الا مفرق واحد وجعل ذو عنانين مع أنه ليس له الا عنان واحد وهو شعيرات طوال تحت حنكه لكنهم سووا كل محل من المفرق مفرقا وكل محل من العنانين عنانا أو لتعظيم شأنه وتفخيمه أولان كل واحد يتلون له الميزان بصورة ما كان العبد عليه في دار الدنيا والكافر كالمؤمن في وزن الاعمال لكن يؤتى باعماله في أقبح صورة وقوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا أي ناظرا أو قدرا فان قيل اذا وزنت الاعمال ورجحت أو خفت ماذا يفعل بها بعد ذلك * فالجواب أن من سعد وضعت اعماله الصالحة على باب داره في الجنة فيكون ذلك زيادة في نعيمه وان كان خاسرا وضعت على باب داره في النار ليكون ذلك زيادة في عذابه ﴿تنبيه﴾ قال بعض الشافعية أفضل الحامد أن يقال الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافيء مزيده واحتج على ذلك بما في بعض الاخبار ان الله تعالى لما أهبط آدم عليه الصلاة والسلام الى الارض قال يارب علمني المكاسب وعلمني كلمة تجمع لي فيها الحامد فاوحى الله تعالى اليه أن قل ثلاث مرات عند كل صباح ومساء الحمد لله حمدا يوافي نعمك ويكافيء مزيدك فقد جمعت لك فيها جميع الحامد وقيل افضل الحامد أن يقال الحمد لله بجميع محامده كلها ما علمت منها وما لم أعلم زاد بعضهم عدد خلقه كلهم ما علمت منهم وما لم أعلم واحتج له بما روي ان رجلا قال هذه الكلمات بعرفات فلما كان من العام المقبل حج وأراد ان يقولها فسمع قائلا يقول يا عبد الله أثبت الحفظة فانهم يكتبون ثواب هذه الكلمة من العام الماضي الى الآن وينبغي على ذلك مسئلة فقهية وهي من حلف بالطلاق ليحمدن الله بافضل الحامد فقال كل فريق لا يبر إلا بما قاله من تلك الحامد وقيل لا يبر حتى يقول اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقيل لا يبر حتى يقول ليس كمثله شيء ﴿وسبحان الله والحمد لله ملآن﴾ بالفوقية باعتبار أنهما جملتان أو بالتحتية باعتبار أنهما لفظان أو ذكران أو نوعان ﴿أو﴾ شك من الراوي ﴿تملأ﴾ بالفوقية أي هذه الكلمة لانهما يطلق عليهما كلمة لغة كما يقال في الخطبة والرسالة والقصيدة كلمة وبالتحتية أي هذا اللفظ أو هذا الذكر ﴿ما بين السموات والارض﴾ وذلك لان الحمد

وبحمده ملأ الميزان فاذا أضافها اليه سبحان الله ملأ زيادة على ذلك ما بين السماء والارض اذ الميزان ملؤ بقوله سبحان الله والحمد لله وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله غفر له عشرون حسنة ومن قال لا اله الا الله لله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله كتب له ثلاثون حسنة وانما كان كذلك لان الحمد في ضمنه التوحيد الذي هو لا اله الا الله فمن قوله الحمد لله توحيد وحمد وقوله لا اله الا الله توحيد فقط وأورد على هذا قوله عليه الصلاة والسلام أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وأجيب بانه محمول على من اراد الخروج من الكفر الى الاسلام بكلمة التوحيد والاول لمن استقر الايمان في قلبه وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده في كل يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وعنه أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بافضل مما جاء به الا احد قال مثل ما قال أو زاد عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن جويرية بنت الحارث أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات غداة من عندها وكان اسمها برة فحول رسول الله صلى الله عليه وسلم فسماها جويرية وكره ان يقال خرج من عند برة فخرج وهي في المسجد ورجع بعد ما تعالى النهار فقالت ما زلت في مجلسك هذا منذ خرجت بعد قالت نعم فقال لقد قلت بعدك اربع كلمات ثلاث مرات لو وزن بكلماتك لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته قال الامام فخر الدين الحمد لله ثانية أسرف وأبواب الجنة ثمانية فمن قال هذه الثمانية عن صفاء قلبه استحق ثمانية أبواب الجنة وقال بعضهم أول كلمة ذكرها أبونا آدم الحمد لله رب العالمين وآخر كلمة ذكرها اهل الجنة الحمد لله رب العالمين أما الاولى فلان آدم لما بلغ الرجيع الى سرته عطس فقال الحمد لله رب العالمين فاجابه الله تعالى يرحمك الله وأما الثانية فلقوله تعالى في حق اهل الجنة وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين (الصلاة الجامعة الشرائطها الصحيحة والتكملة لأنوارها من باب ترهيم يزيد عدل وفي ذلك ثلاثة أوجه اما ان يكون جعله نفس العدل مبالغة في التشبيه أو أن يكون حذف منه عدل على حذف المضاف وابقاء المضاف اليه أو أن يكون بمعنى عادل وعلى الاول جعل الصلاة نفس النور مبالغة في التشبيه من حيث انها تنهى عن الفحشاء والمنكر وتهدي الى الصواب كما ان النور يستضاء به ولانها سبب في استنارة القلب واشراقه بانوار المعارف وانكشاف الحقائق اولانها تكون نورا لصاحبها في الدنيا وفي القبر لقول أبي ذر صلوا ركعتين في ظلم الليل لظلمة القبر وفي عرصات القيامة لحير بشر المشائين في ظلم الليل الى المساجد بالنور التام يوم القيامة وفي صحيح ابن حبان أنه صلى الله عليه وسلم ذكر الصلاة وقال من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة وفي الحديث ان امتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء والغرة نور يخلقه الله في جباه المؤمنين والتحجيل نور يخلقه الله في اقدامهم وعلى الثاني يكون المعنى الصلاة ذات نور ويؤيده ما رواه الطبراني عن عبادة بن

جعلها خلافة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا ولا لسكانها وهو الارض لان الله تعالى جعلها لنا مهادا ولا الى ما لا يرضى الله تعالى فيها من اتخاذ آنية والحيوانات لان ذلك من نعمه على عباده وقال تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وانما هو الاشتغال بما فيها عما خلقنا لاجله من عبادته تعالى قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ثم من بني آدم من أنكر المعاد وهؤلاء هم أهل التمتع بالدنيا على ان منهم من كان يعمر بالزهد فيها او يرى ان كثرتها توجب الهم والغم ولذا قال اصحابنا لا يكفي الخطيب من الوصية بالتقوى ذم الدنيا لان ذمها معلوم لكل احد حتى للكفرة المعاد وقيتهم يقرون بالمعاد ولكنهم منقسمون الى ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات فالاول وهم الاكثرون هم الذين وقفوا مع زهرة الدنيا يأخذونها من غير وجوهها واستعملوها في غير وجوهها فصارت اكبر همهم وهؤلاء هم اهل اللهو واللعب والزينة والتفاخر والتكاثر وكل هؤلاء لا يعرفون المقصد منها ولا انها منزل سفر يتزود منها الى دار الاقامة وان آمن به بعضهم واخذ منها من وجوهها لكنه توسع في مباحاتها والتذ بشهواتها المباحة وهو وان لم يعاقب عليه لكنه ينقص من درجاته بقدر توسعه في الدنيا وصح عن ابن عمر لا يصيب احد من الدنيا شيئا الا نقص من درجاته في الآخرة وان كان عليه كريما وقد روى الترمذي ان الله اذا احب عبدا حماه الدنيا كما يظل احدكم يحمي سقيمه الماء وروى الحاكم

ان الله ليعطي عبد الدنيا وهو يحبه كما يعطي من يحبه الطعام والشراب فتخاتون عليه وروى مسلم الدنيا سجن المؤمن أي بالنسبة لما أمامه من النعيم الأخروي وجنة الكافر أي بالنسبة لما أمامه من العذاب الدائم الأليم المقيم والثاني هم الذين فهموا المراد من الدنيا وأن القصد بها انه تعالى انما أسكن عباده فيها وأظهر لهم لذاتها ومضراتها ليبلوهم أيهم أحسن عملا كما نص على ذلك في غير آية قال بعض السلف من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة ولما بين الله تعالى أنه جعل ما على الارض زينة لها ليبلوهم أيهم أحسن عملا بين انقطاع ذلك وفنائه بقوله وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا فمن فهم ان هذا هو مآلها جعل همه التزود منها للدار القرار وما كفى من الدنيا بما يكتفي به المسافر في سفره وكان صلى الله عليه وسلم يقول مالي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب قال في ظل شجرة ثم راح وتركها ثم من أهمل هذا القسم من اقتصر من الدنيا على مد رمقه فقط وهو حال كثير من الزهاد ومنهم من سمح لنفسه أحيانا في تناول بعض مباحاتها لتقوى النفس به وتنشط للعمل ومنه خبر أحمد والنسائي حبب الى من دنياكم النساء والطيب وقرة عيني في الصلاة وخبر أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب من الدنيا النساء والطيب والطعام فاصاب من النساء والطيب ولم يصب من الطعام وتناول الشهوات المباحة بقصد التقوى على الطاعة فيصير طاعات فلا يكون من الدنيا ولذا صح على ما قاله الحاكم انه صلى الله عليه وسلم قال نعمت الدار لمن تزود منها لآخرته حتى يرضى ربه وبئست الدار لمن جعد فسبها عن آخرته وتصرت به من رضا ربه واذا قال العبد قبح الله الدنيا قالت الدنيا قبح الله اعصانا لربه وليعلم ان الحامل على الزهد

الصلاة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا دخل العبد على صلاة قائم وضعوها وركوعها وسجودها وقراءة فيها قالت له حفظك الله كما حفظتني وصعدت بها الى السماء ولها نور حتى تنتهي الى الله تعالى تشفع لصاحبها وحمل للثالثة مغورة لوجه صاحبها الجاء من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار وان لم يبت حديثا نور واثر عن شريك قاله الثابت لما دخل عليه وفي رياض الرياحين للياضي عن شقيق البلخي قال طلبنا ضياء القبور فوجدناه في صلاة الليل وطلبنا جواب منكر ونكير فوجدناه في قراءة القرآن وطلبنا عبور الصراط فوجدناه في الصوم وطلبنا ظل العرش فوجدناه في الخلوة والصدقة أي الزكاة كما في رواية ابن حبان ويصح حملها على المعنى الاعم الشامل للواجبة والندبية وهو أتم (برهان) هو لغة الشعاع الذي يلي وجه الشمس ومنه خبر ان روح المؤمن تخرج من جسده مثل برهان كبرهان الشمس ومنه سميت الحجة الواضحة برهانا لوضوح دلالتها واصطلاحا الدليل والمرشد فهي مفزوع اليها كما يفزع الى البراهين لانه اذا سئل يوم القيامة عن مصرف ماله كانت صدقاته براهين على صدق ايمانه وعجز عن جوابه ويجوز ان يوم المتصدق سيما يعرف به فيكون برهانا له على حاله ولا يسئل عن مصرف ماله أو هي حجة ودليل على ايمان المتصدق فمن تصدق واستدل بصدقته على صدق ايمانه وعلى صحة محبته لربه والمال ومالديه من الثواب ابتداء محبوب بالجبلة والطبع رجاء ثوابه فلولا صحة ايمانه لما بذل عاجلا لآجل واما المنافق فيمتنع منها لكونه لم يعتقدها كقضية حنظلة الانصاري فانه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ادع الله ان يرزقني مالا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويلك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم عاوده فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما ترضى ان تكون مثل نبي الله ولو شئت ان تسير معي الجبال لسارت فقال والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله ان يرزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواها ثم نمت وكثرت حتى تركه الصلوات الا الجمعة وهي تنمو حتى ترك الجمعة أيضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة ثلاثا ثم نزل فيه من أموالهم صدقة الآية فبعث عليه الصلاة والسلام رجلين على الصدقة وقال لهما مرا بثعلبة وفلان رجل من بني سليم فخذا صدقاتهما فاتيا ثعلبة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا فعادا اليه فامتنع فنزل قوله تعالى ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الآية فكان شخص من أقاربه حاضرا فذهب اليه وأخبره فجمع زكاة ماله وأتى بها للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها ثم أتى بها لابي بكر في خلافته فلم يقبلها ثم لعمر ثم لعثمان وهلك في خلافة عثمان وتقدم ما فيه من رده والذي عليه المفسرون انه من المنافقين * وحكى عن بعض الذاكرين انه قال في مجلسه ان الرجل اذا أراد ان يتصدق فانه يأتيه سبعون شيطانا فيتعلقون بيده ورجليه وقلبه ويمنعونه عن الصدقة فلما سمع بعض القوم ذلك قال الى اقاتل هؤلاء السبعين وخرج من

أشياء منها استحضاره الآخرة ووقوفه بين يدي مولاه فحينئذ يغلب شيطانه وهواه وتهرب نفسه عن لذات الدنيا ونعيمها وشاهده أن حارثة رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم أصبحت مؤمنا حقا قال لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك قال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها ومدرها وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزا وكأني أنظر إلى أهل الجنة

من المسجد وأتى المنزل وملأ ذيله من الحنطة وأراد أن يخرج ويتصدق فوثبت زوجته وجعلت تنازعه وتحاربه حتى خرق ذلك من ذيله فرجع الرجل خائبا إلى المسجد فقال له المذكر ماذا عملت فقال صرفت السبعين فجاءت أمهم فهزمتني ﴿والصبر﴾ وهو لغة الحبس ومنه للمصبورة التي نهي عنها وهي الدجاجة ونحوها تتخذ غرضا وترمى حتى تقتل وسمي شهر رمضان شهر الصبر لأنه شهر تحبس فيه النفس عن شهواتها من المطعم والمشرب والمنكح وسمي الصابر في المصيبة صابرا لأنه حبس نفسه عن الجزع وقيل إنما سمي الصبر صبرا لأن مرره في القلب وانزعاجه للنفس كمرره في الفم، شرعا الثبات على الكتاب والسنة وقال ابن عطاء الله هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب وقال الأستاذ أبو علي الدقاق هو أن لا ينفر من المقدر وأما اظهار البلاء لا على وجه الشكوى فلا ينافي الصبر وقيل حبس النفس على مراد الله تعالى وقيل حبس النفس بمشاق التكليف وهو ساقط لقول بعضهم هو حبس النفس على العبادات ومشاقها والمصائب ومرارتها وعن المنهيات والشهوات ولذاتها وأفضل أنواعه الأخير فالأول لما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الصبر ثلاثة صبر على المصيبة وصبر على الطاعة وصبر على المعصية فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء والأرض ومن صبر على الطاعة كتب الله له سبعمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش ومن صبر على المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش مرتين قال بعضهم الصبر صبران فالأتم أصبر اجساما والكرام أصبر نفوسا وليس الصبر الممدوح ان يكون صاحبه قسوي الجسد على اللدو والكد كما هو من صفات البهائم بل ان يكون النفس عاويا والأمور محتملا وجاشه عند الحفاظ مرتبطا والفرق بين المتصبر والصابر والصبار ان الأول هو الذي يتحمل المشاق وتظهر عليه وانما يمنعه من السخط خوف الله والثاني هو من تعود حمل المشاق فلم تظهر عليه والثالث هو الذي عود نفسه الهجوم على المكاره بلا كلفة في ذلك دون المرارة ﴿تنبيهان الأول﴾ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة الثاني عن عكرمة انه قال طفئ سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل له يا رسول الله أمصيبة هي قال نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو مصيبة وقيل في قوله تعالى فاصبر صبرا جميلا الصبر الجميل ان يكون صاحب المصيبة في القوم لا يدرى من هو ﴿ضياء﴾ فيه مامر في نور وأصله ضواء فقلبت الواو ياء كما قلبت في الصيام والقيام والضياء هو النور الذي فيه حرارة واحتراق كضوء الشمس بخلاف النور فانه محض إشراق قال تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا ونحوه للزمخشري وانما جعل الصلاة نورا والصبر ضياء لانه أخص منها لاشتماله عليها وعلى غيرها من الطاعات لما مر فكان الضياء الأخص من النور الذي هو كالوصف الزائد عليه اولى به وأورد على هذا قوله

في الجنة ينعمون وإلى أهل النار في النار يعذبون قال يا حارثة عرفت فالزم ومثل هذا هو الذي تكون الدنيا سجنه ولذا قال أئمتنا لو أوصى لأعقل الناس صرف للزهاد أي لانه لا أعقل منهم حيث آثروا الباقي على الفاني ومنها استحضار ان لذاتها شاغلة للقلوب عن الله ومنقصة للدرجات عنده وموجبة لطول الحبس والوقوف في ذلك الموقف العظيم للحساب والسؤال عن شكر نعيمها ومنها كثرة التعب والذل في تحصيلها وكثرة عيوبها وسرعة تقلبها وفنائها ومزاحمة الارذل في طلبها وحقارتها عند الله ولذا قال الفضيل لو ان الدنيا بحذافيرها عرضت علي على حد لا أحاسب عليها لتحذرتها كما أتحذر الجيفة ومنها استحضار انها وما فيها ملعونة الا ما استثنى في قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالما ومتعلما ومنها استحضار ان تركها موجب لرفعة الدرجات وحلول الرضوان الأكبر منه تعالى في دار الكرامات ولذا قال صلى الله عليه وسلم ازهد في الدنيا يحبك الله لان الله تعالى يحب من أطاعه ومحبته مع محبة الدنيا لا تجتمع كما دلت عليه النصوص والتجربة والتواتر ولذا قال صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة وأنه لا يحب الخطايا ولا أهلها ولا نهاها ولو أولعب وان الله تعالى لا يحبهما ولان القلب بيت الرب لا شريك له فلا يحب ان يشرك في بيته حب دنيا ولا غيرها قيل أوحى الله تعالى

الى داود عليه السلام يا داود انى حرمت على القلوب أن يدخلها غيرى وحبك غيرى يا داود ان كنت تحبنى فاخرج حب الدنيا من قلبك فان حبى وحبها لا يجتمعان فى قلب وأما يا داود ومن أحبنى يتحببون بذكرى أحبهم اذا نام الغافلون ويذكرنى فى خلواته اذا لها عن ذكرى الفافلون وحاصل ما ذكروناه (ج ٣ ص ٢) انا نقطع ان حب الدنيا مذموم عند الله تعالى فالزاهد فيها محبوب له تعالى ومحبتها المجموعة

تعالى الله نور السموات والارض وأشرقت الارض بنوره وأجيب بان معنى قوله تعالى الله نور أى منور فالورد بناء على القول بان المضاف يقدر أعم وأشمل لانه يكون ليلا ونهارا والضياء لا يكون الا نهارا بالشمس على ان المراد بالنور الهدى أى هادى أهلهما أتم ان جعل المضاف أبلغ من النور أنكره ابن السكيت فى الدلائل الدائر وقال ليس له فى اللغة شاهد ولا فى الاستعمال مساعد ولا دليل فى الآية على جواز أن يكون من التدبيج ويجتنب التكرير وأجيب بان كلام ابن السكيت بحسب أصل الوضع وما ذكر بحسب الاستعمال كما فى الاساس (تنبيه) ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال ايما رجل صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الاجر مثل ما أعطى أيوب عليه الصلاة والسلام على بلائه وايما امرأة صبرت على خلق زوجها أعطاها الله من الاجر مثل ما أعطى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون وروى انه جاء رجل الى عمر رضى الله عنه يشكى اليه خلق زوجته فوقف ببابه ينتظره فسمع امرأته تطيل عليه بلسانها وهو ساكت لا يرد عليها فانصرف الرجل فائلا اذا كان هذا حال أمير المؤمنين فكيف حالى فخرج عمر فرآه مولياً فناداه ما حاجتك فقال يا امير المؤمنين جئت أشكو اليك خلق زوجتى واستطالتها فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت اذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالى فقال له عمر يا أخى انى احتملها لحقوق لها على انها طباخة لطعامى خبازة لخبزى غسالة لثيابى مرضعة لولدى ويسكن قلبى بها عن الحرام فاناا حتملها لذلك فقال الرجل يا امير المؤمنين وكذلك زوجتى قال فاحتملها يا أخى فانها مدة يسيرة وكان لبعض الصالحين أخ صالح يزوره كل سنة مرة فجاءه مرة لزيارته فطرق بابه فقالت زوجته من ذا قال أخو زوجك فى الله تعالى جاء لزيارته فقالت ذهب ليحتطب لاردانه وبالغت فى شتمه وسبه فيما هو كذلك واذا باخيه قد حمل الاسد حزمة حطب وهو يتبعه فلما وصل الى الباب سلم عليه ورحب به ثم أنزل الحطب عن ظهر الاسد وقال اذهب بارك الله فيك ثم ادخل الى اخاه وهى تسبه فلا يجيبها فاطعمه ثم رده فانصرف على غاية من التوجيه من صبره ثم جاء فى العام الثانى فدق الباب فقالت امرأته من قال اخوزوجك فى الله جاء يزوره قالت مر مبادرا وبالغت فى الثناء عليه وامرته بانتظاره فجاء أخوه والحطب على ظهره فاذا هو أعظم وأضخم وهى تبالغ فى الثناء فلما رآه فارقته سأله عما رأى من ذلك ومن هذه ومن حمل الاسد وحمله هو لها على ظهره فقال يا اخى توفيت تلك الشريرة وكنت صابرا على أذيتها وغيظها فسخر الله الاسد الذى رأيته يحمل الحطب بصبرى عليها وصرت الآن أحمل الحطب على ظهرى لراحتى من هذه وذكر بعض المفسرين ان ابا بكر كان عند النبى صلى الله عليه وسلم ورجل من المنافقين يسبه وأبو بكر لا يجيبه ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت يتبسم فاجابه أبو بكر رضى الله عنه فقام النبى صلى الله عليه وسلم وذهب فتبعه أبو بكر فقال يا رسول الله بادام يسبنى كنت ساكتا جالسا فلما اجبته قمت وذهبت يقال ان ملكا كان يجيبه فلما اجبته ذهب الملك وجاء الشيطان وانا لا اكون فى مجلس يكون فيه شيطان فنزل قوله تعالى فمن عفا وأصلح فاجره على الله وعن

حى ايثارها الميل الشهوانى ذلك يشغل عن الله تعالى أما محبتها لفعل الخير والتقرب الى الله تعالى فهو محمود بخير نعم المال الصالح للرجل الصالح يصل به رحمه ويحتسب به معروفا وفى الخبر اذا كان يوم القيامة جمع الله تعالى الذهب والفضة كالجبلين العظيمين ثم يقول هذا ما لنا عاد الينا سعد به قوم وشقى به آخرون (قوله صلى الله عليه وسلم وازهد فيما فى ايدى الناس يحبك الناس) أى لان قلوب غالبهم مجبولة على حب الدنيا ومن نازع انسانا فى محبوبه كرهه من لم يعارضه فيه أحبه ولذا قال الشافعى رضى الله عنه

ومن يذق الدنيا فانى طعمتها ... وسيق اليها عذبها وعذابها
فلم ارها الا غرورا وباطلا ... كما لاح فى ظهر الفلاة سرابها
وما هى الا جيفة مستحيلة ... عليها كلاب همهن اجتذابها
فان تجتنبها كنت سلما لاهلها ... وان تجتذبها نازعتك كلابها

فدع عنك فضلات الامور فانها ... حرام على نفس التقى ارتكابها

بشر

قال بعضهم ولا يبعد عندى ان الزاهد فى الدنيا تعمه الانس والجن أخذا بعموم لفظ الناس اذ يطلق لغة على الانس والجن واخرج الطبرانى فى خير ازهد فيما فى ايدى الناس تكن غنيا وقال الحسن لا يزال الرجل على الناس كريما ما لم يعط مما فى ايديهم فحينئذ يستخفون به ويكرهون حديثه ويبغضونه وقال ايوب السختيانى لا يعتبر الرجل حتى يعد عما فى

أيدي الناس ويتجاوز عما يكون منهم وكان ابن عمر يقول في خطبته ان العلم يقبر وان الياس غنى وسأل ابن سلام كعبا بحضرة عمر رضي الله عنهم ما يذهب بالعلم من قلوب العلماء يعد ان حفظوه وجمعوه قال يذهبه الطمع وشره النفس وتطلب الحاجات الى الناس وقال اعرابي لأهل البصرة من سيدكم قالوا الحسن قال بم سادكم قالوا احتاج الناس الى علمه واستغنى هو عن دنياهم فقال ما أحسن هذا ﴿ خاتمة المجلس ﴾ قد تضمن هذا الحديث الحث على التقليل من الدنيا ولذا قال صلى الله عليه وسلم كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وقال حب الدنيا رأس كل خطيئة كما مر وقال صلى الله عليه وسلم من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى ونقل عن الاربعين الوزغانية خبرا رغب فيما عند الله يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس ان الزاهد في الدنيا يريح قلبه وبدنه في الدنيا والآخرة وان الراغب في الدنيا يتعب قلبه وبدنه في الدنيا والآخرة ليجيء اقوام يوم القيامة لهم حسنات كأمثال الجبال فيؤمر بهم الى النار فقيل يا نبي الله أو يصلون قال كانوا يصلون ويصومون ويتصدقون ويأخذون وهنا من الليل لكنهم كانوا اذا لاح لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه ونقل بعضهم خير لهم اتقوا الله حق تقاته واسمعوا في مرضاته وايقنوا ممن الدنيا بالفناء ومن الآخرة بالبقاء واعملوا لما بعد الموت فكأنكم بالدنيا ولم تكن وبالآخرة ولم تزل اركل من في الدنيا ضيف وما فيها عارية وان الضيف مرتحل والعارية مردودة والدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر والدنيا مبغضة لاوليائه محبة لاعدائها فمن شاركهم في محبوبهم ابغضوه وفي خبر احمد والترمذي وابن ماجه من كانت الآخرة همه جمع الله شمله وجعل غناه في

بشر الحافي رحمه الله قال كان سبب ان رجل قد قطعه البلاء وسألني حد قذفه على وجهه ومسؤلك كثير الذكر عظيم الشكر لله تعالى فاذا هو مطروح من جنته فوضعت رأسه على حجري وجعلت اسأل الله تعالى ان يكشف ما به فافاق فسمع دعائي فقال من هذا المخمول الذي يدخل بيني وبين ربي ويعترض على في نقمتي ونعمى رأسه من حجري قال بشر فقلت سمع الله عبدا ان لا اعترض احدا في نقمة أراها عليه ﴿ والقرآن ﴾ قيل تسميته بذلك توفيقية وقيل لجمعه والقرآن علم ونون فعلان بمعنى مفعول ٧ بمعنى الامر والنهي والاستخبار والوعد والوعيد والقصص ولذا عظم من قرأ الناس في الحوض اذا جمعه وقرأت الناقة لبنها في الضرع جمعه أي امتثلت أمره واجتنبت نهيه واتعظت بمواعظه وقيل من قرأت الكتاب قراءة وقرآنا اذا تلوته لانه مجموع ومتلو ﴿ عامة ﴾ عن عبد الاعلى ابن النجم قال بت ليلة في أيام ابن حريش وابن خلف الحافري بمصر وكانت ليلة جمعة وانا اقول في نفسي لا أدري من أتبع هل ابن حريش واصحابه وهو يقول بخلق القرآن او ابن خلف واصحابه وهو يقول ان القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق قال فلما أويت الى فراشي رأيت شخصا جاءني وقال قم فقمت وقال لي قل قلت وما أقول قال قل

سبحان من رفع السما * بلا عماد للنظر
فزينت بالساطعا * ت اللامعات والقمر
ما قال خالق بالقسرا * ن من خلقه الا كفر
لكن كلام منزل * من عند خالق البشر

وقال اكتبه فمددت يدي فكتبته فيه فلما استيقظت رأيته مكتوبا بقوله في الحديث خيركم من تعلم القرآن وعلمه صحيح وقال صلى الله عليه وسلم لو كان القرآن في اهاب ما مسته النار * قيل معناه من حمل القرآن وقرأه لم تمسه النار يوم القيامة ﴿ حجة لك ﴾ في المواطن التي تسأل فيها كالقبر والميزان والصراط ﴿ أو ﴾ حجة ﴿ عليك ﴾ في تلك المواطن ان أعرضت عنه ولم تعمل به وقد روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يمثل القرآن رجلا فيؤتى بالرجل قد حمله فخاصم أمره فيمثل له خصما فيقول يا رب قد حملته اياي فبئس حامل انت لعدي حدودي وضيع فرائضي وركب معصيتي وترك طاعتي فما زال يقذف عليه بالحجج حتى يقول شأنك فيأخذ بيده فما يرسله حتى يكبه على وجهه في النار قال ويؤتى بالرجل الصالح يوم القيامة قد حمل وحفظ أمره فيمثل خصما فيقول يا رب قد حملته اياي فنعم حامل حفظ حدودي وعمل بفرائضي واجتنب معصيتي واتبع طاعتي فما زال يقذف به الحجج حتى يقال شأنك به فيأخذه بيده فما يزال به حتى يلبسه حلة الاستبرق ويعقد عليه تاج الملك ويسقيه كأس الخمر وفي الحديث القرآن شافع مشفع أي لمن عمل به وماحل مصدق أي لمن يعمل به من قدمه امامه قاده الى الجنة ومن جعله وراءه دفعه في قفاه الى النار وماحل من المماحلة وهي المكابرة والمكابدة ومنه ماحل اذا تكلف الحيلة واجتهد فيها وحل بفلان اذ مكر به وكاده وكان القرآن يكيد من اتخذه وراء ظهره وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يجيء القرآن يوم القيامة فيشفع لصاحبه فيكون قائدا

قليله وأتعدك الدنيا وهي راغمة من كانت الدنيا همه شتت الله شمله وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما قدر له ٭ وروى الترمذي لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها الكافر شربة ماء واذا علم ذلك فمن عاسن العاقل ان لا يغتر بمعاسن الدنيا فانها سمومة تزين ظاهرها بمحاسنها وتخفي قبائحها ومساويها في باطنها يغتر الجاهل بما يرى من ظاهرها

لما حيه الى الجنة أو يشهد عليه فيكون سائقه الى النار وجاء في بعض الاحاديث من حفظ القرآن أعطي ثلث النبوة أي أعطي علم ثلث النبوة وقال بعض السلف ما جالس أحد القرآن فقام عنه سالما بل اما أن يربح واما أن يخسر ثم تلا قوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وقيل لك أو عليك في المباحث الشرعية والوقائع الحكمية لانه اما يرجع عند التنازع فتستند به على خصمك دعواك أو يستند به خصمك عليك ﴿فائدة﴾ كان بعض المتصدرين للقراءة في الجامع العتيق قد حلف بالطلاق الثلاث أنه لا يجيز أحدا يقرأ عليه القرآن فيستحق الاجازة الا بعشرة دنانير فاتفق أنه قرأ عليه رجل فقير فلما أكمل سأله الاجازة فأخبره بيمينه فتألم خاطره فأخبر به أصحابه فجمعوا له خمسة دنانير فأتى بها الشيخ فلم يأخذها فخرج من عنده فرأى الحمال بداره فقال والله لا أفقت هذه الا في الحج فاشترى بها بضاعة وسار حتى وصل الى مكة فلما قضى مناسكه رحل الى المدينة الشريفة فلما وصل الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السلام عليك يا رسول الله ثم قرأ عشرا جمع فيها الائمة السبعة وقال هذه قراءتي على فلان عن فلان عنك عن جبريل عليكما الصلاة والسلام عن الله سبحانه وتعالى وقد سألت شيخي الاجازة فأبى علي وقد استضفت بك يا رسول الله في تحصيلها ثم نام فرأى النبي صلى الله عليه وسلم فقال سلم على شيخك وقل له رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك أجزني بلا شيء فان لم يصدقك فقل له يا مارة زمرا زمرا فلما وصل الفقير الى مصر أخبر شيخه وبلغه الرسالة بغير أمارة فلم يصدقه فقال له يا مارة زمرا زمرا فصاح الشيخ وخر مغشيا عليه فلما أفاق سأله أصحابه عن ذلك فقال كنت كثيرا ما أتلو القرآن فمررت يوما على قوله تعالى ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني وانهم الا يظنون خلت لا أقرأ القرآن الا متدبرا فيهما فاقت لا أتجاوز من القرآن الا اليسير مدة طويلة حتى نسيته فكثرت عن يميني وشرعت في حفظه فخلطته فبينما أنا أتلو ذات يوم فررت على قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية فقلت ليت شعري من اي الاقسام أنا ثم قلت لست من الثاني ولا من الثالث يقين فيتعين ان اكون من القسم الاول فمنعت تلك الليلة حزينا فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي بشر قراءة انهم يدخلون الجنة زمرا زمرا ثم أقبل على ذلك الفقير يقبل وجهه وقال أشهدكم علي اني قد أجزته ليقرأ ويقرئ من شاء وكل ذلك ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿كل الناس﴾ أي كل انسان ﴿يغدو﴾ يقال غدا يغدو اذا بكر أي كل انسان يصبح في أول النهار ساعيا في تحصيل أغراضه والغدو سير اول النهار ضد الرواح ماخوذ من الغدو بالضم ما بين الفجر وطلوع الشمس ﴿فبائع نفسه﴾ خبر مبتدا محذوف اي فهو بائع نفسه والمبتدا يكثر حذفه بعد فاء الجزاء ﴿فمعتقها﴾ من عذاب النار ﴿أو موبقها﴾ قوله فمعتقها خبر اخر او بدل من قوله فبائع نفسه واراد بالبيع المبادلة فان عمل خيرا وجد خيرا فيكون معتقها من النار وان عمل شرا استحق شرا فيكون موبقها او اراد بالبيع الشراء بقرينة قوله فمعتقها اذ الاعتاق انما يصح من المشتري اي فمن ترك الدنيا وآثر الآخرة

وبعلها كمثل عجوز قبيحة
تنظر تخفي وجهها وتلبس
احسن الثياب وتتزين
وتتجمل ليفتتن الطالبي من
بعد فاذا كشفوا عنها
غطاءها وعاينوا ما ألبسوا
عنها ازارها شمروا
النظر في وجهها وطابوا
قبائحها وندموا على
الاغترار بها كما جاء في
الخبر ان الدنيا يؤتى بها
يوم القيامة في صورة عجوز
قبيحة مشوهة زرقاء
العينين كريهة المنظر قد
تعرت عن انيابها وكشرت
عن اسنانها فاذا رآها
الخلائق قالوا نعوذ بالله
من هذه القبيحة المشوهة
فيقال لهم هذه الدنيا
الدنيسة التي كنتم عليها
تتحاسدون ولاجلها كنتم
تتحاقدون وتسفكون الدماء
بغير حق وتقطعون ارحامكم
وتفترون بزخرفها ثم يؤمر
بها الى النار فتقول يا الهي
اين احبابي فيؤمر بهم
فيلقون معها في نار جهنم
وقد قال صلى الله عليه
وسلم احذروا الدنيا
فانها اسحر من هاروت وماروت ورأى عيسى صلى الله عليه وسلم الدنيا في بعض مكاشفاته وهي على صورة عجوز هرمة فقال لها كم كان لك من زوج فقالت لا يحصون كثرة فقال عيسى عليه الصلاة والسلام ويحك اتوا عليك ام طلقوك قالت بل انا طلقتهم وافنيتهم فقال يا عجبا لهؤلاء الحمقى الآخرين الذين يشاهدون ما بسواهم صنعت وهم فيها يرغبون وبغيرهم لا يعتبرون ومن اعجب النكت ما حكي عن ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه انه وافق مجلسا في الري والري قرية من قرى الاسلام واذا فيه عالم جالس

اشترى

على سرير من نور فتح بالخير فلما فرغ من وعظه نعوذ بالله منهم وقرأ تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق السرير فقال الفقيه أخطأت يا غراس فقرأ الذي خلق الموت والحياة وكانت دابة الفقيه على باب المسجد فقال اسكت فقال الذي خلق القصر فقال اسكت فقال علمني كيف هو قال قل الذي خلق الموت والحياة (٢٠٩) فقال ابراهيم اذا علمت انك خلقت الموت فما هذا الطيلسان والتكبر فقال رميت سهما معترضا وقد سهمك في الغرض فنزل عن السرير وتاب ان الله تعالى وخرج مع ابراهيم سياحا وترك داره وماله لاهله حتى مات رحمة الله تعالى عليه اللهم وفقنا أجمعين والحمد لله رب العالمين ﴿ المجلس الثاني والسبعون في الحديث الثاني والثلاثين ﴾ الحمد لله الذي من علينا بفضله العميم اذ من علينا بمحمد أفضل الخلق فهدانا الى دين الحق والصراط المستقيم وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الكريم الحليم وأشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله وحبيبه وخليله الذي خص باخلاق العظيم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين فازوا منه بالحظ الجسيم ﴿ عن أبي سعيد سعد بن مالك ابن سنان الخزرجي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ضرر ولا ضرار حديث حسن رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما مسندا ورواه مالك في الموطأ عن عمرو ابن يحيى عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا فاسقط ابا سعيد وله طرق يقوى بعضها بعضا ﴿ اعلموا اخواني وفقني الله وإياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم (فقوله صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار) بكسر اولهما من ضره وضاره بمعنى وهو خلاف النفع كذا قاله الجوهري فالجمع بينهما للتأكيد والمشهور ان بينهما فرقا قيل الاول الحاق مفسدة بالغير مطلقا والثاني

اشترى نفسه من ربه بالدنيا فيكون معتقها ومن ترك لآخرته آثر الدنيا اشترى نفسه بالآخرة فيكون مهلكها فجعل مرور الازمان وانقضاء الانفاس بمنزلة بذل الثمن بدلا عما اختاره من الثمن خير او شر ولبعضهم

نفسي الى ماضرني داعي ✻ يختار اسقامي وأوجاعي
كيف احتيالي من عدوي اذا ✻ كان عدوي بين اضلاعي

وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح اللهم اني اصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك انك انت الله لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك مرة اعتق الله ربعه من النار او مرتين فنصفه او ثلاثة فثلاثة ارباعه او اربعا فكله وكذا ان امسى لان تكرير هذه الكلمات اربع مرات تبلغ حروفها ثمانمائة وستين حرفا وابن آدم مركب من ثلثمائة وستين عضوا فاعتق الله بكل حرف عضوا ✻ فان قلت من اعتق بعض عبده كمل عليه فكيف لا يكمل العتق لمن قال ذلك مرة او مرتين او ثلاثا ✻ فالجواب ان التكميل يتم قهرا والله تعالى منزه عن ذلك او لان ملك الله لعباده حقيقي وملك العبد لمن في رقه مجازي فزال بادني الامور او لان العتق بالسراية انما يكون في عتق يحصل به الخروج من ملك المالك لا في العتق من النار او لان العتق بالسراية رفق بالمعتق بالكسر لانه يحصل به عتق جميعه من النار لحديث من اعتق رقبة مؤمنة اعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار حتى الفرج بالفرج وهذا الا باق دليله في حق الله ﴿ رواه مسلم ﴾ وكذا احمد والترمذي بالفاظ المذكور عن صحابيه المذكور قال القطان ارا كتفوا بكونه في مسلم فلم يعتنوا عنه وقد بين الدارقطني وغيره ان فيه انقطاعا

﴿ الحديث الرابع والعشرون ﴾

﴿ عن ابي ذر ﴾ جندب بن جنادة المتحمل عن الدنيا المتشمر للاقي ﴿ الغفاري ﴾ بكسر الغين المعجمة وفتح الفاء المخففة نسبة الى غفار قبيلة من كنانة ﴿ رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي ﴾ صيغة المضارع اصله يرويه حذف عائد الموصول ✻ وفي رواية فيما يروي ﴿ عن ربه عز وجل ﴾ أي هو من جملة الاحاديث القدسية وكان ابو ادريس روايه عن ابي ذر اذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبتيه ﴿ انه قال يا عبادي ﴾ جمع عبد وهو لغة الانسان ليتناول الذكر والانثى والحر والعبد لكن المراد هنا بدلالة قوله الآتي انسكم وجنكم جمع الثقلين لتساويهم في التكليف وتعاقب القوى والعجز وقال البيضاوي يجوز ان يكون عاما شاملا لذوي العلم كلهم من الثقلين والملائكة ويكون ذكر الملائكة مطويا مندرجا في قوله وجنكم وتوجيه الخطاب نحوهم لا يتوقف على الوجود منهم ولا على مكانه لانه كلام صادر على سبيل الفرض والتقدير اه وفيه بحث لانه صرح فيما يأتي بالانس والجن دون الملك فدل على ارادتهما دون خصوص الملائكة ليسوا من اهل التسلسل والطعام وتقدير ذلك فيهم بعيد وياحرف نداء وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمته كيا رب يا الله

﴿ ٢٧ - شبر خيتي ﴾

مفسدة بالغير على وجه المقابلة أي كل منهما يقصد ضرر صاحبه من غير حاجة الاعتداء بالمثل والانتصار بالحق وقال ابن حبيب الضرر عند أهل العربية الاسم والضرار الفعل فمعنى الاول لا تدخل على أخيك ضررا لم يدخله على نفسه ومعنى الثاني لا يضار أحد بأحد وقيل الضرر أن يدخل على غيره ضررا بما (ج ١ ص ٢٦) ينتفع هو به والضرار أن يدخل على غيره ضررا بما لا منفعة له به كمن منع مالا يضره ويتضرر به المنع ورجح هذا طائفة منهم ابن عبد البر وابن الصلاح وقيل الاول مالك فيه منفعة وعلى جاره فيه مضرة والثاني مالا منفعة فيه لمالك وعلى جاره فيه مضرة وهو حسن متحكم بلا دليل وان قال غير واحد ان هذا وجه حسن المعنى في الحديث وفي رواية ولا اضرار من أضر بأحد اضرارا اذا ألحق به ضررا قال ابن الصلاح هي على السنة كثير من الفقهاء والمحدثين ولا صحة لها ولذا أنكرها آخرون وخبر لا محذوف اي في ديننا وفي شريعتنا وظاهر الحديث تحريم سائر أنواع الضرر الا ما دليل لان النكرة في سياق النفي تعم وفي الحديث بعثت بالحنيفية السمحة السهلة وقد صح حرم الله من المؤمن دمه وماله وعرضه وأن لا يظن به الا خير او صح أيضا ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم ﴿نكتة﴾ في ذكر ما ورد في شدة عذاب من يؤذي المؤمنين روى مجاهد بسنده قال ان لجهنم ساحلا كساحل البحر فيه هوام وحيات كالبخت العقارب كالبغال فاذا استغاث أهل النار وقالوا الساحل فاذا ألقوا فيه سلطت عليهم تلك الهوام فتأخذ أشفار أعينهم وشفاههم وما شاء الله منهم تكشطها كشطا فيقولون النار النار فاذا ألقوا فيها سلط عليهم الحرب فيحك أحدهم جسده حتى يبدو عظمه وان جلد أحدهم لا يعدون ذراعا يقال يا فلان تجد هذا يؤذيك فيقول وأي أذى أشد من هذا قال يقال هذا بما كنت تؤذي المؤمنين اللهم سلمنا

وهو أقرب اليه من سبيل الورد أو لغفلته كما هنا فانهم غافلون عن تلك الامور العظيمة اي للاعتناء بالامر اليه وزيادة (اشتد عليه كما في يا أيها الناس اعبدوا ربكم ﴿الذي خلقكم﴾ من التعريم وهو لغة المنع فشبه تعالى تنزيهه عن الظلم بتحريز المكلف عما نهي عنه شرعا في الامتناع منه واستعار له التحريم ثم اشتق منه الفعل ويكون استعارة تبعية ﴿الظلم﴾ هو لغة وضع الشيء في غير محله وشرعا التصرف في ملك الغير بغير حق أو مجاوزة الحد وكلاهما محال اذ الملك ولا حق لاحد معه بل هو الذي خلق الملك لكن وعد كم وتفضل عليهم بها وعدهم الحد ورد وحرم وأحل فلو حاكم يعقبه ولا حق يترتب عليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا ﴿على نفسي﴾ اي تنزهت وتعاليت عنه لقوله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيأ فالظلم مستحيل في حق الله عز وجل وذهب المعتزلة الى أن الله تعالى قادر على الظلم وهو منصوص رده لكن لا يفعله عدلا منه وتنزها واحتجوا بقوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد وهو تمدح بنفي الظلم والحكيم لا يتمدح الا بما يقدر عليه ويصح منه ولو قال شخص اني ما منعت نفسي من صعود السماء لسخر منه وردوا عليهم بانه لو جاز أن يكون مقدورا له لجاز أن يكون هو موصوفا به تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقولهم ان الحكيم لا يتمدح الا بما يقدر عليه ممنوع لانه قد يتمدح الانسان بحسن القيامة وانطلق الجسمين الذي هو جبلة أبيه وغريزة له فان قيل ظلام من صيغ المبالغة فيوهم ان المنفي المبالغة في الظلم وكثرته لا هو من أصله * فالجواب من عدة أوجه ان هذه الصيغة وهي صيغة فعال قد تأتي للنسبة كتمار فقوله بظلام أي منسوب للظلم وذلك نفي له من أصله وبانه وان كان للكثرة لكن جيء به في مقابلة السيد الذي هو جمع كثرة ويرشحه قوله تعالى علام الغيوب بعالم الغيب حيث قابل في الاول المبالغة بالجمع وفي الثاني صيغة اسم الفاعل الدالة على أصل الفعل بالواحد وبان صيغة المبالغة وغيرها في صفاته تعالى سواء في الاثبات فجرى النفي على ذلك وبانه تعريض بان ثم ظلاما للعبيد من ولاة الجور وقال بعضهم صفات الله تعالى بلغت غاية الكمال فلو اتصف بالظلم كان عظيما بقاؤه على حد عظمه لو كان ثابتا او أراد نفي أصل الظلم لكن القليل منه بالنسبة الى رحمته العامة الذاتية كثير وقضية هذا الحديث جواز اطلاق النفس على الله تعالى على غير وجه المشاكلة وهو الصحيح كما قاله امام الحرمين بدليل كتب ربكم على نفسه الرحمة ويحذركم الله نفسه وادعاء أنه مشاكلة تقديرية تكلف وقول أهل المعاني انها لا تطلق عليه الا مشاكلة كقوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك غير صحيح كما قال السبكي وجمع بعض المحققين بين القولين فقال النفس لها معنيان الذات وهذا يصح اطلاقه من غير مشاكلة والجسم وهذا لا يطلق عليه الا مشاكلة وقد قال الزمخشري في قوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار النهي يتناول الانحطاط في هواهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا باعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومداناتهم الى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتأمل قوله ولا تركنوا فان الركون هو الميل الى

من هذه الاهوال فايالك يا أخي ان تؤذي احدا او تضره فتقتل الا بي المختار لا ضرر ولا ضرار اي في ديننا او شريعتنا كما قدمناه وما كان الكلمتان تقتضيان رعاية المصالح ايثارا والمفاسد تنزيها اذا الضرر هو المفسدة فاذا انتفت لزم انتفاء النقيض الذي هو المصلحة فانظر يا اخي وتامل هذا الحديث الحسن فمن ابي داود انه قال الفقه يدور على خمسمائة احاديث وعد (٢١٢) هذا الحديث من الخمسة قال

الظالمين وحكي ان الواثق صلى خلف الامام فقرأ الامام هذه الآية فغشي عليه فلما افاق قال هذا فيمن ركن فكيف بالظالم وعن الحسن جعل الله الدين بين لامين ولا تركنوا ولا تطغوا ولما خالط الزهري السلاطين كتب اليه أخ له في الدين عافانا الله واياك أما بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك ويرحمك أصبحت شيخا كبيرا وقد أثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه واعلم ان أيسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين ادناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون الشك بك على العلماء ويصطادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا منك في جنب ما أخربوا عليك وما أكثر ما أخذوا منك في جنب ما أفسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة الآية فانك تعامل من لا يهمل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيء زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء والسلام وروي ان عمر بن عبد العزيز لما استخلف قال رحاء الشام هذا العبد الصالح الذي قام على الناس قيل لهم وما علمكم بذلك قالوا اذا قام على الناس خليفة عدل كفت الذئاب عن شياهنا ﴿وجعلته﴾ اي الظلم ﴿بينكم محرما﴾ اي حكمت بتحريمه عليكم وصنعتكم به سواء كان لاختلال غيره اولا كظلم النفس وروي الشيخان الظلم ظلمات يوم القيامة وروي أيضا ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك اخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة وروى البخاري من كانت منه مظلمة لاخيه فليستحلله منها فانه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل ان يؤخذ لاخيه من حسناته فان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات اخيه فطرحت عليه وفي الحديث الصحيح أتدرون من المفلس قالوا يا رسول الله المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال ان المفلس من امتي من اتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام وقد شتم هذا وضرب هذا وأخذ مال هذا فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه اخذ من سيئاتهم فطرح عليه ثم طرح في النار وقال عليه الصلاة والسلام من دعا للظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في أرضه وللظلم احدين طولون استغاث الناس من ظلمه وتوجهوا الى السيدة نفيسة وشكوا ذلك اليها فقالت لهم متى يركب قالوا في غد فكتبت رقعة ووقفت في طريقه وقالت يا أحمد بن طولون فلما رآها عرفها فنزل عن فرسه واخذ منها الرقعة وقراها فاذا فيها ملكتم فاسرتم وقدرتم فقهرتم وخولتم فسئتم وردت اليكم الارزاق فقطعتم هذا وقد علمتم ان سهام الاسحار نافذة غير خطئة لا سيما من قلوب اوجعتموها واكبادا جعتموها وأجسادا عريتموها اعملوا ما شئتم فانا صابرون وجورا فانا لله مستجيرون واظلموا فانا لله مستظلمون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون قال فعدل لوقته وهذا واقبله توطئة لقوله ﴿فلا تظالموا﴾ بتخفيف الظاء أصله

النووي رحمه الله وله طرق يعضد بعضها بعضا وقد ورد في الكتاب العزيز والحديث الصحيح منهيا عنه فاعتقد به قوله تعالى وقد خاب من حمل ظلما وأصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه واخذه من غير وجهه ومن اضر باخيه فقد ظلمه وقوله صلى الله عليه وسلم حرم الله من المؤمن دمه وماله وعرضه وان لا يظن به الا خيرا وقوله ان دماءكم وأموالكم واعراضكم حرام عليكم كما تقدم واذكر جملة من انواع الظلم والضرر ليكون الشخص منها على حذر من ذلك المكس واكل مال اليتيم والمماطلة بحق عليه مع قدرته على وفائه ومن ذلك ان يظلم المرأة في نحو صداق او نفقة او كسوة وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال يؤخذ بيد العبد او الامة يوم القيامة فينادي به على رؤس الخلائق هذا فلان بن فلان من كان له عليه حق فليات الى حقه

قال فتفرح المرأة ان يكون لها حق على ابيها او اخيها او زوجها ثم قرأ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون قال فيغفر الله تعالى من حقه يومئذ ما شاء الله ولا يغفر من حقوق الخلق شيئا فينصب العبد للناس ثم يقول الله تعالى لاصحاب الحقوق التوا الى حقوقكم قال فيقول العبد يا رب فنيت الدنيا فمن اين اوتيهم حقوقهم فيقول الله للملائكته خذوا من أعماله الصالحة فاعطوا كل ذي حق حقه بقدر مظلمته فان كان وليا لله وفضل له مثقال ذرة ضاعفه الله تعالى حتى يدخله الجنة بها وان كان عبدا شقيا ولم

يقضي له شيء فتقول الملائكة ربنا قد رضينا عبدك هذا فيقول الله تعالى لعبده ما تقول فيقول يا سيدنا تهم فاقضيه وإلى سيئاتهم صكوا الله صكاك النار ومن الظلم والقهر أيضا عدم إيفاء الأجير حقه لقوله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة رجل أعطى ثم غدر ورجل باع حرا فأكل ثمنه ورجل استأجر (٢١٢) أجيرا فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجرته ومنه أن يظلم يهوديا أو نصرانيا بنحو أخذ ماله تمسكا بقوله صلى الله عليه وسلم من ظلم ذميا فأنا خصمه يوم القيامة ومنه أن يقتطع حق غيره بيمين فاجرة لخبر الصحيحين من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم الله عليه الجنة قيل يا رسول الله وإن كان شيئا يسيرا قال وإن كان قضيبا من أراك فاحذروا يا إخواننا الظلم وأنواع الضرر وكونوا من دعوة المظلوم على حذر كان شريح القاضي يقول سيعلم الظالمون حق من انتقصوا إن الظالم ينتظر العقاب والمظلوم ينتظر الثواب وروي إذا أراد الله بعبد خيرا سلط عليه من ظلمه ﴿خاتمة المجلس﴾ دخل طاوس اليماني على هشام بن عبد الملك فقال له اتق الله يوم الأذان قال هشام وما يوم الأذان قال قوله تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين فصعق هشام فقال طاوس هذا ذل الصفة فكيف بالمعاينة اللهم سلمنا من شر الأشرار آمين آمين

﴿المجلس الثالث والثلاثون﴾ سلوك

في الحديث الثالث والثلاثين ﴿ الحمد لله الذي خلق الأنام وقدر أرزاقهم من فضله وبين الحلال والحرام وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك القدوس السلام وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المخصص بمزيد الإكرام صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ذوي الفضل والإنعام ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعطى الناس بدعواهم لادعى

تظالموا فحذفت إحدى التاءين تخفيفا ويجوز تشديد الظاء بإدغام الأخرى فيها وزعم بعضهم أنه الرواية أي لا يظلم بعضكم بعضا فإن الله يقتص المظلوم من الظالم بقدر ظلامته وفي الحديث ينادي مناد يوم القيامة أين الظلمة وأشياع الظلمة حتى من لاق لهم دواة أو برى لهم قلما فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى بهم في جهنم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من مشى مع مظلوم بيمينه على مظلمته ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزل فيه الأقدام ومن مشى مع ظالم ليعينه على ظلمه أزل الله قدميه على الصراط يوم تدحض فيه الأقدام وبعث عبد الرحمن بن مسلم إلى الضحاك بعطاء أهل بخارى وقال أعطهم فقال اعفني فلم يزل يستعفيه حتى أعفاه فقال ما عليك أن تعطيهم أنت ولا ترزأهم شيئا فقال إني لا أحب أن أعين الظلمة على شيء من أمرهم ﴿ فائدة ﴾ إن قيل أي آية في كتاب الله أخوف فالجواب قيل يحذركم الله نفسه وقيل ستفرغ لكم أيها الثقلان وقيل فأين تذهبون وقيل من يعمل سوءا يجز به وقيل أخفى منهم أمر خلقنا كم عبثا وقيل إن بطش ربك لشديد وقيل أم حسب الذين اجترحوا السيئات قال الهيتمي ما ذكرنا أوجبه من العدل وحرمة الظلم على نفسه وعلى عباده أتبعه بذكر إحسانه إليهم وغناه عنهم وفقرهم إليه وأنهم لا يقدرون على جلب منفعة لأنفسهم ولا دفع مضرة عنهم إلا أن يكون هو الميسر لذلك مشيرا إلى أن ذلك الجلب والدفع إما في الدين أو الدنيا فصارت أربعة أقسام وهي الهداية والمغفرة وهما جلب منفعة ودفع مضرة في الدين والإطعام والكسوة وهما جلب منفعة ودفع مضرة في الدنيا وإنما عدها الأقسام طلب الهداية ولذا افتتح بها فقال ﴿ يا عبادي ﴾ كرر النداء زيادة لشرفهم وتعظيمهم ﴿ كلكم ضلال ﴾ أصل الضلال في اللغة الغيبوبة يقال ضل الناعي إذا غاب فيه ومنه قول الرجل الذي قال لبنيه إذا مت فحرقوني ثم ذروني في الريح لعلي أضل ربي أي يخفى موتي عليه وضل الكافر إذا غاب عن الحجة ومن هذا قوله أئذا ضللنا في الأرض أي غبنا فيها بالموت وصرنا ترابا ومنه قوله تعالى في الأنعام لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون يعني غاب عنكم ذكر ما كنتم تزعمون وقال في الأنعام أيضا وضل عنهم ما كانوا يفترون يعني غاب عنهم ذكر الآلهة ويطلق الضلال بمعنى النسيان ومنه قوله تعالى أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى بمعنى تضل تغفل وتنسى وضل أي لم يهتد يقال رجل ضال إذا أخطأ الطريق ورجل مضلل إذا لم يتوجه لخير قال الشاعر

ألم تسأل فتخبرك الديار * عن الحي المضلل أين ساروا

وليس المراد بالضلال المحبة كما في قوله تعالى حكاية عن أخوة سيدنا يوسف إنك لفي ضلالك القديم أي في محبتك القديمة ليوسف وكما قال بعض المفسرين في قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى أي محبا له فهداك ويطلق الضلال بمعنى عدم العلم بتفصيل الأمور وعليه جل أكثر المفسرين قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى أي غير عالم بتفصيل شريعتك وقوله كلكم ضال أي فاقد طريق الهداية أو سالك طريق غيرها من الضلالة وهي فقدان طريق يوصل إلى المطلوب وقيل

رجال أموال قوم ودمائهم ولكن البينة على المدعي واليمين على من أنكر حديث حسن رواه البيهقي وغيره هكذا وبعضه في الصحيحين ﴿ اعلموا اخواني وفقني الله وإياكم لطاعته أن هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد أحكام الشرع وقيل فيه أنه من فصل الخطاب الذي أعطيه داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام إذا علم ذلك فلنتكلم على بعض

ما فيه باختصار تعميما للمجلس

سلوك طريق لا توصل إليه وخلال الطريق العدول عن سمته ﴿ الأمر هدايته ﴾ الهداية في اللغة الدلالة بلطف ولذا لا تستعمل في غير الخير الا نادرا كقوله تعالى فاهدوهم إلى صراط الجحيم وفي عرف أهل الحق الدلالة على طريق يوصل إلى المطلوب حصل أو لم يحصل وعند المعتزلة الدلالة الموصلة إليه قال بعضهم ولا نزاع بينهم في الحقيقة لان الهداية تجيء تارة بمعنى خلق الاهتداء نحو يهدي من يشاء فلهذا نفى الهداية من قوله تعالى انك لا تهدي من أحببت وتارة بمعنى بيان طريق الحق فلهذا نسبت الهداية إليه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وانك لتهدي إلى صراط مستقيم وذكر الخازن في تفسير قوله تعالى هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ما نصه وقيل بالفرق بين البيان والهدى والموعظة لان العطف يقتضي المغايرة فالبيان هو الدلالة التي تفيد ازالة الشبهة بدليل كانت حاصلة والهدي هو طريق الرشد المأمور بسلوكه دون طريق الغي والموعظة هي الكلام الذي يفيد الزجر عما لا ينبغي في طريق الدين ﴿ فاستهدوني ﴾ اي اطلبوا مني الهداية اي الدلالة الموصلة الى طريق الحق ﴿ أهدكم ﴾ بفتح الهمزة وكسر الدال اي الطريق المستقيم وفي هذا اشارة الى انه تعالى لا يجب عليه شيء خلافا للمعتزلة في قولهم بوجوب الصلاح والاصلح عليه تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ﴿ يا عبادي كلكم جائع الا من أطعمته ﴾ لان الخلق ما لكون ولا ملك لهم بالحقيقة وهو الرازق وخزائن الرزق بيده وهم عبيد لا يملكون شيئا فمن أطعمه تفضل علي جائعا بسؤاله اذ ليس عليه اطعام أحد * فان قلت كيف هذا مع قوله عز وجل وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فالجواب أن هذا الالتزام منه تفضلا لا ان عليه للدابة حقا بالاصالة اذ لا يجب عليه شيء وشبيه هذا قوله تعالى انا التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ولا يمنع من نسبة الاطعام اليه تعالى ما يشاهد من ترتب الارزاق على أسبابها الظاهرة كالصنائع لانه انما قدرها بحكمته الباطنة فالجاهل محجوب بالظاهر عن الباطن والكامل لا يحجبه ظاهر عن باطن ولا حكمه بل يعطي كل مقام وحال حقه واعلم أن المقرر في علم الكلام أن من اعتقد أن شيأ من الاسباب العادية يؤثر بطبعه اي بذاته وحقيقته فهو كافر اجماعا وان من اعتقد أن الله تعالى خلق فيها قوة تؤثر فهو فاسق مبتدع وفي كفره قولان وأن من اعتقد أنها لا تؤثر بطبعها ولا بقوة جعلها الله فيها وانما المؤثر هو الله عز وجل ولكن الملازم بينها وبين ما قارنها عقلي لا يمكن تخلفه فهذا جاهل بحقيقة الحكم العادي وربما جره ذلك الى الكفر وأن من اعتقد حدوث الاسباب وأنها لا تؤثر بطبعها ولا بقوة جعلها الله فيها ويعتقد صحة التخلف بان يوجد السبب ولا يوجد المسبب وأن المؤثر في السبب والمسبب هو الله تعالى فهو الموحد الناجي ﴿ فائدتان الاولى ﴾ وردفي الحديث ان من الملائكة ملكا له أربعة أوجه وجه كوجه الانسان وهو يسأل الله تعالى الرزق لبني آدم ووجه كوجه الاسد وهو يسأل الله عز وجل الرزق للسباع ووجه كوجه الثور وهو يسأل الله عز وجل الرزق للبهائم ووجه كوجه النسر وهو يسأل الله عز وجل الرزق للطير * وأخرج الشيخان وغيرهما المسلم يأكل في معى واحد

فنقول (قوله لو يعطى الناس بدعواهم لادعى رجال أموال قوم ودمائهم) أي استباحوها (ولكن البينة على المدعي واليمين على من أنكر) والمعنى ان جانب المدعي ضعيف لدعواه خلاف الاصل فكلف الحجة القوية وجانب المنكر قوي لموافقته الاصل فكفى منه بالحجة الضعيفة وأراد بالمدعي من خالف قوله الظاهر فان امتنع المدعى عليه من اليمين بعد عرضها عليه من القاضي أو بعد قول القاضي له احلف فان يقول لا أحلف ونحوه ردت على المدعي فيحلف ويستحق لتحول الحلف اليه فيكون نكولا لا نكولا والخصم يحتمل ان يكون نائبا عن اليمين الصادقة كما يحتمل ان تكون نائبا عن اليمين الكاذبة ومن أراد بالخواني بسط الكلام على هذا المقام فليراجع كتب الفقه فان مراده من هذه المجالس انما هو الوعظ لا يخلي

ما ورد في السنة الغراء من الوعيد على الايمان الفاجرة كقوله صلى الله عليه وسلم من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة قيل يا رسول الله وان كان شيأ يسيرا قال وان كان قضيبا من أراك رواه البخاري ومسلم والاحاديث في ذلك كثيرة واليمين الكاذبة مع العلم بالحال تسمى اليمين الغموس لانها تغمس صاحبها في الاثم أو النار وهي من الكبائر وتدر الديار بلاقع نسأل الله سبحانه وتعالى العفو والعافية واعلموا أن شهادة الزور ايضا من الكبائر * سئل النبي صلى

الله عليه وسلم عن الشهادة فقال للشاهد هل ترى الشمس قال نعم قال على مثل هذا فاشهد او دع وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كفى بالمرء اثما ان يحدث بكل ما سمع * وروى ابو داود ان النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فقال اين الناس عدلت شهادة الزور شرك بالله ثم قرأ (ج ٩ ٣٠) واجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور قال الذهبي وفي الآثار عدلت شهادة الزور الاشراك بالله

وفي الحديث الثابت لا تزول قدما شاهد الزور يوم القيامة حتى تجب له النار وفي رواية حتى يأتي بالبراءة مما قال قال الحافظ الذهبي رحمه الله * قلت شاهد الزور قد ارتكب عظائم * احدها الكذب والافتراء والله تعالى يقول ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب وثانيها انه ظلم الذي شهد عليه حتى اخذوا بشهادته ماله وعرضه ودمه وثالثها انه ظلم الذي شهد له بان ساق اليه المال الحرام فاخذه بشهادته فاوجب له النار قال النبي صلى الله عليه وسلم من قضى له من مال اخيه بغير حق فلا يأخذ فانما اقطع له قطعة من النار ورابعها انه اباح ما حرم الله وعصمه من المال والدم والعرض قال صلى الله عليه وسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله * وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الا انبئكم باكبر الكبائر ثلاثا قلنا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين الا وقول الزور وشهادة الزور واى

فما زال يرددها حتى قلنا ليته سكت يعني شفقة عليه لئلا يتعب من التكرار فشهادة الزور لا يأتي بها الا كل قليل الحظ من الخير والتقوى فليحذر العبد من ذلك ولا يشهد الا بما علم كما قال تعالى الا من شهد بالحق وهم يعلمون وقال تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا والحكمة في تخصيص هذه الثلاثة بالسؤال ان العلم اما بالفؤاد

والكافر يأكل في سبعة امعاء اخرج مسلم ان رجلا كافرا نزل بضيافة رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلب له رسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فشرب حلابها ثم حلب له اخرى فشرب حلابها حتى شرب حلاب سبع شياه ثم انه اصبح فاسلم فامر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة فحلبت فشرب حلابها ثم حلب له اخرى فلم يستتمه فقال صلى الله عليه وسلم ان المسلم يشرب في معى واحد والكافر في سبعة أمعاء وأخرج البزار بسند جيد عن أحد هما رجاله ثقات أكثر الناس شبعا في الدنيا أكثرهم جوعا يوم القيامة قاله لابي جحيفة فما امتلأت بطني منذ ثلاثين سنة الثانية أخرج البيهقي بسند فيه ابن طيعة عن عائشة رضي الله عنها قالت رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أكلت في اليوم مرتين فقال أما تحسبين أن يكون لك شغل الا يجوفك الا كل في اليوم مرتين من الاسراف والله لا يحب المسرفين ومع خبر من الاسراف ان تاكل كل ما اشتهيت ﴿ فاستطعموني ﴾ أي سلوني الطعام ولا يفرن ذا الكثرة ما في يده فانه ليس بحوله ولا قوته بل الله تعالى هو المتفضل عليه ﴿ ننبه ﴾ ورد الطعام في القرآن على وجوه الاول الطعام الذي يأكله الناس كقوله تعالى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف وقال في الانعام وهو يطعم ولا يطعم الثاني الشبع كقوله تعالى في اناثه وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم بمعنى ذبائحهم حل لكم وذبائحكم حل لهم الثالث الطعام بمعنى السمك كقوله تعالى أحل لكم صيد البحر وطعامه بمعنى السمك الرابع بمعنى الشرب كما في قوله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا أي شربوا من الخمر قبل التحريم وكقوله تعالى في البقرة ومن لم يطعمه فانه مني يعني ومن لم يشربه فانه مني فينبغي لسامع ذلك أن لا يغفل عن سؤال الداعة الله نعمته عليه لانه قلما نفرت عن انسان فعادت اليه كما قال صلى الله عليه وسلم ما نفرت النعمة عن قوم فعادت عليهم ﴿ أطعمكم ﴾ أي أيسر لكم أسباب تحصيله لان العالم كله حيوانه وجماده مطيع لله فيسخر السحاب يسعى في بعض الاماكنة ويحرك قلب فلان لاعطاء فلان ويهيج فلانا الى فلان ليتال منه نفعا والانسان وان صبر على الجوع لا بد له من الطعام فقد كان عبد الرحمن بن أبي نعيم لا ياكل في الشهر الا مرة فدخل الحجاج يتاوا غفلته ثم فقده بعد خمسة عشر يوم ظانا انه مات فوجده قائما يصلي فقال تصلي بغير وضوء فقال انما يشتاج الى الوضوء من يأكل ويشرب وأنا على الطهارة التي ادخلتني عليها وأسر الروم امرأة فزهن سيف الدولة فهربت ومشت مائتي فرسخ فما اكل شيا فقال لها سيف الدولة كيف قويت على المشي فانت كلما جعت قرأت قل هو الله احد ثلاث مرات فاشبع في الحديث لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه وقال لعائشة اديمي قرع باب الجنة يفتح لكم قالت وكيف ندرم قال بالجوع والظما وقال ايضا ما من عمل احب الى الله من الجوع والظما ﴿ فائدة ﴾ قال الزمخشري لو سئل اهل القبور ما سبب قصر آجالكم لقالوا التخمة ولقد احسن القائل فيمن كثر اكله

يميت الطعام القلب ان زاد كثرة * كزرع اذا بالماء قد زاد سقيه

وهو مستند الى السمع والبصر لان مدرك الشهادة الرؤية والسماع وعبابا البصر والسمع فسد مدح الله تعالى الذين بقوله والذين لا يشهدون الزور اى لا يشهدون شهادة زور ولا يحضرون مواضع الباطل وعجا امر السوء واللهو والامر بالمعروف اى بمواضع الباطل مروا كراما يكرمون نفوسهم بصونها عن الاشتغال بالباطل (ج ٢) اللهم منهم بمنه وكرمه ﴿ اخواني

وأي ليس يرتضي انتهى عقله ... با كل لحمات الفتى بعد سبه

﴿ ياعبادي كلكم عار ﴾ كما نزل من بطن أمه محتاج الى الكسوة ﴿ الا من كسوته فاستكسوني ﴾ اي اسالوني الكسوة وسمي اللباس ﴿ أكسكم ﴾ بفتح الهمزة وكسر السين وضمها ان أيسر لكم الاسباب المحصلة لها وما نقل عن حكيم عيسى عليه الصلاة والسلام ان آدم اذا استأسوأ برجل ظنا حين كنت أكل الناس عقلا لانك تركت الطمع حين كنت عبدا فصرت لك ربا فصرت مخلوقا لا أدري عنه شيئا فلا قد أصبت رشدك ولله أشكرك وذكر اللباس والملابس شدة الحاجة اليهما اذلا مندوحة عنهما بل هما أصل من أمر الدين وتمكن بهما مناقبه ﴿ ياعبادي انكم تخطئون ﴾ بضم الباء وكسر الطاء على الاشهر أي تفعلون الخطيئة عمدا وروي بفتح الباء والطاء على وزن تقربون وبمال خطأ اذا فعل مايأثم به فهو خاطئ وهو منها اذا كانا خاطئين ويقال في الاثم أيضا أخطأ فيهما صحيحان قاله الفراء وزعم بعضهم انه لا يجوز أن يكون هذا من الرباعي لان الفعل عن غير عمد وهو لا يؤاخذ به لحديث رفع عن امتي الخطأ والنسيان والكلام انما هو فيما فيه اثم بدليل فاستغفروني بخلافه من الثلاثي فانه يكون عن عمد وتوزع بانا لا نسلم ان أخطأ مختص في الفعل من غير قصد بل يأتي بمعنى الثلاثي ايضا اي فعل الخطيئة عمدا ﴿ بالليل والنهار ﴾ قدم الليل لشرفه وخلوصه لانه وقت العبادة والخلوة ولان الظلمة هي الاصل والنور طارئ عليها بستر ولان الشهور غررها الليالي وقوله بالليل والنهار من باب مقابلة الجمع بالجمع اي يخطئ كل واحد منكم الخطأ لا دائم بل من بعضكم ليلا ومن بعضكم نهارا اذ الغالب ان العبد لا يستغرق الدهر كله في الخطايا ﴿ وانا اغفر الذنوب جميعا ﴾ هو كقوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا وهو عام مخصوص بما عدا الشرك وما لا يشاء الله مغفرته لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وسبب نزول الآيتين ماروي عن ابن عباس قال اتى وحشي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يامحمد اتيتك مستجيرا فاجرني حتى اسمع كلام الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كنت احب ان ارالك على غير جواري فما ان اتيتني مستجيرا فانت في جواري حتى تسمع كلام الله فانزل الله والذين لا يدعون مع الله إلها آخر الى قوله مهانا فقال قد فعلت هذا كله انا في جوارك حتى اسمع كلام الله فانزل الله تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا الآية فقال اري شرطا بعلي لا اعمل عملا انا في جوارك حتى اسمع كلام الله فانزل الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قال فعلى من لا يشاء الله انا في جوارك حتى اسمع كلام الله فانزل الله عز وجل قل ياعبادي الذين اسرفوا على انفسهم الآية فقال نعم الآن لا اري شرطا فاسلم وقوله وانا اغفر الذنوب جميعا ورد الخبر مضارعا لافادة الاستمرار التجددي وعرف الذنوب بلام الاستغراق واكدها بقوله جميعا المفيد كل منهما للعموم ليقوى الرجاء فلا يقنط احد ﴿ فاستغفروني ﴾ اي اطلبوا مني مغفرة ذنوبكم واصل الغفر الستر وغفرت المتاع سترته والمغفر وقاية تستر الرأس في الحرب وغفران الذنب ستره ﴿ اغفر لكم ﴾ لقوله

تجنبوا مجالس السوء خصوصا مجالس الزور والباطل ورشوة القضاء الذين بدلوا وعن الحق حدلوا والحرام اكلوا في الحديث ان الله الراشي والمرتشي والماشي بينهما او كما قال والرشوة هي مايبذل للقاضي ليحكم بغير الحق او ليمتنع من الحكم بالحق كما هو مشاهد وهي حرام مطلقا لما ورد فيها من الاحاديث ﴿ نكتة ﴾ وفي ختام هذا المجلس اللطيف في الحلية في ترجمة عكرمة قال كانت القضاة في زمن بني اسرائيل ثلاثة فمات احدهم فولى مكانه غيره ثم قضوا ماشاء الله ان يقضوا ثم بعث الله لهم ملكا يتعجبهم فوجد رجلا يسقي بقرة على ماء وخلفها عجلة فدعاها الملك وهو راكب فرساقبعتها العجلة فتخاصما فقال الا بيننا القاضي فجا آ الى القاضي الاول فدفع اليه الثلاث درة كانت معه وقال له أحكم بان العجلة لي قال بماذا أحكم قال ارسل الفرس والبقرة والعجلة فان تبعت الفرس فهي لي فارسلها فتبعت الفرس فحكم بها له فأتيا القاضي الثاني فحكم كذلك واخذ درة وأما القاضي الثالث فدفع له الثلاث درة وقال له أحكم بيننا فقال اني جائع فقال الملك سبحان الله أجيء الذكر فقال له القاضي سبحان الله أتلد الفرس بقرة وحكم بها لصاحبها فاقبلا يا اخواني قدم نسأل الله العافية والمغفرة آمين والحمد لله رب العالمين ﴿ المجلس الرابع والثلاثون في الحديث الرابع والثلاثين ﴾ الحمد لله علام الغيوب غافر الذنب وقابل التوبة ممن يتوب وأشهد أن لا اله الا الله وحده

لا شريك له شهادة تنجي بها ظلمات الذنوب وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي كشف الله به عن كل محبوب صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن زالت بهم النكر وبه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع (٢٦٦) فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان ﴿رواه مسلم﴾ اعلموا اخواني وفقني الله

وإياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم (قوله صلى الله عليه وسلم من رأى) يحتمل ان يكون المراد الرؤية البصرية قال بعضهم والاشبه انها العلمية (قوله منكم) المراد جمع الامة لا المخاطبون فقط فالحاضر يعلم الغائب (قوله منكرا فليغيره) اي يزيله (بيده فان لم يستطع) الازالة بها ذكر (فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان) ومعناه اقل ثمرات الايمان اذ فيه الكراهة فقط وقد جاء في رواية وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل اي لم يبق وراء هذه المرتبة مرتبة اخرى لانه اذا لم ينكره بقلبه فقد رضي بالقضية وليس ذلك من شان الايمان فعلم من ذلك انه لا يكفي الواعظ لين امكنه ازالته باليد ولا كراهة القلب من قدر على النهي باللسان فقد تطابق على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة والاجماع فهو ايضا من النصيحة التي هي الدين ولنذكر جملة من الاحاديث الواردة في ذلك

فنقول عن حذيفة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لتامرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عذابا من عنده ثم تدعونه فلا يستجيب لكم رواه الترمذي وعن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل ان تدعوا الله فلا يستجيب لكم وقبل ان تستغفروا

صلى الله عليه وسلم لولا انكم تذنبون وتستغفرون لذهب الله بكم ولجاء بقوم غيركم فيذنبون ويستغفرون فيغفر لهم قيل ومن لازم بل هذه الاشياء السبعة عاش سعيد او مات شهيدا احدها ان يقول عند ابتداء كل شيء بسم الله وعند الفراغ منه الحمد لله واذا رأى ما يكره قال لا حول ولا قوة الا بالله واذا رأى ما يستعظم قال لا اله الا الله واذا أصابه مصيبة قال انا لله وانا اليه راجعون واذا أذنب ذنبا قال أستغفر الله واذا أراد أن يفعل فعلا قال ان شاء الله فينبغي للانسان ان يعود لسانه عليها وذكر عن وهب بن منبه ان ابليس لعنه الله اتى يحيى بن ذكريا عليه الصلاة والسلام فقال يحيى اخبرني عن طبائع بني آدم عندكم فقال ابليس انا صنف منهم فهم ملك مخصومون لا نقدر منهم على شيء وصنف ان فهم في أيدينا كالكرة في أيدي الصبيان وقد كفونا أنفسهم والصنف الثالث فهم أشد الاصناف علينا نقبل على احدهم حتى ندرك منه حاجتنا ثم نفزع الى الاستغفار فيسد علينا ما أدركنا منه فنحن لا ييأس منه ولا ندرك حاجتنا منه ﴿يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري﴾ بضم الضاد وفتحها ﴿فتضروني﴾ بحذف نون الاعراب في جواب النفي ﴿ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني﴾ اي لا يلحقني ضر ولا نفع فتضروني او تنفعوني قال الله تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها وما اقتضاه ظاهر الحديث من ان لضره ونفعه غاية لكن لا يبلغها العباد غير مراد بل هو مؤول بما ذكر من باب قوله ولا ترى الضب بها ينجحر اه وقول علي لا حب اي طريق لا يهتدي لناره أي لا ضب فلا انجحار ولا منار فلا اهتداء والمعنى هنا لا يتعلق بي ضر ولا نفع فتضروني او تنفعوني قال بعض الكاملين وفي قوله لن تبلغوا ضري اطماع بان ما تقدم من الهداية والاطعام والكسوة والغفران ليس لدفع ضر ولا لجلب نفع بل بمحض فضل ﴿يا عبادي لو ان أولكم وآخركم وانسكم وجنكم﴾ سمي الانس انسا لظهورهم وانهم يرتسمون اي يتصورون وسمي الجن جنا لاجتنانهم قال في شرح المقاصد والجن أجسام لطيفة هوائية تتشكل باشكال مختلفة ويظهر منهم احوال عجيبة والشياطين اجسام نارية شانها القساء الناس في الفساد والغواية اه والظاهر ان المراد كل منهما كما يدل عليه السياق ﴿تمة﴾ قال المؤلف الجن موجودون وقد يراهم بعض الآدميين واما قوله تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم فمحمول على الغالب ولو كانت رؤيتهم محالا لما قال صلى الله عليه وسلم في الشيطان الذي تغلب عليه في صلاته لقد هممت ان أربطه حتى تصبحوا تنظروا اليه كلكم وتلعب به غلمان المدينة وقال القاضي عياض قيل رؤيتهم على خلقتهم وصورهم الاصلية ممتنعة لظاهر الآية الا على الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومن خرقت له العادة وانما يراهم بنو آدم في غير صورهم كما جاء في الآثار قلت هذه دعوى مجردة فان لم يصح لها مستند فهي مردودة اه كلام المؤلف وجزم شيخ الاسلام بما جزم به المؤلف وقوله انسكم وجنكم بيان وتفصيل بعد اجمال ﴿كانوا﴾ كلهم تقاة بررة ﴿على اتقى قلب رجل واحد ما زاد ذلك في ملكي﴾ بضم الميم ﴿شيأ﴾ لفظ الترمذي ما زاد ذلك في ملكي جناح بعوضة ولفظ

الله فلا يضر لكم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يدفعان رزقا ولا يقربان أجلا وان الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى اذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم ثم عموا بالبلاء رواه الاصفهاني * وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر أو أمير جائر رواه

أبو داود وعن أبي ثعلبة رضي الله عنه قال أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بخصال من الخير أوصاني ان لا اخاف في الله لومة لائم وأوصاني ان اقول الحق ولو كان مرا رواه ابن حبان وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون على أن يغيروا ثم لا يغيروا الا يوشك ان يعمهم الله بعقاب منه رواه أبو داود * وعن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبسمك في وجه اخيك صدقة وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة رواه الترمذي وغيره وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر رواه الامام أحمد وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال لا إله إلا الله تنفع من قالها

ابن ماجه لم يزد في ملكي جناح بعوضة أراد لو قام قلب رجل واحد منهم على الله عليه وسلم ﴿يا عبادي لو ان أولكم وآخركم يا انسكم وجنكم كانوا﴾ كلهم عصاة ﴿على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيأ﴾ ولفظ ابن ماجه ولو اجتمعوا وكانوا على أشقى قلب رجل منهم ﴿يا عبادي لو ان أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا﴾ رواه الترمذي وابن ماجه ﴿في صعيد واحد﴾ الصعيد وجه الارض وظاهرها أي أرض واحدة ومقام واحد ﴿فسألوني فاعطيت كل انسان مسألته ما نقص ذلك﴾ الذي أعطيته ﴿مما عندي﴾ ولفظ الترمذي وابن ماجه من ملكي أي لان أمر ملكي الكاف والنون اذا أراد شيأ قال له كن فيكون وفي مسند البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خزائن الله الكلام اذا أراد شيأ قال له كن فكان وليس المراد ان هناك قولا يتوقف عليه الايجاد وانما هو كناية عن وجوده في أسرع وقت عقب تعلق الارادة به فعبر عن تلك السرعة بزمن كن اذ لا يمكن أقل منه في القول ولا يستنكر العطاء الكثير مع عدم النقص فالنار والعلم يقتبس منها ولا ينقص منهما شيء بل يزيد العلم بالعطاء وقال القاضي قيد السؤال بالاجتماع في مقام واحد لان تزاحم السؤال مما يضجر عنه المسؤل ويدهشه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ﴿الا كما ينقص المخيط﴾ بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح المثناة التحتية اي الابرة آلة الخياط ﴿اذا دخل البحر﴾ المحيط بالدنيا اي بالنسبة الى رأي العين اذ هو في رأي العين لا ينقص من البحر شيأ فكذلك الاعطاء من الخزائن الالهية لا ينقصها شيأ البتة وهذا بظاهره يخالف قول الخضر لموسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله عز وجل الا كما ينقص هذا العصفور الذي يرأياد يشرب من هذا البحر فان شرب العصفور من البحر لا بد ان ينقصه شيأ وان قل والابرة يتعلق بها ما يتعلق بها لانه بحسب الرؤية لا ينقص شيأ * ويحكى ان رجلا سأل ابن الجوزي عن شرب العصفور من البحر فقال أفعصفور هو أم عصفورة فيه وهذا جواب على جهة التحقيق في قول الخضر لموسى على جهة التقريب وأما لو فرضنا الوجود وأخذ العصفور منه مرة واحدة لنقصه بالضرورة لكن ليس ثم ما ينقصه وفي لفظ الترمذي الا كما ينقص أحدكم البحر فغمس فيه إبرة ثم رفعها اليه ولفظ ابن ماجه الا كما ان احدكم مر بشفة البحر فغمس فيها إبرة ثم نزعها ونقص يستعمل لازما كنقص المال ومتعديا نحو نقصت زيدا حقه وهو هنا متعد لان محل اذا دخل البحر نصب به ﴿يا عبادي انما هي﴾ الضمير راجع الى ما يفهم من قوله انفى قلب رجل وأفجر قلب رجل وهي الاعمال الصالحة والقبيحة او هي ضمير الشان يفسره ﴿أعمالكم احصيها﴾ اي اضبطها واحفظها ﴿لكم﴾ بعلمي وملائكتي الحفظة لا لاحتياجكم بل ليكونوا شهداء بين الخلائق وخالفه وهذا يقال يوم القيامة لبعض الناس كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين عليك شهودا ﴿ثم اوفيكم

وترفع عنه العذاب والنقمة ما لم يستحفوا بحقها قالوا يا رسول الله وما الاستخفاف بحقها قال يظهر ليعمل بمعاصي الله تعالى فلا ينكر ولا يغير رواه الاصفهاني وسئل صلى الله عليه وسلم عن خير الناس قال اتقاهم لرب وأوصلهم للرحم وآمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر رواه أبو الشيخ وغيره اذا علم ذلك فالامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية والمراد الامر بواجبات الشرع والنهي عن محرماته اذا لم يخف على نفسه او ماله او غيره مفسدة اعظم من

مفسدة المنكر الراقهم ان يغلب على ظنه ان انكاره يزيد فيما هو فيه عنادا فان تفقد شرط من ذلك سقط الوجوب به لا يسقط الا بالامر بالمعروف والناهي عن المنكر العدالة بل قال الامام وعلى متعاطي الكباس ان ينكر على الجلاس وقال الغزالي يجب على من غصب امرأة للزنا أمرها باستردادها عنه قال الائمة ويرفق بالتغيير لمن يخاف شره وبالجاهل فان ذلك أدعى الى قبوله وازالة المنكر ويستعين عليه بغيره اذا لم يخف منه من اظهار سلاح وحرب ولم يمكنه الاستقلال فان عجز عنه رفع ذلك الى الوالي فان عجز عنه أنكره وليس له التجسس والبحث واقتحام الدور بالظنون بل ان رأى شيأ غيره فان اخبره ثقة من اهل الحق بمنكر فيه انتهاك حرمة يفوت تداركها كالزنا والقتل اقتحم له الدار وجوبا وان لم يكن فيه انتهاك حرمة فلا اقتحام ولا تجسس ﴿تنبيه﴾ ذكر العلماء من الامور التي تباح فيها الغيبة المصاحبة الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى الصواب فيقول لمن يرجو قدرته على ازالة المنكر فلان يعمل كذا فازجره عنه ونحو ذلك ويكون مقصوده ازالة المنكر فان لم يقصد ذلك كان حراما وتباح الغيبة وان كان محرمة في ستة أحوال * اولها التظلم فيجوز للمتظلم ان يتظلم الى السلطان والقاضي وغيرهما فيذكر أن فلانا ظلمني وفعل بي كذا أو أخذ لي كذا أو نحو ذلك * ثانيها الاستعانة على تغيير المنكر كما قدمنا * ثالثها الاستفتاء بان يقول للمفتي ظلمني أبي أو أخي أو فلان بكذا فهل له ذلك أم لا وما طريقي في الخلاص منه وتحصيل حقي ودفع

خالد

(٢٦٨) ما يأمر به مجتنبا ما ينهى عنه بل عليه ان يأمر وينهى نفسه وغيره فان اخل

أحدهما لم يسقط الآخر ولا يشترط في الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر العدالة بل قال الامام وعلى متعاطي الكباس ان ينكر على الجلاس وقال الغزالي يجب على من غصب امرأة للزنا أمرها باستردادها عنه قال الائمة ويرفق بالتغيير لمن يخاف شره وبالجاهل فان ذلك أدعى الى قبوله وازالة المنكر ويستعين عليه بغيره اذا لم يخف منه من اظهار سلاح وحرب ولم يمكنه الاستقلال فان عجز عنه رفع ذلك الى الوالي فان عجز عنه أنكره وليس له التجسس والبحث واقتحام الدور بالظنون بل ان رأى شيأ غيره فان اخبره ثقة من اهل الحق بمنكر فيه انتهاك حرمة يفوت تداركها كالزنا والقتل اقتحم له الدار وجوبا وان لم يكن فيه انتهاك حرمة فلا اقتحام ولا تجسس ﴿تنبيه﴾ ذكر العلماء من الامور التي تباح فيها الغيبة المصاحبة الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى الصواب فيقول لمن

(انها) أي أعطيكم جزاءها وافيا تاما خيرا كان أو شرا فحذف المفعول الثاني وهو المضاف فانقلب الضمير المنفوض المتصل بالاضافة منصوبا منفصلا والتوفية اعطاء الحق على التمام والكمال والتوفية تكون في الآخرة لقوله تعالى وانما توفون أجوركم يوم القيامة أو في الدنيا أيضا للخبر الذي انه صلى الله عليه وسلم فسر ذلك بان المؤمنين يجازون بسيئاتهم في الدنيا ويدخلون الجنة بحسناتهم والكافر يجازى بحسناته في الدنيا ويدخل النار بسيآته ﴿فمن وجد خيرا﴾ أي ثوابا ونعيما أو حياة طيبة منبئة ﴿فليحمد الله﴾ تعالى على توفيقه للطاعات والاعمال الصالحة وعدل عن التكلم الى الغيبة كما في اذا أعطيناك الكوثر فصل لربك تجديدا للنشاط السامع واهتماما بذكر اسم الله دون الضمير وتفخيما لشانه وايقاظا للاصغاء ﴿ومن وجد غير ذلك﴾ أي شرا ولم يذكره بلفظه تعليما لنا كيفية الادب في النطق بالكناية عما يؤذي او يستهجن أو يستحيى منه او اشارة الى أنه اذا اجتنب لفظه فكيف فعله ﴿فلا يلومن﴾ بالنون للمتعذر ﴿الا نفسه﴾ لتفريطه بكسبه القبيح المترتب عليه ذلك لان للعبد جزأ اختياريا وان كان بخلقه تعالى وايجاده على وفق ارادته والمعتزلة قالوا فلا يلومن الا نفسه مؤذن بان السيد هو الخالق لافعاله القبيحة وورد ما ورد شاهدا باسناد جميع الكائنات الى الله تعالى ابتداء فالمعنى هنا فلا يلومن الا نفسه حيث آثرته شهواتها على رضا خالقها فكفرت بانعمه ولم تذعن لاحكامه وحكمه فاستحقت ان يعاملها بمظهر عدله وان يحرمها مزايا جوده وفضله ﴿رواه مسلم﴾ في كتاب الادب ورواه أيضا أحمد والترمذي وابن ماجه عن صحابيه المذكور وطلاقته وعظم فوائده وكان أبو ادريس يسن رواية عن أبي ذر اذا حدث به جثا على ركبتيه تعظيما له

الحديث الخامس والعشرون

﴿عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه ان ناسا﴾ هم فقراء المهاجرين كما بينه في رواية البخاري عن حديث أبي هريرة وسمي منهم في رواية أبي داود أبا بكر وفي رواية النسائي ابا الدرداء قال في الفتح والظاهر ان أبا هريرة منهم وكذا زيد بن ثابت ولا تنافي بين رواية فقراء المهاجرين وعد زيد مع أنه أنصاري لاحتمال التغليب ﴿من اصحاب رسول الله﴾ صلى الله عليه وسلم الاصحاب جمع صاحب وهو لغة من يدنك ويبنه مواصلة وان قلت وعرفا قال الحافظ ابن حجر من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ومات على ذلك والمراد باللقاء ما هو أعم من المجالسة والمماشاة ووصول أحدهما الى الآخر وان لم يكلمه ويدخل فيه رواية أحدهما للآخر وهو أولى من قول بعضهم من رآى لانه يخرج ابن أم مكتوم ونحوه من العميان وهم صحابة بلا تردد وقوله مؤمنا به يخرج من لقيه كافرا ثم أسلم بعد موته كرسول قيصر ومن لقيه مؤمنا بغيره فقط من الانبياء ونقل شيخ الاسلام ان في كلام ابن حجر ما يدل على أنه لقيه في حال نبوته وحينئذ فيخرج من لقيه مؤمنا بانه سيبعث ولم يدرك البعثة كزيد بن عمرو بن نفيل وعد ابن منده في الصحابة قال شيخ الاسلام ولا بد ان يكون اللقي قبل وفاته ليخرج من لقيه بعدها كما رقم لابي ذؤيب خويلد بن

خالد الهذلي واشترط شيخ الاسلام أيضا في اللاقي أن يكون مميزا فيخرج بعبد الله بن عمرو بن الطفيل الذي احضر اليه عليه الصلاة والسلام غير مميز ومن حنكه من الاطفال كعبد الله بن الحارث بن نوفل وعبد الله بن طاعة الانصاري أو مسح وجهه كعبد الله بن عتبة بن ظهر فؤاد لاهلهم رؤية وليس صحبة وهو ظاهر كلام ابن أبي زرعة الرازي وأبي حاتم وابي داود وجزم ابن قاسم تلميذ المحلي في شرح جمع الجوامع بعدم اشتراط التمييز وبه جزم السنهوري مصرحا بان فيه خلافا وأما من ارتد بعد صحبته فقضية مذهب مالك احباط العمل بمجرد الردة لانهم يرون احباط العمل بما لا يسعى صحابيا الا اذا عاد الى الاسلام ولقي النبي صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن أبي سرح وقضية من لا يرى الاحباط الا بالموت كالشافعية انه يسمى صحابيا اذا عاد للاسلام بعد موته صلى الله عليه وسلم كالاشعث بن قيس فانه ارتد وأتى به أسيرا لابي بكر فعاد للاسلام فقبل منه وزوجه أخته والظاهر اشتراط رؤيته في عالم الشادة فلا يطلق اسم الصحبة على من رآه من الملائكة والنبيين واستشكل ابن الاثير مؤمني الجن في الصحابة دون مؤمني الملائكة وهم أولى بالذكر من هؤلاء * وأجيب بان الجن من جملة المكلفين الذين شملتهم الرسالة والبعثة فكان ذكر من عرف اسمه ممن رآه حسنا بخلاف الملائكة والظاهر ان عيسى يطلق عليه اسم الصحبة أيضا لانه رآه في الارض (قالوا للنبي) بالهمز من النبأ وهو الخبر وعليه ففعيل يحتمل ان يكون بمعنى مفعول اذ هو منبأ بالغيوب أو بمعنى فاعل أو مفعل اذ هو منبئ بما أطلعه الله عليه ويصح ترك الهمز في هذين الوجهين تسهيلا وأما في لغة من لا يهمزه فهو ماخوذ من النبوة بفتح النون وهي ما ارتفع من الارض يقال نبا الشيء اذا ارتفع فالنهي على هذا أن النبي مرفوع الرتبة ونهيه صلى الله عليه وسلم عن المهموز بقوله لا تقولوا يا نبيء الله بالهمز ان قولوا يا نبي الله اي بلا همز لانه قد يريد بمعنى الطريق فحشي صلى الله عليه وسلم في الابتداء سبق هذا المعنى الى بعض الانصار فنهاهم عنه فلما قرى اسلامهم وتواترت به القرا آت نسخ النهي عنه لزوال سببه ﴿صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ذهب أهل الدثور﴾ الذهاب المضي ويستعمل المعاني والاعيان يقال ذهب في الارض ذهابا بمعنى ذهب فلان قصد قصده وطريقه وذهب في الدين مذهبا رأى فيه رأيا وأحدث فيه بدعة والدثور بضم المهملة والمثلثة جمع دثر بفتح فسكون كفلوس جمع فلس وهو المال الكثير قال الخطابي وقع في رواية البخاري أهل الدور وجري عليه صاحب المطالع وهو غلط والصواب الدثور هكذا رواه الناس كلهم ﴿بالاجور﴾ جمع أجر وهو ما يعود على الانسان من ثواب عمله الدنيوي أو الاخروي والمراد هنا الثاني ولا ينال الا في النفع دون الضر بخلاف الجزاء ورواية البخاري بالدرجات العلى والنعيم المقيم واحترز بالمقيم عن العاجل فانه قل ما يصفو وان صفا قليلا أعقبه الكدر والزوال وزاد البخاري في الدعوات قال وكيف ذلك قالوا ﴿يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم﴾ زاد في حديث أبي الدرداء ويذكرون كما نذكر ﴿ويتصدقون بفضول أموالهم﴾ أي بامو الهم الفاضلة عن كفايتهم وقيدوا بذلك ببيانا للفضل الصدقة

قام به البعض سقط الحرج عن الباقين وان تركه الكل أثموا مع التمكن بلا عذر ولا خوف محله ما اذا كان في موضع لا يعلم به غيره فيتعين ﴿خاتمة المجلس﴾ لا تعارض بين قوله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره الى آخره وبين قول الله تبارك وتعالى يا ايها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون لان معناه عند المحققين انكم اذا فعلتم ما كلفتم به لا يضركم تقصير غيركم واذا كان كذلك فما كلف به الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هنا فعله ولم يتمثل المخاطب فلا عتب بعد ذلك على الفاعل لكونه

الظالم على وكذلك قوله ولو بيتي تفعل معي كذا وزيجي يفعل معي كذا فهذا جائز لا حاجة به وأما الحذر من المسلمين من الشر ونصيحتهم وذلك من وجوه منها جرح المجروحين من الرواة للحديث والشهود وذلك جائز باجماع المسلمين بل واجب للحاجة ومنها اذا شاور رجل انسانا في مصاهرته ومشاركته وايداعه ومعاملته وجب عليك ان تذكر ما تعلمه منه على جهة النصيحة ومنها ان تكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها اما بان لا يكون صالحا واما بان يكون فاسقا أو مغفلا ارعى ذلك فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية ليزيله ويولي غيره من يصلح ونحو ذلك * خامسها الفسق كالجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس واخذ المكس وجباية الاموال ظلما فيجوز ذكره بما يجاهر به ويحرم ذكره بغيره من العيوب الا ان يكون لجواز سبب سادس كالتعريف فاذا كان الانسان معروفا بالقب كالاعمش والاعرج والاعمى والاحول جاز تعريفه بذلك ويحرم اطلاقه على وجه التنقيص ولو امكن التعريف بغيره كان اولى وادلة ما ذكرناه شهيرة ليس هذا محل الاطالة فيه ﴿تنبيه آخر﴾ ما تقدم من ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية أي اذا

أدى ما عليه فانما عليه الأمر لا القبول اللهم وفقنا أجمعين آمين آمين والحمد لله رب العالمين ﴿ المجلس الخامس والثلاثون في الحديث الخامس والثلاثين ﴾ الحمد لله الذي خلق الانسان من طين وركب سماده ترشقا وتهوره وأجله وهو في قرار مكين وأشهد أن لا إله إلا الله الخلاق (ص ٢٢٢) الملك الحي المحيي المميت تبارك الله أحسن الخالقين وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده

ورسوله الناصح الأمين صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وانصاره وازواجه وذريته وسلم تسليما كثيرا آمين ﴿ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله اخوانا المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره التقوى ههنا ويشير الى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر ان يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه رواه مسلم ﴾ صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اخوتي اخواني وفقني الله وإياكم لطاعته ان هذا الحديث عظيم الفوائد كثير العوائد (قوله لا تحاسدوا) أي لا يحسد بعضكم بعضا وهي الحسد تمني زوال النعمة عن الغير وهو حرام الاجماع وفي ذمه أحاديث كثيرة وهو داء لا دواء له من أمراض القلوب العظيمة

فانها بغير الفاضل عن الكفاية متكررة قبل قد تقدم في حديث كفى بالمرء اثما أن يضيع من يعول ولفظ البخاري في الدعوات واتقوا من تضول أموالهم وليس لنا أموال ولم في الصلاة يحسدون ولا تصدق ويحسدون ولا تبخل وقولهم ذلك ليس حسدا بل تحسرا على ما فاتهم من الصدقة والبر مما لا يقدرون عليه وتحذير عليهم قوله لفرط حرصهم وقوة رغبتهم في العمل الصالح ظنا منهم أن الصدقة لا تكون الا بالمال فارشدهم المصطفى الى ان بكل نوع صدقة حيث ﴿ قال ﴾ لهم جوابا عن ذلك تعليما لطالبهم وتقريرا لكونهم ربما ساووا الاغنياء ﴿ أو ليس ﴾ الهمزة للانكار وليس بمعنى لا أي لا تقولوا ذلك فانه ﴿ قد جعل الله لكم ما تصدقون ﴾ بتشديد الصاد والدال كما هو الرواية وأصله تتصدقون فادغمت احدى التاءين في الصاد بعد قلبها صادا وقد تخذف احداهما فتخفف الصاد وحذف صدقة تتصدقون وهو الجار والمجرور للعلم به وقد روي انه عليه الصلاة والسلام قال من كان له مال فليتصدق من ماله ومن كان له قوت فليتصدق من قوته ومن كان له علم فليتصدق من علمه وعد أيضا أفضل الصدقة صدقة اللسان قيل يا رسول الله وما صدقة اللسان قال الشفاعة تفك بها الاسير وتحقن بها الدم وتجر بها المعروف والاحسان الى اخيك وتدفع عنه الكربة وعنه أيضا تبسمك في وجه أخيك صدقة وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق صدقة وافراغك من دلوك في دلو أخيك صدقة ﴿ ان بكل تسبيحة ﴾ أي قول سبحان الله ومعناه تنزيه الله تعالى عما لا يليق له من كل نقص فيلزم نفي الشريك والصاحبة والولد وجميع الرذائل ﴿ صدقة ﴾ أي حسنة وعن خالد بن عمران النبي صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه فقال حذوا جنتكم قالوا يا رسول الله من عدو حضر قال بل من النار قالوا وما جنتنا من النار قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فانهن يأتين يوم القيامة مقدمات ومنجيات ومعقبات وهن الباقيات الصالحات ومعنى قوله مقدمات انها تقدم صاحبها الى الجنة ومنجيات تنجيه من النار ومعقبات حافظات والباء في قوله بكل تسبيحة سببية ويجوز أن تكون ظرفية مجازا فكان التسبيحة لما كانت سببا لها جعلت ظرفا تشبيها بالظرف استعارة مكنية واثبات ما هو من خواص الظرف لها تخييل بانها من جنسه تاسيسا للتشبيه كاشبه الجذع لتمكن المصلوب به فيه ولا صلبتكم في جذوع النخل استعارة مكنية وأثبت لها ما هو من خواصه تخييلا وقوله صدقة بالنصب اسم ان وبكل متعلق بجار ومجرور هو الظرف المحذوف تقديره لكم وليس بخبر لعدم الفائدة ﴿ وكل تكبيرة ﴾ أي قول الله اكبر ﴿ صدقة ﴾ فيه وما بعده وجهان كما قال ابن فرج الرفع على الاستئناف والنصب عطفا على صدقة وهو الاجود ﴿ وكل تحميدة ﴾ أي قول كل ما اشتق من مادة الحمد كالحمد لله واحمد الله ونحمد الله وحمدت الله ونحو ذلك ﴿ صدقة ﴾ وتسمية هذا وما قبله وما بعده صدقة من مجاز المشابهة أي اجرا كاجر الصدقة فحذف كاف التشبيه للمبالغة ثم حذف أجرا فبقي أجر صدقة ثم حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه واعرب باعرابه

وهو يضر دينا ودنيا ولا يضر المحسود دينا ولا دنيا الا ترى ان نعمة بحسد قط والا لما بقي نعمة لله على أحد حتى وقيل الايمان لان الكفار يحبون زواله عن اهله بل المحسود منتفع بحسد الحاسد دينا لانه مظلوم من جهته سيما ان ابرز حسده الى الخارج بالغيبة وهتك الستر وغيرهما من انواع الايذاء فزده هدايا تهدي اليه حسنات تهب بسببها حتى يلقى الله تعالى يوم القيامة مفلسا محروما من النعم كما حرم منها في الدنيا فاعلم ان هذا دواء عظيم للحسد اعاذنا الله تعالى منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء

وقيل معناه انها صدقة على نفسه ﴿وكل تهليلة﴾ أي قول لا اله الا الله ﴿صدقة﴾ قال رأيم ما في هذا من أبي طالب كنت آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله علمني شيئا أقوله إذا أويت إلى فراشي فقال قول الله أكبر مائة مرة خير لك من مائة بدنة تجلها مقبلة وقول سبحان الله مائة مرة خير لك من مائة فرس في سبيل الله تحمل عليها في سبيل الله وقول الحمد لله مائة مرة خير لك من مائة رقبة من ولد اسمعيل تعتقهم وقول لا اله الا الله مائة مرة لا يدع ذنبا ولا يسبقها شيء رواه أحمد والنسائي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لام هاني سبحي الله مائة تسبيحة فانها تعدل مائة رقبة من ولد اسمعيل واحمدي الله مائة تحميدة فانها تعدل مائة فرس ملجمة مسرجة تحملين عليها في سبيل الله وكبري الله مائة تكبيرة فانها تعدل لك مائة بدنة مقلدة متقبلة وهللي الله مائة تهليلة ولا أحسب الا قال تملأ ما بين السماء والارض ولا يرفع يومئذ لاحد عمل الا أن يأتي بمثل ما أتيت به وفي الحديث أيضا من كبر مائة وسبح مائة وهلل مائة كان له خير من عتق رقاب يعتقها ومن سبح بدات ينحرها وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال اذا حدثتكم حديثا أتيناكم بمصداقه من كتاب الله عز وجل ما من عبد مؤمن يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وتبارك الله الا أخذن ملك فجعلن في ميزانه ثم يصعد بهن فلا يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا له ما قلن حتى يجيء بهن وجه رب العالمين ومصداقه من كتاب الله عز وجل اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴿وأمر بالمعروف﴾ أي بكل ما ايدا بان كل فرد من أفراده صدقة وكذا نهي وأل عرفا لاستغراقية أو عهدية فلا يفيد النص على ذلك وهو ما تجرور او مرفوع السلف وعلى الثاني سوغ الابتداء به كونه عاملا في الجار والمجرور وكذا نهي ﴿بالمعروف﴾ عرفه اشارة لتعظيمه ولتقرره وثبوته والمعروف ما يرد في عرف الشرع ﴿صدقة﴾ بشروطه الآتية ﴿ونهي عن منكر﴾ بكره لتحقيره ولانه في حيز المذموم والمجهول الذي لا إلف للنفس فيه ﴿صدقة﴾ بشروطه الآتية ويدخل في الامر بالمعروف الامر بالايمان وباتباع سنة ويدخل في النهي عن المنكر النهي عن الكفر وعن البدعة وأخر ما هما قبلها رعاية للترقي لو جر بهما بخلافه ما قبلها والواجب أفضل من غيره بل نقل امام الحرمين ان ثواب الفرض يزيد على ثواب النفل بسبعين ضعفا لخبر ورد فيه ﴿وفي بضعه﴾ بضم فسكون يطلق ويراد به الفرج ويطلق ويراد به الجماع وارادة كل منهما صحيحة وعلى الاول يكون على حذف مضاف تقديره وفي وطء بضع ﴿أحدكم صدقة﴾ اذا قارنه نية صالحة كاعفاف نفسه او زوجته عن نظر او فكر محرم او قضاء حقهما من معاشرتهما بالمعروف المأمور به او طلب ولد يوحد الله او يكثر به المسلمون او يكون له فرط اذا مات او صبر عليه وقد كان عمر رضي الله عنه يتزوج المرأة لا قصد فيها الا ارادة الولد الكثير او لتموت فيكون له أجر وعلم ان المباح بصير طاعة بالنية الصالحة وانما أعاد في هذا الان هذا النوع من الصدقة أغرب من الكل حيث جعل قضاء الشهوة ونيل اللذة بهذا الطريق صدقة وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال لعمر ألا أخبرك بخير ما يكنز

الناس خير ما يجامعون وقال لا تظهر الخيانة في قوم حتى يظهر فيهم الطاعون وفي الحديث كفى بالمرء اثما ان يضيع من يعول وقال ابن عباس ما رأيت أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا مدرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر وزنا اللسان المنطق والنفس تتمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك كله أو يكذبه وقال صلى الله عليه وسلم ليس من ذي حسب ولا نسب قوله (٢٢٦) كيانة ولا أنثى قوله وقال لا يزال

المرأة لا قصد فيها الا ارادة الولد الكثير او لتموت فيكون له أجر وعلم ان المباح بصير طاعة بالنية الصالحة وانما أعاد في هذا الان هذا النوع من الصدقة أغرب من الكل حيث جعل قضاء الشهوة ونيل اللذة بهذا الطريق صدقة وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال لعمر ألا أخبرك بخير ما يكنز

اسجدوا لآدم الآية وإياك والحرص فانه أخرج آدم من الجنة اسكنه الله جنة عرضها السموات والارض يأكل منها الا شجرة واحدة نهاه الله عنها فلم حرصه أكل منها فاخرجه الله من الجنة ثم قرأ اهبطا منها جميعا الآية وإياك والحسد فانه الذي حمل ابن آدم على ان قتل أخاه حين حسده ثم قرأ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين وقيل كان السبب أيضا في قتله له ان زوجته اخت القاتل كانت أجمل من زوجة القاتل أخت

المقبول لان حواء ولدت لآدم عشرين بطنا فى كل بطن اثنان ذكر وانثى فكان آدم صلى الله عليه وسلم يزوج أنثى كل بطن لذكر بطن آخرى لا لذكر بطنها فلما رأى قابيل ان زوجة أخيه هابيل اجمل منه حسده عليها حتى قتله. وقال ابو الدرداء ما كثر عبد ذكر الموت الا قل فرحه وقل حسده وقال (٢٢٢) بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق الا بغضا ولا ينال عند النوع الا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف الا فضيحة وهوانا وبكالا وعن زكريا عليه السلام انه قال قال الله سبحانه وتعالى الحاسد عدو نعمتي مسخط لقضائى غير راض بقسمتى التى قسمتها بين عبادى

ولبعضهم

الا قل لمن بات لى حاسدا
أتدرى على من اسات الادب
أسأت على الله فى فعله
اذا انت لم ترض لى ما وهب
فجازاك منه بان زادنى
وسد عليك وجوه الطلب

﴿ وقال غيره ﴾

دع الحسود وما يلقاه من كمده
كفاك منه لهيب النار فى كبده
ان مت ذا حسد نفست كربته
وان سكت فقد عذبته بيده

﴿ والامام الشافعى رضى الله عنه ﴾

تذكرت فى دهرى رخاء وشدة
وناديت فى الاحياء هل
من مساعد
فلم ار فيما ساء فى غير شامت
ولم ار فيما سر فى غير حاسد

ومن الحكمة الحسود لا يسود ابدا والبخيل تاكل ماله العداوقد يوضع الحسد موضع الغبطة وهو محمود ومنه كان قوله صلى الله عليه وسلم لا حسد الا فى اثنتين اى غبطة اعظم من الغبطة بهاتين الخصلتين ﴿ حكاية ﴾ كان بعض الصلحاء يجلس بجانب ملك ينصحه ويقول له احسن الى المحسن باحسانه فان المسي ء ستكفيك اساءته فحسده بعض الجهلة على قربه من الملك واعمل الحيلة على قتله فسعى به للملك فقال انه يزعم انك ابخر وامارة ذلك انك اذا قربت منه يضع يده على انفه لئلا يشم رائحة البخر فقال له انصرف

المرء للمرأة الصالحة اذا نظر اليها سرته واذا أمرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته عن زيد بن حارثة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا زيد تزوج تزد عفة الى عفتك ولا تتزوج عجسا لا شهيرة ولا كهيرة ولا نهيرة ولا هندر ولا لهوتا أما الشهيرة فهي الزرقاء البذية والكهيرة الطويلة المهزولة والنهيرة القصيرة الذميمة والهندر الهجوز المدبرة واللهوت ذات الولد من غيرك رواه الديلمى فى مسند الفردوس ﴿ قالوا ﴾ متعجبين من ذلك مستبعدين ان الانسان يفعل ما للنفس فيه حظ وفيه ثواب ﴿ أيأتى احدنا شهوته فيكون له فيها أجر ﴾ أى بسببها كما فى حديث فى النفس المؤمنة مائة من الابل أو هى باقية على ظرفيتها مجازا بجعلت الشهوة كالظرف له من حيث كونها مما تشاء وهو مرتب عليها كما فى ولأصلبنكم فى جذوع النخل ﴿ قال أرأيتم لو وضعها ﴾ أى شهوته ﴿ فى حرام اكان ﴾ قال الطيبى أقحم همزة الاستفهام على سبيل التقدير بين لو وجوابها تأكيدا للاستخبار فى قوله أرأيتم ﴿ عليه وزر ﴾ أى اثم يجوز به محذوف كانهم قالوا نعم فقال ﴿ فكذلك ﴾ أى مثل حصول الوزر له بوضعها فى الحرام حصول الاجر ﴿ ذا وضعها فى الحلال كان له أجر ﴾ بالرفع والنصب كما فى شرح مسلم بالرفع ظاهر لان أجرا اسم كان وله خبرها وأما النصب فتقديره كان ذلك الوضع أجرا ﴿ رواه مسلم ﴾ وفى رواية له فرجع الفقراء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا سمع اخواننا أهل الاموال بما فعلنا ففعلوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا مشعر بتفضيل الغنى الشاكر على الفقير الصابر وبه قال الجمهور واختاره العسقلانى والسيوطي وهو الاصح لان الغنى يؤجر من وجوه منها الشكر ومنها الصبر على ما يعطيه من الزكاة الواجبة ومنها الانفاق على من يلزمه وغير ذلك والفقير يؤجر من وجهين الصبر على الفقر مع الرضا والشكر والغنى تصرفه فيما لا بد منه من نفقة نفسه ومن يلزمه ولان الفقر مع الصبر هو أول أحواله صلى الله عليه وسلم والغنى مع الشكر هو آخرها وعادة الله الجارية مع انبيائه ورسله انهم لا يختم لهم الا بافضل الاحوال فختمه لا فضل خلقه بالغنى مع الشكر دليل على انه أفضل من الفقر مع الصبر ولحديث سعد فى الوصية انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة ولحديث كعب ابن مالك حيث استشار فى الخروج عن ماله كله فقال صلى الله عليه وسلم أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك وقال العز ابن عبد السلام الفقير الصابر أفضل واليه ذهب جمهور الصوفية لخبر تعس عبد الدينار ولان مدار الطريق على تهذيب النفس ورياضتها وذلك مع الفقر أكثر منه مع الغنى وقال الداودى ان الذي أعطى الكفاف أفضل والكفاف حالة متوسطة بين الفقر والغنى وأن الفقر والغنى محنتان من الله يمتحن بهما من يشاء من عباده لقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولقوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا واما الحديث الذى أخرجه الترمذي اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا الحديث فهو ضعيف وعلى تقدير ثبوته فالمراد انه لا يجاوز به الكفاف وقيل متقابلان وقيل بالوقف ومحل الخلاف فيمن يصلح حاله بالغنى والفقر بان

حتى أنظر فخرج فدعا الرجل لمنزله واطعمه ثم ما فرغ الرجل من عنده وجاء الملك وقال له مثل قوله السابق أحسن الى المحسن الى آخره كعادته فقال له الملك اذن مني فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة أن يتم الملك رائحة الثوم منه فقال الملك في نفسه ما أرى فلانا الا قد صدق وكان الملك لا يكتب بخطه الا جائزة أو صلة فكتب له بخطه لبعض (٢٢٣) عماله اذا ما أتاك صاحب كتابي

هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الي فاخذ الكتاب وخرج فالقيه الذي سعى به فقال ما هذا الكتاب قال خط الملك الي بصلة قال هبه مني فقال هو لك فاخذه ومضى به الى المعامل فقال له العامل في كتابك اني اذبحك واسلخك فقال ان الكتاب ليس هو لي والله في امري حتى اراجع الملك فقال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشى جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل الى الملك كعادته وقال مثل قوله فتعجب الملك وقال ما فعلت بالكتاب قال لقيني الآن فاستوهبه مني فوهبته فقال الملك انه ذكر لي انك تزعم اني اخبر قال ما قلت ذلك قال فلم وضعت يدك على انفك وفيك قال اطعمني ثوما فكرهت ان تشمه قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفى المؤنة

كان اذا استغنى قام بجميع وظائف الغني من البذل والاحسان والمواساة وأداء حقوق المال وشكر الملك الديان واذا افتقر قام بجميع وظائف الفقر كالرضا والصبر والقناعة وأما من يصلح حاله بالغنى فقط بان يؤدي حق الله في حالة الغنى ولا يؤديه في حالة الفقر فالغني أفضل اتفاقا ومن يصلح حاله بالفقر فقط بان يؤدي حق الله في حالة الفقر ولا يؤديه في حالة الغني فالفقر افضل اتفاقا فان قلت ما حقيقة الغنى وما المراد بالشاكر والصابر فالجواب كما قال الاقفهسي ان الغني ما زاد على المختار اليه والغني الشاكر هو الذي يكتسب المال من المباح وينفقه في المباح والمندوب والفقير الصابر هو الذي لا يشكي فقره اه فقد بين أن الغني ما زاد على الحاجة وبين الغني الشاكر بانه الذي يكتسب المال من المباح وينفقه في المباح والمندوب ولو قال بدل المندوب المطلوب ليشمل الواجب كان اولى وقوله ما زاد على المحتاج اليه يشمل ذلك حتى في اليوم فاذا حصلت له زيادة على المحتاج اليه في كل يوم كان غنيا في ذلك اليوم وفي اليوم الذي لا يحصل له فيه ذلك ليس بغني وقيل الغني الشاكر هو الذي لا يبقي مما يدخل عليه من المال الا ما يحتاج اليه حالا او ما يرصده لاحوج ونحوه

﴿ الحديث السادس والعشرون ﴾

﴿ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل سلامى ﴾ بضم السين وتخفيف اللام وفتح الميم مع قصر الالف وهي في الاصل عظم يكون في فرسن البعير كما قال أبو عبيدة قال الجوهري والفرسن من البعير بمنزلة الحافر للدابة وقال بعضهم السلامي اسم لاصغر ما في البعير من العظام ثم عبر بها عن مطلق العظم من الآدمي وغيره وفي حديث عائشة رضي الله عنها خلق الانسان على ستين وثلاثمائة مفصل ففي كل مفصل صدقة وقال سهل بن عبد الله التستري في الانسان ثلثمائة وستون عرقا مائة وثمانون ساكنة ومائة وثمانون متحركة فلو تحرك الساكن او سكن المتحرك لم يتم وسلامى واحده وجمعه سواء عند الاكثر وقيل جمعه سلاميات بفتح الميم وتخفيف الياء ﴿ من الناس ﴾ أي من كل واحد من الناس ﴿ عليه ﴾ ظاهره الوجوب وليس كذلك بل هو مندوب وندبه كما قال ابن ابي جمرة بالاستقراء من خارج لا بالصيغة وذكر الضمير وان كانت سلامى مؤنثة باعتبار العظم والمفصل لارجوعه لكل كما قيل به لانها بحسب ما تضاف اليه كقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت ان كل نفس لما عليها حافظ وكل شيء فعلوه في الزبر وهي في الحديث هنا أضيفت لمؤنث فلو رجع اليها الانث ﴿ صدقة ﴾ شكرا لله تعالى على الان تركيب هذه العظام وسلامتها من اعظم نعم الله تعالى على عبده فيحتاج كل عظم منها الى صدقة عنه بخصوصه ليتم شكر نعمته اذ لو غير واحد منها عما هو عليه لاختل نظمه وتعطلت أحواله وتكدر عيشه وضاق ذرعه كالو قصر الطويل او طال القصير او رق الغليظ او غلظ الرقيق وخصت السلامي بالذكر لما في التصرف بها من دقائق الصنائع التي اختص بها الانسان وتحيرت فيها الافهام ولذا قال الله تعالى بلى قادرين على ان نسوي بنانه ان نجعل اصابع يديه ورجليه مستوية شيئا واحدا

اساءه تتاملوا رحمه الله تعالى شؤم الحسد وما جرى اليه تعليما من قوله صلى الله عليه وسلم لا تظالم الشهادة لا تحيك فيها نعم الله تعالى ويبتليك (قوله صلى الله عليه وسلم ولا تناجشوا) النجش في اللغة الاثارة والخديعة وفي الشرع الزيادة في الثمن المدفوع في العروض للبيع وان لم يساو القيمة او كان محجورا عليه ليغر غيره فيشتريه وهو حرام للايذاء وغش الغير حرام والبيع صحيح اذ النهي في النهي خارج عن البيع ولا خيار للمشتري لتقصيره ويختص الاثم بالعالم بالتحريم دون غيره (قوله ولا تباغضوا) أي

كذهب البيع وحاصل الخبر لا يمكن أن يعمل بما شيأ فما يعمل به المفرقة ذات التفاصيل من فنون الاعمال دقها وجلها وبهذا السر يغلب الصغار من العظام على الكبار وأيضا فالصدقة تدفع البلاء فيرجو دها عن أمتي أن يرجى اندفاع البلاء عنها ☆ فقد حكي انه كان رجل من قوم صالح قد آذاهم فقالوا يا نبي الله ادع الله عليه فقال اذهبوا فقد كفيتموه وكان يخرج كل يوم يحتطب فقال فخرج يوما ومعه رغيفان فاكل أحدهما وتصدق بالآخر واحتطب ثم جاء بحطبه ساقطا فلم يصبه شيء فقال فدعا صالح وقال أي شيء صنعت اليوم قال خرجت ومعي رغيفان فتصدقت باحدهما وأكلت الآخر فقال صالح عليه الصلاة والسلام حل حطبك فحله فاذا فيه أسود مثل الجذع عاض على جسد من حطب قال بهذا دفع عنك يعني بالصدقة ☆ وروي ان قصارا كان في زمن عيسى عليه السلام وكان يفسد على الناس أقمشتهم فسألوا عيسى أن يدعو عليه بالهلاك فاقبل القصار عند غروب الشمس ورزمته على رأسه فصحبوا من ذلك وأخبروا عيسى فطلبه فحضر برزمته فقال له افتح رزمتك فتحها فاذا فيها ثعبان عظيم قد أخذ بلجام من حديد فقال له عيسى عليه الصلاة والسلام ما صنعت اليوم من الخير فقال ما صنعت شيأ الآن رجلا نزل الي من صومعته فشكا الي جوعا فدفعت له رغيفا كان معي فقال له عيسى ارفق به بعد ذلك هذا العبد فلما تصدقت أمر الله ملكا فالجمه بهذا اللجام قال الطيبي وكل سلامى مبتدأ ومن الناس صفته وعليه صدقة الجملة خبر والراجع الى المبتدأ الضمير المجرور في الخبر ﴿كل يوم﴾ منصوب على الظرفية لاضافته الى الظرف ولما كان اليوم قد يعبر به عن المدة الطويلة المشتملة على الايام الكثيرة كما يقال في يوم صفين ويوم دولة أيام وعن مطلق الزمان قليلا كان أو كثيرا ليلا كان او نهارا كما في قوله تعالى كل يوم هو في شان وقوله وآتوا حقه يوم حصاده وقوله يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وعن الدولة ومنه قوله تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس وعن متقابل الليل ومنه قوله تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام والا كان الاخير هو المراد بيانها بقوله ﴿تطلع﴾ بضم اللام ﴿فيه الشمس﴾ حتى يصبح سليما من الآفات باقيا على الهيئة التي تم بها منافعه وأقماه فالصدقة في مقابل ما في تلك السلامى من النعم وفي بعض الآثار كم من نعمة لله عز وجل في عرق ساكن واذا كان ذلك في عرق فكيف بجميع العظام وقال وهب مكتوب في حكمة آل داود العافية ثلاثة اجزاء فهي النعيم المسؤول عنه يوم القيامة المعني بقوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم وقال ابن مسعود النعيم الامن والصحة وقيل صحة الجسم وشرب الماء البارد وقال ابن عباس النعيم صحة الابدان والاسماع والابصار يسأل الله العباد فيم استعملوها وهو وهو أعلم بذلك منهم وهو قوله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا وشكا شخص الى يوسف بن عبيد ضيق حاله فقال له يوسف ايسرك ان لك ببصرك مائة الف درهم فقال الشخص لا قال فيديك قال لا فبرجليك قال لا وعدد نعم الله عز وجل عليه فقال ترى عندك هذا وأنت تشكو الحاجة واخرج ابن أبي الدنيا بسند فيه ضعف يؤتى بالنعيم يوم القيامة وبالحسنات والسيئات

كذا صلوا أيام في رواية لا يحل لرجل ان يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام وفي حديث أبي داود فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار والاحاديث في هذا المعنى كثيرة ويهجر المبتدع والفاسق ونحوهما من رجي برهجره صلاح دين الهاجر والمهجور وعليه يحمل هجره صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك رضي الله عنه وصاحبيه ونهيه صلى الله عليه وسلم الصحابة عن كلامهم وكذا هجر السلف بعضهم بعضا (قوله ولا يبع بعضكم على بيع بعض) نهي صلى الله عليه وسلم عن البيع على بيع غيره اي قبل لزومه بانقضاء خيار المجلس او الشرط بان يأمر المشتري بالفسخ ليبيعه مثله باقل من ثمنه وكذا يحرم الشراء على الشراء قبل لزومه بان يأمر البائع بالفسخ ليشتريه باكثر

قال صلى الله عليه وسلم لا يبع بعضكم على بيع بعض رواه الشيخان عن ابن عمر زاد النسائي فيقول

حتى يبتاع او يذر وفي معناه الشراء على الشراء وروى مسلم من حديث عقبة بن عامر المؤمن اخو المؤمن فلا يحل للمؤمن ان يبتاع على بيع اخيه ولا يخطب على خطبة اخيه حتى يذر والمعنى في تحريم ذلك وهو الاعلام بالنهي عنه الايذاء ولو اذن البائع في البيع على بيعه ارتفع التحريم وكذا المشتري في الشراء ولو باع او اشتري دون اذن صح (قوله وكونوا عباد الله اخوانا) أي اكتسبوا ما تصيرون به

كذلك من حسن المعاشرة وفعل المأمورات وترك المنهيات فعاملوا وتعاشروا معاملة الآخرة ومعاشرتهم في المودة والملاطفة والتعاون على البر مع صفاء القلوب والتصحيح في كل معاملة (وقوله المسلم أخو المسلم) مما مر ذكره من حسن المعاشرة وغيره مما مر (قوله لا يظلمه) أي لا يسعى عليه شرا لا يجوز في الشرع لمزيد ذلك ومنافاته الأخوة (٢٢٥) ولأن الظلم للكافر حرام فللمسلم أولى والظلم يكون في النفس والمال والعرض وكل ذلك منهي عنه بدليل آخر الحديث قال صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة والأحاديث الواردة في ذم الظلم كثيرة شهيرة ولهذا قيل في المعنى

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا
والظلم ترجع عقباه الى الندم
تنام عينك والمظلوم منتبه
يدعو عليك وعين الله لم تنم

وقال بعض السلف لا تظلم الضعفاء فيكونون من شرار الأشقياء (قوله ولا يخذله) أي بعدم اعانته ونصرته الجائز مع القدرة عند الحاجة فاذا استعان به في رفع ظلم ونحوه لزمه اعانته اذا أمكنه من غير عذر شرعي لان من حق اخوة الاسلام التناصر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى وعزتي وجلالي لا انتقمن من الظالم في عاجله وآجله ولا انتقمن ممن رأى مظلوما يقدر على ان ينصره فلم يفعل ، وقال صلى الله عليه وسلم أنصر أخاك ظالما أو مظلوما فقال رجل يا رسول الله أنصره ان كان مظلوما أفرأيت ان كان ظالما كيف أنصره قال تحجزه او تمنعه عن الظلم فان ذلك نصرة ، وفي الحديث أيضا أمر بعيد من عباد الله تعالى ان يضرب في قبره مائة جلدة فلم يزل يسأل ويدعو حتى صارت جلدة واحدة فامتلأ قبره عليه نارا فلما ارتفع عنه وأفاق قال علام جلدتموني قالوا انك صليت صلاة بغير طهور ومررت على مظلوم

فيقول الله لنصفة من نصفه خذي من حسناته فان لم تترك حسنة الا ذهبت بها ولما كان المبادر من الصدقة صدقة المال بين أنها لا تنحصر فيه بقوله ﴿تعدل﴾ اي ان تعدل لانه في محل رفع مبتدا وخبره صدقة فحذفت ان فارتفع الفعل كما في قوله تعالى ومن آياته يريكم البرق والاصل ان يريكم لانه في موضع رفع مبتدأ خبره من آياته أو وقع الفعل فيه موقع المصدر مع قطع النظر عن ان وتقديره تسمع بالمعيدي خير من تراه أن سماعك ﴿بين الاثنين﴾ المتحاكمين أو المتخاصمين أو المتهاجرين اذا كان حاكما او مصلحا اذا نوى به رفع المنافرة بينهما ساعة وقوله بين الاثنين هذا لفظ مسلم ولفظ البخاري بين الناس أخرج الاصبهاني أنه صلى الله عليه وسلم قال يا أبا هريرة عدل ساعة بين وأفضل من عبادة ستين سنة قيام ليلها وصيام نهارها يا أبا هريرة جور ساعة في حكم أشد وأعظم عند الله من معاصي ستين سنة ، وفي الحديث ألا أدلكم بصدقة يسيرة يحبها الله تعالى قالوا بلى يا رسول الله قال اصلاح ذات البين اذا تباطوا ، وعن أنس عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أفضل الناس عند الله يوم القيامة المصلحون بين الناس رواه الترمذي وعن أنه صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى يا رسول الله قال اصلاح ذات البين وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه قال من أراد فضل العابدين فليصلح بين الناس وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال من أصلح بين اثنين أعطاه الله بكل كلمة عتق رقبة وما أحسن قول القائل

ان الفضائل كلها لو جمعت ... رجعت باجمعها الى شيئين
تعظيم أمر الله جل جلاله ... والسعي في اصلاح ذات البين

﴿صدقة﴾ عليهما لوقايتهما ما يترتب على الخصام من قبيح الاقوال والافعال ومن ثم عظم فضل السلح كما أشار له تعالى بقوله لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة او معروف أو اصلاح بين الناس وجواز الكذب فيه مبالغة في وقوع الالفة لانها تدوم العداوة ﴿وتعين﴾ فيه وما بعده مامور في تعدل ﴿الرجل﴾ وصف طردي ﴿في دابته﴾ وفي معناها السفينة ﴿فتحمل عليها أو ترفع له متاعه﴾ أصله ما يتبلغ به المسافر ﴿صدقة﴾ منك عليه ، قال الحافظ ابن حجر قوله فتحمل عليها أعم من أن يريد تحمل عليها المتاع أو الراكب وحمل الراكب أعم من أن يحمله كما هو أو يعينه في الركوب وقوله او يرفع إشك من الراوي او تنويع ﴿والكلمة الطيبة﴾ من نحو ذكر ودعاء للنفس والغير وثناء بحق وسلام عليه ورد وتشميت عاطس وشفاعة عند حاكم ونصح وارشاد على الطريق تعم سلام عليكم حياك الله ورانك لحسن وأنت رجل مبارك وقد أحسنت جوارنا وغير ذلك لانه مما يسر السامع ويؤلف القلوب وغير ذلك ﴿صدقة﴾ منه على نفسه لما فيه من سرور السامع واجتماع القلوب وقد ورد انه اذا التقى المسلمان نزل عليهما مائة رحمة تسعون لاكثرهما بشر او عشرا لافلهما رواه في الموارد مرفوعا ﴿وبكل خطوة﴾ تفتح الخاء المرة الواحدة من المشي وأما بالضم فما بين القدمين وهو مبتدأ والباء زائدة ﴿تمشيها﴾ وفي رواية تخطوها ﴿الى الصلاة﴾ والظاهر

فلم يتصور دخول في قوله ولا يخدعه لان الدين والدنيوي فالصبي كان يرى الشيطان مستوليا عليه في بعض أحواله أو أكثرها فلم يتمكن على الاطلاق من منعه بل نظر وتحيروا الدنيوي كان يرى شخصا يبطش به فلم يتمكن عليه وجاء في رواية ولا يكذب بضم الياء واسكان الكاف كما ضبطه النووي رحمه الله تعالى (٢٢٦) أي لا يخبره بامر على خلاف ما هو عليه لانه غش وخيانة وأشد الاشياء ضررا كما أن الصدق أشدها نفعا وقد جاء في مدح الصدق وذم الكذب أشياء وآثار كثيرة شهيرة لا تطيل بذكرها وباختلفا الكذب حرام كله وأما ما روي ان ابراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات كما هو مذكور في حديث الشفاعة فالمراد التعريض وهو اللفظ المشار به الى جانب والغرض الى جانب آخر ولكن لما شابه الكذب في صورته سمي به وجاء في حديث الطبراني في كل الكذب يكتب على ابن آدم الا ثلاثا الرجل يكذب في الحرب فان الحرب خدعة والرجل يكذب على امرأته ليرضيها والرجل يكذب بين الرجلين ليصلح بينهما وفي حديث في الارسط الكذب كله اثم الا ما نفع به مسلما أو دفع به عن دين (قوله ولا يحقره) بالحاء المهملة والقاف اى لا يستخف به لان الله تعالى اكرمه ومن اكرمه الله تعالى لم تجز اهانته (قوله التقوى هنا) يشير الى صدر ثلاث مرات) اى لان الصدر محل القلب الذي هو بمنزلة ملك للجسد اذا صلح صلح الجسد كله كما مر سلامي في محله وتكرار الاشارة للدلالة على عظم المشار اليه في الحقيقة وهو القلب (قوله بحسب امرئ من الشر ان يحقر أخاه المسلم) اى يكفيه منه وقوله بحسب باسكان السين وفيه تحذير من الاحتقار قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم الآية والسخرية النظر الى المسخور منه بعين النقص فلا تحتقر غيرك عسى أن يكون عند الله خيرا منك وافضل واقرب وقد احتقر ابليس اللعين آدم عليه

ان مثل الاعتكاف والعلم افضل من عيادة المريض وغير ذلك من وجوه الطاعات (صدقة) وفي الحديث اذا طهر الرجل ثم اتى المسجد يريد الصلاة كتب له كاتباه أو كاتبه بكل خطوة يخطوها الى المسجد عشر حسنات والقاعد يرعى الصلاة كالقانت أي القائم في الصلاة ويكتب من المصلين من حين يخرج من بيته حتى يرجع منه وفيه أيضا أعظم الناس أجرا في الصلاة أبعدهم اليها ممشى أي وانما كان أعظم أجرا لما يحصل في بعد الدار عن المسجد من كثرة الخطى فان قيل روى أحمد عن حذيفة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فضل البيت القريب من المسجد كفضل المجاهد على القاعد عن الجهاد فالجواب ان هذا في نفس البقعة والكلام في الفعل فالاعداد امشيها أكثر وثوابه أعظم والبيت القريب أفضل من البيت البعيد واختلف فيمن قارب الخطى بحيث يساوي الخطى من داره بعيدة والى المساوي يجنح الطبري والراجح عدم المساواة لكثرة المشقة في البعيد دون القريب (وتميط) بضم أوله وفتحه أي تنحي وتزيل يقال اماط الشيء عن أماطه بمعنى ازاله حقيقة أو حكما بان يترك القاءه في الطريق لما رواه البيهقي في الشعب عن أنس ان رجلا رأى في النوم قائلا يقول بشر عائذ بن عمرو المزني بالجنة فلم يفعل فاتاه في الثانية فلم يفعل فاتاه في الثالثة فلم يفعل فاتاه في الرابعة فقال له لم ذلك قال انه لا يلقى اذاه في طريق المسلمين وكان عائذ لا يخرج من داره ماء الى الطريق لا من مطر ولا من غيره وكان اذا مات له مسمور دفنه في داره ولا يخرجه انتهاء أذى الناس وكان عائذ هذا ممن بايع تحت الشجرة (الاذى) ما يؤذي المارة كقذر وشوك وحجر وحيوان مخوف ودعم جدار مائل لانه نفع عام وقد روي ان رجلا رأى غصن شوك في الطريق فقطعه فشكر الله فغفر له (عن الطريق صدقة) منه على الناس والحيوان وعن أبي برزة قال قلت يا نبي الله علمني شيئا انتفع به قال ازل الاذى عن طريق المسلمين كالشوك المؤذي والحجر الذي يعثر به والحيوان المخوف ودعم الجدار ونحوه فانه نفع عام وفي الصحيح ان رجلا ممن كان قبلكم رأى غصن شوك في الطريق فنحاه فشكر الله فغفر له ورأى رجل رجلي فرخا وقع من عشه فرده اليه فغفر الله له وآخر رأى كلبا يأكل الثرى من العطش فسقاه فغفر الله له وامرأة رأت كلبا يلهث عطشا فاخرجت خفها فاخرجت له منه فغفر الله لها وعكس ذلك المرأة التي دخلت النار في هرة لا هي اطعمتها ولا ارسلتها تاكل من خشاش الارض وصح في كل كبد رطبة أجر ورواية أحمد عن طريق المسلمين فغلبهم على غيرهم لشرفهم واخرجت هذه لا تبادون ما قبلها كما يشير اليه خبر الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق قيل وتسن كلمة التوحيد عند اماطته ليجمع بين أعلى الايمان وادناه وحمل بعض الصوفية الطريق على القلب والاذى على الوساوس التي تعرض له واماطتها دفعها عنه وهو تكلف بعيد وكذا حمل الاذى على اذى الظالم والطريق على طريقه تعالى وهو شرعه واحكامه بل رواية واذناها المذكورة صريحة في رد ذلك لان الاماطة بهذا المعنى من افضل الشعب لا من ادناها (رواه البخاري) في الصلح والجهاد (ومسلم) وفي بعض طرق مسلم يصبح على كل

السلام فباء بالخسران الابدي وفاز آدم بالعز الابدي وشتان ما بينهما فلا تحتقر احدا ولو كان عبدك فربما صار عزيزا وصرت ذليلا فيتقدم منك ﴿تنبيه﴾ مفهوم الخبر ان الكافر يجوز احتقاره اذ لا حرمة له بالكفر وانما نه على الله ومن بين الله فما من مكرم (قوله كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) جعل هذه الثلاثة كل المسلم وحقيقة لشدة اضطراره اليها لان الدم

سلامي من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة ويجزئ عن ذلك ركعتان تركعهما من الضحى أي لان الصلاة عمل بجميع الابدان فتحرك المفاصل كلها فيها بالعبادة فاذا صلى العبد فقد قام عن كل عضو منه بوظيفته وأدى شكر نعمته وكان وجه تخصيص الضحى بذلك من بين ركعتي الفجر وغيرهما من الرواتب مع انها أفضل من ركعتي الضحى تعضيدها للشكر لانها لم تشرع جابرة لنقص غيرها بخلاف سائر الرواتب فانها شرعت جابرة لنقص متبوعها فلم يتمحض فيها القيام بشكر تلك النعم الباهرة والضحى لما لم يكن فيها ذلك تمحضت للقيام بذلك كذا قيل وفيه شيء والوجه ما قاله الحافظ العراقي أن الاختصاص بالضحى لخصوصية فيها وسر لا يعلمه الا الله تعالى ورسوله وأخرج ابو داود والنسائي من قال حين يصبح اللهم ما أصبح بي من نعمة أو باحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر فقد أدى شكر ذلك اليوم ومن قاله حين يمسي فقد أدى شكر ليلته

﴿الحديث السابع والعشرون﴾

قال الشارح الهيتمي وهو في الحقيقة حديثان لكنهما لما تواردا على معنى واحد كانا كالحديث الواحد فجعل الثاني كالشاهد للاول ﴿عن النواس﴾ بفتح النون وتشديد الواو وآخره سين مهملة ﴿ابن سمعان﴾ بكسر المهملة وفتحها واقتصار ابن الاثير على الكسر يدل على انه أرجح ابن خالد بن عبد الله بن قريظة بن عبد الله بن ابي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن عمرو الكلابي العامري ﴿رضي الله عنه﴾ كان ينبغي عنهما الان لابيه وفادة والنواس من أهل الصفة ووقع في مسلم أنه انصاري وحمل على انه حليف لهم قال أقمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة سنة ما يمنعني من الهجرة اي العود الى الوطن الا المسائل التي ترد على المصطفى صلى الله عليه وسلم من بعض اصحابه فاقامته تلك السنة كانت مع عزمه على العود الى وطنه لكنه أحب أن يتفقه في الدين تلك المدة بسماع تلك الاسئلة التي ترد عليه صلى الله عليه وسلم وأجوبتها روى له سبعة عشر حديثا اقتصر مسلم منها على ثلاثة ﴿عن النبي صلى الله عليه وسلم قال البر﴾ بكسر الموحدة وهو كما قال الزمخشري اسم جامع للخير وكل فعل مرضي وهو في تزكية النفس كالبر بالضم في تغذية البدن والفعل منه بر بر على فعل يفعل كعلم يعلم ﴿حسن الخلق﴾ بضم اللام وسكونها اي التخلق مع الخلق وهو كما مر طلاقة الوجه وكف الاذى وبذل الندى وقلة الغضب وان يحب للناس ما يحب لنفسه وهذا يرجع الى تفسير بعضهم له بانه الانصاف في المعاملة والرفق في المجادلة والعدل في الاحكام والبذل والاحسان في اليسر والايثار في العسر وغير ذلك من الصفات الحميدة وضده الجور والاثم ولذلك قابله به وقوله البر اي معظمه فالحصر مجازي كالحج عرفة والدين النصيحة وان أريد بحسن الخلق التخلق بالاخلاق الشريفة والتادب بآداب الله التي شرعها لعباده من امتثال امر ونهي وتجنب نهيه كان الحصر حقيقيا وقد يطلق البر في مقابلة العقوق فيكون عبارة عن

به حياته والمال مادة الدم فهو مادة الحياة والعرض قيام صورته المعنوية واقتصر على هذه الثلاثة لان ما سواها فرع راجع اليها لانه اذا قامت البدنية والمعنوية فلا حاجة الى غير ذلك ﴿خاتمة المجلس﴾ في ذكر شيء من ذم الغيبة قال الله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا الآية عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فارتفعت ريح جيفة منتنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما هذه الريح قالوا لا يا رسول الله قال هذه ريح الذين يغتابون الناس * وعن جابر ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والغيبة فانها اشد من الزنا قالوا يا رسول الله وكيف الغيبة اشد من الزنا قال ان الرجل قد يزني ثم يتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبها * وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكل لحم اخيه في الدنيا قدم اليه لحمه يوم القيامة ويقال له كله ميتا كما كنته حيا فيا كله ويكلح ثم يصيح ثم قرأ قوله تعالى ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغيبة لها لذة في الدنيا وفي الآخرة تورد صاحبها النار وعن عكرمة ان امرأة قصيرة دخلت

على النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبرت قالت عائشة رضي الله عنها ما أقبح كلامها ولا أنها قصيرة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتبتيها يا عائشة قالت ما قلت الا ما فيها فقال لقد ذكرت اقبح ما فيها ثم قال من كف لسانه عن اعراض المسلمين اقال الله عثرته يوم القيامة ومن ذب عن اخيه (٢٢٨) تحقيق على الله تعالى ان يعتقه من النار ه قيل بؤتى العبد كتابه يوم القيامة فلا يرى فيه حسنة فيقول يارب اين صلاتي وصيامي وطاعتي فيقال له ذهب حسناتك كلها بغيبتك للناس ويعطى الرجل كتابه بيمينه فيرى فيه حسنات لم يعملها فيقال له هذا بما اغتابك به الناس وانت لا تشعر وكما تحرم الغيبة يحرم استماعها واقرارها وهي ذكرك الانسان بما فيه بما يكره وينبغي لصاحب الغيبة ان يستغفر الله تعالى ويتوب قبل القيام من المجلس عسى ان يغفر الله تعالى له ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر احدكم اخاه المسلم بالسوء فليستغفر الله تعالى فانه حتى كفارته ه وحكي ان فقيها من الفقهاء كان في مدرسة مع الامذته فدخلت عليه امرأة وقالت ايد الله الشيخ لي مسئلة لا أجسر ان اسالكها حياء منك لعظم الاثم وصعوبة الحال فقال لها سلي ولا تستحي من العلم قالت كنت ائمة ليلة من الليالي فجاءني ابني سكران فواقعني فحملت منه وولدت ولدا فتعجب القوم من ذلك فقال الفقيه أقنعوجون من قوله ذلك وهذا اخف واحب الي من الغيبة فان صاحب الزنا اذا تاب تاب الله عليه وصاحب الغيبة اذا تاب لم يتب الله عليه حتى يرضى عنه خصمه اخواني نحن في زمان اذا اجتمع فيه جماعة قلما يتذاكرون فيه العلوم الدينية والحكم والمواعظ واحوال الآخرة بل اكثر حديثهم الغيبة والنميمة والنفاق ومدح انفسهم ومجالساتهم بما ليس فيهم وذكر احوال الدنيا والبحث عن

الانسان كما ان الفرق عبارة عن الاستامة ويطلق على الصلاة ومنه بريت والبرى بالكسر وتبرعن أبر الناس بي قال امك قال ثم من قال ابوك قال ثم من قال الاقرب فالاقرب وفي المثل ابر من فاحص وهو رجل من شيبان ذكروا أنه حمل أبا وكان كبيرا على ظهره فجيح به وفيه ايضا أبر به من العلس وهو ايضا رجل كان بارا بابيه وكان يحملها على عاتقه الى حيث اراد ت ويعني الجنة ومنه قوله تعالى لن تنالوا البر أي الجنة كما قال السدي ويعني الصدق ومنه برقي يمينه اي صدق فيها ويعني القبول ومنه برالله حجك وأبر اي قبله ويعني اللطف وحسن العشرة والصحبة وابن الجانب واحمال الاذى ومنه قول عمر رضي الله عنه

بني ان البر شيء هين * وجه طليق وكلام لين

ويقال بدل قوله وجه طليق اي فعل جميل وكلام لين ويعني الطاعة بسائر أنواعها الظاهرة والباطنة ومنه قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الى قوله اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون وهذه الامور كلها مجامع حسن الخلق واذا قرن البر بالتقوى كما في قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى فسر البر بمعاملة الخلق بالاحسان والتقوي بمعاملة الحق بطاعته او البر بفعل الواجبات والتقوي باجتناب المحرمات وقد روى الحسن عن أبي الحسن عن جده الحسن بسند حسن ان أحسن الحسن الخلق الحسن رواه الترمذي وقال حديث حسن وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الشمس الجليد والخلق السيء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وقال معاذ بن جبل آخر ما اوصاني به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جعلت رجلي في الغرز يعني الركاب ان قال حسن خلقك مع الناس يا معاذ وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت ان حسن الخلق وحسن الجوار وصلة الرحم تعمر الديار وتزيد في الاعمار ولو كان القوم فجارا وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من لم يكن فيه ثلاث خصال لم يجد طعم الايمان من يرده يجهل الجاهل وورع يحجزه عن المحارم وخلق يداري به الناس وقال عاصم ابن ابي النجود اطلق دخلت المدينة فرأيت الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما فاعجبني سمته وحسن زيه فاتاه رجل فشتمه فاتاني من الحسد ما كان يجد اي يخفي صدري لما به من البغض فقلت انت ابن علي بن ابي طالب قال نعم فما زلت في شتمه وشتمه يشتمني فنظر الي نظر عاطف رؤف فقال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ثم قال خفض عليك استغفر الله لي ولك انك لو استعنتنا لاعناك ولا أسترشدتنا لارشدناك قال فندمت على ما فرط مني فقال لا تثريب اي لا عتب عليك اليوم يغفر الله لك وهو ارحم الراحمين أمن اهل الشام انت قلت نعم قال حياك الله وبياك وعافاك آنبسط الينا في حوائجك وما يعرض لك تجدنا عندنا أفضل ظنك ان شاء الله تعالى قال عاصم فضاقت علي الارض بما رحبت ووجدت انها قد ساخت بي ثم انسلت منه لواذا اي مختبئا مستترا بشيء وما على الارض احب الي من أبيه ومنه ﴿والاثم﴾ يطلق ويراد به الذنب بسائر انواعه ويطلق ويراد به ما يترتب على الذنب من العقاب

اخبار اهلها والتفحص عما لا يلزمهم ولا يعنيهم في دينهم بل يضرهم نسال الله تعالى العفو عنا اجمعين آمين ﴿ المجلس السادس والثلاثون في الحديث السادس والثلاثين ﴾ الحمد لله الكريم المنان يغفر لمن يشاء بفضله ويعذب من يشاء بعدله لا اله الا هو ذو الجلال والاحسان واشهد ان لا اله الا الله شهادة تنجي قائلها من عذاب النيران واشهد ان سيدنا (٣٢٩) محمدا عبده ورسوله نبي آخر الزمان صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وسلم تسليما كثيرا في كل وقت وآوان ﴿ عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون اخيه ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن ابطا به عمله لم يسرع به نسبه رواه مسلم بهذا اللفظ ﴾ اعلموا اخواني وفقني الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم جامع لانواع من العلوم والقواعد والآداب (قوله من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا) اي ازال وكشف والكربة هي ما اهم النفس (قوله نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة) اي مجازاة ومكافاة على ما فعله وفي هذا ومايأتي ترغيب وحث على قضاء حوائج المسلمين واعانتهم والتنفيس يكون بالاعانة على كشف المهمات من مال او جاه او غيرهما * وقد جاء في قضاء حوائج المسلمين احاديث

قوله شربت الخمر حتى ضل عقلي * كذلك الاثم تذهب بالعقول

﴿ ماحاك ﴾ بحاء مهملة وتخفيف الكاف من حاك يحيك ومنه قولهم ضربته فما حاك فيه السيف أي أثر وما يحيك كلامك في فلان أي ما يؤثر فيه وما تحيك الناس في هذه الشجرة وفي بعض النسخ ماحك بتشديد الكاف وفي بعضها ما حاك بالتشديد من المحاكة ﴿ في النفس ﴾ وفي رواية في نفسك وفي رواية في صدرك والمعنى أثر في القلب اضطرابا وقلقا لم ينشرح له ولم يطمئن اليه والحائك الراسخ في قلبك الذي يهمك وجاء في بعض الروايات والاثم حزاز بالقلوب بتشديد الزاي أي مؤثر فيها كما يؤثر الحز في الشيء فهو بمعنى قوله هنا ما حاك في النفس وفي أخرى حوز بتشديد الواو من حاز يحوز أي غلاب على القلوب ﴿ وكرهت ان يطلع عليه الناس ﴾ لان النفس بطبعها تحب اطلاع الناس على خيرها وبرها وتكره ضد ذلك اذ هاشم ورمز اصل الفطرة بما تحمد أو تذم عاقبته ولكن غلبت عليها الشهوة حتى أوجبت لها الاقدام على ما يضرها كما غلبت على السارق والزاني مثلا فاوجبت لهما الحد والمراد بالكراهة هنا الدينية الجازمة لا العادية كمن يكره ان يرى آكلا لحياء أو بخل وغير الجازمة كمن يكره ان يركب بين الشاة ارضعها ونحو ذلك فانه لو رؤى كذلك لم يبال والمراد بالناس وجوههم وأمثالهم لا رعاعهم ولذا نقل الشارح الاشبيلي عن صاحب الافصاح الناس معرف باللام فينصرف الى وجوههم وأمثالهم لا الغوغاء وهل علامة الاثم مركبة من مجموع الامرين أو كل واحد منهما علامة مستقلة ومقتضى العطف بالواو الاول ومقتضى الرواية الآتية الثاني وعلى الاول فالفعل ان وجد فيه الامران كالزنا والربا فهو اثم قطعا وان انتفيا عنه كالعبادة فبر قطعا وان وجد فيه أحدهما احتمل البر والاثم فيكون من المشتبه والذي يتجه انهما متلازمان لان كراهة النفس تستلزم كراهة اطلاع الناس وعكسه وعموم الحديث يقتضي ان الهم بالمعصية الغير الجازم اثم لكن خص عمومه خبر ان الله تجاوز لامتي عما وسوست به نفوسها ما لم تعمل به أو تتكلم فقوله ما لم تعمل به مثل أن توسوس له نفسه بالزنا مثلا فزني وقوله أو تتكلم مثل ان توسوس له بالقذف فيقذف أو بالكذب فيكذب أو بالنميمة فينم ﴿ رواه مسلم ﴾ في كتاب البر والصلة من صحيحه ﴿ وعن وابصة ﴾ الصاد ﴿ ابن معبد ﴾ بفتح الميم والموحدة ابن عتبة بن الحرث بن شبير بن كعب بن سعد بن الحرث ابن تعلبة بن داود بن اسد بن خزيمة الاسدي يكنى ابا سالم ويقال ابا الشعثاء ويقال ابا سعيد ﴿ رضي الله عنه ﴾ قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشرة من قومه بني اسد بن خزيمة سنة تسع فاسلموا ورجع الى بلاده ثم نزل الجزيرة وسكن الرقة بفتح الراء ودمشق وعمر الى قرب التسعين وأعقب بالرقة ومات بها ودفن عند منارة جامعها ﴿ قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جئت تسال ﴾ استفهام تقرير حذفت همزته اي اجئت تسال ﴿ عن البر ﴾ اي الحلال ﴿ قلت نعم ﴾ فيه معجزة كبرى له حيث اخبره بما في نفسه قبل ان يتكلم به * وفي رواية احمد واذا اريد ان لا ادع شيئا من البر والاثم الا سالت عنه واذا عنده جمع فذهبت اتخطى الناس فقالوا اليك يا وابصة

كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم من قضى لاخيه المسلم حاجة في الدنيا قضى الله له سبعين حاجة من حوائج الآخرة أدناها المغفرة (قوله ومن يسر على معسر) اي اي نوع كان من أنواع التيسير يسر الله عليه في الدنيا والآخرة اذا الجزاء من جنس العمل وقد جاء في من أنظر معسرا أو تجاوز عنه أحاديث كثيرة منها ما رواه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان رجل يداين الناس فكان يقول لفتاه اذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله يتجاوز عنا فلقي الله فتجاوز عنه أخرجاه في الصحيحين ومنها ما رواه عن أبي قتادة رضي الله عنه أنه طلب غريما له فتوارى عنه ثم وجده فقال اني معسر قال قال آلله قال آلله قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره أن ينجيه الله عز وجل يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه رواه مسلم ومنها قوله صلى الله عليه وسلم حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء الا انه كان يخالط الناس وكان موسرا فكان يأمر غلمانه ان يتجاوزوا عن المعسر قال الله عز وجل نحن أحق بذلك منه تجاوزوا عنه رواه مسلم ومنها قوله صلى الله عليه وسلم ان رجلا مات فدخل الجنة فقيل له ما كنت تعمل فقال اني كنت أبايع الناس فكنت أنظر المعسر فأتجاوز عنه في السكة أو في النقد فغفر له رواه مسلم * ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من أنظر معسرا أو وضع آله ظله الله في ظله رواه مسلم * ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من أنظر معسرا كان له في كل يوم صدقة ومن أنظره بعد حله كان له مثله في كل يوم صدقة (قوله ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة) المراد بالستر ستر ذلات ذوي المحرمات وهو ممن ليس معروفا بالفساد والاذى * قال صلى الله عليه وسلم من ستر

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت دعوني أذرمه فقال لي ادن يا رابصة فدنوت حتى مست ركبتاي ركبتيه فقال يا رابصة أخبرك بما جئت تسأل عنه أو تسألني قلت يا رسول الله أخبرني قال جئت تسأل عن البر والاثم فقلت نعم قال فجمع أصابعه الثلاث فجعل ينكت بها في صدري ويقول يا رابصة استفت نفسك ﴿قال﴾ المصطفى صلى الله عليه وسلم ﴿استفت نفسك﴾ اي اطلب الفتوى من قلبك وعول على ما فيه ﴿البر﴾ أي شيء او الذي ﴿اطمأنت﴾ اي سكنت ﴿عليه﴾ وفي رواية اليه ﴿النفس واطمأن اليه القلب﴾ لانه تعالى فطر عباده على معرفة الحق والسكون اليه وقبوله وركب في الطبائع محبته والجمع بينه وبين النفس للتاكيد وهذا مطابق لقوله السابق البر حسن الخلق لان حسنه تطمئن اليه النفس والقلب * وقد حكي أن أبا الحسين النوري لما وشي به وبجماعته الى الخليفة ببغداد وقيل له انهم زنادقة وأحضرهم وأمر بقتلهم فجاء السياف فبادر اليه النوري فسئل عن مبادرته فقال أوثر أصحابي بحياة لحظة فسأل القاضي الخليفة أن ينظر في أمرهم ويبحث عن حالهم فاذن فطلب القاضي منهم رجلا ليتكلم معه فتقدم اليه النوري فساله عن مسائل فقهية فنظر عن يمينه ثم عن يساره ثم أطرق ساعة ثم رفع رأسه * فاجاب بجواب صحيح فساله القاضي عن الفاته واطراقه فقال ساءلتني عن تلك المسائل ولا علم لي بها فسألت ملك اليمين فلم يجبني ثم ملك الشمال فلم يجبني وسألت قلبي فاخبرني بما أجبت به فاخبر القاضي الخليفة وقال ان كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الارض مسلم ﴿والاثم﴾ أي شيء او الذي ﴿حاك في النفس﴾ اي أثر فيها اضطرابا وفي الحديث الآخر اياكم والحاكة فانها الاثم ﴿وتردد في الصدر﴾ اي لم ينشرح له القلب والجمع بينهما للتاكيد أيضا ﴿وان﴾ وفي رواية ولو هو غاية لما قدر دل عليه ما قبله أي فالتزم العمل بما في قلبك وان ﴿أفتاك الناس﴾ اي علماؤهم كما في رواية وان أفتاك المفتون اي قد أعطيتك علامة الاثم فاعتبرها في اجتنابه ولا تقلد من أفتاك بمفارقته ﴿وأفتوك﴾ بخلافه فرخصوا تلك فيه لانهم انما يحكمون على الظواهر لا السرائر والجمع للتاكيد كما في قوله تعالى فمهل الكافرين أمهلهم فاتى بالثاني تاكيدا للاول لزيادة التنكير * قال الطيبي هذا شرط قطع عن الجزاء تتميما للكلام السابق وتقريرا له على سبيل المبالغة وقال غيره ان وصلته معطوف على مقدر اي ان لم يفتك الناس وان أفتوك وقوله وان افتوك تاكيد * وحكي عن بعض العارفين انه اتاه رجل يريد السلوك فادخله الخلوة وتركه اياما ثم دخل عليه فقال له كيف ترى صورتي عندك قال صورة خنزير فقال صدقت ثم تركه في الخلوة مدة ودخل عليه فساله كذلك فقال صورة كلب ثم كذلك الى أن قال أرى صورة القمر ليلة تمامه فقال صدقت الآن كمل حالك وصلحت ان ترجع الى قلبك وأن تستفتي نفسك وان أفتاك المفتون وأخرجه من الخلوة وما ذاك الا لان النفس اذا كانت في رعونتها وشهواتها كانت كالمرآة الصدأة فاذا قابلتها الاشياء وقع المثال فيها مفسودا فاذا صقلت بالمجاهدة وزال عنها الصدأ ظهر مثال الاشياء مستويا من غير زيادة ولا نقص وجملت تميز كل

خاطر

مسلما ستره الله يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من رأى عورة اخيه فسترها كان كمن احيا موؤدة وقال صلى الله عليه وسلم من رد عن عرض اخيه رد الله وجهه عن النار يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم ما من امرئ يخذل امرأ مسلما في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه الا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته (٢٣١) وما من امرئ ينصر مسلما

في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته الا نصره الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته رواه أبو داود وقال صلى الله عليه وسلم من رمى مسلما بشيء يريد شينه به حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال رواه أبو داود أيضا والاحاديث في ذلك كثيرة اما المعروف بالفساد الذي يستحب ان لا يستر عليه بل يرفع قضيته الى ولي الامر ليده الله تعالى ان لم يخف من ذلك مفسدة اذ الستر على مثله يطمعه في الايذاء والفساد وجسارة غيره على مثل فعله ﴿ نكتة ﴾ سمعت بعض مشايخي في الفقه رحمة الله عليهم يذكر هذه الحكاية في درسه بالجامع الازهر وهي ان رجلا نام فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فقال له يا فلان قم من منامك فسافر الى بلدة كذا فاسأل بها عن فلان المعداوي فاقرأه مني السلام وقل له انت رفيق رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة فلما استيقظ من منامه سافر اليه فوجده لم يعمل خيرا في نهاره فاعلمه بذلك وسأله عن عمله فقال تزوجت بامرأة فلما دخلت بها ولدت عندي ولدا من اول ليلة فسترت عليها ولم افضحها واخذت الولد فجئت به للجامع وجلست انتظر الناس فلما حضر والصلاة الصبح تسارعوا الى اخذ الولد فحلفت بالطلاق ما ياخذه الا أنا فاخذته ورددته الى امه فربته وسترت عليها فيا اخواني هذا هو الستر (قوله والله في عون العبد) اي

خاطر يقع فيها لصفائها وقوله وأفتوك توكيد لما قبله ولا يعارض قوله في الحديث السابق فمن اتقى الشبهات الخ فان مقتضاها انها ليست اثما * وأجيب بان هذا محمول على ما اذا قويت الشبهة ويكون من باب تركه الاصل الظاهر يعني أصل الحلال لاجل الشبهة وتمكنها وما سلف محمول على ما اذا ضعفت الشبهة فيبقى على أصل الحل ويجتنب محلها ورعا وايثارا وحد الفعل الاول لاسناده الى ظاهر وجمع الثاني لاسناده الى ضمير أو الاصل ان الفعل انما يكون له فاعل واحد فان كان ظاهرا امتنع ايصال ضمير بالفعل لئلا يتعدد الفاعل فلا يسوغ نحو أفتوك الناس وأما وأسروا النجوى الذين ظلموا وعموا وصموا كثير منهم فمن باب البدل من الضمير لا من باب تعدد الفاعل لامتناعه الا في لغة أكلوني البراغيث وهي لغة ضعيفة وان لم يكن ظاهرا وجب اضماره لئلا يتجرد الفعل عن الفاعل وهو غير جائز ﴿ حديث صحيح ﴾ وفي نسخة حسن ﴿ رواه ﴾ بالسند المتصل حال كونه ﴿ في مسنده الامامين ﴾ الجليلين ﴿ أبي عبد الله ﴿ أحمد بن ﴿ محمد بن ﴿ حنبل ﴾ بن هلال بن راشد المروزي قدمت به أمه من مرو وهي حاملة به الى بغداد فولدته بها سنة مائة وأربعة وستين وكان يحفظ ألف ألف حديث ومات ببغداد ضحوة الجمعة في ربيع الاول سنة احدى وأربعين ومائتين وله سبع وسبعون سنة ومسنده فيه أربعون ألف حديث وقيل ثلاثون بتكرر منها عشرة جمعه من سبعمائة ألف حديث وخمسين ألفا وقال جعلته حجة بيني وبين الله تعالى وقال أبو زرعة كان أحمد يحفظ ألف ألف حديث قيل وما يدريك قال ذاكرته فجرى على الابواب قال الحارث بن عباس قلت لابن مسهر هل تحفظ أحدا يحفظ على هذه الامة أمر دينها قال لا الا شابا في ناحية المشرق يعني الامام أحمد وقال أبو عبيد القاسم بن سلام انتهى علم الحديث الى الامام أحمد بن حنبل وعلي بن المديني ويحيى بن معين وأبي بكر قال عبد الرزاق أما يحيى بن معين فما رأيت مثله ولا أعلم بالحديث منه من غير سرد وأما ابن المديني فحافظ سراد وأما أحمد فما رأيت أفقه منه ولا أورع وقال الشافعي رضي الله عنه خرجت من بغداد فما خلفت فيها أفقه ولا أزهد ولا أورع ولا أعلم منه ﴿ فائدة ﴾ قال المناوي في طبقاته ارتجت الدنيا لموت أحمد بن حنبل وأغلقت بغداد لشهوده ومسحت الارض المبسوطة التي وقف الناس للصلاة عليها في سير متقادير الناس بالمساحة ستمائة ألف وكان يقول للمبتدعة بيننا وبينكم الجنائز وأسلم يوم موته من اليهود والنصاري والمجوس عشرة آلاف اه وفي حياة الحيوان حزر قدر من حضر جنازة أحمد بن حنبل من الرجال فكانوا ثمانمائة ألف ومن النساء ستين الفا وأسلم يوم موته عشرون ألفا من اليهود والنصاري والمجوس اه وقال النووي في تهذيب الاسماء واللغات أمر المتوكل ان يقاس الموضع الذي وقف الناس فيه للصلاة على أحمد فبلغ تمام ألفي ألف وخمسين ألفا ﴿ و ﴾ أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل التميمي ﴿ الدارمي ﴾ نسبة الى دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم ولد سنة احدى وثمانين ومائة ومات يوم التروية سنة خمس وخمسين ومائتين ﴿ باسناد جيد ﴾ وفي نسخة حسن * فان قلت ما حكمة قول المصنف أولا حديث

بعورته وتأييده (ما كان العبد في عون أخيه) اي مدة كونه في عونه بالاعانة بما تيسر من انواعها ﴿تنبيه﴾ كل مسلم حيث اظير اذا خلق عيال الله واحبهم اليه انفعهم لعياله كما رد ﴿تنبيه آخر﴾ كما يستحب ستر الزلات يستحب ستر الآفات بدليل قال صلى الله عليه وسلم من كسا مؤمنا عاريا كساه الله من خضر الجنة اى من ثيابها الخضر وقال صلى الله عليه وسلم ايما مسلم كسا مسلما ثوبا كان في حفظ الله ما بقيت عليه منه رقعة وفي رواية خرقة وقال صلى الله عليه وسلم من رأى عورة اخيه فسترها كان كمن احيا موؤدة من قبرها وقال صلى الله عليه وسلم من كسا مسلما لم يزل في ستر الله مادام عليه منه خيط وقال صلى الله عليه وسلم من كسا مؤمنا على عرى كساه الله من إستبرق الجنة والاحاديث في ذلك كثيرة شهيرة ﴿مسئلة﴾ يستحب لمن لبس ثوبا جديدا أن يتصدق بالثوب العتيق ذكره العلماء (قوله ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة) اى ارشده الى سبيل الهداية والطاعة الموصلين الى الجنة او انه يجازي على فعله بتسهيل دخول الجنة بقطع العقبات الشاقة دونها يوم القيامة كالجواز على الصراط ونحوه وفيه حث على فضل العلم وطلبه وقد تظاهرت الآيات والاخبار والآثار وتواترت وتطابقت الدلائل الصريحة وتوافقت على فضيلة العلم والحث على تحصيله والاجتهاد في اقتباسه وتعليمه * فمن الآيات قوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقوله تعالى وقل رب زدني علما وقوله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم فبدأ بنفسه وثنى بملائكته وثلث بأولى العلم من غيرهم وناهيك بهذا شرفا وقوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم

صحيح وقوله هذا باسناد جيد * فالجواب انه لا يلزم بين الاسنادين والمتن فقد يصح السند أو يحسن لاستجماعه شروطه من الاتصال والعدالة والضبط دون أن المتن لشذوذ فيه أو علة فنص المصنف أولا على صحة المتن بقوله هذا حديث صحيح وثانيا على صحة السند بقوله باسناد جيد

الحديث الثامن والعشرون

﴿عن أبي نجيح﴾ بفتح النون وكسر الجيم وبالحاء المهملة ﴿العرباض﴾ بكسر المهملة وسكون الراء وموحدة وآخره معجمة وأصله الطويل من الناس وغيرهم الجلد الخ صم ﴿ابن سارية﴾ بسين مهملة وهمزة تحتية السلمي بضم ففتح من بني سليم بن منصور صحابي من أهل الصفة وهم كما قال النووي زهاد من الصحابة فقراء غرباء كانوا يأوون الى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وكانت لهم في آخره صفة وهي مكان منقطع من المسجد مظلل عليه يبيتون فيه وكانوا يقلون ويكثرون في وقت كانوا اسبعين وفي وقت غير ذلك ﴿رضي الله عنه﴾ نزل الشام وسكن حمص وكان من البكائين الذين نزل فيهم قوله تعالى ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه الآية وكان من المشتاقين الى الله تعالى يحب ان يقبض اليه يقول في دعائه اللهم كبرت سني ورق عظمي فاقبضني اليك روى ان معاوية اعطى المقداد حمارا من المغنم فقال العرباض ما كان لك ان تأخذه وما كان لك ان يعطيك وكاني بك في النار تحمله على عنقك فرده المقداد مات العرباض في فتنة ابن الزبير سنة خمس وسبعين في خلافة عبد الملك ابن مروان ﴿قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾ من الوعظ وهو النصح والتذكير بالعواقب يقال وعظته فاتعظ أي قبل الموعظة ﴿موعظة﴾ مصدر ميمي وتنويتها للتعظيم أي موعظة عظيمة وكانت هذه الموعظة بعد صلاة الصبح لما في رواية الترمذي وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بعد صلاة الغداة موعظة بليغة أي بالغ فيها بالانذار والتخويف لاجل ترقيق القلوب وكان صلى الله عليه وسلم يقظ اصحابه في غير الجمع والاعياد امتثالا لقوله تعالى وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا وفيه ندب المبالغة فيها لان لها وقعا في النفس وتاثيرا في القلب اذا صدرت من قلب اصحى سليم من الادناس والقبائح فالواعظ ما لم يكن مقاله كفعاله لا ينتفع بوعظه ومنزلة الواعظ من الموعظ منزلة الطبيب من المريض فكما ان الطبيب اذا قال للناس لا تاكلوا كذا فانه مضر تم رأوه يأكله عد سخرية فكذا الواعظ اذا أمر بما لم يعمله فالواعظ من الموعوظ يجري مجرى الطابع من المطبوع فكما يستحيل الطبع ما ليس منقوشا في الطابع يستحيل ان يحصل في نفس الموعوظ ما ليس في الواعظ * وقد حكى ان العارف الكبير أبا مدين المغربي مكث في بيته عاما لا يخرج منه فاجتمع الناس ببابه وقالوا اخرج تكلم على الناس وانفعهم والزموه فخرج فقرع منه عصافير على صدره بباب داره فرجع وقال لو صلحت للكلام عليكم ما فر مني الطير فقعد في بيته عاما آخر فاتوه فخرج فنزل الطير عليه في مجلس وعظه يضرب باجنحته ويضطرب حتى مات منه كثير ومات رجل من الحاضرين اه وقيل من وعظ بقوله ضاع كلامه ومن وعظ بفعله نفذت

نفدت سهامه وقيل من رجل بني ألف رجل أبلغ من قول ألف رجل في رجل {وجلت} بكسر الجيم أي خافت ومنه وجلت قلوبهم وجلة من الوجل وهو الخوف من عذاب الله {منها} أي من أجلها ويصح كونها لابتداء الغاية {القلوب} وذلك لاستيلاء سلطان الخشية على القلوب وتأثير الرهبة فيها وانزعاجها من ذكر الساعة وأهوالها والنار وعذابها وما يشبه ذلك قول جابر رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكر الساعة اشتد غضبه وعلا صوته واحمرت عيناه كأنه منذر جيش يقول صبحكم مساكم {وذرفت} بذال معجمة وراء مهملة وفاء مفتوحة {منها} فيما مر {العيون} أي سالت دموعها وانصبت وكثر جريها وأخر هذا عما قبله لأنه إنما ينشأ عنه غالبا والعيون جمع كثرة وفيه إشارة إلى أن تلك الموعظة أثرت فيهم وأخذت بمجامعهم ظاهرا وباطنا وذلك دليل على كمال معرفتهم ومراعاتهم لربهم وفيه دليل على أن البكاء من خوف الله تعالى وعقابه محمود وقد قال عليه السلام ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا إن أهل النار يبكون حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو أن سفنا أجريت فيها لجرت وقال عليه السلام لا يلج النار من بكى من خشية الله عز وجل حتى يعود اللبن في الضرع وقال عليه الصلاة والسلام ما من قطرة أحب إلى الله من قطرة دمع من خشية الله أو قطرة دم أهريقت في سبيل الله وقال كعب الأحبار والذي نفسي بيده لأن أبكي من خشية الله تعالى حتى تسيل دموعي على وجنتي أحب إلي من أن أتصدق بجبل من ذهب وقيل لعطاء السلمي ما تشتهي قال أشتهي أن أبكي حتى لا أقدر أن أبكي وفيه أنه ينبغي للعالم أن يعظ الناس ويذكرهم ويخوفهم ولا يقتصر بهم على مجرد معرفة الأحكام والحدود {فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع} لعلهم فهموا ذلك من مبالغته في الموعظة واستقصائه فيها فوق العادة فظنوا أن ذلك لقرب وفاته ومفارقته لهم وفيه جواز الحكم بالقرائن لأنهم إنما فهموا ذلك من توديعه إياهم بالإبلاغ في الموعظة أكثر من العادة واحتمال أنه عرض فيها بالتوديع كما عرض في خطبة حجة الوداع بقوله فيها لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا وطفق يودع الناس فقيل لها حجة الوداع كما قال بعض الشراح لكن في بعض طرق الحديث إن هذا موعظة مودع وهي شاهدة بذلك الاحتمال {فأوصنا} بفتح الهمزة أي وصية جامعة كافية لمهمات الدين والدنيا وفيه استحباب استدعاء الوصية والوعظ من أهلها واغتنام أوقات أهل العلم والخير قبل فوتها {قال أوصيكم بتقوى الله} لأنها زاد الآخرة وكافلة لمن تمسك بها بسعادة الدارين لأنها عبارة عن امتثال الأوامر واجتناب النواهي وتكاليف الشرع لا تخرج عن ذلك ولذلك أوصى الله تعالى بها الأولين والآخرين بقوله تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وأصلها وقيا بكسر أوله وقد تفتح من الوقاية قلبت الواو تاء كتراث ثم أبدلت الياء ألفا والوقاية ما يقي الرأس فالتقي قد جعل بينه وبين المعاصي وقاية تحول بينه وبينها من قوة عزمه على تركها واستحضار عظمة ربه وأنشد بعضهم

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ... ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله ... وأنك لم ترصد كما كان أرصدا

{والسمع} إن حمل على أن المراد به الإصغاء إلى كلامه ليتمكن من فهمه ومعرفته كان ما بعده تأسيسا وإن أريد به قبول المسموع عبر عنه بالسمع لأنه فائدته كان ما بعده تأكيدا وإليه جنح المحلي

يرد الله به خيرا يفقهه في الدين رواه البخاري ومسلم وقوله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم رواه سهل عن ابن مسعود وقوله صلى الله عليه وسلم إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له وقوله صلى الله عليه وسلم العلماء أهل الجنة والعلماء ورثة الأنبياء وقالت عائشة رضي الله عنها إذا أتى علي يوم لا أزداد فيه علما فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم وقال عمرو بن دينار العلم أشرف الأحساب وفي حديث مكحول عن واثلة بن الأسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة جمع الله العلماء فقال لهم إني لم أستودعكم حكمتي وأنا أريد عذابكم ادخلوا الجنة برحمتي وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال إن الله يباهي الملائكة بمداد العلماء كما يباهي بدم الشهداء وقال إبراهيم بن أدهم ما ظن أن الله تعالى يدفع البلاء عن أهل الأرض إلا برحلة أصحاب الجنة وقال الشافعي رحمه الله من لا يحب العلم لا خير فيه فلا يكن بينك وبينه معرفة ولا صداقة فإنه

والطاعة في الفعل والاعتقاد وهي الموافقة في الظاهر والباطن فيما يؤمر به وينهى عنه
فان اطاع بظاهره دون باطنه فهو عاص وهذا في غير الامر بالديانات لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق
وعطف السمع والطاعة على التقوى من باب عطف الخاص على العام نحو فاكهة ونخل وريحان لاشتمال
الوصية بتقوى الله على السمع والطاعة لولاة امور المسلمين وحكمة ذلك ترتب المبالغة الآتية عليه
ويمكن تخوار كوا واسجدوا واعبدوا ربكم وسال مسلم بن يزيد الجهني رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال يا نبي الله ارأيت ان قامت علينا امراء يسالون حقهم ويمنعونا حقنا فما تامرنا فاعرض عنه ثم
سأله فقال اسمعوا واطيعوا فانما عليه ما حملتم وعليكم ما حملتم ﴿وان تامر﴾ وفي رواية وان استعمل ﴿عليكم
عبد﴾ ولا حد حبشي مجدع والبخاري حبشي وان راسه زبيبة ولمسلم ولو كان عبدا حبشيا مجدع
الاطراف وهذا لا ينافي قوله صلى الله عليه وسلم لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي منهم اثنان لان الائمة
من قريش الناس تبع لقريش لان ولاية العبد قد تكون ناشئة عن امام قرشي بشهادة حديث احاكم
الائمة من قريش ابرارها امراء ابرارها وفجارها امراء فجارها ولكل حق قاتو كل ذي حق حقه
وان امرت عليكم قريش عبدا اسود حبشيا مجدعا فاسمعوا واطيعوا وقوله وان تامر عليكم عبدا ما من باب
ضرب المثل بغير الواقع على طريق التقدير والفرض والا فهو لا تصح ولايته ونظيره من بنى لله
مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة واما من باب الاخبار بالغيب ان نظام الشريعة يختل
حتى توضع الولايات في غير اهلها والامر بالطاعة حينئذ ايثار لاهون الضررين اذ الصبر على ولاية
من لا تجوز ولايته اهون من ايثار الفتنة التي لا دواء لها ولا خلاص منها ويرشد الى هذا تعقيب ذلك
بقوله ﴿فانه﴾ أي الشان ﴿من يعش منكم﴾ بعدي ﴿فسيرى اختلافا كثيرا﴾ بين الناس في ظهور
الفتن وفي ظهور البدع والظاهر ان هذا بوحي أوحي اليه فانه عليه السلام كشف له عما يكون الى ان
يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار كما صح في حديث ابي سعيد وغيره ويجوز ان يكون بنظر
واستدلال ولفظ ابن ماجه اختلافا شديدا وقد كان ذلك فهو من معجزاته حيث اخبر عن غيب
وقع واتيانه بالسين دون سوف بدل على قرب الرؤية وكان الامر كذلك فظهر فتنة عثمان وواقعة
الجمل ومحاربة معاوية لعلي على الامارة ومحاربته للحسن عليها فسلم الامر اليه لاجل اطفاء نار الفتنة
وظهر اعظم الفتن وهي قتلة الحسين وظهر يوم موته من الآيات أن السماء امطرت دما وان اوانيهم
ملئت دما وان السماء اشتد سوادها لانكساف الشمس حينئذ حتى رؤيت النجوم بالنهار واشتد
الظلام حتى ظن ان القيامة قد قامت وان الكواكب ضرب بعضها بعضا ولم يرفع حجر الا وجد تحته
دم عبيط وان الورس انقلب رمادا وان الدنيا أظلمت ثلاثة ايام فظهرت في السماء حمرة وقيل
احمرت ثلاثة اشهر وقيل سنة اشهر ثم لازالت الحمرة ترى بعد ذلك بها وعن ابن سيرين ان الحمرة التي مع
الشفق لم تكن حين قتل الحسين وفي الحديث النجوم امنة السماء فاذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد
وانا امنة لاصحابي فاذا ذهبت انا اصحابي ما يوعدون واصحابي امنة لامتي فاذا ذهبت اصحابي أتى
امتي ما يوعدون معناه ان النجوم مادامت باقية فالسماء باقية واذا انكدرت وتناثرت في القيامة
ذهبت السماء فانفطرت وانشقت واذا ذهبت اتى اصحابي ما يوعدون من الفتن والحروب واذا ذهبت
اصحابي أتى أمتي ما يوعدون من ظهور البدع والحوادث في الدين ﴿فعليكم بسنتي﴾ اي الزموا التمسك
بطريقتي وسيرتي القويمة التي انا عليها مما اصلته لكم من الاحكام الاعتقادية والعملية الواجبة

وجدت العلم مع هاتيك أسمى
فلا تعدد غير العلم ذخرا
فان العلم كنز ليس يفنى
(قوله وما اجتمع قوم) اي جماعة (في بيت من بيوت الله) اي مسجد من مساجده (يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة) أي الطمانينة (والوقار) أي يخلق الله تعالى ذلك فيهم الا بذكر الله تطمئن القلوب
(قوله وغشيتهم الرحمة) اي غطتهم وعمتهم (وحفتهم الملائكة) اي جاءتهم واحاطت بهم لاستماع كتاب الله تعالى والتبرك به تعظيما للتالين (وذكرهم الله فيمن عنده) من الانبياء والملائكة لقوله تعالى فاذكروني اذكركم وقوله تعالى من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه اذ مقتضاه ان يكون ذكرهم فيمن ذكرانه جل جلاله وتقدست اسماؤه ولا إله غيره وفيه بيان فضيلة الاجتماع على تلاوة القرآن في المسجد وقد جاء في فضل تلاوة القرآن اخبار كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف ولكن الف حرف ولام حرف

والمندوبة

ومم حرف رواه الترمذي وقال هذا حديث صحيح حسن غريب ومنها قوله صلى الله عليه وسلم ما تقرب العباد الى الله بمثل ما خرج منه قال ابو الحسن يعني القرآن رواه الترمذي وقال غريب ومنها قوله صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرؤها رواه ابو داود والنسائي والترمذي وقال حديث حسن صحيح ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس الله والديه تاجا يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا رواه ابو داود الى غير ذلك من الاحاديث التي لا تحصى (قوله ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه) اي لم يلحق به مرتبة اصحاب الاعمال والكمال مصداق ذلك قوله تعالى ان أكرمكم عند الله اتقاكم وقوله صلى الله عليه وسلم انتوني باعمالكم ولا تاتوني بانسابكم ولان الله تبارك وتعالى خلق الخلائق لطاعته فهي المؤثرة في النفع لا غيرها فالاسراع الى العبادة انما هو بالاعمال لا بالانساب

والمندوبة والمباحة وما تقرر من ان معنى السنة الطريقة الشرعية هو ما وافق فيه اللغة والشرع وتخصيصها باطلب طلبا غير جازم اصطلاح حادث قصدوا به التمييز بينها وبين الفرض قال عبد الرحمن بن زيد لقي ابن مسعود رجلا محرما وعليه ثيابه فقال انزع عنك هذا فقال الرجل اقرأ على بهذا آية من كتاب الله قال نعم وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فامتثل ونزع ثيابه ﴿وسنة﴾ اي طريقة ﴿الخلفاء﴾ جمع خليفة وهو كل من قام مقام غيره وانما اطلق على الصحابة ذلك لانهم خلفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاحكام ﴿الراشدين﴾ جمع راشد وهو من عرف الحق واتبعه والغاوي من عرفه ولم يتبعه والضال من لم يعرفه بالمرة ﴿المهديين﴾ جمع مهدي وهو من هداه الله لا قوم طريق والراشدين المهديين لفظان مترادفان معناهما واحد يحتمل انهما اسما مفعول اي الذين أرشدهم الله وهداهم ويحتمل انهما اسما فاعل أي المرشدين الهادين لغيرهم وهو هام أريد به الخاص واللام للعهد والمعهود ابو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن رضي الله تعالى عنهم فان ما عرف عن هؤلاء او عن بعضهم اولى بالاتباع من بقية الصحابة اذا وقع بينهم الخلاف فيه وقد ورد ان رجلا حلف لا يطأ زوجته حينا فاتاه ابو بكر بان الحين الابد وعمر أربعون سنة وعثمان بانه سنة واحدة وعلي بانه يوم وليلة فعرض الرجل ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم فقال لابي بكر ما دليلك على ان الحين الابد قال قوله تعالى في حق قوم يونس ومتعناهم الى حين وقال لعمر ما دليلك على ان الحين اربعون سنة قال قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر الآية ان آدم القيت طينته على باب الجنة أربعين عاما وقال لعثمان ما دليلك على انه عام قال قوله تعالى تؤتي أكلها كل حين وقال لعلي ما دليلك على انه يوم وليلة قال قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون فقال صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وامر الرجل ان ياخذ بقول علي في حلفه له وهذه هنا وافق لما اتى به عثمان وقال صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تصير ملكا عضوضا وقد تمت بولاية الحسن ستة اشهر وقال اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر فخص من تقدم اثنين وقال لمرأة سالته وأمرها ان ترجع اليه فقالت فان لم اجدك تريد الموت فقال ائت ابا بكر فخص ابا بكر قال التوربشتي وانما ذكر سنتهم في مقابلة سنته لانه علم انهم لا يخطؤن فيما يستخرجونه ويستنبطونه من سنته بالاجتهاد ولانه عرف ان بعض سنته لا تشتهر الا في زمانهم فاضاف اليهم ليبان ان من ذهب الى رد ذلك السنة فقد خطيء فاطلق القول باتباع سنتهم سدا للباب اه وقد ورد ان العول لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زمن ابي بكر الصديق واول من نزل به ذلك عمر فقال لا أدري من أخر الكتاب فاؤخره ولا من قدمه فاقدمه ولكن رأيت رايا فان يكن صوابا فمن الله وان يكن خطا فمن عمر وهو ان يدخل الضرر على جميعهم فحكم بالعول ويقال ان الذي اشار عليه بذلك العباس ولم يخالفه احد من الصحابة الا ابن عباس لكنه لم يظهر ذلك الا بعد موت عمر اجلالا له وهذا في حق المقلد الصرف في تلك الازمنة القريبة في زمن الصحابة اما في بعد ذلك فلا يجوز كما قال ابن الصلاح تقليد غير الائمة الاربعة مالك وابي حنيفة والشافعي واحمد رضي الله تعالى عنهم لان هؤلاء عرفت قواعد مذاهبهم واستقرت احكامها وخدمها اتباعهم وحرروها تفريعا وتحكيما ﴿عضوا عليها﴾ وحد الضمير لان سنتهم كسنته في وجوب الاتباع ﴿بالنواجذ﴾ بذال معجمة الانياب وقيل الاضراس اي عضوا عليها

﴿خاتمة المجلس﴾ فيما يتعلق بشيء من فضائل الذكر قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وقال والذاكرين الله كثيرا والذاكرات الى غير ذلك من الآيات الدالة على

بجميع الهم لا تهشا باطراف الاصابع وحركوا بها عن شمالكم بالاذن الواحد عدة اذا عضت شيأ نشبت فيه فلا يكاد يفلت من فيكم شيء من فيكم نشبت في الامر يعني أي متمسك ﴿ وايا كم ومحدثات ﴾ بفتح الدال جمع محدثة ﴿ الامور ﴾ أي ايا كم وقوع الامور المخترعة في الدين لئلا تقعوا لسنن الخلفاء الراشدين وأصحابهم وهذا كثيرا كان يعتني الامام مالك بهذا البيت كما تقدم

وخير أمور الدين ما كان سنة * وشر الامور المحدثات البدائع

﴿ ان ﴾ ذلك بدعة ان ﴿ كل بدعة ضلالة ﴾ وجاء في بعض روايات هذا الحديث فان كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وقال بعض المفسرين المغضوب عليهم أهل البدع ومن عطاء الخراساني في قوله تعالى ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما صرخ ابليس صرخة عظيمة اجتمع اليه فيها جنوده من أقطار الارض قائلين ما هذه الصرخة التي أفزعتنا قال أمر نزل في لم ينزل قط أعظم منه قالوا وما هو فتلا عليهم الآية وقال فمن عندكم من حيلة قالوا ما عندنا من حيلة فقال اطلبوا فاني ساطلب قال فذهبوا ثم اشاءوا ثم صرخوا فاجتمعوا اليه وقالوا ما هذه الصرخة التي لم نسمع مثلها الا التي قبلها قال ويلي وجدتم شيأ قالوا لا قال لكني قد وجدت قالوا وما وجدت قال أزيرهم البدع التي يحذرونها بنو آدم لا يستغفرون أي لان صاحب البدعة يراها يجهلها حسنة وصوابا ولا يراها ذنبا حتى يستغفر الله وقد جاء في الحديث أبي الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته أي لا يشبهه على عمله ما دام متلبسا بالبدعة وهو عام مخصوص بالبدعة المحرمة اذ البدعة تعتريها الاحكام الخمسة كما سبق فالمراد الكلية الاغلبية وفي بعض الروايات فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار أخرج أبو نعيم أهل البدع شر الخلق والخليقة والخلق والخليقة مترادفان وقيل المراد بالاول المأثم وبالثاني غيرهم وأخرج غير واحد أصحاب البدع كلاب النار وأخرج البيهقي وابن عاصم والسنة أبى الله ان يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته قال بعضهم واعلم ان اهل البدع ثمانية المعتزلة القائلون بان العباد تخلق افعالهم ونفي الرؤية ووجوب الثواب والعقاب وهم عشرون فرقة والشيعة المفرطون في محبة علي وهم اثنان وعشرون فرقة والخوارج المفرطة المتكفرة لمن ارتكب ذنبا كبيرا وهم عشرون فرقة والمرجئة القائلون بانه لا يضر مع الايمان معصية ولا ينفع مع الكفر طاعة وهم خمس فرق والبخارية المرافقة لاهل السنة في خلق الافعال والمعتزلة في نفي الصفات وحدوث الكلام وهم ثلاث فرق والجبرية القائلون بسلب الاختيار عن العباد فرقة والمشبهة الذين يشبهون الخالق فرقة أيضا فتلك اثنان وسبعون فرقة كلهم في النار والفرقة الناجية هم أهل السنة وقد ورد في الحديث ستفترق أمتي على نيف وسبعين فرقة كلهم في النار الا فرقة واحدة وهي ما كان على ما أنا عليه وأصحابي ﴿ رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن ﴾ وفي نسخة حسن صحيح

﴿ الحديث التاسع والعشرون ﴾

﴿ عن معاذ بن جبل ﴾ بالتحريك ضد السهل ﴿ رضي الله تعالى عنه قال قلت يا رسول الله اخبرني ﴾ وفي رواية انبئني ﴿ بعمل ﴾ التنوين فيه للتعظيم اي النوع اي عمل عظيم او معتبر في الشرع فلا يرد ما قيل انه اذا جعل بدخلني جواب الامر فيقتضي بعمل غير موصوف والنكرة غير الموصوفة لا تفيد ﴿ يدخلني الجنة ﴾ اما ان يجعل مرفوعا والجملة في محل جر صفة لقوله بعمل او مجزوما قال

وان تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا وان تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا وان أتاني يمشي اتيته هرولة ومعناه من جاهد نفسه قليلا تقرب الله منه كثيرا من خدمني تقربت اليه برحمتي ويسرت عليه كثيرا من الطاعات بحلاوة ورغبة ورزقته انه مناجاتي وحلاوة الانس بذكري فيصير محمولا بعد ان كان حاملا وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لله تعالى ملائكة سيارة يتتبعون مجالس الذكر فاذا وجدوا مجلسا فيه ذكر الله قعدوا معهم وحف بعضهم بعضا باجنحتهم حتى يملؤا ما بينهم وبين سماء الدنيا فاذا تفرقوا عرجوا وصعدوا الى السماء قال فيسالهم الله عز وجل وهو أعلم بهم من أين جئتم فيقولون جئنا من عند عباد لك في الارض يسبحونك ويمجدونك ويسالونك قال وماذا يسالوني قالوا يسالونك جنتك قال وهل رأوا جنتي قالوا لا يا رب قال فكيف لو رأوا جنتي قالوا ويستجيرونك قال

وهم يستجيروني قالوا من نارك يا رب قال وهل رأوا ناري قالوا لا قال فكيف لو رأوا ناري قالوا ويستغفرونك قال فيقول الله تعالى قد غفرت لهم واعطيتهم ما سالوا واجرتهم مما استجاروا قال فيقولون

يارب فيهم فلان عبد خطاء وانما مر فجلس معهم قال فيقول الله تعالى وله قد غفرت لهم القوم لا يشقى بجليسهم * وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله * وروى في الحديث يا أيها الناس ارتعوا في رياض الجنة قيل وما رياض الجنة يارسول الله قال مجالس الذكر فغدوا وروحوا واذكروا من كان يحب ان يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده فان الله تعالى ينزل العبد منه حيث انزله من نفسه ويروى ان في الجنة ملائكة يطوفون الاسحار للذاكرين فاذا ظهر الذكر فسر المالك ويقول قم فاحصي قال سفيان بن عيينة اذا اجتمع قوم يذكرون الله عز وجل اعترك الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا ألا ترين ما يصنعون فتقول الدنيا دعهم فلو تفرقوا لاخذت باعناقهم * وفي الخبر مجالس الصالح يكفر عن المؤمن ألف مجلس من مجالس السوء * وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة اذا سمع العالم خاف واسترجع عن ذنوبه فانصرف الى منزله وليس عليه ذنب *

الطيبي رحمه الله منها ان أحدهما اذا تضمن معنى أن يجعل الامر هو الشرط والجواب الامر جزاء والتقدير ان تخبرني بعمل يدخلني الجنة وفيه اقامة السبب الذي هو الاخبار مقام المسبب الذي هو العمل لان العمل هو السبب ظاهر الا الاخبار والثاني مذهب سيبويه ان الجواب جزاء شرط محذوف تقديره أخبرني بعمل ان عملته يدخلني الجنة ﴿ويباعدني عن النار﴾ وفي رواية أحمد اني أريد أن أسألك عن كلمة فما أمرضني وأسقمني وأحزنني قال سل عما شئت فان أخبرني بعمل يدخلني الجنة لا أسألك غيره وفيه دليل على شدة اعتنائه بالاعمال الصالحة وعظم فصاحته فانه أوجز وأبلغ ولهذا حمد المصطفى صلى الله عليه وسلم مسئلته واستعظمها وأدرك الاعمال سبب لدخول الجنة ويشهد لقوله تعالى في آية أخرى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ولا ينافيه حديث البخاري ان يدخل أحدكم الجنة عمله قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا الا ان يتغمدني الله برحمته وفي رواية ان يدخل أحدا منكم الجنة عمله لان العمل نفسه لا يستحق به أحد الجنة سالم لكن مقبولا والقبول انما يحصل برحمة الله ارادة بعبده خاصة اي تلك الجنة الخاصة لرفيعة سبب الاعمال وأما الدخول فبرحمة الله والباء في بما كنتم تعملون للملابسة أي أورثتموها ملابسة لاعمالكم اي لثواب أعمالكم او للعوض والمقابلة بالمعطى لهو عرض قد يعطى مجانا لا لانه سببية لان السبب لا يوجد بدون السبب خلافا للمعتزلة القائلين ان العمل سبب لدخولها وأما الباء في حديث لن يدخل أحدكم الجنة بعمله فهي سببية ولا كلام ﴿فقد﴾ أخرج الحاكم بسنده عن انه صلى الله عليه وسلم قال خرج من عندي خليلي جبريل عليه السلام آنفا فقال يا محمد والذي بعثك بالحق ان الله تعالى عبد من عباده عبد الله عز وجل خمسمائة سنة على رأس جبل في البحر عرضه وطوله ثلاثون ذراعا في ثلاثين ذراعا والبحر المحيط به أربعة آلاف فرسخ من كل ناحية وأخرج له عينا عذبة من أصل الجبل تبض بماء عذب فتستنقع في أسفل الجبل وشجرة رمان تخرج كل ليلة رمانة يتعبد يومه فاذا أمسى نزل فاغتسل من الوضوء وأخذ ثلث الرمانة فأكلها ثم قام الصلاة فسأل ربه عند وقت الاجل ان يقبضه ساجدا قال فهل فنحن نمر عليه انا هبطنا واذا عرجنا فنجده في العلم أنه يبعث يوم القيامة فيوقف بين يدي الله عز وجل فيقول له الرب جل جلاله ادخلوا عبدي الجنة برحمتي فيقول رب بل بعملي فيقول الله تعالى قايسوا عبدي بنعمتي عليه وبعمله فتوجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادة خمسمائة سنة وبقيت نعم الجسد فضلا عليه فيقول ادخلوا عبدي النار فيهوي الى النار فينادي يارب برحمتك ادخلني الجنة فيقول ردوه فيوقف بين يديه فيقول ياعبدي من خلقك ولم تك شيأ فيقول أنت يارب فيقول ومن قواك لعبادة خمسمائة سنة فيقول أنت يارب فيقول ومن أنزلك في جبل وسط اللجة وأخرج لك الماء العذب من الماء المالح وأخرج لك كل ليلة رمانة وانما تطلع مرة في السنة وسألته ان يقبضك ساجدا ففعل فيقول أنت يارب قال فذلك برحمتي وبرحمتي أدخلك الجنة ادخلوا عبدي الجنة فنعم ما كنت ياعبدي فادخله الله الجنة قال جبريل عليه السلام وانما الاشياء برحمة الله يا محمد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ﴿لقد﴾ اللام واقعة في جواب سؤال مقدر والتقدير والله لقد ﴿سألت عن﴾ عمل ﴿عظيم﴾ لان عظم الشيء بعظم الاسباب والنجاة من النار أمر عظيم يكيف مع دخول الجنة ﴿وانه﴾ اي العمل الذي يدخل الجنة ويباعد عن النار ﴿ليسير على من يسره الله﴾ تعالى عليه بتوفيقه ونهيئه أسباب

ويروى أن الله تعالى يطلع الى مجالس الذكر فيقول لملائكتي وسكان سمواتي انظروا الى عبادي قد اجتمعوا الى عبد من عبادي يتلو عليهم من آياتي ويذكرهم آلائي أشهدكم اني قد غفرت لهم اللهم اغفر لنا أجمعين آمين والحمد لله رب العالمين

بالكرامات وأشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله صاحب الآيات الباهرات صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وفريقه الفائزين بالطاعات ﴿ عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال ان الله تعالى كتب الحسنات والسيآت ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وان هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة وان هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وان هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما ﴾ اعلموا اخواني وفقني الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم يدل على افضال الله تعالى على خلقه ورأفته بهم فهو رب كريم وفضله عظيم يضاعف الحسنات دون السيآت * وقال بعضهم هو من الاحاديث الالهية

الطاعة وشرح صدره للاسلام فيا يؤديه الى السعادة الابدية فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام اعملوا ما شئتم فكل ميسر لما خلق له وباطلاقه التوفيق ان ساعد على شيء تيسر وان دق ثقل الجبال ﴿ لعبد الله ﴾ عدل عن صيغة الامر تنبيها على المأمور كأنه مسارع الى الامتثال وهو يخبر عنه اظهارا لرغبته في وقوعه والمراد بالعبادة المعنى الشامل للشهادتين ولما عبر بالعبادة اسند الى ان يوضحها بقوله ﴿ لا تشركوا به شيئا ﴾ ومنه يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون أي يوحدون ويحتمل أن العبادة ههنا تشمل الايمان الباطن والاسلام الظاهر قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا والاقرب الاول كما قال الحافظ ابن حجر والعبادة كما قال شيخ الاسلام في شرح الرسالة القشيرية لها ثلاث درجات عليا ووسطى ودنيا فالعليا أن يعبد الله وحده امتثالا لأمره وقياما بحق عبوديته والوسطى أن يعمل الثواب الآخرة والدنيا ان يعمل للاكرام في الدنيا والسلامة من آفاتها وباعراه من الثلاث فهو من الرياء وان تفاوتت افراده واللام في قوله للاكرام لام العاقبة والسلامة لا لام العلة والعمل لله فقط لكنه يؤل عند الاطلاع عليه الى الاكرام وذكر بعض المفسرين عن بعض العارفين ما حصله ان العبادة لها ثلاث درجات اولها ان تعبد الله تعالى طمعا في الثواب وهربا من العقاب وهذا هو المسمى بالعبادة والوسطى ان تعبد الله لتتشرف بعبادته او لتتشرف بقبول تكليفه أو بالانتساب اليه وهذه أعلى من الاولى واعلاها ان تعبده لكونه إلها وخالقا ولكونك عبده وهذا يذكر على ما قاله شيخ الاسلام ﴿ وتقيم ﴾ بالرفع ﴿ الصلاة ﴾ وهو وما بعده من عطف الخاص على العام على المعنى الاول في تعبدوه عليه فيكون قد ذكر له التوحيد واعمال الاسلام والخاص على العام على المعنى الثاني ﴿ وتؤدي الزكاة ﴾ وهي القدر المخرج من النصاب المستحق وأتى بالزكاة عقب الصلاة لان الصلاة اعظم الطاعات البدنية والزكاة اعظم الطاعات المالية وقد كتب سلمان الى أبي الدرداء رضي الله عنهما يا اخي اياك ان تجمع من الدنيا مالا تؤدي شكره فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذي اطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ما لي ألا ادبت حق الله في ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ما لي ألا ادبت حق الله في فما يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور ﴿ وتصوم ﴾ شهر ﴿ رمضان وتحج البيت ﴾ الحرام ان استطعت اليه سبيلا ﴿ ثم قال ﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿ الا ادلك ﴾ اي ارشدك وهو عرض متضمن للحث نحو هل ادلكم على تجارة الآية اي اعرض ذلك عليك فهل تحبه فقصد به التشويق الى ما سيذكره له ليكون اوقع في نفسه واسبق في ملازمته واحمث على استفراغها لافادته ﴿ على ابواب الخير ﴾ اي طرقه واسبابه الموصلة اليه ومن ثم جعلها ابوابا له لترتبه عليها تشبيها له بامتعة في مكان له ابواب فهو استعارة مكنية تخييلية ثم الاضافة ان كانت بيانية كان المراد به الاعمال الصالحة التي يتوصل بها الى أعمال أكمل منها كما استفيد من تسميتها ابوابا فهو من المجاز البليغ لما فيه من تشبيه المعقول بالمحسوس وآثر جمع الدلالة اشارة الى تسهيل الامر على السامع ليزيد تشوقه واقباله وان كانت بمعنى اللام كان المراد به الجزاء العظيم وبها جمع الاعمال الصالحة ويدل للثاني رواية ابن ماجه الا ادلك على ابواب الجنة وللاول تخصيص بعض الاعمال بالذكر بقوله ﴿ الصوم ﴾ اي صوم النفل لان الفرض تقدم ﴿ جنة ﴾ بضم الجيم أي وقاية من استيلاء الشهوة والغفلة في

تحوا فاعتدظن عبدي بي الذي عن فضل الرب سبحانه وتعالى * قال العاجل
صلى الله عليه وسلم (ان الله كتب الحسنات والسيآت) أي قدر مقادير تضعيفها في اللوح المحفوظ أي في علمه تعالى واطلع

كتبه من الملائكة عليه فلا يحتاج بعون وقت الكتابة الى بيان مقدار ما يكتبون ثم بين ذلك اى تفصيل الذى اجمله فى قوله ان الله كتب الحسنات والسيئات رحمة لهذه الامة لانه قصر تضعيف اعمارها بمضعفين أبعد

العامل ومن النار فى الآجل قال الطيبى انما جعل الصوم جنة من النار لان فى الجوع سد مجارى الشيطان كما فى الحديث ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فسدوا مجاريه بالجوع فاذا سد مجاريه لم يجد فيه مدخلا فيه فلم يمكن سبب العصيان الذى هو سبب دخول النار وفى خبر النسائى الصوم جنة من النار كجنة احدكم من القتال ﴿والصدقة﴾ أى نفلا لان فرضها مر ذكره ﴿تطفئ﴾ بضم اوله وهمز آخره وان تحمر وفى رواية بكفر ﴿الخطيئة﴾ بالهمز وترك فعيلة ربما أسقطت الهمزة وشددت الياء والمراد الصغيرة لما مر بحق الله أما الكبيرة فلا يجزيها الا التوبة وأما حق الآدمى فلا يمحوه الا رضا صاحبه وورد أن امرأة جاءت الى حسان بن سنان فسألته شيأ فجعل ينظر اليها فاذا هى امرأة جميلة فقال ياغلام أعطها أربعة دراهم فقيل له انها تسألك درهما فعطيتها اربعة دراهم فقال لما نظرت الى جمالها خشيت ان تقع فى معصية فاحببت ان أعفيها عسى ان يرغب فيها احد فيتزوجها ورجع رجل ابنه فى تجارة فمضت أشهر ولم يقبل له على خبر فتصدق بزهاء ألفين وأربع ذلك اليوم فلما كان بعد ستة رجع ابنه سالما فسأله أبوه عن اصابك فى سفرك فقال غرقت لى سفينة بمالى وسط البحر وغرقت مع جملة الناس ولا ادرى بين اخذانى فطر حانى على الشط وقالا لى قل لوالدك هذا بزهاء ألفين فكيف لو تصدقت بزهاء ألفين فى ذلك وما مانع الصدقة فيصير العزيز ذليلا * وحكى ان رجلا يتلمس يوما ما يأكل هو وزوجته وبين يديهما دجاجة هو يتفرقس فيها ان يذبحها فتخرج اليه والتجوء فاتفق بعد ذلك ان الرجل افتقر وزالت نعمته وطلق زوجته وتزوجت بعده برجل فجاس يأكل فى بعض الايام هو وزوجته وبين يديهما دجاجة واذا بسائل يطرق الباب فقال لزوجته ادفعى له هذه الدجاجة فاخرجتها اليه فاذا هو زوجها الاول فدفعت اليه الدجاجة ورحمت وهى باكية فسألها زوجها عن بكائها فاخبرته ان السائل كان زوجها وذكرت له قصتها مع السائل الذى اتجره زوجها فقال لها زوجها انا ذلك السائل ﴿كما يطفئ الماء النار﴾ اذا ألقى عليها وانما استعار لفظ الاطفاء بقرينة قوله كما يطفئ الخ لان الخطيئة يترتب عليها العقاب الذى هو اثر الغضب المستعمل فيه الاطفاء وفيه استعارة تبعية لانه شبه اذهاب الصدقة للخطيئة بالاطفاء واستعاره له ثم اشتق منه الفعل او تخييلية لانه شبه الخطيئة بالنار واثبت لها ما هو من لوازمها من الاطفاء وخصت الصدقة بذلك لتعدى نفعها لان الخلق عيال الله وهى احسان اليهم والعادة ان الاحسان الى عيال الشخص يطفئ غضبه وسبب اطفاء الماء النار ان بينهما تضادا اذهى حارة يابسة والماء بارد رطب فقد ضادها بكيفيتيه والضد يدفع الضد ويعدمه وانما قال الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة ولم يقل الصوم والصدقة والصلاة فى جوف الليل بدون ما ذكر للاشارة الى اختلاف انواع الخير فان قلت ما اعراب ما ذكر قلت اما قوله الصوم مبتدأ خبره محذوف تقديره منها الصوم وقوله جنة خبر لمبتدا محذوف اى وهو جنة وكذا قوله والصدقة تطفئ الخطيئة * وقد سئل ابن عباس رضى الله تعالى عنهما اى الصدقة افضل قال الماء ألم تر الى اهل النار حين استغاثوا باهل الجنة ان أفيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله وروى ان سعدا اتى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اى الصدقة اعجب اليك قال الماء فحفر بئرا وقال هذه لام سعد وفى رواية اخرى انه قال يارسول الله ان ام سعد كانت تحب الصدقة فينفعها ان اتصدق عنها قال نعم وعليك بالماء وروى البخارى عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يمشى بطريق

بحسنة) اى اراد ها وصمم على فعلها (فلم يعملها كتبها الله) اى قدرها او امر الملائكة الحفظة بكتابتها (عنده) والعندية هنا للشرف (قوله حسنة كاملة) اى لا نقص فيها (قوله وان هم بها فعملها كتبها الله عنده) اعتناء بصاحبها وتقريظا له (عشر حسنات) ومصداق هذا قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وهذا اقل درجات التضعيف وقوله الى سبعمائة ضعف بكسر الضاد (الى أضعاف كثيرة) بحسب النية والاخلاص وكثرة النفع ونحو ذلك * ومصداق ذلك قوله تعالى مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء اى بعد السبعمائة وقوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة وقد جاء فى رواية الترمذى من حديث ابى هريرة الى سبعمائة ضعف الى ماشاء الله وفى حديث ابى ذر يقول الله تعالى من عمل حسنة فله عشر أمثالها وازيد على ذلك (قوله وان هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة) اى اذا كان تركها من اجل الله تعالى (وان هم بها فعملها كتبها الله

سيئة واحدة) عملا بالتفضل في جانب الخير والشر بل يقرر عدد ما أتى بها لعدم الاعتداد بها ومن ثم أكد تقليلها بواحدة المستفاد من النصر في قوله تعالى ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وقد جاء في أحاديث المعراج الصحيحة

ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وصل الى محل سمع فيه صريف الاقلام قال الله تبارك وتعالى ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيأ فان عملها كتبت سيئة واحدة ﴿ تنبيه ﴾ كتابة الملائكة لما ذكر تكون باطلاع الله لهم على ما في قلوبهم وقيل بل يجعل الله لهم علما بذلك ومن هم بالحسنة رائحة طيبة وبالسيئة رائحة خبيثة وقيل غير ذلك وليعلم ان الله تبارك وتعالى يغفر حديث النفس وهمت بفعله مالم تعمل أو تتكلم به لخبر الصحيحين ان الله تجاوز لامتي ما حدثت به أنفسها مالم تعمل أو تتكلم به والهاجس هو ما يأتي في النفس والخاطر وهو ما يجول فيها مغفوران ايضا بمعنى انه لا يؤاخذ بشيء منهما كالايخاب عليه أما العزم وهو قوة القصد والجزم به فيؤاخذ به وان لم يتكلم لقوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ولما تقدم في الحديث السابق ﴿ فصل في قوله تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد وما يتعلق به ذلك ﴾ قال ابن العماد في كشف الاسرار قيل أراد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد حذف الاول لدلالة الثاني عليه كقولهم قطع الله يد ورجل من

اشتد عليه العطش فنزل بئرا فشرب ثم خرج فاذا كلب يأكل الثرى من العطش فقال لقد بلغ هذا الكلب مثل الذي بلغ مني فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ثم رقي فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له قالوا يا رسول الله وان لنا في البهائم أجرا قال في كل كبد رطبة أجر وفي رواية في كل كبد حرى أجر وورد ان امرأة كانت بغيا رأت كلبا يطيف ببئر قد أدلع لسانه فنزعت خفها وسقته فغفر الله لها وعن عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من سقى مسلما شربة من ماء حيث يوجد الماء فكأنما أعتق رقبة ومن سقى مسلما شربة من ماء حيث لا يوجد الماء فكأنما أحياها وأخفاء الصدقة أولى لقوله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي ان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم الآية وأما رواه أنس انه عليه الصلاة والسلام قال ان صدقة السر تطفيء غضب الرب وتدفع ميتة السوء ولذا كان علي بن الحسين يحمل الخبز على ظهره بالليل ويتتبع به المساكين ويقول ان الصدقة في سواد الليل تطفيء غضب الرب ولما مات وجدوا في ظهره أثر سواد فقال الغاسل ما هذا فقيل انه كان يحمل جراب الدقيق على ظهره ويعطيه للفقراء أهل المدينة وكان اذا أتاه سائل رحب به وقال مرحبا بمن يحمل زادي الى الآخرة ﴿ فائدة ﴾ أخرج الشيخان من حديث طويل وانك ان تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله لا أجرت عليها حتى ما تجعل في امرأتك وأخرج أحمد باسناد جيد ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة أي ان كان مما لا بد منه لقصد التقوي به على الطاعة كما هو معلوم من القواعد الشرعية وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة وما أطعمت زوجتك فهو لك صدقة وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة وأخرج الطبراني باسناد حسن من أنفق على نفسه نفقة يستعف بها فهي صدقة ومن أنفق على امرأته وولده وأهل بيته فهي صدقة وهذا مفسر لما قبله وأخرج الدارقطني والحاكم وصحح اسناده كل معروف صدقة وما أنفق الرجل على أهل بيته كتب له صدقة وما وقى به المرء عرضه كتب له به صدقة وما أنفق المؤمن من نفقة فعلى الله خلفها على الله ضمان الا ما كان في بنيان أو معصية وفسرت وقاية العرض بما يعطي للشاعر وذي اللسان اتقى. اخرج الطبراني في الاوسط أول ما يوضع في ميزان العبد نفقته على أهله واخرج الطبراني باسناد صحيح كل ما صنعت الى أهلك فهو صدقة عليهم ﴿ وصلاة الرجل ﴾ خص بالذكر لان السائل رجل ولان الخير غالب في الرجال اذا كثر هرب النساء لا الاحتراز عن المرأة فلا تأثير له في ذلك ﴿ بجوف الليل ﴾ أي في وسطه وعبر في بعض النسخ بجوف الجر تأويب اولا بتداء الغاية فيكون مبدأ الصلاة جوفه او للتبعيض اي صلاة بعض جوف الليل اذهي فيه مطلقا. فضل منها في النهار لان الخشوع والتضرع فيه اسهل وأكمل وللامام احمد وقيام الرجل في جوف الليل يكفر الخطيئة قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل ينام الليل كله فقال ذاك رجل بال الشيطان في اذنه واوحى الله الى داود يا داود كذب في محبتي من اذا جن ليله نام عني وقال الخليل لابنه يا بني اني أرى في المنام اني اذبحك قال له يا أبت هذا جزاء من نام عن حبيبه لولم تنم ما أمرت بالذبح وقيل للحسن البصري ما بال المتهجدين من احسن الناس وجوها فقال لانهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره وعن ابي مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة غرفا يرى ظهرها من باطنها وباطنها من ظهرها أعدها الله لمن ألان الكلام واطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام ويحصل فضل قيام بصلاة ركعتين لخبر من قام من الليل ولو مقدر حلب شاة كتب من قوام الليل وخير من استفظ

من

من الليل رأيتك أمرأته فصليا ركعتين جميعا كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات * واختلف في فضل أجزائه والصحيح الذي دلت عليه الاحاديث انه ان جزأه نصفين فالنصف الثاني أفضل أو ثلاثا فالثالث أفضل أو أسداسا فالسدس الرابع والخامس أفضل وهذا هو الاكمل على الاطلاق لانه الذي واظب عليه النبي صلى الله عليه وسلم * وقال فيه أفضل الصلاة صلاة أخي داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه * ويروى الجديد بموته فقيل ما فضل الله به فقال طامت تلك الاشارات وغابت تلك العبارات وفنيت العلوم ونفدت الرسوم وما فقدنا الا تركيبات كنا نركبها عند السحر * وكان أبو حنيفة يحيي نصف الليل فاشار اليه انسان وهو حي وقال لغيره هذا يحيي الليل كله فلم يزل بعد ذلك يحيي الليل كله وقال اني استحيي من الله ان أوصف بما ليس في من عبادته وايمضوم

تغيرنا بعدكم بصحبة غيرنا * وأظهر نا الصبر ان ما كذا كنا
وأنكرتمونا أن لا تحولوا عن الهوى * فغيركم عن العهد القديم وما حلنا
ليالي كنا نغتدي بوصالكم * ونطوي الى تلك الليالي قصرنا

وقد اجتهد السلف الصالح من الصحابة والتابعين فمن بعدهم في قيام الليل كعثمان بن عفان رضي الله عنه فانه كان يصوم النهار ويقوم الليل الا شعبة أوله وكان يجمع القرآن في ركعة وعبد الله بن عمرو بن العاص وكان زوجه أبوه امرأة من قريش ثم جاء اليها فقال كيف وجدت بعلك قالت خير الرجال لم يلبس لنا كساء ولم يعرف لنا فراشا وعبد الله بن حنظلة قال مولى له يقال له سعد لم يكن لعبد الله فراش ينام عليه انما كان يثني نفسه هكذا اذا أعيا من الصلاة توسد رداءه وذراعه ثم يهجع قليلا وصفوان بن سليم كان أعطى الله عهدا أنه لا يضع جنبه على الارض فلما نزل به الموت قيل له رحمك الله الا تضطجع قال ما وفيت بالعهد اذا فاستند ومازال كذلك حتى خرجت نفسه قال أهل المدينة وتثقبت جبهته من كثرة السجود وعروة بن الزبير كان يقرأ القرآن كل يوم نظرا في المصحف ويقوم به الليل فما تراه ترك الا ليلة قطعت رجله ثم عاوده من الليلة المقبلة وسفيان الثوري كان يقول اذا جاء الليل هذه ليالي أموت فيها فما ينام حتى يصبح واذا أصبح قال كذلك وليس الثياب الرقاق في البرد حتى يمنعه البرد من النوم وعامر بن عبد قيس كان اذا جاء الليل قال أذهب عني النوم بحر النار فما ينام حتى يصبح وصهيب * حكي الامام مالك عنه انه كان بمكة فقالت له امرأته أفسدت نفسك نهارك ائم وليلك قائم فقال يا مولاتي اذا ذكرت النار طار نومي واذا ذكرت الجنة استقر شوقي والسري السقطي كان ورده في الليل والنهار خمسمائة ركعة والامام أبو الحسن الاشعري أقام نيفا وعشرين سنة يصلي الصبح بوضوء عشاء الآخرة وعبد العزيز بن أبي رواد كان يأتي فراشه فيريده عليه ويقول والله انك لين وفراش الجنة أين منك فيدرجه ويصلي الليل كله * وكان سيدي عبد الوهاب الشعراني قبل بلوغه ربما ختم القرآن في ركعة واحدة وكان أبو بكر كتيرا ما ينشد ويقول

الشوق والوجد في مكاني * قد منعاني عن القرار
في وهما لا يقسا رقاني * فذا شماري وذا داري

وكان سري السقطي ينشد ويقول

لا في النهار ولا في الليل لي فرح * فلا أبالي أطال الليل أم قصرا

الانسان فذكر عشرين ملكا كما قال مالك عن يمينك على حسناتك وهو امين على الذي على يسارك فاذا عملت حسنة كتبت عشرا واذا عملت سيئة قال الذي على الشمال للذي على اليمين أكتب فيقول لا لعله يستغفر ويتوب فاذا لم يتب قال نعم اكتب اراحنا الله منه فبئس القرين ما أقل مراقبته لله واقل استحياءه لقول الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وملكان بين يديك ومن خلفك لقول الله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله وملك قابض على ناصيتك اذا تواضعت لله عز وجل رفعك الله واذا تجبرت على الله عز وجل قصمك الله وملكان على شفتيك ليس يحفظان عليك الا الصلاة على النبي اشرف الانام صلى الله عليه وسلم وملك على فيك لا يدع الحية ان تدخل في فيك وملكان على عينيك فهؤلاء عشرة

املاك على كل آدمي تنزل ملائكة الليل على ملائكة النهار فهؤلاء وهؤلاء عشرون ملكا على كل آدمي وإبليس بالنهار وولده بالليل * قال الفاكهاني ان قلت ان الملائكة التي ترفع عمل العبد في اليوم هم الذين يأتون غدا ام

قالها رقيب بمعنى قاعد ثم قال واختلف في عدد الملائكة التي على كل انسان فقيل عشرون ملكا نقله الفاكهاني في شرح الرسالة عن المهدوي * وروي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم كم من ملك على

غيرهم * قلت الظاهر انهم هم وان ملاكي الانسان لا يفيران عليه مادام حيا وبوفحه قول الملكين في الحديث المذكور أراحنا الله منه فيتسلى الشريف والفقير المصاحب كما قال

لاني طرل ليلي هائم دنف * وبالنهار أقاسي الهم والكمدا

وعن علي بن بكار قال لي منذ أربعين سنة ما أحزنني الا طلوع الفجر وعن سيدي أحمد الرفاعي يقول

اذا جن ليلي هام قلبي بذكركم * أنوح كما ناح الحمام المطوق

وفرق سحاب تمطر الهم والاسى * وتحسي بحار بالاسى تتدفق

فلا هو مقتول ففي القتل راحة * ولا هو ممنون عليه فيعتق

وقوله وصلاة الرجل قال البيضاوي هو مبتدأ خبره محذوف أي كذلك يطلق الخطيئة أو هي من ابواب الخير والاول أظهر لاستشهاده صلى الله عليه وسلم الآية وهي متضمنة للصلاة والانفاق نقله الطيبي ثم قال والاظهر ان يقدر انظير شعار الصالحين كما في جامع الاصول ويفيد فائدة مطلوبة زائدة على القرينتين وهي انهما كما افادتا المباعدة عن النار ففيه هذه الادخال في الجنة وبهم الاستشهاد بالآية على قرة العين كناية عن السرور والفوز التام وهو مباعدة النار ودخول الجنة كما قال تعالى فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز ﴿ثم تلا﴾ لفظ ابن ماجه ثم قرأ يعني احتجاجا على فضل صلاة الليل ومدحا الفاعل ذلك قوله ﴿تتجافى﴾ أي تتنحى وترتفع وتتنبو ﴿جنوبهم﴾ جمع جنب وهو ما تحتها بناء الى كشحه ﴿عن المضاجع﴾ أي موضع الاضطجاع للنوم وهو الفرش لانه جمع مضجع بفتح الجيم وهو موضع الاضطجاع للنوم ﴿حتى بلغ يعملون﴾ وفي رواية الترمذي وابن ماجه حتى بلغ جزاء بما كانوا يعملون وذلك لما فيها من الثناء عليهم بهجر النوم وارتكاب مشقة السهر وظهور الخوف والاحتياج اليه تعالى والانفاق مما رزقهم المرتب عليه ما أخفي لهم من قرة أعين وجمهور المفسرين على ان ما في الآية كناية عن كثرة النزل بالليل فانهم أخفوا من اعمالهم فجوزوا بما أخفي لهم من قرة اعين وانما بنى اخفاؤه بالصلاة في جوف الليل فقيل انه كناية عن الصلاة بين العشاءين يرده ظاهر سياق هذا الحديث وقد جاء ان الله تعالى يباهي بقوام الليل في الظلام الملائكة يقول انظروا الى عبادي قد قاموا في ظلم الليل حيث لا يراهم احد غيري اشهدكم اني قد اوجبت لهم دار كرامتي وجاء اذا جمع الله الاولين والآخرين نادى منادٍ بصوت يسمع الخلائق سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم ينادي منادٍ ليقم الذين كانت لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فيقومون وهم قليل ثم ينادي منادٍ ليقم الذين كانوا يحمدون الله تعالى في السراء والضراء فيقومون وهم قليل ثم يحاسب سائر الناس وفي مسلم أفضل الصلاة بعد المكتوبة صلاة الليل وفي بهجة ابن ابي الدنيا ان يحيي عليه الصلاة والسلام صبيح ليلة قام عن حزبه حتى أصبح فاوحى الله تعالى اليه يا يحيى هل وجدت دارا خيرا من دارى او جوارا خيرا من جوارى وعزتي يا يحيى لو اطلعت على الفردوس اطلاعة لذاب جسمك وذهبت نفسك اشتياقا الى ولو اطلعت على جهنم اطلاعة لبكيت الصديد بعد الدموع وللبست الجلود بعد المسوح * وحكى الحافظ ابن رجب في لطائفه عن بعض العلماء انه نام عن تهجد ليالي فراي في منامه رجلين وقفا عليه فقال احدهما الآخر هذا كان من المستغفرين فترك ﴿ثم قال صلى الله عليه وسلم الا اخبرك برأس الامر﴾ اي الدين او العبادة او الامر الذي سالت عنه ﴿وعموده﴾ اي الذي يعتمد عليه كعمود الخيمة ﴿وذروة﴾ بتثليث الذال المعجمة والكسر افصح ﴿سنامه﴾ بفتح السين اعلاه لان سنام البعير ما ارتفع في ظهره ﴿الجهاد﴾ لما فيه من مقاساة الاهوال

والساعة لا يسئل الراحة منها انتهى وقوله تعالى يحفظونه من أمر الله فيه أوجه ستة أحدها أن من بمعنى الباء على معنى يحفظونه بامر الله والثاني أن المراد يحفظونه من امر الله على معنى يحفظونه من قضاء الله بقضاء الله وهو أمره لها بالحفظ وهذا كما قال عمر رضي الله عنه نفر من قدر الله الى قدر الله والثالث ان الوقف على قوله يحفظونه ومن أمر الله يتعلق بمحذوف التقدير ذلك الحفظ من امر الله أي من قضائه قال الشاعر

أمام ومخلف الرعب من لطف ربه

كوالي ء تنفي عنه ما هو يحذر

الكوالي ء الحوافظ قال الله تعالى قل من يكلؤكم وقول الملك أراحنا الله منه هو دعاء لانفسهما بالتحول عن مشاهدة المعصية لانهم يتاذون بذلك ويحتمل أن يكون هذا في حق الكافر الذي لا يتوب ولا يستغفر فان المؤمن من عادته وغالب أمره الاستغفار لا سيما عند وقوع المعصية ويحتمل تعميم وترك ذلك في سائر العصاة من الموحدين والكافرين ويكون دعاء عليهم بالموت وهو جائز قال الكرابيسي صاحب الشافعي في كتابه

ادب القضاء لو دعا على غيره بالموت لم يجز لانه دعاله بالخلاص من غم الدنيا قال وقد قيل له ما تحب قال اصحب ان يموت قبلي والا لم يحب قال بقتل ماله وولده وقتل (٣٤٦) الواحدي عن ابن مسعود انه قال

وترك الاشتغال بالاهل والعيال وسقط منه شطر ثابت في اصل الترمذي لانه تم الكلام بدونه وكانه انتقل نظره من سنامه الى سنام لفظ الترمذي بعد سنامه المذكور ﴿ قلت بلى يا رسول الله قال رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ﴾ فيحتمل ان السقط من الاصل الذي نقل منه المصنف ويحتمل أنه من بعض النساخ وفي قوله رأس الامر الاسلام الخ استعارة بالكناية تبعيها استعارة تشبيهية لانه شبه الامر المذكور بمحمل الابل وبالبيت القائم على عمد وأحضر هذا التشبيه في النفس ثم ذكر ما يلائم المشبه به وهو الرأس والسنام والعمود والمراد بالاسلام النطق بالشهادتين كما جاء مفسرا بهما في رواية أحمد وانما كان هو الرأس لانه لا حياة لشيء من الاعمال بدونه كما ان الحيوان لا حياة له بدون رأسه والصلاة العمود لانها التي يقيم البيت وبيئة الافتتاح به والصلاة هي التي تقيم الدين والجهاد هو ذروة السنام لان ذروة الشيء أعلاه والجهاد أعلى أنواع الطاعة من حيث ان به يظهر الاسلام ويعلو على سائر الاديان * واعلم انه اختلف في أفضل أعمال البر بعد الفرائض فقال مالك وأبو حنيفة العلم ثم الجهاد لقوله صلى الله عليه وسلم ما جميع أعمال البر في الجهاد الا كنقطة في بحر وما جميع أعمال البر والجهاد في طلب العلم الا كنقطة في بحر وقال الشافعي أفضلها الصلاة فرضا ونفلا وقال أحمد أفضلها الجهاد وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم سئل اي الاعمال أفضل فقال تارة الصلاة لاول وقتها وتارة الجهاد وتارة بر الوالدين وحمل على اختلاف أحوال السائلين لانه صلى الله عليه وسلم كان طبيبا الخلق فرب شخص كان الغالب عليه ترك المحافظة على الصلاة فقال له الصلاة في أول وقتها ورب شخص كان الغالب عليه ترك الجهاد فقال له الجهاد ورب شخص كان الغالب عليه ترك بر الوالدين فقال له بر الوالدين واختلاف الازمان فرب عبادة في زمن أفضل من غيرها أو ان من مقدورة اي من افضل الاعمال وعن ابي أمامة الباهلي انه قال خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوة من غزوا تهفمر رجل بغار فيه شيء من ماء وحوله شيء من البقل فحدث نفسه بان يقيم في ذلك الغار يشرب مما فيه من الماء ويصيب مما حوله من البقل ويخلي عن الدنيا قال لو اني أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فان اذن لي فعلت والا لم افعل فاتاه فقال يا نبي الله اني مررت بغار فيه ما يقوتني من الماء والبقل فحدثتني نفسي ان اقيم فيه وأتخلى عن الدنيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لم ابعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكني بعثت بالحنيفية السمحة والذي نفس محمد بيده لغدوة او روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ولمقام احدكم في الصف خير من صلاته ستين سنة وروي الحاكم ان عثمان بن مظعون جاء الى المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال حدثتني نفسي بان اختصي فقال خصاء امتي الصوم فقال حدثتني نفسي بان أترهب في رؤس الجبال فقال ترهب امتي الجلوس في المساجد وانتظار الصلاة فقال اريد ان اسيح في الارض فقال سياحة امتي الغزو في سبيل الله تعالى فقال حدثتني نفسي بان اطلق امرأتي فقال المهاجر من امتي من هجر ما حرم الله فقال حدثتني نفسي أن لا آكل اللحم فقال انا اشتهيه وآكله وقد قال بعضهم

الجود بالمال جود فيه مكرمة * والجود بالنفس اقصى غاية الجود

قال الطيبي وانما خص هذه المرتبة بالباء والاولى بعلى لان هذه المرتبة اجمع واشمل لان المعنى بامر الدين وهو مشتمل على ابواب الخير وعلى ما قبله من نحو تعبد الله الخ ولهذا اتى بالباء في المرتبة الثالثة الآتية واكدها بكله لكونها اجمع منها وهذا الترقي ينبهك على جواز الزيادة في الجواب

والله ما من اعمال الا والموت خير له لانه ان كان مؤمنا فان الله تعالى قال وما عند الله خير للابرار وان كان كافرا فان الله تعالى قال انما نملي لهم ليزدادوا إثما واختلفوا في موضع جلوس الملكين من الانسان فقال الضحاك مجلسهم تحت الشعر على الخنك قال البغوي ومثله عن الحسن البصري وكان يعجبه ان يخلف عنفقته وروى ابو نعيم في تاريخ اصبهان انه صلى الله عليه وسلم قال نقوا أفواهكم بالخلال فانها مجلس الملكين الكريمين الحافظين وان مدادهما الريق وقلمهما اللسان وليس عليهما شيء أضر من بقايا الطعام بين الاسنان قال ابو طالب المكي في تفسيره يروى ان الملك على نائب الانسان الذي يأكل به وقلم ذلك لسان الانسان ومداده ريق الانسان قال وهذا تمثيل في القرب والله اعلم بكيفية ذلك * واما الذي تكتب فيه الحفظة فدواوين من ورق كما قال تعالى وكتاب مسطور في رق منشور على احد الاقوال فيه وقال تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا قال البغوي وفي الآثار ان الله تعالى يامر الملك بطي الصحيفة اذا تم عمر المرء فلا تنشر الى يوم القيامة والظاهر ان هذه الكتابة

التي تصحبها الملائكة ليست بمرتبة الاحرف ويدل عليه ان الغزالي ذكر عن الاوزاعي المحفوظ ان المكتوب فيه ليس معروفا قال وانما ثبوت المعلومات فيه كثير نبها في النقل والقائل باختلفوا فيما تكتبه الملائكة على بني آدم

فنقل البغوي عن مجاهد وابو طالب عن الحسن وقتادة انهما يكتبان كل شيء حتى أينه في مرضه وايد هذا القول بقوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت قيل في التفسير ان الملائكة اذا صعدت بعمل العبد محا الله عنه المباحات واثبت فيه الحسنات والسيآت المأمور أم حبيبة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل كلام ابن آدم عليه لا له الا امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله قاله ابو طالب وابن عطية وغيرهم ويروى ان رجلا قال لبعيره حل فقال صاحب الحسنات ماهي بحسنة فاكتبها وقال صاحب السيآت ماهي بسيئة فاكتبها فاوحى الله تعالى الى صاحب الشمال ماتركت صاحب اليمين فاكتبه قال البغوي وقال عكرمة لا يكتبان الا ما يؤجر عليه او يؤزر * روى البغوي بسنده الى ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيآت فاذا عمل

جلس

حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر قال ابو طالب

والسؤال مندفع بان معنى تعليمه سوق الكلام مطابقا لما في الواقع من غير زيادة ولا نقص وسوق الثاني ان يشعر المخيب الامور بما اطيب الرفق به في شفاء العليل والمراد بالكلام الكفر أخذ في كلم على جهاد النفس وقسمها على الكلام فيما يؤذي فيها بقوله ثم قال صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك بملاك ذلك كله اي بما يتكفل بضبطه او يقتضي دوامه او بما يقوم به جمعي اذا وجدت كانت تلك الاعمال كلها على غاية من الكمال وهي اية من سقاه الاحوال الان الجهاد وغيره من أعمال الطاعات غنيمة وكف اللسان عن الخوض سلامة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم من صمت نجا والسلامة في نظر العقلاء مقدمة على الغنيمة ؟ قلت بل يا رسول الله فاخذ بلسانه ؟ الباء زائدة تؤكد والضمير راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم أي امسك النبي صلى الله عليه وسلم لسان نفسه بيده ثم قال كف ؟ من كف متصرف في رواية اذا كففت فاني اكف عليك او عنك او ضمن كف معنى احبس والمعنى احبس عليك لسانك لا تؤذيك بالكلام ؟ هذا اي عن الشر ان آفته عظيمة ولذا قال الغزالي اللسان من نعم الله العظيمة وهو لطيف في جثة صغير جرمه عظيم ما يحصل بجرمه اذ لا يتبين الكفر والايمان الا به وكلما يتناوله التكليف به عنه اللسان اما حق او باطل وهذه ناحية لا توجد في سائر الاعضاء فان كل عضو يقتصر على منفعته فمن اطلق عنان لسانه ملكه الشيطان ولا ينجو من شره الا ان يلجمه بلجام الشرع فلا يطلقه الا فيما ينفع في الدنيا والآخرة ويكفه عن كل شيء يخشى غائلته واعصى الاعضاء من الانسان اللسان فانه لا تعب في تحريكه ولا مؤنة في اطلاقه فتساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغرائله والحذر من مصائده وحبائله اه وفي الحكمة لسانك اذا اطلقته فرسك واذا امسكته حرسك وكان ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يمسك لسانه ويقول هذا الذي اوردني الموارد فالمأمور في المنام يقول له ما الذي اوردك لسانك قال قال لا اله الا الله فاورد في الجنة وفي الحديث طوبى لمن ملك لسانه ووسعه بيته وبكى على خطيئته وقال بعض الحكماء لا شيء احق بالسجن من اللسان وقد جعله خلف الشفتين والاسنان ومع ذلك يكسر القفل ويفتح الابواب وقال بعضهم في الصمت سبعة آلاف خير وقد اجتمع ذلك كله في سبع كلمات في كل كلمة منها الف اولها ان الصمت عبادة من غير عناء والثاني زينة من غير مولى والثالث هيبة من غير سلطان والرابع حصن من غير حائط والخامس استغناء عن الاعتذار الى الناس والسادس راحة الكرام الكاتبين والسابع ستر لعيوبه لان الصمت كما قيل زين للعالم وستر للجاهل وقيل ثلاثة اشياء تقسي القلب الضحك من غير تعجب والاكل من غير جوع والكلام من غير حاجة وذكر عن الاوزاعي انه قال المؤمن يقل الكلام ويكثر العمل والمنافق يكثر الكلام ويقل العمل وقال ابو بكر بن خلف الخمي

يموت الفتى من عثرة من لسانه * وليس يموت المرء من عثرة الرجل
فعثرته من فيه ترمي برأسه * وعثرته بالرجل تبرا على مهل

وعثر المتوكل بالبساط فجلس وتمثل ببيتين البيتين * وقوله كف يحتمل عمومه وخصص منه الكلام بخير لحديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت ويحتمل انه من باب المطلق استعمل في الكف عن الشر فلا يبقى له دلالة على غير ذلك ومنشأ الاحتمالين ان الفعل يدل على المصدر لكن هل يقتضي المصدر معرفا فيعم او منكرا فلا يعم كما كف كفا او على ان المصدر

وروى أنه اذا كان الليل قال صاحب اليمين لصاحب الشمال تعال الا نبيك واطرح أنا حسنة وأنت عشرا حتى يسقط ما معه من السيئات ولا سيئة معه ﴿فائدة﴾ روى ناشئة المجالس عما يؤثر الوباء بن غلبت آحاده أعشاره فالآحاد للسيئات والاعشار للحسنات والمعنى أن من عمل حسنة واحدة وعشر سيآت تكفر عنه عشر سيآت ومن عمل حسنة واحدة واحدى عشرة سيئة فقد غلبت آحاده اعشاره فاويل له ان لم يعف الله تعالى عنه ﴿قال الواحدي في تفسيره﴾ روى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى وكل بعبده ملكين يكتبان عليه فاذا مات قالا يارب قد قبض عبدك فلان اين نذهب قال اما لي ملوءة من ملائكتي يعبدوني وأرض مملوءة من ملائكتي يطيعوني اذهبا الى قبر عبدي فسبحاني وكبراني وهللاني واكتبا ذلك في صحيفة عبدي ذلك الى يوم القيامة فهذا يدل على ان الحفظة اثنان وقوله تعالى ان قرآن الفجر كان مشهودا يدل على ان الحفظة أربعة اثنان بالليل واثنان بالنهار على ما ذكره المفسرون حيث قالوا سمى الله صلاة الصبح مشهودة لانها تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار فهم أربعة اذا صعدا اثنان حفظه اثنان لا يفترون اللهم وفقنا لطاعتك أجمعين آمين والحمد لله رب العالمين

جنبي فيم أولا فلا ﴿قلت يارسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به﴾ اللام للتاكيد وهذا استفهام استثبات وتعجب واستغراب يدل على أن معاذا لم يكن يعلم ذلك ولا ينافي خفاءه هذا عليه قوله صلى الله عليه وسلم في حقه أعلمكم بالحلال والحرام معاذا بحمل ذلك على المعاملات الظاهرة بين الناس والمؤاخذة المذكورة في معاملة السيد مع عبده أو انه انما صار أعلمهم بذلك بعد هذا السؤال وأمه من طريق التعلم ﴿فقال ثكلتك﴾ بمثلثة وكاف مكسورة ولام مفتوحة أي فقدتك ﴿أمك﴾ زاد ابن ماجه يامعاذ والثكل بضمتين الكناية وفتحها فقد المرأة ولدها وليس المراد حقيقة بدعاء الله عليه بالموت بل هو من الالفاظ التي تجري على اللسان في المحاورات للتاديب والتنبيه من الغفلة كتربت يداك أو ان الموت لما كان بيد كل أحد كان الدعاء به عليه كالدعاء أو ان المراد ان لم تمت هذا كان الموت خيرا لك من الحياة ﴿وهل﴾ حرف استفهام انكاري بمعنى النفي ومنه هل جزاء الاحسان الا الاحسان ﴿يكب﴾ بضم الكاف اي يلقي قال الطيبي مضارع كبه بمعنى صرعه على وجهه فانكب سقط على وجهه وهذا من النوادر فان ثلاثيه متعد ورباعيه لازم تقول كببت الشيء فاكب ﴿الناس﴾ اي اكثرهم ﴿في النار﴾ اي نارجهنم ثم ﴿على وجوههم أو قال﴾ شك من الراوي ﴿على مناخرهم﴾ جمع منخر بفتح الميم وكسر الخاء المعجمة وفتحها ثقبة الانف وليس في رواية النزار الا المناخر بلا شك ﴿الا حصائد﴾ جمع حصيدة بمعنى محصودة من حصد الزرع اذا قطعه ﴿ألسنتهم﴾ أي ما تكلمت به من الاثم كالكفر والقذف والسب والنميمة وغير ذلك واضافة حصائد الى الالسنة من اضافة اسم المفعول الى فاعله أي محصودات الالسنة شبه ما تكسبه الالسنة من الكلام الحرام بحصائد الزرع بجامع الكسب والجمع وشبه اللسان في تكلمه بذلك بحد المنجل الذي يحصد به الناس الزرع ففيه استعارة بالكناية من حيث شبه ذلك الكلام بالزرع المحصود والانسان بالمنجل ورشحها باستعارة ترشيحية لان الحصاد يلائم المشبه به دون المشبه والحصر في ذلك اضافي اذ من الناس من يكبه في النار عمله لا كلامه لكن خرج ذلك مخرج المبالغة في تعظيم جرائم اللسان كالحج عرفة أي معظمه ذلك كما أن معظم أسباب النار الكلام ولان الاعمال يقارنها الكلام غالبا فخصه من ترتب الجزاء عليه عقابا وثوابا وفي المعجم الكبير للطبراني والبيهقي في الشعب من حديث أبي وائل عن ابن مسعود قال ارتقى ابن مسعود الصفا فاخذ بلسانه فقال يا لسان قل خيرا تغنم واسكت عن شر تسلم من قبل ان تندم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أكثر خطايا ابن آدم من لسانه ولابي الشافعي رضي الله تعالى عنه

احفظ لسانك أيها الانسان * لا يلدغنك انه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه * كانت تهاب لقاءه الشجعان

﴿رواه الترمذي﴾ في جامعه ﴿وقال حسن صحيح﴾ لكن في الجامع زيادة على ما ذكره المصنف هنا ولفظه عن معاذ قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فاصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير فقلت يارسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة فذكره

﴿الحديث الثلاثون﴾

﴿عن أبي ثعلبة﴾ بفتح المثلثة ﴿الخشني﴾ بضم المعجمة الاولى وفتح الثانية وكسر النون نسبة الى خشينة مصغر بطن من قضاعة بن مالك بن حمير ﴿جرثوم﴾ بفتح الجيم والمثلثة بينهما راء مهملة وقيل جرتومة وقيل جرثم وقيل غير ذلك قال ابن دحلان والاكثر على أن اسمه جرهم بضم الجيم

عبده ورسوله الشفيع المشفع في عرصات القيامة صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين فازوا بالسلامة (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني أعطيته ولئن استعاذني لأعيذنه رواه البخاري ﴿ اعلموا إخواني وفقني الله وإياكم لطاعته أن هذا الحديث حديث عظيم وهو أصل في السلوك والتقرب إلى المولى تبارك وتعالى والوصول إلى معرفته وهو من الأحاديث الإلهية لأنه من كلام الله تعالى رواه النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن ربه عز وجل (قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى قال من عادى لي وليا) أي اتخذ عدوا (فقد آذنته)

والظاهر أن ناشر بالراء من النشر لأنه يقال نشر الميت بعد موته نشورا إذا عاد حيا وقيل لا يستعمل إلا في الخير وقيل لا يشترط ذلك وقيل لا يستعمل إلا في الشر بالنون بعد الشين المعجمة مكسورة وهم لا يسوقها إلى الشام وقيل لا شر وقيل لا كفر حتى إن اسمه ناشم بالنون بعد الشين المعجمة مكسورة وهم يقال إنهم من الأشتر بن النضر بن قيسه بضم الهمزة وفتح القاف وتشديد الصاد المهملة بن معاوية بن مالك بن حمير وهو مشهور بكنيته كان ممن بايع تحت الشجرة وضربه له صلى الله عليه وسلم بسهمه يوم خيبر وأرسله إلى قومه فأسلموا ونزل الشام ومات أول إمرة معاوية وقيل في إمرة يزيد وقيل في إمرة عبد الملك سنة خمس وتسعين وله إحدى وأكثر وقال بعضهم إني أرجو أن لا يخفى الله كما أراكم تختفون عند الموت فبينما هو يصلي فرض وهو راجل (رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى فرض) واقترض بمعنى (فرائض بأن أوجب الزم العمل بها والفرض لغة القطع والتقدير واصطلاحا ما يثاب على فعله ويعاقب على تركه ويراد به الواجب اللازم الراجح فإن الفرض ما لا يجبر بالدم والواجب ما يجبر بموفرق الحنفية بينهما بأن الفرض ما ثبت بدليل قطعي كالصلاة والزكاة والواجب ما ثبت بدليل ظني كانتا بتنا قياس وغيره إلى أحد كصدقة الفطر وعند الشافعي الفرض والواجب مترادفان ثم الفرض إما أن يتعلق بالأعيان أو بالكفاية فأصول الأعيان خمس والزكاة والصوم والكفاية كصلاة الجنازة ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (فلا تنتهكوها) بالترك أو التهاون فيها حتى يخرج وقتها بل قوموا بها كما فرض عليكم وقد سمع النبي صلى الله عليه الصلاة والسلام رأى ليلة الإسراء قوما ترضخ رؤوسهم كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك فقال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين تثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة وما ظلمهم الله شيئا (وحد حدودا) جمع حد وهو لغة الحاجز بين الشيئين الذي يمنع اختلاط أحدهما بالآخر وشرعا عقوبة مقدرة من الشارع تزجر عن المعصية وسميت العقوبة بذلك لكونها تحجز الفاعل عن المعاودة أي جعل لكم حواجز وزواجر مقدرة تحجزكم عما لا يرضاه وقد ورد حد يقام في الأرض خير من مطر أربعين صباحا وتطلق الحدود على الزواجر على الأوامر كالمواريث المقدرة لتزويج المحارم والنواهي كالتقريب والفواحش والمراد الأول إذ لو حمل على الثاني لتكرر مع ما قبله وتكرر معه بعده ويصح إرادة الثاني ويكون ذكره مع ما قبله وما بعده من ذكر العام بعد الخاص عكسه (فلا تعتدوها) أي لا تجاوزوها وقفوا عندها ومن تجاوز فقد ظلم نفسه وأوردها موارد الهلاك وجلد عمر رضي الله عنه في الخمر ثمانين ليس فيه زيادة محظورة وإن اقتصر صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فيه على أربعين لأن الناس لما أكثروا من الشرب زمنه لم يكثروه قبله استحقوا أن يزيد في جلدهم تنكيلا وزجرا فكانت الزيادة اجتهادا منه لما هي صحيح مسوغ لها ومن ثم قال علي كرم الله وجهه ورضي عنه إن كلا من الزيادة وعدمها سنة أي لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالاقتداء بعمر خصوصا بقوله اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر وعموما بقوله عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين في الحديث السابق (وحرم أشياء) كالميتة والدم وأكل مال اليتيم والربا (فلا تنتهكوها) أي لا تتناولوها ولا تقربوها قال الجوهري انتهاك الحرمة تناولها بما لا يحل لأن انتهاك الشيء تناوله وحكي عن بعض السلف أنه قال ما رأيت المعاصي تزري فتركتها مروءة فصارت ديانة وعن العوام بن حوشب أنه قال نزلت مرة حيا وإلى جانب ذلك الحي مقبرة فلما كان بعد العصر انشق منها قبر فخرج منه رجل رأسه رأس حمار وجسده جسد انسان فنهق ثلاث نهقات ثم انطبق عليه القبر فإذا عجوز تغزل شعرا يصوفا فقالت امرأة تري تلك العجوز قلت ماها قالت تلك أم هذا قلت وما

كانت

بالمد وفتح الذال المعجمة بعدها نون (بالحرب) أي أعلمته بأني محاربه عنه بمعنى أني مهلكه والولي فيه وجهان أحدهما أنه

فعيل بمعنى مفعول كقتيل وجريح بمعنى مقتول ومجروح قيل هذا مؤمن يتولى الله بطاعته وعقائده فلا يكله الى نفسه لحظة كما قال تعالى وهو يتولى الصالحين والثاني انه دليل على ما قبله فاعلم كرحمك الله علما

كانت تحضنه قالت كان يشرب الخمر فاذا أراد أن يقيء قال ائتوني بالقدح الذي أشرب فيه الخمر فيقيء فيه فاذا امتلأ تنحنح فيبول فيه كما يبول الحمار قالت فبات عندها ذات ليلة فسمعته يقوم بعد العصر كل يوم يتوضأ ويتحنح فيبول ثم يطرق على القبر وعن بعضهم قال يا رب أذنبت ولا أعاقبني فاوحى الله الى نبي وقته قل لصاحب هذا الكلام عاقبتك ولم تشعر أعظم من أن خليت بينك وبين مخالفتي وعن ابن شبرمة انه قال العجب ممن يحتمي من الطعام مخافة الداء ولا يحتمي من الحرام مخافة النار ﴿ وسكت عن ﴾ ذكر حكم ﴿ أشياء ﴾ فلم ينص على وجوبها ولا على تحريمها لا انه تعالى سكت عنها حقيقة لان الكلام من صفاته القديمة المستمرة فلا ينقطع كلامه ولا يتناهى لان الانقطاع والتناهي من صفات المحدثات والله تعالى منزه عن ذلك ﴿ رحمة لكم ﴾ مفعول لاجله اي لاجل رحمته ورأفته بكم لا تحريمه عليكم حاشا كرم ذلك ﴿ غير نسيان ﴾ لاستحكام الامر لدى ربي ولا ينسى وما كان ربك نسيا والنسيان ترك الشيء بلا قصد وبعد حصول العلم ﴿ فلا تبحثوا عنها ﴾ لان السؤال عما سكت الله عنه ربما أفضى الى التكليف بالشاقة لان البحث عنها ان كان في زمن المصطفى صلى الله عليه وسلم ربما أفضى الى تشديد بايجاب وتحريم وقد قال صلى الله عليه وسلم ان أعظم المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم لاجل مسألته وان كان في غير مفهوم من التعمق والتنطع والبحث عما لا ينبغي وقد قال عليه الصلاة والسلام من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه والبحث لهذا الشقاق يريد به من سكوت رحمة لنا عم النهي عن البحث عنها أنه لا حكم قبل ورود الشرع وهو الاصح عند المحققين لان الحكم عند أهل السنة لا يكون الا بالشرع وقال أبو الوفاء بن عقيل على الاباحة لان الله تعالى خلق لنا ما في الارض جميعا فكل عالم بحرمه فهو مباح وقال الاسفرايني على الحظر وسكت الشرع للذهول فان لم ينص أي كالكل انه كبيرة فقد لنا هم الوقف على الحظر والاباحة ﴿ حديث حسن ﴾ بل صححه ابن الصلاح وغيره كأبي حاتم وأبي زرعة وابن عبد البر وقول من لم يسمع من أبي ثعلبة معارض بقول ابن معين سمع والمثبت مقدم على النافي ﴿ رواه ﴾ الامام الحافظ علي بن عمر ﴿ الدارقطني ﴾ نسبة الى دارقطن محلة ببغداد

﴿ الحديث الحادي والثلاثون ﴾

﴿ عن أبي العباس ﴾ وقيل أبي يحيى ﴿ سهل ﴾ وقيل سعد وما قاله المصنف أصح له ولابيه صحبة ولد سنة تسع وماتين ومات سنة ثلاث وسبعين ومائتين ﴿ ابن سعد ﴾ بن مالك بن سنان بن خالد بن ثعلبة ابن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج ﴿ الساعدي ﴾ بكسر المهملة نسبة الى جده ساعدة بن كعب بن الخزرج كان اسمه حزنا فسماه النبي صلى الله عليه وسلم سهلا وكان يوم مات النبي صلى الله عليه وسلم ابن خمس عشرة سنة ومات سنة ثمان وثمانين وله مائة سنة وقيل اسعدي وتسعين بالمدينة وهو آخر من مات بها من الصحابة على قول وقيل بمكة كما مر وأحصن سبعين امرأة وشهد فتحها النبي صلى الله عليه وسلم بين الثلاثين ﴿ رضي الله عنه ﴾ يذبغي عنهما لان والده سعد بن مالك صحابي أيضا روي له مائة حديث وثمانية وثلاثون اتفقا منها على ثمانية وعشرين وانفرد البخاري باحد عشر ﴿ قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله دلني ﴾ بضم الدال وفتح اللام مشددة ﴿ على عمل ﴾ هو فعل من الانسان من قصد واختيار كما مر والمراد هنا عمل صالح ﴿ اذا عملته أحبني الله ﴾ محبة الله العبد رضاه عنه واحسانه اليه لان المحبة ميل طبيعي وهو في حقه محال فالمراد غايتها ﴿ وأحبني الناس ﴾ لان محبتهم تابعة لمحبة الله فاذا

فعلى هذا هو من يتولى عبادة الله تعالى وطاعته فيأتي بها على التوالي من غير ان يتخللها عصيان أو فتور وكلا المعنيين شرط في الولاية فمن شرط الولي أن يكون محفوظا كما من شرط النبي ان يكون معصوما فكل من كان للشرع عليه اعتراض فليس بولي بل هو مغرور مخادع كذا ذكره الامام أبو القاسم القشيري رضي الله تعالى عنه وغيره من أئمة الطريق رحمهم الله تعالى ﴿ تنبيه ﴾ قال الفاكهاني رحمه الله من حاربه الله أهلكه وقال غيره ايذاء أولياء الله علامة على سوء الخاتمة كأكل الربا فانا الله تعالى من ذلك ثم من والى أولياء الله تعالى اكرمه الله ومن عادى اولياء الله اهلكه الله قال أبو تراب النخشبي رحمه الله من ألف الاعراض عن الله صحبته الوقيعة في حق أولياء الله ﴿ نكتة ﴾ تناسب المقام روى عن حاتم الاصم عن جماعة من أصحاب العلوم والهمم ان جرجيس نبي الله نبي من أنبياء بني اسرائيل كان في زمانه ملك كثير الفساد مصر على مظالم العباد فمنع الله تعالى عنه المطر حتى أشرف هو ومن معه على الهلاك والضرر فركب هذا الملك الكافر الظالم الغادر في عساكره حتى

أسبابه التي تحببه في قلوب خلقه لقوله تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا وقوله صلى الله عليه وسلم إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل فقال إني أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض (فقال ازهد) من الزهد بضم أوله وفتحه ويقال الزهادة وهو لغة الإعراض عن الشيء احتقارا له وشرعا أخذ قدر الضرورة من المال المتيقن الحل فهو أخص من الورع إذ هو ترك المشتبه وقيل ترك الدنيا عن قدرة ولذا قال الطيبي لا يتصور الزهد عمن ليس له مال ولا جاه وقيل لابن المبارك يا زاهد قال الزاهد عمر بن عبد العزيز إذ جاءته الدنيا راغمة فتركها أما أنا ففيم زهدت وقيل تفريق المجموع وترك طلب المفقود والإيثار عند القوت قال أبو يزيد ما غلبني أحد ما غلبني شاب من أهل بلخ من علينا حاجا فقال يا أبا يزيد ما حد الزهد عندكم فقلت إذا وجدنا أكلنا وإذا فقدنا صبرنا فقال هكذا كلاب بلخ عندنا فقلت وما حد الزهد عندكم فقال إذا فقدنا شكرنا وإذا وجدنا آثرنا وقد تقدم هذا وقيل النظر إلى الدنيا بعين الاحتقار فتصغر في عينك ليسهل عليك الإعراض عنها وقيل سلو القلب عن الأسباب ونفض اليد من الأملاك وقيل قصر الأمل واليأس عما في أيدي الناس ومن ثم قال الضحاك إنه قيل يا رسول الله من أزهد الناس قال من لم ينس المقابر والبلى وترك فضول زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد من أيامه غدا وعد نفسه من الموتى وقيل أن لا تأسى على ما فاتك من الدنيا ولا تفرح بما آتاك منها وقيل خلو اليد من الملك والقلب من الشح وأحسن ما حده كما قال ابن القيم أنه فراغ القلب من الدنيا لا فراغ اليد وهذا زهد العارفين وأعلى منه زهد المقربين وهو الزهد فيما سوى الله من دنيا وجنة وغيرها إذ ليس لصاحب هذا الزهد مقصد إلا الوصول إليه تعالى والقرب منه وقال إبراهيم بن أدهم الزهد ثلاثة أصناف زهد فرض وزهد سلامة وزهد فضل فالزهد الفرض الزهد في الحرام وزهد السلامة الزهد في المشتبهات والزهد الفضل الزهد في الحلال وعلى هذا فالزاهد في الحرام ليس زاهدا أو قول لا يسمى إلا إذا انضم لذلك الزهد بنوعيه الأخيرين من ترك الشبهات رأسا وفضول الحلال ومن ثم قال بعضهم لا زهد اليوم لفقد الحلال المحقق وقال الإمام أحمد هو على ثلاثة أوجه ترك الحرام وهو زهد العوام وترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص وترك ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين وحكي عن جماعة من الصوفية أنهم كانوا في موضع على التوكل فمضت عليهم مدة ولم يفتح عليهم بشيء فاتفق أن أحدهم خرج إلى الوضوء فخطر ببال أحدهم أن في زاوية ذلك الفقير شيئا من الدنيا فنهض ففتشها فوجد فيها نصف درهم أسود فقال أصحابه كيف يفتح علينا ومع صاحبنا شيء معلوم قد كتمه منا فأمسكوا وأعادوه بستره كما كان ثم دخل الرجل من الباب وجمعهم قد تهيؤا لينصرفوا فقيل لهم لم تنصرفون فقال لأنكم أفسدتم حجتي قالوا وكيف قال لأني ادخرت ذلك النصف درهم لسبب وذلك أن الله إذا أحضر خلقه للحساب أتيت بذلك النصف درهم الأسود أضعه بين يديه وأقول هذا ما فتحت به علي من الدنيا وأكتفي الحساب فإني لم يفتح علي من الدنيا بغيره فتعجبت الجماعة من ذلك وطابت قلوبهم (في الدنيا) باستصغار جملتها والاحتقار لجميع شأنها لتصغير الله تعالى لها وتحقيره إياها وتحذيره من غرورها في غير ما آية من كتابه نحو قوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقوله إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء إلى صراط مستقيم وقوله قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى قال بعضهم وصفها بالمتاع إثلا

أتى الملك جرجيس فوجده في صومعته وهو يكثر التسبيح والتقديس فقال له يا جرجيس إني أحمل رسالة إليك من ربك فقال له جرجيس وما ذلك قال يقول لك ربك إن لم تأتنا بالمطر والآذية أذية يسمعها سائر البشر فما منعنا المطر غيره قال فدخل جرجيس إلى محرابه وقال حرسي من خوف الله تعالى حرست حيا به فجاءه جبريل بأمر الملك الجليل فقال له ما هذه الرسالة التي معك على الوجه الذي قال لك فقال جرجيس إني أخاف من الله ذي الجلال عند مقال ذلك القول على ما قال فقال جبريل يا جرجيس قل كما قال هكذا أمر العزيز المتعال فقال جرجيس قال إن لم تأتنا بالمطر والآذية أذية يسمعها سائر البشر فقال جبريل يا جرجيس ربك يقول لك قل له بماذا تؤذيه فمضى جرجيس إليه وأعاد الرسالة عليه فقال الملك لا قدرة لي على أذيته إلا من وجه واحد لأني ضعيف وهو قوي وأنا عاجز وهو قادر وإنما أوذي أحبابه ومن آذى أحباءه فقد آذاه فجاء جبريل فقال يا جرجيس قل له لا تفعل فنحن نأتيك بالمطر ثم عادت السماء بالسحاب وامتلأت الصحاري بالسيول من كل جانب مدة ثلاثة أيام بإذن رب الأرباب وأمر الله تعالى النباتات والزرع في تلك الأيام الثلاثة أن يطلع فلما طلعت الشمس يركنوا
نظر إلى الحياض مترعة والفلوات مشرقة مشعشعة والزروع إلى صدر الإنسان طالعة والرياض مورقة متنوعة فركب الملك وأتى إلى

بركنوا اليها وبالغوا ليهون عليهم تركها والدنيا عبارة عما حواه الليل والنهار وأظلته السماء واقلته الارض واختلف في المراد منها فقيل الدينار والدرهم وقيل المأكل والمشرب والملبس والمسكن وقيل الحياة قبل الموت وان دنيا كل انسان بحسب حاله حتى ان كلام الفقيه بين طلبته وكلام الشيخ بين تلامذته وكلام الامير بين اجناده وما أشبه ذلك دنيا بالنسبة لهم الا أن يقصد بذلك وجه الله والدار الآخرة وهذا لا يكاد يصح الا من موفق ثم الحامل على الزهد أشياء منها استحضار الآخرة وتقويمه بين يدي مولاه وشاهد ذلك ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمشي في طريق اذ لقيه حارثة فقال له يا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف اصبحت يا حارثة قال اصبحت والله مؤمنا حقا فقال عليه الصلاة والسلام انظر ما تقول فان لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك قال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها ومدرها وسهرت ليلي واظمأت نهاري وكأني انظر الى عرش ربي بارزا وكأني انظر الى اهل الجنة في الجنة يتعاونون والى اهل النار في النار يعذبون قال يا حارثة عرفت فالزم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا رجل نور الله قلبه بالايمان فلينظر الى هذا ومثل هذا تكثر الدنيا سجنه كما قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقيل ليمض السالك ما بال أكثر السالكين عندنا يقولون لي في بعضهم فقال لان الدنيا سجن لكل من دخلها وكل المسجونين الامن يد المطلق ومنها استحضار أن لذاتها شاغلة للقلوب عن الله تعالى وموجبة لطول الحبس والوقوف في ذلك الموقف العظيم بالحساب والسؤال عن شكر نعيمها ومنها كثرة الذل والتعب في تحصيلها وكثرة غبونها وسرعة تقلبها وفنائها ومن احمق الاراذل في تحصيلها وطلبها ومنها حقارتها عند الله تعالى ومن ثم قال الفضيل لو ان الدنيا بحذافيرها عرضت على حلالا لا احاسب بها لتقذرتها كما تقذر الجيفة ومنها استحضار أنها وما فيها ملعونة كما في الحديث الحسن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالم ومتعلم وفي رواية الا ما ابتغي به وجه الله تعالى ومنها ان تركها موجب لرفعة الدرجات وحلول الرضوان الاكبر منه تعالى في دار الكرامات وفي الاثر اذا كان يوم القيامة جمع الله الذهب والفضة كالجبلين العظيمين ثم يقول هذا ما اذاصار اليه اسعد به قوم وشقي به آخرون ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم ﴿يحبك﴾ بفتح الباء المشددة والاصل يحببك بكسر الاولى وسكون الثانية مجزوما في جواب الامر الذي هو ازهد فاسكنت الباء الاولى عند ارادة الادغام بنقل حركتها الى الساكن قبلها وهو الهاء فاجتمع ساكنان فحرك الاخير لالتقائهما بالفتح تخفيفا ﴿الله﴾ لانه تعالى يحب من اطاعه ومن رسله سليمان عليه الصلاة والسلام على الميل بشجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال ما تدرون ما يقول قالوا الله ورسوله اعلم قال يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وفي الحديث ابن آدم اذا أصبحت معافى في جسدك آمنا في سربك عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء وسربك بكسر فسكون نفسك أو بفتح فسكون مذهبك وسالكك او بفتحتين بيتك والعفاء الهلاك والدروس وذهاب الاثر وقد صح خبر ما شبع آل محمد من طعام ثلاثة ايام تباعا حتى قبض وخبر كان النبي صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة وأهله طاويا لا يجدون عشاء وانما كان خبزهم الشعير وخبر النعمان ابن بشير لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم يظل اليوم يلتوي ما يجد من الدقل ما يملأ بطنه وخبر انه كان يمضي الشهران ولا توقد في أبياته صلى الله عليه وسلم نار وانما طعامهم التمر والماء وخبر انه صلى الله عليه وسلم مات ودرعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين

الاحسان مع عدوه لاجل ولیه یجب أن تصحبه الجباه لعظمته واني اريد المصافحة لتكون صفقتي رابحة فقد ظهر لي بان اسرار التوحيد لا تصح انا اشهد أن لا اله الا الله ولا معبود بحق سواه اخواني دل هذا الحديث الالهي ان عدو ولي الله تعالى عدو الله تعالى فمن عاداه كان كمن حاربه نعوذ بالله تعالى من الانكار والحرمان * واعلموا ان التقرب الى الله تعالى اما بالفرائض واما بالنوافل وأحب القسمين الى الله تعالى الفرائض فلذلك قال ﴿ وما تقرب الى عبدي ﴾ الاضافة للتشريف (بشيء أحب الي مما افترضت عليه) عينا أو كفاية كأداء الحقوق والامر بالمعروف وغير ذلك وانما كان الفرض احب الى الله تعالى من النفل لامور منها انه أكمل من حيث ان الامر به جازم متضمن للثواب على فعله والعقاب على تركه ومنها ان الفرض كالاصل والاساس والنفل كالفرع والبناء ومنها ان في الاتيان بالفرائض على الوجه المأمور به امتثال الامر واحترام الآمر به وتعظيمه بالانقياد اليه واظهار عظمة الربوبية وذل العبودية فكان التقرب بذلك أعظم

العمل (قوله ومايزال عبدي) وفي رواية ومازال (يتقرب الي بالنوافل) من الصلاة وغيرها (حتى أحبه) بضم الهمزة وفتح الباء والمراد بفعل يعد أداء الفرائض (٢٩٥) ما يحصل به التقرب عادة من فعل الاحسان ونحوه اذ الله تعالى منزه عن

الوصف بالقرب والبعد ومن ثم قال الاستاذ أبو القاسم القشيري رحمه الله قرب العبد من ربه يكون بالايمان ثم بالاحسان وقرب الرب من عبده ما يخصه به في الدنيا من عرفانه وفي الآخرة من رضوانه وفيما بين ذلك من وجود لطفه واحسانه ولا يتم قرب العبد من الحق الا ببعده عن الخلق قال وقرب الرب بالعلم والقدرة عام للناس وبالطف والنصرة خاص بالخواص وبالانس خاص بالاولياء * قال الكرماني رحمه الله معنى الحديث أنه اذا أدى الفرائض ودأوم على اتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما أفضى به ذلك الى محبة الله تعالى (قوله فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها) قالوا المعنى كنت أسرع الى قضاء حوائجه من سمعه في الاستماع وبصره في النظر ويده في البطش ورجله في المشي * وقال بعضهم ويجوز ان يكون المعنى كنت معينا له في الحواس المذكورة وقيل غير ذلك

صباحا من شعير أخذه قوتا لاهله * ودخل عمر بن الخطاب يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حصير وقد أثر في جنبه فبكى عمر رضي الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك فقال ذكرت كسرى وقيصر وهما في الخز والديباج والحرير وأنت رسول الله وصفوته من خلقه على هذا فقال له أفي شك أنت يا ابن الخطاب أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة قال بلى قال فهو كذلك وقام الحسن على قبر فقال ان أمر هذا آخره ملحقيق أن يخاف آخره * وقال الحسن بن محمد الحريري أسرع المطايا الى الجنة الزهد في الدنيا وأسرع المطايا الى النار حب الشهوات * وقال الجنيد ما أخذنا التصوف عن القيل والقال ولكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات * وقال أبو بكر الكتاني قال لي علي بن سعيد رأيت في النوم امرأة لا تشبه نساء الدنيا فقلت من أنت فقالت من أنت وراء فقلت زوجيني نفسك قالت اخطبني الى سيدي قلت فما مهرك قالت حبس نفسك عن مألوفاتها * وقال يحيى بن معاذ الرازي ترك الدنيا شديد وترك الجنة أشد منه وان مهر الجنة ترك الدنيا * وقد قال صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تساوي وفي رواية تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء * وقال سفيان بن عيينة الزهد كلمة أحرف زاي وهاء ودال فالزاي ترك الزينة والهاء ترك الهوى والدال ترك الدنيا بجملتها وأنشد بعضهم

فلو كانت الدنيا جزاء لمحسن * اذا لم يكن فيها معاش لظالم
لقد جاع فيها الانبياء كرامة * وقد شبعت فيها بطون البهائم

وسئل معروف الكرخي عن الطائعين هم قدروا على الطاعة قال باخراج الدنيا من قلوبهم * قال الفضيل ابن عياض جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد وقد اتفق ان ابراهيم بن أدهم قال بت ليلة تحت الصخرة ببيت المقدس فلما كان الليل نزل ملكان فقال أحدهما للآخر من هذا فقال له الآخر ابراهيم بن أدهم فقال له الذي خفضت درجة من درجاته فقال له لم فقال انه اشتري بالبصرة تمرا فوضعت تمرة من تمر اليقال على تمره فرجع الى البصرة واشتري تمرا من الرجل ثم انه قلب تمره على تمر ورجع وبات في بيت المقدس تحت الصخرة فلما كان في بعض الليل نزل ملكان من السماء فقال أحدهما لصاحبه من ههنا فقال له ابراهيم بن أدهم فقال له ذلك الذي رد التمر مكانه ورفعت درجته ﴿وازهد فيما عند الناس﴾ باعراضك عما في أيديهم منها ﴿يحبك﴾ بفتح الموحدة المشددة كما سبق ﴿الناس﴾ لانك لهم مما أحبوه اذ قلوب أكثرهم مجبولة مطبوعة على حب الدنيا ومن نازع انسانا في محبوبه كرهه وقلاه ومن لم يعارضه فيه أحبه واصطفاه والناس شامل للانس والجن فيستفاد منه ان الزاهد يحبه الانس والجن قال الحسن لا يزال الرجل كريما على الناس حتى يطمع في دنانيرهم فاذا فعل ذلك استخفوا به وكرهوا حديثه وأبغضوه وقال أعرابي لاهل البصرة من سيدكم قالوا الحسن قال بم سادكم قالوا احتاج الناس الى علمه واستغنى هو عن دنانيرهم فقال ما أحسن هذا وسأل كعب الاحبار وهو تابعي عبد الله بن سلام بحضرة عمر بن الخطاب ما يذهب بالعلم من قلوب العلماء بعد ما حفظوه ووعوه فقال يذهبه الطمع وشره النفس وطلب الحاجات الى الناس فقال صدقت * وقال ابن عطاء الله الزهد فيما في أيدي الناس سبب لمحبة الخلق والزهد فيما سوى الله سبب لمحبة الخالق فمن أحب العطاء من الخلق دل على بعده من الله فالعطاء منهم حرمان والمنع منهم

احسان

من الاقوال التي لا حاجة لنا بالاطالة بنقلها (قوله وان سألني أعطيته) أي ما سأل (قوله وان استعاذني) بالباء والنون أي طلب

من أن أعبده مما يخاف لاعيذنه والمراد انه تعالى يتولى وليه في جميع احواله بحسن تدبيره ويكفيه بحسن رعاية كلاءة الوليد ﴿ فائدة ﴾ قال بعضهم اذا أراد الله تعالى ان يوالي عبده فتح عليه باب ذكره فاذا استغل بالذكر فتح عليه باب القرب ثم رقاه الى مجالس الانس ثم أجلسه على كرسي التوحيد ثم رفع عنه الحجب وأدخله دار القرب وكشف له الجلال والعظمة فاذا وقع بصره على الجلال والعظمة خرج من جسمه ودعاوى نفسه ويحصل حينئذ في مقام العلم بالله فلا يتعلم بالخلق بل بتعليم الله وتجليه لقلبه فيسمع مالم يسمع ويفهم مالم يفهم ﴿ خاتمة المجلس ﴾ قال بعض العارفين علامة محبة الله تعالى بغض المرء نفسه لانها ماتمنعه من المحبوب فاذا وافقته نفسه في المحبة أحبها لا لانها نفسه بل لانها تحب محبوبه اللهم تولنا في جميع أمورنا آمين آمين والحمد لله رب العالمين

﴿ المجلس التاسع والثلاثون في الحديث التاسع والثلاثين ﴾

الحمد لله الذي اختص من مخلوقاته الانسان ورفع عنه بكرمه الخطا والنسيان وأشهد ان لا اله الا الله القديم المعبود بكل لسان وأشهد ان سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله المؤيد بمعجزات القرآن صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وذريته ذوي الولاية والاحسان ﴿ عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

احسان وذكر الغزالي أن عيسى عليه السلام مر قبيل الصبح برجل نائم منفرد بداره فقال يا نائم قم فاذكر الله فقال ما تريد مني يا روح الله وقد تركت الدنيا لاهلها قال فنم اذن حتى يجيء غيرك وقال أبو الحسن الشاذلي دخل على بالمغرب بعض الكبراء فقال ما أرى لك كبير عمل فيم فقت الناس وعظموك فقلت بخصلة واحدة تمسكت بالاعراض عنهم وعن دينارهم وذكر المناوي في شرح الجامع الصغير في تفسير قوله صلى الله عليه وسلم اتخذوا اللقم فانها بركة انه ورد في بعض الآثار أن الخليل عليه الصلاة والسلام كان له أربعة آلاف كلب يحرس كل كلب طوق من الذهب الاحمر زنته ألف مثقال فقيل له في ذلك فقال انما فعلت ذلك لان الدنيا جيفة وطالبها كلاب فدفعها لهذه الكلاب انتهى وذكر الشيخ زروق أن شعيبا كان في غنمه مائتا عنز ألف كلب قال صاحب الحقائق ان ابليس لما أخذت منه الدنيا اغتم لها وقارون لما أعطيها فرح بها فالذي اغتم لها صار ملعونا والذي فرح بها صار تحت الارض مسجونا ونبينا صلى الله عليه وسلم لما عرضت عليه لم يأخذها ولما ردها لم يغتم لها فتصاغر الى ما صار وأنشد الشافعي

ومن يذق الدنيا فاني طعمتها * وسيق الي عذبها وعذابها
فما هي الا جيفة مستحيلة * عليها كلاب همهن اجتذابها
فان تجتنبها كنت سلما لاهلها * وان تجتذبها نازعتك كلابها

﴿ وفي كشف الاسرار ﴾

كن زاهدا فيما سوته يد البلى * تصغي الى كل الانام حبيبا
أوما ترى الخطاف حرم زادهم * فغدا رئيسا في الحجور قريبا

غيره

تورع عن سؤال الخلق طرا * وسل ربا كريما ذا هبات
ودع زاهرات دنيا الفاني * تراها لا محالة ذاهبات

﴿ ولابي عبيدة ﴾

الرزق ياتي وان لم يسع صاحبه * حتما ولكن شقاء المرء مكتوب
وفي القناعة كنز لا نفاد له * وكل ما يملك الانسان مسلوب

وسئل عبد الله بن المبارك عن بدء زهده فقال كنت يوما مع اخواني في بستان لنا وذلك حين حملت الاشجار بالثمار من ألوان الفاكهة فاكلنا وشربنا حتى الليل قمنا وكنت مولعا بضرب العود والطنبور فقمت في بعض الليل فضربت بصوت رخيم وطائر يصيح فوق رأسي على شجرة والعود بيدي ولا يجيبني الى ما أريد فاذا به ينطق كما ينطق الانسان بعين الذي بيده وهو يقول ألهاني الذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق قلت بلى وكسرت العود وصرفت من كان عندي فقد كان هذا أول زهدي وتشميري وقد قيل من سمي باسم الزاهد فقد سمي بالقب اسم ممدوح هذا مع ما للزاهدين من راحة القلب والبدن في الدنيا والآخرة والزهاد هم الملوك في الحقيقة كما قال بعضهم

أرى الزاهد في روح وراحه * قلوبهم عن الدنيا مزاحه
اذا أبصرتهم ابصرت قوما * ملوك الارض سيدتهم سماحه

وقال الحسن والله ما عز الدراهم أحد الا أذله الله قيل أول ما ضربت الدراهم والدنانير رفعهما ابليس الى جبهته وقبلهما وقال من أحبكما فهو عبدي حقا ومن ثم قال بعضهم انهما ازمة المنافقين يقادون

قال ان الله تعالى تجاوز لي عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما) اعلم ان الخوافي وقع في الله وايا كم لطاعته ان هذا الحديث (٢٥٢) حديث عظيم عام النفع يدخل في الاحاطة ثلاثة ارباع الامور التي تضمنها كتب الفقه اكثر ذكر شرحه مختصرا على وجه لطيف فقول (قوله ان الله تعالى تجاوز) معناه عفا (قوله لي عن امتي) اي لاجلي (قوله الخطأ) هو نقيض الصواب قال الآمدي الخطأ من اراد الصواب فصار الى غيره والخاطئ من فعل مالا ينبغي متعمدا قال الحديث لا يحتكر الاخاطئ (قوله والنسيان هو عدم التذكر للشيء لذهول او غفلة (قوله وما استكرهوا عليه) اي قهروا عليه فهذه الثلاثة مرفوعة عن هذه الامة كرامة لمحمد صلى الله عليه وسلم اذ تقع في العبادات وغيرها كالطهارة والصلاة والصوم والحج والنكاح والطلاق والعتق وشرط الاكراه مذكور في كتب الفقه (تنبيه) قال الكلبي رحمه الله تعالى كانت بنو اسرائيل اذا نسوا شيئا مما امروا به او اخطؤا عجلت لهم العقوبة به فحرم عليهم شيء من مطعم او مشرب بحسب ذلك الذنب فامر الله تعالى المؤمنين ان يسألوه ترك مؤاخذتهم بذلك بقوله تعالى ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا وقد سهل الله تعالى الامر ايضا ويسره على امة محمد صلى الله عليه وسلم كرامة له ولم يشدد

بهما الى النار (حديث حسن) بل صححه الحاكم في المستدرك (رواه) الحافظ الكبير ابو عبد الله ابن يزيد بن ماجه القزويني بسند صحيح على شرط الستة وابو سنة تسع ومائتين وبات يوم الاثنين لثمان بقين من رمضان سنة ثلاث وتسعين ومائتين (وغيره) كالعقيلي وابن عدي والطبراني والحاكم والبيهقي (بأسانيد مختلفة) وهو احد الاحاديث الاربعة التي عليها مدار الاسلام كما مر

الحديث الثاني والثلاثون

(عن أبي سعيد سعد) وقيل سنان والمشهور الاول (ابن مالك بن سنان) من عبيد وقيل عبد بن ثعلبة ابن عبيد بن الابجر وهو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج الانصاري وزعم بعضهم ان خدرة هي أم الابجر (الخدري) بضم الخاء المعجمة وسكون الدال المهملة وزعم من أنجم الدال نسبة الى جده خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج قيل نسبة الى حي من اليمن أسلم ابو سعيد وبايع المصطفى صلى الله عليه وسلم على ان لا يأخذه في الله لومة لائم واستصغر يوم احد فرد فخرج فيمن يلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رجع من احد فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعد بن مالك فقال ثم اراني أنت دوني يا رسول الله فامتثل وقبل ركبته فقال أجرك الله في أبيك لانه قتل يوم مقتل شهيدا غزا أبو سعيد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثنتي عشرة غزوة ارطا الخندق كان من الرماة المشهورين وهو معدود من اهل الصفة روى عنه انه قال أصبحت وليس عندنا طعام وقد ربطت حجرا من الجوع فقالت امرأتي ائت النبي صلى الله عليه وسلم فسله فقد أتاه فلان فاعطاه وفلان فاعطاه فقلت لا حتى لا اجد شيئا فطابت فلم أجد شيئا فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فاردت ان اسأله فقال من يستغن يغنه الله ومن يستعف يعفه الله قال فما سألت احدا بعده وما زال الله يرزقنا حتى ما أعلم بيتا من الانصار اكثر اموالا منا روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الف ومائة وسبعون حديثا اتفقا منها على ستة واربعين وانفرد البخاري بستة عشر ومسلم باثنين وخمسين توفي بالمدينة سنة اربع وستين وقيل ثلاث وستين وقيل ثلاث وسبعين والمشهور الاول وله اربع وستون سنة ودفن بالبقيع (رضي الله عنه) ينفي منهما الان اباه كان صحابيا ايضا (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ضرر) خبر لا محذوف اي في ديننا والخبر بمعنى النهي اي لا يضر احد غيره (ولا ضرار) فعال بكسر اوله لا يجوز به على اضراره بل يعفو ويصفح اي لا يضر من لا يضره ولا يضر من يضره فالضرر ابتداء الفعل والضرار الجزاء عليه وقيل الضرر ما يضر به الانسان غيره وينفع هو به والضرار ان يضره من غير ان ينتفع وقيل بالعكس وقيل الاول نهي للشخص عن تعاطي ما يضر نفسه والثاني نهي له عن فعل ما يضر غيره وقيل الاول عبارة عن منع ما ينفع الغير والثاني عبارة عن فعل ما يضر به وقيل معنى الاول لا يضر الشخص اخاه فينتقص شيأ من حقه ومعنى الثاني لا يضار الرجل جاره فادخال الضرر عليه وقيل معنى الاول لا يلزمه الصبر على الضرر ومعنى الثاني لا يجوز له اضرار غيره وحينئذ فالجمع بينهما للتاسيس وتبين انهما بمعنى واحد جمع بينهما للتاكيد فكانه قال لا تضر ولا تضر ولا اولى لانه اذا دار الامر بين الحمل على التاسيس والتاكيد فحمله على التاسيس اولى لا سيما في كلام الشارع عليه السلام وقوله ولا ضرار رد بعض الرواة اضرارا بالهمز قال ابن الصلاح لا صحة لها وبقية الحديث من ضار ضار الله به ومن شاق شاق الله عليه وظاهر الحديث تحريم سائر انواع الضرر

عليهم كما شدد على من قبلهم من اليهود قال البغوي وذلك ان الله تعالى فرض عليهم خمسين صلاة وأمرهم باداء ربع أموالهم من الزكاة ومن أصاب ثوبه نجاسة قطعوه ومن أصاب ذنبا أصبح ذنبه مكتوبا على بابه ونحو هذا من الاثقال * روى

الضرر ما قل منه وما كثر الا لدليل لان النكرة في سياق النفي تعم فيحرم من الشخص قطع كرة من جداره يطلع منها على عورات جاره او احداث قرن أو حمام أو رحى أو معصرة لوجود الضرر بالدخان وصوت الرحى وما أشبه ذلك ولا يحرم عليه تعلية بنائه على جدار جاره وان اظلم عليه أو اضر بغرسه ومنع الشمس أن تقع في مصحرته واذا انهارت جدار جاره وكان الافضل جاره فانه يجب عليه ارسال فضل مائه الى زرع جاره بشروط ثلاثة أحدها أن يكون قد زرع على أصل مائه الذي أن يشتغل باصلاح بئره الثالث أن يخشى على زرعه الهلاك ﴿حديث حسن﴾ لذاته وله طرق متعددة يرتقي مجموعها الى درجة الصحة ﴿رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما﴾ كالحاكم في مستدركه والبيهقي في شعبه وظاهره ان الكل رووه من حديث أبي سعيد والامر بخلافه بل ابن ماجه رواه من حديث ابن عباس وعبادة ﴿مسند﴾ وهو المتصل الذي لم يحذف من اسناده أحد ﴿رواه﴾ امام الائمة وناصر السنة الامام ابو عبد الله ﴿مالك﴾ بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث بهو ذو صبح وغيمان بالغين المعجمة مفتوحة والياء باثنتين من أسفلها ساكنة ذكره بهذا واحد وخثيل بالخاء المعجمة مضمومة وثاء مثلثة مفتوحة وياء باثنتين من أسفلها ساكنة ذكره ابن الحسن الدارقطني جميل بالجيم وحكاه عن الزبير وأبي مصعب قال عثمان بن خبيسلا وابن حنبل نقي صحيح وأبو عبد الله بن دان ذلك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد المغازي كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بدرا وابنه مالك بن مالك كنيته أبو أنس من كبار التابعين روى عن أحد الاربعة الذين حملوا عثمان ليلا الى قبره وغسلوه ودفنوه وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوشك ان يضرب الناس اكباد الابل في طلب العلم وفي رواية يلتمسون العلم فلا يجدون عالما أعلم وفي رواية أفقه من عالم المدينة وفي رواية من عالم المدينة وفي بعضها أبطأ الابل بمكان اكباد الابل وقد ذكر السلف ان المراد بمالك لان طلبة العلم لم يضربوا اكباد الابل من مشرق الارض ومغربها الى عالم ولا رحلوا اليه من الآفاق رحلتهم الى مالك وقال الشافعي مالك استاذي وعنه اخذنا العلم وما أحد امن علي من مالك وجعلت مالكا حجة بيني وبين الله تعالى واذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب ولم يبلغ أحد مبلغ مالك في العلم بحفظه واتقانه وجمعه اياه وقال العلم يدور على ثلاثة مالك والليث وسفيان بن عيينة * وحكي عن الاوزاعي انه كلما اذا كره قال عالم العلماء وعالم أهل المدينة ومفتي الحرمين وقال ابن معين مالك من صحيح الله على خلقه اماما من أئمة المسلمين مجمع على فضله واختلف في حمل أم الامام به فقال ابن نافع الصائغ والواقدي ومعن ومحمد بن الضحاك حملت به أمه ثلاث سنين وقال بكار بن عبد الله الزبيري وقال نضجته والله لرحم قال ابن منذر وهو المعروف * وروي عن الواقدي انها حملت به سنتين والاشهر انه ولد سنة ثلاث وتسعين من الهجرة وقيل سنة اربع وتسعين في ربيع الاول في خلافة الوليد وقيل سنة تسعين وقيل سنة ست وقيل سنة سبع وكان طويلا جسيما عظيم الهامة شديد البياض الى الصفرة حسن الصورة عظيم اللحية تاما تبلغ صدره ذات سعة وطول وكان يأخذ اطراف شاربه ولا يحلقه ولا يحفيه ويرى حلقه من المثلة وكان يترك فاسيا ابن طويلين ويحتج بفعل عمر رضي الله عنه اذا أهمه امر وقال بعضهم كان ربعة والاول أشهر وسأله رجل عن مسألة فبادره ابن القاسم فافتاه فاقبل عليه مالك كالمغضب وقال جسرت على ان تفتي ياعبد الرحمن بكرها عليه ما أفتيت حتى سألت أنا للفتيا

سعيد بن جبير في قوله تعالى يغفر ان ومنا قال الله تعالى قد غفرت لكم وفي قوله لا تؤاخذنا ان نسينا أو اخطأنا قال لا أؤاخذكم بها ولا تحمل علينا إصرا قال لا أحمل عليكم فيها ولا تحملنا مالا طاقة لنا به قال لا أحملكم واعف عنا الى آخره قال قد عفرت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين ﴿ فوائد ﴾ الاولى ﴿لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى ثم الى حيث شاء الله الاعلى وأعطي الصلوات الخمس وأعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيأ المقحمات كبائر الذنوب ﴿ الفائدة الثانية ﴾ قال النبي صلى الله عليه وسلم الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه ﴿ الفائدة الثالثة ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله كتب كتابا قبل ان يخلق السموات والارض بالفي عام فانزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة فلا يقرآن في دار فيقربها شيطان ولا تكاد لاجل محمد صلى الله عليه وسلم وكم أكرم الله تعالى أمته بكرامات لاجله عليه افضل الصلاة والسلام ﴿ ولنختم هذا المجلس اللطيف ﴾ بنكتة تشتمل

أعطيهم اياه وأرضى منهم باليسير من العمل أدخل أحدهم الجنة بشهادة ان لا اله الا الله قال فانى أجد فى الالواح أمة يحشرون يوم القيامة على صورة القمر ليلة البدر فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد أحشرهم يوم القيامة غرا محجلين قال يارب انى أجد فى الالواح أمة أرديهم على ظهورهم وسيوفهم على عواتقهم أصحاب رؤس الصوامع يطلبون الجهاد بكل أفق حتى يقاتلون الدجال فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد قال يارب انى أجد فى الالواح أمة يصلون فى اليوم والليلة خمس صلوات فى خمسة أوقات تفتح لهم أبواب السماء وتنزل عليهم الرحمة فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد قال يارب انى أجد فى الالواح قوما تجعل لهم الارض مسجدا وطهورا وتحل لهم الغنائم فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد قال يارب انى أجد فى الالواح أمة يصومون لك شهر رمضان فتغفر لهم ما كان قبل ذلك فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد قال يارب انى أجد فى الالواح أمة يحجون لك البيت الحرام لا يقضون منه وطرا يعجون لك بالبكاء عجيجا ويضجون لك بالتلبية ضجيجا فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد قال فما

سنة

موضع فاسكن قيل له من ما ات قال الزهرى ورواه الراوى وذكر الدميرى فى شرح المنهاج أن امرأة قسمت دينة قال لها ان مت فى هذه الليلة فخرج الناس فى أمرها فمات فقطع بها القافلة أو فرج الميتة فاستفتى مالك فقال سلوها ما قالت فاوصت بدينها عليها فسألوها فقالت طالما عصى هذا الفرج ربه فقال مالك هذا قضاء بلدها ثم بين تخلص بدينها فجلدوها ثمانين فخلصت بدينها فمن ثم نودى لا يفتى ومالك بالمدينة وكان اذا جلس جلسة لم يقم عنها حتى يقوم قال عبد الله بن المبارك كنت عند مالك وهو يحدثنا اذ لدغه عقرب ستة عشر مرة ومالك يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس قلت له يا أبا عبد الله لقد رأيت اليوم منك عجبا فقال انما صبرت اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الهيثم بن جميل شهدت مالكا سئل عن ثمانين وأربعين مسئلة فقال فى اثنين وثلاثين منها لا أدرى وكان يقول ينبغى أن يورث العالم جلساءه قول لا أدرى حتى يكون ذلك أصلا فى أيديهم يفزعون اليه فاذا سئل أحدهم عما لا يدرى قال لا أدرى * وقال أحمد بن حنبل كان لمالك هيبة فى مجلسه لا يرد عليه احتشاما له وكان الدورى فى مجلسه فما رأى اجلال الناس له واجلاله للعلم أنشد

يا من يحاول فلا يراجع هيبة * فاطلب لنفسك غير ثوبى الاذقان
أدب الوقار وعز سلطان التقى * فهو المهيب وليس ذا سلطان

قال بشر الحافى من زينة الدنيا أن يقول الرجل حدثنا مالك وكان كثيرا ما يتمثل الامام كما سلف بهذا البيت

وخير أمور الدين ما كان سنة * وشر الامور المحدثات البدائع

ولما قدم المدينة المهدى جاء الناس مسلمين عليه فلما أخذوا مجالسهم استأذن فقال الناس اليوم يجلس مالك آخر الناس فلما دنا ورأى ازدحام الناس قال يا أمير المؤمنين أين يجلس شيخك مالك فناداه عندى يا أبا عبد الله فتخطى الناس حتى وصل اليه فرفع المهدى ركبته اليمنى وأجلسه ثم أتى المهدى بالطشت والابريق فغسل يده ثم قال للغلام قدموه الى أبى عبد الله فقال مالك يا أمير المؤمنين ليس هذا من الامر المعمول به ارفع يا غلام فما كل مالك غير متوضى * وقال القاضى عياض قال الشافعى قال لى محمد بن الحسن رضى الله عنهما أيهما أعلم صاحبنا أم صاحبكم يعنى أبا حنيفة ومالكا فقال قلت على الانصاف قال نعم قال فقلت فانشدك من أعلم بالقرآن صاحبنا أم صاحبكم فقال اللهم صاحبكم قال فقلت أنشدك الله من اعلم بالسنة صاحبنا أم صاحبكم قال اللهم صاحبكم قال فقلت أنشدك الله من أعلم بأقاويل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبنا أم صاحبكم قال اللهم صاحبكم قال الشافعى قلت فلم يبق الا القياس فعلى أى شىء تقيس قال فى مختصر الدرك قالت لى عمتى ونحن بمكة رأيت فى هذه الليلة عجبا قلت وما هو قالت كان قائلا يقول مات الليلة أعلم أهل الارض فبقينا ليلتنا فاذا هى الليلة التى مات فيها مالك ورأى عمر بن يحيى الانصارى فى الليلة التى مات فيها مالك قائلا يقول

لقد أصبح الاسلام مزعزع ركنه * غداة ثوى الهادى الى ملحد القبر
امام هدى مازال للعلم صائنا * عليه سلام الله فى آخر الدهر

قال فانتبهت فكتبت البيتين على السراج واذا الصارخة على مالك رضى الله تعالى عنه واختلف فى تاريخ وفاته أنها كانت فى ربيع الاول لتمام اثنين وعشرين يوما من مرضه فى ربيع الاول

تعظيم عملي ذلك قال اعطيهم المغفرة واشفعهم فيمن ورائهم قال يارب اني أجد في الالواح أمة سميتها قبل أجسادهم يطعمون المساكين ويستغفرون من الذنوب يرث احدهم القصبة التي فيه فلا تستقرئ حتى يغفر له

سنة تسع وسبعين ومائة وقيل احدى عشرة ومائة وقيل لاربع عشرة وثلاثمائة وقيل لاحدى عشرة ومائتين وقيل لاثنتي عشرة ومائتين وغسله ابن كنانة وابن لزبر وابن يحيى وكاتبه حبيب بسبب على الماء ونزل في قبره بضاعة واوصى أن يكفن في ثياب بيض ويصلى عليه في موضع الجنائز وبلغ كفنه خمسة دنانير قال ابن القاسم مات مالك عن مائة عمامة فضلا عن سواها ﴿ و ﴾ كتابه ﴿ الموطأ ﴾ أشد بعضهم

أقول لمن يروي الحديث ويكتب * ويسأل سبل الفقه فيه ويطلبه
اذا شئت أن تدعى لدى الناس عالما * فلا زد على ما قد روى من العلم يرتب
* أترك دارا كان بين بيوتها * يروح ويغدو جبرئيل المقرب
ومات رسول الله فيها وبعده * بنته أصحابه قد تداولوا *
وفرق شمل العلم في ناحيتيهم * فكل امرئ منهم له فيه مذهب
فخلصه بالسبك للناس مالك * ومنه صحيح في الحجاز وأجنب
فبادر موطا مالك قبل فوته * فما بعده ان فات للخلق مطلب
ودع للموطا كل علم تريده * فان الموطا الشمس والغير كوكب
ومن لم يحز كتب الموطا بيته * فذاك من التوفيق بيت مخيب
يجزي الله عنا في الموطا مالكا * بافضل ما يجزي اللبيب المهذب
لقد ذاق أهل العلم حيا وميتا * فصارت به الامثال للناس تضرب
فلا زال يسقي قبره كل عارض * يمندق ظلت عواليه تسكب

﴿ مرسلا ﴾ وهو عند المحدثين ما حذف من اسناده الصحابي ﴿ عن عمرو بن يحيى ﴾ المازني ﴿ عن أبيه ﴾ يحيى بن عمارة ﴿ عن ابي صلى الله عليه وسلم فاسقط ﴾ من السند ﴿ اباسعيد ﴾ الخدري ﴿ وله طرق ﴾ ضعيفة لكن ﴿ يقوى بعضها بعضا ﴾ لان الاسانيد الواهية اذا اجتمعت قوى بعضها بعضا في المثل

ان القداح اذا اجتمعن فرامها * بالكسر ذو حنق وبطش زائد
عزت فلم تكسر وان هي بددت * فالكسر والتوهين للمتبدد
(وقال آخر) لا تخاصم بواحد أهل بيت * فضميفان يغلبان قويا

﴿ الحديث الثالث والثلاثون ﴾

﴿ عن ﴾ حبر الامة مفسر التنزيل ومبين التاويل أبي العباس عبد الله ﴿ ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ﴾ حرف امتناع لامتناع أي امتناع الشيء لامتناع غيره أي تقتضي امتناع الجواب لامتناع الشرط كما عليه جمهور النحاة أولما كان سيقع لوقوع غيره كما عليه امامهم سيبويه وعليه فلا اشكال لان دعوى رجال أموال قوم كان سيقع لوقوع اعطاء الناس بدعاويهم وكذا الاشكال على الاول أيضا وان وقع دعوى بعض الناس مال بعض سواء أعطوا بدعاويهم أم لا لان المراد بدعوى الرجال اموال قوم اعطاؤهم اياها ودفعها اليها اي لو يعطى الناس بدعواهم لاخذ رجال اموال قوم وسفكوا دماءهم فوضع الدعوى موضع الاخذ لانها سببه ولا شك ان اخذ مال المدعى عليه ممتنع لامتناع اعطاء المدعي بمجرد دعواه وكذلك اخذه لما سيقع لو وقع اعطاء المدعي بدعواه ولا يقع بدون ذلك فصح معنا لو هنا على القولين قال الشارح الهيتمي ﴿ يعطى

يفتتحها باسمك ويختمها بعملك فاجعلهم امتي قال هم أمة محمد قال يارب اني اجد في الالواح أمة اناجيلهم في صدورهم يقرؤنها فاجعلهم امتي قال هم امة محمد قال يارب اني اجد في الالواح امة اذا هم احدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة وان عملها كتبت له عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف فاجعلهم امتي قال هم امة محمد قال يارب اني اجد في الالواح امة اذا هم احدهم باسيئة ثم لم يعملها لم تكتب عليه وان عملها كتبت عليه سيئة واحدة فاجعلهم امتي قال هم امة محمد قال يارب اني أجد في الالواح أمة هم خير أمة اخرجت للناس يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر فاجعلهم أمتي قال هم أمة محمد قال يارب اني اجد في الالواح امة يحشرون يوم القيامة على ثلاث ثالة يدخلون الجنة بغير حساب وثلة يحاسبون حسابا يسيرا وثلة يمحصون ثم يدخلون الجنة فاجعلهم امتي قال هم امة محمد قال موسى يارب بسطت هذا الخير لاحمد وامته فاجعلني من امته قال الله تعالى لموسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين فلله الحمد والمنة على نعم اولاها ونسأله الموت على الاسلام

له لن يملكه ولا نظير
واشهد ان سيدنا محمدا عبده
ورسوله وصفيه وخليله
البشير النذير صلى الله
عليه وعلى آله واصحابه
وازواجه وذريته مادام
فريق في الجنة وفريق
في السعير ﴿ عن ابن عمر
رضي الله عنهما قال أخذ
رسول الله صلى الله عليه
وسلم بمنكبي فقال كن
في الدنيا كانك غريب او
عابر سبيل وكان ابن عمر
يقول اذا أمسيت فلا
تنتظر الصباح واذا
اصبحت فلا تنتظر المساء
وخذ من صحتك لمرضك
ومن حياتك لموتك رواه
البخاري ﴾ ايها الاخوان
وفقني الله واياكم لطاعته
ان هذا الحديث حديث
عظيم جامع لانواع الخير
وفيه الابتداء بالصحة
والارشاد لمن يطلب ذلك
وتحريضه صلى الله عليه
وسلم على اهتبال الخير
لامته فان هذا الكلام
لا يختص ابن عمر وحده
(قوله قال) اي ابن عمر
(اخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمنكبي) بفتح
الميم وسكون النون والباء
وهو مجمع العضد والكتف
(فقال) اي رسول الله صلى الله عليه وسلم (كن في الدنيا كانك غريب) اي لا تركن سؤال
اليها ولا تطمئن فيها لانك على جناح السفر منها الى وطن اقامتك وهو الآخرة كالغريب لا يستقر في دار الغربة ولا يسكن

اللام ﴿ للمفعول الثاني محذوف اي الاموال والدماء ﴿ دعواهم ﴾ اي لو كان كل من ادعى شيأ عندنا لنا كم
يعطاه بمجرد دعواه بلا بينة ﴿ لادعى ﴾ جواب لو وروايتان ماجه ادعى بحذف اللام ﴿ رجال ﴾ جمع
رجل وهو الذكر البالغ من بني آدم وذكرهم لان الاشراع النساء يل لان الدعوى غالبا انما تصدر منهم
او من باب الاكتفاء باحد النبيين كسرابيل تقيكم الحر ويؤيده رواية لادعى نفر وافى بصيغة
الجمع للاشارة الى اقدام غير واحد على ذلك والدعوى كما قال ابن عرفة قول يحيث لو سلم اوجب لقائله
حقا فخرج قول القوم ﴿ اسم جمع وشذ من جمعه على اقوام قيل يختص الرجال لقوله تعالى لا يسخر قوم من
قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء عن نساء فذكر من دليل ظاهر على ان القوم لم يشملن وبه صرح
زهير في قوله

وما أدري ولست اخال أدري ... أقوم آل حصن أم نساء

وسمي الرجال قوما لقيامهم بالمهمات وعظائم الامور وقيل بهم المرء قبل بهم اذهم المراد في نحو كذبت
قوم نوح ليس بارض قومي ورد بان دخولهن هنا ليس لقبيل لقرينة نحو التكليف في الآية وحكمة
التعبير برجال ثم قوم على الاول تفنن وقيل لكراهة تكرار احدهما على الثاني ان الغالب في المدعي ان
يكون رجلا اذ المرأة لا يليق بها حضور مجالس الحكام والمدعى عليه يكون رجلا او امرأة
﴿ دماءهم ﴾ قدم الاموال على الدماء مع ان الدماء اهم واعظم خطرا لما ورد انها اول ما يقضى فيه
بين الناس لان الخصومات في الاموال اكثر وأغلب اذ أخذها ايسر واعتاد الايدي اليها أسهل
ومن ثم ترى العصاة يتعدى عليها أضعاف العصاة بالقتل على ان العطف بالواو لا يفيد ترتيبا وفي
رواية الصحيحين لادعى ناس دماء رجال واموالهم فقدم الدماء عليهما اشرفها وعظم خطرها
على ان العطف بالواو لا يقتضي الترتيب ﴿ لكن ﴾ هي هنا للاستدراك وان لم تأت لقضاء على قانونها
من وقوعها بين نفي واثبات نحو ما قام زيد لكن عمرو وهي ههنا بعد اثبات ولا نفي قبلها حتى يصح
معنى الاستدراك الذي هو مؤداها لكنه جارية عليه تقديرا اذا المعطي لا يعطي الناس بدعواهم
المجردة لكن بالبينة وهي على المدعي ﴿ البينة ﴾ فعيلة من البينات ﴿ على المدعى ﴾ لان جانب المدعي
ضعيف لدعواه مخالفة الاصل ولو كان قاضيا لا شريفا او حقيقا والمدعى كما قال ابن عرفة من
عريت دعواه من مرجح غير شهادة والمدعى عليه من اقترنت دعواه به والمرجح اما معهود
كدعوى شخص على آخر وديعة او عارية فيدعي ردها فمدعي الرد هو المدعى عليه لما عهد
في الشرع اذا الراد لا يحتاج لاقامة بينة واما أصل كمدعي رق شخص فيجيب الآخر بالحرية
فمدعي الحرية هو المدعى عليه لانها الاصل في الناس وانما عرض لهم الرق بسبب السبي بشرط
الكفر ومعنى كون البينة على المدعي انه يستحق بها لانها واجبة عليه ثم ان الدعوى الصحيحة
المسموعة هي ان يكون المدعي به معلوما محققا فلو قال لي عليه شيء ثم سمع دعواه وكذا لو قال لي
ان لي عليه كذا ﴿ واليمين على من ﴾ عبر بها دون الاول مع انه كان يمكن ان يؤتى باسم الفاعل فيهما
او عن فيهما لان المدعي يذكر امرا خفيا لم يرد دعواه عن المرجح والمدعى عليه يذكر امرا ظاهرا
لاقتران دعواه به ولاشك ان الموصول لاشتراط كون صلته معهودة اظهر من المعرف فاعطى الخفي
للحق والظاهر لظاهر ويحتمل ان يقال ان في المدعي ضربا من التعريف المعنوي لظهوره
واقدامه على الدعوى فاني فيه بلام التعريف المناسب له والمنكر فيه ضرب من الابهام والتنكير
لاستخفافه وتافهه وكونه اذا سكت لا يترك فاني فيه من اذفيها ابهام شبيه بحاله وزعم ان ذلك

اليها بل لا يزال مشتاقا الى وطنه عازما على السفر اليه (قوله واعلم ان سبيل) أي سبيل طريق فالمسافر يمر في الطريق مسافرا فاذا كمل عزمه وقصده الى بلوغ مقصده غير ملتفت الى جزئيات الطريق ولا ممرج عليها ولذلك قال بعضهم في المعنى

أرى طالب الدنيا وان طال عمره
وما نال من الدنيا سرورا وأنعما
كباني بنى بنيانه فاقامه
فلما استوى ما قد بناه تهدما

وقد جاء في رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابن عمر رضي الله عنهما كن في الدنيا كانك غريب أو عابر سبيل واعدد نفسك في الموتى واذا أصبحت فلا تحدثها بالمساء واذا أمسيت فلا تحدثها بالصباح وخذ من صحتك لسقمك ومن شبابك لهرمك ومن فراغك لشغلك ومن غناك لفقرك ومن حياتك لموتك فانك لا تدري ما اسمك غدا قيل أوحى الله تعالى الى نبي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ان أردت ان تراني غدا في محظيرة القدس فكن في الدنيا غريبا حزينا مستوحشا كالطير الوحداني الذي في الارض والقفار ويأكل من رؤس الاشجار فاذا كان الليل أوى الى وكره فلا يغترن أحد بالبقاء في دار الدنيا فان الحياة فيها في الحقيقة كزيارة ضيف أو سحابة صيف وكان ابن عمر رضي الله عنه يقول اذا أمسيت فلا تنتظر الصباح واذا أصبحت فلا تنتظر المساء والمعنى ان الشخص يجعل الموت بين عينيه فيسارع الى الطاعات ويغتنم الاوقات ويبادر

سؤال دوري غير صحيح ﴿أنكر﴾ لان جانب المنكر قوي لموافقته للاصل في البراءة والبينة حجة قوية لبعدها عن التهمة واليمين حجة ضعيفة لقربها منها فجعل القوي في جانب الضعيف والضعيف في جانب القوي وهو جانب المنكر تعديلا وهو توجيه حسن زاد الدارقطني الا في القسامة أي لان اليمين فيها على المدعي وكذا اليمين مع الشاهد الواحد في جانب المدعي وكذا يمين المدعي اذا ردها عليه المنكر وكذا يخص بمسئلة اللعان فان البينة لا تسمع من المدعي ولا توجه اليمين على من أنكر لحديث ابن المسيب وزيد بن أسلم من خمس شياء عشر سنين في قوله وكذا بالطلاق والنكاح والقذف فان اليمين لا توجه فيها على المنكر بمجرد الدعوى لورود المخصصات بها وقوله واليمين على من أنكر سواء كان المدعى عينه وبين المدعى عليه اشتغال ذمم لانان لم يخالف لم يقض للطالب حتى يحلف اذا كانت الدعوى دعوى تحقيق وان كانت دعوى اتهام غرم المطلوب بمجرد نكوله فان قلت ما الحكمة في أن البينة على من ادعى واليمين على من أنكر ؟ فالجواب ان جانب المدعي ضعيف لقبوله عن الرجحانات وجانب المنكر قوي لموافقته الاصل في براءة ذمته اذ هو المعهود والبينة حجة قوية لبعدها عن التهمة واليمين حجة ضعيفة لقربها منها فجعلت الحجة القوية وهي البينة في الجانب الضعيف وهو جانب المدعي والحجة الضعيفة في الجانب القوي وهو جانب المنكر تعديلا ﴿فائدة﴾ قال بعض العلماء الفصل الخطاب في قوله تعالى وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب هو البينة على من ادعى واليمين على من أنكر ﴿نكتة﴾ في الحلية في ترجمة عكرمة قال كانت القضاة في زمن بني اسرائيل ثلاثة فمات أحدهم فولى مكانه غيره ثم قضوا ما شاء الله أن يقضوا ثم بعث الله تعالى لهم ملكا يمتحنهم فوجد رجلا يستقي بقربة على ماء ويغلقها عجلة فاخذ عاما الملك وهو راكب فرسا فتبعتها العجلة فخاصما فقالا بيننا القاضي فجاآ الى القاضي الاول فدفع اليه الملك درة كانت معه وقال له احكم بان العجلة لي وقال بماذا أحكم قال أرسل الفرس والبقرة والعجلة فان تبعت الفرس فهي لي فارسلها فتبعت الفرس فحكم له بها وأتى الى القاضي الثاني فحكم له كذلك وأخذ درة وأتى القاضي الثالث فدفع له الملك درة وقال له احكم لي بها فقال اني حائض فقال الملك سبحان الله أيحيض الذكر فقال له القاضي سبحان الله تلد الفرس بقرة وحكم بها لصاحبها ﴿حديث حسن﴾ وصحيح أيضا كما ذكره المؤلف في موضع آخر وذكره غيره ﴿رواه﴾ الامام أبو بكر أحمد بن الحسين ﴿البيهقي﴾ بفتح الباء والهاء نسبة الى بيهق قرى مجتمعة بناحية نيسابور بلغت نصا نيفا نحو الالف قال السبكي ولم يتفق ذلك لاحد واعتني بجمع نصوص الشافعي وتخريج أحاديثها حتى قال امام الحرمين ما من شافعي الا وللشافعي عليه منة الا البيهقي فان له على الشافعي المنة ولد سنة أربع وثمانين وثلثمائة ومات بنيسابور سنة ثمان وخمسين واربعمائة ﴿وغيره هكذا﴾ أي بهذا اللفظ المذكور ﴿وبمعناه في الصحيحين﴾ اذ لفظهما كما في الجمع بينهما للحميدي عن ابن عباس لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال وأموالهم ولكن اليمين على المدعى عليه

﴿الحديث الرابع والثلاثون﴾

﴿عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى﴾ أي علم سواء أبصر أم لا لان الرؤية بالبصر لا تشترط فهي قلبية ويصح كونها بصرية ويقاس غير المبصر على حكم المبصر والاول أشبه وهذا الحديث قاله أبو سعيد الخدري لما قام مروان يخطب العيد

الى استعفر الله بالتثويب والعمل الصالح ويقصر الامل ويترك الميل الى غرور الدنيا فانه لا يدري متى يأتيه الموت فيرتحل الى الآخرة كالغريب أو عابر السبيل لا يدري متى يصل الى وطنه صباحا أو مساء فهو اذا أمسى في غربته لا ينتظر الصباح واذا أصبح لا ينتظر المساء (قوله وخذ من صحتك لمرضك) وفي رواية لسقمك ومعناه اغتنم العمل الصالح في أيام صحتك فان المرض قد يطرأ عليك فيمنعك منه فتقدم اليه بما تجد زاد وقيل تأهب للذي لا بد منه فان الموت هيقات العباد أترضى ان تكون رفيق قوم

لهم زاد وأنت بغير زاد

فان قلت ورد أن العبد اذا مرض أو سافر كتب له ما كان يعمل صحيحا مقيما قلنا انه ورد في حق من يعمل والتحذير الذي في هذا الخبر في حق من لم يعمل شيئا فانه اذا مرض ندم على ترك العمل وعجز لمرضه عنه فلا يفيده الندم (قوله وخذ من حياتك لموتك) أي اغتنم أيام حياتك لا تمر عنك في سهو وغفلة فتندم بعد موتك حيث لا ينفعك الندم * وقد ذم الله تعالى طول الامل فينبغي للعاقل اذا أمسى لا ينتظر الصباح واذا أصبح لا ينتظر المساء بل يظن ان أجله يدركه قبل ذلك وليكثر من ذكر الموت

وقال لرجل حضر الصلاة قبلها فقال حل تركت ما هنالك فقال أبو سعيد أما هذا فقد قضى ما عليه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث وهو أصل دليل على أن أول من فعل هذا مروان لا عثمان ولا عمر اذ لم يصح ذلك لكن في الصحيحين عن أبي سعيد انه هو الذي حدث به مروان حين رآه يصعد المنبر فرد عليه مروان بمثل ما رد على الرجل فيجوز أن تكون قصة أخرى ﴿منكم﴾ أي معشر المكلفين القادرين بتفريج نحو سبع ومجنون وعاجز والخطاب لجميع الامة لا الحاضر فقط ﴿منكرا﴾ أي شيئا قبيحا بحده الشرع قولا أو فعلا ولو صغيرة ﴿فليغيره﴾ اي يزيله وجوبا عينيا ان انفرد بعلمه وكفائيا ان شاركه غيره والوجوب بالشرع لا بالعقل خلافا للمعتزلة وله شروط الاول ان يكون عالما بذلك لئلا يتكلم الجاهل فيؤدي نهيه الى مفسدة أعظم كنهيه عن زنا فيؤدي لقتل الثالث أن يكون مجمعا على تحريمه أو يكون مدرك الفاعل فيه ضعيفا كشرب النبيذ ونكاح المتعة الرابع أن يكون ظاهرا في الوجود فلا يتجسس على الناس ولا يقتحم الدور ولا يبحث عما خفي في كم ونحوه الخامس أن يعلم او يظن أنه يفيد بانتفاء الشرط الاول يبقى الجواز وبانتفاء الاخير يبقى الوجوب ويبقى الجواز والندم تم انه لا يشترط في النهي عن المنكر ان يكون المتلبس به عاصيا كقاتل الباغي المتأول وضارب الصبيان على فعل الفواحش وقتل الصائل من صبي أو مجنون اذا لم يمكن دفعه الا به وعلم مما سبق أن التجسس غير مطلوب بل هو مذموم منهي عنه لقوله تعالى ولا تجسسوا * واستثنى الماوردي من ذلك ما اذا أخبره من يثق بقوله ان رجلا خلا برجل ليقتله أو امرأة ليزني بها فانه يجوز له في مثل هذه الحالة أن يتجسس ويقدم على الكشف والبحث حذرا من فوات ما لا يستدرك وأما العدالة وإذن الامام فالمشهور عدم اشتراطهما الا ان يخاف من المفسدة فلا بد من إذن الامام وروي عن عمر رضي الله عنه أنه أحس من رجل بالخنا فتسور عليه فرآه على منكر فصاح عليه فقال الرجل يا أمير المؤمنين أن عصيت الله في واحدة وقد عصيته أنت في ثلاث قال وما هن قال تجسست وقد قال الله تعالى ولا تجسسوا فقد تسورت وأتيت البيوت من ظهورها وقد أمر الله بإتيانها من أبوابها ودخلت غير بيتك من غير أن تستأذن وتسلم وقد أمر الله بذلك فقال له عمر صدقت واستغفر لنا فقال غفر الله لنا ولك يا أمير المؤمنين وذكر بعضهم أنه مشى عمر رضي الله عنه بالليل فرأى نارا في بيت فأتى اليها فاذا قوم يشربون وشيخ بينهم فاقتحم عليهم وقال يا أعداء الله أمكن الله منكم فقال الشيخ ما نحن باعظم منك ذنبا يا أمير المؤمنين ان عصينا الله في واحدة فقد عصيته أنت في ثلاث فقال له عمر وما هن فقال تجسست وقد قال الله تعالى ولا تجسسوا وأتيت البيوت من ظهورها وقد أمر الله بإتيانها من ابوابها ودخلت بيتا غير بيتك من غير استئذان ولا تسليم وقد أمر الله تعالى بذلك فاحتشم عمر وقال صدقت استغفر لي فقال الشيخ غفر الله لنا ولك وقد كان الحسن البصري يقول اياكم والتجسس فوالله لقد أدركت ناسا لا عيوب لهم فتجسسوا على عيوب الناس فاحدث الله لهم عيوبا ﴿بيده﴾ لانها أبلغ في تغييره كالرافة الخمر وتفكيك آلة اللهو والحيلولة بين الضارب والمضروب ورد المغصوب الى مالكه ونزع الحرير من لابسه فاذا احتاج الى اظهار سلاح أو حرب رفع الى السلطان * وقد حكي أن شجرة كان يعبدها الناس فقصد رجل قطعها فلما شرع في القطع جاء الشيطان وأراد منعه ثم بقدر الشيطان عليه فقال له اترك القطع وأعطيك كل يوم كذا وكذا من الدراهم تجده في فراشك فامتنع من القطع ورجع فوجد الدراهم يومين أو ثلاثة ثم فقدها في اليوم الرابع فغضب وأخذ الفاس وتوجه الى الشجرة

فان ذكره عون على الزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالموت واعظا وقال صلى الله عليه وسلم

أكثروا من ذكرها هادم اللذات وقال أكثروا من ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا وسئل صلى الله عليه وسلم عن أكيس الناس فقال أكثرهم للموت ذكرا وأشدهم له استعدادا أولئك هم الأكياس (٢٥٩) ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة

الشجرة فالقيه الشيطان في الطريق فتصارع معه فغلبه الشيطان لان في المرة الاولى كان قصده خالصا لله تعالى وفي المرة الثانية انما غضب لاجل الدنيا ﴿فان لم يستطع﴾ الانكار بيده ﴿فبلسانه﴾ بان يمنعه بالقول والكتابة ما أنزل الله من الوعيد والقبول كمباح واستخانة وترتيب وتكبير بالله وأليم عقابه مع لين واغلاظ بحسب ما يقتضيه المقال وقد يبلغ بالرفق والسياسة ما لا يبلغ بالسيف والرئاسة ولهذا قال بعض العلماء من رأى عورة أحد في الحمام ينبغي ان يكون انكاره عليه بهذه الصيغة وهي أن يقول له استر سترك الله وقد روي أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر شرب الخمر بالشام فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب له حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير فترك الرجل الخمر وتاب منها وحكى التاج السبكي عن أبيه أنه كان مجتمع بعض الامراء وكان الامير يلازم الخمر فقال يا أمير بكم الذراع من هذا فقال بدينار فقال في الصوف ما يساوي كل ذراع منه دانير وما ليكاك وخدمك يشاركونك في لبس الحرير ولا يليق شهامتك أن يساووك فاعدل الى الصوف فانه أعلى وأغلى مع ما فيه من السلامة من العقاب الاخروي فاستحسن كلامه وقال لا ابتدع هذا حرام لم يفعله قال العارف ابن العربي لو كشف لولي أن فلانا يزني فلانة أو يشرب الخمر لزمه النهي ولم يسقط عنه لان نور الكشف لا يعارض نور الشرع فشاهده من طريق الكشف لا يسقط النهي عنه لانه تعالى تعبدنا بازالة المنكر وان شهدنا بالكشف أنه محتم الوقوع وظاهر الحديث أنه يلزمه الامر والنهي وان كان هو لم يمتثل ذلك وبه صرح في رواية الطبراني من حديث أنس قلت يا رسول الله لا آمر بالمعروف حتى أفعله ولا أنهى عن المنكر حتى أجتنبه فقال مر وا بالمعروف وان لم تفعلوه وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله لانه يجب ترك المنكر وانكاره فلا يسقط أحدهما بترك الآخر وهذا قول للحسن فلان لا يسقط ويقول اذا أخاف أن أقول ما لا أفعل وأيانا يفعل بما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذا فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر ولو توقف الامر والنهي على الاجتناب لرفع الامر بالمعروف وتعطل النهي عن المنكر وانسد باب النصيحة التي حث الشارع عليها سيما في هذا الزمان الذي صار التلبس فيه بالمعاصي شعار الاكثر ودثارا لخاص والعام ولا يعارض هذا ما صح أنه صلى الله عليه وسلم رأى في النار قوما يقرضون كما تقرض الرحى فسأل جبريل عنهم فقال كانوا يأمرون بالمعروف ولا يفعلونه وينهون عن المنكر ويفعلونه لان تعذيبهم انما هو على فعل المنكر لا على انكاره ولا ينافي ما تقرر من الواجب قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم لانها محمولة على ما اذا عجز المنكر عن ازالة المنكر ولا شك في سقوط الوجوب حينئذ على ان معناها عند المحققين انكم اذا فعلتم ما كلفتم به لا يضركم تقصير غيركم نعم ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كلفنا به الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فاذا لم يمتثلهما المخاطب فلا عتب حينئذ لان الواجب الامر بالمعروف لا القبول ﴿فان لم يستطع﴾ الانكار بلسانه لوجود مانع كخوف فتنة أو على نفس أو عضو أو مال محترم ﴿فبقلبه﴾ اي فينكر بقلبه اذ لا تغيير بالقلب ويشبه هذا التركيب قوله صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب فان لم تستطع فمستلقيا لا يكلف الله نفسا الا وسعها فيجب على حد علقتها تبنا وماء باردا لكن فيه انه من خصائص الواو ألا ترى قول ابن مالك وهي انفردت بعطف عامل مزال قد يقي ٭ معموله ومعنى الانكار

وقال الحسن فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحا وكان عمر بن عبد العزيز لا يذكر في مجلسه الا الموت والآخرة والنار وقال سفيان الثوري رأيت في مسجد الكوفة شيخا يقول أنا منذ ثلاثين سنة في هذا المسجد أنتظر الموت أن ينزل في فلو أتاني ما أمرت بشيء ولا نهيت عن شيء ومرض أعرابي فقيل له انك تموت قال أين يذهب بي قال الى الله قال فكيف أكره أن أذهب الى من لا أرى الخير الا منه هذا حال من كان منتهيا الموت ولا يشتغل بالدنيا فاما من كان غافلا عن الآخرة حتى يأتيه الموت على غرة فانما يجد لقدومه غما وحسرة * قال وهب ابن منبه ركب ذلك من الملوك يوما فاعجبه ما هو فيه من زينة الدنيا وكثرة الغلمان والاعوان والملابس الحسان فامتلأ قلبها وكبرا فبينما هو كذلك اذ جاءه شخص رث الهيئة فسلم عليه فلم يرد عليه السلام فاخذ بلجام فرسه فقال له ارسل اللجام فلقد تعاطيت أمرا عظيما فقال ان لي اليك حاجة أسرها اليك فادنى اليه رأسه فساره وقال أنا ملك الموت فتغير لونه واضطرب لسانه وقال دعني حتى أرجع الى أهلي وأودعهم فقال لا والله لا ترى أهلك أبدا فقبض

وبوجهه فوقع كأنه خشبة ثم مضى ملك الموت عليه السلام فلقي عبدا مؤمنا يمشي في الطريق فسلم عليه فرد عليه السلام فقال إن لي إليك
حاجة وساره وقال أنا ملك الموت فقال مرحبا وأهلا بمن طالت غيبته عني والله ما من غائب أحب إلي أن

ألقاه منك فقال ملك الموت اقض حاجتك التي خرجت إليها فقال والله ما من حاجة أحب إلي من لقاء الله عز وجل قال فاختر على أي حالة أقبض روحك فقد أمرت بذلك فقال دعني أصلي وأقبض روحي في السجود فصلى فقبض روحه وهو ساجد ﴿ خاتمة المجالس ﴾ حكي أن رجلا جمع مالا عظيما ثم صنع يوما طعاما لأهله وقعد على سريره وهم بين يديه يأكلون وقد وضع رجلا على رجل وهو يقول لنفسه تنعمي فقد جمعت لك ما يكفيك فبينما هو كذلك إذ أقبل ملك الموت في زي المسكين فقرع الباب فخرج إليه بعض الغلمان فقالوا ما حاجتك فقال ادعوا لي سيدكم فانبئوه وقالوا مثلك يخرج إليه سيدنا قال نعم فجاؤوا فأخبروا سيدهم بذلك فقال هلا ضربتموه فعاد فقرع الباب قرعا شديدا فخرجوا إليه فقال أخبروا سيدكم أني ملك الموت فلما سمعوا وقع على الجميع الذل ودخل ملك الموت عليه السلام

بالقلب كراهته له على المنكر وظهور ذلك على وجوارحه إن لم يخف على نفسه والعزم على أنه لو قدر على تغييره بقول أو فعل وهذا واجب عينا على كل أحد بخلاف اللذين قبله فإنهما قد يكونان فرض كفاية كما هو وذكر الشيخ الشعراني في المنن عن سيدي إبراهيم المتبولي أن تغييره باليد يكون للولاة الذين يضربون ولا يضربون وتغييره باللسان للعلماء العاملين فيؤثر زجرهم باللسان في قلب ذلك المنكر عليه فيرجع عن ذلك المنكر وتغييره بالقلب على العارفين الذين غلب عليهم شهود احتقارهم نفوسهم أن يكونوا أهلا لتغييرهم فيتوجه أحدهم بقلبه إلى الله عز وجل في تغيير ذلك المنكر فيكف الظالم عن ظلمه وشارب الخمر عن شربه فهذا هو التغيير حقيقة وأما قول الإنسان اللهم إن هذا منكر لا أرضاه فليس فيه تغيير قلب اهـ والحق أن المراتب الثلاث تكون على واحد من الثلاثة فأول المراتب المقاتلة والجهاد فإن عجز عن الجهاد أنكر باللفظ ليقبح ذلك المنكر عند فاعله وعند من رآه وإن عجز بأن خاف ضررا من قتل أو جرح أو إخراج من وطن فليقل اللهم إن هذا منكر لا أرضاه والله أعلم ﴿ وذلك ﴾ أي الإنكار بالقلب ﴿ أضعف الإيمان ﴾ أي الأعمال فلا يرد أن المنكر بالقلب قد يكون أقوى الناس إيمانا والإيمان قد يطلق على الأعمال كما أطلق على الصلاة في قوله تعالى وما كان الله ليضيع إيمانكم أي صلاتكم لبيت المقدس أو المراد به الإسلام وهو على حذف مضاف أي أضعف خصال الإسلام أو باق على حقيقته والمراد أقل آثار الإيمان وثمراته في النفع وإطلاق الإيمان على المعنيين الأولين مجاز مرسل على طريق إطلاق اسم المسبب على السبب فإن الإيمان سبب الاستقلال بالشرائع المأمور بها وإنما كان الإنكار بالقلب أضعف الإيمان لأن مجرد كراهته بقلبه لا يحصل به زوال مفسدة المنكر المطلوب زواله فهو قاصر بخلافه باليد واللسان فإنه متعد فإنه كراهة وإزالة وقد قيل التغيير باليد للأمراء وباللسان للعلماء وبالقلب للعامة قال ابن الفاكهاني وأعجب ما في زماننا أن الذين يظن بهم العلم والدين كان يتعين عليهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متلبسون بمناكر شتى يجب إنكارها عليهم شرعا ولقد أحسن من قال

بالملح يصلح ما يخشى تغيره * فكيف بالملح إن حلت به الغير

وقال آخر

هذا الزمان الذي كنا نحاذره * في قول كعب وفي قول ابن مسعود
دهر به الحق مردود بأجمعه * والجور فيه أذا ما غير مردود
إن دام هذا ولم يحدث له غير * لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

﴿ رواه مسلم ﴾ والنسائي

﴿ الحديث الخامس والثلاثون ﴾

﴿ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا ﴾ خطاب لكل من يتأتى توجيه الخطاب إليه وأصله بتاءين حذفت إحداهما تخفيفا وكذا فيما بعده أي لا يحسد بعضكم بعضا وهو لغة وشرعا تمني زوال نعمة الغير سواء تمنى انتقالها إليه أم لا وهو قبيح بالإجماع إلا أن الثاني أقبح واشتهر مخصوص الأول وبعضهم خصه بأن يتمنى ذلك لنفسه والحق أنه أعم وهو مذموم وصاحبه مغموم وكفى ذما أنه يفسد الطاعات ويبعث على الخطيئات وهو الداء العضال الذي ابتلي به كثير من العلماء فضلا عن العامة حتى أهلكهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو قال الخشب ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم

عليه فأحضروا أمواله ونظر إليها تحسرا وتأسفا وقال لعنك الله من مال أشغلتني عن عبادة ربي فأنطق الله المال وقال لم تسبني وقد كنت تدخل على الملوك بي وترد المتقين وقد كنت تنفقني في سبيل الشر فلا

استنع منك ولو انفقني في سبيل الخير لنفعك ثم تبغض ملك الموت وتهرب منه وانصرف فقال الله تعالى أن يلهمنا رشدنا ويعيذنا من شر انفسنا ويوفقنا لما يحب ويرضى ويعصمنا عن الشرك به آمين والحمد لله رب العالمين

﴿ المجلس الحادي والاربعون في الحديث الحادي والاربعين ﴾

الحمد لله الذي شرفنا بخاتم النبيين اذ كنا خير أمة أخرجت للناس وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله الصادق الوعد الامين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وازواجه وذريته الى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا آمين ﴿ عن ابي محمد عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به حديث حسن صحيح رويناه في كتاب الحجة باسناد صحيح ﴾ اعلموا اخواني وفقني الله وإياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم نافع (قوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم) أي لا يصدق في ايمانه (قوله حتى يكون هواه) بالقصر يعني ما يحبه ويميل اليه (قوله تبعا لما جئت به) أي من هذه الشريعة المطهرة الكاملة فلا يؤمن حتى يميل طبعه وقلبه الى ذلك كما يكون في محبوباته الدنيوية التي جبلت النفوس على الميل اليها من غير مجاهدة واحتمال مشقة فيهوى بقلبه ويميل بطبعه الى ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الدين

وسلم الحسد يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وحسبك به أن الله تعالى أمر بالاستعاذة من شره الحاسد كما أمر بها من شر الشيطان ويكفيك في قبحه انه أول ذنب عصي الله به لان ابليس لم يحمله على ترك السجود الا الحسد كما ان قابيل لم يحمله على قتل هابيل الا الحسد ورجاء أن سبب حسده له أنه تزوج أخت هابيل التي تسمى ليبوذا وكانت ليست كجمال أخته أقليميا التي تزوجها هابيل فكان من شريعة آدم ان الاختلاف بطون حواء بمنزلة اختلاف الانساب فكان يزوج ذكور كل بطن لاناث الاخرى وبالعكس وهذا لا ينافي ما في الآية الشريفة لانه جاء في القصة أن آدم عليه السلام لما أمر قابيل أن يزوج أخته لهابيل فامتنع أمرهما أن يتقربا الى الله تعالى وكانت العلامة على قبول ذلك نزول نار من السماء تاكله فقرب كل منهما قربانه فتقبل قربان هابيل فرآه حسده وعلى هذا فيكون حسده بشيئين أخروي وهو ما في الآية ودنيوي وهو جمال أخته التي تزوجها وجاء في عدة أخبار وآثار أنه يأكل الحسنات أي يحرقها ويذهب أثرها كما تاكل النار الحطب أي اليابس وقال عبد الله بن عبد الله بن مسعود لا تعادوا نعم الله قيل له ومن يعادي نعم الله قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ومن الحكمة ان الحسود لا يسود * وقد روي ان ابليس أتى باب فرعون فقرع الباب فقال فرعون من هذا فقال ابليس لو كنت إلها ما جهلت فلما دخل قال لفرعون أتعرف من في الارض شرا منك يعني قال من هو قال الحاسد وبالحسد وقعت في هذه الخطيئة ولا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس فالمراد به الغبطة مجازا وهي ان يتمنى ان يكون له مثل ما للغير من غير ان يريد زواله عنه وقد قيل ان موسى عليه الصلاة والسلام رأى رجلا عند العرش فغبطه وقال ان هذا لكريم على ربه فسأل ربه أن يخبره باسمه فلم يخبره وقال أحدثك من عمله بثلاث كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يمشي بالنميمة والغبطة مباحة في الدنيوي ومندوبة في الاخروي وقال بعضهم

اصبر على حسد الحسو * د فان صبرك قاتله — فالنار تاكل بعضها * ان لم تجد ما تاكله

وقال بعضهم الحاسد جاحد لانه لا يرضى بقضاء الواحد وفي معناه قال منصور الفقيه

ألا قل لمن ظل لي حاسدا * أتدري على من أسأت الادب
أسأت على الله في حكمه * اذا أنت لم ترض لي ما وهب

ولابي الطيب واظلم أهل الارض من كان حاسدا * لمن بات في نعمائه يتقلب

وقال بعضهم دع الحسود وما يلقاه من كمده * يكفيك منه لهيب النار في كبده
ان نمت ذا حسد فرجت كربته * وان سكت فقد عذبته بيده

وقال عمر بن عبد العزيز ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحاسد غم دائم ونفس متتابع وفيه قال بعضهم

قل للحسود اذا تنفس طيمه * يا ظالما وكأنه مظلوم

وقال بعضهم ان الغراب كان يمشي مشية * فيما مضى من سائر الاحوال
حسد القطاة فرام يمشي مشيها * فاصابه ضرب من الامثال

وروي انه صلى الله عليه وسلم أخبر عن رجل من الانصار أنه من أهل الجنة فبات عنده عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما ليطالع عمله فلم ير له كبير عمل فقال له ما الذي بلغ بك ما قال رسول الله صلى الله

المشتمل على الايمان والاحسان والنصيحة لله تعالى ولرسوله ولكتابه وهو أمور جامعة لم يبق بعدها الا تفاصيلها التي في ضمنها فمن كان هواه تابعا لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فهو مؤمن ﴿ تنبيه ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بعض خطبه وهو واعظه أيها الناس لا تشغلنكم دنياكم عن آخرتكم ولا تؤثروا أهواءكم على طاعة ربكم ولا تجعلوا اعمالكم ذريعة الى مما صيكم وحاسبوا انفسكم قبل أن تحاسبوا وتهدوا لها قبل أن تعذبوا وتزودوا للرحيل قبل ان تزعجوا فانما هو موقف عدل واقتضاء حق وسؤال عن واجب ولقد أبلغ في الاعذار من تقدم في الانذار فانظروا يا اخواني الى هذا الحديث ما اعظمه واعملوا بما فيه وخالفوا هواكم فقد قيل ان الهوى لهو الهوان بعينه

فاذا هويت فقد لقيت هوانا

وقال آخر

نون الهوان من الهوي مسروقة

فاذا هويت فقد لقيت هوانا

﴿ نكتة ﴾ في مخالفة الهوى قال الله تعالى وهو أصدق القائلين وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى * وقد ذكر السري السقطي رضي الله عنه في قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اصبروا اي على الدنيا رجاء السلامة وصابروا

عليه وسلم قال ما هو الا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لاحد من المسلمين غشا ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله اياه فقال عبد الله هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق وحكي أن بعض الصالحين كان يجلس بجنب ملك يسمع ويقول له أحسن الى المحسن يا محسن تكفي المسيء فحسده بعض الجهلة على قربه من الملك وعمل الحيلة على قتله فسعى به للملك وقال انه يزعم أنك أبخر وأمارة ذلك أنك اذا قربت منه يجنبه يده على أنفه لئلا يشم رائحة البخر فقال له انصرف حتى أنظر فخرج فدعا الرجل لمنزله وأطعمه ثوما فخرج الرجل من عنده وجاء ليقال للملك مثل قوله السابق أحسن الى المحسن يا محسن تكفي المسيء فعله كعادته فقال الملك ادن مني فدنا منه ووضع يده على فيه خافة ان يشم منه رائحة الثوم فقال الملك في نفسه ما أرى فلانا الا قد صدق وكان الملك لا يكتب بخطه الا جائزة فكتب لبعض عماله اذا أتاك صاحب كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الي فاخذ الكتاب وخرج فلقيه الذي سعى به فقال ما هذا الكتاب قال خط الملك لي بصلة فقال هبه مني فقال هو لك فاخذه ومضى به الى العامل فقال له العامل في كتابك أني أذبحك وأسلخك فقال ان الكتاب ليس هو لي انما الله في أمري حتى أراجع الملك فقال ليس الكتاب الا مراجعة فذبحه وسلخه وحشى جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل للملك كعادته وقال مثل قوله فعجب الملك وقال ما قلت يا الكتاب قال لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له فقال الملك انه ذكر لي أنك تزعم اني أبخر قال ما قلت ذلك قال فلم وضعت يدك على أنفك وفيك قال أطعمني ثوما فخشيت ان تشمه قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفي المسيء اساءته كذا ذكر بعض الشراح وذكر في المستطرف أنه حكي ان رجلا من العرب دخل على المعتصم فقربه وأدناه وجعله نديمه وصار يدخل عليه من غير استئذان وكان له وزير حاسد فغار من البدوي فحسده وقال في نفسه ان لم أقتل هذا البدوي اخذ بقلب أمير المؤمنين ويمدني عنه فصار ذلك الوزير يتلطف بالبدوي حتى انتهى به الى منزله فطبخ طعاما وأكثر فيه من الثوم فلما أكل البدوي منه قال احذر ان تقرب من أمير المؤمنين يشم منك رائحة الثوم فيتأذى بذلك فانه يكره رائحته ثم ذهب الوزير الى أمير المؤمنين فخلا به وقال يا أمير المؤمنين ان البدوي يقول للناس ان امير المؤمنين أبخر وهلكت من رائحة فمه فلما دخل البدوي على امير المؤمنين جعل كمه على فمه خافة ان يشم منه رائحة الثوم فلما رآه امير المؤمنين وهو يستره بكمه قال ان الذي قاله الوزير عن هذا البدوي صحيح فكتب امير المؤمنين كتابا الى بعض عماله يقول فيه اذا وصل اليك كتابي هذا فاضرب رقبة حامله ثم دعا بالبدوي ودفع له ما رسم به امير المؤمنين وخرج به من عنده فبينما هو بالباب فقال الوزير اين تريد فقال اتوجه بكتاب امير المؤمنين الى عامله فلان فقال الوزير ان هذا البدوي يحصل له مال جزيل فقال يا بدوي ما تقول فيمن يربحك من هذا التعب الذي يلحقك في سفرك ويعطيك الفي دينار فقال البدوي أنت الكبير وانت الحاكم وما رأيته من الرأي افعل فقال اعطني الكتاب فدفعه اليه فاعطاه الوزير ألفي دينار وركب الوزير وسار بالكتاب الى المكان الذي هو قاصده وسلم الكتاب للعامل فلما قرأ العامل الكتاب أمر بضرب رقبة الوزير فبعد أيام تفكر الخليفة في أمر البدوي وسأل عن الوزير فاخبر بان له أياما ما رؤي وان البدوي مقيم بالمدينة فتعجب من ذلك وأمر باحضار البدوي فسأل عن حاله فاخبر بالقصة التي اتفقت له مع الوزير من أولها الى آخرها فقال له الخليفة انت قلت اني أبخر فقال معاذ الله يا أمير المؤمنين ان أحدث بشيء ليس لي به علم

قال القتال في سبيل الله بالنيات والاستقامة ورابطوا النفس الأوامة واتقوا ما يعقب لكم من الندامة لعلكم تفلحون هذا على بساط الكرامة * وفي كتاب الفرج بعد الشدة ان راهبا اشتهر ببلاد مصر بالمكاشفة فقال عالم

علم وانما كان مكر امته وحسدا وأعلمه كيف دخل بعضهم وأطعمه الشوم وما جرى له منه فقال له أمير المؤمنين قاتل الله الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله ثم خلع على البدوي واتخذه وزيرا ورماح الوزير بحسده فتأملوا رحمكم الله شؤم الحسد وما أجرى اليهود على المؤمن من قوله صلى الله عليه وسلم لا تظهر الشماتة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك ﴿ولا تناجشوا﴾ بتقديم الشين على الجيم مشددتين من النجش وهو لغة الاثارة يقال نجشت الصيد اثرته لانه يثير الرغبات في المبيع ويغري عليها واصطلاحا الزيادة في المبيع لا لرغبة في الشراء بل ليغر غيره بما ذكره بصيغة التفاعل لان التجار يتقارضون في ذلك فيفعل هذا لصاحبه على ان يكافئه بمثله وهذا النهي لا يقتضي الفساد لانه خارج عنه غير لازم وتفسير النجش بما ذكر هو ما عليه الاكثر وقيل المراد في الحديث النهي عن اغراء بعضهم بعضا على الشر والخصومة حكاه القاضي وغيره وقال الافليسي لا تناجشوا معناه لا يكن بينكم تناقر ولا تباعد والاصل في النجش تنفير الوحوش من مكان الى مكان فكأنه ينهى عن أن يسعى الانسان في تغيير قلبه بالقطيعة للناس حتى يقع بينهم استيحاش ولا تطلبوا قلوبهم الا استئناسا من الذي جعله الله سبب التحاب بين الناس ﴿ولا تباغضوا﴾ أي لا يبغض بعضكم بعضا أي لا تتعاطوا أسباب البغض لانه قهري كالحب لا قدرة للانسان على اكتسابه ولا يملك التصرف فيه وهو النفرة من الشيء لمعنى مستقبح فيه ويرادفه الكراهة كقوله عليه الصلاة والسلام هذا قسمي فيما املك فلا تلمني فيما لا املك ولا املك ثم هو بين اثنين اما من جانبهما أو من جانب احدهما وعلى كل فهو لغير الله حرام وبه صرح جمع الحديث وله واجب ومندوب كما قال تعالى لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء قال صلى الله عليه وسلم من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان وقيل معناه لا توقعوا العداوة والبغضاء بين المسلمين ﴿ولا تدابروا﴾ أي لا تكلموا في ادبار اخوانكم بالغيبة والبهتان ويحتمل معناه لا تولوا أدباركم استقبالا بل ابسطوا وجوهكم وقيل من الادبار وهو الاعراض المؤدي الى التقاطع والمعاداة لان كل واحد يولي صاحبه دبره أي لا يعرض بعضكم عن بعض كراهية فيه ونفرة منه لانه يؤدي الى تضييع ما يجب من حقوق الاسلام من الاعانة والنصرة ونحوهما وقيل معناه لا تقاطعه للابد من قولهم قطع الله دابره اي من بقي بعده وفي الحديث لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة ايام وفي رواية لا يحل لرجل أن يهجر اخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام وأخذ منه العلماء ان السلام يرفع اثم الهجر وانشد بعضهم

هجرك لي ياسيدي مظلمه * فاستفت فيها ابن أبي خيثمه
فانه يرويه عن جده * وجده يرويه عن عكرمه
عن ابن عباس عن المصطفى * نبينا المبعوث بالمرحمه
أن صدود المرء عن خله * فوق ثلاث ربنا حرمه
وأنت منذ شهر لنا هاجر * فما تخاف الله فينا فمه

وأخرج مسلم وغيره تعرض الاعمال في كل اثنين وخميس فيغفر الله عز وجل في ذلك اليوم لكل امرىء لا يشرك بالله شيئا الا امرأ كانت بينه وبين أخيه شحناء يقول اتركوا هذين حتى يصطلحا وفي رواية له تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا الا رجلا كان بينه وبين أخيه شحناء فيقول أنظروا هذين حتى يصطلحا أنظروا هذين حتى يصطلحا أنظروا

المسلمين لا بد من قتله شوقا على المسلمين أن يقتلوه فقصده بسكين مسمومة فلما طرق بابه قال اطرح السكين يا عالم المسلمين فطرحها فدخل فقال له من أين لك نور المكاشفة قال بمخالفة النفس فقال هل لك في الاسلام قال نعم أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قال ما حملك على ذلك قال عرضت الاسلام على نفسي فأبت فخالفتها * وحكي أن عابدا من عباد بني اسرائيل راودته امرأة عن نفسه فطلب منها ماء ليتطهر به ثم صعد الى موضع عال في القصر ورمى نفسه الى الارض فقيل لابليس هلا أغويته فقال ليس لي سلطان على من خالف هواه * وقال المرعشي رحمه الله كنت في مركب فكسر بنا فوقعت أنا وامرأة على لوح فعطشت المرأة فسألت الله ان يسقيها فنزلت علينا سلسلة فيها كوز ماء فنظرت الى رجل في الهواء فقلت له كيف جلست في الهواء قال تركت هواي هواء فجلسني في الهواء وقال الشبلي رحمه الله لما قالت له الشجرة يا شبلي كن مثلي يرموني بالاحجار وأرميهم بالثمار فقال لها كيف مصيرك الى النار قالت يميلني مع الهواء هكذا وهكذا وقد جاء

في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قدر على امرأة وجارية فمر امامتهن فاطمة الله أمنه الله تعالى يوم الفزع الاكبر وحرم على النار وادخله الجنة ﴿ تكملة ﴾ قال ابو زرعة رأيت امرأة في الطريق فقلت هل لك في الاجر والثواب فتعود مريضا قلت نعم قالت ادخل داري فدخلتها فخلقت الابواب فعلمت مقصودها فقلت اللهم سود وجهها فاسود في الحال فتحيرت وقمت الابواب فلما خرجت من عندها قلت اللهم رديها كما كانت فعادت باذن الله تعالى * وقيل ان موسى عليه السلام قال يارب خلقت الخلق وربيتهم بنعمتك ثم جعلتهم يوم القيامة في النار فقال يا موسى ازرع زرعا فزرعه وحصده ودرسه فاوحى الله تعالى اليه ما فعلت في زرعك قال رفعته قال هل تركت منه شيا قال تركت مالا خير فيه قال يا موسى كذلك أدخل النار من لا خير فيه نسأل الله العفو والعافية بمنه وكرمه آمين ﴿ خاتمة المجلس ﴾ حكي ان بعض الصالحين كان يعمل الاطباق فخرج يوما يبيعها فرأته امرأة فقالت ادخل منزلي حتى اشتري منك فدخل فغلقت الابواب وطلبت منه الفاحشة فقال اريد ماء اتطهر به فقطع الى سطح الدار ورمى نفسه فامر الله ملكا فحمله على جناحه الى الارض سالما فرجع الى زوجته فاخبرها بامره وكانا صائمين فقالت نطوي هذه الليلة ونحييها بالصلاة شكرا لله تعالى على السلامة من المعصية ولا

مذنبين حتى يهمما لمحاوا أخرج الطبراني وابن حبان في صحيحه والبيهقي يطلع الله تعالى الى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه الا لمشرك او مشاحن فوريعه مغايرته لما قبله ان الشخص قد يغفر صاحبه عادة ويوقيه عقوبته وتدمير ضرعنه لنحو تهمة او تاديب وهو يحبه ومن هذا القبيل قول بعضهم لا يكتم الحب الا خشية التهم ولذا ورد أن عمر بن الخطاب قال لرجل لا أحبك فقال له يا أمير المؤمنين بحملك ذلك على أن تمنعني حقا هو لي قال لا قال فلا أبالي اذن قال الحب من شان النساء ولا يسر بها بالجزم على النهي ﴿ بعضكم ﴾ أي معشر المكلفين من المسلمين والذميين والتقييد بالمسلم في الاخبار الغالب فلا فارق اخذ بمفهومه ﴿ على بيع بعض ﴾ الفيه من تغيير القلوب بان يقول لمشتري سلعة في زمن الخيار رد هذا البيع وأنا أبيعك مثلها بانقص من ثمنها او اجود منها بمثل ثمنها ومثله الشراء بان يقول آخر البائع في مدة الخيار انسخه وانا أشتريه منك بازيد ﴿ وكونوا عباد الله ﴾ منادى مضاف أي يا عباد الله فحذف حرف النداء ﴿ اخوانا ﴾ خبر كان زاد مسلم كما أمركم الله ونسبها الى الله لان الرسول مبلغ عن الله تعالى وهذا الخبر كالتعليل لما قبلها كانه قال اذا تركتم التحاسد وما بعده كنتم اخوانا والا كنتم اعداء ومعنى كونوا اخوانا تعاطوا أسباب المودة واكتسبوا ما تصيرون به اخوانا من الامور المقتضية لذلك كابداء السلام ورده وتشميت العاطس وعيادة المرضى وتشييع الجنائز واجابة الدعوى والتعاون على البر والتقوى وطلاقة الوجه والمصافحة والنصح وقد قيل لخالد بن صفوان اي الاخوان أحب اليك قال الذي يغفر زلتي ويسد خلتي ويقبل علي وقال القرطبي كونوا كاخوان النسب في الشفقة والرحمة والمحبة والمواساة والمعاونة والنصيحة وحب بعضهم

من لي بانسان اذا أغضبته * وجهلت كان الحلم رد جوابه
واذا صبوت الى المدام شربت من * أخلاقه وسكرت من آدابه
وتراه يصغي للحديث بطرفه * وبقلبه ولسانه أدري به

وروى الترمذي تهادوا فان الهدية تذهب وحر الصدور والوحر بفتح الحاء المهملة الغش والوساوس وقيل الحقد والغيظ وقيل العداوة وقيل أشد البغض ﴿ المسلم أخو المسلم ﴾ لانه يجمعهما دين واحد ومن ثم قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة فهم كالاخوة الحقيقية وهو ان يجمع الشخصين ولادة واحدة من صلب او رحم او منهما والاخوة الدينية اعظم من الاخوة الحقيقية لان ثمرتها أخروية وثمرة تلك دنيوية ﴿ لا يظلمه ﴾ أي لا ينقصه حقه ومنه اياه لان الظلم حرام ومذهب تبركة فقد اخرج ابن مردويه الاصبهاني في الترغيب والبيهقي عن مجاهد عن ابن عباس ان ملكا من الملوك خرج يسير في مملكته وهو مستخف من الناس حتى نزل على رجل له بقرة فراحت عليه تلك البقرة فحبلت فاذا حلابها مقدار حلاب ثلاثين بقرة فحدث الملك نفسه باخذها فلما كان الغد غدت البقرة الى مرعاها ثم راحت فحبلت فنقص لبنها على النصف وجاء مقدار خمس عشرة بقرة فدعا الملك صاحبها فقال اخبرني عن بقرتك ارعت اليوم في غير مرعاها بالامس وشربت من غير مشربها بالامس تقال ما رعت في غير مرعاها بالامس ولا شربت من غير مشربها بالامس فقال ما بال حلابها على النصف فقال أرى انك هممت باخذها فنقص لبنها فان الملك اذا ظلم او هم بالظلم ذهبت البركة قال وانت من اين يرفعك الملك قال هو كما قلت لك فعاهد الملك ربه ان لا يظلم

ولكن قد اعتاد أحدهم ان ان يأخذ نارا من التنور فان لم يروا نارا انتظروا انا في ضيق فاذا قد خلت التنور فدخلت عجوز الناخذ نارا فقالت يا فلانة اذكري انطفاء الذي في التنور قبل ان يحترق فجاءت فوجدت فيه جمرا كثيرا (٢٩٥) فكلما تم قاما الى العبادة وهو الله تعالى

ولا يأخذ البقرة فقد ذهبت فرجعت ثم راحت فحلبت فاذا لبنها قد عاد على مقدار ثلاثين بقرة فاعجب الملك وقال بيني وبين قسه أرى الملك اذا ظلم ورعيته ظلم ذهبت البركة لا يدوم لاحد ملك الا كون على الفضل العدل وليمضوم لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا * فالظلم آخره يأتيك بالندم

نامت عيونك والمظلوم منتبه * يدعو عليك وعين الله لم تنم

﴿وليمضوم﴾ اصبر على الظلم لا تقصر * فالظالم مردود على الظالم

واسكن الى الله مظلوما فما * ربي على الظالم بالنائم

﴿ولا يخذله﴾ أي لا يتركه لمن يظلمه ولا ينصره وقد قال صلى الله عليه وسلم انصر أخاك ظالما او مظلوما قيل له كيف ينصره ظالما قال يمنعه من الظلم قال العراقي بضم الذال المعجمة والخذلان ترك الاعانة والنصرة ذكره الطيبي والخذلان حرام سواء كان متعلقا بدنيوي امثل ان يقدر على دفع عدو يريد ان يبطش به فلا يدفعه او ديني امثل ان يقدر على نصحه فيتركه ﴿ولا يكذبه﴾ بفتح ياء المضارعة وتخفيف الذال المكسورة وبضم فسكون والاول أشهر وأكثر بل اقتصر عليه الحافظ العراقي في شرح الترمذي لكن اقتصر المؤلف على الثاني اي لا يخبره بامر على خلاف ما هو عليه لانه غش وخيانة وفي الحديث اذا كذب العبد تباعد الملك عنه ميلا من نتن ما جاء به رواه الترمذي وحسنه وينبغي لمن اضطر الى الكذب ان يعرض عن المعاريض ما أمكن حتى لا يعود نفسه الكذب وفي الخبر ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب روى ابن بكر انه كان مخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر معه فخلفاه العرب وهم يعرفونه ولا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون من هذا فيقول يهديني السبيل فيظنون انه يعني هداية الطريق وهو يريد سبيل الخير وكان ابراهيم بن أدهم اذا طلب في البيت يقول لخادمه قل لا اظنه في المسجد وقد وردا عرابيا بابي النبي صلى الله عليه وسلم قد ترك خصلة من الخصال المحرمة كالزنا والسرقة والكذب فقال النبي صلى الله عليه وسلم دع الكذب فصار كلما هم بزنا او سرقة او غيرها قال كيف أصنع ان سالني النبي صلى الله عليه وسلم فان صدقته عدني وان كذبته فقد عاهدني على ترك الكذب فكان تركه سببا لترك الفواحش كلها قال الغادي والكذب خمسة اقسام واجب لانقاذ مال مسلم او نفسه وحرام وهو الكذب لغير منفعة شرعية ومندوب وهو الكذب للكفار أن المسلمين أخذوا في أهبة الحرب اذا قصد بذلك ارهابهم ومكروه وهو الكذب للزوجة تطييبا لنفسها او مباح وهو الكذب للاصلاح بين الناس وتعقب ابن ناجي القسم الرابع بان السنة جوزت الكذب فيه اه وقال قوم الكذب كله قبيح فقد سئل مالك رضي الله تعالى عنه عن الرجل يكذب لزوجته وابنه تطييبا لنفسها فقال لا خير في الكذب ولقد احسن القائل

الصدق في افواننا اقوى لنا * والكذب في افعالنا أنفى لنا

فهم يقولون هم اشياعنا * فالهم قد يفعلوا اشياعنا

﴿ولا يحقره﴾ بياء مفتوحة وحاء مهملة وقاف مكسورة اي لا يستصغر شانه ويضع من قدره بالترفع عليه ولا ينظر بعين القلة والاستصغار ومن ذلك ان لا يسلم عليه اذا مر به ولا يرد عليه السلام اذا بدأ هو به وهذا انما يصدر في الغالب من غلب عليه الكبر والجهل ولا ينقصه بالوقيعة فيه بالاستهزاء والسخرية به وذكر معايبه اذا رأى منه حالة في بدنه او غيرها تريق في محادثته

ان يسوق لهما رزقا من غير عمل فسقطت عليهما جوهرة من سقف البيت ففرحا بذلك فلما نام الرجل رأت المرأة في منامها الجنة ومنازل أهل الطاعة على احسن حال ورأت دنيء زوجها قد سقط منه جوهرة فلما استيقظت اخبرته وقالت ادع الله ان يرد الجوهرة مكانها فطارت في الحال وفي رواية انه قال اللهم ارزقني رزقا يشبهني من جميع الاطباق فنزل جراد من ذهب فقال اللهم ان كان من الدنيا فبارك لي فيه وان كان نصيبي من الآخرة فلا حاجة لي به فارتفع الجراد باذن الله تعالى اللهم وفقنا لما يرضيك عنا يارب العالمين

﴿المجلس الثاني والاربعون في الحديث الثاني والاربعين﴾

الحمد لله الذي انفرد باسمائه العظمى المختص بالرحمة والجبروت والملك الاعز الاحمى المتفضل بالعفو والمغفرة على عباده المذنبين فلم يؤاخذهم بتخيل ولا وهما وأشهد ان لا اله الا الله وحده

لا شريك له الملك القدوس الذي وسع كل شيء رحمة وعلما وأشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله المرسل الى الناس كافة عربا وعجما صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين فازوا بقربه في الفردوس الاسمى ﴿عن انس رضي الله عنه

فان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي
يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك يا ابن آدم انك لو أتيتني بقراب الارض خطايا ثم
أتيتني لا تشرك بي شيا لاتيتك بقرابها مغفرة رواه الترمذي وقال حديث حسن ﴿ اعلموا اخواني وفقني الله واياكم لطاعته ان هذا الحديث حديث عظيم وهو من الاحاديث القدسية وليس له حكم القرآن لعدم تواتره كما في نظائره السابقة (قوله يا ابن آدم) نداء لم يرد به واحدا بعينه عدل اليه ليعم كل من يتاتى ندائه وآدم عربي مشتق من الادمة وهي حمرة تميل الى السواد أو من أديم الارض كما قال النبي صلى الله عليه وسلم خلق آدم من أديم الارض كلها فخرجت ذريته على نحو ذلك منهم الابيض والاسود والسهل والحزن والطيب والخبيث وقيل أعجمي لا اشتقاق له (قوله انك ما دعوتني ورجوتني) اي انك مدة دعائك اياي بما ينفعك ومدة املك اياي خير ما عندي (غفرت لك) اي سترت ذنوبك فلا أظهرها بالعتاب عليها (قوله ما كان منك) اي من الذنوب على تكرار معصيتك الشرك بالايمان وغير الشرك بالاستغفار (قوله ولا أبالي) اي بما كان منك من الذنوب عظم أو لم يعظم لان الدعاء مع العبادة * وقد جاء ان الله يحب الملحين في الدعاء والرجاء يضمن

لا محالة ان يكون أفضل وأقرب مما عند الله تعالى * وفي الحديث الترغيب أشهر فيه طمعين أن أكون من
خلقين لا يحبا به لو أقسم على الله لابره * وفي الحديث لا يحل لمسلم أن يشير الى أخيه بنظر
يؤذيه رواه ابن المبارك في كتاب الزهد * ومر بعض أولاد الملوك بمالك بن دينار فقال لمالك لو
تركت الطيلسان لكان أجمل فقال أما تعرفني فقال والله أعرفك معرفة جيدة أولك نطفة مذرة
وآخرك جيفة قذرة وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة فارمي الفي رأسه وكف عما كان عليه * وقال
أبو سليمان الداراني لرجل جاهل معجب بنفسه ودنياه مثالك في نفسك مثال ديك في مزبلة
وقال في الامر عجبت لمن يجري مجرى البول مرتين كيف يتكبر وروى أن رجلا قال للامام الشافعي فقال
ثم قال أما يقول نعم من يقدر ان يقول لا فصفعوه وضمنوه ثم عاملوه فمضمضوه ثم استقذروا لفظه
وقد حرم الله الجنة على المتكبرين فقال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض
ولا فسادا فقرن الكبر بالفساد وأما حديث ليس منا من لم يعاظم بالعلم فمعناه ليس منا من لم يعتقد
ان الله جعله عظيما لكونه ينبغي محلا للعلم وموصوفا به ولم يستزله بحيث يحظره عليه ومنعه منه كما
ورد في الحديث اذا استزل الله عبدا حظر عليه العلم والادب واعتاده وليس المراد بمعاظمته
احتقار غيره ومن جملة احتقار المسلم اغتيابه وهو ذكرك اخاك بما يكره وهي اي الغيبة محرمة
بالاجماع الا ما استثناه العلماء وقد جمع ذلك بعضهم في بيت فقال

تظلم واستفت وامتنع معذر * وعرف بدعة فسق المجاهر

فذكر ستة رخص الغيبة فيهم الاول المتظلم لمن يظن ان له قدرة على ازالة ظلمه او تخفيفه الثاني الاستعانة
على تغيير المنكر بذكر ملن يظن قدرته على ازالته بحق فلان يعمل كذا فازجره عنه الثالث الاستفتاء
بان يقول للمفتي ظلمني فلان بكذا فهل يجوز له وما طريقي في خلاصي منه او تحصيل حقي وقد روي عن
هند انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ان أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني وبني أفآخذ من
غير علمه فقال خذي ما يكفيك وبنيك بالمعروف فذكرت الشح ولم يزجرها النبي صلى الله عليه وسلم
اذ كان قصدها الاستفتاء الرابع تحذير المسلمين من الشر مثل ان يشتري مملوكا وعرف المملوك بالسرقة
أو بالفسق أو بعيب آخر فلك ان تذكر ذلك فان في سكوتك ضررا على المشتري وكذلك الاستشارة في
تزويج او ايداع له ان يذكر له ما يعرفه على قصد النصح المشروع لا على قصد الوضيعة وان علم انه يترك
التزويج مثلا بمجرد قوله لا تصلح لك فهذا الواجب فان علم انه لا يتركه الا بالتصريح بالعيب فله أن يصرح
به الخامس ان يكون الانسان مشهورا بما فيه نقص كالاعرج والاعمش والاعور والاصم والاقرع
فقد فعل العلماء ذلك لضرورة التعريف فان أمكن تعريفه بعبارة أخرى فهي أولى ولذلك قيل للاعمى
البصير عندنا ولا عن النقص السادس ان يكون مبتدعا السابع ان يكون مجاهرا بالفسق كالمجاهر بشرب
الخمر ومصادرة الناس واخذ المكس وجباية الاموال ظلما فاذا ذكر منه ما يظاهر به فلا إثم لما ورد
بسند ضعيف من القى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة فيه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليس
لفاسق حرمة والمراد به المجاهر بفسقه دون المستتر لان المستتر لا يهتك مراعاة لحرمته وظاهره انه
يجوز غيبته بما ظاهر به وان كان لا يرضى ذلك وقد قال بعضهم لا يكن حظ المؤمن منك الا ثلاث خصال
ان لم تنفعه فلا تضره وان لم تسره فلا تغمه وان لم تمدحه فلا تذمه وقوله ولا يحقره وفي رواية ولا يحتقره
وهي بمعناه وفي رواية بيا مضمومة وحاء مهملة ساكنة وفاء مكسورة بمعنى لا يغدره ولا ينقض عهده

قال

حسن الظن بالله تعالى وحسبه يقول أنا عند ظن عبدي بي وعند ذلك تتوجه رحمة الله تعالى على العبد وإذا توجهت لا يبقى ظلمة شيء لأنها وسعت كل شيء كما قال تعالى ورحمتي وسعت كل شيء (قوله يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء) بفتح العين المهملة قيل هو السحاب وقيل عنان السماء صفائحها وما اعترض من أقطارها وقيل هو منفرج لك منها أي ظهر أذا رفعت رأسك والمعنى لو قدرت ذنوبك أشخاصا فملأت الأرض والفضاء حتى وصلت السماء ثم استغفرتني غفرت لك أياها وذلك لأن الله تعالى كريم والاستغفار استقالة والكريم يقبل العثرات ويغفر الزلات وهذا مثال للمتناهي في الكثرة وكرم الله تعالى لا يتناهى وحقيقة الاستغفار اللهم اغفر لي وبقوم مقامه أستغفر الله لانه خبر بمعنى الطلب (قوله يا ابن آدم لو أتيتني بقرابها الأرض خطايا) بضم القاف وكسرها لغتان والضم أشهر ومعناه ما يقارب ملأها وقيل ملؤها (قوله ثم أتيتني لا تشرك بي شيا) أي مت مسلما توحيدي أي معتقدا ما جاءت به رسلي (قوله لأتيتك بقرابها مغفرة) أي لغفرتها لك

قال أنس قل ما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قال لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له ولكن قال عياض والصواب المعروف هو الأول وهو المراد في غير كتاب وتخصيص ذلك بالمسلم لمزيد حرمته لا للاختصاص به من كل وجه لان الذمي يشارك في حرمة ظلمه وعدم الاعتداء عليه وعدم الكذب عليه وأما احتقاره من حيث الكفر القائم به فليس كذلك قال تعالى ومن يهن الله فما له من مكرم ﴿ التقوى ههنا ﴾ أي محل سببها الذي هو الطوع والخاصل عليه الثواب الذي هو الصدر لا حقيقتها الذي هو الاتقاء من العذاب بفعل المأمور به واجتناب المحظور وفي الحديث ان الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ومعنى نظر الله مجازاته ويصح أن يراد بالتقوى ههنا الاخلاص كما تقدم قال تعالى فانها من تقوى القلوب أي من اخلاص الذنوب وقد تقدم في حديث اتق الله حيث ما كنت أيا ترد لاحدهما ﴿ ويشير ﴾ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ إلى صدره ﴾ فعل ثلاث ﴿ ثلاث مرات ﴾ من كلام المؤلف ﴿ بحسب ﴾ بالكسر اسم يستوي فيه الواحد والمثنى والجمع والمؤنث والمذكر قال النحاة اذا كان ما بعده معرفة رفعه على الخبرية فالاضافة لفظية بدليل الابتداء وان كان ما بعده نكرة فرفعه على الابتداء فقط فالاضافة معنوية وما كان هنا مظنة سؤال الزوم أن يقال حكم النكرة ما ذكر أولا فما بال المعرفة ﴿ يحسب ﴾ أي يكفيه ﴿ من الشر ﴾ أي كافيه منه ﴿ أن يحقر أخاه المسلم ﴾ بالنصب مفعول لاحقار وكرر لعظم المسلم فيه تحذير شديد من احتقاره قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم الى قوله الظالمون أي لا تحتقر غيرك عسى أن يكون عند الله خيرا منك ويحتمل ان المراد هنا بحسب بصيرتي لا تحتقر غيرك فانه ربما صار عزيزا وصرت ذليلا فينتقم منك ولذا قال بعضهم

لا تهين الفقير علك أن ... تركع يوما والدهر قد رفعه

ولا تلمزوا أنفسكم ﴿ ولا يعب بعضكم بعضا وقيل المز القول وغيره والهمز الفعل فقط وروي عن ابن جريج أن الهمز باليد والشدق واليد واللمز باللسان قال البيهقي وينفي عن الليث انه قال اللمزة الذي يعيبك في وجهك والهمزة الذي يعيبك في الغيب ولا تنابزوا بالالقاب أي لا تتداعوا بها يكرهون من الالقاب سمي النبز وهو الطرح ونهيه تعالى بقوله أنفسكم على دقيقة يخفى التفطن لها وهي ان المؤمنين كلهم بمنزلة البدن الواحد اذا اشتكى بعضه اشتكى كله فمن عاب غيره في الحقيقة انما عاب نفسه ومعنى بئس الاسم الفسوق الخ اي من فعل واحدا من الثلاثة استحق اسم الفسوق وهو غاية النقص بعد أن كان كاملا ﴿ كل المسلم ﴾ مبتدأ واضافة كل هنا الى المعرفة دليل على جوازه خلافا لمن زعم انها لا تضاف الى ان نكرة ﴿ على المسلم حرام ﴾ يقال أحرم الرجل اذا اعتصم بحرمة تمنع منه اي ان المسلم معتصم بحرمة الاسلام ممتنع بها عمن أراده وقوله حرام خبر المبتدا ﴿ دمه ﴾ بدل بعض من كل ﴿ وماله ﴾ الذي عصمه الله به وجعله ملكا له فلا يحل أخذه الا بحقه وقد أخرج ابن حبان في صحيحه عن ابن حميد الساعدي لا يحل لمسلم ان يأخذ عصا أخيه بغير طيب نفس منه ﴿ وعرضه ﴾ وقوله دمه الخ هذا هو المقصود من الحديث وما سبق كالتمهيد له وقد ورد انه صلى الله عليه وسلم لما اسري به مر بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم وقال بعضهم ادركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن اعراض الناس وجعل هذه الثلاثة كل المسلم لشدة احتياجه اليها والاقتصار عليها لان

وهذا الحديث يدل على سعة رحمة الله تعالى وكرمه وجوده وقد قال الله تعالى وهو أصدق القائلين قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم سبب نزولها ان قوما قالوا يا رسول الله

فسل يغفر لنا اذا أسلمنا على ما كان منا من الكفر والقتل وغيره فنزلت قل يا عبادي الآية قال نوبان لما نزلت قال النبي صلى الله عليه وسلم ما أحب ان لي بكلمتين لي الدنيا وما فيها يعني هذه الآية قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه هي ارجى آية في القرآن وقيل غير ذلك وقد ذم الله تعالى من انقطع رجاؤه من فضل الله فقال تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون والرجاء حسن الظن بالله تعالى في قبول طاعة وقعت لها أو مغفرة سيئة ثبت مقرا أما الطاعة مع ترك الطاعات والاصرار على المخالفات فامن وغرور وقد نهى الله تعالى عنه بقوله ولا يغرنكم بالله الغرور يعني الشيطان وجنوده فانه يحسن لك المعاصي وربما يجرك الى ذلك برجاء عفو الله وكرمه * وقد جاء في سعة رحمة الله تعالى اخبار كثيرة قال صلى الله عليه وسلم لو اخطأتم حتى تبلغ خطاياكم عنان السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى كتب كتابا قبل ان يخلق الخلق بالفي عام في ورقة من ورق الجنة ثم وضعه على العرش ثم نادى يا امة محمد ان رحمتي سبقت غضبي اعطيتكم قبل ان تسألوني وغفرت لكم قبل ان تستغفروني من لقيني منكم يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبدي ورسولي ادخلته الجنة وعن عمر بن الخطاب

ماسوا ما فرع عنها وراجع اليها بما كانت حريمها هي الاصل والغالب هم يحتاج الى تقييدها بما اذا لم يعرض ما يبيحها شرعا كما قالوا قولهم أخذ مال المرتد فيئا وقتله يتبع المسلم تعزيرا وغير ذلك (رواه مسلم) وهو حديث كثير الفوائد

الحديث السادس والثلاثون

(عن أبي هريرة) رضي الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من نفس) أي أزال وكشف وفرج من تنفيس الخناق أي ازاحته حتى يأخذ له نفسا (عن مؤمن) نفسا أو مالا أو بعضا أو ولدا له بطهر الغيب وآثر ذكر المؤمن لشرفه ومزيد حرمته والا فالذمي كذلك وغيرهما يؤمن على ما قيل أكثر الشيخ وفيما بقي بمسلم اما للتفنن أولان الكربة تتعلق بالباطن فناسب الايمان المتعلق به أيضا (كربة) أي شدة عظيمة لانها تعتم النفس وغم القلب من كرب التي للشجاعة لان الكربة تقارب أن تزهق الروح فكانها لشدة همها عطلت مجاري التنفس أو هو بيان لحكمة ايثار نفس على رفيقة من ازال وكشف وفرج (أخرج الطبراني من فرج عن مسلم كربة جعل الله تعالى له يوم القيامة شعبتين من نور على الصراط ليستضيء بضوئها لا يحجبهم الا رب العزة * وروى ابن بشكوال عن عبد الله ابن المبارك انه قال سقط رجعت الى الجهاد وسمي فرسي فبينا أنا في الطريق اذ صرخ الفرس فمر بي رجل حسن الوجه طيب الرائحة فقال تحب ان تركب فرسك * قلت نعم فوضع يده على جبهة الفرس حتى انتهى الى مؤخره وقال أقسمت عليك هذه العلقة بعزة الله وبعظم عظمة الله وبجلال جلال الله وبقدرة قدرة الله بسم سلطان سلطان الله وبلا اله الا الله بما جرى به القلم من عند الله وبلا حول ولا قوة الا بالله الا انصرفت قال فانقبض الفرس وأخذ الرجل بركابي وقال اركب فركبت وسلمت باصحابي فلما كان غداة غد ظهر العدو واذا هو بين أيدينا * فقلت له أنت صاحبي بالامس فقال بلى فقلت سألتك بالله من أنت فرأيته قائما فامتزت الارض تحته فخضر اذا هو الخضر عليه السلام قال ابن المبارك فما قلت هذه الكلمات على جليل الا شفي باذن الله تعالى وذكر بعضهم انه يقول لا اله الا الله العظيم الكريم لا اله الا الله العلي العظيم لا اله الا الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم الله ربي لا اشرك به شيئا لا يغفر الذنوب الا هو يا من لا يعرف كيف هو الا هو يا من لا يعرف قدرته الا هو فرج كربتي وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وأكمل أدعية الكرب لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات ورب الارض ورب العرش الكريم لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله وتبارك الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني الى نفسي طرفة عين وأصلح لي شاني كله لا اله الا انت الله ربي لا اشرك به شيئا لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين توكلت على الحي الذي لا يموت والحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا ويقرأ آية الكرسي وخواتيم البقرة وقد ورد بعض الفضلاء من توسل بهذه السادة في قضاء حاجة أو دفع كربة استجيب له وقد جرب ذلك وهم سعيد بن المسيب وأبو سليمان الداراني وأبو جابر وسليمان التيمي ومالك بن دينار وبشر الرفاش وحبيب العجمي ويحيى البكاء وكهمس وراسة العدوية قال النسائي في شرح الجلاب ومن خطه نقلت ورأيت في بعض المجاميع عن ابن عبد البر من كتب هذه الاسماء وجعلها في قبر ميت حاجت

رضي الله عنه انه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فوجده يبكي فقال ما يبكيك يا رسول الله قال جاءني جبريل عليه السلام وقال ان الله تعالى يستحي ان يعذب احدا فيشاب في الاسلام تكتيف لا يستحي (٢٦٩) من شاب في الاسلام ان يعصي الله تعالى * وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبي فاذا امرأة من السبي تسعى اذ وجدت صبيا في السبي فاخذته فالصقته ببطنها فارضعته فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار قلنا لا والله وهي تقدر على ان لا تطرحه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله ارحم بعباده من هذه بولدها * وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال رجل لم يعمل حسنة قط لاهله اذا أنا مت فاحرقوني ثم ذروا نصفي في البر ونصفي في البحر فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذابا لا يعذبه احدا من العالمين فلما مات الرجل فعلوا ما أمرهم فامر الله تعالى البر فجمع ما فيه وامر البحر فجمع ما فيه ثم قال له فعلت هذا قال من خشيتك يا رب وانت تعلم فغفر له

حاجت عنه الملكين وهي أويس القرني معروف الكرخي ابو مسلم الخولاني عامر بن عبد قيس مسروق ابن الاجدع هرم بن حيان الاسود بن يزيد الربيع بن خثيم الحسن بن أبي الحسن البصري وقد نظم بعضهم أسماء هؤلاء الفضلاء الخمسة فقال

توسل الى الرحمن في كل حاجة * تزوم قضاها بالكرام ذوي الزهد
أويس ومعروف الربيع وهارم * يلي الحسن البصري عامر ذو الرقد
أبو مسلم الخولان مسروق أسود * تمام الثقات الزاهدين ذوي المجد

﴿من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة﴾ مجازاة ومكافأة له على فعله بجنسه فان قيل قال الله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وهذا الحديث يدل على ان الحسنة بمثلها لانها قوبلت بنفيس كربة واحدة وهو تقابل بعشر كرب يوم القيامة * فالجواب من وجهين أحدهما انه مفهوم عدد وهو لا يفيد حصرا يعني انه يمنع النقص ولا يمنع الزيادة الثاني ان كل كربة من كرب يوم القيامة تشتمل على اهوال كثيرة واهوال صعبة وتخاوف جمة وتلك الاهوال اما عشرة او تزيد عليها وفي الحديث سر آخر مكتوم يظهر بطريق فهم اللازم الملازم وذلك ان فيه وعدا بطريق اخبار الصادق ان من نفس الكربة على المؤمن يختم له بالطهر ويموت مسلما لان الكافر لا يرحم في الدار الآخرة ولا ينفس عنه من كربها وخص الجزاء هنا بكرب يوم القيامة وعمم في الستر الآتي لان الدنيا لما كانت محل الشهوات والمعاصي احتيج الى الستر فيها واما الكرب فهي وان كانت الدنيا محلا لها ايضا لكن لا نسبة لكربها الى كرب الآخرة حتى تذكر معها ﴿ومن يسر﴾ بالدار بهيئة او صفة او نظرة الى ميسرة او نحو ذلك بان يكون واسطة في ذلك ﴿على معسر﴾ وهو من عليه دين وتعسر عليه أداؤه من العسر وهو الضيق والشدة ﴿يسر الله عليه﴾ امره وسط له ﴿في الدنيا والآخرة﴾ مجازاة له عليه بجنسه لانه احسان الى عيال الله تعالى واحب خلقه اليه انفعهم لعياله وفي الحديث من انظر معسرا او وضع عنه اظله الله في ظله يوم لا ظل الا ظله وفي رواية وقاه الله من فيح جهنم وفي حديث حسن من نفس عن غريمه او محا عنه كان في ظل العرش يوم القيامة وصح من انظر معسرا لله كل يوم مثله صدقة قبل ان يحل اجل الدين فاذا حل الدين فانظره بعد ذلك فله كل يوم مثلاه صدقة وروى الشيخان ان رجلا كان يداين الناس وكان يقول لفتاه اذا اتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله ان يتجاوز عنا فلقي الله عز وجل فتجاوز عنه وفي اخرى للنسائي فاذا اتيته يتقاضى قلت له متى ما تيسر واترك ما تعسر وتجاوز لعل الله ان يتجاوز عنا قال الله تعالى قد تجاوزت عنك أخرج ابن ابي الدنيا انه عليه الصلاة والسلام قال من اراد ان تستجاب دعوته وتكشف كربته فليفرج عن المعسر ﴿تنبيه﴾ ورد في الحديث سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمساجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله ورجل تصدق بصدقة اخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه بالدموع وانظمها بعضهم فقال

امام محب ناشئ متصدق * معلق قلب بالمساجد خائف
يظلهم الله العظيم بظله * اذا كان يوم الحشر لا ظل للناس

وعن ابي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة دفع الله الى كل مسلم يهوديا او نصرانيا فيقول هذا فداؤك من النار * واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام احبسني

والمحبوب من يحبني ويحبني الى صديق لي قال يارسول الله صديق لي يحب الجلوس الي فكيف اصنع قال اذكرني بالحسن الجميل واذكر الآلاء والاحسان وذكرهم ذلك فانهم لا يسرفون مني الا الجميل * وكان ابو عثمان يتكلم في الرجاء كثيرا فرؤي في المنام بعد موته فقيل له كيف كان قدومك على الله فقال اوقفني بين يديه فقال ياحمك على افعالك فقلت ارجوك ان احبيك الى خلقك فقال قد غفرت لك * وروي ان رجلا كان يقط الناس ويشدد عليهم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة له اليوم أقيك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي منها وقال ابراهيم بن ادهم خلال الطواف ليلة لئن كنت اطوف بالبيت واقول اللهم اعصمني فهتف بي هاتف فقال يا ابراهيم كلكم تسألون الله العصمة فاذا عصمكم فعلى من يتكرم * وقال مالك بن دينار رحمه الله رأيت مسلم بن يسار بعد موته في المنام فقلت له ما لقيت بعد الموت فقال لقيت والله اهوالا و زلازل عظاما شدادا قال فما كان بعد ذلك قال وما تراه يكون من الكريم الا الكرم قبل منا الحسنات وعفا لنا عن السيآت وضمن عنا التبعات قال ثم شهق مالك شهقة ووقع مغشيا عليه ثم مات بعد أيام فكانوا يرون ان قلبه قد انصدع كونه

﴿ خاتمة المجلس في التوبة ﴾ قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا الآية قال أبي بن كعب ومعاذ بن جبل

رضي الله عنهما استغفار باللسان على الذنب مع الاقلاع عنه ومن أوفى من الظاهر ومن أعان مكانا ومن قتل أهل الكتاب جميعا الا سلام يمحو ما قبله ومن مات غريبا في البحر ومن طلب علما فادركه الموت دون نيته وصحيح الوضوء في برد الشتاء ومن اشترى أمة فاداها وأحسن تاديبها ثم أعتقها وتزوج بها ومن انتظر صلاة بعد صلاة بحفظ الستر الامام والمؤذن احتسابا وهو من أسوأ عمله أظهر واذا ظهر عليه فرح واستبشر فيه ان الله يغفر من جامع يوم الجمعة من حيث جامعها واغتسل ورواح الصلاة ومن ذهب ماشيا الى صلاة الجمعة وعاد عليه سلاحه في الجهاد فتقبله ومن أعجله فعل المغير عن ليس عليه ولا على ابيه الجائزة ومن شيع جنازة لا استحيا منه من أهلها والجاهد لا علا كلمة الله ومستمع قراءة القرآن والقارئ فيه فالمصحف ومن قرأ القرآن فاعجبه اي تفهمه وتدبره والعبد الذي حق الله وحق مواليه ومن جلد الوحش على الوحش من غير نهض الاول وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم والتصدقة على زوجها قال الملال ومن صدق في تجارته ومن حسن خلقه ورجل تعلم القرآن في صغره ويتلوه في كبره ورجل يراعي الشمس لمواقيت الصلاة ورجل ان تكلم تكلم بعلم وان سكت سكت من حلم وغير ذلك مما سموه فاطلاقه السخاوي في كتابه المسمى المقصد الجليل الموجه للملال حيث نقل فيه من شيخه الحافظ ابن حجر الاث سبعات زيادة على السبعة المذكورة واكملها واثنين وتسعين بتقديم النون على السين ولا بعد أن يدخل في قوله ومن يسر الخ التيسير بالعلم مثلا ان يقع في مستغلق يحسن التخلص منه اشار عافيين له حكما ويهديه الى الصواب فيها فيشرح صدره لذلك بتخليصه منها ﴿ ومن ستر مسلما ﴾ اي ستر عورته الحسية بان يرى عورة شخص بادية لعدم ما يستر بها فيعطيه ما يستر بها وهو المعنى بقولها عانه على ستر دينه كان يكون محتاجا للنكاح فيتوسل له بالتزويج أو الكسب اي يتوسل له في بضاعة يتجر فيها او نحو ذلك وقوله ومن ستر مسلما اي ستر بدنه بالباس او عيوبه بعدم الغيبة والكذب عن عيوبه قال ابن فرج الاندلسي والمراد الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس معروفا بالاذى والفساد أما المعروف بذلك فيستحب ان لا يستر عليه بل ترفع قضيته الى ولي الامر ان لم يخف من ذلك مفسدة لان الستر على هذا يطمعه في الايذاء والفساد وانتهاك الحرمات او بصارة غيره على مثل فعله وهذا كله في ستره معصية وقعت وانقضت اما معصية يراه عليها وهو يعلم منابسا بها فتجب المبادرة بانكاره عليه ومنعه منها على من قدر على ذلك ولا يحل تاخيره ما امكن فان عجز لزمه رفعها الى ولي الامر اذا لم يترتب على ذلك مفسدة قال وأما جرحة الرواة والشهود والامناء على الصدقات والاوقاف والايتام ونحوهم فيجب جرحهم عند الحاجة ولا يحل الستر عليهم اذا رأى منهم ما يقدح في اهليتهم وليس هذا من الغيبة المحرمة بل من النصيحة الواجبة وهذا مجمع عليه ﴿ ستره الله في الدنيا والآخرة ﴾ بان لا يبقيه على ما فرط منه وقال عليه الصلاة والسلام من رأى عورة فسترها فكانما احيا مؤودة رواه النسائي وابو داود من حديث عقبة بن عامر زاد الحاكم من قبرها وقال صحيح الاسناد وقال عليه الصلاة والسلام لا يرى امرؤ من اخيه عورة فيسترها عليه الا دخل الجنة رواه الطبراني ﴿ والله في عون العبد ﴾ الواو للاستئناف وما بعدها هو الاشارة للمطلوب وهو تذييل لما قبله لشموله لدفع المضرة وهو مافي الاولين ولجلب النفع وهو مافي الثالث ولهذا عدل به عن سياق ما قبله من الشرطية الى الجملة الاسمية ليقوى حكمها بناء الخبر فيها على المبتدا ﴿ ما كان العبد ﴾ اي مدة دام

وقيل غير ذلك والآثار في التوبة كثيرة * عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كنت أذنبت ذنبا فاستقري الله فإن التوبة من الذنب الندم والاستغفار * وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كرم الله وجهه أنه قال خرجت يوما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا علي كل هم ينقطع إلا هم أهل النار فإنه لا ينقطع وكل سرور زائل إلا سرور أهل الجنة ونعيمهم فإنه لا يزول يا علي إذا أذنبت ذنبا فلا تؤخر التوبة إلى الغد فإن إلى الغد مسافة بعيدة وهي مضي يوم وليلة وعسى أن لا تدرك الغد فتموت وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل عليه السلام أتاه عند وفاته وقال يا محمد الرب يقرئك السلام ويقول لك من تاب قبل موته بسنة قبلت توبته فقال يا جبريل السنة لا تفي كثيرة فذهب جبريل عليه السلام ثم رجع فقال يا محمد الرب يقرئك السلام ويقول لك من تاب قبل موته بشهر قبلت توبته فقال يا جبريل الشهر لا تفي كثير فذهب ثم رجع فقال يا محمد الرب يقرئك السلام ويقول لك من

كرر ذلك في عون أخيه ﴿بعابد﴾ أو بدنة أو بمال أو غيرها كجاه كما إذا كان محتاجا إلى النكاح فزوجه أو إلى مال فيشتريه له بضاعة يكتسب فيها الآن إخوانا من جنس العمل وأهل قرية موسى الخارج لطاعة أهله كلهم التقى حين ماجته وهي لنار وسيجيء أن موسى عليه الصلاة والسلام لما قضى الأجل الذي بينه وبين شعيب استأذنه في الرجوع إلى مصر ليزور أمه وأباه هرون فخرج بأهله وأخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام فولدت امرأته في ليلة شاتية وكانت ليلة جمعة ثلجا فأخذ السير إلى جانب الطور الغربي الأيمن فقدح زنده فلم يورهم فبينما هو يرمي إليها إذا بصر نارا من بعد عن يسار الطريق من جانب الطور وقال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما أتاها فإذا هي شجرة خضراء النار من أعلاها إلى أسفلها تتقد بيضاء كأضوء ما يكون فلما رآها فسمع تسبيح الشجر كما كان يسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما فظن أنه نار فاختلط من الخشيش اليابس ليقتبس من ظهرها فلما انتهى إليه كفت نارا تريده فتأخر عنها وهابها ثم لم يكن يأسرع من خمودها كأنها لم تكن فرفع رأسه إلى فروعها فإذا هي خضرتها ساطعة من السماء وكذلك الخضرة منه أمير الجيش الذي كان فيه بنو إسرائيل وكانوا قد فقدوا الماء فوقع بين الجبال فشرب منها فعاش إلى الآن وهو لا يعرف ما خص الله به شارب ذلك الماء من الحياة وعن مجاهد أن مريم مرت في طلبها لعيسى بحاكة فطلبت الطريق فأرشدوها غير الطريق فقالت اللهم أنزع من كسبهم البركة وأعمهم فقرا وسقم في أعين الناس فاستجيب دعاؤها وقد ورد في الحديث من سعى في حاجة أخيه المسلم قضيت له أو لم تقض غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق وبينت الحسن البصري جماعة من أصحابه في حاجة لرجل وقال لهم مروا بنا بيت البناني نخذوه معكم فأتوا بابه فقال أنا معتكف فرجعوا إلى الحسن فأخبروه فقال قولوا له يا أعمش أما تعلم أن مشيك في حاجة أخيك المسلم خير لك من حجة بعد حجة فرجعوا إلى البناني فأخبروه فترك اعتكافه وذهب معهم ﴿ومن سلك﴾ أي دخل ﴿طريقا﴾ فعيلا من الطرق لأن الرجل يطرقها بقدميه والطريق يذكر ويؤنث والجمع أطرق وطرقات لكن جمعه على أطرق مخصوص بحالة التأنيث كما أن جمعه على أفعلة مخصوص بحالة التذكير وأما جمعه على فعل فهو في الحالتين والتنوين فيه للشيوع إذ النكرة في الإثبات تفيد العموم كقوله تعالى علمت نفس ما أحضرت ﴿يلتمس﴾ أي يطلب ﴿فيه﴾ أي في غايته أو بسببه أو فيه حقيقة لكنه نادر جدا فلا يحمل الحديث عليه ﴿علما﴾ شرعيا بأي سبب كان من التعلم والتعليم والتصنيف وقوله علما حصل أو ليحصل لأن الأعمال بالنيات وذكره ليتناول أنواع العلوم الدينية ويندرج فيه القليل والكثير ﴿سهل الله به﴾ أي بذلك السلوك على حد اعدلوا هو أقرب للتقوى أي العدل ﴿طريقا إلى الجنة﴾ يحتمل في الدنيا بأن يوفق للأعمال الصالحة ويحتمل في الآخرة بأن يجازى على طلب العلم وتحصيله بتسهيل دخول الجنة بحيث لا يرى من مشاق المواقف الشاقة من الحبس والجواز على الصراط ما يراه غيره وذلك بأن يسهل عليه الوقوف في المحشر والجواز على الصراط وهذا أقرب لظاهر الحديث وقد روى أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من أحب أن ينظر إلى عتقاء الله من النار فلينظر إلى المتعلمين فوالذي نفس محمد بيده ما من متعلم يختلف إلى باب عالم إلا كتب الله له بكل قدم عبادة سنة وبنى له بكل قدم مدينة في الجنة ويمشي على الأرض والأرض تستغفر له ويمسي ويصبح مغفورا له ﴿وما اجتمع

تائب قبل موته بجميع ثيابه فقال يا جبريل الجمع لأمتي كثيرة فلم يبرح حتى أتاه جبريل فقال إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك من تاب منهم قبل موته بيوم (٢٧٢) قبلت توبته فقال يا جبريل اليوم لأمتي كثير فلم يبرح حتى أتاه جبريل فقال إن الله تعالى يقرئك السلام

ويقول لك إن كانت هذه كثيرة فلو بلغت رحمة الخلق كلهم ولم يكفه الاحتقار بلسانه واستعمى من يده بقلبه فأنكر بقلبه ولا أبالي به وروي أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعا وتسعين نفسا فسأل عن أعبد أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال إنه قتل تسعا وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به المائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فأتاه فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحول بينك وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة إنه قد جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى هذه الأرض وقالت ملائكة العذاب فقال

قوم) هم الرجال فقط أو هم النساء على ما مر في من الإطلاق ويذكر ويؤنث مثل رهط ونفر قال الله تعالى وكذب به قومك وقال كذبت قوم نوح واستفيد من تنكيرها أن كل قوم اجتمعوا للذكر حصل لهم الأجر من غير اشتراط وصف ناس فيهم من علم أو صلاح أو زهد وكره الإمام مالك الاجتماع على القراءة والذكر إلا أن يكون كل واحد يقرأ لنفسه على انفراده أريد ذكر وعليه حمل الحديث وما أشبهه من الأحاديث الدالة على الاجتماع على التلاوة والذكر (في بيت من بيوت الله) هي المساجد وفي رضاه من نحو مسجد ورباط ومدرسة وقوله من بيوت الله ليس قيدا لأن غيرها كبيت لكنه خرج مخرج الغالب ظهارا لشرفها إذا العبادة فيها أفضل من غيرها (يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم) يحتمل أن يكون ذلك جملة واحدة كما هو الواقع في غالب البلاد ويحتمل أن يقرأ كل واحد منفردا شيأ منه ثم على هذا هل إمامنا مالك الحديث لكراهة الاجتماع على القراءة جملة واحدة وأصل الدراسة التعهد لما يشرعوا القرآن أي اقرؤوه تعهدوه وقوله يتلون إلخ حال من قوم لتخصيصه (إلا نزلت عليهم السكينة) فعيلة من السكون والمراد بها هنا الوقار والطمأنينة وكل ما يطمئن القلب به ويسكن وأيضا اسم ملك ينزل التسكين الرعب والخوف إذ بذكره تعالى تطمئن القلوب لا ضد الحركة وقيل هي الرحمة واختاره القاضي عياض وفيه نظر لعطف الرحمة عليه المقتضي للمغايرة وأما السكينة في قوله تعالى فيه سكينة من ربكم وبقية فقال ابن عطية قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنها ريح هفافة لها وجه كوجه الإنسان وروي أنه قال ريح خجوج سريعة المرور والخجوج كما قال الجوهري هي التي تلقوى في صوبها وقال مجاهد السكينة شيء يشبه الهرة لها رأس كرأس الهرة وجناحان وذنب وقيل لها عينان لها شعاع وجناحان من زمرد وزبرجد وقال وهب بن منبه عن بعض علماء بني إسرائيل أنها رأس هرة ميتة كانت إذا صرخت في التابوت بصراخ الهر أيقنوا بالنصر وقيل صورة وجه صبي من بني إسرائيل إذا نظر بها انهزمت أعداؤهم وقال ابن عباس والسدي أنها طشت من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الأنبياء وقيل أنها روح من الله تتكلم إذا اختلفوا في شيء أخبرتهم ببيان ما يريدون وقال عطاء بن أبي رباح هي ما يعرفون من الآيات فيسكنون إليها وقال النووي هي شيء من خلق الله تعالى فيه طمأنينة ورحمة وقال السيوطي أنها اسم ملك مخصوص وقيل هي شيء كان يلقى موسى فيه الألواح والعصا وقيل غير ذلك (وغشيتهم الرحمة) أي علتهم وسترتهم وشملتهم وغطتهم من كل جهة (وحفتهم الملائكة) أي أحدقت وطافت بهم ورفرفت عليهم وأحاطت بهم ملائكة الرحمة المنزلة لاستماع الذكر تعظيما له وإكراما للذاكرين على غاية من القرب والملاصقة بهم بحيث لم يدعوا للشيطان فرجة يتوصل منها لهم ومنه حافة الطريق أي جانبه وقوله تعالى حافين من حول العرش أي مطيفين به وأما قوله كان بي حفيا أي لطيفا وقيل بارا (وذكرهم الله) أي أثنى عليهم أو أمرهم كما يقول الإنسان لأخيه اذكرني في كتابك أو أنا أذكرهم كما قيل به في تفسير قوله تعالى فاذكروني أذكركم أي اذكروني بالطاعة أذكركم بالجزاء عليها والمبادرة إلى الذهن الأول (فيمن عنده) من الأنبياء والملائكة الكروبيين والروحانيين مباهاة بهم لقوله تعالى في الحديث القدسي من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه فالمندية هنا عندية شرف ومكانة لا عندية مكان لاستحالتها عليه تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقد اجتمع مالك بن دينار بالبهلول فقال أخبرني عن الأولياء

فقال

أنه لم يعمل خيرا قط فجاءهم ملك الموت في صورة آدمي فجعلوه بينهم حكما فقال قيسوا بين الأرضين فإلى أيهما كان أقرب فهو له

فقالوا لا نعلم ولكن ربنا أعلم فقال الله تعالى ما جزاء الأجير إذا عمل عمله فقالوا جزاؤه أن توفى أجره فقال الله تعالى فإني أشهدكم أني قد جعلت ثواب عملهم رضائي ومغفرتي ويقول ارجعوا إلى مساكنكم فقد غفرت لكم فيقول الله تعالى لهم سلوني فيقولون نسألك رضاك فيقول رضائي أن أسكنكم جواري وأحلكم دار كرامتي فهنالك حين سألوني أعطيتكم فبي حلفتم لأرضينكم ولا أدعكم تنقلبون إلا راضين فهذا قوله تعالى ﴿ومن أبطأ﴾ عن الوفاء بما عاهد عليه ﴿به عمله﴾ أي من قصر به عمله السيء أو تقاعد به في العمل الصالح ﴿لم يسرع به نسبه﴾ أي لم يفده شرف نسبه ولم ينجبر نقصه بقلة عمله بمرتبة أصحاب الأعمال الكاملة لأن المسارعة إلى السعادة إنما هو بالأعمال لا بالأنساب لقوله عز وجل إن أكرمكم عند الله أتقاكم فمن تعامل أن الفضل عنده بالتقى دون النسب وقوله صلى الله عليه وسلم أتزن بأعمالكم لا بأنسابكم وأنشد المبرد

ولا تفخرن بالعظم إن كنت عالما ... فخار الذي يبني الفخار بنفسه

فإن قيل قوله تعالى والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء يدل على أن شرف النسب ينفع فإن المفسرين فسروا بإيمان ذريات المؤمنين صغارا كانوا أو كبارا يلحقون بآبائهم في المراتب من غير أن ينقص من مراتبهم شيء وفي الحديث إن الله يرفع ذرية المؤمنين في درجته وإن كانوا دونه لتقر بهم عينه ﴿ ويؤخذ منه أن الأب إذا كان من ولده في الدرجة أنه يرفع في درجة ولده لا محالة لأن كلمة ألحقنا توفيق بين هذا وبين الحديث هذا فالجواب أن المذكور في الآية الشريفة يكون في الجنة والحديث محمول على الصراط وفي لفظ الإبطاء والإسراع إشارة إليه ويؤيده ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون رجل هو آخر من يجوز على الصراط فيلتفت فلا يرى وراءه أحدا فيقول يا رب أبطأت بي فيناديه يا عبدي عملك أوأن ما في الحديث هذا محمول على شرف النسب من جهة الدنيا ﴿رواه مسلم﴾ بهذا اللفظ وهو حديث جليل جامع لكثير من الفوائد

﴿الحديث الثاني والثلاثون﴾

﴿عن ابن عباس﴾ رضي الله عنهما ﴿عن رسول الله﴾ صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه﴾ تارة وتارة من الأحاديث القدسية المنسوبة إلى كلام الله عز وجل نحو أنا عند ظن عبدي بي ويحتمل أن المراد فيما حكيته عن فضل ربه أي حكمه أي نحو ذلك ﴿تبارك﴾ تفاعل فعل ماض لا يتصرف ولا يجيء منه مضارع ولا اسم فاعل ولا مصدر ومعناه تعاظم وتقدس وهو يجامع لأنواع الخير وخصوص بالباري كسبحان ﴿وتعالى﴾ أي تنزه عما لا يليق بعلي كماله الأقدس ﴿قال الله﴾ تعالى ﴿كتب﴾ من الكتابة وهي تنقيش ما في الذهن من العلوم بالخط بواسطة تركيب الحروف ﴿الحسنات﴾ أي ما يتعلق به الثواب ﴿والسيئات﴾ أي ما يستحق فاعله العقاب والمراد أمر الحفظة بكتابتهما أو قدرهما في علمه على وفق الواقع ثم بين ذلك الكتب والقسمة في قوله بين راجع إلى الله تعالى إن قلنا إنه من الأحاديث القدسية أي بين مقدار ما للكرام من التضعيف في الحسنات عن عشرة أو سبعين أو سبعمائة أو غير ذلك والتخفيف في السيئات وإن قلنا التنزيل أو إلى النبي صلى الله عليه وسلم على الاحتمال الثاني أي فصل ذلك الذي أجمله في قوله كتب الحسنات والسيئات بقوله ﴿فمن هم بحسنة﴾ أي قصد فعلها لأن الهم قصد الفعل والفاء تفصيلية لأن مذكوره مجمل لا يفهم منه كيفية الكتابة ﴿فلم يعملها﴾ بجوارحه وهو بفتح الميم ﴿كتبها الله عنده﴾ هذه عندية شرف ومكانة تنزه تعالى عن عندية المكان وفي هذا رد لقول من زعم أن الحفظة إنما تكتب ما ظهر من أعمال العباد وسمع من أقوالهم واحتجوا بما روي عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت لأن أذكر الله في قلبي مرة أحب إلي من أن أذكره بلساني سبعين مرة وذلك لأن ملكا لا يكتبها وبشرا لا يسمعها * وإطلاع الملكين الموكلين بالعبد على الهم إما بكشف عن

فقالوا لا نعلم هم الذين لا ينتظرون بغير ذكر الله تعالى ولا ينشرون لغيره نظرا ﴿ومن أبطأ﴾ من الوفاء ﴿به عمله﴾ أي من قصر ﴿به عمله﴾ السيء ﴿لم يسرع به نسبه﴾ أي لم يفده شرف نسبه ولم ينجبر نقصه بقلة عمله بمرتبة أصحاب الأعمال الكاملة لأن المسارعة إلى السعادة إنما هو بالأعمال لا بالأنساب لقوله عز وجل إن أكرمكم عند الله أتقاكم فمن تعامل أن الفضل عنده بالتقى دون النسب وقوله صلى الله عليه وسلم اتزن بأعمالكم لا بأنسابكم وأنشد المبرد

ولا تفخرن بالعظم إن كنت عالما ... فخار الذي يبني الفخار بنفسه

فإن قيل قوله تعالى والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء يدل على أن شرف النسب ينفع فإن المفسرين فسروا بإيمان ذريات المؤمنين صغارا كانوا أو كبارا يلحقون بآبائهم في المراتب من غير أن ينقص من مراتبهم شيء وفي الحديث إن الله يرفع ذرية المؤمنين في درجته وإن كانوا دونه لتقر بهم عينه ﴿ ويؤخذ منه أن الأب إذا كان من ولده في الدرجة أنه يرفع في درجة ولده لا محالة لأن كلمة ألحقنا توفيق بين هذا وبين الحديث هذا فالجواب أن المذكور في الآية الشريفة يكون في الجنة والحديث محمول على الصراط وفي لفظ الإبطاء والإسراع إشارة إليه ويؤيده ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون رجل هو آخر من يجوز على الصراط فيلتفت فلا يرى وراءه أحدا فيقول يا رب أبطأت بي فيناديه يا عبدي عملك أوأن ما في الحديث هذا محمول على شرف النسب من جهة الدنيا ﴿رواه مسلم﴾ بهذا اللفظ وهو حديث جليل جامع لكثير من الفوائد

﴿الحديث الثاني والثلاثون﴾

﴿عن ابن عباس﴾ رضي الله عنهما ﴿عن رسول الله﴾ صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه﴾ تارة وتارة من الأحاديث القدسية المنسوبة إلى كلام الله عز وجل نحو أنا عند ظن عبدي بي ويحتمل أن المراد فيما حكيته عن فضل ربه أي حكمه أي نحو ذلك ﴿تبارك﴾ تفاعل فعل ماض لا يتصرف ولا يجيء منه مضارع ولا اسم فاعل ولا مصدر ومعناه تعاظم وتقدس وهو يجامع لأنواع الخير وخصوص بالباري كسبحان ﴿وتعالى﴾ أي تنزه عما لا يليق بعلي كماله الأقدس ﴿قال الله﴾ تعالى ﴿كتب﴾ من الكتابة وهي تنقيش ما في الذهن من العلوم بالخط بواسطة تركيب الحروف ﴿الحسنات﴾ أي ما يتعلق به الثواب ﴿والسيئات﴾ أي ما يستحق فاعله العقاب والمراد أمر الحفظة بكتابتهما أو قدرهما في علمه على وفق الواقع ثم بين ذلك الكتب والقسمة في قوله بين راجع إلى الله تعالى إن قلنا إنه من الأحاديث القدسية أي بين مقدار ما للكرام من التضعيف في الحسنات عن عشرة أو سبعين أو سبعمائة أو غير ذلك والتخفيف في السيئات وإن قلنا التنزيل أو إلى النبي صلى الله عليه وسلم على الاحتمال الثاني أي فصل ذلك الذي أجمله في قوله كتب الحسنات والسيئات بقوله ﴿فمن هم بحسنة﴾ أي قصد فعلها لأن الهم قصد الفعل والفاء تفصيلية لأن مذكوره مجمل لا يفهم منه كيفية الكتابة ﴿فلم يعملها﴾ بجوارحه وهو بفتح الميم ﴿كتبها الله عنده﴾ هذه عندية شرف ومكانة تنزه تعالى عن عندية المكان وفي هذا رد لقول من زعم أن الحفظة إنما تكتب ما ظهر من أعمال العباد وسمع من أقوالهم واحتجوا بما روي عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت لأن أذكر الله في قلبي مرة أحب إلي من أن أذكره بلساني سبعين مرة وذلك لأن ملكا لا يكتبها وبشرا لا يسمعها * وإطلاع الملكين الموكلين بالعبد على الهم إما بكشف عن

عبيدي فلم يعصوني فهذا مل عوني من المعصية وأني بإبي قبوله وإن أتاني بجوشة الليل قبلته أو في النهار قبلته فليس على بابي حاجب ولا بواب متى قال رب إسرائيل شاب عبد الله تعالى عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم أنه نظر في المرآة فرأى الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال إلهي أطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فإن رجعت إليك فيلني فسمع قائلا يقول ولا يرى شخصه أجبتنا فأجبناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فأمهلناك وإن رجعت إلينا قبلناك اللهم ارزقنا التوبة النصوح يا رب العالمين * وهذا آخر المجالس السنية في الأربعين النووية وختمها بمجلس الختام فنقول بفضل الملك العلام ﴿خاتمة الكتاب في مجلس الختام﴾ الحمد لله

الحمد الفعال لما يريد الذي خلق الخلق فمنهم شقي وسعيد فهذا قريب الحضرة وهذا أشقاه فهو بعيد أحمده وأسأله من فضله المزيد وأشكره شكرا مقرونا بالتهليل والتسبيح والتحميد وأشهد

أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الاول الحي وأشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله افضل الرسل وأشرف السيد الذي احسان

كثيرا وبعد فقد قال الله تعالى وهو اصدق القائلين ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين * اعلموا اخواني وفقني الله واياكم لما يحبه ان هذه الآية العظيمة نزلت في الحشر والحساب والميزان والقيامة هي التي تعم الناس وتأتيهم بغتة وتأخذهم أخذة واحدة على غفلة في يوم جمعة في غير شهر معروف ولا سنة معروفة وأول يوم القيامة من النفخة الثانية الى استقرار الخلائق في الدارين الجنة والنار وصدر يوم القيامة من الدنيا وآخره من الآخرة ومقدار ذلك اليوم كما قال الله تعالى في سورة السجدة في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون اي في الدنيا وكما قال تعالى في سورة سأل في يوم كان مقداره خمسين الف سنة وهو يوم القيامة في شدة أهواله بالنسبة الى الكافر وأما المؤمن فيكون أخف عليه من صلاة مكتوبة في الدنيا * وقيل يوم القيامة فيه خمسون موطنا كل موطن ألف سنة

العلم وما يحدث فيه كما يلهم بعض الاولياء واما باعلام الله ايانا بذلك ويؤيده ما ورد في حديث
ابن عمر فيما رواه الملك اكتب اعمال كذا وكذا فيقول يا رب انه لم يعمل فيقول انه قاله واما يرجح
تظهر لها من القلب فرجح الحسنة طيبة وريح السيئة خبيثة فمازا بها ﴿حسنة﴾ لان الهم بالحسنة
سبب الى عملها وهي سنتين وسببها الخير فاهم بالخير ﴿كاملة﴾ مقبولة كان باعتبار تضعيف
الكمية بمعنى التصيير او حال موطئة أي لا نقص فيها وليس المراد بكمالها مضاعفتها لان التضعيف
مختص بالعمل ولو مر عليه أزمنة متعددة وهو يحدث نفسه بعمل تلك الحسنة فان الله تعالى يكتب
له حسنات بعدد تلك الازمنة ﴿وان تك حسنة يضاعفها﴾ بتكثير المبهم ﴿كتبها الله عنده عشر حسنات﴾
لانه أخرجها من الهم الى ديوان العمل فيكتب لها حسنة ثم ضوعفت فصارت عشرا قال تعالى من
جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن هنا أقل ما ورد من التضعيف وقد تضاعف مضاعفة أخرى ﴿الى
سبعمائة ضعف﴾ بكسر الضاد اي مثل وقيل مثلين على حسب ما يكون فيها من مخلص النية واتقانها
في مواضعها التي هي أولى بها ﴿الى أضعاف كثيرة﴾ بحسب الزيادة في الاخلاص وصدق العزم
وحضور القلب وتعدي النفع كالصدقة الجارية والعلم النافع والسنة الحسنة ونحو ذلك * وذكر
بعضهم أن اختلاف المضاعفة باختلاف الاعمال فنوع بضاعف بعشرة أمثاله كسبحان الله كما في
بيانه ونوع بخمسة عشر كصوم يومين من الشهر لقوله عليه الصلاة والسلام لعبد الله بن عمرو بن
العاص صم يومين من ذلك ما بقي من الشهر ونوع بعشرين ونوع بثلاثين لقوله عليه الصلاة والسلام من
قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله كتب له
ثلاثون حسنة ونوع بخمسين كمن قرأ القرآن باعرابه فله بكل حرف خمسون حسنة لا اقول الم
حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف قال القرافي بانظار المراد باعرابه هل المراد به عدم
اللحن في الاعراب والاتيان به مجردا أو الاول فقط وعد الحافظ السيوطي فيمن يؤتى أجره
مرتين من قرأ القرآن باعرابه قال والمراد باعرابه معرفة معاني ألفاظه وليس المراد به المصطلح عليه في
النحو وهو ما يقابل اللحن لان القراءة مع فقده ليست بقراءة ولا يثاب عليها اه وذكر الثعالبي رحمه
الله تعالى تفسير الاعراب في حديث من قرأ القرآن باعرابه فله بكل حرف الخ نحو ما تقدم عن
السيوطي ومن هذا النوع حديث من قرأ القرآن بوضوءه فله بكل حرف خمسون حسنة ونوع
بخمسمائة كحديث صلاة الرجل في بيته بصلاة وصلاته في المسجد الذي يجمع فيه بخمسمائة صلاة
ونوع بسبعمائة وهو نفقة الاموال في سبيل الله قال الله تعالى مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله
كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم وفي صحيح
مسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال جاء رجل بناقة مخطومة فقال يا رسول الله هذه في سبيل
الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة ونوع بسبعمائة
ألف كما رواه ابن ماجه انه عليه الصلاة والسلام قال من أرسل بنفقة في سبيل الله وأقام في بيته فله بكل
درهم سبعمائة ومن غزا بنفسه في سبيل الله وأنفق في وجهه فله بكل درهم سبعمائة ألف درهم وذكر الخطاب
في حاشية الرسالة القيروانية ان الصلاة في جماعة باثنين وخمسين فان كانت بمسجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فبمائتي ألف وخمسين ألفا والله يضاعف لمن يشاء ونوع بألف الف لقوله عليه
الصلاة والسلام من دخل السوق فقال بصوت مرتفع لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك

وله

نسأل الله أن يخففه علينا بمنه وفضله * وليوم القيامة أسماء كثيرة تعددت أسماؤه لكثرة معانيه فمن أسمائه الساعة

لزوجها بغتة في ساعة لسرعة حسابها قال الله تعالى وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب ومن أسمائه القيامة لقيام الخلق كلهم من قبورهم اليها أو لقيام الناس لرب العالمين كما روى مسلم عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم القيامة يقوم أحدهم في رشحه الى نصف أذنيه قال ابن عمر يقومون مائة سنة وروى عن كعب يقومون ثمانمائة سنة أو سميت بذلك لقيام الروح والملائكة صفا ومن أسمائه القارعة لانها تقرع القلوب بأهوالها والطامة لانها كائنة من غيرشك والغاشية لانها تغشى أبصار الخلائق بأهوالها حتى انهم لا يرون من عن يمينهم ولا من عن شمائلهم بدليل لكل امرئ منهم الآية ويقال هو دخان يخرج من النار يغشى وجوه الخلائق والآزفة اى القريبة والواقعة لوقوع الامر في ذلك اليوم والطامة لانها تخفض أقواما بدخولهم النار باعمالهم السيئة والرافعة لانها ترفع أقواما بدخولهم الجنة باعمالهم الحسنة والطامة أي الغالبة لكل شيء وسميت بذلك لكثرة الاهوال والصاخة أي الصيحة التي تصخ الاذن فتورث الصمم ويوم الصيحة لصيحة اسرافيل في الصور وتسمى فيه ويوم الزلزلة لزلزل القلوب والاقسام ويوم الفرقة قال الله تعالى يومئذ يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير ومن أسمائه اليوم الموعود لانه ميعاد الخلائق ومرصادهم وعد الله فيه قوما بالنجاة وقوما بالهلاك وقوما بالثواب وقوما بالعذاب ومن

زاده الحسنى ويمنت يده اليمنى وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة رواه الترمذي من حديث ابن عمر وقد قيل لابي هريرة أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى ليجزي على الحسنة الواحدة ألف ألف حسنة فقال سمعته يقول ان الله ليجزي على الحسنة الواحدة ألفي ألف حسنة وقد روي عن ابن عباس ان التضعيف يختص بمن يشاء الله الى ألفي ألف قال ابن عطية وليس هذا ثابت الاسناد عنه قال الشارح الهيتمي ومن الفضل أيضا ان الله تعالى اذا حاسب من له حسنات متفاوتة المقادير جازاه بأجر أرفعها كلا الا الله وحده لا شريك له فانه اذا قيلت في سوق يوم الصوت كان فيها ألفي ألف حسنة ويحو ألفي ألف سيئة ثم صاحب هذه الكلمة لقائلها كما ورد اذا كانت في حسنات عبد جوزي على سائر حسناته بأجرها كما قال تعالى ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون هذا بحسب مقدار معرفتنا والا فمقامه تعالى لا يكيف أحد ان يحصره انتهى ﴿وان هم بسيئة فلم يعملها﴾ أي تركها ﴿قالا مع القدرة على فعلها ﴿كتبها الله عنده حسنة كاملة﴾ لانه انما تركها بعد أن هم بها خوفا من الله عز وجل ولذا جاء في بعض طرق الحديث انما تركها من جرائي أي من أجل وأنا لرجال بينه وبينها حائل كان يذهب الى امرأة ليزني بها فيجد الباب مغلقا ويتعسر عليه فتحه فلا يكتب له حسنة ومثله من تمكن من الزنا فلم يتقدر او طرقه من يخاف أذاه وحرقه فان ترك السيئة امتثالا كتب له حسنة والا فلا ﴿وان هم بها وفعلها كتبها الله سيئة واحدة﴾ قال الله تعالى ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون وظاهر قوله واحدة أنه لا يكتب عليه الهم بها لكن مفهوم الحديث الذي رواه الشيخان خلافه وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز لامتي عما حدثت به أنفسها مالم تتكلم أو تعمل به فمقتضى ذلك انها اذا تكلم بما هم به كأن غيبة أو عمله كشرب المسكر انضم الى المؤاخذة بذلك المؤاخذة بالهم واعتمده التقي ابن رزين وتناقض فيه كلام السبكي ورجح والده ما يوافق كلام ابن رزين ثم ان بعض قوله في حديث النفس مالم تتكلم أو تعمل به ليس له مفهوم فلا يقال انها اذا تكلمت أو عملت يكتب عليها حديث النفس لانه اذا كان الهم لا يكتب فحديث النفس أولى وافق الحديث الذي هنا الا ان فيه بعدا ما ه واستثنى بعضهم الهم المحرم للذكر فقال ان السيئة فيه تضاعف وفيه ما فيه ﴿واعلم ان ما يقع في النفس من قصد المعصية له خمس مراتب الاولى الهاجس وهو ما يلقى فيها ولا يؤاخذ به اجماعا لانه ليس من فعل العبد بل هو وارد لا يستطيع دفعه الثانية الخاطر وهو جريانه فيها وهو مرفوع أيضا الثالثة حديث النفس وهو ما يقع فيها من التردد هل يفعل أولا وهو مرفوع أيضا لقوله عليه الصلاة والسلام ان الله تجاوز لامتي عما حدثت به أنفسها مالم تتكلم أو تعمل به الرابعة الهم وهو قصد الفعل وهو مرفوع أيضا وفي هذه المرتبة تفترق الحسنة والسيئة فان الحسنة تكتب له والسيئة لا تكتب عليه بخلاف الثلاث الاولى فانه لا يترتب عليها ثواب ولا عقاب والخامسة العزم وهو قوة القصد والعزم به قال بعضهم وهو كالاقسام السابقة والحكي عن المحققين المؤاخذة به وهو الصحيح ومن قال بذلك القاضي أبو بكر قال القاضي عياض في الاكمال عامة السلف وأهل العلم من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين على ما ذهب اليه القاضي أبو بكر انه يدل المؤاخذة به حديث اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه

أسمائه يوم العرض قال الله تعالى يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية والاعمال تعرض على الله عز وجل ومن أسمائه يوم النشور لنشور الخلق بان يحييهم الله بعد فنائهم (٢٧/٦) ويجمعهم للحساب ومن أسمائه يوم التلاق قال الله تعالى يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء ومن أسمائه يوم الآزفة قال الله تعالى يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ومن أسمائه اليوم المعلوم قال الله تعالى قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم وقيل ان الاولين من قبل آدم والآخرين من بعده وقيل ان الاولين من قبل محمد والآخرين من بعده الى يوم القيامة ومن أسمائه اليوم العسير الشديد الحساب فيه والمرور على الصراط ووزن الاعمال ورحمة بعضهم بعضا حتى يكون مثل السهام في الجبهة وعلى كل قدم الف قدم وقيل سبعون الف قدم وتدنو الشمس من رؤس الخلائق حتى تكون منهم كمقدار ميل وهو المروذ الذي يكتحل به في العين ويزاد في حرها بضعة وستون ضعفا وحرارة الانفاس وحرارة النار المحدقة بارض المحشر وعرق الناس حتى يغوص عرقهم في الارض مقدار سبعين باعا أو ذراعا على اختلاف الروايات ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم حتى ان السفن لو أجريت في عرقهم لجرت ويقول الرجل يا رب ارحني ولو الى النار فهذا هو اليوم العسير ﴿ وقد ذكر بعض اهل الله واحد وكاذ كرنا بعض اسمائه ﴾ فنقول قال الله غير تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون واذا قام الناس من قبورهم الفصل القضاء

شان العزيز الجليل الكبير واذا كان سيئة فهو من عمل الكبير فالمزموم عليها وتردد في ذلك القاضي أبو بكر ﴿ ورواه البخاري ومسلم بلفظه الا حرف ﴾ ومن حديث عظيم ﴿ فينظر ﴾ من النظر وهو كما قال الجوهري تأمل الشيء ﴿ يا أسفى ﴾ تعالى استعطفا اقصى شفقة ليكون أدعى الى الاستدعاء والقبول ﴿ وفقنا الله ﴾ ودعاء بالتوفيق لم يتعلق بالمذكور في القرآن الا مرة واحدة في قوله تعالى وما توفيقي الا بالله وأما قوله ان يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما فهو من التوفيق قوله وفقنا يحتمل ان يريد به التوفيق المستقبل أو هو وغيره وهو الاول أي يكون للعبد لانه يجوز للانسان تعظيم نفسه اذا بلغ درجة العالم كما نص عليه شراح الرسالة القشيرية وأما في الحديث فليس منا من لم يعظم العلم والعالم أشبه الناس بالجماعة وتقديم المراد به عند قوله ولا يعفر ﴿ رأيك ﴾ بدأ بنفسه لانه يندب للانسان ان يقدم نفسه في الامور الدينية ومن هذا يعلم ان قول بعض الناس ويدأ بكم بعد قول من قال تقبل الله منكم ونحوه مخالفة للسنة قال ابو الحسن الشاذلي بعد أن ذكر انه يبدأ بنفسه في الدعاء ما نصه هذا في الدعاء في الكتاب وأما ان كتب كتابا لغيره واراد ان يدعو له فانه يبدأ بالمكتوب اليه وقيل يبدأ بنفسه وقيل يخير وجاء عن مالك رضي الله عنه انه قال ان كان المكتوب اليه اكبر من الكاتب بدأ به وان كان الكاتب اكبر بدأ بنفسه وهي قاعدة حسنة اه وقوله هذا في الدعاء في الكتاب أي في الكتاب الذي يؤلفه وكذا اذا لفظ بالدعاء بغير كتاب كرب اغفر لي ولوالدي كما في الآية الشريفة فان قلت يرد على هذا قول من سمع العاطس يرحمك الله فانه لا يبدأ بنفسه فالجواب عن ذلك من وجهين الاول انه لما كان وسيلة الى دعاء الآخر له اغتفر ذلك الثاني ان الاول يحمل على من دعا لنفسه ولغيره والثاني على من دعا لغيره فقط وانظر مراد بتكونه اكبر هل في السن أو في النسب أو في العلم والظاهر ان المراد في هذا ونحوه ما يشمل به قوله صلى الله عليه وسلم لابي موسى واجعل الاشعريين الذين علم ان أولى نسب والظاهر انه اذا كان مساويا له يخير وذكر في العقيدة البرهانية انه يقدم الدعاء للرجل اذا بدأ لهم الورد في الحديث ان العبد اذا دعا لاخيه المسلم قال الله تعالى لعبدي وبك ابدأ فاثر فضيلة يتحصل من هذه وهي كون العبد مبدوأ به في الاجابة وقد يجمع بان ذلك بحسب المقام ولكل امرئ ما نوى ﴿ الى عظيم لطف الله ﴾ قال اهل اللغة اللطف بضم اللام واسكان الطاء واللطف بفتحهما لغتان فيه كما صرح به النووي وهو لغة الرفق وصنوف البر والتهاية يقال لطف به وله اذا رفق واليه اشار من قال هو اجتماع الرفق في الفعل والعلم بدقائق المصالح وايصالها لمن قدرت له ويطلق على الاقدار على الطاعة وهو بهذا المعنى مرادف للتوفيق بمفهومه وماصدقا ويطلق اصطلاحا على ما يقع به صلاح العبد آخرة بان تقع منه الطاعة دون المعصية اي بدل المعصية وعليه فهو مرادف له ماصدقا لا مفهوما وقوله آخرة على وزن درجة ومعناه انه اذا هم بالمعصية يحصل له اللطف فيوقع بدلها طاعة واطف بضم الطاء بمعنى صفر ودق ﴿ وتأمل هذه الالفاظ ﴾ النبوية ﴿ وقوله عنده اشارة الى الاعتناء بها ﴾ وشرف فاعلها ﴿ وقوله كاملة ﴾ للتوكيد اي صفة مؤكدة ﴿ وشدة الاعتناء بها وقال في السيئة التي هم بها ثم تركها كتبها الله حسنة كاملة فاكدها بكاملة وان عملها كتبها سيئة واحدة فاكد تقليلها بواحدة ﴾ لان مفهوم الواحدة مشعر بالقلة ﴿ ولم يؤكدها بكاملة قلله ﴾ دون غير ﴿ الحمد ﴾ على هذا الفضل العظيم ﴿ والمنة ﴾ اي النعمة المتعدية من المن وهو الانعام مطلقا أو على ما يطلب ويطلق على تعداد النعم استكثارا لها وهو غير

وحشروا مع أمثالهم فمنهم من يكسى ومنهم من يحشر عريانا ومنهم راكبا ومنهم ماشيا ومنهم من يلقى على وجهه ومنهم من يلقى على الوجه
واخيارا منهم من يذهب حثاثا ومنهم من يسوقهم النار سوقا ﴿ وعن أنس (٢٧٧) بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله

غير محمود الا من اذن الله تعالى فيه لاحد واحد إسلامكم بل الذي عليكم أن علمكم الايمان لانه يمنعه يذكر العبد فيشغله عن الشكر ومن الخلق قبيح مطلقا ولذا قيل لمة تهدم الصدقة كما قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وقال بعضهم

وان امرأ اهدى الى صنيعة * وذكر نيها انه لبخيل

وما أحسن قول الزمخشري طعم الاكلاء أحلى من المن وهو أمر من الاكلاء عدم المن وأراد بالاكلاء الاولى النعم وبالثانية الشعور بالمن الاول باذكر في قوله تعالى اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم * وروي عن علي كرم الله وجهه انه سئل عن احسان المنان فقال احسان هو الذي يذهل على من أعرض عنه والمنان هو الذي يبدأ بالنوال قبل السؤال ﴿ سبحانه ﴾ وتعالى وهو منصوب بمطلق اي أنزهه عن النقائص وهو علم للتسبيح لا يستعمل غالبا الا مضافا ﴿ لا أحصي ﴾ مضارع الحصى ﴿ ثناء عليه ﴾ موفيا بحق نعمة من نعمه * والثناء بتقديم المثلثة والمد والمشهور في اللغة قصره استعماله في الخير واستعماله في الشر مجاز واما بتقديم النون فلا يستعمل الا في الشر * وذكر صاحب المصباح انه يستعمل فيهما وهو الصحيح ﴿ وبالله التوفيق الى مرضاته ﴾

﴿ الحديث الثامن والثلاثون ﴾

﴿ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال ﴾ علم بهذا أنه من الاحاديث القدسية * ووقع في حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم حدث به عن جبريل عن الله عز وجل ﴿ من عادى ﴾ من المعاداة ضد الموالاة والمصادقة والمسرة ضد الولي والاولي عدوة وهو من النوادر لان فعولا انما كان بمعنى فاعل لا الحقه التاء لاستواء الذكر والانثى فيه كصبور رجلا عدا بضم أوله وكسره وعداة بالضم لاغير وفي رواية من أهان وفي رواية أعد من آذى اي أغضب بالقول والفعل ﴿ لي ﴾ متعلق بقوله ﴿ وليا ﴾ اي من أجل كونه وليا لله فانه يجري بين الصديق والفاروق خصومة وبين العباس وعلي وكثير من الصحابة ما يجري ولذلك قال النكرة في قوله لي لتعم في الاحوال صفة لقوله وليا لكنه لما تقدم صار حالا * والولي ما خوذ من الولي بسكون اللام وهو القرب والدنو وضده كل عما يليك وهو فعيل بمعنى فاعل لانه والى الله بالطاعة والتقوى من غير تخلل عصيان أو بمعنى مفعول لان الله والاه بالحفظ ومزيد الامداد وتكفله الى نفسه بلطفه * وخصها بالولي لانها اعلى مقامات الطاعات واجتناب المنهيات المعرض عن الانهماك في اللذات * فان قلت المعاداة لا تتكون الا من جانبين ومن شان الولي الحلم والصفح عمن يجهل عليه وأجيب بان المعاداة لا تتحصر في الخصومة والمعاملة الدنيوية بل قد تقع من بغض ينشأ عن التعصب كالرافضي في بغضه لابي بكر والمبتدع في بغضه السني * فتقع المعاداة من الجانبين اما من جانب الولي لله وفي الله واما من جانب الآخر فلما تقدم وكذا التباغض للتجاهر ببغضه الولي في الله وببغضه الآخر لانكاره عليه وملازمته لنهيه عن شيء انه وأيضا المقاطعة قد تاتي للواحد كما قرر ما فاه الله قال علي ابن أبي طالب أولياء الله قوم صفر الوجوه من السهر عمش العيون من البكاء خمص البطون من الجوع يابس الشفاه من الدعوى * وعن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله تعالى قيل يا رسول الله أخبرنا من هم وما أعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير

صلى الله عليه وسلم من مات سكران فانه يمات سكران ومن مات خمارا فانه يمات خمارا ومن مات سكرانا ومخمورا يوم القيامة سكران أي مشتدين في وسط جهنم يسمى السكران فيه عين يجري من قيح ودمها ما لا يكون لطعام غيرها لاشرب الا منه ويجاء ان للمؤذنين والمقيمين يخرجون يوم القيامة من قبورهم يؤذن المؤذن ويقيم المقيم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة عند الموت ولا في قبورهم ولا في نشورهم وكاني باهل لا اله الا الله ينفضون التراب عن رؤسهم وهم يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ويجاء ان الرائحة تخرج من قبر هذا يوم القيامة شعشاء غبراء عليها جلباب من أمنة وذرع من نار يدها على رأسها وهي تنادي واويلاه والذين ياكلون الربا يبعثون كالمجانين عقوبة لهم قال تعالى الذين ياكلون الربا الآية ويجعل من كل واحد شيطان يخنقه ومن مات على مرتبة من المراتب بعث عليها يوم القيامة فاذا جمع الله الخلائق أجمعين في صعيد

واحد سكتوا لا يتكلمون حفاة عراة غرلا مؤمنهم وكافرهم وحرهم وعبدهم وصغيرهم وكبيرهم وانسهم وجنهم وملكهم ووحشهم وطيرهم حتى الذر والنمل قال الله تعالى وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا تناثرت النجوم من فوقهم وطمس ضوء الشمس والقمر

فتشتد الظلمة ويعظم الامر ثم تنشق السماء على غلظها وصلابتها لتسبيح الخلائق لا تشقق ما هو اعظم منكن اعظم ما تدعين طوله الالباب وتخضع لشدته الرقاب ثم ينظرون (٢٧٨) الملائكة هابطين الى الارض فينزل ملائكة سماء الدنيا بمن حول الخلائق ثم ملائكة السماء الثانية كذلك حتى يكونوا سبع دوائر في كل دائرة مثل ملائكة سماء ثم تميد السماء فتكون كالمهل وهو النحاس المذاب فيطوي الله بعضها على بعض ثم تنهار وتنثر وتذهب حيث شاء الله وتدنو الشمس من رؤس الخلائق حتى تكون قدر ميل فيشتد الكرب من الزحام ويكثر العرق كما قال عليه السلام ان العرق يوم القيامة ليذهب في الارض سبعين ذراعا وانه ليبلغ الى افواه الناس وآذانهم وجاء في حديث آخر ان الرجل ليغرق في عرقه الى شحمة أذنيه ولا شرب من ذلك العرق سبعون بحرا ما تخص منه شيء قالوا فما النجاة من ذلك يارسول الله قال بالوس بين يدي العلماء ويكون الناس في العرق يومئذ مختلفين فمنهم من يبلغ ركبتيه ومنهم من يبلغ حقويه او اذنيه ولا اظل يومئذ الا اظل الله تعالى وهو ظل يخلقه الله تعالى في المحشر لا يكون فيه الا من اراد الله اكرامه فيقفون كذلك شاخصين الى نحو السماء قدر اربعين سنة وقيل سبعين سنة من سني الدنيا لا ينطقون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس

أرحام بيتهم ولا أموال يتعاطون بها ان الله ان يرحمهم فتنور وانهم ظلمة بعضهم فوق بعض لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم تلا ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ويتجه ان ذلك في الولي الكامل وأما أصل الولاية فتحصل بالشهادتين ولذا قال بعض العارفين ايمانك بعداوة أهل البدع اقوى من ايمانك بمحبة أولياء الله وان أحبوا ويحتمل ان المراد الارض سطحا لا بشر كن بها تنشيطا فان الله تعالى يعظمها مغفرة ﴿تنبيه﴾ ورد في القرآن لفظ الاول الوالد كقوله تعالى في سورة نوح ولم يولد الا فاجرا ولدا ومولودا ويطلق على الصاحب من غير قرابة كقوله تعالى في بني اسرائيل ولم يكن له ولي من الذل الثالث القريب كقوله تعالى فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب ورضيا أي لا يفر مولى عن مولى شيأ أي لا ينفع الكافر القريب قريبه المسلم كما في قوله في سورة تبت سيصلى نارا ذات لهب ومن وراء اي خلف ابن اي من وراء أبي يعني العصبة الخامس الولاية في الدين كقوله تعالى في المائدة لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض السادس الولي الذي بمعنى كقوله تعالى في آل عمران لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴿فلا آذنه﴾ بالمد فتح للعجمة بعدها نون أي أعلمه والاذان الاعلام وظيره قاربا اذا ذاك أي اعلمك ذلك وقد آذن ربك أي أعلم فاذنوا فاعلموا فاذنوا بحرب من الله ورسوله ﴿بالحرب﴾ أي اعلمه باني محاربه واللام في قوله بالحرب للجنس فينصرف الى اكمله * فان قلت الحاربة معاداة وهي لا تكون الا من اثنين فما وجه ان الخلق في أسر الخالق * قلت وجه ان هذا من باب المخاطبة بما يفهم فان الحرب يشاع عن العداوة وهي المخالفة ومخالفة الحرب المملوك لمولاه تعالى لا يغلبه غالب فكان المعنى فقد تعرض لاهلاكي اياه فاطلق الحرب وأراد بلازمه أو اعمل به معاملة المحارب من التعجيل عليه بالقهر والجلال والعدل والانتقام واذا ثبت هذا في جانب العداوة ثبت ضده في جانب الولاية فمن يوالي أولياءه اكرمه بالقرب في الحديث القدسي أين المتحابون لجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي وقوله من عادى لي وليا اي من أجل ولا يدنو قريبه من الله تعالى لا محالة الا فلا تدخل منازعة في هذا أو نخصه مقدمة الى استخراج حق بل كشف غامض فلربما نزع ما من الخصومة بين ابي بكر وعمر وبين علي والعباس وبين كثير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم سيما ان الكل اولياء الله ﴿وما تقرب الي﴾ بتشديد الياء ﴿عبدي﴾ بالاضافة للتشريف من التقرب وهو طلب القرب من غير تخلل معصية قال ابو القاسم القشيري رحمه الله تعالى قرب العبد من ربه يقع اولا بايمانه ثم باحسانه وقرب الرب من عبده ما يخصه في الدنيا من عرفانه وفي الآخر من رضوانه وفيما بين ذلك من وجود لطفه واماته ولا يتم قرب العبد من الحق الا ببعده عن الخلق وقرب الرب بالعلم والقدرة عام للناس وباللطف والنصرة خاص بالخواص وبالتانيس خاص بالاولياء ووقع في حديث ابي امامة تحبب بدل تقرب ﴿بشيء﴾ اي عمل ﴿احب﴾ يجوز فيه الرفع والنصب فالنصب على انه صفة لشيء والجرور نابت فيه الفتحة عن الكسرة لانه لا ينصرف للعلمية ووزن الفعل والرفع على انه مبتدأ محذوف أي هو أحب ﴿الي مما﴾ موصولة أو موصوفة والعائد محذوف وفيه حذف مضاف أي من اداء ما ﴿افترضته عليه﴾ عينا كان أو كفاية كالطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج واداء الحقوق الى اربابها وبر الوالدين والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والحرف المهمة لان الامر بها جازم فيتضمن أمرين الثواب على فعلها والعقاب على تركها بخلاف النوافل لان الامر بها غير جازم

عمر بعمر أو يضحي بمضحي قال صلى الله عليه وسلم من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله في ظله وقال صلى الله عليه وسلم من أشرع جائعا أو كساعاريا أو آوى مسافرا أعاذه الله من أهوال يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من أفرغ أناء لقمة حلوى صرف الله عنه مرارة الموقف يوم القيامة وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا العمرة قيل وما يكفرها يا رسول الله قال الهم في طلب المعيشة صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا طال انتظار أهل الموقف طلبوا من يشفع لهم ليستريحوا من الموقف والانتظار والكرب وقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع فكانت تعجبه فنهش منها نهشة فقال أنا سيد الناس يوم القيامة هل تدرون بم ذلك يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الهم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض ألا ترون ما أنتم فيه ألا ترون ما بلغكم ألا ترون من يشفع لكم الى ربكم فيقول بعض الناس لبعض ائتوا آدم فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا الى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول آدم ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن

فيثاب على فعلها ولا يعاقب على تركها ولذلك كانت الفرائض أكمل وأحب الى الله وأشد تقربا وروى أن ثواب الفرض يعدل ثواب النفل بسبعين درجة وبالجملة فالفرض كالاس والنفل كالبناء على ذلك الاس ﴿ وما يزال ﴾ بلفظ المضارع وفي رواية بلفظ الماضي ﴿ عبدي يتقرب الي ﴾ أي يداوم على التقرب الي زيادة على ما افترضته عليه ﴿ بالنوافل ﴾ بالزائدة على الفرائض أي تطوعات من سائر أصناف العبادات من صلاة في الليل أو في النهار ولا سيما المؤكدات ومن صدقة أو صحيح تطوع أو اصلاح بين الناس أو تعبير خاطر بغير أو اعانة مسلم أو تيسير على معسر أو نحو ذلك ولفظ الطبراني ولا يزال عبدي يتحبب الي في رواية له لا يزال عبدي يتنفل الي حتى ﴿ حتى أحبه ﴾ بضم الهمزة وفتح الباء الموحدة فيجوز في حتى وجهان أحدهما أن تكون بمعنى الجر والثاني ان تكون بمعنى كي التي للتعليل ﴿ فاذا أحببته ﴾ قربته الى بادائه الفرائض وكثرة النوافل حتى أعلمتك من معرفتي وأشرفت عليه أنوار ولايتي ﴿ كنت سمعه ﴾ الذي يسمع به فقربت في القلب فرش على سماع باطن انصباح حتى يدرك بها صورة ما يأتي اليه بسموع الهواء ﴿ الذي يسمع به وبصره ﴾ البصر هو قوة ركبت في العصبتين المجوفتين اللتين تلاقيان متعرفتين الى العينين يدرك صورة ما ينطبع في الرطوبة الجليدية من اشباح الاجسام الملونة ﴿ الذي يبصر ﴾ بضم أوله ﴿ به ويده التي يبطش ﴾ بفتح أوله وكسر ثالثة أرضه بالكسر أشهر ﴿ بها ورجله التي يمشي بها ﴾ زاد عبد الواحد عن عروة عن عائشة عن أحمد والبيهقي في الزهد وفؤاده الذي يعقل به وأسانده الذي يتكلم به فان قلت كيف يكون الباري جل وعلا سمع العبد وبصره الخ أجاب عن أوجه أحدها أنه على حذف مضاف أي كنت حافظ سمعه الذي يسمع به فلا يسمع الا ما يحل سماعه وحافظ بصره فلا ينظر الا ما يحل ابصاره وحافظ يده فلا يبطش بها فيما لا يحل وحافظ رجله فلا يمشي بها الا فيما يحل المشي اليه اما ايجابا أو ندبا أو اباحة وهذا هو المعتمد الثاني قاله القاياتي يحتمل معنى آخر أدق من الذي قبله وهو ان يكون معنى سمعه مسموعه لان المصدر قد يجيء بمعنى المفعول مثل أنت رجائي بمعنى مرجوي فلا يسمع الا ذكري ولا يلتذ الا بتلاوة كتابي ولا يأنس الا بمناجاتي ولا ينظر الا في عجائب ملكوتي ولا يريد الا ما فيه رضاي ومحبتي ولا يمشي برجله الا لذلك لانها كنت له في البصيرة كسمعه وبصره ويده في المعاونة بها قال أبو عثمان الحيري أحد أئمة الطريق معناه كنت أسرع الى قضاء حوائجه من سمعه في الاصاخة وعينه في النظر ويده في اللمس ورجله في المشي فجاء سمعها انه ورد على سبيل التمثيل والمعنى كنت كسمعه وبصره في ايثاره أمري فهو يحب طاعتي ويؤثر خدمتي كما يحب هذه الجوارح ساد سمعها ان المعنى أجعل له مقاصده كأنه يناظها بسمعه وبصره الى آخره سابعها فيكون عبر بذلك عن سرعة اجابة الدعاء والنجح في الطلب وذلك ان مسائل الانسان كلها انما تكون بهذه الجوارح المذكورة وحمله بعض مشايخ الصوفية على ما يذكرونه من مقام الفناء والمحو وأنه الغاية التي لا شيء وراءها وهو ان يكون قائما باقامة الله تعالى له محيا لحبه له ناظرا ينظر له من غير ان يبقى معه بقية تناط باسم أو تقف على رسم أو تتعلق بأمر أو توصف بوصف والتحقيق انه مجاز وكناية عن نصرة الله لعبده المتقرب اليه بما ذكر وتأييده واعانته وتوليته في جميع أموره حتى كأنه تعالى نزل نفسه من عبده منزلة الآلات والجوارح التي يستعين بها وهذا جاء في رواية أخرى فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي

يطول عليك ولكن استفت بصاحب الفهم يكشف عليك والسعادة من الشيطان والأمن من النفس والهوى والدنيا والقصر في الاستعانة على الشيطان لان هذه الاشياء كلها من جنوده وأتباعه وأتباعه يصرفها في غير الله ورسوله وهذا قبيل في الاولياء

لي سادة من عزهم * أقدامهم فوق الجباه ان لم أكن منهم لهم * فبذكرهم عن وجاه

﴿ رواه الامام البخاري ﴾ وهو أصل في السلوك أن الاشتغال بالوسيلة الى معرفة محبوبه وطريقه

الحديث التاسع والثلاثون

﴿ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تجاوز ﴾ أي عفا وسامح وصفح وفي رواية عفا لامتي عن الخطأ عما عن بمعنى فضل ﴿ لي ﴾ أي لاجل ﴿ عن أمتي ﴾ اي أمة الاجابة ﴿ الخطأ ﴾ هذا يرجع الى قوله تعالى وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به والخطأ بفتحتين مهموز مقصور والمراد به ضد العمد وهو أن يقصد شيئا فيخطأ الى غير ما قصد لا ضد الصواب خلافا لزاعمه لان تعمد الاثم يسمى خطأ بالمعنى الثاني ولا يمكن إرادته وقد يعدو قرئ بهما قوله تعالى وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ويطلق على الذنب أيضا قال أبو عبيدة خطئ من باب علم وأخطأ بمعنى واحد لمن يذنب على غير عمد وقال غيره خطئ في الدين وأخطأ في كل شيء عامدا أو غير عامد وقال الامدي الخاطئ من فعل ما لا ينبغي والمخطئ من أراد الصواب فصار الى غيره * وفي الحديث لا يحكم الا خاطئ وفي رواية ان الله تجاوز لامتي عن الخطأ وهي أظهر ووجهه الاولى أن تجاوز ضمن معنى ترك أي ترك لي عن أمتي الخطأ وقوله تجاوز لامتي الخ اي عن الاثم فقط في الخطأ والخطأ يمد ويقصر وقرئ به في قوله تعالى ومن قتل مؤمنا خطأ لان حكمه من الضمان لا يرتفع اذ الخطأ والعمد في أموال الناس سواء وأما عن النسيان والاكراه فتارة عن الاثم فقط لان من حلف لا أفعل كذا ففعله ناسيا يحنث وكذا لو أكره على فعله حيث كانت الصيغة صيغة حنث وتارة عن الاثم والحكم معا كمن أكره على الطلاق والعتق لقوله عليه الصلاة والسلام لا طلاق في اغلاق اي اكراه وكذا على فعل المحلوف عليه حيث كانت الصيغة صيغة بر ﴿ والنسيان ﴾ بكسر النون وهو ترك التفكر بلا قصد بعد حصول العلم * فان قلت اذا كان الخطأ والنسيان تجاوزا عنها لهذه الامة فما الحكمة في الامر بالدعاء في قوله تعالى ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا * فالجواب الامر للاستدامة وقد يطلق على الترك ومنه قوله تعالى نسوا الله فنسيهم ولا تنسوا الفضل بينكم ويطلق على التأخير كقوله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها اي نؤخرها * واختلف في الخطأ والنسيان المذكورين في قوله تعالى ان نسينا أو أخطأنا فقيل النسيان بمعنى الترك اي تركنا شيئا من طاعتك وقيل الذهول والخطأ عن التعمد وقال ابن زيد المعنى ان نسينا الله مورا وأخطأنا في النهي وقال عطاء جهلنا وتعمدنا والمراد هنا الاول قال في المصباح ونسيت الشيء أنساه نسيانا مشترك بين معنيين أحدهما ترك الشيء على ذهول وغفلة وذلك خلاف الذكر والثاني الترك على تعمد وعليه ولا تنسوا الفضل بينكم أي لا تقصدوا الترك والاهمال ويتعدى الى ثان بالهمز والتضعيف ونسيت ركنة أهملتها ذهولا ورجل نسيان وزان سكران * والفرق بين النسيان والسهو أن النسيان زوال عن الحافظة والمدركة لانه جهل بعد العلم والسهو زوال عن الحافظة فقط * والفرق بين السهو والخطأ أن السهو ما ينبه صاحبه بادني تنبيه والخطأ ما لا ينبه به وبقال للآتي بفعل على جهة ما ينبغي فهو

يقتضيه لأحد شرى ثم يقول الله تعالى يا جبريل ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع فارفع رأسي فاقول يا رب أمتي أمتي فيقال يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب والذي نفس محمد بيده ان ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى وفي البخاري كما بين مكة وحمير فهذه أول الشفاعات لراحة الناس من هول الموقف وهو المقام المحمود المراد من الآية فعند ذلك يظهر نور عظيم يشرق منه أرض المحشر وهو نور العرش فترتعد فرائص الخلائق ويتيقنون بان الجبار عز وجل قد تجلى لفصل القضاء فيظن كل أحد انه هو المأخوذ المطلوب ثم يأمر الله تعالى جبريل أن يأتي بجهنم فيأتيها فيجدها التهب غيظا على من عصى الله فيقول لها يا جهنم أجيبي مخالفك وملبيك فتفور وتفور وتشهق فتسمع الخلائق لها صوتا عظيما تمثل القلوب

﴿ ٣٦ - شبر خزي ﴾ منه فزعا ورعبا ثم تزفر ثانية فيزداد الرعب والخوف ثم تزفر الثالثة فتخر الخلائق على وجوههم وتبلغ القلوب الحناجر وينظر المجرمون من طرف خفي ولا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثا على ركبتيه كما قال الله تعالى وترى كل أمة

جانبه كل أمة تتبعني الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون ويقول ساق العرش ويقول يارب لا أسألك نفسي ويتعلق موسى بساق العرش (٧٨٩) ويقول يارب لا أسألك نفسي بل أسألك نفسي ويتعلق عيسى بساق العرش ويقول يارب لا أسألك نفسي ولكن أسألك نفسي ثم يتقدم النبي صلى الله عليه وسلم فيأخذ بحلقها فيقول لها ارجعي وراءك ملحسورة مدحورة فتقول يا محمد ليس لي عليك من سبيل دعني أنتقم من أعداء ربي عز وجل فيأتي النداء من العلي من قبل الله سبحانه و تعالى أطيعي محمدا فارجعي وراءك مأسورة خسيسة ثم يخرج منها ثلاثة أعناق الاول منها يقول أين من قال أنا الله فتلتقطهم من الحشر كما يلتقط الطير الحب ثم تدخلهم في جوفها ثم يخرج العنق الثاني فيقول أين من قال ولد الله فتلتقطهم كما يلتقط الطير الحب ثم يخرج العنق الثالث فيقول أين من أكل رزق الله وعبد غيره فتلتقطهم كما يلتقط الطير الحب وعن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تبارك وتعالى ينادي يوم القيامة بصوت رفيع غير وضيع يا عبادي انا الله لا اله الا انا أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وأسرع الحاسبين يا عبادي لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون احضروا حجتكم وبشروا واجوابكم فانكم مسؤلون محاسبون يا ملائكتي أقيموا عبادي صفوفا على أطراف انامل اقدامهم وقد قيل في المعنى مثل وقوفك يوم العرض عريانا * مسودحشا فاق الاحشاء حيرانا أي

الصواب ان الكل لا علم ما يفعل الى ان كان من تعمد من الآكل يفسد من الشارط وان كان من غير تعمد منه ان كان يتذكره بيسر تذكره فهو السهو والا فهو الخطأ والنسيان حالة تعتري الانسان من غير اختياره توجب غيابه عن الحفظ والغفلة تزيله الا انها تستعمل بسبب امر عارض وقلما الغفلة تكون عما لا يكون من السهو ويكون عما يكون وقد يغفل عن هذا الشيء حتى كان ولا تقول السهو يتعمد حتى كان وفروق أخر وهو أن الغفلة تكون عن فعل الغير قليل كنت غافلا عما كان من فلان ولا يجوز ان يسهى عن فعل الغير ﴿وما استكرهوا عليه﴾ أي من سبق منه الا كراه فلا يقر من أكره على الردة ولا يصح اعتاقه ولا طلاق له ولا شيء من تصرفاته وهو مذهب الثلاثة والذي رأى حنيفة في الطلاق وأما البيوع فخصوص بما اذا لم يكن بحق فان أكره بما فعل يجب القصاص على المكره بالكسر والمكره بالفتح او بالزنا وغير ذلك ويجب عقوبة من أكره عبدا على كذا اذا حلفه عليه قرا والمكره بالضم المشقة يقال قامت على كره بالضم اي على مشقة وبالفتح الاكراه يقال باقامني فلان على كره بالفتح اذا أكرهك عليه وقال الكسائي هما لغتان وعندي هذا الطيران الخطأ والنسيان والاكراه كان يؤاخذ بها اولا اذ لا تمتنع المؤاخذة بها عقلا فان الذنوب كالسموم فكما أن تناولها يؤدي الى الهلاك وان كان خطأ فكذا تناول الذنوب لا يرضاه ان يفضي الى العقاب وان لم تكن عزيمة لكنه تعالى وعد بالتجاوز عنه رحمة وتفضلا ومن ثم أمر الانسان بالدعاء به استدامة واعتدادا بالنعمة ﴿حديث مسلم رواه مهدي بن ميمون﴾ أبو يحيى ﴿البيهقي وغيرهما﴾ ﴿فائدة﴾ لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله شق ذلك على الصحابة فرضي الله عنهم فجاء جماعة منهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا كلفنا من العمل ما لا نطيق ان أحدنا ليحدث نفسه بما لا يحب ان يثبت في قلبه وان له الدنيا فقال لهم صلى الله عليه وسلم لعلكم تقولون كما قالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا قولوا سمعنا واطعنا فقالوا فلما ذلت بهم السنتهم بها طامنت اليها نفوسهم انزل الله تعالى آمن الرسول الى قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فنسخ بالكسب دون النزع كذا في اكثر التفاسير وفي بعضها انها نسخت بهذه واكثر المحققين من اهل الاصول على ان النسخ يكون في الاحكام دون الاخبار وهذا خبر

﴿الحديث الاربعون﴾

﴿عن ابن عمر﴾ رضي الله عنه ﴿قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي﴾ بفتح الميم وكسر الكاف مجمع العضد والكتف يروى بالتثنية والافراد وفيه مس المعلم بعض أعضاء المتعلم عند التعليم او الموعوظ عند الوعظ لي ما يدل له فيكون ابعد للنسيان وهذا كقول عبد الله بن مسعود علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم التشهد وكفي بين كفيه وقد يضمه اليه كما فعل جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم حين قال له اقرأ وذلك لاحضار القلب والتفهيم والتذكير اذ من المحال عادة ان ينسى من فعل معه ذلك ويقال له معه وهذا لا يفعل في الغالب الا مع من يميل اليه الفاعل ففيه دليل على محبته عليه السلام لها ﴿فقال كن في﴾ زيادة ﴿الدنيا كأنك غريب﴾ في محل نصب خبر كن أي كن في الدنيا مشبها بالغريب الذي قاسى الذل والمسكنة في غربته وعانى قلبه بالرجوع الى وطنه اي لا تركن اليها ولا تتخذها وطنا ولا تتعلق بها الا بما يتعلق الغريب في غير وطنه ﴿او عابر سبيل﴾ أي طريق معطوف عليه على غريب عطف خاص على عام واو فيه بمعنى بل كما ذكره الجوهري وفيها معنى الترقي والمعنى كن في الدنيا كغريب بل عابر سبيل

والنار تلهب من غيظ وتزداد حنقا ※ على العصاة وترمي بالشرر غضبانا ※ اقرأ كتابك يا عبدي على مهل ※ فهل ترى فيه حرفا غير ما كانا
لما قرأت ولم تنكر قراءته ※ اقرار من عرف الاشياء عرفانا نادى الجليل خذوه يا ملائكتي ※

أي لا تركن الى الدنيا ولا تتخذها وطنا ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها ولا تتعلق منها الا بما يتعلق به الغريب في غير وطنه فهو حث على احتقار الدنيا والفراغ عنها والزهد فيها ولا يأخذ منها الا مقدار الضرورة المعينة على الآخرة فان الغريب مسكين متوحش لا يجد من يعرفه فيأنس اليه ويأنس به ولا مقصد له الا الخروج من غربته الى وطنه ومع اقامته لا يبالي ان يرى على خلاف عادته في ملبسه ونحوه ذليلا ولا يحسد ولا يعادي ولا يحقد ولا ينافس احدا في مجلس ولا غيره انما اقامته وكذا عابر السبيل أي المار الطريق وهو المسافر فانه ابلغ لأن الغريب الاقامة بينه وبين سفره وقفه له الى بلده واجتماعه باهله فلا يتخذ في بعض المراحل دورا ولا مسكنا ولا بستانا ولا اماما ونحو ذلك لعلمه بقلة اقامته في سفره وانه لو أمكنه الطيران لطار فهو لا يعرج على شيء الا بما يكون سببا لرحيله ومعينا على سفره ووصوله الى وطنه وأيضا فالانسان انما وجد ليمتحن بالطاعة والمعصية ليكون مثابا او معاقبا بدليل انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا قال ابن بطال ولما كان الغريب قليل الانبساط الى الناس بل هو متوحش منهم اذلا يكاد يمر بمن يعرفه ويستأنس به فهو ذليل في نفسه خائف وكذلك عابر السبيل لا ينفذ في سفره الا بقوته عليه وتخفيفه من الاثقال غير متشبث بما يمنعه من قطع سفره معه زاده وراحلته يبلغانه الى بغيته من قصده شبه بهما وفي ذلك اشارة الى ايثار الزهد في الدنيا واخذ البلغة منها والكفاف وكما لا يحتاج المسافر اكثر مما يبلغه الى غاية سفره فكذلك لا يحتاج المؤمن في الدنيا الى اكثر ما يبلغه المحل اهـ وحينئذ فمن كان بهذه الصفة فحاجة الرغبة الدنيا ان يكون بمنزلة المسافر ثم يرحل الى وطنه ولا يتعلق بشيء غير ما هو فيه ودخل رجل على أبي ذر رضي الله تعالى عنه فقال يا أبا ذر اين متاعكم فقال ان لنا بيتا نوجه اليه متاعنا فقال لا بد لك من متاع ما دمت ههنا قال نعم ان صاحب المنزل لا يدعنا فيه وقال الحسن رضي الله عنه المؤمن في الدنيا كالغريب لا يجزع من ذلها ولا ينافس في عزها وهذا أوصى صلى الله عليه وسلم جماعة من أصحابه بأن يكون بلاغهم من الدنيا كزاد الراكب وقيل لمحمد بن واسع كيف أصبحت قال ما ظنك برجل يرتحل الى الآخرة كل يوم مرحلة وقال داود الطائي انما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس مرحلة مرحلة حتى ينتهي ذلك بهم الى آخر سفرهم فان استطعت ان تقدم كل يوم زادا لما بين يديك فافعل واقض ما انت قاض من امورك فكأنك بالرحيل وقد بغتك فكيف يركن الى الدنيا من يومه يهدم شهره وشهره يهدم سنته وسنته تهدم عمره كما قيل

وما هذه الايام الا مراحل ※ تمر وتطوى والمسافر قاعد

وقيل

نسير الى الآجال في كل لحظة ※ وايامنا تطوى وهن مراحل
ولم أر مثل الموت حقا كأنه ※ اذا ما تخطته الاماني باطل

وقال الشبلي من ركن الى الدنيا احرقته بنارها فصار رمادا تذروه الرياح ومن ركن الى الآخرة احرقته بنورها فصار قطعة ذهب ينتفع به ومن ركن الى الله احرقه بنور التوحيد فصار جوهرا لا قيمة له وروى ابن ابي الدنيا والبيهقي من حديث عائشة انه عليه الصلاة والسلام قال الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وقال عليه الصلاة والسلام مثل هذه الدنيا كمثل ثوب شق من اوله الى آخره فبقي معلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع رواه ابو نعيم والبيهقي من حديث

وامضوا بجملة نحو النار شيطانا
المشركون غدا في النار يلتهبوا
والمؤمنون بدار الخلد سكانا
فاول من يدعى لحسابه الملائكة والرسل اظهارا للعدل واقامة للحجة على من كذب وزيادة تخويف للمجاهدين فكيف تكون عقول الخلائق اذا عاينوا الملائكة والرسل قد دعاهم الله للحساب والسؤال ثم تقبل الملائكة على الخلائق وتنادي كل انسان باسمه من غير كنية يا فلان هلم الينا الى موقف العرض فمن المؤمنين من لا يحاسب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من هذه الامة سبعون الفا بغير حساب وفي رواية مع كل واحد منهم سبعون الفا وعن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت سبعين الفا من امتي يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر وقلوبهم على قلب رجل واحد فاستزدت ربي عز وجل فزادني مع كل واحد سبعين الفا قال ابو بكر فرأيت ان ذلك يأتي على اهل القرى ويصيب من حافات البوادي ومنهم من يحاسب حسابا يسيرا يستره الله عن جميع الخلائق ويكلمه الله ويقرره بذنوبه ويقول سترت عليك في الدنيا

وأما الغفر لك اليوم ومن عصاك اليوم من يشفع فيه ويشفع فيه ومنهم من يشفع فيه من أذن الله له من الأنبياء والأولياء وقال صلى الله عليه وسلم (ج ٢ ص ٢٨٧) لا تشفعون يوم القيامة إلا كثرة ان الأرض من سجود وشجر وحجر وما روى أن من المؤمنين من يشفع لربيعة ومضر ومنهم من يشفع لقبيلة ومنهم من يشفع لقبيلة على قدر حسناتهم ومن العصاة من لا يشفع فيه أحد فيؤمر به إلى النار وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه ومن علمه ماذا عمل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ثم ان الله تعالى مع علمه بأعمال العباد يظهر العدل ويقيم الحجة فينصب الموازين لوزن الأعمال كما قال تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة الآية ويؤتى بالصحف التي كتبها الملائكة على العباد فيعطي الله تعالى فيها اتقالا وخفة على قدر الأعمال ويؤتى بكل انسان فتوضع صحيفة حسناته في كفة وصحيفة سيآته في كفة حتى يتبين له ولغيره رجحانها ونقصانها وتطاير الصحف فيعطى كل عبد كتابه فيه جميع أعماله يقرؤه من كان يكتب ومن كان لا يكتب وقد قيل في معنى ذلك تفكر يوما تأتي الله فردا

أنس رضي الله عنه وأنشد بعضهم

أيا من له في باطن الأرض سكرة * أتأنس بالدنيا وأنت غريب
ربا للقبور الآن حتى يزيلها * وما الموت إلا نازل وقريب
وأنشد آخر

ألا يا نائما في كل حين ينشر للكفاح * وأنت في غفلة عما يراد بنا
لا تطلبن أبا الدنيا رزينتها * ولو نوشحت من أثوابها الحسنا
أين الأسية والأخيار ما فعلوا * أين الذين هم كانوا لنا سكنا
سقاهم الموت كأسا غير صافية * فصيرتهم لأطباق الثرى رهنا

وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه من جهز ميتا فقد تجر مائة ألف بيعة مبرورة لا عن النار صبرا يعني لم يترك اليهودي طلب الجنة والقرب من النار عن زهد فاطلاعه وعرف الشيطان إذ صامه وعرف الحق قائمه وعرف الباطل بإفطاره عرف الدنيا فقصرها وعرف الآخرة فطلبها وقال أيضا ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة ولكل منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل وعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا يؤتى بالدنيا يوم القيامة على صورة عجوز شمطاء زرقاء أنيابها بادية مشوهة مختلفة الأيدي والأرجل فتعرض على الخلائق فيقال لهم أتعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفتها فيقال هذه الدنيا التي تفاخرتم بها وتقاتلتم عليها وروي في خبر أنه يؤمر بها فتلقى في النار فتقول يا رب أين أتباعي وأصحابي فيلحقون بها ﴿وقال﴾ عبد الله ﴿ابن عمر يقرأ﴾ في بعض وصاياه ﴿إذا أمسيت﴾ أي دخلت في وقت المساء ﴿فلا تنتظر﴾ بعمل من أعمال البر ﴿الصباح﴾ وهو أول النهار ﴿وإذا أصبحت﴾ ودخلت في وقت الصباح ﴿فلا تنتظر﴾ بعمل من أعمال البر ﴿المساء﴾ لأنه ربما يكون تأخيرها سببا لفوات إتيانها بعدم استدراكها وقدم المساء على الصباح لأن في الليل اليوم الذي هو أحد الوقتين لقوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل فالمراد بالمساء في قوله أكثر والمراد إذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالبقاء إلى الصباح وإذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالبقاء إلى المساء وانتظر الموت في كل وقت واجعل نصب عينيك وعقب يديك المعنى ما قبله لأن ذلك الحث على ترك الدنيا وهذا الحث على تقصير الأمل وهذا متوقف على هذا لأنه اصلاح للعمل والنجاة من آفات التواني والكسل وقد قيل لبعضهم ما قدر أمل الدنيا فقال هل لمن نفسه في يده غير أمل وكان مجاهد إذا أمسى قال لأهله استودعكم الله فلعلي لا أقوم من نومتي هذا حيا. في الحديث لا يبيت أحدكم إلا ووصيته عند رأسه فلعل أن يبيت من أهل الدنيا ويصبح في أهل الآخرة فكم من مستقبل يوما أو عملا لا يستكمله قال أبو نصر ابن ردعان قصر الأمل أصل كل خير كان تطويله أصل كل شر كان من لا يقدر في نفسه أنه لا يعيش غدا لا يسعى لكفاية غد ولا يهتم لها فيصير حراما من رق الحرص والطمع والذل وخدمة أبناء الدنيا ويكفيه كل شيء ومن قدر أنه يعيش عشرين سنة مثلا فإنه يصير عبد هذه الأوصاف الذميمة ولا يكفيه شيء من الدنيا ولا يملأ بطنه وعينه إلا التراب ولبعضهم

تبغي من الدنيا الكثير وإنما * يكفيك منها مثل زاد الراكب
لا تعجبن بمباتري فكأنه * تزال عنك زوال أمس الذاهب

* وقد نصبت موازين القضاء وهتكت الستور عن المعاصي * وجاء الذنب مكشوف الغطاء ثم يتعلق المظلومون ولبعضهم بالظالمين هذا يقول قتلني وهذا يقول ضربني وهذا يقول شتمني وسبني وهذا يقول اغتابني واستهزأ بي وهذا يقول أخذ مالي وغشني في

في معاملة أو بخصم في وزن أو كيل أو شهد عليه بزور أو نظر إلى نظر كبير أو احتقار فتفرق حسنات الظالم على المظلومين فإذا لم يبق له حسنة يحمل على الظالم من سيآت المظلوم حتى يستغرق في كل ذي حق حتى حقوق الرجل (٢٨٥) ليأتي بحسنات كثيرة فإذا هو

ولبعضهم
تقنع بما يكفيك واعمل لربما * فقد لا ترى أو أنت يمسي أم تمسي
فليس الغنى عن كثرة المال إنما * يكون الغنى والفقر من قبل النفس

والحاصل أنه سبب للزهد في الدنيا وقول بعض الشراح النفس الزهد فيها أراد به أن بينهما تلازما صيرها كالشيء الواحد فمن قصر أمله زهد ومن طال أمله طمع ورغب في الدنيا وترك الطاعة وسوف بالتوبة وتمنى الآخرة ومقدماتها من الموت وما يعده من الأهوال فيهون الأمر عليه ويقل همه ويرقان قلبه وصفاته ويكون بذكر الله قال تعالى فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وقال تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون وقال ابن الجوزي إذا رأيت تبرا فتمنى صفته فإنه باق الطيبا ذهبا * وعن أبي زكريا التميمي قال بينا سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام إذ أتاه بحجر منور فطالب من يقرأه فأتي بوهب بن منبه فقرأه فإذا فيه ابن آدم إنك لو رأيت ما بقي من أجلك لزهدت في طول أملك ولرغبت في الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وعيلك فإنما يأتيك ما قدمت إذا زلت بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك فيا حبذا من زاد الرحلة القريب ويا رفضك الزاد البعيد فلا أنت إلى دنياك عائد ولا في حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة ولبعضهم

إذا لهيت رياحك فاغتنمها * فإن لكل خافقة سكون
ولا تغفل عن الإحسان فيها * فما تدري السكون متى يكون
إذا ظفرت يداك فلا تقصر * فإن الدهر أحيانا يخون

﴿وخذ من﴾ العمل من ﴿صحتك﴾ قبل أن يحال بينك وبينها ﴿لمرضك﴾ أي اغتنم العمل حال الصحة فإنه ربما عرض لك مرض وسقم مانع منه فإذا كنت تعمل في حال الصحة جرى لك ثوابه في حال المرض طيبا بذلك عن كسل وتكاسل وعجز وتحامل يقال لصاحب الشمال ارفع عنه القلم أي عن الصحيح ويقال لصاحب اليمين اكتب له أحسن ما كان يعمل فإني أعلم بعلته لم يصبر منه تضجر ﴿ومن﴾ حياتك ﴿من﴾ العمل زمن ﴿حياتك لموتك﴾ أي اغتنم ما بقي نفسه بعد موتك ما مضت حيا فإن من مات انقطع عمله قال الله عز وجل فاستبقوا الخيرات وقال تعالى وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين مستنزع مما ورد أنه عليه الصلاة والسلام قال لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك ﴿رواه البخاري﴾ وخرجه ابن ماجه وزاد ذكر قول ابن عمر

﴿الحديث الحادي والأربعون﴾

﴿عن﴾ أبي محمد ويقال أبو نصر ويقال أبو عبد الرحمن ﴿عبد الله بن عمرو بن العاص﴾ بإثبات الياء وأكثر المحدثين يحذفونها وأقلهم يثبتها قال النووي والصواب جواز الوجهين قال بعضهم وإثباتها يدل على أنه من العصيان ويدل له أن عمر بن الخطاب كان يناديه بقوله يا عاصي يا ابن العاصي وحذفها يدل على أنه من العوص وهو تحريك الشيء ابن وائل بن هاشم بن سعيد بن سعد بن سهل بن عمرو بن هيصص بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي السهمي * واسم أمه رملة بنت منبه بن الحجاج بن عامر بن سعد بن سهل ولم يسلم عمرو إلا بعد الخندق بيسيرة لأنه جلس في الحجر مع خالد بن الوليد وعثمان الحجبي وقالوا لا نرى أمر محمد إلا في ازدياد وأمر قريش في انتقاص ثم انتقلوا على الإسلام وقيل إنه أسلم على يد النجاشي

عليه وسلم وتطوح عليه سيآت ما كان عملها فيقول ما عملت فيقول سيآت حسنات فلانة ﴿وعن﴾ أبي هريرة رضي الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد إذ جاءه رجل فقال يا رسول الله إن لي جارا يؤذيني فقال انطلق فاصبر فأتاه مرتين أو ثلاثا فقال انطلق فاطرح متاعك في الطريق ففعل فجعل الناس يمرون عليه ويسألونه عن شأنه فيخبرهم خبر جاره فجعلوا يلعنونه فعل الله به وفعل وجاء إليه جاره فقال له ارجع لا ترى مني شيئا تكرهه ﴿رواه أبو داود﴾ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار ﴿رواه مسلم﴾ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد إذ جاءه رجل فقال أعط أخاك مظلمته فقال يا رب ما بقي من حسناتي شيء فقال يا رب فليحمل من أوزاري وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال إن ذلك اليوم ليوم عظيم يحتاج فيه الناس إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم ثم قال الله تعالى للطالب ارفع بصرك فانظر إلى الجنان فرفع بصره فرأى ما أعجبه من الخير والنعمة فقال لمن هذا يا رب فقال لمن أعطاني ثمنه قال ومن يملك ثمن ذلك قال أنت قال بماذا قال بعفوك عن أخيك هذا قال يا رب قد عفوت عنه قال خذ بيد أخيك فادخله الجنة ثم قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة والصحيح أن الميزان واحد يوزن به للجميع وإنما جمع لكثرة ما يوزن فيه من الأعمال ووصفه في العظم بمثل طباق السموات والأرض توزن فيه الأعمال بقدرة الله سبحانه وتعالى

والصحيح يوزن صحائف الأعمال وأشار بقوله فيها أنها بالمداد تطرح صحائف الحسنات في صورة حسنة في كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتهم عند الله سبحانه وتعالى (٢٨٦) بفضل الله تعالى وتطرح صحائف السيئات في صورة قبيحة في كفة الظلمة فتخف بها

عن أبي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص [illegible] قال أبو محمد عبد الله في قبل الإسلام كنت لا أرغم طاعة النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] ذلك إلى علمه النار وبعد الإسلام كنت لا أرغم طاعة اليهود [illegible] صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهما أسلم قبل أبيه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يفضله على أبيه وكان أبوه أكبر منه باثنتي عشرة سنة وقيل بإحدى عشرة سنة وقيل بثلاث عشرة سنة وهو من أجل العبادلة [illegible] من العلم مجتهدا في العبادة وكان من زهاد الصحابة وكان يقول لأن أدمع دمعة من خشية الله أحب إلي من أن أتصدق بألف دينار وكان يقرأ الكتب [illegible] حتى العلم [illegible] حتى [illegible] فيها أكثر [illegible] قال أبو هريرة رضي الله عنه ما أحد أكثر حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مني إلا عبد الله بن عمرو بن العاص فإنه كان يكتب ولا أكتب روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعمائة حديث اتفقا على سبعة عشر حديثا وانفرد البخاري بثمانية ومسلم بعشرين حديثا [illegible] أكثر من ذلك [illegible] الطرق الرواية عنه فكان ذلك سببا في قلة ما نقل وصح عنه وكان عبد الله بن عمرو [illegible] استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الكتابة عنه في حالة الرضا والغضب فأذن له حتى كان يسمي صحيفته الصادقة [illegible] عن النبي صلى الله عليه وسلم ألف مثل وكان قد قرأ الكتب وكان يصوم النهار ويقوم الليل [illegible] أبوه من قريش ثم دخل عليها أبوه فسألها كيف وجدت بعلك فقالت خير الرجال أو خير البعول [illegible] رجل لم يفتش لنا كنفا ولم يعرف لنا فراشا فأقبل عليه [illegible] وقال أنكحتك امرأة من قريش ذات حسب فعضلتها ثم انطلق إلى النبي صلى الله عليه وسلم فشكاه فأرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه فقال له أتصوم النهار قال نعم قال وتقوم الليل قال نعم قال النبي صلى الله عليه وسلم لكني أصوم وأفطر وأصلي وأنام وأمس النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني وكان مع أبيه إلى أن توفي أبوه بمصر ثم انتقل إلى الشام إلى أن توفي [illegible] ثم انتقل إلى مكة وماتت بها وقيل مات بالشام وقيل مات بالطائف وقيل مات بمصر سنة خمس أو سبع أو تسع وستين أو اثنين وستين أو اثنين وتسعين سنة وكان قد عمي في آخر عمره ولما حضرته الوفاة قال إنه كان خطب مني ابنتي رجل من قريش وقد كان مني إليه شبه بالوعد فوالله لا ألقى الله بثلث النفاق اشهدوا أني قد زوجتها له (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم) أي إيمانا كاملا (حتى يكون هواه) بالقصر وهو مصدر هواه أي أحبه وشرعا ميل النفس إلى خلاف ما يقتضيه الشرع إلى ما تحبه نفسه وتميل إليه وتدعو إليه شهوتها ويجمع على أهواء وأما الممدود وهو ما بين السماء والأرض فجمعه أهوية وجمعهما قول بعضهم

سكن الفؤاد مع الهوى في أضلعي ... فاستجمعت وسط الحشا ارزان
فقصرت بالممدود عن وصل الظبا ... ودرجت بالمقصور في أكفاني

(تبعا لما) أي لجميع ما (جئت به) من الأوامر والنواهي والغالب أن الهوى لا يطلق إلا على الميل إلى خلاف الحق كما قال تعالى ونهى النفس عن الهوى وقد يطلق على مطلق الميل فيدخل فيه الميل إلى الحق وغيره ولا يحصل الرجوع عن هوى النفس وحبها للأمور المنافية للطبيعة عليها إلا بمجاهدة وصبر واحتمال مشقة حتى تطمئن النفس فإذا اطمأنت أحبت ما يحبه الله وحينئذ فقوله حتى

الميزان كما يليق بالله تعالى بعظمته عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه قال يوضع الميزان يوم القيامة فلو وضعت فيه السموات والأرض لوسعتها فتقول الملائكة من يزن بهذا فيقول الله سبحانه وتعالى هذا أزن به لمن شئت من خلقي فتقول الملائكة سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وقيل سأل داود عليه السلام ربه أن يريه الميزان فأراه كل كفة ملء ما بين السموات والأرض أو ما بين المشرق والمغرب فلما رآه غشي عليه من هوله ثم أفاق فقال إلهي من ذا الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات فقال الله عز وجل يا داود إني إذا رضيت عن عبدي ملأتها له بتمرة واحدة يا داود أما قرأت بشهادة أن لا إله إلا الله وجبريل عليه السلام هو الذي يزن الأعمال يوم القيامة وهو آخذ بعموده ينظر إلى لسانه ورجحان الميزان كرجحان ميزان الدنيا وقيل بالعكس وفي الميزان مرجحات كثيرة منها قول الشهادة لا إله إلا الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيقول يكون الله تبارك وتعالى أتنكر من هذا شيئا أظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول أفلك عذر أو حسنة فيهاب الرجل فيقول لا يا رب

يكون هواه تبعا لما جئت به أي بان يميل قلبه وتهجم الى تحقيقه بالقلب ويطمئن النفس على الميل اليها من غير مجاهدة وتصبر واحتمال مشقة أو بعض كراهة مثل تهوى الحيوانات والمتحيرات فان من أحب شيأ أتبعه هواه ومال عن غيره اليه وبالاخرة لم يحل صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يأتي أمرا أمرته أو حتى يأتي بكل ما ينبغي به أو حتى يتبع هواه بحيث ذلك فان الامور بالشيء تلزم به أو التصميم لفعله اخطر اراد اعلم ان الهوى ميل الانسان بطبعه الى مقتضاه ولا يقدر على جحده تابعا لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم الا الكامل من الرجال فلذلك صار الهوى في الشريعة يطلق الاكثر على الميل الى الباطل وقد يطلق على الميل مطلقا كما في قوله تعالى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم وقوله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه أي معبوده قال أبو الدرداء اذا أصبح الرجل اجتمع هواه وعمله فان كان عمله تبعا لهواه فيومه يوم سوء وان كان هواه تبعا لعمله فيومه يوم صالح وفي الحديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الا في رواية وفي رواية وفي الجامع بدل العاجز من عاجز سليمان بن داود ان القلب هواه أشد من الماء الذي يفتح المدينة وحدث عن حذيفة بن قتادة قال كنت في مركب فكسرت بنا فرقست فأتى امرأة على لوح فمكثنا ثمانية أيام فلما أتت المرأة أتاها فقضى ما قضى وانطلق فأتى بماء فسقيها فرأيت على بطنها مثل السلسلة فيها كوز معلق فيه ماء فشربت فرفعت رأسي أظر في السلسلة فرأيت رجلا جالسا في الهواء متربعا فقلت من أنت لعلك من الانس قلت فما الذي بلغ بك هذه المنزلة قال أدركت هوى الله على هواي فأتاني بكل ما أحب وحدثني ابن عباس قال كان في بني اسرائيل رجلان بعثت بهما جدتهما الى أرض مشيا على الماء فبينما هما يمشيان على البحر اذا هما برجل في الهواء قائما فقالا يا عبد الله بأي شيء أدركت هذه المنزلة قال بيسير من الدنيا فاطمأنت نفسي عن الشهوات وكففت نفسي عما لا يعنيني وعن عبد الواحد بن زيد قال أقسمت على الله بر قسمي وان من بره أعطاني وعن عبد الواحد بن محمد الفارسي قال سمعت بعض أصحابنا يقول رأيت غرفة الهواء ورأيت رجلا قاعدا فسألته عن حاله التي بلغته الى تلك المنزلة فقال تركت الهوى فاد خلت في اطراء وقال رجل للحسن يا أبا سعيد أي الجهاد أفضل قال جهاد هواك وقال الاصمعي مررت باعرابي به رمد شديد وهو يعصر عينيه فقلت ألا تمسح عينيك فقال ان بصري في الطيب ولا خير فيمن اذا زجر لا يزجر واذا أمر لا يأتمر فقلت أما تشتهي شيأ فقال أشتهي وأكثر أحتمي لان أهل النار غلبت شهواتهم فلم يحتموا فهلكوا وقيل ليحيى بن معاذ من أصح الناس عزما فقال الغالب لهواه ودخل خلف بن خليفة على سليمان بن حبيب وعنده جارية يقال لها البدر من أحسن الجواري وجها وأكمله فقال سليمان لخلف كيف ترى هذه الجارية فقال أصلح الله الامير ما رأت عيناي قط أحسن منها فقال خذ بيدها فقال خلف ما كنت لافعل ولا أسلبها الامير وقد عرفت محبته بها فقال يخذها على عجبي بها ليعلم هواي فاني غالبه فاخذ بيدها وخرج وهو يقول

لقد حباني وأعطاني وفضلني * من غير مسئلة مني سليمان * أعطاني البدر جودا في محاسنها
والبدر لم يعطه انس ولا جان * ولست عقا بناسي عرفه أبدا * حتى يغيبني لحد وأكفان

ودخل الوليد بن يزيد بعض كنائس الشام فكتب في حيطانها ما أراني العيش غير أن تتبع النفس هواها فخطئا أو مصيبا فرئي ذلك عبد الله بن علي فكتب تحته

السعادة ومن ذلك الطاعة ولا يعقل من اسم الكثير ومنها اطلاق الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من شيء يوضع في الميزان يوم القيامة أفضل من الخلق الحسن ومنها قضاء حاجة المسلم قال صلى الله عليه وسلم من قضى لاخيه المسلم حاجة كنت واقفا عند ميزانه فان رجح والا شفعت له ومنها قراءة القرآن وتعليم الناس الخير أو مداد العلماء واتباع الجنازة والولد الذي يموت للانسان فيحتسبه والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وكثرة الاستغفار والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والصدقة وتخفيف العمل عن الخادم والاضحية وكف الاذى اذا ألقاه الانسان في قبر المسلم عند دفنه وازالة التراب عليه ورجحان الموازين في الدنيا أدلة هذه الامور في السنة الغراء كثيرة شهيرة ﴿ نكتة ﴾ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنصب الموازين يوم القيامة فيؤتى بأهل الصلاة فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الصيام فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الحج فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر

لن كنت تعلم من تصبح آمنا * فأنت المنايا ان أقمت تقيم
فلزم هدى الاسلام فيما رضيته فانك لا تمسي بذلك في الذميم نعم
ولبعضهم
وما سقوني سيئة حسنة * فحسبي من سقياه فانهكا
ما سحب الشهوة هبة فاذا * غلب الشهوة هبار ملكا

وكان عبد الله بن حسن بطرفا بالبيت فنظر الى امرأة جميلة فمشى الى بيتها ثم قال

اذا شئت هوى الدين واللذات تعصيني * فكيف لي بـ دفع اللذات والدين

فذا لبيت لمدح أحدهما قبل الآخر وقيل ان سبب ذلك ان عبد الله بن حسن لقي امرأة جميلة في الطواف فلما نظرت اليه والى جماله مالت نحوه وطمعت فيه فاقبل عليها وانشد البيت المذكور فتركته وانصرفت وقال الجنيد

اذا ما نافست النفس هواها * صبار داؤها دواها

وقال بعض الحكماء ان اعصى عدو لك النساء واطوع من شئت وبر وعن واصنع ما شئت وقال ابن دريد

وآفة العقل الهوى فمن علا * على هواه عقله فقد نجا

وقال ان هشام بن عبد الملك لم يقل في عمره الا بيتا واحدا

اذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى * الى بعض ما فيه عليك مقال

وقال غيره

ان الهوان هو الهوى قصر اسمه * فاذا هويت فقد لقيت هوانا

وقال آخر

دون الهوان من الهوى مصروفة * وصريع كل هوى صريع هوان

ثم اعلم ان من كان هواه تابعا لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم كان مؤمنا كاملا وضده الكافر وهو من اعرض عن جميع ما جاء به ومنه الايمان واما من تبع البعض فان كان ما أتى به اصل الدين وهو الايمان دون ما سواه فهو الفاسق وحكمه الخ (قوله في حديث صحيح رواه) حالة كونه في كتاب الحجة في اتباع المحجة تأليف الفقيه الزاهد ابي القاسم اسمعيل بن محمد بن الفضل الاصفهاني نزل دمشق وصنف هذا الكتاب في عقيدة اهل السنة (باسناد صحيح) وخرجه الطبراني عن عقبة بن أوس عن عبد الله بن عمرو لكن زاد بعد ما ثم به لا يزيغ عنه قال ابن عبد البر وعقبة بن أوس مجهول

﴿الحديث الثاني والاربعون﴾

(عن انس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى يا ابن آدم) أصله أدم بهمزتين على وزن افعل لكنهم سهلوا الثانية بقلبها الفا تخفيفا لاستثقال اجتماع الهمزتين وهو غير منصرف للعلمية ووزن الفعل مشتق من الادمة بالسكون أي القمح وهو حمرة تميل الى سواد او من ادم الارض وهو ظاهرها وجهها كما صح عن ابن عباس رضي الله عنهما وروي عن علي وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم ولا ينافي هذا ما ورد من براءة جماله وان يوسف عليه الصلاة والسلام كان على الثالث من جماله لان الاجمال لا ينافي السمرة المستحسنة بين البياض والحمرة واختلف في لفظه هل هو اعجمي او لا فذهب أبو البقاء وغيره الى انه ليس أعجميا وان منع صرف للعلمية ووزن الفعل واشتقاقه مما ذكر يرد بالقول بانه سمريني صرح الجواليقي وغيره وذهب الثعالبي انه اعجمي وان منع صرفه للعلمية والعجمة وصح انه كان يتكلم بكل لسان ولكن الغالب انه كان يتكلم بالسرياني وفي الحديث خلق الله آدم من ادم الارض كلها فجاء بنو آدم على قدر ذلك منهم الابيض والاسود والاحمر والسهل والحزن والطيب

الاعمال وتطايرت الكتب عن اليمين وعن الشمال ووضع الصراط على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعر يؤمر الناس بالمرور عليه فاول من يجوز عليه محمد صلى الله عليه وسلم فيمر عليه اولهم كالبرق الخاطف ثم كالريح ثم كالطير ثم كاجود الخيل ثم عدوا تم مشيا ومن الناس من يزحف زحفا ومن الناس من يسحب سحبا فمنهم من يسلم ومنهم من يزل فيقع في جهنم ومنهم من تخطفه كلاليب فتلقيه في النار ويسمع للواقعين في النار جلبة عظيمة وصياح شديد يدهش العقول والالباب كما ورد ويقولون اللهم سلم سلم ولا ينطق حينئذ الا الرسل ويقول في اللهم

اذا مد الصراط على جهنم * تمسون على الصعصاة ترتعد اطيل

فقوم في الجنان هم تبوء * وقوم في الجنان هم نزيل

وبان الحق وانكشف الغطاء * وطال الويل وانفصل العويل

فاذا قيم الذين وجب عليهم العذاب في النار ويجاز القائزون الناجون كلهم وردوا حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم على نهاية ما هم فيه من العطش وما عانوه من الاهوال ثم يذهب المؤمنون على الجنة فاول من يدخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الانبياء عليهم الصلاة والسلام ثم يدخل الذين لا حساب

والطيب والخبيث وقال وهب خلق الله رأس آدم من الارض الاولى وعنقه من الثانية وصدره من الثالثة ويديه من الرابعة وبطنه من الخامسة وعجزه وهذا كذا وفخذيه من الارض السادسة وساقيه وقدميه من السابعة ونقل أبو الحسن في شرحه لمقدمة الرسالة القيروانية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال رفعت تربة آدم من ستة أرضين وأكثرها من السادسة ولم يكن فيها من الارض السابعة شيء لان فيها نار جهنم اهـ وروي عنه أيضا انه قال خلق الله تعالى من أقاليم الدنيا فرأسه من تربة الكعبة وصدره من تربة الدهنا وظهره وبطنه من تربة الهند ويداه من تربة المشرق ورجلاه من تربة المغرب وقال غيره خلق الله آدم من ستين نوعا من أنواع الارض وطبائعها فجاءت أولاده مختلفي الالوان والطبائع قيل وهذا المعنى أوجب الله في الكفارة اطعام ستين مسكينا بعدد أنواع بني آدم ليعم الجميع بالصدقة وكان طوله ستين ذراعا والذراع ثمانية أشبار بهذا الشبر كذا ذكروا فجملة الاشبار أربعمائة وثمانون شبرا وعاش آدم ألف سنة (قوله ما دعوتني) ليلا او نهارا سرا أو علانية وما مصدرية ظرفية أي مدة دوام دعائك اياي كما تقول لا احسن اليك ما خدمتني أي مدة دوام خدمتك اياي وغلط من جعلها شرطية والدعاء رفع الحاجات الى رفيع الدرجات وقال هو اظهار العجز والمسكنة بلسان التضرع وهو بلا واسطة من خصوصيات هذه الامة وأما الامم الماضية فكانت تفزع في حوائجهم الى الانبياء تسأل لهم الله تعالى وقد روي عن قتادة انه قال أعطيت هذه الامة ثلاثا لم يعطها الا نبي كان يقال للنبي إذهب فليس عليك حرج وقال لهذه الامة ما جعل عليكم في الدين من حرج وكان يقال للنبي أنت شهيد على قومك وقال لهذه الامة لتكونوا شهداء على الناس وكان يقال للنبي سل تعط وقال لهذه الامة ادعوني أستجب لكم * واعلم أن المذهب المختار الذي عليه الفقهاء والمحدثون وجماهير العلماء من الطوائف كلها من السلف والخلف ان الدعاء مستحب قال الله تعالى ادعوني استجب لكم وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية والآيات في هذا كثيرة وأما الاحاديث الصحيحة فهي أشهر من ان تذكر * وقد سئل الشيخ عز الدين بن عبد السلام في الفتاوى عن الرد على بعض من يقول لا حاجة بنا الى الدعاء لانه لا يرد ما قدر وقضى فاجاب من زعم انه لا يحتاج الى الدعاء فقد كذب وعصى ويلزمه ان يقول لا حاجة بنا الى الطاعة والايمان لان ما قضاه الله من الثواب والعقاب لا بد منه وما يدري هذا الاخرق الاحمق ان الله تعالى قد رتب مصالح الدنيا على الاسباب ومن ترك الاسباب وبنى على ان ما سبق به القضاء لا بد منه يلزمه أن لا يأكل اذا جاع ولا يشرب اذا عطش ولا يلبس اذا برد ولا يتداوى اذا مرض وان يلقى الكفار بلا سلاح ويقول في ذلك كله ما قضاه الله لا يرد وهذا لا يقوله مسلم ولا عاقل وقوله ما دعوتني أي ما دمت تعبدني أو تسألني لان الدعاء قد فسر في القرآن بالعبادة والسؤال وقيل ما دعوتني ﴿ ورجوتني ﴾ لاجابة دعائك لانه تعالى يقول أنا عند ظن عبدي بي وعند ذلك تتوجه رحمة الله الى العبد واذا توجهت لا يتعاظمها شيء لانها وسعت كل شيء والرجاء بالمد لغة الامل واصطلاحا تعلق القلب بمرغوب في حصوله في المستقبل مع الاخذ في أسباب الحصول فان لم يأخذ في الاسباب فهو طمع ولذا قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى ان مثل الراجي مع الاصرار على المعصية كمثل من رجا حصادا أو ولدا ولم يزرع ولم ينكح قال عبد الله بن المبارك

ما بال دينك ترضى أن تدنسه * وثوبك الدهر مغسول من الدنس

عليهم من هذه الامة من الباب الاعظم وقال بعضهم فكان الدخول أهل الجنة الى الجنة قال الله تعالى يا رضوان لا تنزلهم أنت في الجنان ولا تدعهم ينزلون بانفسهم فانهم لو نزلوا بانفسهم نزلوا كما تنزل الغرباء وانما انزلهم انت

نزلوا كما تنزل العبيد فلا تدعهم ينزلون نزلة الغرباء ولا تنزلهم انت منزلة العبيد بل دعهم لانزلهم انا في منازلهم اقربهم كما تنزل الارباب ليعلموا كرامتهم علي فاذا اتوا باب الجنة تسلم عليهم الملائكة كما قال الله تعالى سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ويجيء ان اهل الجنة على قامة آدم عليه السلام ستين ذراعا على سن عيسى ابن مريم عليه السلام ثلاث وثلاثين سنة على حسن يوسف عليه السلام على نغمة داود عليه السلام على خلق محمد عليه الصلاة والسلام وعليهم اجمعين * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سكن اهل الجنة في الجنة بعث الله الروح الامين يقول يا اهل الجنة ان ربكم يقرئكم السلام ويأمركم ان تزوروا ربكم على فناء الجنة التي ترابها المسك وحصباؤها الياقوت والدر وشجرها الذهب وورقها الزمرد فيخرجون ثم يأمر الله تعالى داود عليه السلام فيرفع صوته بذكر الزبور ثم توضع مائدة الخلد اوسع ما بين المشرق والمغرب فيقول الله تعالى اطعموا اوليائي ويأتي عليهم شيء وسبعين طعاما فيأكلون ثم يقول الله تعالى فكهوهم فيتفكهون بما لم يخطر على بالهم ثم يقول اسقوا اوليائي فيؤتون بالرحيق المختوم فيشربون ثم يقول اكسوهم فترفع شجرة ورقها الحلل فيكسى كل واحد منهم سبعمائة

ترجو النجاة ولم تسلك طريقتها ✻ ان السفينة لا تجري على اليبس

ويطلق الرجاء على الخوف ومنه قوله تعالى وارجوا اليوم الآخر أي خافوه أيها الكفار لا ترجون لله وقارا أي لا تخافون عظمة الله وقال في عم يتساءلون انهم كانوا لا يرجون حسابا أي لا يخافونه ويصح ارادته أيضا وقد يستعمل الطمع بمعنى الرجاء كما في قوله تعالى والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين أما الرجاء القصر فهو الناحية ومنه رجا البئر أي ناحيتها ومحل الأفضل للشخص تغليب الرجاء لئلا يغلب عليه داء اليأس من رحمة الله عز وجل أو الخوف لئلا يغلب عليه داء الامن من مكر الله تعالى أو ان كان عاصيا فالخوف أفضل وان كان مطيعا فالرجاء أفضل أو ان كان قبل الذنب فالخوف أفضل وان كان بعده فالرجاء أفضل أو ان كان صحيحا فالخوف أفضل وهو المختار عندنا ولكن الراجح عند الشافعية انه يكون رجاؤه وخوفه مستويين وان كان مريضا فالرجاء لقوله صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله وحسن ظنه معاملات شعر عبد القاهر بن طاهر

يا قائما لي كل باب مرتجى ✻ اني لعفوك عني مرتجى

فامنن علي بما يذيل سعادتي ✻ فسعادتي طرا تمام مرتجى

قال الدميري وفي سرح الذهب عن فقيه بن مسكين قال دخلت على الشافعي أعوده في مرض موته فقلت له كيف أصبحت يا أبا عبد الله قال أصبحت من الدنيا راحلا ولاخواني مفارقا ولكأس المنية شاربا ولا أدري الى الجنة تعجل روحي فأهنيها أم الى النار فأعزيها ثم قال

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ✻ جعلت الرجا مني لعفوك سلما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته ✻ بعفوك ربي كان عفوك أعظما

﴿ غفرت لك ذنوبك ﴾ اي سترتها عليك بعدم العقاب عليها في الآخرة وبرادفه العفو ومقتضى كلام ابن عطية أن بينهما فرقا وهو ان الغفران لما لم يطلع عليه أحد والعفو لما اطلع عليه فانه قال في تفسير قوله تعالى واعف عنا أي فيما واقعناه وانكشف واغفر لنا استر علينا ما علمت منا قال بعضهم وهو بالتحكم أشبه اه وقال بعضهم ان بين مغفور وعفي عنه بحسب الوضع عموما وخصوصا من وجه فان المغفرة من الغفر وهو الستر والعفو بمعنى المحو ولا يلزم من الستر المحو ولا عكسه بان يحاسبه بذنب على رؤس الاشهاد ثم يعفو عنه أو يستره ويجازيه عليه اما بالنظر لكرم الله تعالى فهو اذا استر عفا فبينهما عموم وخصوص مطلق وكذا يقال في مقام الاطلاق الا كثر عفا الله عنه ﴿ ما كان منك ﴾ من المعاصي وان تكررت ﴿ ولا أبالي ﴾ اي لا اكترث بذنوبك ولو كثرت لانه تعالى لا حجر عليه فيما يفعل ولا معقب لحكمه ولا مانع لعطائه ومعنى لا أبالي لا يشغل بالي به فان اجرام العباد في جنب رحمته كذرة حقيرة بل أقل منها * فان قلت ثبت انه يجف القلم بما هو كائن فالدعاء لا يزيد ولا ينقص شيئا وأيضا المطلوب ان كان من مصالح العبد فالجواب المطلق لا يبخل به وان لم يكن منها لم يجز طلبه والا فالرضا بالقضاء باب الله الاعظم والاشتغال بالدعاء ينافيه فالجواب الدعاء من شعار المرسلين ودثار الصالحين وأدب الصديقين ﴿ يا ابن آدم ﴾ انك ﴿ لو بلغت ﴾ اي وصلت ﴿ ذنوبك ﴾ اي في عظمها اجراما ﴿ عنان السماء ﴾ بان ملأت ما بينها وبين الارض والعنان بفتح العين المهملة وتخفيف النون السحاب الواحدة عنانة وهل هو اسم للسحاب مطلقا أو بقيد كونه محملا بالماء قولان وقيل العنان اسم لما عن لك من السماء اي ظهر لك اذا

بين يدي الله عز وجل فيقول الله تعالى ارفع رأسك وسل تعط وقل يسمع لك واشفع تشفع فيقوم فيشفع رفعت

ويقول يارب ائذن لي في كل من قال لا إله إلا الله فيقول الله تعالى وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لاخرجن منها من قال لا إله الا الله

وقد ورد في الصحيحين البخاري ومسلم ان العصاة من المسلمين يعذبون في النار ويحصل لهم انهم يعذبون بقدر ذنوبهم فيكون غاية عذابهم عادا وقد سئل الشفاعة احيائهم الله تعالى وقد جاء في آخر من يخرج من النار (٢٩١) اخبار كثيرة نقتصر منها على رواية ابن عباس رضي الله عنهما انه قال آخر من يخرج من النار من هذه الامة من يبقى سبعة آلاف سنة في النار فيصيح اربعة آلاف سنة في يا الله يا الله ثم يصيح الف سنة يا حنان يا منان ثم يصيح الف سنة يا حي يا قيوم فيقول الله تعالى يا ملك ان عبدا من عبادي يدعوني في قعر جهنم فهل تعرف مكانه فيقول يا رب أنت أعرف بمكانه مني فيقول الله تعالى انه في واد في جهنم في قعر بئر وفي البئر صندوق وهو فيه فيصيح مالك على النار فيموج بعضها في بعض من هيبة مالك فيخرجه من النار فيقول يا شقي ان الله يدعوك فيقول لا لبيك اي العذاب أشد في جهنم فيقول له السعير وسقر فيقول يا مالك اجعلني نصفين فالق نصفي في السعير ونصفي في سقر ولا تقدمني بين يدي الله تعالى فيقول لا بد من ذلك وهو بين يديه كالسمكة في الشبكة فيقف بين يدي الله تعالى فيقول الله تعالى يا عبدي الم أخلق لك سمعا وبصرا الم أفعل بك كذا وكذا الم أمكن لك كذا وأشباهه فيعرق حياء من الله تعالى ويقول يا رب النار احب الي من هذا فيقول الله تعالى اذهبوا به الى النار فيلتفت ويقول يا رب ما كان ظني فيك هكذا فيقول الله عز وجل ما كان ظنك بي فيقول ظني بك اذا اخرجتني

رفعت رأسك الهاوية ابرزت اعظم السماء اي نواحيها وما اعترض من اقطارها كأنه جمع عن واما العنان بكسر العين فهو اسم لما تقاد به الدابة الاسفل والاعلى للاعلى كالملك بكسر اللام وبفتحها والجنازة بكسر الجيم اسم للسرير الذي يحمل عليه الميت وبفتحها اسم الميت المحمول (تنبيه) نقل عن بعضهم ان سماء الدنيا افضل مما سواها لقوله تعالى وانا زينا السماء الدنيا بمصابيح قال الجلال السيوطي ثبت في دورد الاثر بخلافه أخرج عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب الرد على الجهمية عن ابن عباس قال سبع السموات السماء التي فيها العرش وسبعة الارضين التي نحن عليها اه فروعها فوائد الاولى مذهب أهل السنة والاشاعرة كما دلت عليه الاحاديث ان السحاب من بخرة تثيرها الملائكة والمطر من تحت العرش خلافا للحكماء والمعتزلة فان منشأ المطر البحر والسحاب اجسام ذوات مقادير تأخذ الماء من البحر نظيم ويقصره الريح فيعذب به الثانية قال الحكماء الارض طبق واحد ومذهب الاشاعرة ان الارض طبقات متفاصلة بالذات بين كل ارض وسمائة خمسمائة عام كما ورد به الاخبار وعليه انما بعضت السماء وافردت الارض في بعض الآيات لان السموات مختلفة الاجناس بخلاف الارضين لاتحاد جنسها وهو التراب وذكر بعضهم ان الملائكة في افراد الارض تقل جمعها انشا وهو أرضون الثالثة الارض العليا أفضل مما تحتها لاستقرار ذرية آدم فيها ولانها معدن لها وهي مهبط الوحي وخير من اللائكة قاله في كشف الاسرار الرابعة من هذه الذنوب الكثيرة استغفارا يثبت محاه في القلب ويحصل معه الندم ليتحلل به عقد الاصرار وحينئذ قلم ان به التوبة وهي اقتال الرجوع عن الشيء يقال تاب وثاب بالمثلثة بمعنى رجع وشرعا الرجوع عما لا يرضى الله تعالى الى ما يرضيه مما هو محرم عليه أو كان مندوبا فان عاد الاول الندم على الذنب من حيث هو ذنب وخوف عقاب بخلاف الندم عليه لنحو هتك او صرف مال او تعب بدن او لكون مقوله والندم اول شرب الخمر فيه من الصداع والاختلال بالمال او العرض فان ذلك لا يعتد به ومعنى الندم تحزن وتوجع على ما فعل وتمنى كونه لم يفعل الثاني العزم على ان لا يعود اليه ما عاش كذا لا يعود الى الشرع لا لنحو عدم انشاء ذكره بعد الزنا الثالث وهو خاص الاقلاع عن الذنب في الحال بان يتركه ان كان قادرا به او مصرا على العود اليه فان كانت المعصية تتعلق بآدمي فلها شرط رابع رد المظلمة الى صاحبها او تحصيل البراءة منه ان تعذر فيرد المظالم ويتحلل في الاعراض ويسلم نفسه للقصاص ان امكن وفي الحديث المستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه وقوله في الحديث الندم توبة اي معظم شروطها الندم كما في الحديث الآخر الحج عرفة ولان الندم يستلزم الشرطين الآخرين عادة قال المطاب في حاشيته على الرسالة القهوانية واذا لم يرد المظالم الى اهلها مع الامكان فصحح الامام توبته مع الجمهور وقيل انها لا تصح انتهى وفي شرح العقيدة للسنوسي التوبة من التعصب والسرقة الحرام ونحو ذلك يشترط في صحتها رد المغصوب الموجود الذي لم يتعلق بالذمة واما ما تعلق بالذمة لاستهلاك كمغصوه فرد عرضه ليس بشرط في صحة التوبة عند الجمهور وانما هو واجب آخر مستقل بنفسه يحتاج الى توبة ومعنى الندم تحزن وتوجع على ما فعل وتمنى كونه لم يفعل لا مجرد قوله ندمت ويطلق الاستغفار على الصلاة كقوله تعالى في آل عمران والمستغفرين بالاسحار يعني المصلين في الاسحار وقوله في سورة الذاريات وبالاسحار هم يستغفرون يعني يصلون وقوله في الانفال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم

من النار لا تعيدني اليها ثانيا فيقول الله تعالى لعبدي عيسى هل تدري لم اخرجتك من النار فيقول لا يا رب فيقول الله تعالى انك قلت
في يوم كذا في ليلة كذا مرة واحدة (٢٩٢) لا اله الا الله محمد رسول الله فلهذا اليوم اخرجتك من النار لاجل ذلك ثم يقول الله
تعالى ادخلوا عبدي الجنة فيقول

يستغفرون يعني يصلون قال العلماء الذنوب اثنان الفساد وشرطها المذكورة ما خوذة من القرآن أما الندم
فما خوذ من قوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم وذلك
لان العبد اذا اذنب ذنبا ذكر الله تعالى ندم على فعل ما يستوجب العقوبة واما الاقلاع فهو ترك العود وورد
المقابلة فاستغفروا من قولهم لم يصروا على الفعل الان من لم يقلع عن الذنب مصر عليه ومن اقلع وعزم
على العود بعد مدة فغير مصر ايضا وكذا من عزم على ترك العود مطلقا لكن أمسك ما غصبه مثلا ولم
يرده فهو قد أصر على ما فعل وزاد بعضهم في الشروط وقوع التوبة في وقتها وهو ما قبل الغرغرة لما
رواه الترمذي وحسنه عن ابن عمر رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر أي تبلغ روحه
حلقوم وهو حالة النزع لان الغرغرة أن يجعل الشخص يبلع ريقهم المريض فيردده في الحلق ولا يصل اليه
ولا يقدر على بلعه هذا هو الاشاعرة وأما عند الماتريدية فانما يشترط عدم الغرغرة في الكافر دون
المؤمن العاصي عملا بالاستصحاب في الموضعين وقول طلوع الآيات كطلوع الشمس من مغربها ولا
يشترط التحفظ بالاستغفار لما رواه ابن ماجه عن ابي بكر رضي الله عنه ما نطق ما على الله تعالى من عبد ندامة على
ذنب الا غفر له قبل أن يستغفر منه خلافا لمن يقول في القتل بالندم أن يقول أستغفر الله من ذنبي ونحو
ذلك وكذا لا يشترط مغفرة ما تأخر من المعصية خلافا لمن يشترطه ولا تجديد التوبة كلما ذكر المعصية
خلافا للقاضي أبي بكر الباقلاني وأما التوبة النصوح فانها أخص من ذلك لانها تكفر السيآت
وتبدلها بحسنات وقد اختلف فيها فقال بعضهم التوبة النصوح جمعها أربعة اشياء الاستغفار
باللسان والاقلاع بالابدان واضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيء الاخلاق وهو قريب من قول
بعضهم هي تقدم أربعة أشياء الندم بالقلب والاستغفار باللسان واضمار ان لا يعود وبجانبة مخالطة
السوء وقال ابو بكر الوراق هو ان تضيق عليك الارض بما رحبت وتضيق عليك نفسك
كما قال الله تعالى وقال بعضهم ان يكون لصاحبها دائم مستريح وقلبه عن الماضي مستريح وقال
ذو النون علامتها ثلاثة قلة الطعام وقلة الكلام وقلة المنام وقال فتح الموصلي علامتها ثلاثة
مجالسة الحزين وكثرة البكاء ومكابدة الجوع والظمأ وقال عمرو أبي عمرو ومعاذ التوبة النصوح ان يتوب ثم
لا يعود الى الذنب كما لا يعود اللبن الى الضرع وقال الكلبي ان يستغفر باللسان وينتدم بالقلب ويمسك
بالبدن ﴿ غفرت لك ﴾ وان تكرر الذنب والتوبة منك مرارا في اليوم الواحد لان معاودة الذنب
لا يبطل التوبة ومن ثم قال عليه أفضل الصلاة والسلام ما أصر من استغفر أي تاب ولو عاد في اليوم
سبعين مرة وأخرج الاصبهاني انه صلى الله عليه وسلم قال اذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله حفظته
ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الارض حتى يلقى الله يوم القيامة وليس عليه شاهد من
الله بذنب وصحح التوبة من الذنب ولو كان مصرا على الآخر وخالفت المعتزلة فيهما ثم ان توبة
الكافر من كفره بالطوع بشروطها واسواها من أنواع التوبة على قبوله قطعي أو ظني خلاف بين أهل
السنة والاصح كما اختاره امام الحرمين انه ظني وكان سبب توبة الفضيل بن عياض انه عشق جارية
فواعدته ليلة فبينما هو يرقى الجدران اذ سمع قارئا يقرأ ألم يان للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر
الله فرجع القهقرى وهو يقول بلى والله قد آن فاواه الليل الى خربة وفيها جماعة من السائلة
وبعضهم يقول لبعض ان فلانا يقطع الطريق فقال الفضيل أراني بالليل اسعى في معصية الله
وقوما من المسلمين يخافوني اللهم اني قد تبت اليك وجعلت توبتي اليك جوار بيتك الحرام وانما

حملنا

القبر وغربته وضيقه ويذكر معه ذلك قلة عمله وعجزه وتقصيره ويذكر معه ذلك انه سيعرض ويحاسب ويوزن اعماله فيتلو ونضع

وصار كلما تخلل عن العبادة
ومجاهدة نفسه لحظة نزل في
فاصطنع له قبرا في بيته وحفره
يا رب ان الجنة تسعها
لانبيائك ورسلك واوليائك ولا
اجعل لي فيها مكانا فيقول
الله تعالى ان لك في الجنة
مثل ما طلعت عليه الشمس
وغربت تسع مرات فقال
فيغتسل في نهر يقال له
الحيوان فيخرج منه
وجهه كالقمر ليلة البدر
فيستقبل اهل النار ان يكونوا
قائلين مرة واحدة لا اله
الا الله محمد رسول الله حتى
يخرجون من العذاب كما
قال الله تعالى ربما يود الذين
كفروا لو كانوا مسلمين
﴿ خاتمة المختصر ﴾ قال بعضهم
ابن واسع فاسألني على
مرة فاردت تهذيبه
فتفكرت في ملكوت
السموات والارض وما
الموت وما فيه وما بعده
من أهوال يوم بعث ونشور
وصراط وميزان وحساب
وأهوال يوم القيامة فكبر
على الامر وعظم واشتد
جزعي وخوفي وبكائي
ونحيبي فمرضت عمري على
نفسي فلم ابتدل عملا يصلح
لخلاص من شيء من
ذلك فبكيت وازددت
خوفا ونحيبا وجزعا قال

هذا الاستغفار على التوبة لان الاستغفار المطلوب هو الذي يحل عقد الاصرار وينبت مكانه في الجنان لا مجرد التلفظ باللسان من غير أن يكون للقلب فيه شركة وانما روي عن الحسن البصري انه قال استغفارنا يحتاج لاستغفار لكن قال الغزالي لا نسلم انه يذم حركة اللسان من حيث انها ذكر بل يذم غفلة القلب فهو يحتاج الى الاستغفار من غفلة قلبه لا من حركة لسانه وفي الحديث من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله بكل مؤمن ومؤمنة حسنة وفيه أيضا من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وروى الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم غفر له وان كان قد فر من الزحف ﴿ يا ابن آدم انك لو أتيتني بقراب الارض ﴾ بضم القاف وكسرها والضم أشهر أي بقرب ملئها أو ملئها وهذا أبلغ مما قبله ﴿ خطايا ثم لقيتني ﴾ اي حال كونك ﴿ لا تشرك بي شيأ ﴾ أي بذاتي وصفاتي وأفعالي أي مستمرا على الايمان لاعتقادك توحيدي والتصديق برسلي وبما جاؤا به ﴿ لاتيتك بقرابها ﴾ عبر به لان العادة والا فمغفرة الله أعظم وأوسع من ذلك ﴿ مغفرة ﴾ وفي خبر مسند أن رجلا يؤمر به الى النار فاذا بلغ ثلث الطريق التفت فاذا بلغ نصف الطريق التفت فاذا بلغ ثلثي الطريق التفت فيقول الله تعالى ردوه ثم يسأله فيقول لما بلغت ثلث الطريق تذكرت قولك وربك الغفور ذو الرحمة فقلت اللهم اغفر لي فلما بلغت نصف الطريق تذكرت قولك ومن يغفر الذنوب الا الله فقلت اللهم اغفر لي فلما بلغت ثلثي الطريق تذكرت قولك قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا فازددت طمعا فيقول الله عز وجل اذهب فقد غفرت لك ﴿ رواه الترمذي ﴾ في الدعوات وخرجه الطبراني من حديث ابن عباس والترمذي من حديث الفوقية وكسر الميم أو ضمها واعجام الذال ﴿ وقال حديث حسن صحيح ﴾ وأخرجه أبو عوانة في مسنده أيضا من حديث أبي ذر قال بعض الشراح ويظهر ان معاني هذه الاحاديث كلها وان كثر تعدادها وجل مقدارها يرجع عظمها واشتمل على كل الشريعة المحمدية شمليا ترجع الى تقوى الله تعالى في السر والعلانية مع قصر الامل والزهد في الدنيا وترك الا يعني من فضولها والشغل بذكر الله تعالى وحسن الخلق مع الخالق بما يقتضيه الشرع الشريف والانقباض عنهم فيما لا يعني وارادة تطهير باطنه بما ظهر فيما أمكن من ذلك وهذا آخر ما سهل الله تحصيله على حسب الامكان والحمد لله الكريم المنان الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله والصلاة والسلام على النبي محمد وآله وصحبه ومن والاه وانى أستغفر الله مما يعلمه مني من الجراءة على شرح قول من لا ينطق عن الهوى مع قصوري في هذه المادة وقلة سلوكي في هذه الجادة وانسان الله تعالى ان يمن علينا بتوبة تمحو عنا كل جريمة وان يختم لنا بالحسنى ويمن علينا بالمطلوب الاسنى وان يشمل ذلك جميع أهلنا ومشايخنا وأحبابنا ومن أمن على هذا الدعاء ممن سمعه ومن دعا لنا بمثله وكل المسلمين وقد قيل

يا من غدا ناظرا فيما جمعت وقد ✻ أضحى يردد في أفنائه النظرا
سألت الله ان عاينت من خطأ ✻ فاستر على خير الناس من سترا

وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

الابيات

يا ايها الناس كان لي أمل ✻ فقصر في عن بلوغه الاجل
فليبق الله ربه رجل ✻ أعكفه في حياته العمل
ما أنا وحدي تلفت ✻ حيث ترى ✻
كل الى مثله سينتقل ✻ فبكي وتوا جدوا عهد الله
ان لا يعود الى بيته وخرج هائما حتى مات رحمه الله تعالى ✻ وقال بعضهم بينما أنا سائر في سياحتي واذا انا بصوت اسمعه وما أرى شخصه يقول ياعبادي الله ان الجنة رخيصة فاشتروا وان الرب كريم فاقبلوا عليه فالتفت يمينا وشمالا فلم ار أحدا واذا به يقول

عجبت من عاقل لبيب ✻ يذهب بالفانيات عمره
ويبذل المال في متاع ✻ يفني ويبقى عليه حسره
بين يديه الغداة نار ✻ ما يتقيها بشتق تمره

فيا اخواني اقبلوا بالقلوب اليه وقفوا بالخضوع والخشوع لديه فانه كريم ودود وأمل الرجاء الى بابه فانه رحيم وقولوا سبحان الله العظيم وبحمده سبحان الله العظيم ✻ تم

كتاب المجالس السنية في الاربعين النووية بحمد الله تعالى وعونه في سادس عشر شهر الله محرم الحرام افتتاح سنة ثمانية وسبعين وتسعمائة على يد مؤلفه الفقير احمد الشطي الشافعي رحمه الله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

﴿ يقول راجى عفو ربه الكريم * ابن الشيخ حسن الفيومى ابراهيم ﴾

حمدا لمن نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تخضع لمكانته صم الجلاميد * وأنطق مصطفاه بما اليه أوحى وآتاه من أوجز الكلام وأجمعه ما يبهر فصحاء المصاقع الصناديد * وصلاة وسلاما على أصدق القائلين وخاتم رسل رب العالمين سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين آمين ﴿ وبعد ﴾ فلما كان أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم * وأصح ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم صحيح الامام البخارى وقد انتقى الامام النووى رضى الله عنه من أحاديثه الصحيحة مالا يستغنى عنه متمسك بسنة خير المرسلين * وقد تسابق فى شرحها العلماء المحققون * والفضلاء الكملة الموفقون وكان من أوضحها وأتقنها وأوقعها فى النفوس شرحا العلامتين الشيخ ابراهيم بن مرعى بن عطية الشبرخيتى المالكى والشيخ احمد ابن الشيخ حجازى الشهير بالفشنى انتدب لطبعهما ﴿ ورثة المرحوم الشيخ محمد عبد الخالق المهدى ﴾

أصحاب المطبعة الازهرية الثابت محل ادارتها بشارع رقعة القمح بسراى رقم ٦

بجوار الرياض الازهرية بمصر المحمية * ونشرها بين طلابهما ليعم نفعها

جميع العاملين * جزاهم الله خير الجزاء بجاه سيد الاصفياء

صلى الله عليه وسلم وقد بدا بدر التمام * أواخر

ذى الحجة الحرام * ختام عام ١٣٤٧

من هجرة الرسول المختام

وعليه وآله وصحبه

الصلاة والسلام

آمين

م

فهرس الكتاب

﴿ شرح العلامة الشبراخيتي على الاربعين النووية ﴾

	صحيفة
خطبة الكتاب	٢
الحديث الاول	٤٧
الحديث الثاني	٦١
الحديث الثالث	٨٥
الحديث الرابع	٩١
الحديث الخامس	١٠٤
الحديث السادس	١١١
الحديث السابع	١٢١
الحديث الثامن	١٢٥
الحديث التاسع	١٣٠
الحديث العاشر	١٣٩
الحديث الحادي عشر	١٤٣
الحديث الثاني عشر	١٤٧
الحديث الثالث عشر	١٤٩
الحديث الرابع عشر	١٥٢
الحديث الخامس عشر	١٥٥
الحديث السادس عشر	١٦٢
الحديث السابع عشر	١٦٦
الحديث الثامن عشر	١٧٠
الحديث التاسع عشر	١٧٩
الحديث العشرون	١٩٢
الحديث الحادي والعشرون	١٩٦
الحديث الثاني والعشرون	١٩٨
الحديث الثالث والعشرون	٢٠٠
الحديث الرابع والعشرون	٢٠٩
الحديث الخامس والعشرون	٢١٨
الحديث السادس والعشرون	٢٢٣
الحديث السابع والعشرون	٢٢٧
الحديث الثامن والعشرون	٢٣٢
الحديث التاسع والعشرون	٢٣٦
الحديث الثلاثون	٢٤٥
الحديث الحادي والثلاثون	٢٤٧
الحديث الثاني والثلاثون	٢٥٢
الحديث الثالث والثلاثون	٢٥٥
الحديث الرابع والثلاثون	٢٥٧
الحديث الخامس والثلاثون	٢٦٠
الحديث السادس والثلاثون	٢٦٨
الحديث السابع والثلاثون	٢٧٣
الحديث الثامن والثلاثون	٢٧٧
الحديث التاسع والثلاثون	٢٨١
الحديث الاربعون	٢٨٢
الحديث الحادي والاربعون	٢٨٥
الحديث الثاني والاربعون	٢٨٨

﴿ تمت ﴾

صحيفة	
٢	المجلس الاول في الحديث الاول
١٤	« الثاني في الحديث الثاني
٢٦	« الثالث في الحديث الثالث
٣٦	« الرابع في الحديث الرابع
٤٣	« الخامس في الحديث الخامس
٤٨	« السادس في الحديث السادس
٥٤	« السابع في الحديث السابع
٥٩	« الثامن في الحديث الثامن
٦٠	فصل في الكلام على لا إله إلا الله وبعض فضائلها
٦٤	المجلس التاسع في الحديث التاسع
٦٩	« العاشر في الحديث العاشر
٧٥	« الحادي عشر في الحديث الحادي عشر
٧٥	« الثاني عشر في الحديث الثاني عشر
٨٠	« الثالث عشر في الحديث الثالث عشر
٨٥	« الرابع عشر في الحديث الرابع عشر
٩٠	« الخامس عشر في الحديث الخامس عشر
٩٦	« السادس عشر في الحديث السادس عشر
١٠٠	« السابع عشر في الحديث السابع عشر
١٠٤	« الثامن عشر في الحديث الثامن عشر
١١١	« التاسع عشر في الحديث التاسع عشر
١١٨	« العشرون في الحديث العشرين
١٢٣	« الحادي والعشرون في الحديث الحادي والعشرين
١٢٨	« الثاني والعشرون في الحديث الثاني والعشرين
١٣٥	« الثالث والعشرون في الحديث الثالث والعشرين
١٥١	« الرابع والعشرون في الحديث الرابع والعشرين
١٦١	« الخامس والعشرون في الحديث الخامس والعشرين

صحيفة	
١٦٩	المجلس السادس والعشرون في الحديث السادس والعشرين
١٧٤	« السابع والعشرون في الحديث السابع والعشرين
١٨٠	« الثامن والعشرون في الحديث الثامن والعشرين
١٨٨	« التاسع والعشرون في الحديث التاسع والعشرين
١٩٧	« الثلاثون في الحديث الثلاثين
٢٠١	« الحادي والثلاثون في الحديث الحادي والثلاثين
٢٠٩	« الثاني والثلاثون في الحديث الثاني والثلاثين
٢١٢	« الثالث والثلاثون في الحديث الثالث والثلاثين
٢١٥	« الرابع والثلاثون في الحديث الرابع والثلاثين
٢٢٠	« الخامس والثلاثون في الحديث الخامس والثلاثين
٢٢٩	« السادس والثلاثون في الحديث السادس والثلاثين
٢٣٨	« السابع والثلاثون في الحديث السابع والثلاثين
٢٤٦	« الثامن والثلاثون في الحديث الثامن والثلاثين
٢٥١	« التاسع والثلاثون في الحديث التاسع والثلاثين
٢٥٦	« الاربعون في الحديث الاربعين
٢٦١	« الحادي والاربعون في الحديث الحادي والاربعين
٢٦٥	« الثاني والاربعون في الحديث الثاني والاربعين